

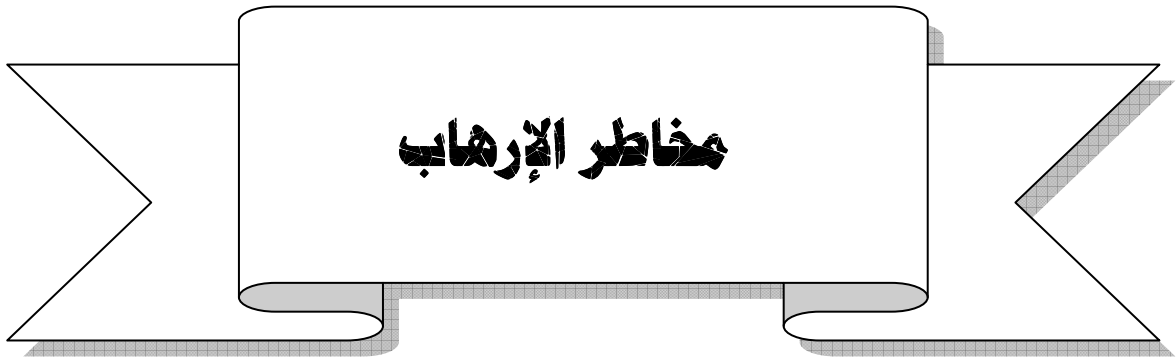
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تحديد مفهوم الإرهاب

البحر الأحمر  
البحر الأحمر  
البحر الأحمر  
البحر الأحمر

أسباب صناعة الإرهاب

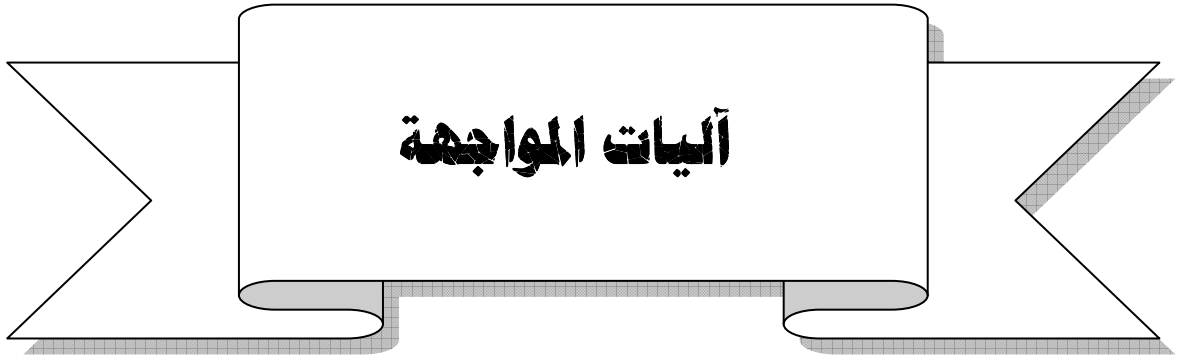
المحاضرة الثانية والثلاثون  
مادة مادة مادة  
مادة مادة مادة



المحاضرة الرابعة  
أساسيات الترميز  
أساسيات الترميز



الحمد لله الذي جعلنا من آل بيته  
الطيبين الطاهرين



## دعم صمود الدولة الوطنية وتقوية بنائها

الأستاذ الدكتور/ أسامة محمد العبد

رئيس جامعة الأزهر الأسبق

رئيس لجنة الشؤون الدينية والأوقاف

بمجلس النواب المصرى

مصر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ورضى الله عن الصحابة والتابعين إلى يوم الدين، وبعد؛  
فإن قضية الوعى بالوطن وبمشروعية الدولة الوطنية، وضرورة دعم صمودها، والعمل على رقيها وتقدمها وازدهارها، أحد أهم المرتكزات لصياغة الشخصية السوية، وأحد أهم دعائم الولاء والانتماء للوطن والحفاظ على أمنه ومقدراته، والله در شوقى حيث يقول:

**وَلِلْأُوطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ  
يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ**

وتعتبر مشروعية الدولة الوطنية أمراً غير قابل للجدل أو التشكيك، بل هو أصل راسخ، بل إن كل ما يدعم بناء الدولة وقوتها هو من صميم اعتقادنا الإيمانى، وكل ما يؤدي إلى الفساد أو الإفساد أو التخريب أو زعزعة الانتماء الوطنى إنما يتعارض مع كل القيم والمبادئ الدينية والوطنية. إن المخرَج الوحيد من الأزمات التى تعانى منها منطقتنا العربية هو التمسك بإصرار بمشروع الدولة الوطنية الحديثة، التى تقوم على مبادئ المواطنة، والمساواة، وسيادة القانون، وحقوق الإنسان، وتتجاوز بحسم محاولات الارتداد للولاءات المذهبية أو الطائفية أو العرقية

أو القبلية، فإن طريق الإصلاح يمر بالضرورة عبر الدولة الوطنية، ولا يمكن أن يمر على أنقاضها.

وسوف أتعرض في هذه الورقة لعدة مبادئ منها:

### المواطنة :

منذ عقود عديدة والعالم كله يسعى بدوله ومؤسساته ومنظماته إلى تحديد الأسس والقواعد التي تنظم حقوق الأفراد وواجباتهم، وترسم حدود العلاقات البينية بين الأفراد من جهة، وبينهم وبين الدولة ومؤسساتها وهيئاتها من جهة أخرى، وهو ما يمكن تسميته "بالحق في المواطنة"، وهو مفهوم حديث ارتبط بوجود الدولة الحديثة، وكان مصدر فخر للعالم الحديث منذ اكتشافه وتحديده، كأحد أهم إنجازات الحضارة الحديثة، وطبقاً لهذه الحضارة فمفهوم "حق المواطنة" يقوم على أساس المساواة في الحقوق والواجبات، دون النظر إلى الانتماء الديني أو العرقي أو المذهبي أو أى اعتبارات أخرى، فالاعتبار الوحيد هنا هو الإنسانية والمواطنة.

ولقد عرف الإسلام هذا الحق ورسخه منذ أربعة عشر قرناً أو يزيد، فحين هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وجد فيها عقائد مختلفة وقبائل شتى، وهو ما يمثل نسيجاً غريباً ومخالفاً لتقاليد العرب وأعرافهم في ذلك الوقت في الجزيرة العربية.

وفي ظل ذلك التنوع أراد الرسول ﷺ أن يؤسس دولة قوية يسودها السلام والتعاون والمشاركة بين جميع أطيافها على مختلف مشاربهم. ومن هنا جاءت وثيقة المدينة كأول دستور للدولة المدنية في العالم، يحدد ملامح دولة الإسلام الجديدة، ولا يفرق بين مواطنيها من حيث الدين أو العرق أو الجنس، فأكد على: "أن أطراف الوثيقة عليهم النصر والعون والنصح والتناصح والبر من دون الإثم"، وحرصت الوثيقة على أن يكون الدفاع عن حدود هذه الدولة مسؤولية الجميع، مؤكدة على روح المساواة والعدل والتعاون والتعايش السلمي بين أطرافها.

وكان من أبرز أسس هذه الوثيقة: "العدالة"، وتمثلت في توافق الحقوق والواجبات وتناسقها، إذ تضمنت حقوق الأفراد جميعاً في ممارسة الشعائر الدينية الخاصة، وحقوقهم في الأمن والحرية وصون أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودور عبادتهم.

وقد قامت وثيقة النبي ﷺ بين أهل المدينة على أربعة محاور:

**المحور الأول:** الأمن الجماعي والتعايش السلمي بين جميع مواطني دولة المدينة، حيث ذكر النبي ﷺ في الوثيقة: " أنه من خرج أمن، ومن قعد أمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتفق"، كما حفظت الوثيقة حق الجار في الأمن، والحفاظ عليه كالمحافظة على النفس، حيث ذكر النبي ﷺ فيها: " وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ".

**والمحور الثاني :** ضمان حرية الاعتقاد والتعبد، حيث قررت وثيقة النبي ﷺ: " لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأْتَمَّ فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ - أى يهلك - إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ "؛ لأنه لا إكراه فى الدين.

**المحور الثالث:** ضمان المساواة التامة لمواطنى دولة المدينة فى المشاركة الفاعلة فى مجالات الحياة المختلفة، تحقيقاً لمبدأ أصيل تقوم عليه الدول الحديثة فى عالم اليوم، وهو مبدأ المواطنة الكاملة، والذي لم يكن جلياً حينئذ، إلا أن دستور المدينة الذى وضعه المصطفى ﷺ ضمن هذا الحق لكل ساكنيها، فى وقت لم يكن العالم يعى معنى كلمة الوطن بالتزاماته وواجباته وقيمه ومبادئه.

**المحور الرابع:** إقرار مبدأ المسؤولية الفردية، وأصل هذه المسؤولية الإعلان عن النظام، وأخذ الموافقة عليه، وهو ما أكدته الوثيقة: "إنه لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يأتى امرؤ بحليفه، وإنه النصر للمظلوم".

وتعتبر صحيفة المدينة أول دستور ينظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الديانات الأخرى، حيث اعتمد الرسول ﷺ فى الوثيقة مبدأ المواطنة، فوضعت فيها الحقوق والواجبات على أساس المواطنة الكاملة التى يتساوى فيها المسلمون مع غيرهم من ساكنى المدينة المنورة ومن حولها. وفى ظل التنوع الديموغرافى الذى ساد المدينة حينذاك، كان اليهود أبرز هذه الفئات؛ ولذا فقد ذكرهم الرسول فى أكثر من بند من هذه الوثيقة، حيث أكد فى الوثيقة على أن اليهود من مواطنى الدولة الإسلامية، وأنهم عنصر من عناصرها؛ فذكر فى الصحيفة: "وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم"، كما أكد ﷺ فيها: "وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين".

وفى هذا الدستور الحقوقى الأول من نوعه فى التاريخ نرى أن الإسلام قد عد الآخرين - خاصة أهل الكتاب الذين يعيشون فى أرجائه - مواطنين، وأنهم أمة مع المؤمنين، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم، فاختلف الدين ليس سبباً للحرمان من مبدأ المواطنة.

لقد شكلت وثيقة المدينة، أو دستور المدينة بمصطلحاتنا الحالية، ثورة فى علاقة الأفراد بالمجتمع، وما تفرضه تلك العلاقة من التزامات وواجبات، وقيم ومبادئ، فسبقت المدينة غيرها من مناطق العالم ومدنه فى تحقيق دولة مدنية قوية، تضمن حقوق المواطنة، وتنمى شعور الهوية والانتماء لدى أفرادها، وتثير العالم بنظامها المدنى الحديث، ودعوتها الدينية السامية، فكانت بحق أنموذجاً لدولة القيم والأخلاق والدستور والمواطنة.



وإذا كانت تلك الوثيقة تدعو لهذه القيم الرفيعة مع أهل الكتاب من اليهود، فكيف الظن بمن أوصانا الله تعالى بهم فى قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا<sup>ط</sup> وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي<sup>ع</sup> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِي<sup>س</sup>ينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢) .

### المساواة :

وهى التماثل الكامل أمام القانون، والتكافؤ الكامل إزاء الفرص، والتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة، فالكل أمام القانون سواء.

وانطلاقاً من مبدأ الإخاء الإنسانى فقد بنى الإسلام علاقة الإنسان بأخيه على مبدأ المساواة المطلقة أمام القانون حتى يستقر العدل، ويسود الحق، وتمحى كل آثار الظلم والإجحاف، فلا تمييز بين فرد وآخر لأى اعتبار سوى التقوى والعمل الصالح، وحتى هذا الاعتبار لا يعطى لصاحبه حقاً زائداً على غيره، ولكنه فقط يفرض التقدير والاحترام له من المجتمع دون محاباة أو نيل ما ليس له بحق، يقول النبى ﷺ: «ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى فضل ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>.

فالمساواة لا تتحقق بالشعارات دون التطبيق العملى لها، وهذا ما نجده فى الإسلام، فهى تسوية أصلية بحكم الشرع، ومضمونها محدد، وأساليب تطبيقها واضحة، والجزاء عند مخالفتها قائم، وهو جزاء دنيوى وأخروى؛ فقد ورد أن أبا ذر عيّر بلالاً بأمه قائلاً له يا ابن السوداء، فلما سمع النبى ﷺ هذه الكلمة أنكرها أشد الإنكار، وقال: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، وقد ندم أبو ذر على فعلته وأثرت كلمات الرسول ﷺ فى نفسه؛ فألصق خده بالأرض وقال للأسود: قم فطأ على خدي. وقد أورد البيهقى القصة فى شعب الإيمان.

هذه هى المساواة فى الإسلام، وحينما تختلف أوضاع الناس وأحوالهم، وتختلف أزمنتهم وأمكانتهم، ويوجد التنوع فى الأجناس والألوان واللغات والغنى والفقر والعلم والجهل، ويختلف الموقع الاجتماعى والاقتصادى بين الناس، حينذاك تفرض المجتمعات معايير للتفاضل بين الناس إزاء هذا التنوع والاختلاف، لأن المساواة المطلقة لا تكون إلا فى الكيان الإنسانى، والمشكلة تبدأ عند وضع هذا المعيار بحيث لا يخل بمبدأ المساواة فى ذاته، وهذا ما تميز به الإسلام عن كل العهود والمواثيق المتعلقة بحقوق الإنسان؛ حيث جعل معيار التفاضل التقوى، فمعيار التفاضل هنا يستطيع الارتقاء إليه كل البشر، ولا يقسم الناس إلى طبقات يعلو بعضها فوق بعض، وهو معيار

يدفع إلى الرقى والسمو بالإنسان كإنسان، ويجعله أفضل لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه، هكذا يكون الإسلام قد هدم كل المعايير الزائفة التى كانت منتشرة فى المجتمعات البشرية<sup>(٢)</sup>.

### سيادة القانون :

مبدأ سيادة القانون الذى لا يجوز أن تعلق عليه سلطة من سلطات الدولة، ولا يجوز أن يتجاوزه حاكم ولا صاحب نفوذ؛ يُعد ركناً أساسياً لإدارة دولة حديثة، مع تأكيد أهمية الدين باعتباره مصدراً لمنظومة الأخلاق والقيم المجتمعية فى الدولة المدنية الحديثة، وأهمية حمايته من الاستغلال.

لذا فإن صيانة أجهزة الدولة يكمن فى مراجعة تطبيقات سيادة القانون فى جوانب ونشاطات الدولة المختلفة، بما يحقق هدف دولة القانون بإشاعة العدالة العامة والتصدى للفوضى، حيث يعتبر جميع الناس متساوين أمام القانون، مهما اختلفت أديانهم أو صفاتهم أو وظائفهم أو أوضاعهم الاجتماعية، ودون نظر للعرق أو اللون أو غير ذلك.

ويقصد بالقانون هنا القواعد القانونية المطبقة كافة، بصرف النظر عن مصدرها، أى سواء كانت قواعد الدستور أم قواعد القانون أم قواعد اللائحة، فجوهر الخضوع يعنى اعتراف سلطات الدولة كافة وكذلك الأفراد بأن هناك مبادئ وقيماً متجسدة فى تلك القوانين يجب احترامها والامتثال لها فى كل الظروف.

### حقوق الإنسان :

حقوق الإنسان أصبحت اليوم من الموضوعات التى تصدر اهتمامات المجتمع الدولي، ويمكن القول بأن الحق يرتبط بالمجموعات البشرية ومفاهيمها ويتطور بتطورها، ويظل دائماً أمراً اجتماعياً محدداً بجملة من المعايير والقوانين، وهو بذلك ليس مقولة إنسانية مجردة وإنما هو تعبير تاريخى وضرورة ملحة لتنظيم علاقات المجتمع .

والإسلام قد أعطى الإنسان عموماً كإنسان – دون تفرقة بين لون وجنس ودين – مجموعة من الحقوق تحفظ عليه كرامته التى منحها له المولى عز وجل، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وهذه الحقوق كثيرة جداً: سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وحقوق الأسرة، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل، وغيرها.

كما أن الإسلام فى نظره لهذه الحقوق لم يعتبرها مجرد حقوق يجوز للفرد أو الجماعة أن ينتازل عنها أو عن بعضها، وإنما هى ضرورات إنسانية فردية كانت أو جماعية، ولا سبيل إلى حياة الإنسان بدونها حياة تستحق معنى الحياة، ومن ثم فإن الحفاظ عليها ليس مجرد حق للإنسان بل هو

واجب عليه أيضاً، يأثم هو في ذاته – فرداً أو جماعة – إذا هو فرط فيه، فضلاً عن الإثم الذي يلحق كل من يحول بين الإنسان وبين تحقيق هذه الضرورات<sup>(٣)</sup>.

ولقد جاء في المادة ٥٥ فقرة ج من ميثاق الأمم المتحدة: «أن يشيع في العالم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء، ومراعاة تلك الحقوق فعلاً» وأصبحت تلك العبارة (حقوق الإنسان وحرياته الأساسية) عنواناً على مجهودات تالية ظهرت في إعلانات ووثائق الأمم المتحدة، ومن هنا فإن حقوق الإنسان وحريته بما لا يخالف أو يعارض الشريعة الإسلامية لا نزاع حولها؛ حيث إن الإطار العام في احترام كرامة الإنسان قائم عبر التاريخ لدى جملة العقلاء.

وتتجلى قيمة الإنسان في الدين الإسلامي إذ جعل مقاصد بناء الدين خمسة أركان، أربعة أركان منها لحماية حقوق الإنسان، فكان الركن الأول: حفظ النفس البشرية. والركن الثاني: حفظ العقل البشري. والركن الثالث: حفظ الدين. والركن الرابع: حفظ كرامة الإنسان (عرضه). والخامس: حفظ ماله. فكانت الأركان (الأول والثاني والرابع والخامس) لحماية حقوق الإنسان، وجعل هذه الحقوق واجبات يلتزم بضماتها المجتمع المسلم أفراداً وجماعات؛ فالشريعة الإسلامية بأكملها جاءت لحماية حقوق الإنسان، ولمعرفة رب الإنسان والسير في طريقه، فهل هناك نظام تجلت فيه حماية حقوق الإنسان بهذا الشكل.

وفي النهاية نستطيع أن نقول إنه يجب على كل فرد من أفراد المجتمع القيام بدوره، وأن يبدأ كل منا بنفسه وأهله وولده ومن حوله في التصحيح والإصلاح بقدر استطاعته، كما يجب على المصلحين والعلماء، بل على جموع المواطنين، التعاون والتكامل مع جهود الدولة بكافة مؤسساتها وأجهزتها المعنية المستمرة في نشر الوعي والفكر المستنير، ويجب - خاصة على المؤسسات الدينية والتعليمية - نشر الوسطية والاعتدال والقيم المشتركة بين الأديان السماوية، والوقوف ضد التشدد والتطرف والتعصب بحسم وحزم، وعدم ترك الساحة لأصحاب النفوس المريضة التي تتربص بوحدة الوطن وأمنه واستقراره، كما يجب التأكيد على ضرورة توحيد جميع الجهود الهادفة إلى تحقيق المصالح العليا للوطن، ومحاربة الإرهاب فكرياً كان أو قولاً أو عملاً، والوقوف خلف القيادة الحكيمة في قطع دابر الإرهاب ومن يدعمه حتى تستقر البلاد وتأمين، وتتقدم وتزدهر، ويتحقق قدرها ومقدارها العربي والإفريقي والإسلامي والعالمي.

## الهوامش :

- (١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .
- (٢) حقوق الإنسان فى الإسلام، عبد الله عبد المحسن التركي: ص ٤٣، ٤٤ .
- (٣) الإسلام وحقوق الإنسان : ص ١٥ .

## أثر النص التوراتى المزعوم فى صناعة التطرف والإرهاب

الأستاذ الدكتور / بكر زكى إبراهيم عوض

أستاذ مقارنة الأديان بجامعة الأزهر الشريف

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مصر

الأصل والغاية فى النص الإلهى الهداية والعدل وتحقيق السعادة ، وقد نص القرآن الكريم على هذا فى قول الحق سبحانه لأدم عليه السلام : ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: ١٢٣، ١٢٤) .

وقد دلت نصوص الوحي بعد هذا على أن كل رسول قد جاء بما يهدى الناس إلى خير المعاش والمعاد ، وكان الرسل مضرب الالتزام بهذا حتى قال الله لنبيه محمد ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنِهِمْ آقْتَدِهِ ﴾ (الأنعام: ٩٠) .

وقد أبان الحق عن جوهر رسالة موسى عليه السلام سواء فى حوارهِ مع فرعون أم فى حوارهِ مع قومه، ومما قاله لفرعون ما قصه القرآن فى قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّىٰ ﴾ ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ (النازعات: ١٨، ١٩) ، وأما عن حوارهِ مع قومه فقد ورد قول الحق : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

**عِبَادِهِ وَالْعَقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿ (الأعراف: ١٢٨) ، وقد ألقى موسى الوحي الإلهي الموحى إليه شفويًا على أتباعه دون أن يلزمهم بحفظه، أو أن يجعل الحفظ ضربًا من العبادة، أو يرتب أجرًا على التلاوة بحق الأحياء أو الأموات، الأمر الذي جعل تذكر النص التوراتي أمرًا عابرًا أو عارضًا، ولم يثبت عند ذوى العقائد الثلاث أن موسى عليه السلام كان له كاتب وحي، وكل ما تركه مكتوبًا أمران :

**الأمر الأول:** بعض النصوص المختارة مما أوحى إليه به ليدونها على حافة المذبح أو جدران المعبد - كما يزعمون - وإن كان موسى عليه السلام لم يبين مذبحًا ولم يقيم هيكلًا؛ لأن بناء الهيكل أوحى به إلى داود ثم منع منه كما يزعم اليهود ، وكان العهد ببناء الهيكل وإقامة المذبح في زمن سليمان عليه السلام وفترة حكمه، وتقع بعد موسى عليه السلام بقرابة مائتي عام ، فموسى كان في القرن الثالث عشر ق . م وسليمان كان في القرن الحادي عشر ق . م، الفترة من ١٠٥٥ إلى ١٠١٥ قبل الميلاد .

وقد دلت نصوص التوراة المزعومة على أن سليمان عندما جاءه التابوت ليضعه في موضعه من الهيكل لم يكن فيه إلا بقية مما تركه آل موسى وآل هارون، مع فقد الكثير منهما بنص توراتهم كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني : « وَجَاءَ جَمِيعُ شَبُوحِ إِسْرَائِيلَ وَحَمَلَ اللَّوِيُّونَ التَّابُوتَ وَأَصْعَدُوا التَّابُوتَ وَخَيْمَةَ الْجَمْعِ مَعَ جَمِيعِ أَيْتَةِ الْقُدْسِ الَّتِي فِي الْخَيْمَةِ، أَصْعَدَهَا الْكَهَنَةُ وَاللَّوِيُّونَ لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إِلَّا اللَّوْحَانِ اللَّذَانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى فِي حُورِيبَ حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ » (١).

**الأمر الثاني :** بعض الألواح التي تلقاها موسى من ربه فترة المناجاة ، أخذًا من قوله تعالى :  
**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ** ﴿ (الأعراف: ١٤٥) ، وهي البقية التي قال عنها

القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِمْ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ (البقرة: ٢٤٨) .

### أثر السبى المتتابع والاضطهاد المستمر فى الحلم بمملكة داود وسليمان :

إن يكن عهد داود وسليمان عليهما السلام ( ١٠٩٥ — ١٠١٥ ق . م ) هو عهد الازدهار فى حياة بنى إسرائيل، وهى الفترة الزمنية الوحيدة ( ثمانون عاماً ) التى كان لهم فيها حكم نافذ وسلطان قائم فى أورشليم ، فإنه بوفاة سليمان عليه السلام قد انقسمت المملكة فى عهد خلفه " رحبعام " إلى مملكتين :

**إحداهما :** السامرة فى الشمال، ولم تبق لأكثر من مائتى وخمسين عاماً؛ حيث قضى عليها تماماً وعلى من فيها، إلا من هاجر منهم .

**ثانيتها :** يهوذا فى الجنوب، وقد بقيت تغالب السبى والدمار والخراب حتى كان الإخراج النهائى منها على يد سيفيروس سنة ١٣٥م.

وفى فترة السبى البابلى - القرن السادس قبل الميلاد - كتب اليهود المقيمون فى بابل نصوصاً دينية زعموها التوراة الموحى بها، ودعيت بالتوراة البابلية، فى مقابل ما كتبه يهود السامرة من نصوص دينية زعموها بالتوراة السامرية، وأصبح لليهود توراتان إحداها بابلية والثانية سامرية، وبينهما خلاف فى الكم والكيف والصحة والبطلان، إلا أن الملاحظ أن كتبة التوراة البابلية قد ضمنوها تاريخ البشرية جمعاء، بما فيها بدء الخلق وتباعاً بقصة آدم والمرسلين من بعده، باستثناء أنبياء العرب ( هود - صالح ) ثم إبراهيم فأبناؤه، وتتابع التاريخ الخاص بهم من عصور قهر فى مصر إلى تيه فى سيناء، إلى دخول للأردن، إلى هزيمة الفلسطينيين فى معركة داود وجالوت، ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۗ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۗ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۗ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۗ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا

الْيَوْمَ بَجَالُوتَ وَجُنُودِهِ<sup>٤</sup> قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ<sup>٥</sup> وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

(البقرة: ٢٤٧- ٢٥١)، إلى السبي البابلي، إلى العودة زمن كورش، إلى الخروج الثاني على يد تيطس ثم العودة، ثم الخروج الأخير على يد يوليوس سيفيروس سنة ١٣٥ م .

لقد خضعت أرض فلسطين للاستعمار الروماني بدءاً من عام ٦٣ ق . م وبعد ميلاد المسيح عليه السلام ، والذي ولد في فترة الاستعمار الروماني لفلسطين، وقد تولى الحكم تيطس سنة ٧٠م، وفي عهد هذا القائد الروماني تم تدمير اورشليم وهيكلها، وذبح اليهود فيها وأسر من أسر منهم، وذاق اليهود على يد تيطس الذل والهوان .

وفي عهد الإمبراطور تراجان ( ١٠٦ م ) عاد بعض اليهود إلى القدس وأخذوا في الإعداد لأعمال الشغب من جديد ، فلما تولى أدريانوس عرش الرومان ( ١١٧ م - ١٣٨ م ) حول المدينة إلى مستعمرة رومانية، وحظر على اليهود الاختتان وقراءة التوراة واحترام السبت، وثار اليهود بقيادة باركوخيا سنة ١٣٥م، فأرسلت روما والياً حازماً هو يوليوس سيفيروس فاحتل المدينة وقهر اليهود وقتل باركوخيا، وذبح من اليهود في هذه الموقعة خمسمائة وثمانون ألف نسمة، وتشتت الأحياء من اليهود على ظهر المعمورة ، ولكي ينسى اليهود اورشليم قام أدريانوس بتدميرها وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسماها " إيلياء " (٢).

وقد ترتب على هذا أن دونّ اليهود في توراتهم المزعومة نصوصاً تتعلق بالأرض الموعود بها ، ورسمت النصوص السبيل للاستيلاء عليها، وأباححت النصوص دم وعرض ومال المخالف، فضلاً عن هدم الديار وحرق الزروع .... إلخ .

والعجيب كل العجب أنهم يرون هذا شريعة إلهية لا بد من تطبيقها حتى لا يستوجبوا اللعنة حال المخالفة، وهو ما يشكل خطراً على الوجود الفلسطيني أولاً، والحدود المصرية والسورية واللبنانية ثانياً ، ويقلق مضجع الأمن والسلم العالميين .

وفي هذه العجالة أشير إلى أمرين هما مصدر التطرف والإرهاب في المنطقة العربية،



ومصدرهما معتقد اليهود بحق :

١- الأرض الموعود بها اليهود فى التوراة .

٢- السبيل للاستيلاء على هذه الأرض .

**السبيل الأول الأرض الموعود بها:**

فبالنسبة للسبيل الأول وهو الأرض الموعود بها أقول : جاء إبراهيم عليه السلام من شمال العراق إلى أرض فلسطين مهاجراً، فأقام بها خير مقام، وأحسن أهلها إليه خير إحسان، وكانت قبائل عدة تقيم بهذه الأرض نصت عليها التوراة، منها: الكنعانيون أجداد الفلسطينيين، وهم " الصيدينيون والحثيون واليبوسيون والأموريون والجرجاشيون والحويون والعرقانيون والسينيون " وهى القبائل التى نزل إبراهيم بينها، كما يذكر العهد القديم (٣).

وتزوج إبراهيم عليه السلام من سارة، وكان تاجراً يجوب البلاد المجاورة ثم يعود ثانية إلى محل إقامته " مدينة الخليل "، وقد أهدته سارة زوجه " هاجر " جاريتها ليتسرى بها، فكان منها إسماعيل بكره ، وعندما حملت سارة وأنجبت إسحاق طلبت من إبراهيم أن لا يستبقى ابن الجارية مع ابنها، وطابقت رغبتها القدر فكانت الهجرة به وأمه إلى مكة .

وتزوج إبراهيم من السيدة قطورة فأنجب منها ستة ذكور، كما يذكر العهد القديم (٤)، كما تزوج الحجون فأنجب منها أربعة من الولد، كما ذكر ذلك ابن جرير الطبرى ، وبهذا يصبح عدد أبناء إبراهيم اثنى عشر ولداً.

**الأرض التى وعد بها إبراهيم عليه السلام والعنصرية فى ميراثها :**

يزعم اليهود أن الله تعالى قد وعد إبراهيم عليه السلام ببقعة خالصة من الأرض له ولنسله من بعده ، وبظاهر النص يكون أبناء إبراهيم الاثنى عشر شركاء فى هذه البقعة من الأرض على فرض صحة النص .

إلا أن اليهود حرصوا على أن لا يجعلوا لأبنائه الأحد عشر شيئاً من هذه الأرض بدعوى أن ابن هاجر ابن جارية ولا يرث مع ابن الحرة " سارة "، وأبناء قطورة أبناء سريّة فلا يرثون ، وأبناء الحجون أعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم ، ثم زعموا تكرار الوعد لإسحاق ومن بعده يعقوب فموسى - عليهم جميعاً السلام - ونذكر من هذ النصوص ما يلى :

**أولاً : الوعد لإبراهيم عليه السلام :**

« ١ ولَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ سِرٌّ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً ٢ فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَأَكْثَرَكَ كَثِيراً جِداً ٣ فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ . وَتَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَهُ قَائِلاً أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ ، وَتَكُونُ أَبَا لِحُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَّمِ ٥ فَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ

أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ ، لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبَا لِجْمُهورٍ مِنَ الأُمَّمِ. ٦. وَأُؤَمِّرُكَ كَثِيرًا جِدًّا ، وَأَجْعَلُكَ أُمَّامًا ، وَمَلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. ٧. وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨. وَأَعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غَرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مَلَكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلَهُهُمْ « (٥).

وقد تم النص على هذه الأرض في بعض النصوص، بينما صرحت نصوص أخرى بأن كل أرض تطؤها قدم بنى إسرائيل تكون ملكاً لهم .

ومما وردت النصوص بتحديدده : « فِي ذَلِكَ اليَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصرَ إِلَى النِّهْرِ الكَبِيرِ، نَهْرَ الفُرَاتِ « (٦)، « ١٤ وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَأَنْظِرْ مِنَ المَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا ١٥ لِأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ « (٧).

#### ثانياً : تجديد الوعد لإسحاق عليه السلام :

وذلك حتى يخرج بنو إبراهيم جميعاً من المشاركة في ملكية هذه الأرض سوى إسحاق ، وقد ورد في سفر التكوين : « .... فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَارَ. ٢. وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ لَا تَنْزِلْ إِلَى مِصرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. ٣. تَغْرَبْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأَبَارِكَكَ، لِأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هَذِهِ البِلَادِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ « (٨).

#### ثالثاً: تجديد الوعد ليعقوب عليه السلام :

حتى يخرج جميع بنى إسحاق سوى يعقوب ، وقد زعم اليهود أن الله خاطبه قائلاً : « ٣ وَاللَّهُ القَدِيرُ يَبَارِكُكَ وَيَجْعَلُكَ مَثْمِرًا، وَيَكثِّرُكَ فَتَكُونُ جَمُهورًا مِنَ الشُّعُوبِ ٤ وَيُعْطِيكَ بَرَكةَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ لَنَثَرْتِ أَرْضَ غَرْبَتِكَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ « (٩).

#### رابعاً: تجديد الوعد لموسى عليه السلام :

وقد ورد في التوراة المزعومة : « ١ وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ إِلَى جَبَلِ نَبُو، إِلَى رَأْسِ الفِصْجَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ مِنْ جِلْعَادَ إِلَى دَانَ ٢ وَجَمِيعَ نَفْتَالِي وَأَرْضِ أَفْرَايِمَ وَمَنْسَى وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُودَا إِلَى البَحْرِ الغَرْبِيِّ ٣ وَالجَنُوبَ وَالدَّائِرَةَ بَقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةَ النِّخْلِ إِلَى صُوغْرَةَ ٤ وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ هَذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بَعَيْنَيْكَ، وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لَا تَعْبُرُ « (١٠).

## توسيع مساحة الأرض الموعود بها زمن موسى عليه السلام :

إذا كانت النصوص السابقة قد حددت بقعة من الأرض فإن نصوصاً قد وردت منسوبة إلى موسى عليه السلام تعطى بنى إسرائيل حق التملك لكل أرض تطؤها أقدامهم ، ومما ورد: « ٢٤ كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بَطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلِبْنَانَ. مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ يَكُونُ تُخْمُكُمْ ٢٥ لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكُمْ. الرَّبُّ إِلَهُكُمْ يَجْعَلُ خَشْيَتَكُمْ وَرُعْبَكُمْ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ الَّتِي تَدُوسُونَهَا كَمَا كَلَّمَكُمْ » (١١)، وتنص التوراة على أن موسى عليه السلام قد طلب من قومه أن يستجمعوا قوتهم ويدخلوا هذه الأرض التي وعدوا بدخولها، كما ورد منسوبة إليه: « ٦ الرَّبُّ إِلَهُنَا كَلَّمَنَا فِي حُورَيْبٍ قَائِلًا: كَفَاكُمْ قُعودٌ فِي هَذَا الْجَبَلِ ٧ تَحَوَّلُوا وَارْتَحِلُوا وَادْخُلُوا جَبَلِ الْأُمُورِيِّينَ وَكُلَّ مَا يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبَةِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَلِبْنَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ ٨ أَنْظِرْ قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمْ الْأَرْضَ ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ » (١٢)، وكذلك ما ورد في سفر التثنية أيضاً بالإصحاح العاشر: « ١١ ثُمَّ قَالَ لِي الرَّبُّ: فَمِ اذْهَبْ لِلارْتِحَالِ أَمَامَ الشَّعْبِ، فَيَدْخُلُوا وَيَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي حَفَّتْ لِآبَائِ

ومع كثرة هذه الوعود فإن شيئاً منها لم يتحقق على وجه الإطلاق، فلا إبراهيم ملك الأرض ولا إسحاق ولا يعقوب ، وهارون وموسى ماتا في أرض سيناء زمن التيه ولم يدخلوا هذه الأرض . وإن سلمنا جدلاً بصحة هذه الوعود فإنها قاصرة على نسل إسحاق عليه السلام، والذي أبيض كثير منه في المملكة الشمالية زمن رحبعام ، وبقي منه في الجنوب بقية مزقت شر ممزق فيما بعد. ولم يرد نص يصرح بأن هذه الأرض لليهود كل اليهود ولا للصهاينة كل الصهاينة ، وإنما لنسل يعقوب وحده، فأين هذا النسل الآن؟! .

ولو أخذنا بظواهر النصوص فقد صرحت التوراة المزعومة أن بنى إسرائيل قد سلبوا ونهبوا وسرقوا المصريين ليلة خروجهم من أرض مصر ، فهل لهم أن يردوا هذه الحقوق إلى أصحابها . ولو أن كل من أقام بأرض ما سنين عددا لا تتجاوز قرناً من الزمان قد طالب بها وزعم أحقيته فيها فإن جنوب أوربا يعد حقاً للمسلمين الذين مكثوا فيها ثمانية قرون، فضلاً عن كثير من الديار التي خرج منها المسلمون كرهاً بعد سنين عددا ، كما أن من حق أحفاد الهنود الحمر أن يطالبوا بالعودة إلى أمريكا بعد أن نال أجدادهم ما نالهم على يد المهاجرين الأوروبيين ، وهل للأوروبيين أن ينادوا بالعودة إلى بلاد الشام بعد أن مكثوا في الشرق مائتي عام .

## السبيل الثاني الاستيلاء على هذه الأرض :

رسمت التوراة المزعومة السبيل لامتلاك هذه الأرض كنقطة بدء غير محددة النهاية بالنسبة لهؤلاء ، ومن مبادئ التوراة المزعومة ما يلي :

### ١- الطرد والقتل والإبادة:

ورد في سفر العدد: «٥٠ وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً ٥١ كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان ٥٢ فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاورهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم ٥٣ تملكون الأرض وتسنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها ٥٤ وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم الكثير تكثرون له نصيبه والقليل تقللون له نصيبه حيث خرجت له القرعة فهناك يكون له حسب أسباط آبائكم تقتسمون ٥٥ وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها ٥٦ فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم» (١٣).

وقد أفاض كاتبو التوراة المزعومة في الحديث عن حروب موسى مع الآخرين وبخاصة المديانيين انتقاماً لبني إسرائيل، وقد أديرت المعركة عن طريق الوحي، وانتهى الأمر بأن سبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة وكل الذهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى والعازار الكاهن (١٤).

ويدعى اليهود أن الله معهم في معاركهم وسيحقق لهم وعده (١٥)، ولهذا كانت استشارة الله تتم قبل كل معركة على يد الكهنة (١٦)، وكل الحروب التي تنسب إلى موسى كانت لاستبعاد الغير من الأرض التي ينزل بها (١٧).

إن إبادة الفلسطينيين منصوص عليها في التوراة المزعومة، ومما ورد: «١ متى أتى بك الرب الهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين - كلهم من نسل كنعان حفيد نوح - سبع شعوب أكثر وأعظم منك ٢ ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فإنك تحرّمهم لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ٣ ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك ٤ لأنه يرد ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى فيحمر غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً ٥ ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار ٦ لأنك أنت شعب

مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِنَكُونُ لَهُ شَعْبًا أَحْصَى مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ « (١٨).

والتحريم معناه القتل والإفناء التام ، وليس فى ذلك ما يعترض به على الدين الإلهى - فى زعمهم - فإن الله قد أراد أن يهلك أولئك الأمم بواسطة بنى إسرائيل كما يقتل من يشاء بالمرض أو بغيره (١٩).

## ٢- التعامل مع المدن المخالفة :

نصت التوراة المزعومة على أن ساكنى هذه البقعة من الأرض والمحددة لليهود إما أن يسلم أهلها أنفسهم صلحاً بلا قتال وإما أن يقاتلوا ، وقد بينت التوراة المزعومة آداب التعامل مع هاتين الحالتين :

### أ - حكم المدن التى تسلم نفسها لليهود :

نصت التوراة المزعومة على أن الحاكم مخير فى أمرها بين القتل والسلب والنهب والاسترقاق والتحريم ، يوضح هذا النصوص الآتية :

« ١٠ حين تقرب من مدينة لى تحاربها استدعها إلى الصلح ١١ فإن أجبتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك » (٢٠).

- قتل الرجال وحرق المدن والحقول، واسترقاق النساء والأطفال، وأخذ الأموال غنائم كما ورد: « ٧ فتجندوا على مدين كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر ٨ وملوك مدين قتلوهم فوق قتلاهم أوى وراقم وصور وحور ورابع خمسة ملوك مدين وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف ٩ وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ١٠ وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ١١ وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم » (٢١).

- التمثيل عند القتل كما ورد فى سفر صموئيل الثانى: « وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وقوس حديد وأمرهم فى أتون الأجر، وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون .... » (٢٢).

- جواز شق بطون الحوامل عند القتال كما ورد: « ١٢ فقال حزائيل لماذا يبكى سيدى فقال لأنى علمت ما ستفعله ببنى إسرائيل من الشر فإنك تطلق النار فى حصونهم وتقتل شبانهم بالسيف وتحطم أطفالهم وتشق حواملهم » (٢٣).

- التمييز بين الشجر المثمر وغير المثمر، وقد ورد فى النص: « ١٩ إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها لتأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه إنك منه تأكل فلا

تَقَطَّعَهُ لِأَنَّهُ هَلْ شَجَرَةُ الْحَقْلِ إِنْسَانٌ حَتَّى يَذْهَبَ قَدَامَكَ فِي الْحِصَارِ؟ ٢٠ وَأَمَّا الشَّجَرُ الَّذِي تَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ شَجَرًا يُؤْكَلُ مِنْهُ، فَإِيَّاهُ تَتَلَفُ وَتَقْطَعُ وَتَبْنِي حِصْنَآ عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي تَعْمَلُ مَعَكَ حَرْبًا حَتَّى تَسْقُطَ « (٢٤).

#### ب - حكم المدن التي لا تستسلم لليهود :

- وردت أحكام هي مضرب المثل في الغرابة والتي لا تنتج إلا العنف المضاد ، فقد أباحت التوراة المزعومة إبادة كل حي، وقطع كل أخضر، وحرق كل يابس، من أجل الحرب فقط ، وكان ذلك مفروضاً عليهم إن لم يفعلوه عوقبوا بمثله، وذلك بشأن المدن التي لا تسلم نفسها، ومن هذه النصوص ما ورد في سفر التثنية الإصحاح ١٢ / ١ : ٢٧ مفصلاً ، كما ذكرت التوراة المزعومة أن الرب أمر يشوع بحرب مدينة عاي ورسم له خطة الحرب وكيفية إعداده لكمين قوى ، وقد استجاب يشوع لهذه التعاليم حتى يسرت لهم أسباب الاستيلاء على مدينة عاي: « ٢٣ وَأَمَّا مَلِكُ عَايَ فَأَمْسَكُوهُ حَيًّا وَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى يَشُوعَ ٢٤ وَكَانَ لَمَّا أَنْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايَ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايَ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ ٢٥ فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَايَ ٢٦ وَيَشُوعُ لَمْ يَرِدْ يَدُهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِزْرَاقِ حَتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايَ ٢٧ لَكِنَّ الْبَهَائِمَ وَغَنِيمَةَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لِأَنفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ ٢٨ وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلًّا أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ٢٩ وَمَلِكُ عَايَ عُلِقَ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ ..... « (٢٥).

- الاستيلاء على الأرض وتقسيمها، مع طرد السكان دون قتلهم أو أسرهم ، وقد ورد في سفر العدد: « ٥٠ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أَرْضِ أَرِيحَا قَائِلًا ٥١ كَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الْأَرْضَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ ٥٢ فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَسْنَامِهِمُ الْمَسْبُوكَةَ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ ٥٣ تَمْلِكُونَ الْأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لِأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ الْأَرْضَ لَكِي تَمْلِكُوهَا ٥٤ وَتَقْتَسِمُونَ الْأَرْضَ بِالْقُرْعَةِ حَسَبَ عَشَائِرِكُمْ الْكَثِيرُ تَكْتَرُونَ لَهُ نَصِيبُهُ وَالْقَلِيلُ تُقَلِّلُونَ لَهُ نَصِيبَهُ حَيْثُ خَرَجَتْ لَهُ الْقُرْعَةُ فَهَنَّاكَ يَكُونُ لَهُ حَسَبَ أَسْبَاطِ آبَائِكُمْ تَقْتَسِمُونَ ٥٥ وَإِنْ لَمْ تَطْرُدُوا سُكَّانَ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ يَكُونُ الَّذِينَ تَسْتَبِقُونَ مِنْهُمْ أَشْوَاكًا فِي أَعْيُنِكُمْ وَمَنَاخِسَ فِي جَوَانِبِكُمْ

وَيُضَايِقُونَكُمْ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِيهَا ٥٦ فَيَكُونُ أَنَّى أَفْعَلُ بِكُمْ كَمَا هَمَمْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِهِمْ « (٢٦).

### ج - حكم الأسرى فى اليهودية :

تعطى الشريعة اليهودية الحاكم اليهودى الحق فى أن يتصرف فى الأسرى وحسب المصلحة اليهودية ، وفق المعايير الآتية :

#### ١- قتل جميع الأسرى بلا استثناء، والدليل على ذلك :

- ما ورد فى سفر العدد: « ١٣ فَخَرَجَ مُوسَى وَالْعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لِاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ ١٤ فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وَكَلَاءِ الْجَيْشِ رُؤَسَاءِ الْأَلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِائَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ ١٥ وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أَنْثَى حَيَّةً ؟ ١٦ إِنْ هُوَ لَأَنْ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كَلَامِ بَلْعَامَ سَبَبَ خِيَانَةَ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَعُورَ فَكَانَ الْوَبَاءُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ ١٧ فَالآنَ أَقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفْتَ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرَ أَقْتُلُوهَا « (٢٧).

- وكذلك ما ورد: « ١١ وَأَمَّا أَمْصِيًا فَتَشَدَّدَ وَأَقْتَادَ شَعْبَهُ وَذَهَبَ إِلَى وَادِي الْمِلْحِ، وَضَرَبَ مِنْ بَنِي سَعِيرَ عَشْرَةَ آلَافٍ ١٢ وَعَشْرَةَ آلَافٍ أَحْيَاءَ سَبَاهُمْ بَنُو يَهُوذَا وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَأْسِ سَالِعَ وَطَرَحُوهُمْ عَنْ رَأْسِ سَالِعَ فَتَكَسَّرُوا أَجْمَعُونَ « (٢٨).

- وفى سفر التثنية ورد: « ١٦ وَأَمَّا مَدُنُ هُوَلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا ١٧ بَلْ تُحْرِمُهَا تَحْرِيمًا الْحَيْثِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِيِّينَ وَالْحَوِثِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ « (٢٩).

وأما كيفية التنفيذ فهى فى غاية البشاعة ، وقد ورد فى صموئيل الثانى: « ٢٩ فَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ الشَّعْبِ وَذَهَبَ إِلَى رَبَّةَ وَحَارَبَهَا وَأَخَذَهَا ٣٠ وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، وَوَزَنَهُ وَوَزَنَتْهُ مِنَ الذَّهَبِ مَعَ حَجَرِ كَرِيمٍ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ وَأَخْرَجَ غَنِيمَةَ الْمَدِينَةِ كَثِيرَةً جِدًّا ٣١ وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَقُفُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَهُمْ فِي أُتُونِ الْأَجْرِ، وَهَكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مَدُنِ بَنِي عَمُونَ ..... « (٣٠).

#### ٢- جواز التمثيل بالقتلى :

ففى حرب يشوع فى إحدى معاركه أمر أتباعه بالاشتداد فى القتال حتى إذا أدرك خمسة من القواد المعتمدين قتلوهم، وقد ورد النص: « ٢٦ وَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَتَّلَهُمْ وَعَلَقَهُمْ عَلَى خَمْسِ خَشَبٍ، وَبَقُوا مُعَلَّقِينَ عَلَى الْخَشَبِ حَتَّى الْمَسَاءِ ٢٧ وَكَانَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَنْ يَشُوعُ أَمَرَ فَنَزَلُوهُمْ عَنِ الْخَشَبِ وَطَرَحُوهُمْ فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي اخْتَبَأُوا فِيهَا ..... « (٣١).

وقد فعل يشوع ذلك بملك عاي كما ورد: « ٢٩ وَمَلِكُ عَايَ عَلَفَهُ عَلَى الْخَشْبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَشُوعُ فَأَنْزَلُوا جَثَّتَهُ عَنِ الْخَشْبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ ..... » (٣٢).

### ٣- قتل الذكور البالغين دون النساء والأطفال :

ورد في سفر العدد: « ٧ فَتَجَنَّدُوا عَلَى مَدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ ٨ وَمُلُوكُ مَدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلَاهُمْ أَوَى وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابِعَ خَمْسَةَ مَلُوكٍ مَدْيَانَ وَبَلْعَامَ بَنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ ٩ وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مَدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ ..... » (٣٣).

### ٤- استرقاق الجميع :

وذلك في حالات المدن التي تسلم نفسها لليهود بلا قتال، وقد ورد: « ١١ ..... فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ » (٣٤)، ومثل ذلك جائز في حالات التمرد كما فعل يشوع بأهل جبعون حين خدعوه واكتشف حالة الخداع: « ٢٣ فَالآنَ مَلْعُونُونَ أَنْتُمْ فَلَا يَنْقَطِعُ مِنْكُمْ الْعَبِيدُ وَمُحْتَطَبُو الْحَطَبِ وَمُسْتَقُو الْمَاءِ لِبَيْتِ إِلَهِي ٢٤ فَأَجَابُوا يَشُوعَ وَقَالُوا أَخْبِرْ عَيْدِكَ إِخْبَارًا بِمَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ إِلَهُكَ مُوسَى عَبْدُهُ أَنْ يُعْطِيَكُمْ كُلَّ الْأَرْضِ وَيُبِيدَ جَمِيعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ فَخِفْنَا جِدًّا عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْ قَيْلِكُمْ، فَفَعَلْنَا هَذَا الْأَمْرَ ٢٥ وَالآنَ فَهَذَا نَحْنُ بِيَدِكَ، فَافْعَلْ بِنَا مَا هُوَ صَالِحٌ وَحَقٌّ فِي عَيْنَيْكَ أَنْ تَعْمَلَ ٢٦ فَفَعَلَ بِهِمْ هَكَذَا وَأَنْقَذَهُمْ مِنْ يَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ ٢٧ وَجَعَلَهُمْ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُحْتَطَبِي حَطَبٍ وَمُسْتَقِي مَاءٍ لِلْجَمَاعَةِ وَلِمَذْبَحِ الرَّبِّ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ » (٣٥).

### ٥- الفداء على مال يدفع كجزية ثابتة لا تنقطع :

فعندما استولى إسرائيل على كنعان وعزم أهلها على الإقامة فيها قبل إسرائيل إقامتهم مقابل دفع الجزية، وقد ورد النص في سفر القضاة: « ٢٨ وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ أَنَّهُ وَضَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجَزِيَّةِ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ طَرْدًا ٢٩ وَأَفْرَايِمُ لَمْ يَطْرُدِ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي جَازَرَ، فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسْطِهِ فِي جَازَرَ ٣٠ زَبُولُونُ لَمْ يَطْرُدْ سُكَّانَ قِطْرُونَ، وَلَا سُكَّانَ نَهْلُولَ، فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسْطِهِ وَكَانُوا تَحْتَ الْجَزِيَّةِ ٣١ وَلَمْ يَطْرُدْ أَشِيرُ سُكَّانَ عَكُو، وَلَا سُكَّانَ صَايْدُونَ وَأَحْلَبَ وَأَكْزَيْبَ وَحَلْبَةَ وَأَفِيْقَ وَرَحُوبَ ٣٢ فَسَكَنَ الْأَشِيرِيُّونَ فِي وَسْطِ الْكَنْعَانِيِّينَ سُكَّانَ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطْرُدُوهُمْ ٣٣ وَتَفْتَالِي لَمْ يَطْرُدْ سُكَّانَ بَيْتِ شَمْسَ، وَلَا سُكَّانَ بَيْتِ عَنَاةَ، بَلْ سَكَنَ فِي وَسْطِ الْكَنْعَانِيِّينَ سُكَّانَ الْأَرْضِ فَكَانَ سُكَّانُ بَيْتِ شَمْسَ وَبَيْتِ عَنَاةَ تَحْتَ الْجَزِيَّةِ لَهُمْ » (٣٦).



ويلاحظ أن تحرير الأرقاء فى اليهودية لم يرد به نص إلا إذا كان الرقيق يهودياً من طريق سبل معينة أذنت بها الشريعة اليهودية ، فيعتق اليهودى بعد ست سنوات، ويحرر فى السابعة بموجب نصوص الشريعة الضابطة للعلاقات اليهودية اليهودية .

وأما علاقة اليهود بغيرهم فهى قائمة على العنصرية ، وقد ذكر فى محكم التنزيل، قوله تعالى :  
 ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ ( الجمعة:٦، ٧) .

كما أنهم يستحلون مال المخالف قائلين فيما قصه القرآن الكريم : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: ٧٥)، فضلاً عن استحلالهم للتعامل بالربا مع غيرهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُبُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ (النساء: ١٦١) .

وحرصهم على فتننة المسلمين إلى غاية لن تتحقق، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّوكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ (البقرة: ٢١٧)، وحكم الله وأبان عما فى صدورهم، قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (المائدة: ٨٢) .

وأوجب الإسلام الوحدة على المسلمين، فقال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وحذرنا من الفرقة حتى لا يطمع عدونا فينا، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال: ٤٦)، وأوجب علينا الإعداد والاستعداد، فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وأخبرنا أن الألم متبادل حال القتال، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِّنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٤) .

لا بد من مواجهة نص التوراة المزعومة بنص القرآن الكريم ، ونص التلمود المفترى بنص السنة المطهرة ، ومواجهة السلاح الجوى بما هو أقوى منه، وقد أثبت التاريخ أن اليهود

لا يحترمون وعدًا ولا يوفون بعهده ولا يرقبون في غيرهم إلا ولا ذمة ، ولم يحترموا أى قرار صدر عن الأمم المتحدة أو مجلس الأمن ، وما سلّموا واستسلموا إلا تحت وطأة السيف فى السادس من أكتوبر لعام ١٩٧٣ م ، ويرحم الله القاتل :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعًا

وإن تلقه بالشر ينحسم

وقول آخر :

لا تطلبوا بالضعف حقًا ضائعًا

ما للضعيف الحول من أشباع

وقول ثالث :

وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا

وما استعصى على قوم منال

إذا الإقدام كان لهم ركابًا

فهل من وحدة فلسطينية صادقة ضمن وحدة عربية جامعة ضمن وحدة إسلامية واسعة ضمن وحدة أخلاقية مانعة من اتباع سياسة شريعة الغاب " البقاء للأقوى " ليكون الشعار " البقاء للأصلح " . والله من وراء القصد.

## الهوامش:

- (١) أخبار الأيام الثاني - إصحاح ٥ من ٤ : ١٠ .
- (٢) مقدمة ابن خلدون، طبعة الشعب ص ٢٠٥ - ٢٠٧، الأسفار المقدسة، على عبد الواحد وافى ص ٦-٩ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ٢٣-٢٦ .
- (٣) أخبار الأيام الأول ، الإصحاح ١ / ١٣ : ١٤ .
- (٤) أخبار الأيام الأول الإصحاح الأول / ٣٢ .
- (٥) سفر التكوين ، الإصحاح ١٧ .
- (٦) سفر التكوين ، الإصحاح ١٥ / ١٨ .
- (٧) سفر التكوين ، الإصحاح ١٣ .
- (٨) سفر التكوين ، الإصحاح ٢٦ .
- (٩) سفر التكوين، الإصحاح ٢٨ .
- (١٠) سفر التثنية ، إصحاح ٣٤ .
- (١١) سفر التثنية ، إصحاح ١١ .
- (١٢) سفر التثنية ، الإصحاح الأول .
- (١٣) الإصحاح ٣٣ .
- (١٤) سفر العدد ، الإصحاح ١٧ / ١٣ ، والإصحاح ١٧ / ٢٥ ، والإصحاح ٣١ من ١ : ٢٩ .
- (١٥) سفر التثنية ١٠ / ٦ ، والتكوين ١٩ / ٣ : ١٢ .
- (١٦) سفر القضاة ٢٠ / ٢٦ : ٢٨ ، وسفر صموئيل ٢ / ٢٣ .
- (١٧) سفر التثنية ٢ / ٥ ، ١٢ / ٢٩ ، ٣٢ / ٤ ، ٢١ / ١٠ .
- (١٨) سفر التثنية ، الإصحاح ٧ .
- (١٩) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٣٨٩ / ٢ .
- (٢٠) سفر التثنية ، الإصحاح ٢٠ .
- (٢١) سفر العدد ، الإصحاح ٣١ .
- (٢٢) الإصحاح ١٢ / ٣١ ، ويمكن مراجعة حروب يشوع مع مدينة عاي ومقيدية ولبنة ولخشية وجازر وعجلون وجدعون من سفر يشوع ١٠ / ٢٨ : ٤٢ ، والقضاة ١ / ٦ : ٤ ، والإصحاح ٨ / ١٠ : ٢١ .
- (٢٣) سفر الملوك الثاني ، الإصحاح ٨ / ١٢ .
- (٢٤) سفر التثنية ، الإصحاح ٢٠ .
- (٢٥) سفر يشوع ، الإصحاح ٨ ، وراجع أيضاً الإصحاح العاشر من ١٦ إلى ٤٣ ، والإصحاح الثاني عشر من ١ : ٢٤ .
- (٢٦) الإصحاح ٣٣ .
- (٢٧) الإصحاح ٣١ ، وراجع أيضاً سفر التثنية، الإصحاح ٤ / ٢٠ وصموئيل الأول ٣ / ١٥ .

- (٢٨) سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح ٢٥ .
- (٢٩) الإصحاح ٢٠ .
- (٣٠) الإصحاح ١٢ .
- (٣١) سفر يشوع ، الإصحاح ١٠ .
- (٣٢) سفر يشوع ، الإصحاح ٨ .
- (٣٣) الإصحاح ٣١ .
- (٣٤) سفر التثنية ، الإصحاح ٢٠ .
- (٣٥) سفر يوشع ، الإصحاح ٩ .
- (٣٦) الإصحاح ١ .

## ظاهرة الإرهاب والعوامل المؤدية لها

الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

مصر

منذ العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين رُوِّع المجتمع بظاهرة الإرهاب بعد أن كان قد شهد فترة من السكون فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. ففى عقد السبعينيات وفى منتصفه نشطت عمليات خطف الطائرات، وفى عقد الثمانينيات نشط الإرهاب وشهدنا موجات عارمة منه وفى عقد التسعينيات نشط الإرهاب نشاطاً بالغاً خاصة على أرض مصر الحبيبة، وأرض الجزائر بلد المليون شهيد، وفى مناطق أخرى متفرقة فى أوروبا وأمريكا والشرق الأوسط على وجه الخصوص<sup>(١)</sup>، كما شهد القرن الحادى والعشرون توسعاً بالغاً فى ظاهرة الإرهاب الذى اتخذ مساراً جديداً بعد أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م.

والواقع أن الإرهاب بأى وضع هو جريمة دولية مهما كان المكان الذى ارتكب فيه، وهذه الصفة أسبغت عليه منذ الثلاثينيات حيث اتفقت الدول على ذلك فى اتفاقية شهيرة خصصت لتعريفه، ولتضع أسس التعاون الدولى للقضاء عليه، ويغنيا ذلك عن حديث ربما يطول عن بشاعته، وتهديده للنظام والأمن على كافة المستويات، لذا سيقف اهتمامنا عند دراسة الجوانب القانونية للظاهرة، وبمعنى آخر، أركان الجريمة، ولما كان رجال القانون يعالجون القصد الجنائى، والبواعث على ارتكاب الجريمة والعقوبة المقررة لها، فإننا سنتطرق إلى هذه العناصر والأركان الأساسية اللازمة للحكم على الظاهرة، فههدف القانون الجنائى الدولى من تقرير العقوبات ليس فقط زجر الجانى وتقويمه، بل ردع غيره ومنعه من الاقتراب من حافة الجريمة، فضلاً عن الأهداف الاجتماعية

للعقوبة والتي تتمثل في علاج المجتمع من الأمراض وتخليصه من المشاكل التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة. لذا لم يعد كافيًا دراسة الجريمة وأركانها، وإنما صار من الضروري دراسة الأسباب ووضع طرق العلاج.

وقد شهد العالم العديد من حالات الإرهاب، إلا إنه يجب ألا نغفل أن مصر الكنانة قد شهدت ألوانًا منه ربما لم تشهدها في تاريخها الطويل، الأمر الذي يقتضى بذل كافة الجهود الممكنة وفي كل الاتجاهات لمحاولة تشخيص هذه الظاهرة الشاذة ومعرفة أسبابها، ووضع الحلول الكفيلة بالقضاء عليها بعد ذلك.

إن تناول العلمى المجرد لأى ظاهرة هو الطريق الصحيح لسبر أغوارها والتعامل معها؛ لذا كان لزامًا علينا أن نقدم هذه الورقة لعلها تسهم فى الكفاح ضد الإرهاب.

لذلك سنتناول فى القسم الأول الخصائص التى تميز الجريمة خاصة فى عقد التسعينيات، ثم نتناول فى القسم الثانى موقف الإسلام من جرائم الإرهاب .

## القسم الأول

### خصائص جريمة الإرهاب

لعلنا لا نجد صعوبة في القول بأن جريمة الإرهاب هي أشد أنواع الجرائم التي ترتكب في عصرنا وأخطرها؛ لأنها جريمة جماعية ترتكب من مجموعات ضد مجموعات أخرى في العادة، وتترك أثراً بالغاً، ليس لدى الحكام فحسب، بل قد يتجاوز الأثر هذه الدائرة، ويروع المدنيين الأبرياء، وهذه إحدى السمات الأساسية للجريمة الدولية (سمة جماعية الفعل) وامتداد أثرها إلى دائرة واسعة من البشر.

كذلك من السمات المميزة لهذه الظاهرة شيوعها وعالميتها، فالأعوام الأخيرة لم تشهد فقط تزايداً واضحاً في عدد حوادث الإرهاب بل إن الملفت للنظر هو اتساع الرقعة التي تمارس فيها هذه العمليات، فليس هناك مكان الآن ينجو من هذا الخطر؛ لقد وقعت الحوادث في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢)</sup>، وفي أمريكا اللاتينية، وفي أوروبا، ومنطقة الشرق الأوسط، ومما يلفت النظر أيضاً وقوع حوادث إرهابية في مصر على وجه الخصوص في السنوات الأخيرة، ربما لم تشهد بلدنا الحبيبة إرهاباً مماثلاً له من قبل.

ومن السمات الرئيسية للإرهاب:

— أن أغلب الذين يمارسون العمليات الإرهابية في سن الشباب وربما فيما دون هذه السن.  
— أن بعض الجماعات تكشف عن أسباب بعض العمليات الإرهابية، وتتصل الأسباب المعلنة عادة بأمور دينية، مما جعل الكثير من المحللين والسياسيين يربطون بين الأصولية الإسلامية وبين الإرهاب والتطرف.

— أن بعض العمليات الإرهابية، خاصة تلك التي وجهت إلى السياحة في بعض الدول قد حققت أثراً اقتصادياً بالغ السوء على هذه الدول .

— أن إرهاب الدولة لم يعد أقل أثراً عن إرهاب الأفراد، خاصة إسرائيل.

لقد كانت معظم عمليات الإرهاب في السبعينيات والثمانينيات موجهة إلى وسائل النقل الدولية وهي السفن والطائرات، وكانت تستخدم أساليب أخذ الرهائن خاصة الشخصيات الرسمية، وعدم الإفراج عنهم حتى تتحقق مطالب الإرهابيين، ورغم خطورة هذه الأعمال ومساسها بالنظام الدولي، والمصالح الأساسية للمجتمع الدولي كله، إلا أن عدد الأرواح التي أزهقت في الساحة كان محدوداً بالمقارنة بالخسائر الفادحة التي تنتج من الإرهاب حالياً .

ومن صور إرهاب الثمانينيات أيضاً أن بعضه قد قامت به دول بنفسها وهو ما يطلق عليه قانوناً (إرهاب الدولة)<sup>(٣)</sup> ، وهو ما يتضح في قيام إسرائيل بتدمير مقر منظمة التحرير الفلسطينية

فى تونس، فضلاً عن ممارسات عديدة تقوم بها إسرائيل لإرهاب المدنيين فى الأراضى المحتلة، واتخاذ تدابير قمع شديدة ضدهم، تتطوى على قدر كبير من الإرهاب، على ما يتضح من الإدانات الصريحة والعديدة التى صدرت ضدها، سواء من الأمم المتحدة، أم من منظمات وهيئات أخرى عديدة معنية بحقوق الإنسان.

وقد لاحظنا أنه عند مناقشة الإرهاب فى اللجنة التى شكلتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لدراسته، وجود خلاف واسع فيما تعتبره كل دولة إرهاباً، وإذا كان استخدام القوة ضد وسائل النقل الحديثة من طائرات وسفن وقطارات وأتوبيسات، يعد إرهاباً بلا خلاف، فإن الحكم على ظواهر أخرى من هذه الزاوية ليس محل إجماع، فقد اعتبرت وعلى سبيل المثال حكومة أفغانستان السابقة ما يقوم به الثوار فيها بمثابة إرهاب وأطلقت على الثوار صفة الإرهابيين، ووصفت حكومة سريلانكا الخارجين عليها من طائفة التاميل بنفس الوصف، كما اعتبرت نيكاراجوا ما تقوم به الجماعات الثورية المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية لإسقاطها أعمالاً إرهابية، فى حين وصفت حكومة زيمبابوى ما تقوم به حكومة اتحاد جنوب إفريقيا من إخلال بنظامها بارتكاب عمليات التخريب والقتل والتدمير فيه – بأنه إرهاب تمارسه الدولة الأخيرة ضدها.

والواقع أن إرهاب الدولة أو إرهاب الدول يتجاوز كثيراً فى أثره إرهاب الأفراد العاديين، فالدولة قوة ولديها من الأسلحة ومن الرجال ما يمكنها تسخيرها بصفة دائمة لممارسة الإرهاب على الدولة أو على الأشخاص، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن الإرهاب بهذا المعنى هو بديل الحروب التقليدية، وإن الإرهاب قد صار محور نشاط مخابرات الدول الكبرى والدول الصغرى على السواء<sup>(٤)</sup>.

مما لا شك فيه أن العدوان من الأمور التى كانت وستظل دائماً فى الحياة التى نحيها، طالما كان هناك خير وشر يتدافعان، ولكن الإرهاب والعدوان لم يكن يتخذ هذا الطابع الدموى من قبل، ذلك أن إستراتيجية الإرهاب التى سادت فى القرن العشرين وأوائل القرن الحادى والعشرين قد حاولت أن تستفيد من التطور الهائل فى وسائل الإعلام، ذلك التطور الذى مكن العالم من أن يسمع ويرى ما يدور فى مختلف أرجائه من كل الناس، وفى نفس الوقت، بالدعاية لموقف سياسى أو قضية معينة، أو الكشف عن ظلم واضطهاد لبعض الفئات من فئات أخرى فى إحدى الدول، أو سيادة حكم ديكتاتورى فى دولة معينة، أو إيقاظ حواس المجتمع الدولى لحل مشكلة ما، بمعنى آخر كان هناك دائماً هدف سياسى واضح ومعلن، الهدف من العمل هو الدعوة له، ولذا لم يكن قتل الأبرياء أو تعذيبهم هدفاً على الإطلاق، وإن حدث، فهو أمر عارض وفى أقل الحدود.



أما الهدف الأساسي فهو نشر القضية، فالإرهابيون بعبارة أخرى كانوا يطمعون فى أن يشاهددهم أكبر عدد من الناس، بأقل قدر ممكن من العنف، أما فى إرهاب الأعوام القليلة الماضية فإن الصورة قد تغيرت، وصار الأمر كما لو كان يستهدف تحقيق خسائر بشرية ومادية ضخمة العدد.

ويكشف ذلك كله عن الأهمية الكبيرة لدراسة ظاهرة الإرهاب على النطاق الدولى ، خاصة وأن الأهداف الأساسية للمجتمع الدولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تمثلت فى تحقيق السلم والأمن الدوليين، فضلاً عن تحقيق التعاون الدولى فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية بقصد تحقيق الرفاهية للجنس البشرى<sup>(٥)</sup>، ويهدد الإرهاب أهداف المجتمع الدولى من ناحية، كما أنه ينم عن قصور واضح فى وضع الوسائل ورسم السياسات التى تمكنه من الوصول إلى هذه الأهداف من ناحية أخرى.

كذلك يلاحظ من يتتبع الدراسات الدولية – خاصة فى الجانب القانونى- وجود قصور واضح فى تناول هذه الظاهرة، حتى إننا لم نجد مؤلفات قانونية دولية ذات شأن تهتم بدراسة الإرهاب أو حتى تضع تعريفاً قانونياً محددًا له، وتقتصر معظم هذه الدراسات على الإشارة إليه عند تحديد الأفعال التى لا يجوز منع تسليم المجرمين فيها، ربما كان ذلك لأن القانون الجنائى الدولى لا زال فى دور التكوين، ولم يشهد البلورة الكاملة له حتى الآن؛ لذلك فإن دراسة الإرهاب بوصفه جريمة دولية من أهم المسائل الملحة فى الظروف الحالية لتقنين الجرائم الدولية، ولمحاولة إيجاد محكمة جنائية دولية تختص بمحاكمة الإرهابيين.

إننا ندعو الدول إلى تطبيق القانون والالتزام به فيما تقوم به من أعمال، ما دامت هذه الأعمال يحكمها القانون، واللجوء إلى الهيئات الدولية التى وكل المجتمع الدولى إليها مهمة تطبيق القانون، وكما ذكرت فإن الدول الكبرى – على وجه الخصوص – تملك قدرة على دعم الأمم المتحدة، وعلى تمكينها من وضع الحلول المناسبة للمشكلات السياسية، وكذلك القانونية.

وعليه فلو أدانت هيئة دولية إحدى الدول وأثبتت تورطها فى عمليات إرهابية، فيجب على المنظمة الدولية أن تعاقبها، وهى تملك فرض العقوبات التى طبقتها الولايات المتحدة الأمريكية على العراق وليبيا، كذلك لو ثبت أن إسرائيل مارست أعمالاً إرهابية أو أتت أعمالاً تخالف النظام الدولى، فيجب إقرار مسئوليتها الدولية، وفرض الجزاءات عليها.

ولو تم ذلك لأدى إلى إقرار النظام والشرعية فى العالم، لكن حينما تتصرف الدول بصورة منفردة؛ فهى تعطى لبعضها البعض الحجة والسبب فى أن تقوم كل منها بما تراه مناسباً لتحقيق

مصالحها، أو حتى أطماعها ونوازع حكامها ، حسنة كانت هذه النوازع أم سيئة، لذا يحدونا الأسف ونحن نقول إن الولايات المتحدة الأمريكية تقف ضد المحكمة الجنائية الدولية التي نجحت الدول في إقامتها بعد جهود كبيرة، وتسعى جاهدة إلى إخراج رجال قواتها المسلحة من الخضوع لهذه المحكمة؛ لأنها على يقين بأنها تخالف القانون الدولي، وأن جنودها يخرقون أحكام الجرائم ضد السلام وضد الإنسانية، لذا لا تريد لهذه المحكمة أن تمارس ولايتها.

## القسم الثاني

### موقف الإسلام من الإرهاب

الجانب الذي اهتم به هذا البحث هو الجانب القانوني أساساً، حيث عالجتنا الإرهاب باعتباره جريمة دولية تمثل اعتداءً بشعاً على الأرواح أو الأموال أو كليهما معاً، مع وصف جنائي خاص هو: بث الخوف والرعب في نفوس الحكام أو فئة كبيرة من الناس. وهنا نبين موقف الإسلام من هذه الجريمة.

#### الحدود والتعازير في الشريعة :

الواقع أن الفقه الإسلامي التقليدي لم يستخدم مصطلح الإرهاب، وإنما استخدم مصطلحاً آخر يتطابق مع فكرة العدوان على الأرواح والأموال مع قصد بث الرعب والتخويف في الناس، إنه مصطلح: الحرابة، وهي حد من الحدود، ومعروف أن الحدود تطلق على أشد الجرائم بشاعة والتي ترتكب على الجماعة الإسلامية بشكل عام، حيث ميز الفقه الإسلامي التقليدي بين الحدود – وهي الجرائم المقرر لها عقوبة محددة في الشرع – وباقي الجرائم التي لم يحدد لها الشرع عقوبة محددة، وترك لولي الأمر أو للقاضي أن يحدد العقوبة المناسبة لها، على أساس تقرير العقوبة باختيار ما يتناسب مع ظروف كل مرتكب للجريمة، وما يمكن أن يؤدي إلى تحقيق غرض العقوبة معه، وهو القصاص من ناحية والردع والزجر من ناحية أخرى، ولسنا الآن في معرض بيان تفاصيل الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي؛ فلهذا موضعه في كتب الفقه (٦).

#### تعريف مجمع الفقه الإسلامي للإرهاب :

ومع ذلك فإن الفقه الإسلامي فقه متجدد دائماً، وقد سعى من خلال أحد مجامعه وهو مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة (٧) إلى أن يقدم تعريفاً للإرهاب يتفق مع المدلول القانوني لهذه الجريمة البشعة، فقد عرفه بأنه " هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد، على الإنسان؛ دينه أو نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق، وبشئى صنوف الإفساد في الأرض وصوره ". ويلاحظ على هذا التعريف ما يلي:

١- أنه حدد الفاعل للجريمة بأنه الدول أو الجماعات أو الأفراد، فيغطي ذلك ما يعرف قانوناً بإرهاب الدولة، إلى جانب شموله أيضاً للجماعات الإرهابية، في إشارة واضحة للجريمة المنظمة وللجانب الدولي الغالب عليها الآن، إلى جانب شموله للأفراد العاديين، وهي صورة معروفة أيضاً للإرهاب .

٢- أنه استخدم مصطلحاً إسلامياً في تحديده لمحل الإرهاب أو لمن تقع عليه الجريمة، فذكر الضرورات الخمس وجعل الاعتداء لا يقتصر على العدوان على الأرواح والأموال فقط، بل يشمل كذلك العدوان على الدين، أو العرض، فضلاً عن الروح والممتلكات.

٣- أنه ينبه إلى ضرورة أن يكون العدوان قد صدر بدون حق، وهو بذلك يميز بين الإرهاب وبين صور الدفاع الشرعي أو الكفاح لتحرير الأراضي أو ممارسة حق تقرير المصير.

٤- لم يكتف التعريف بتجريم العدوان بل سوى بينه وبين التهديد والتخويف، وهكذا يجرم هذا التعريف التهديد المادي أو المعنوي بإرابة الدماء أو العدوان على الممتلكات أو الأعراس. وواضح تأثر هذا التعريف بإدانة الإسلام للحرابة؛ حيث ذكر أنه العدوان أو التهديد أو التخويف بثتى صنوف الإفساد فى الأرض وصوره، فالإرهاب وفقاً لهذا التعريف عدوان أو تهديد بعدوان على أعز ما يحرص عليه الإنسان أو الجماعة من روح أو مال أو دين أو عرض، بدون حق، وهو من ثم من الجرائم البشعة التى أدانها الإسلام، ويحدونا ذلك إلى بحث ما إذا كان الإرهاب يعد وفقاً لهذا التعريف من صور الحرابة أم أنه جريمة جديدة .

والواقع أن مجمع الفقه لم يجب على هذا السؤال؛ لذا فإن الإجابة تستدعى معرفة أركان جريمة الحرابة ومدى توافق جريمة الإرهاب معها، وهو ما نبينه فيما بعد. والواقع أن مثل هذا الاجتهاد يجب تشجيعه ويجب أن تعمل به الدراسات التى تعرضها كتب الفقه، والتى تقتصر حتى الآن على عرض ما كتبه فقهاء مذهب معين إذا كانت الدراسة تتم فى إطار الفقه المذهبي، أو مقارنة بين المذاهب إذا كانت الدراسة تتم فى إطار دراسات الفقه المقارن.

#### تعريف الحرابة :

قلنا إن فقهاء المذاهب الإسلامية وإن لم يتعرضوا على وجه التحديد لمصطلح الإرهاب، ولم يخصصوه بدراسة مستقلة فى كتب المذاهب الإسلامية، وذلك لحدائثة هذا المصطلح، إلا أن جريمة الحرابة فى الفقه الإسلامى تحتوى على المفاهيم المعروفة لجرائم الإرهاب، ومن هنا فإننا سنقدم جملة من تعريفات الفقهاء للحرابة ليتضح أنها تشمل فى علاجها هذه الجريمة وزيادة، ومن هذه التعريفات:

- الحرابة أو قطع الطريق هي: البروز لأخذ مال، أو لقتل، أو إرعاب مكابرة اعتماداً على الشوكة مع البعد عن الغوث (٨) .

- الحرابة هي: إشهار السلاح و قطع السبيل خارج المصر (٩) .

- الحرابة هي: البروز لأخذ مال أو قتل أو إرعاب (١٠) .

- الحراية: قطع الطريق لمنع سلوك، أو أخذ مال مسلم أو غيره على وجه يتعذر معه الغوث<sup>(١١)</sup> .

- المحارب أو قاطع الطريق هو: من يعترض الناس بالسلاح فى الطرقات ونحوها ليغتصب المال مجاهرة من الأعراب والتركمان والأكراد والفلاحين وفرق الجند أو غيرهم . ولا يخفى أن صور الإرهاب ومفهومه فى القانون الدولى العام، بل والقانون الداخلى أيضاً لا يتجاوز هذه المعانى الواردة فى تعريفات الفقهاء لجريمة الحراية أو قطع الطريق، وأن أفعال المحاربين تستغرق كل أفعال الإرهابيين، وبالتالي فإننا نعد الإرهاب صورة من صور الحراية فى الفقه الإسلامى.

والمواقع أن الآية الكريمة التى تحدثت عن الحراية ذكرت: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ (المائدة: ٣٣) فهنا ربطت بين الفساد فى الأرض والاعتداء على حق الله ولرسوله؛ فبينت أن محل الحق يجب أن يكون مصلحة عامة للجماعة، وأن يرتبط بقصد خاص هو إرهاب الناس وتخويفهم، ومن هنا تتماشى الحراية مع فكرة الإرهاب بشكل عام.

**الإسلام ونبذه للعنف والإرهاب:**

لقد حاول أعداء الإسلام فى الآونة الأخيرة الربط الوثيق بين الإسلام والإرهاب، وإصاق هذه التهمة بكل ما هو إسلامى<sup>(١٢)</sup>، حتى يبدو الإسلام فى هذه الصورة الوحشية الغاشمة، التى تبرر لهم فيما بعد ضربه والإطاحة به والوقوف فى سبيل مده والدعوة إليه، ومن يتأمل الإسلام يوقن بأن هذه التهمة من أشد التهم ظلماً وقسوة لرسالة الإسلام ذاتها، وأن هذه التهمة تناقضها نصوص الإسلام الكثيرة والواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل وحياء الخلفاء الراشدين وتاريخ الأمة الإسلامية الزاهرة، وهذا ما نعرضه بشيء من التفصيل:

أولاً: نجد القرآن الكريم يوضح بجلاء اعتراف الإسلام بالآخر وحرصه على التعرف عليه والتعاون معه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ۗ ﴾ (الحجرات: ١٣) كما يقول تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨) .

ويحدد الله سبحانه لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام أسلوب التعامل مع فرعون وهو أسلوب اللين والرحمة، فيقول تعالى: ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (طه: ٤٢-٤٤) .

ويحدد الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ طريق الدعوة، فيقول تعالى: ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) .

ويوضح ذلك كله في أمر عام لكل دعاة هذه الأمة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ ، فيقول تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥) .

ثانياً: ورد في السنة النبوية المطهرة أيضاً الكثير من الأحاديث التي تبين طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وأن هذا الطريق لا يلتقى والإرهاب على وجه الإطلاق، ومن هذه الأحاديث :

- قوله ﷺ : "إن الله يحب الرفق في الأمر كله" (١٣) .
- قوله ﷺ : "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف" (١٤) .
- قوله ﷺ : "وجبت محبة الله على من أغضب فحلم" (١٥) .
- قوله ﷺ : "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (١٦) .

ثالثاً: في وقت الحروب يراعى الإسلام كل الفضائل والأخلاق الإسلامية والإنسانية الرائعة، وإن تحرر العدو من كل هذه القيود، ومن هذه الشريعة الغراء في أوقات الحروب والجهاد، ما كان يأمر به النبي ﷺ أصحابه وأفراد جيشه حينما كان يقول لهم: "تآلفوا الناس، ولا تغيروا حتى تدعوهم إلى الإسلام، فو الذي نفس محمد بيده، ما من أهل بيت من وبر ولا مدر تأتوني بهم مسلمين إلا أحب إلي من أن تأتوني بنسائهم وتقتلون رجالهم" .

وفي ذلك يقول ﷺ: أيضاً "انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً ولا صغيراً، ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين" ومن وصاياهم ﷺ إلى جيوشه أيضاً: "اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع" .

ويسير على النهج الكريم أصحابه رضوان الله عليهم وعلى رأسهم الصديق أبو بكر رضي الله عنه فيوصي قائد جيشه قائلاً: "لا تقتلن امرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرة لا نخلا ولا تحرقنها، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن من شاة ولا بقرة إلا لمأكلة، ولا تجبن ولا تغلل" (١٧).

ومن يتأمل التاريخ الإسلامي أيضًا يشعر بسماحة الإسلام وعظمته حتى في التعامل مع أعدائه، وأن غير المسلمين كانوا أكثر أمنًا وأمانًا في ظل الإسلام أكثر من غيره، ويروى في ذلك ما جاء في فتوح البلدان، " من أن معاوية حاصر قيسارية حتى يئس من فتحها، وكان سبب فتحها في النهاية، أن يهوديًا يقال له "يوسف" أتى المسلمين ليلاً فدلهم على طريق سرب فيه الماء إلى حقو الرجل على أن أمنوه وأهله، وأنفذ معاوية ذلك، ودخلها المسلمون وكبروا فيها، فأراد الروم أن يهربوا من السرب فوجدوا المسلمين عليه، وفتح المسلمون الباب فدخل معاوية ومن معه"، ولعل في فعل هذا اليهودي دلالة ناطقة بترحيبه بالإسلام لا بإكراهه أو إرهابه.

وإن من أروع وقائع التاريخ الإسلامي أيضًا ما روى من أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدوا إليه مالاً، وارتهن معاوية منهم رهناً، فوضعهم ببعلبك، ثم إن الروم غدرت، فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم، وخلوا سبيلهم، وقالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر (١٨).

ومما تقدم يتبين أن الإسلام ينبذ العنف والإرهاب، ولا يجعله طريقاً في الدعوة إليه، أو في إدخال الناس فيه، وإنما يقوم الإسلام على حرية العقيدة، وغيرها من ألوان الحريات العظيمة، ليس ذلك فقط، بل ويتصدى للإرهاب بطريق جذري وحاسم، ويعاقب عليه عقاباً شديداً.

من هنا يتبين لنا أن الفقه الإسلامي قديماً وحديثاً وضع أحكاماً تنظم جرائم الإرهاب باعتبارها أشد الجرائم قسوة وأخطرها على أمن الجماعة المسلمة، وفرض لها أشد أنواع العقوبات، أخذاً من الآيات القرآنية العديدة التي عصمت النفس الإنسانية من كل صور الاعتداء عليها، وألزمت الجماعة المسلمة وولى الأمر بحمايتها.

لقد اعتبر القرآن الكريم جريمة القتل والعدوان اعتداء على المجتمع بكامله، قال تعالى :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢) ومع ذلك

فالإسلام – كما أوضحنا – يأمرنا بالتعامل برفق ولين مع الغير، كما يأمرنا بأن نعاملهم بالعدل والإحسان، فهو ليس ديناً عدوانياً يسمح بالقتل والتعدى والتدمير، وهو في نفس الوقت لا يتهاون على الإطلاق مع من يعتدون على الأرواح والممتلكات ويروعون المجتمع، بل يفرض أشد أنواع العقوبات عليهم، ومنها إبعادهم عن المجتمع بالنفي، ومنها قتلهم إن كانوا قد قتلوا الناس.

- (١) ذكر التقرير السنوي الذى تصدره الولايات المتحدة عن الإرهاب، أن عام ١٩٩٢ م شهد (٣٦١) عملية إرهابية، مقابل (٥٧٦) عملية عام ١٩٩١م، وأورد التقرير أسماء (٤١) منظمة إرهابية مع وصف لها وبيان حجم قوتها ومصادر تمويلها ونكر أن معظمها يتركز فى الشرق الأوسط. الأهرام الأحد ٢ مايو ١٩٩٣م.
- (٢) وإنا نعتقد أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م التى أرقت وزلزلت الولايات المتحدة الأمريكية تدل على أن الأحداث الإرهابية تستطيع أن تطول كل مكان، وأن تصل بخطرها إلى أى أحد .
- يراجع المؤلف : النداعيات الدولية لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وتداعياتها الدولية رؤية إسلامية، سلسلة فكر المواجهة رقم ١ ص ٧ ، ٨.
- (٣) ويمكن تحديد مفهوم "إرهاب الدولة" على وجه الدقة بأنه: ما تقوم به الدولة فى الداخل من خلال مجموعة الأعمال والسياسات الحكومية التى تستهدف نشر الرعب بين المواطنين لإخضاعهم لرغبات ومطالب الحكومة، أو ما تقوم به الحكومة فى الخارج أيضاً لتحقيق بعض الأهداف التى لا تستطيع الدولة تحقيقها بوسائل مشروعة. وإذا كان البعض يطلق على هذا النوع من الإرهاب إرهاب الدولة State terrorism فإن البعض الآخر يطلق عليه مصطلح الإرهاب من أعلى، أو إرهاب نظام الحكم الشمولى غير الديمقراطى أو الإرهاب الأحمر، وأبرز مثل لهذا النوع من الإرهاب هو ما تقوم إسرائيل به على الأراضى الفلسطينية.
- (٤) راجع: أحمد عز الدين ، الإرهاب والعنف السياسى، كتاب الشعب ١٩٨٥م، ص ١٥ وما بعدها.
- (٥) وهذه هى الأهداف التى برزت بوضوح فى ميثاق الأمم المتحدة وبصفة خاصة المادة الأولى منه، حيث تضمنت هذه المادة أن الأمم المتحدة تهدف إلى حفظ السلم والأمن الدوليين، وإنماء العلاقات الودية بين الدول، وتحقيق التعاون الدولى لحل المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، هذا بالإضافة إلى جعل الأمم المتحدة مركزاً لتنسيق أعمال الدول، وللتقريب بين مصالحها وتحقيق أهدافها المشتركة، ولا يعنى هذا أن الأمم المتحدة دولة فوق الدول تسيطر على أعمال الدول وتصرفاتها، وإنما يعنى فقط أن هذه المنظمة مجرد أداة للتنسيق بين الدول بهدف تحقيق التعاون فيما بينها تجنباً لوقوع الخلافات والصدامات.
- (٦) راجع: لأستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى.
- (٧) يتبع هذا المجمع رابطة العالم الإسلامى، وهو يختلف عن مجمع الفقه الإسلامى العالمى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى والذى يتخذ من مدينة جدة مقراً له..
- (٨) معنى المحتاج إلى معرفة معنى ألفاظ المنهاج، شرح الشيخ محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين للنووى، دار الفكر، ط ٤، ص ١٨٠.
- (٩) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الإمام محمد بن رشد القرطبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط. السادسة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٤٥٥/٢ .
- (١٠) قلبوي وعميرة على شرح العلامة جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين للنووي، دار إحياء الكتب العربية، وعيسى البابى الحلبي وشركاه، ١٩٨/٤.
- (١١) مختصر الشيخ خليل، صححه وعلق عليه الشيخ طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاه ص ٣٣١.



(١٢) لا شك أن هناك محاولة ربط مقصودة بين الإسلام والإرهاب، وقد بلغ الطعن أحياناً للأمة الإسلامية حد التشكيك فى حضارتها ومقوماتها الثقافية والحضارية، حتى إن بعضهم تجرأ على هذه الأمة بوصفها بأنها أمة بلا ثقافة ولا حضارة عريقة، مع أنه لا يستطيع أحد أن يتجرأ على هذا القول أمام حضارة امتدت آلاف السنين، إلا إذا ساءت النوايا وفسدت الضمائر واختلت الموازين.

(١٣) رواه البخارى ومسلم .

(١٤) رواه مسلم .

(١٥) رواه الأصبهاني .

(١٦) رواه مسلم .

(١٧) فى تفصيلات واسعة حول شريعة الإسلام فى الجهاد والعلاقات الدولية الحربية يراجع للمؤلف: أحكام الحرب والحياد فى ضوء القانون الدولى والشريعة الإسلامية، سلسلة فكر المواجهة رقم ٧، تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية، ص ١٨٣، وما بعدها. وانظر أيضاً: من الإسلام وحقوق الإنسان، سلسلة فكر المواجهة، رقم ٤ ص ٩٥ وما بعدها.

(١٨) فتوح البلدان، البلاذري، ص ١٨٨.

## الإرهاب وعلاقته بالتطرف الديني نظرة تحليلية

الأستاذ الدكتور/ جمال رجب سيدبى

نائب رئيس جامعة السويس السابق

مصر

مما لا شك فيه أن قضية الإرهاب أضحت قضية عالمية، تشغل العالم الآن شرقاً وغرباً؛ لما للإرهاب من تداعيات خطيرة على نمو المجتمعات وتقدمها، ولقد ظهرت جلياً على السطح إشكالية الإرهاب بعد حادث ٢٠٠١م بالولايات المتحدة الأمريكية؛ مما دعا العالم إلى تضافر الجهود نحو مواجهة هذا المرض العضال؛ فظهرت تعريفات مختلفة لموضوع الإرهاب.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه: ما تعريف الإرهاب في العقل الغربي؟ ولماذا يجعله الإعلام الغربي حكرًا على العمليات الإرهابية التي يقوم بها من ينتسب إلى العرب أو المسلمين؟ فى البداية نود أن نشير إلى أنه فى الثمانينيات من القرن الماضى توصلت المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) إلى بلورة التعريف التالى الذى اعتمده الخارجية الأمريكية: الإرهاب هو التهديد باستعمال العنف، أو استعماله لتحقيق أهداف سياسية من قِبَل أفراد أو جماعات، سواء كانوا يعملون لمصلحة سلطة حكومية رسمية أم ضدها، وتستهدف هذه الأعمال إحداث صدمة أو حالة من الذهول، أو التأثير على جهة تتجاوز ضحايا الإرهاب المباشرين.<sup>(١)</sup>

ومن الواضح أن هذا التعريف عام يحاول تغطية أنواع من الإرهاب، ولكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يشمل: المقاومة الفرنسية ضد النازيين، والألوية الحمراء فى إيطاليا، والمقاومة الجزائرية ضد فرنسا، وعمليات الكونترا فى نيكاراغوا، والمجاهدين فى أفغانستان، والجيش الجمهورى الإيرلندى فى أيرلندا الشمالية، وعمليات المقاومة فى الضفة الغربية وغزة، والشريط الحدودى المحتل فى الجنوب اللبنانى، فضلاً عن العمليات الإرهابية العشوائية التى تقوم بها مجموعات

أصولية تنتمي إلى هذا الطرف أو ذلك، كما أنه من الواضح أن عمليات الإرهاب الصهيوني ينطبق عليها هذا التعريف.<sup>(٢)</sup>

وبناء على التعريف السابق يمكننا القول: إن الخطاب الإعلامي الرسمي الغربي لا يتصف بالحييدة أو النزاهة أو الموضوعية، بل إنه يلصق التهم بكل ما هو إسلامي؛ على غير هدى من التعريف الذى ارتضاه .

وما زال الغرب حتى اللحظة الراهنة يخلط بين المقاومة باعتبارها حقاً مشروعاً للشعوب في تحرير أرضها وبين الاعتداء على النفس بدون وجه حق، وأعتقد أن هذا المسلك له عواقب وخيمة على الأمن والاستقرار العالميين، وعلى العالم المتحضر أن يضع تعريفاً محدداً يفرق فيه بين مشروعية حق الشعوب في الدفاع عن حقها وبين الإرهاب أو إزهاق الأنفس بدون ذنب أو جريرة.

إنه يستحيل على الفهم تلك الازدواجية فى المعايير الغربية حين النظر إلى الإسلام والمسلمين، فهل نسينا أسباب مقتل ثلاثة ملايين فيتنامي، والمجازر التي أودت بنحو عشرة في المئة من سكان جواتيمالا في الخمسينات، وغزو تيمور الشرقية، وقتل نحو نصف مليون مواطن اتهمهم سوهارتو بالشيوعية، وزرع الألغام في مواني نيكاراغوا والذي أدانته المحكمة الدولية، وثورة الكونترا ضد النظام السانديني في الثمانينات، وغزو بنما وجرانادا، وتمويل الاحتلال والنهب الإسرائيلي، اللذين لا يعرفان حدوداً.<sup>(٤)</sup>

لعل هذا المدخل يجرنا إلى الحديث عن قضية التطرف الديني التي أضحت الشغل الشاغل لعالمنا العربي والإسلامي.

### ماهية الغلو أو التطرف الدينى

ليس ثمة شك، أن الغلو أو التطرف الديني نابع من الفهم المغلوط لصحيح الدين؛ ولذلك دعا الإسلام إلى المنهج الوسط المعتدل، من منطلق قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ( البقرة: ١٤٣ )، وكما يقول علماء الأخلاق: الفضيلة وسط بين طرفين بلا إفراط أو تفريط.

ولذلك يذهب البعض إلى أن الغلو أو التطرف الديني يكون نتيجة للتعصب فى الرأى لحكم ليس له دليل قاطع في ثبوت دلالاته، إفراطاً وتشدداً: كالتعصب لفتوت الصبح في غير النازلة، ومسح الرأس في الوضوء، وكالحكم على المباح أو المندوب الذي لا يعاقب الإنسان على تركه بأنه مفروض لازم يعاقب على تركه كالسواك والتهجد، وهو ما يطلق عليه اسم التطرف والتزمت.

أو تقريظاً وإهمالاً : كالحكم على المفروض اللازم الذي يعاقب الإنسان على تركه بأنه مباح أو مندوب لا يعاقب على تركه، كالصلوات الخمس وصوم رمضان للقادر عليه، والأمانة والصدق، وهو ما يطلق عليه عرفاً اسم الانحراف والتسيب، ومن الانحراف في العقيدة إنكار وجود الإله الخالق، وكذلك الغلو في الإيمان بوجوده غلوً يتنافى مع ما يجب له من جمال وجلال.

وأخطر أنواع الانحراف هو انحراف الفكر والبعد عن القصد، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به، وقد قال علماء الأخلاق والتربية: كل عمل لا بد أن يسبقه خطوات: العلم به، ثم الانتفاع به، ثم توجه الإرادة لتنفيذه. فالسلوك بغير دافع من رأي أو عقيدة تخبط، وهو عمل المجانين والسفهاء الذين لا يعون ما يقولون وما يفعلون، ومن أجل هذا كانت العناية بتقويم الفكر وتصحيح الاعتقاد هي أول نقطة في برنامج كل إصلاح جاء به نبي من الأنبياء، أو نادى به زعيم من زعماء الإصلاح، وهي في حاجة إلى مدة طويلة ومتابعة مستمرة بالوسائل المتعددة لتحويل الفكر إلى مساره الصحيح، ولا شك أن الانحراف بطرفيه: الإفراط والتقريط في الرأي والعقيدة يضر صاحبه.<sup>(٦)</sup>

### مظاهر الغلو أو التطرف الديني

هناك مظاهر عديدة للغلو الديني أو التطرف الديني يجدر بنا أن نشير إلى بعضها لما يخدم الفكرة المطروحة في هذا العرض، ومن ذلك:

#### (١) سوء الفهم في قضايا التحليل والتحرير:

من أسباب الغلو والتطرف في الدين تفسير الدين من منطلق هوى النفس وليس على أساس علمي متين، وهذا ما يشير إليه العلامة محمد الغزالي في كتابه المعروف (هموم داعية)، حيث يعرض لنموذج من الغلو والتطرف في التحليل والتحرير، فيقول: كنا يوماً في حفل جامع وكنت ألقى محاضرة ذات بال في موضوع خطير، ورأى أحد الصحفيين النقاط صور للجمع الحاشد، ولكن أحد الدعاة نهض يمنع التصوير، فلما أصر الصحفي على المضي في عمله اتجه الداعية إلى الآلة ليكسرها، وجاءني الواعظ الغيور يسألني: لماذا لم تمنع التصوير؟ قلت: لأنني أراه مباحاً؛ قال: ألم يقل الرسول ﷺ : إن أشد الناس عذاباً المصورون؟ قلت: إنه يعني صانعي التماثيل للعبادة، ولا يتصور أن يكون هذا الصحفي أشد عذاباً من الزناة والقتلة والمرابين والظلمة، قال: الحديث عام فلماذا تخصصه؟ قلت: خصصه الواقع الذي لا يمكن تجاهله، فالوثنيون كانوا يعبدون أصناماً مجسمة ولم يعبدوا صوراً شمسية، وعندما تكون الصورة الشمسية لمعنى ديني مرفوض فسنحرمها، أما النقاط الصوت في شريط تسجيل أو النقاط الظل والملامح على ورقة لأغراض علمية أو اجتماعية فلا علاقة له بالوثنية، ولا

يحكم عليه بتحريم، بل هو كما بينه مسلم في صحيحه ليس (إلا رقماً في ثوب) قال: هذا الكلام مردود، ومحاضرتك عن الوحدة الإسلامية وعن التآحر بين المسلمين لا تقبل مادامت مقرونة بإقرار التصوير (٧) .

### (٢) التناول على العلماء بغير فهم:

من الأمور المؤسفة أن بعض شباب الجماعات الإسلامية المتطرفة دخل إلى الساحة الإسلامية وهو غير متسلح بأدوات البحث العلمي، والنظر الموضوعي لمفاهيم الإسلام، وعدم التفريق بين الواجب والسنة، وتلك مصيبة العمل الإسلامي؛ مما يعزز من ظهور الفكر المنحرف والمتطرف، ويوضح الشيخ الغزالي هنا الفهم المغلوط بموقف شخص معه، يقول: أذكر أنني دخلت المسجد النبوي عقب أذان المغرب وجلست في انتظار الصلاة التي قدرت أنها ستقام توّأ، فإذا شخص يقول لي بكبرياء لماذا لم تصل الناقل؟ فقلت له: هما ركعتان لمن شاء؛ لا إلزام هنالك، قال: أعني تحية المسجد، قلت: لا إلزام كذلك، فهذا امرؤ يريد الاستطالة على العلماء وبغير علم، ولو أنه صرف نشاطه في تعليم اللغة العربية لرجل أعجمي لكان ذلك أرجى له عند الله من النوافل التي يريد توبيخنا على تركها.

إن هناك مشتغلين بالعلم الديني، قاربوا مرحلة الشيخوخة، ألفوا كتباً في الفروع وأثاروا معارك طاحنة في هذه الميادين، ومع ذلك فإن أحداً منهم لم يخط حرفاً ضد الصليبية أو الصهيونية أو الشيوعية، إن وطأتهم شديدة على الأخطاء بين أمتهم، وبلادهم أشد تجاه الأعداء الذين يبيغون استباحة بيضتهم (٨) .

### (٣) غياب الفهم الصحيح لمقاصد العمل الصالح:

الطاعات التي رسم لها الشارع صوراً خاصة ليست إلا جزءاً يسيراً من الإصلاح الشامل الذي كتبه الله في الأعمال كلها، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام: ٤٨). فمن ظن الدين قياماً بأعمال معينة في أماكن معينة، فهو واهم، حيث إنه لن يتم إيمان إنسان إلا إذا تكونت في نفسه ملكة الإجابة فيما يوكل إليه من عمل، وأعنى الإجابة الشاملة التي تبلغ بالأمر تمامه وتكره فيه القصور، وتخشى عليه الفساد.

إن كلمتي: "إن آمنوا" و"عملوا الصالحات" تصوران أمة شمل حب الخير نواحيها كلها، لا تعرف الفساد في شأن من شئونها، تدبر أحوالها الاقتصادية والاجتماعية على محور الفطنة والكياسة والذوق السليم والعقل الحصيف. إن الصلاح: أي فعل ساندته الفكر والنظام، وجانبه الطيش والهوى، نعم أي فعل، فمنذ يفتح المرء عينيه من منامه ويستقبل مع النهار تكاليف الحياة، يعالج

أعمالاً لا حصر لها، تكتنفه من كل ناحية، ويجب أن يبت فيها، ويترك طابعه عليها، وحق الله على المسلم أن يحسن ويصلح في هذه النواحي كلها، زارعاً أو تاجرًا، كاتبًا أو حاسبًا، تابعًا أو سيّدًا ، تلميذًا أو أستاذًا؛ ومن ثم فوظيفة المسلم الدائمة أن يصلح نفسه وأن يصلح الحياة معه.<sup>(٩)</sup> فى الوقت الذي نجد فيه بعض المتطرفين والمغالين ينسحبون من ميدان الحياة الفسيح تقريباً إلى الله بزعمهم، وهذا فهم خاطئ لمقاصد العمل الصالح ينبغي تقويمه وتصويبه.

#### (٤) الخلط بين المفاهيم الدينية:

من مظاهر الغلو والتطرف فى الدين الخلط بين المفاهيم الدينية كالسنة والبدعة والكفر والإلحاد، وانتشار دعاوى التكفير من جانب من يزعمون أنهم حماة الدين المدافعون عنه، واحتكارهم للدين، وكأن الله قد وكلهم وحدهم للتحدث باسمه، والحكم على هذا أو ذاك بالمروق من الدين، ويكفي أن تخالف رأياً لهؤلاء ليحكموا عليك بالكفر أو الإلحاد أو الزندقة، ولا يدري هؤلاء أن رمي الآخرين بالكفر مردود على صاحبه؛ فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: " من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" (متفق عليه).

وقد جعل هؤلاء المتعصبون الجاهلون من الدين قائمة محرمات، فكل شيء حرام على الرغم من أن التحريم فى الإسلام لا يكون إلا بنص صريح، والأصل فى الأشياء هو الحل لا الحرمة، ولكن ضيق الأفق وسطحية التفكير وغياب التفكير النقدي يجعل لهذه الفئات المتعصبة تأثيراً على عقول عامة الناس، وقد ساعد على ذلك فى السنوات الأخيرة ما تبثه الفضائيات من فتاوى تعبر عن الجهل، وضحالة التفكير، وانعدام الشعور بالمسئولية الدينية، وعدم الفهم لفقهِ الواقع<sup>(١٠)</sup>.

#### (٥) سوء فهم اختلاف الأحكام الفقهية، وأنها دليل تنوع ومرونة لا فرقة وشتات:

إن اختلاف الآراء فى الأحكام الفقهية الاجتهادية لا ينبغي أن يكون داعياً إلى التعصب لرأى منها، والحكم عليه بأنه هو وحده الصواب وبأن غيره هو الخطأ، فقد يكون الأمر على العكس من ذلك، وفهم الأئمة للدين فهماً صحيحاً، نصاً وروحاً، هو الذي أملى عليهم هذا القول المأثور عن أكثر من واحد منهم: رأى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب، ولم يرض الإمام مالك ﷺ أن يحمل الخليفة العباسي الناس على كتابه " الموطأ "؛ لأن غيره ممن لهم رأيهم واجتهاداتهم وعلمهم موجودون فى بلاد كثيرة، وقد يكون الصواب معهم، ويتصل بهذا: النهي عن الفتوى بغير علم، ونسبة الحكم لله<sup>(١١)</sup>.

## (٦) المغالاة في فتاوى التكفير:

إن تسليط الجهال على تكفير المسلمين من أعظم المنكرات، فلا يجوز تكفير المسلم بذنوبه يفعلها ولا بخطأ، فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله، قال ﷺ: " من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله" (١٢) .

## آليات مواجهة الإرهاب والتطرف الديني

حاولنا أن نعرض لنماذج من مظاهر التطرف الديني وعلاقته بقضية الإرهاب، وليس من شك أن الإرهاب في بعض صورته إفراز مباشر لمفهوم مغلوط لصحيح الدين، وقد أشرنا آنفاً إلى أن التطرف يحتاج إلى تضافر العقول لوضع رويشة علاج ناجحة تقي الإنسان من مخاطره، ويمكننا أن نشير إلى بعض النقاط التالية:

### (١) فتح باب الاجتهاد لأهله بضوابطه الشرعية:

يعتبر فتح باب الاجتهاد بمعناه الصحيح من أهم الآليات لإنقاذ الأمة من كبوتها ومن التطرف الديني، والاجتهاد هو الآلية التي اعتمدها الإسلام للتجديد المتواصل في كل الأمور الحياتية، وبصفة خاصة في مجال الفقه الإسلامي واستنباط الأحكام الشرعية. وطلاب العلوم الدينية يعرفون الأساس الذي اعتمد عليه مبدأ الاجتهاد، فعندما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل قاضياً إلى اليمن سأله: " بماذا تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: بكتاب الله . قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله . قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو - أي لا أقصر" (١٢) .

ومن المعروف في الدراسات الفقهية أن النصوص التي يرجع إليها الفقهاء محدودة، ولكن وقائع الحياة ومستجدات كل عصر لا تنتهي، ومن أجل ذلك فإن إنزال النصوص على وقائع الحياة يتطلب عقلاً راجحاً، وأفقاً واسعاً، وفقهاً واعياً، وقد أدرك علماء الأمة وفقهاؤها ذلك جيداً منذ الصدر الأول للإسلام، وأعملوا عقولهم في فهم النصوص من جانب، وفي إنزالها على وقائع الحياة من جانب آخر، والتمكن من هذين الجانبين يعد أمراً ضرورياً للتوصل إلى رأي فقهي جديد، وعلى هذا الأساس فُتح باب الاجتهاد واسعاً أمام المجتهدين الذين قاموا بمهمتهم خير قيام، ونظراً لأن العقول تتفاوت والأفهام تختلف في إدراكها وتصوراتها؛ كان من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في الآراء على مر العصور، ومن هنا نشأت مذاهب الفقه الإسلامي المتعددة التي تعبر عن حيوية الفكر الديني في ذلك الزمان.

وهكذا كان مبدأ الاجتهاد فتحاً جديداً في تاريخ التشريع الإسلامي، وتشجيعاً من الإسلام على ممارسة الاجتهاد في المجتمع الإسلامي قرر النبي ﷺ أن المجتهد إذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد، وإذا أصاب فله أجران (١٤).

## (٢) تعزيز ثقافة الحوار:

من أهم الآليات التي ينبغي اتباعها أو الاعتماد عليها: تعزيز ثقافة الحوار بالموضوعية والإسلوب العلمي الرصين، من منطلق قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقد كانت دعوة الأنبياء والرسل قائمة على لغة الحوار والإقناع بالحجة الدامغة، وإن الحوار العلمي لكفيل بتغيير أفكار التشدد إلى أفكار التسامح، ومن ثقافة الظلام إلى ثقافة النور، وإذا أردنا معالجة حقيقية لهذا المرض العضال فلا بد أن تتمحور ثقافة الحوار عبر الوسائل التالية:

أ- **المسجد:** أن يكون المسجد نواة للحوار العلمي والفكري بين رجل الدعوة وجمهور المتلقين، وهذا يتطلب جهداً كبيراً من رجل الدعوة، ومن سعة الاطلاع على مختلف العلوم والفنون، بالإضافة إلى تمكنه من الثقافة الإسلامية.

ب- **الجامعات:** لا بد أن تتحول الجامعات إلى منتديات للحوار بين الأساتذة والطلاب بأسلوب تربوي مشوق؛ يجعل الطالب منكباً على الأفكار المعتدلة، والتي تؤدي إلى خلق الشخصية الجامعية السوية والمتوازنة.

ج- **المدارس:** تعويد التلاميذ منذ نعومة أظفارهم على تنمية ثقافة الحوار بالمحاكاة، وتشجيع الطلاب المتميزين منهم، ويمكن للمدرسة أن تلعب دوراً مهماً في هذا الصدد.

د- **النوادي والمراكز الشبابية:** كما يقول علم نفس النمو: إن من أخطر الأطوار في عمر الإنسان سن المراهقة، ومن ثم فإن إتاحة فرصة الحوار للشباب عبر النوادي الشبابية، يجعل الأفكار المختلفة تظهر إلى العلن وتناقش وتتعدد الرؤى، وذلك خير من أن تكبت في عالم اللاشعور، ومن ثم تظهر فيما بعد في شكل سلوك إرهابي.

## (٣) الدور الإعلامي:

لا شك أن الدور الإعلامي من أهم الأدوار، وله تأثير كبير في توجيه الرأي العام الوجهة الرشيدة، لذلك فإن الخطاب المعتدل بل والمتزن يسهم في خلق الشخصية الإيجابية المعتدلة



والموازنة، لذلك فإن مسؤولية رجال الإعلام كبيرة في توعية الرأي العام، والبعد عن حملات التشكيك والتشهير بقيم المجتمع، والتي تؤثر تأثيراً سلبياً مباشراً، وتؤدي - في النهاية - إلى الانحراف النفسي والفكري والذي ينتج عنه بطبيعة الحال التمرد على المجتمع، أو ما يسمى بظاهرة الإرهاب.

#### (٤) تجديد الخطاب الديني :

وذلك يكون بما يلائم المرحلة المعاصرة التي تمر بها أمتنا، وينبغي على من يتصدى للدعوة أن يكون مؤهلاً ومتسلحاً بأدوات المعرفة والعلم، ومن هنا يبرز دور الأزهر الشريف في نشر الفكر الإسلامي الوسطي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

#### (٥) إشاعة قيمة العدل بين الناس جميعاً:

العدل قيمة لا ينبغي التفرقة فيها بين لون أو جنس أو معتقد، فصفة الكرامة جعلها الله عز وجل لبني الإنسان جميعاً، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء: ٧٠)، إن الدين يرفض التحيز واتباع الهوى، والعدل ينبغي أن يسود في كل شيء، في حياة الإنسان الخاصة والعامّة، وفي المجتمع بأسره، ومن العدل صيانة حقوق الإنسان في شتى صورها وتطبيقاتها.

وليس هناك من شك في أن إقرار العدل من أهم الأمور التي تنتشر الأمن والاستقرار في المجتمع، وتقوي الروابط الإنسانية بين الناس، فالعدل يتحقق بإعطاء كل ذي حق حقه، وهذا أمر من شأنه الحفاظ على الكرامة الإنسانية لكل أفراد المجتمع، وكل إنسان أيّاً كان موقعه في المجتمع مطالب بالالتزام بقيمة العدل في كل مجال من مجالات الحياة.

إن نقطة البدء في تحقيق العدل بين الناس تنطلق أساساً من داخل كل فرد منا، فإذا استطاع المرء أن يحقق العدل والتوازن في نفسه وفي سلوكه كان قادراً على تحقيق العدل مع الآخرين، فالعدل الذاتي هو نقطة الانطلاق إلى العدل في كل الدوائر الأخرى في حياة الأفراد والجماعات<sup>(١٥)</sup>.

وهناك العديد من الآليات الأخرى التي تسهم في علاج مشكلة الإرهاب، وحسبنا ما قدمنا لمراعاة السياق والمقام.

## الهوامش:

- (١) د. هشام الحديدي: الإرهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥ م، ص ٤٩ .
- (٢) المرجع السابق، ص ٥٠.
- (٣) المرجع السابق، ص ٥١.
- (٤) المرجع السابق، ص ٣٢٤.
- (٥) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: بيان للناس، جامعة الأزهر ص ١٣.
- (٦) المرجع السابق، ص ١٤.
- (٧) محمد الغزالي: هموم داعية ، ص ١٦٢-١٦٣.
- (٨) المرجع السابق، ص ١٦٥.
- (٩) محمد الغزالي: ليس من الإسلام، ص ١٩٦.
- (١٠) د/محمود حمدي زقزوق: تجديد الفكر الديني، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٩ م، ص ٢٤.
- (١١) المرجع السابق، ص ٣٨٥.
- (١٢) د/ محمود حمدي زقزوق: مرجع سابق، ص ١٤.
- (١٣) رواه أبو داود والترمذي.

## الوثيقة التربوية والتعليمية لآليات مواجهة الإرهاب

الأستاذ الدكتور/ حسن شحاتة

أستاذ المناهج بكلية التربية جامعة عين شمس

مصر

محور هذه الوثيقة الآليات التربوية والتعليمية لمواجهة التطرف والإرهاب، وتتنوع هذه الآليات بتنوع منظومة التعليم والتعلم من حيث المدخلات، والعمليات، والمخرجات التي تشكل هذه المنظومة، وعليه فإن الآليات تتنوع وتتسع لتشمل الأهداف التعليمية والتعلمية، والتي غايتها الانفتاح العقلي والسلام الداخلي، وأدوار المعلم التي تتسم بالتعامل الإنساني، والتدريب على قيم الانتماء والولاء، والأنشطة التعليمية والتعلمية، وبيئة التعلم وقوامها الممارسة الديمقراطية، وإستراتيجيات التعليم والتعلم، والتقنيات التعليمية، وتقويم أداء المتعلم والمعلم، والأمن النفسى للمتعلمين، وكذلك الأمن الفكري، والحوار التربوى الذى يتسم بالموضوعية، ولجان الأمن التربوي، والتقييم الذاتى، والتفكير الإيجابي، والمناعة النفسية، ويمكن عرض ذلك بشيء من التفصيل ، وذلك فيما يلى:

تشير النظريات التربوية والنفسية إلى أن الشخص المنحرف عندما يرتكب أفعالاً جانحة؛ فإنه يكون حينئذٍ مخلصاً للمبادئ التي تملئها عليه ثقافته، وهي تشير إلى وجود معتقدات تتطلب ارتكاب الأفعال الجانحة، التي تتولد من تبنى مجموعة من الأفكار تبرر الجنوح والأفعال الجانحة، وقد أشار علماء النفس وفقاً لنظرية الضبط الاجتماعي؛ إلى أن غياب التأثير الفكرى السليم الذى يشغل العقول هو الذى يؤدى إلى الجنوح الفكرى، وأن وجود مثل هذه الأفكار كفىل بأن يجعل الشخص مؤهلاً لارتكاب ما تملئها عليه معتقداته.

## السلوك الانحرافى:

يُعرف علماء الاجتماع السلوك الانحرافى بأنه: ذلك السلوك الذى لا يمتثل للتوقعات الاجتماعية. وقد حددوا الدور الذى يقوم به عالم الاجتماع تجاه السلوك الانحرافى، والمتمثل فى تفهم أساس استهجان الناس لهذا السلوك، والوقوف على أسبابه، ومعرفة نتائجه، والمعيار الذى يمكن من خلاله تحديد السلوك الانحرافى فى المجتمع؛ والأصل كما قال العلم: إن ما يؤدي إلى القلق وانعدام الطمأنينة هو الذى يعتبر انحرافاً فى المجتمع<sup>(١)</sup>.

إن السلوك الانحرافى يعتبر فعلاً اجتماعياً يرتبط بالظروف التى تتبع من التنظيم الاجتماعى، والتى تولد السلوك الانحرافى، أى أن علماء الاجتماع يعنون بذلك أن السلوك الانحرافى بوصفه ظاهرة اجتماعية ينتج عن سلوك آخر، وهكذا هى الظواهر الاجتماعية تتوالد من بعضها البعض، ويحدد توجهها مدى التناغم أو التنافر بين السلوكيات المتوالدة، وهذا المعنى يقود إلى أن أى ظاهرة انحرافية نحتاج فى دراستها إلى الإمعان فى السلوكيات الاجتماعية التى تتصل بها، بهدف الوصول إلى التسلسل الذى تولدت عنه، ومن ثمّ الشوائب التى شابته تلك السلوكيات، وسنضع لها ما يُعيننا على إعادة التناغم بينها، حتى تتولد فى النهاية سلوكيات سليمة بعيدة كل البعد عن الانحراف فى ظواهرها.

وقد اعتنى هذا العلم بالقضايا التى تمس الشباب، وذلك بصفتهم أهم فئة فى المجتمع، وكانت عناية هذا العلم نابعة من الحاجة الملحة للعمل على ضرورة إنشاء جيل يخدم أمته، ويناضل من أجل بنائها ودعمها، ووضع بعض الحلول التى تحول دون وقوع الشباب فى الأزمات التى تضيع مستقبلهم.

وتُعانى الدول على اختلاف أيديولوجياتها من ظواهر الانحراف والتطرف والإرهاب، والتى أفرزتها الاتجاهات الفكرية المعادية، محاولة الوصول إلى أهداف إستراتيجية مؤداها السيطرة على توجهات هذه الدول اجتماعياً وسياسياً، وتفاوتت الدول فى مدى تأثرها بهذه الأفكار والاتجاهات، فمنها ما يؤهلها رصيدها الثقافى والحضارى والدينى لمجابهة هذه الأفكار والمعتقدات، ومنها ما يسهل التأثير عليها تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

## آليات المواجهة:

تهدف المؤسسات التعليمية إلى نشر المعرفة وتطويرها، والإسهام في تقدم الفكر الإنساني، وكذلك القيام بالبحث العلمي وتشجيعه وتوظيفه في مواجهة تحديات المجتمع، وحل مشكلاته، كما أن ترجمة رسالتها في مخرجات فاعلة يحتاج إلى بيئة آمنة، ومناخ تعليمي واجتماعي يشجع على إطلاق طاقات الطلبة وصقل شخصياتهم، مما يساعدهم على تحمل المسؤوليات الملقاة على عواتقهم باعتبار الشباب أدوات التغيير وفرسانه<sup>(٣)</sup>.

ولضمان تحقيق مؤسسات التعليم لرسالتها في قيادة حركة التغيير الاجتماعي المنشود، فلا بد أن تنطلق من وعى عقلاني بالتغيرات الجذرية التي ينبغي إحداثها، مما يتطلب تقييم الواقع التربوي، وتحديد نقاط الضعف فيه، ومقاربتها القومية والعالمية<sup>(٤)</sup>.

وتعد فئة الشباب في أي مجتمع عُدته الأساسية نحو مستقبل أفضل، فضلاً عن كونه صاحب هذا المستقبل؛ فهو الرصيد الحقيقي للوطن؛ ومخزونه الثمين من رأس المال البشري، وهو العنصر الأكثر أهمية في عملية التخطيط لمستقبل أي مجتمع يطمح إلى الرقي والتطور، كما أنه قوة ذات وزن لا يستهان بها بين القوى الاجتماعية الأخرى، وهذا الشباب لا يوجد في معزل عن مجريات الحياة من حوله؛ لذلك فإن دوره يؤثر في هذه المجريات ويتأثر بها بما قد ينعكس على سلوكه، وأخلاقياته، وشكل علاقاته الاجتماعية، وانتماءاته، وهنا لا بد من تحديد آليات لمواجهة هذا التطرف والإرهاب، ومنها ما يلي:

## أولاً : آليّة الأمن الفكري

والأمن الفكري هو إحساس المجتمع بأن منظومته الفكرية، ونظامه الأخلاقي الذي يرتب العلاقات بين أفراد داخل المجتمع ليس مهدداً من فكر وافد، سواء من خلال غزو فكري أو سياسات مفروضة، فنحن نحتاج إلى ثقافات الشعوب لنأخذ منها ما يتوافق وقيمنا وعقائدنا وثوابتنا وأخلاقنا، ونحتاج إلى نشر ثقافتنا ليستفيد منها الآخرون<sup>(٥)</sup>.

فالأمن الفكري مسؤولية اجتماعية تقع على عاتق جميع المؤسسات المجتمعية المختلفة، ابتداءً بالفرد، ثم الأسرة، ثم المدرسة، فالجامعة، ووسائل الإعلام، وبقية المؤسسات المجتمعية الأخرى، وهو من أهم وأخطر أنواع الأمن ، فهو بمثابة الرأس من الجسد لما له من صلةً بهوية الأمة وشخصيتها الحضارية، وهو لب الأمن وركيزته الكبرى لأنه يتعامل ويختص بأعظم ما في الإنسان، وهو عقله وفكره، فالأمن على العقل يعنى ضمان أدائه لوظيفته المتمثلة في التفكير، وما يرتبط به من عمليات عقلية، وهذا يعنى أنه لا يجوز إعاقته عن أداء هذه الوظيفة بأية صورة من الصور؛ ذلك أن العالم يتعرض إلى غزو فكري وثقافي يقتضى تأمين وتحصين العقول<sup>(٦)</sup>.

وتتبع أهمية الأمن الفكري من ارتباطه الوثيق بصور الأمن الأخرى، ومن علاقته الوظيفية بها، حيث إن الاختلال في الأمن الفكري سيؤدى إلى اختلال في جوانب الأمن الأخرى دون استثناء، مما ينتج عنه انحرافات سلوكية تهدد الأمن والاستقرار بالمجتمع.

وتعانى كثير من الدول من ظواهر الانحراف والغزو الفكري والأخلاقي، التي هي إفرازات لاتجاهات فكرية معادية تحاول الوصول إلى أهداف إستراتيجية، بقصد السيطرة على توجهات تلك الدول من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية<sup>(٧)</sup>.

وللشباب اليوم ثقافة ذات طبيعة عالمية تشكل منظومة القيم وموجهات السلوك في أى مجتمع، وتنطلق من حاجات الشباب ووضعهم في المجتمع ومدى إحساسهم بمشكلاته؛ لذا فإن هذا الوضع ينطوى على خطورة استغلال هذه الخصائص لدى الشباب من قبل جماعات إرهابية، حيث يمكن اختطافهم عبر مؤثرات ثقافية واجتماعية، وهنا يكمن الخطر إذا لم يستفد المجتمع من هذه الخصائص فى توجيه الشباب وحشدهم فى البناء والتنمية والتطوير المتوازن، وإذا لم تعمل منظمات المجتمع ومؤسساته على إشباع احتياجاتهم والاستماع إلى مقترحاتهم .

## خطورة الفراغ الفكري وأسبابه :

يواجه الشباب اليوم فراغاً فكرياً كبيراً، تسببت فيه وأوجدته عوامل عدة، تفترق أو تجتمع فى الحالة الواحدة، وتتنوع أسبابه ما بين عوامل خاصة وعامة، فالظروف التي يعيشها كثير من الشباب

الآن مثل: الفشل في الدراسة، أو عدم إتمامها بسبب الظروف الاقتصادية، أو عدم وجود فرص عمل أمام الشباب؛ مثلت عوامل مهمة في إحداث فراغ كبير في حياة الشباب .

وهناك مظاهر ودلالات كثيرة تدل على الفراغ الفكري الذي يعانيه قطاع لا يستهان به من شباب المجتمع اليوم، قد تكون هذه المظاهر سلوكية تظهر في سلوكهم، أو فكرية تتضح في فكرهم، أو حتى عملية تظهر في ممارسة الحياة العملية، فالشباب الفارغ فكرياً يتسم بالسطحية في المناقشة وعرض الأفكار، كما يظهر فراغ الفكر في عدم الموضوعية في تناول المواضيع الجادة ذات الشأن، كما أنه تغيب عنه الرؤية العلمية والمنهجية في الحياة، وفي نفس الوقت يقرأون ويطالعون ويتصفحون كل ما يقع في أيديهم من كتب مختلفة الرؤى والأفكار دون القدرة على تمييز النافع من الضار، والغث من السمين<sup>(٨)</sup>.

إن من المظاهر الخطيرة للفراغ الفكري: هو كثرة الانتقال من مذهب فكري إلى آخر دون إعمال عقل أو تدوير أو تمحيص رأي، بسبب عدم تحديد احتياجات الشباب المقنعة. ومن مظاهره أيضاً: الشعور بالملل والاكتئاب المستمر، والإسهاب في عرض قضية ما، وذلك بالتركيز على الجزئيات الضيقة دون النظر إلى كليات القضايا والأمور.

فالمجتمع اليوم يمتلك في بنائه قوة من قواه الأساسية وهي "الشباب"، وهذه القوة يتم بلورتها وصقل شخصيتها وبنائها الفكري في هرم التعليم ، فإذا ما استطاع المجتمع أن يوظف هذه القوة بشكل ملائم وفعال، واستثمر فكرها وطاقاتها على نحو سليم؛ كانت القوة إيجابية وبناءة، واستطاعت أن تمارس أموراً بشكل صحيح، مما يؤدي إلى تحديث المجتمع والنهوض به نحو مستقبل أكثر رفاهية واستقراراً، أما إذا ما فشل المجتمع في استيعاب قوة شبابه وإمكاناته التي لا حدود لها؛ فإنه يصبح مهدداً بالعديد من الظواهر التي تهدد أمنه واستقراره وتوقفه عن تحقيق التنمية، هذا فضلاً عن احتمالية أن يصاب المجتمع بالفوضى، وتتبدد طاقاته في التصدي للعديد من الظواهر السلوكية المرضية التي قد تشيع في بنائه الاجتماعي بصورة عامة، وبين الشباب بصورة خاصة .

فالخطورة تكمن في المخزون الفكري الذي يحضره الطالب معه إلى الجامعة، حيث تكون المؤسسة التعليمية إما محطة تصحيح وتغيير لكل ما تعلمه الطالب من مدخلات فكرية وثقافية أو معرفية في المراحل التعليمية، وإما تكون مسيرة تكمل ما تم بناؤه معرفياً وفكرياً قبل ذلك .

ويواجه المجتمع اليوم ويتعرض لاختراق ثقافي من قبل الثقافات الوافدة، وذلك من خلال البرامج المتنوعة في مضمونها وأهدافها التي تتطوى عليها الثقافة الوافدة، وتبث إلى المنطقة العربية عبر الأقمار الصناعية<sup>(٩)</sup>.

والحياة الثقافية فى المجتمع قد تأثرت بعملية الصراع مع الثقافات الأجنبية من جهة ومع الواقع الحالى للعالم العربى من جهة أخرى، دون أن يكون هناك بديل واحد يحول دون حدوث هذا الصراع، الأمر الذى أدى إلى حدوث خلل فى تحقيق الحماية الثقافية للمجتمع، والذى أحدث نوعاً من الفراغ الفكرى والثقافى والحضارى فى المجتمع .

والأمن الفكرى يقوم على حماية المنظومة العقائدية والفكرية والثقافية والأخلاقية والأمنية للفرد والمجتمع، بما يكفل الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذى يشكل تهديداً للأمن بجميع مقوماته<sup>(١٠)</sup>، والأمن الفكرى يحمى الفكر، ومقومات الهوية الفكرية، ومكونات الذات الحضارية، بل نمط الحياة الذى يعبر عن طبيعة الفكر؛ لأن غياب قدر معتبر من التحصين الفكرى يجعل مركز الذات ينتقل إلى الآخر، وهو ما يقود تدريجياً إلى حالة من الاستتباع والحقاق الفكرى بالآخر، ويجعل الذات أو بقايا الذات تتحول إلى الآخر؛ وعندئذ يتشكل الفراغ الفكرى<sup>(١١)</sup>، ويواجه الشباب اليوم فراغاً فكرياً كبيراً تسببت فيه عدة عوامل، وتتنوع أسبابه بين عوامل عامة وخاصة<sup>(١٢)</sup>، وهى:

#### الأسباب العامة:

- انتشار الجهل وانصراف الناس عن العلم، وفى هذه الحالة يسود المجتمع خليط من الأفكار الفاسدة، والخرافات، والتصورات ، ويصبح المجتمع مهيناً لكل فكر ضال .
- الفوضى الفكرية، حيث تنتشر المعارف وتقوى حركة التعليم، مع اختلاف مشارب الأفراد الفكرية ، وعندها ينقسم أبناء المجتمع الواحد إلى طوائف؛ كل طائفة تسير خلف فكرة ومبدأ.

#### الأسباب الخاصة:

- أسباب توجد فى نفوس الشباب بلا تدخل من أى مؤثر خارجي، وذلك وفق مرحلة النمو العمرى وتغيراته فى البناء النفسى للشباب، وهى تتسبب فى فراغهم الفكرى، مثل: عدم وجود ثوابت فكرية لديهم، أو فهم واضح للحياة وطبيعتها ومشاكلها وتفاعلاتها المختلفة؛ مما يجعلهم غير قادرين على تحديد احتياجاتهم الفكرية، ومن ثم السعى لتلبيتها.
- عدم وجود رؤية واضحة عند الشباب للمستقبل، أو وجود أهداف لتحقيقها؛ مما يجعله يدخل فى دوامة حيرة فكرية، وتدور فى رأسه إشكالات عديدة، مثل: ماذا أقرأ؟ ومن أصاحب؟ ومن أتابع؟! ويضاف إلى تلك المشكلات التخصص الأكاديمى الضيق، فكثير من الشباب حد علمهم ومنتهاه قاعة الدراسة، والمراجع الأكاديمية المتخصصة، مما يتسبب فى ضعف الأفق العلمى وسطحية المنهج الفكرى.



وتتسبب كثير من الأسر فى صناعة فراغ فكرى كبير لدى أولادها؛ إذا لم تحسن تربيتهم ورعايتهم وتنشئتهم على أسس علمية وإسلامية صحيحة، فى الوقت الذى كثرت فيه الاختلافات الفكرية والاضطرابات المنهجية، فضعف التربية الأسرية، وعدم قيام الأسرة بدورها فى تحصين أولادها علمياً وسد نهمهم الفكرى؛ يحدث فراغاً كبيراً عندهم مما يجعلهم يسعون لسد هذا النقص الفكرى والاحتياج المعرفى، وهنا تكمن خطورة عدم القدرة على تمييز غث الأفكار والمناهج من سمينها.

وتتحدد الأسباب الاجتماعية فى عدم قيام بعض المؤسسات الاجتماعية بدورها تجاه الشباب، مما يخلق عندهم فراغاً فكرياً فىكون السعى لسده فردياً، وذلك عندما لا تحتوى مناهج هذه المؤسسات على مناهج تلبى احتياجات الشباب حسب أعمارهم وجنسهم، كما يتسبب ضعف المناهج كثيراً فى تخريج أنصاف متعلمين؛ مما يجعل تأثرهم سهلاً بأى فكر وأى منهج. إن من أسباب الفراغ الفكرى: الجهل الناتج عن الأمية الفكرية، وعدم وجود التوعية الأبوية الكافية منذ الصغر، وعدم المبالاة بالأحداث التى تجرى حوله والاستفادة منها، وعدم وجود مناعة فكرية تقى العقول من الغلو والإفراط الفكرى<sup>(١٣)</sup>.

ويشير البعض إلى أن من أهم أسباب وعوامل الفراغ الفكرى ما يأتى :

- **الفقر**: الذى يخيم على بعض البيوت، والذى قد يدفع الشاب الذى لا يجد فى البيت ما يكفيه من غذاء ونفقة وكساء إلى ترك البيت بحثاً عن متطلباته، فتتلقفه أيدى السوء والجريمة، فيتجه إلى الانحراف .

- **الشقاق بين الوالدين** : وهو من الأسباب الرئيسة التى تؤدى إلى الانحراف ، مما يدفع الشاب إلى ترك البيت والبحث عن رفاق يفضى لهم ويقضى معهم أوقاتاً مريحة، فإن كانوا قرناء سوء فإن انحرافه سيتأكد<sup>(١٤)</sup>.

- **وقت الفراغ** : حيث لا يجد الشاب ما يشغل فكره من متع وهوايات مفيدة فيتجه إلى قرناء السوء الذين يحشون رأسه بأفكار مسمومة.

- **رفاق السوء** : ويتأكد ذلك إذا كان الشاب ضعيف العقيدة، متميع الخلق، فسرعان ما يتعلم منهم أخط العادات، وأقبح الأخلاق.

- **سوء المعاملة الوالدية** : أجمع علماء التربية على أن الولد إذا عُوْمِل من والديه معاملة قاسية، وأدب بالضرب، والتوبيخ، والسب، والسخرية، فإن ردود أفعاله ستظهر فى سلوكه،

وظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله؛ الأمر الذي يدفعه إلى الانحراف الفكري والسلوكي.

- مشاهدة أفلام الجريمة والجنس: وهي من العوامل الخطيرة المؤدية إلى انحراف الشباب، فما يشاهده في دور السينما، أو على شاشات التلفاز من أفلام خليعة، وصور فاضحة، وقصص مثيرة للجريمة وغيرها، دون أى ضوابط أخلاقية؛ سوف تشجعه على الانحراف، لأنه سيكتسب مهارات وخبرات فكرية وسلوكية تشجعه على المحاكاة.

- انتشار البطالة: فالأب العاطل الذى لا يعمل ولا يجد المال لسد حاجات أسرته يعرض أفرادها لكل أنواع الانحرافات، وقد يدفع إلى السعى للحصول على المال بطرق غير مشروعة، إلى جانب شحنهم سلبياً تجاه مجتمعهم فيبيتون ناقمين على المجتمع، وهذا يؤدي إلى أشكال مختلفة من الإرهاب الفكري.

- تعاطى المخدرات : وتعد مشكلة تعاطى المخدرات من أهم المشكلات التى تسبب خطراً بالغاً يهدد أمن المجتمع؛ لما يترتب عليها من آثار سيئة، فالخمر والمسكرات والمخدرات موجهة بالأساس لإلغاء العقل، وتعطيل أعماله؛ مما يكلف البشرية فاقدًا بشرياً ومادياً يفوق ما تفقده أثناء الحروب، وعندما تنهار عوامل التربية السليمة يكون الانحراف ويتخلف النموذج الاجتماعى الواقعي، ويجد الشاب فى المخدرات باباً خلفياً لدخول حياة مصطنعة وهمية زائفة<sup>(١٥)</sup>.

- ضعف الوازع الديني: وقد يتعجب الكثير من الآباء من وجود ضعف الوازع الدينى عند أبنائهم، ويتساءلون عن كيفية تسلل ذلك إلى عقول أولادهم. والجواب: أن المدرسة المعاصرة وما بها من مناهج، ووسائل الإعلام وما تنبئه من برامج هابطة، بجانب الغزو الثقافى الفضائى بأشكاله وأنواعه، كل هذا وغيره من أسباب ضعف الوازع الدينى عند أولادنا<sup>(١٦)</sup>.

- الانحراف الخلقى فى الأسرة: ويأتى فى مقدمة العوامل المسببة للانحيار الخلقى والفكري، ويتمثل فى انحراف أحد الوالدين، أو أكبر الأبناء، أو أكبر البنات، والمقصود بالانحيار الخلقى هو انعدام القيم الروحية والخلقية، وفقدان المثل العليا، واختلال المعايير الاجتماعية داخل جدران المنزل، مما يجعل الحياة داخل الأسرة مجردة من معانى الشرف والفضيلة، وتصبح فيها الجريمة والانحراف وسوء الخلق أمراً عادياً، ولا يرى فيه أفراد الأسرة غصاصة، ولا يحسون فيه معنى الخطيئة.

ويمكن إيجاز أسباب الفراغ الفكري في الآتي:

- الفهم الخاطئ للدين؛ ولمبادئه وأحكامه .
- الإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها.
- الخطأ في إدراك حقيقة المثل العليا، وطبيعة المجتمعات الإنسانية، وأسلوب الإصلاح.
- الخطأ في تبسيط الأحكام وتعميمها، حيث ينتهي الأمر باليأس من إصلاح الوضع القائم، ويسود الوهم بإمكان التغيير بالعنف أو تنفيذ مخطط إرهابي.
- شيوع القمع والقهر بدلا من الحوار والاستماع الناقد على مستوى الأسرة والمدرسة.
- عدم وجود فرص العمل، وغموض المستقبل المهني والأسرى لدى الشباب.
- عدم وجود توعية دينية وإعلامية كافية.
- عدم وجود الحوار المفتوح من قبل رجال الفكر الديني لكل الأفكار المتطرفة.

#### **المخاطر المترتبة على ظاهرة الفراغ الفكري:**

لا شك أن الفراغ الفكري يؤثر بشكل أو بآخر على كل فروع الأمن، وإن من أهم مخاطر الفراغ الفكري أن أصحابه يعتقدون أن ما يحملونه من معتقدات وأفكار هو الأمر الطبيعي وغيره هو الخطأ، كما أن أولئك قد يصابون بمشاعر الغلو والكبرياء والتعجرف وإحساس اللامبالاة والسلبية المطلقة، ولذا صار لزاماً على المجتمع اتخاذ التدابير للعلاج منه، ومتابعته بدقة للتأكد من الشفاء التام منه<sup>(١٧)</sup>.

ولعل من أعنف المخاطر المترتبة على الفراغ الفكري، والتي تواجه المجتمعات عندما تكون غير محصنة ثقافياً وحضارياً: الكتب والمجلات والصحف، وغيرها من المطبوعات التي تفقد إليها من كل أنحاء العالم، بالإضافة إلى شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) التي صارت شعبيتها تزداد يوماً بعد يوم، بوصفها وسيطاً فعالاً في الحصول على المعلومات، وقد تتنوع مخاطر شبكة الإنترنت على الشباب العربي إلى<sup>(١٨)</sup>:

**مخاطر عقديّة:** حيث تزخر الشبكة بمواقع تروج للعقائد الباطلة والأفكار الهدامة، ونظراً لما يسود مرحلة الشباب من عدم استقرار نفسى فقد وقع بعضهم في حبال جماعات مشبوهة، ولعل من أشنع ما وصل إليه حال بعض الشباب: انتسابهم إلى جماعة تسمى نفسها (عبدة الشيطان).

**مخاطر أخلاقية:** وأبرزها ارتياد المواضيع المروجة للجنس من قبل الشباب.

**مخاطر نفسية:** وقد أفرز استخدام الإنترنت ظاهرتين متقابلتين:

– إدمان الإنترنت: ويعرف بأنه حالة من الاستخدام المرضي وغير التوافقي للإنترنت يؤدي إلى اضطرابات إكلينيكية، وهي ظاهرة قريبة من إدمان المخدرات والكحول، وينتج عنها بعض الظواهر مثل: ظاهرة التحمل؛ التي تعني: ميل المدمن لزيادة جرعة الاستخدام لإشباع ما كان يتطلب إشباعه لديه جرعة أقل، ثم ظاهرة الانسحاب؛ فكما يعاني المدمن أعراضاً نفسية وجسدية عند حرمانه من المخدر، فكذلك مدمن الإنترنت يعاني عند انقطاع اتصاله بالشبكة من التوتر النفسى والحركى والقلق.

– رهاب الإنترنت: وهي عكس الحالة السابقة، حيث يسيطر على صاحبها القلق من استخدام الإنترنت نظراً لخوفه من أضراره، ويتطور هذا القلق ليصبح في صورة رهاب يمنعه من الاقتراب من الشبكة واستخدامها، مما يعكس على دراسته أو عمله الذى ربما يتطلب استخدام الإنترنت .

**مخاطر اجتماعية:** مثل: فقدان التفاعل الاجتماعي، والتأثير على العلاقات والقيم الاجتماعية، إضافة إلى الإساءة إلى أشخاص بالتشهير والمضايقة، وهو من ضمن أسوأ عيوب الشبكة.

### **دور مناهج التعليم فى تحقيق الأمن الفكرى:**

تسهم بعض مناهج التعليم فى إعداد جيل من الخريجين ليست لديهم القدرة على تطوير معارفهم، وعلى فهم متغيرات العصر من حولهم، وعلى التفاعل بإيجابية مع هذه المتغيرات، وتقديم الخدمات التى يحتاجها المجتمع ووضع الحلول المناسبة لمشكلاته .

لذا فإن المشكلة تتمثل فى استخدام أساليب التدريس التقليدية الإلقائية فى تعليمهم وتدريبهم لطلبتهم، والتى تقوم على حشو أذهان الطلبة بالمعارف والمعلومات دون أن يكون هناك وعى بضرورة ربط برامج التعليم بالواقع المعيشي، مما يعنى إجهاد الذاكرة، واستهلاك العقل، وتعطيل إعمال الفكر، وذلك بنقل المعلومات لهم وحشو عقولهم بالمعلومة المجردة فقط، دون التركيز على تدريبهم على النقد أو التحليل المنطقى العلمى، أو حتى إكسابهم بعض الأساليب: كحل المشكلات، والتجريب، والبحث، والاعتماد على الذات بحيث يتم اكتشاف جوانب إبداعية فى شخصية الطالب، أضف إلى ذلك أن المحتوى لتلك المقررات التعليمية نظرى أكثر منه تطبيقي، وهى مقررات تقليدية غالباً ومفتقرة إلى الحداثة.

ونتيجة للمضامين الخفية التى تعكسها المناهج وتنقلها إلى عقول وأذهان المتعلمين بطرق غير مباشرة، قد تدخل عقولهم بعض الأفكار السلبية وتفسدها، أو قد تخرق وجدانهم بعض الآراء المتطرفة الهدامة فتكون السبب المباشر والرئيس فى اكتسابهم مفاهيم خاطئة وغير مرغوب فيها، كذلك قد ينتج عما تقدم اكتساب المتعلم اتجاهات مضادة وسلبية، وقد يشعر المتعلم بالاعتراب، فينعزل عن أقرانه وعن مجتمعه، أو تكون ردود أفعاله تجاه الآخرين عنيفة ومتهورة، ويعود ذلك

إلى افتقاره للتفكير السليم.

إن منهج التعليم من أهم المقومات لصناعة المتعلم، ومن خلاله يتم صقل فكر مخرجات الجامعة من الطلبة، أو إتاحة الفرصة لاختراجه؛ مما يستوجب إعادة النظر في مناهج التعليم القائمة والمتبعة حالياً، على أن تكون هناك عملية تقويم لهذه المناهج بصورة مستمرة، وبحسب المرحلة الزمنية للمجتمع، ومتغيراته، وتحولاته، ومتطلبات التكيف، ومعايشة المناهج والمتغيرات والتحولات من أجل مجتمع مستقر وآمن، مجتمع يرنو إلى التنمية المستدامة، والتي لا تتحقق إلا بهذين العنصرين: الأمن، والاستقرار. كما يجب على القائمين بعملية تقويم مناهج التعليم أن يضعوا في حساباتهم إكساب الطلاب خبرات ذات علاقة مباشرة بحياتهم الحالية وتوجهاتهم المستقبلية واستجاباتهم، وما ينبغي أن يحصلوه من معارف ومهارات، وما ينبغي أن يكتسبوه من قيم واتجاهات، على أن يتحقق ذلك في إطار المنظومة السياسية والأوضاع الاقتصادية للمجتمع.

**وحتى يتحقق الأمن الفكرى من خلال المناهج يجب مراعاة الآتي:**

- أن يستند بناء المناهج وتطويرها إلى فكر تربوى قوامه التعليم للحياة يعبر عن مرحلة التطور التي يجتازها مجتمعنا ثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، وعلمياً، وما يستجد على المجتمع من تطورات وتغيرات على المستوى المحلى والقومى والعالمى.
- الاهتمام بالأبعاد النفسية بوصفها عاملاً مؤثراً في بناء المناهج وتطويرها، وذلك من حيث سيكولوجية التعليم في ذاتها من ناحية، وسيكولوجية المتعلم من ناحية أخرى، مما يساعد على سلامة تقديم المعارف والخبرات كمًّا وكيفاً، مع اختيار الأسلوب الأمثل الذى يلائم كل مستوى من مستويات نمو المتعلم تربوياً.
- يجب ألا تكون المناهج بمعزل عن مجرى التطورات الحديثة العلمية المستمرة، وهذا يتطلب إثراء العمل الميدانى لدراسة الظواهر المجتمعية وتلافى سلبياته، وهذا الأمر يقع على عاتق مراكز البحث العلمى والسلطات التربوية، وبذلك تتوثق الصلة بين مختلف المستويات المعنية.
- الاهتمام بالمناهج التى تعمل على تكوين الشخصية السوية القادرة على خدمة الذات، والمجتمع، والتهيؤ للمشاركة فى حركة التقدم العلمى.
- تبصير الطلاب من خلال المناهج الدراسية بالتغيرات التى تحدث من حولنا، سواء فى المجتمع أم فى العالم ومدى تأثيرها على المجتمع.

## ثانياً: آلية الحوار التربوي

لا شك أن الحوار التربوي أمر ضروري وله أهميته، ذلك أن الحوار نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة ، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب، أى أن الحوار يتناول الحديث فيه طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة ، وقد لا يقنع أحدهما الآخر ، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً.

والحوار التربوي باعتباره آلية لمواجهة التطرف والإرهاب يتطلب أن ينتقل المعلم من مجرد كونه محاضراً إلى كونه مصمماً لبُنية تعليمية فعالة ومبدعة لطلابه وطالباته، بعيداً عن الرأى الواحد والفكر الواحد، وأن يقوم بدور الموجه والمرشد لطلابه، وأن يدير الحوار العلمى بين الطلاب كلما دعت الحاجة لذلك، وأن يحترم الرأى الآخر ، كذلك يتطلب بناء فريق عمل يبادر بالقيام بتبنى أساليب الحوارات التربوية داخل قاعة التدريس باعتبارها مزارع للفكر الديمقراطي، والاهتمام بثقافة إعادة هندسة السلوك التفاعلى من خلال الحوارات التربوية، وحيث يتقبل التنوع والتعددية باعتبارها مصدر ثراء، وتفهم ظروف الطلاب، ومراعاة أحوالهم، والتعامل فى ضوء واقع حياتهم، فلا يشق عليهم، أو يحملهم على ما لا يرضونه أو ما لا يطبقونه من أعمال ، ثم التزام المعلم بالنزاهة فى التصرف والسلوك والنية الحسنة حيال الطلاب، وضرورة توخى العدل والإنصاف فى المناقشات الصفية، ومنهجية الحوار التربوي ضرورة أساس لتشكيل العقل الناقد ، واستخدام الحوار التربوي، لأنه ينمى فاعلية إدارة الصف الدراسى بينه وبين طلابه حيث يسود التسامح وقبول الآخر، وأن يستخدم تقنيات الحوار التربوي التى تساعد على نمو قدرات التفكير الإبداعى لدى الطلاب، وتحقق البهجة والتسامح والحرية، وأن يخطط لكيفية أدائه للمقرر الدراسى؛ لأنه من محددات نجاح الحوار التربوي، مع مشاركة الطلاب له لتحقيق حرية التفكير والتعبير، وباستخدام أسلوب العصف الذهنى وحل المشكلات. كما ينبغى الاهتمام بالدور التربوي للمدرسة، وضرورة التركيز عليها فى مواجهة الإرهاب، باعتبارها إحدى المؤسسات التربوية التى تسهم فى تحقيق الأهداف النظرية للتربية، وضرورة علاج التهاون فى تدريس مقررات التربية الدينية، كذلك أهمية النشاطات غير الصفية، وإسهامها فى مواجهة ظاهرة الإرهاب، ويأتى فى مقدمتها: أنشطة جماعة التربية الدينية، والأنشطة الاجتماعية والثقافية، ومع ضرورة تعاون كافة المؤسسات الاجتماعية والتربوية مع الأجهزة الأمنية فى مواجهة هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة، وتأهيل معلمى المقررات الدينية وفق شروط ومواصفات تمكنهم من مراعاة المرحلة العمرية للطلاب، مع الاتصاف بالمرونة والانفتاح العقلي.

### ثالثًا: آلية لجان الأمن التربوي

والهدف من آلية لجان الأمن التربوي هو توعية الشباب بالمخاطر التي تحدى بهم، والمتمثلة فى الانحراف الفكرى، والوقوف فى وجه ظاهرة الإرهاب، كذلك تعزيز الأمن فى نفوس الطلاب والمعلمين فى جميع المدارس، وذلك وفق خطة مدروسة كل فى مجاله، ولا يقف الحد عند تأسيس هذه اللجان فحسب، بل يتخطى إلى المتابعة والإشراف على عملها، وذلك حتى تؤدى واجبها، وكل ذلك بهدف خلق الأمن الفكرى لدى الشباب ابتغاء حمايتهم من الفكر المنحرف وخطورته، ويمكن أن يكون ذلك من خلال معارض تحكى ما أصاب البلاد من الانحراف الفكرى والإرهاب، كما تقام المحاضرات، والندوات، والنشرات طوال العام الدراسى بهدف تحقيق الموجهات التالية:

— تربية الطلاب على احترام الحقوق العامة والضرورية لحفظها وحمايتها، وذلك لتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع.

— غرس القيم والمبادئ الوطنية لدى الناشئة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة فى عقولهم، وتقويم السلوكيات المعوجة.

— إشاعة روح المحبة والتعاون بينهم ، وتحذيرهم من الاختلافات التى تسبب الفرقة والبغضاء والتشاحن.

— إبراز الفكر الوسطى المعتدل، والتحذير من التيارات الفكرية والتوجهات السياسية ومصادر الإعلام المشبوهة.

— تعزيز السلوك الأمنى الصحيح، ودعوة الطلاب إلى الحفاظ على أمن الوطن ومقدراته ومكتسباته.

— توظيف التفكير النقدى بطريقة سليمة، وذلك حتى يكونوا مؤهلين للتمييز بين الحق والباطل، وحتى يزيد لديهم الإحساس بالمسئولية تجاه أوطانهم.

ويمكن متابعة تفعيل هذه الأهداف عن طريق لجان يقع على كل منها اختصاصات ومهام محددة تقرها اللجنة المركزية، وتقوم هذه المهام بالعمل على إعداد مشروع تربوى متكامل بقصد بناء فكر سليم لدى المتعلمين .

أما بالنسبة للطريقة التى تتعامل بها هذه اللجان، فهى تقوم على متابعة ورصد حالات التطرف الفكرى، ومن ثم معالجتها عن طريق المختصين فى كل لجنة حسب اختصاصها، وبالنسبة للحالات المستعصية، فتحال للجنة المركزية للتعامل معها من أفراد أكثر اختصاصًا وتجربة.

ومن أنشطة هذه اللجان: القيام بالتعاون مع رجال الأمن لمناقشة بعض القضايا الأمنية مع الطلاب، والعمل على تنظيم مختلف الأنشطة التى تعزز الولاء للوطن، كعقد مسابقة للشعر الوطنى،

أو طرح مسابقات لإعداد بحوث تبين خطورة الانحراف الفكري وتداعياته على أمن الأمة، وهكذا يتم العمل على خلق حلقات وصل بين كافة الفئات التي يمكن أن تخدم القضية، ويتم تنسيق الجهود بينها.

ولابد من إعداد القائمين على هذا العمل وتأهيلهم التأهيل الجيد، وذلك من خلال ورش تربوية لمناقشة الكيفية التي يمكن من خلالها العمل على التوجيه السليم للأنشطة، كذلك عقد عدة اجتماعات لمناقشة مختلف الأمور من أجل تطبيقها التطبيق الصحيح، وقبل ذلك ضرورة حُسن الاختيار للقائمين وذلك من خلال انتقاء عناصر مخلصه للوطن، ومعلنة للولاء الكامل لخدمته والعمل على صيانة مقدراته، وكذلك تفعيل دور أولياء الأمور بالمسئولية الملقاة على عاتقهم، والمتمثلة في العمل على إيجاد الحصانة لأبنائهم حتى لا يقعوا في التطرف الفكري، والحث على ضرورة متابعة الارتقاء والتطور للأفكار التي ينتهجها الأبناء.

إن العمل على التوجيه نحو التفكير الإيجابي أحد المرتكزات التي تقوم عليها منظومة العمل، ولا شك أن في ذلك وقاية من الانحراف الفكري، وهذا التوجيه سيعزز لدى الطالب روح المسئولية عن وطنه، ثم يقومه ليكون عنصرًا فعالًا في بنائه، ومن أهم السبل التي تنمي التفكير الإيجابي في عقول الشباب إحياء فلسفة الحوار الهادف في نفوسهم، فبه تطمئن النفوس، وتتصلح ديناميكية التوجه، لدى من أنبتت لديه الفلسفة الصحيحة للحوار البناء الذي يعتبر الأساس في بناء العقلية السلمية البعيدة عن الغلو والتطرف.



### رابعاً: آلية تنمية قيم الانتماء والولاء

وهي آلية لها أهميتها الواضحة في مواجهة التطرف والإرهاب في نفوس الشباب في مراحل التعليم المختلفة.

إن الانتماء والولاء للوطن هو شعور الفرد بانتسابه لوطنه وحبه له، واستعداده للدفاع عنه ونصرته في كل المجالات، والعمل على مصلحته والولاء له، مع الاقتناع بأن هذا الانتماء والولاء لا يتعارض مع انتمائه وولائه لدينه مطلقاً، وللانتماء والولاء بعدان هما:

— **الأول:** حب الوطن والعمل على تحقيق مصلحته؛ وهو شعور قلبي يكنه الفرد تجاه وطنه في كل أحوال الوطن، مهما كانت حالته السياسية والاقتصادية، وهو يرتبط في وجدان الإنسان بذكريات طفولته، ومرحلة صباه وفترة شبابه، وهي ذكريات عزيزة غالية، ومن أهم مظاهر الانتماء وحب الوطن: تقديم المصلحة العامة على الخاصة، والسعى في كل ما يعمل على تقدمه ورفعته وحماية منجزاته، واحترام رموزه الوطنية من راية (علم) ونشيد وطنيٍّ ومحافظة على التراث .

— **الثاني:** الدفاع عن الوطن وصون سيادته وأراضيه؛ أي الدفاع عن الوطن ضد العدو، فالدفاع عن الوطن واجب ديني، ويعمل الولاء للوطن والدفاع عنه على حماية الوطن من عوامل الإرهاب والتخريب وغيرها، فالانتماء الوطني بمثابة ضمير داخلي يرشد الفرد إلى ما فيه صالح وطنه ونصرته. إن الدين لا ينكر الانتماء للوطن بل يذكّيه، فالانتماء للوطن هو أحد دوائر الانتماء التي ينتمي إليها كل فرد، وهذا ليس معناه أن هناك تعارضاً بينه وبين غيره؛ فدوائر انتماء الفرد عديدة، وهي: أسرته وعائلته ودينه ووطنه، والإسلام أول من أرسى دعائم الانتماء والولاء للوطن عندما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة قال ﷺ: " **والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إلىي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت** " فهذا يدل دلالة خاصة على ارتباط الإنسان بالمكان الذي نشأ وتربى فيه، والانتماء للإسلام ليس ضد الانتماء للوطن، فالإسلام دين الوفاء، ومن بين ما ينبغي الوفاء له الوطن؛ فهو الأرض التي تربى فوقها الفرد، ولذلك فإن حب الوطن من صميم تدين الإنسان.

ومن ثم يتضح أن الانتماء للإسلام لا يخرج الإنسان من دائرة الانتماء الوطني، بل يوجب عليه الدفاع عن هذا الوطن ضد العدو، ومن ثم فادعاء المتطرفين والتكفيريين بأن الانتماء للإسلام بديل عن الأخوة الوطنية جهل وتلبيس وهو ادعاء باطل، كما أن ادعاءهم البراء من كل ما عداه، وعدم الاعتراف بالحدود الجغرافية والسياسية للوطن أكنوبة .

### خامساً: آية الوسطية والاعتزان

وهي آية مهمة لمواجهة الإرهاب والتطرف باعتبارها آية تربوية، والوسطية تعنى الاعتدال والاعتزان بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفریط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية هي العدل والطريق الوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة، لذلك وصف الله تعالى الأمة بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وهذا الوصف موجه لجميع الأمة، بحيث لا يميلون نحو الإفراط والغلو المذموم في الدين أو التفریط والإخلال بشيء مما هو من الدين، وهذا يعنى أن الله تعالى قد حدد للمسلمين منهج الحياة ودستورها في أمور الدين والدنيا.

وقد اقتضت وسطية الإسلام أن يبين الله عز وجل للإنسان الخير والشر عن طريق ما أكرمه به من العقل والحواس، ويتضح في الفكر والتطبيق، ويقع بين التكليف والاستماع دون أن يكون بينهما صدام، كما اقتضت الوسطية المزج بين العقيدة والعبادات والمعاملات والقيم الإنسانية المتفق عليها، كما أنها تلتزم بالثابت وتراعى المتغير في المعايير التي جاء بها الإسلام باعتبارها منهجاً ربانياً، وأصبحت موجّهات للسلوك ومرجعاً لأحكامه في كل ما يصدر من أقوال وأفعال، وفي تنظيم علاقة الإنسان بالله والكون والمجتمع والدولة والإنسانية، ويُعدّ التزديد عليها غلوّاً وإفراطاً والانتقاص منها يعدّ تقصيراً وتفریطاً.

لقد حرم الإسلام الغلو والتطرف في الدين؛ لأنه يتنافى ووسطيته التي وصف الله بها أمته، حيث إن التشدد أو التطرف ينطوي على عيوب، من أهمها: أنه يتنافى مع طبيعة البشر، فالله تعالى يقول: ﴿لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، والله أعلم بالطبيعة البشرية التي خلقها، وأعلم بما يصلح لها، فالغلو والتشدد لا يصبر عليه الناس، ولذلك يقول الرسول ﷺ: "يا أيها الناس، عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل"، ويقول الرسول ﷺ: "ياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين"، وقال ﷺ أيضاً للإمام الذي أطال بالناس في الصلاة: "أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم صلى بالناس فليتجز؛ فإن منهم المريض والكبير والضعيف وذا الحاجة". لذلك يقول الرسول ﷺ في المتشددين "هلك المتطعون، كررها ثلاثاً" أي هلك المتجاوزون الحدود أقوالاً وأفعالاً، لأن الإنسان لا يستطيع أن يتحمل المغالاة طويلاً؛ فيصيبه الملل، ولذلك لا يمكن أن يقبل من الإنسان أن يشدد على أن يلزمهم به (١٩).

### سادساً: آلية التقييم الذاتي

وهي تُعدّ آلية تربوية ترتبط بالمنتج التعليمي وهو المتعلم، حيث إن التقييم الذاتي يستند إلى الاستدلال العقلي لتقييم المواقف، ويساعد المتعلم على اكتساب مهارة التمييز بين الصواب والخطأ، حيث يمكنه ذلك من خلال استخدام مصادر علمية موثوق بها وكذلك كل ما لديه نقد المعتقدات والقيم والتجارب والخبرات خلال عملية المحاكمة، بحيث يطور معايير الحكم على مصادفة ذلك للوصول إلى حكم قيمى صحيح .

ومعنى ذلك أن آلية التقييم الذاتى هي مجموعة من الإجراءات والخطوات التى يستخدم فيها الاستدلال العقلي، من خلال فرز وتمحيص الأدلة المؤيدة والمعارضة للقضية المطروحة من عقائد الفكر المتطرف والتكفيرى؛ من أجل إصدار الشاب حكماً عقلائياً قيماً لا دخل فيه لأحد، يتوصل من خلاله إلى تبنى قيم الوسطية والانتماء والولاء للوطن، ونبذ التطرف والتكفير واتخاذ العنف والإرهاب سبيلاً لتحقيق الأهداف أو الأفكار، وهذه الآلية تتكون من الخطوات التالية:

- تحديد وتوضيح القضية القيمية.
- جمع المتعلمين لأكثر عدد من الأدلة المؤيدة والمعارضة للقضية المطروحة.
- تقويم مدى دقة الأدلة التى تم جمعها وصحتها.
- اختبار المعيار القيمى لمعرفة مدى صحته ودقته للحكم بالحسن أو القبح على القضية المطروحة.
- إصدار الحكم القيمى على الموقف المطروح .

وتتحدد أهمية استخدام التقييم الذاتى فى أنه يهتم بتحسين الشباب من قيم الفكر المتطرف والتكفيرى، ومن ثم كان لابد من التركيز على تقويم القيم السلبية لهذا الفكر المتطرف من الشباب أنفسهم دون تدخل، حيث تزيد خبرتهم ومعرفتهم بالقواعد العقلية والمنطقية التى من خلالها يستطيعون الحكم، وهو بذلك يركز على المعايير العقلية التى يعتمدها المتعلم للتعرف على القيم وتحديدها، فيتم التركيز على مؤشرات القيم من أهداف وتصورات ومشاعر ومعتقدات ونشاطات ومخاوف؛ فالتقييم الذاتى يقوم على استخدام المنطق فى تقييم المواقف حيث تكون الأحكام مستنبطة من بنية العقل.

ومن خلال الخطوات السابقة يتمكن المتعلم من أن يحاكم ويوازن ويقيس، ويقبل أو يرفض، ومن ثم يختار المنهج الوسطى وقيمه، فى مقابل البعد عن منهج الغلو والتطرف والتكفير وقيمه المتشددة، وسيختار السلام الاجتماعى والتسامح فى مقابل العنف وتمير الدولة، وسينحاز للوطن فى مقابل عدم الانتماء والولاء له، مما يترتب عليه نبذ العنف والإرهاب.

إن التقييم الذاتى يؤدي إلى التحرر من عبودية التحيز الطائفى وكل أشكال العبودية التى تفكك وتضعف بنيان المجتمعات، كذلك يؤدي إلى مقاربات تسهم فى خلق نظام قيمى إيجابى؛ للحد من سوء السلوك، والفحص لكل ما هو مفيد لمعنى وهدف الحياة .

### سابعاً: آلية التعليم

إن منظومة التعليم لا بد أن تتواءم مع متطلبات القرن الحادى والعشرين بأن تأخذ مجموعة من التحولات من حالة قائمة إلى حالة قادمة، وهي:

– التحول من الجمود إلى المرونة بتبنى فكرة التطوير المستمر فى سياق منظور إستراتيجى واضح، فالمرونة فى النظام التعليمى أساسية لمواجهة التغير المستمر فى معطيات الحياة داخلياً وخارجياً، وأساس الإدراك المتنوع وتقبل الاختلاف والتسامح مع الآخر.

– التحول من التجانس إلى التنوع فيما يقدمه التعليم للطلاب من خبرات، والأخذ بالتمييز بين الطلاب على أساس الفروق الفردية، والتخلى عن تبنى فكرة أن الطالب المتوسط هو النموذج الوحيد رغم تنوع القدرات وتنوع البيئات، حيث إن تبنى خاصية التجانس فى التعليم أنتجت نسخاً متكررة من المتعلمين يتم تشكيلهم فى أنماط جامدة، وتلك الصيغة معوقة للتنمية فى هذا القرن الجديد.

– التحول من ثقافة الحد الأدنى إلى ثقافة الإتقان والجودة، حيث إنه فى التقييم يكتفى فى التدريس والامتحان بتوافر ٥٠% من المعرفة والمهارة، وهو شرط النجاح فى كل مادة دراسية فى التعليم الجامعى وما قبل الجامعى، وتلك الثقافة للحد الأدنى تشير إلى أننا نؤمن بأنصاف المتعلمين، وهذا ما يرفضه الفكر التربوى الحديث فى عصر سريع التغير والتعقيد، وهو ما يتطلب : التربية التعويضية لمواجهة الصعوبات والمشكلات التى يواجهها الطلاب قبل التعلم، ثم التعلم العلاجى لما يواجهونه من مشكلات أثناء عملية التعلم؛ وعليه تصبح الامتحانات آلية للتشخيص لتفيد المعلم والمتعلم .

– التحول من ثقافة الاجترار إلى ثقافة الابتكار، حيث إن التعليم الآن يركز على المستويات المعرفية الدنيا والتى لا تتجاوز استرجاع المعرفة، والتى تأخذ بالحفظ الآلى أو الحفظ الأصم فى التدريس والامتحان على حد سواء، فى حين أن التربية للابتكار والإبداع لابد أن يكون لها الصدارة؛ لأن محض الاسترجاع هو أهم معوقات التنمية.

– التحول من ثقافة التسليم إلى ثقافة التقويم، ذلك أن التعليم الراهن يجعل الحقائق هى ما يقدمها الكتاب المدرسى أو ما يقدمه المعلم، وهكذا يفتقد الطالب والمعلم والإدارة المدرسية العقلية الناقدة الفاحصة، وثقافة التقويم التى يجب أن تسود جميع عناصر العملية التعليمية لمعرفة ما يتحقق من أهداف، وتوفير المعرفة التى تبنى عليها سياسة التخطيط والتنفيذ، فبالنقويم يمكن توفير التصحيح الذاتى وتصويب المسار.

– التحول من السلوك الاستجابي إلى السلوك الإيجابي، فهذا السلوك السائد في مؤسسات التعليم هو تراث لعصور التخلف، ويتمثل في التواكل والاستسلام، وضعف إرادة التغيير، والنظرة غير العلمية في تفسير الظواهر والأحداث المختلفة، ومن نتائجه: التعصب والتطرف، وعليه فنحن في حاجة إلى السلوك الإيجابي؛ حيث يكون المتعلم إيجابياً فعالاً نشطاً مشاركاً في كل مواقف الحياة.

– التحول من الاعتماد على الآخر إلى الاعتماد على الذات، فلا يجب أن يعتمد التعليم على النقلين حيث الكتاب المدرسي هو كل مصادر المعرفة والمكتبات ديكور تربوي، وعليه نحتاج إلى معلم ميسر للمعرفة يساعد على امتلاك مفاتيح المعرفة ومهارات الحصول عليها، ويدرب على التعلم الذاتي والتقويم الذاتي الذي يدفع المتعلم إلى المزيد من التعلم مدى الحياة، وعليه يجب أن يتحول الكتاب المدرسي من خلال الإشارات والتكليفات إلى القراءة خارج المقرر.

– التحول من التعليم محدود الأمد إلى التعلم مدى الحياة، ذلك أن التعليم مدى الحياة أحد مفاتيح القرن الحادي والعشرين، ولا بد من التدريب المستمر وإعادة التدريب وتحديث المعلومات مدى الحياة؛ استجابة لحاجات ومطالب المجتمع المتجددة دائماً، وحاجات سوق العمل المتغيرة دائماً. إن وضع التعليم في إطار المنافسة العالمية يتطلب الانتقال بالتعليم من ثقافة التحصيل إلى ثقافة التفكير، والاهتمام بتنمية مهارات التفكير الناقد، وتدريبها بوصفها مهارات عامة يجب تعلمها في المؤسسات التعليمية، واعتبارها محور بناء البرامج التعليمية، وهو أمر تفرضه طبيعة الحياة المعاصرة التي تزدهم بالتغيرات السريعة والمعقدة، بالإضافة إلى مطالب الحياة الديمقراطية، بل والاجتماعية والاقتصادية على حد سواء، الأمر الذي يفرض علينا تقديم مهارات التفكير الناقد بصفة عامة، ثم داخل كل مادة دراسية، وكذلك تدريب الطلاب على مهارات التفكير الناقد من خلال أنشطة المواد الدراسية، ومن خلال المناشط الحياتية.

إن التفكير الناقد يتمثل في فحص واختبار الحلول المقترحة لتحديد ما هو منها على صواب، وهو تفكير تأملي عقلاي يركز على تقرير ماذا نفع أو نعتقد، ويقوم على جمع المعلومات وتقويمها واستخدامها بكفاءة، بل هو فن التفكير في التفكير عندما يفكر الطالب ليكون تفكيره جيداً وأكثر وضوحاً ودقة، ويتمثل في طرح الأسئلة أو البحث من أجل الوصول إلى الفهم والتقييم، والحلول المتنوعة، وتقدير وجهات النظر المختلفة، وحل المشكلات، والتعرف على القضايا المركزية والعلاقات المهمة، مثل: كشف الغموض، وفحص الآراء، ووضع استنتاجات صحيحة، والتوصل إلى التعميمات من البيانات، وتفسير الافتراضات وتقويمها، والحكم على الدلائل

والبراهين، وتقييم القرارات، وتقييم عمليات التفكير، ونوع التفكير المستخدم في حل المشكلات والاستنتاجات المتكونة، وتقييم عمليات الاستدلال التي تؤدي إلى الاستنتاج الذي وصل إلى نوعية العوامل التي تتخذ في صنع القرار، وهو تفكير مباشر يركز على النتائج المرغوبة، والتحليل النقدي للمعلومات، إنه التمييز وحل المشكلات في المواقف غير المألوفة، وهو القدرة على التنافس والدفاع عن وجهة نظره بفاعلية، وهو بمثابة المهارات العقلية المنطقية والمهارات الخاصة بالاستدلال التفسيري والإستراتيجي والتوافقي، وهو القدرة على الاستنتاج وإدراك الافتراضات والاستنباط والتفسيرات وتقييم البراهين، ولا شك أن أية نتائج تشير إلى قدرة الطلاب على حل المشكلات مفتوحة النهايات، هي في جوهرها قدرة على التفكير الناقد.

### ثامناً: آلية المناهج الدراسية

تساعد آلية المناهج الدراسية في تطوير عقول الطلاب من خلال تقديم مهارات التفكير النقدي، ومن أهم مناحي هذه المناهج الآتي:

— إنها قدمت ثلاثة أنواع من التفكير الناقد، يدور النوع الأول حول التفكير الاستقبالي ومراحله، وهي: عرض المعلومات التي تتم في ضوء مهارات المقارنة والاقتراح والصيغة. ومرحلة الاختبار ومهارتها التحديد والتأكيد. ومرحلة تحليل إستراتيجية التفكير ومهارتها الوصف والمناقشة. ويدور النوع الثاني حول التفكير الانتقائي، ويدور النوع الثالث حول التفكير المقارن.

— إنها تعلم التلاميذ عمليات البحث في الظواهر، وتزودهم بمهارات الاستقصاء العلمي، وإبداء التساؤل والبحث عن أسئلة نابعة من رغبتهم في الاستطلاع، وهذا يعنى تعزيز البحث العلمي مثل الملاحظة وجمع المعلومات وتنظيمها وتحديد المتغيرات واختبارها، واستنتاج الحلول من خلال النشاط الذاتى الذى يتسم بالتفكير المنضبط والمنطقي، وتقبل الغموض فى المشكلات المختلفة، وتحتاج هذه الأنشطة أن يطرح التلاميذ على أنفسهم وعلى المعلم تساؤلات كثيرة، بعد أن يحول المعلم المادة الدراسية إلى مشكلات متدرجة، والمهم هنا هو أن التفكير الاستقصائى له مراحل أساسية، هي: مرحلة تقويم الوضع المشكل، ويتوقف اختيار المشكلة على خصائص المتعلمين. ومرحلة جمع المعلومات، ويتم الحصول على المعلومات بالأسئلة التى يوجهها التلاميذ. ثم مرحلة التجريب والتحقق من المعلومات، وتحقق هذه المرحلة مزيداً من المعلومات وتوجه عملية اختبارها، ويشجع المعلم التلاميذ على المزيد من التساؤل لتوظيف ما توافر لديهم من معلومات. ثم مرحلة التفسير، حيث يقدم التلاميذ تفسيرات علمية للظاهرة موضوع البحث.

— إنها تقوم على تقويم البراهين والأدلة الفلسفية، وتتبنى نماذج التفكير الواعي، حيث يكون التلميذ واعياً بالتفكير، وهو يقدم نموذجاً يقوم على تصور يشمل عدداً من أنماط التفكير، ويتضمن عدداً من المراحل المترابطة، وهي: البدء بحالة من الشك، عندما يواجه التلميذ الموقف المشكل ويتكون لديه هدف معين، ويبدأ العمل فى تحقيقه، ثم وضع المتعلم لعدد من الاحتمالات الممكنة لحل المشكلة، وهذه المرحلة هى مرحلة تقويمية ذاتية، يقوم بها المتعلم للتحقق من مدى قرب الحل من الهدف، ثم التحقق من خلال الأمثلة والمعارف حول البحث عن مدى واقعية هذه الاحتمالات، ثم تقديم الأدلة والبراهين للتحقق من نقاط القوة أو نقاط الضعف فى كل احتمال، وأخيراً وضع تقرير نهائى مرتبط بحل المشكلة المعروضة.

## تنمية مهارات التفكير الناقد:

والسؤال الذى يجب أن نلتفت إليه ونحن بصدد تنمية مهارات التفكير الناقد هو: هل نقوم بتعليم مهارات التفكير الناقد بشكل منفصل أم بشكل مترابط؟ إن هناك أكثر من إجابة أهمها: أنه يمكن تعليم أنشطة مهارات التفكير الناقد بشكل مترابط من خلال المقررات الدراسية، كما أنه يمكن أن نعلم التلاميذ بشكل مباشر مهارات خطوات التفكير الناقد من خلال مواقف مألوفة، ثم يقوم التلاميذ بعد ذلك بتطبيق تلك الخطوات فى مواقف غير مألوفة، إن هناك إستراتيجيات لتعليم التلاميذ مهارات التفكير الناقد، تهدف إلى إحداث نوع من التفاعل بين التلاميذ وهم فى مجموعات تعاونية، وتوجيه أسئلة مفتوحة النهاية ولا تحتوى إجابة واحدة صحيحة، وهذه الأسئلة تشجع التلاميذ على التفكير والاستجابة بابتكارية، مع إعطاء التلاميذ وقتاً كافياً ليتأملوا المشكلات والتساؤلات؛ لأن التفكير الناقد يحتاج وقتاً للتفكير والتأمل حيث يتضمن أحكاماً ومشكلات محيرة، ولانتقال تعلم المهارات إلى التفكير الناقد من خلال تمكن التلاميذ من تطبيق المهارات فى مواقف جديدة، مما يساعد على اكتساب خبرات أخرى جديدة.

وهناك إستراتيجية تعلم التفكير الناقد من خلال بناء الفئات التى تتناول طرح تساؤلات متعددة، فى ضوء إمدادهم بقواعد صريحة من أجل تصنيف المعلومات، وهذه الإستراتيجية بمثابة أداة استدلال واستنباط تساعد على تكوين المعلومات عن طريق اكتشاف القواعد أكثر من تلخيصها. وهناك إستراتيجية المشكلات التى تتيح الفرص للتلاميذ لتعرف المشكلات العلمية من خلال دراسة الموضوعات المقررة فى الدراسة، وفيها يعرض المعلم مشكلة على التلاميذ، ثم يطلب منهم تلخيصها من خلال تساؤل يعرضه عليهم، ثم تدور حلول حول هذه المشكلة، ويساعد المعلم التلاميذ بأسئلة عامة، مثل: هل هذا الموضوع أو هذا الموقف يشبه موضوعاً سبقته دراسته ومناقشته من قبل؟ وما المصطلحات أو المتغيرات التى وردت بالفعل فى هذه المشكلة؟ وهل تحتوى المشكلة على أجزاء من المعلومات التى يمكن تناولها كحل مؤقت للمشكلة؟ وهذه الإستراتيجية تستخدم مع تلاميذ يتعاونون.

وهناك برنامج التعلم بمساعدة الكمبيوتر، والذى يصمم من أجل تحسين مهارات التفكير الناقد، وهو برنامج يركز على بناء المهارات، مثل: التمثيل اللفظي والاستدلال المنطقي للمعلومات والمهارات الاستقرائية والاستنباطية للأطفال الصغار، أما برنامج التعلم بالكمبيوتر لتنمية مهارات التفكير الناقد لدى الكبار من خلال طلاب الجامعة فإنه يدور حول التفاعل بين المعلم والمتعلم، ويركز على تنمية مهارات ما وراء المعرفة والاستدلال.



وهناك برنامج يستخدم الكمبيوتر تم تنظيمه على أساس تطوير مهارات عقلية متدنية وصولاً بها إلى المستوى الأعلى، وقد أكد الاستدلال كـمكون مفتاحي وكـمـهارة للتفكير الناقد في إنجاز عملية التعلم، وتدريب المعلمين على هذا البرنامج هو العامل الأساسي لنجاحه؛ لأنه يهدف إلى تكوين معلم قدير، وهذا البرنامج بمثابة أنشطة يتدرب عليها المعلم، وهي فعالة في تنمية مهارات التفكير الناقد، ولكن تأثيرها يعتمد أيضاً على عوامل أخرى تتمثل في كيفية عملية التدريس، وعلى مدى مناسبتها للطلاب بوجه عام.

إن مهارات التفكير الناقد التي يتطلبها إعداد إنسان الألفية الثالثة هي: إيجاد المتشابهات من بين المعلومات، وتحديد مطابقة وصدق المعلومات التي تستخدم لحل المشكلة، وتقويم الحلول أو طرق معالجة المشكلة، وإيجاد معنى للعبارة، وتحديد الغموض أو الوضوح في المعلومات، وتحديد التناقض أو عدم التناقض في المعلومات، وتحديد جوانب الدقة في المعلومات والاستدلال عن المعلومات من مقدماتها، والاستدلال عن مدى ارتباط المعلومات بقاعدة ما، وتحديد مدى ثبات المعلومات، واستقراء مبررات صحة المعلومات، والحكم على وضوح المشكلات من عدمها، والحكم على كفاية افتراضات حل المشكلة، والحكم على مدى وضوح تعريف المشكلة، والحكم على تناول المشكلة لمعلومات حقيقية.

**ومن أهم مهارات التفكير الناقد اللازمة للمتعلمين:** التمييز بين الحقائق والآراء، وإصدار الأحكام والاستدلالات، وتقديم الحجج والأدلة والبراهين الموضوعية، وطرح الأسئلة وتوليد التساؤلات والتحليل والتركيب، والتوصل إلى الحلول، ثم التنظيم والتصنيف، وتحليل البيانات، والحكم على المعلومات، والتطبيق، وفهم المشكلات المختلفة.

**ومن أهم الإجراءات لتنمية مهارات التفكير الناقد؛ السير في الخطوات التالية على الترتيب:**

— النظر إلى المعلومات وتأملها ووضع عنوان لها، حيث يقوم المعلم بطرح الأسئلة ومطالبتهم بتحديد المعلومات الواردة في الموضوع.

— البحث عن أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بالمقارنة، وكشف العلاقات المتبادلة من خلال أسئلة يقدمها المعلم.

— إيجاد القضايا أو الموضوعات العامة من خلال التصنيف والتكامل والتلخيص، باستخدام أسئلة تنظم أفكار التلاميذ.

— الاستنتاج والاستدلال، حيث يسأل المعلم: ماذا نفعل؟

— الترميز والإجابة الصواب، حيث يسأل المعلم: ما إجابتك؟ ولماذا هي بهذا الشكل؟ وهنا

ينوجب تعزيز الاستجابات.

– الاستنتاج والتطبيق على المواقف المتشابهة، ويتم ذلك في مواقف جديدة، ويسأل المعلم عما تم تعلمه، ويقدم التلاميذ ملخصاً للدرس.

– التلخيص والتوصل إلى خلاصة ما تم تعلمه من الموضوع.

إن ما نؤكد عليه هنا هو وجوب الانتقال في مدارسنا من التحصيل الدراسي إلى التفكير الناقد، والتقنيات المتقدمة، والحرية المسئولة، وكلها لمواجهة التطرف والإرهاب.

### تاسعاً: آلية مفاهيم علم النفس الإيجابي

والآن لابد من عرض آلية مفاهيم علم النفس الإيجابي لتحسين الإنسان في مواجهة التطرف والإرهاب؛ ذلك أن علم النفس الإيجابي يبنى على الخبرات الذاتية ذات القيمة، مثل: القناعة، والرضا عن الماضي، والأمل والتفاؤل المستقبلي، والتدفق والسعادة في الحاضر. وعلى المستوى الفردي اهتم علم النفس الإيجابي بالسمات الفردية الإيجابية، مثل: القدرة على الحب والعمل، والشجاعة، ومهارات التعامل مع الآخرين، والحساسية للجمال وتذوقه، والمثابرة، والصفح، والأصالة، والذهنية المستقبلية، والروحانية، والموهبة، والحكمة. في حين اهتم هذا العلم على المستوى الاجتماعي بالفضائل المدنية، والمواطنة الأفضل، والمسئولية، والرعاية، والإيثار، والخلق الحميد، والاعتدال، والتسامح، والالتزام بمبادئ العمل الأخلاقية.

لكي تكون سعيداً أنت في حاجة لتشعر بالرضا عن ماضيك ومستقبلك، فالهدف الرئيس من التفكير الإيجابي رؤية الأمور من منطلق متفائل، بحيث لا تمنع التفكير في سلبيات ماضيك، عش لحظتك عندما تطلب منك الحياة ذلك، وخطط لتحسين مستقبلك، وبالرغم من تأكيد علم النفس الإيجابي على الجوانب الإيجابية؛ إلا أنه يعترف بالسلبيات وبالفشل والمآسى في الوجود الإنساني، بهدف التغلب عليها وإعادة بنائها بطرق أكثر إيجابية وإبداعية وتوافقية، كما أنه يتضمن تقييماً إيجابياً للذات والعالم والمستقبل، إنه الانتفاع بقابلية العقل اللاواعي للاقتناع بالأفكار الإيجابية، أو هو توجه عقلي يسمح للفرد بالتفكير بقابلية العقل للاقتناع بالأفكار الإيجابية، أو هو توجه عقلي يسمح للفرد بالتفكير في الكلمات والتصورات العقلية التي تؤدي إلى التقدم والنجاح، ولذا يتوجب عليك أن تنظر إلى الأمور والأشياء والمواقف نظرة إيجابية مفيدة، وتتوقع نتائج صائبة لكل عمل تقبل عليه، ولا تتوقف عند العوائق والعثرات بل تتخطاها وتستفيد منها في الحياة العملية والمهنية.

والسؤال الآن: من هو المفكر الإيجابي؟

**التفكير الإيجابي:** المفكر الإيجابي: هو ذلك الشخص الذي يتوقع حدوث الأشياء الجيدة، إنه يتوقع السعادة والنجاح، ويجد متعة في أداء كل عمل، كما أنه يستطيع أن يدرّب عقله على تخطي الأزمات، وتحويلها إلى فرص، ولديه القدرة على مواجهة تحديات الحياة بطرق سليمة، ويختار المفكر الإيجابي ما يتناسب معه بوعي، وينظر للجانب المضيء من الأمور، ويحب أن يكون في حالة رضا وتصالح مع ذاته، ويحب الآخرين، ويهتم بأحوالهم، ويقلق بشكل أقل، ويستمتع أكثر بالحياة، ويرى المفكر الإيجابي صعوبات الحياة وتعقيداتها ويعيش مصاعبها وهمومها مثل غيره، لكنه لا يدعها تحبطه فيستسلم لليأس ويعيش مع إخفاقه، ويذكر في هذا الصدد قول "إديسون" مخترع المصباح الكهربائي بعد التجربة الفاشلة رقم 999: " لقد علمت أن هناك 999 طريقة لا

تؤدي إلى اختراع الكهرباء"، فهو لا يسوغ فشل تجاربه بمفردات النقص والفقدان والقيود، والمفكر الإيجابي هو من تحركه أفكاره إلى الاتجاه الإيجابي، فما يطرحه عقله من أفكار يراها منعكسة في أدياته وأعماله، فالعقل الواعي عبارة عن جهاز استشعار يعمل بشكل فطري نحو كل ما يفكر فيه الفرد.

ويرى إبراهيم الفقى أن التفكير السلبي أخطر مما يتصور أى إنسان، فهو يجعل الحياة سلسلة من المتاعب والأحاسيس والسلوكيات والنتائج السلبية، مثل: الأمراض النفسية والعضوية، والشعور بالوحدة والخوف، فالتفكير السلبي - فى تصويره - مثل: عضه الثعبان، على الرغم من أنها مؤلمة لكنها فى حد ذاتها لا تسبب الموت، فالذى يقتل هو السم الذى يجرى فى العروق والدم، تمامًا مثل الفكرة السلبية، فهى فى حد ذاتها مجرد كلمات داخلية يستخدمها الإنسان، ولكن ما يجعلها خطيرة هو تكرارها وتخزينها حتى تصبح عادة يستخدمها الإنسان فى حياته فتسبب له متاعب ليس لها نهاية، والشخص الذى يفكر بطريقة سلبية لديه قدرة خيالية فى العثور على السلبيات فى أى شيء حتى ولو كان إيجابياً، فيبحث ويفكر فى السلبيات التى حدثت فى الماضي، ويقلق ويخاف من المستقبل، ويعيش الحاضر بأحاسيس واعتقادات سلبية تجعل حياته سلسلة من التحديات والمشاكل.

وهناك مجموعة يطلق عليها : المجموعة الفائلة، وهى: الدم، والنقد، والمقارنة، لتأثيرها السام على الفرد، فعندما يستخدم الفرد أى نوع من هذه الأنواع الثلاثة ينعكس ذلك عليه بسلبيات أسوأ من التى تحدث لشخص آخر، وفى المقابل هناك قوة ثلاثية تمثل جذور الاتزان والتفكير الإيجابي، ولو نقص أحدها يكون الإنسان عرضة للتفكير السلبي، وتتكون هذه القوة من: القرار، والاختيار، والمسئولية. إن معظم الأفراد يختارون أفكارهم وسلوكهم، سواء أكانوا مدركين لذلك أم لا، والاختيار لا يمكن أن يتواجد بدون القرار، فكل اختيار هو قرار بهذا الاختيار، وأيضاً كل قرار هو اختيار يختاره الإنسان، ولكن التحدى الأساسى يكمن فى تحمل المسئولية، فمن الممكن أن يدرك الإنسان أنه تعيس دون أن يعترف أن هذه التعاسة تعود إلى أفكاره واختياره الشخصى، ولكنه لا يأخذ مسئولية هذه الأحاسيس السلبية، وبالتالي يقع فى فخ اللوم والمقارنة والنقد .

كما أن التفكير السلبي يجعل الفرد يركز كل انتباهه على التحدى الذى يواجهه، ويبلغى كل الإيجابيات الموجودة فى حياته، ويكرر ما يركز عليه حتى يصبح اعتقاداً فيما يؤدي إلى نجاحه وإسعاده، ففوة الأفكار العقلية أكبر من الأحوال الخارجية.

فمن يفكر بطريقة إيجابية يُحرك القوى الإيجابية التى تأتي بنتائج صائبة، فالأفكار الإيجابية تحيط الفرد بمناخ ملائم لمثل هذه النتائج المرجوة، وعلى النقيض من ذلك فإن الأفكار السلبية تحيط

الفرد بمناخ يعمل على الوصول إلى نتائج سلبية، حيث إن توقع الأفضل يثير القوى الكامنة لدى الإنسان لتحقيق ما يتوقعه، وتحسن الأمور بالفعل عندما يتوقع الفرد الأحسن لا الأسوأ؛ لأنه يلقي بكل ذاته فيما يسعى إليه، ولا يسمح بوقوف حائل في طريقه تجاه ما يصبو إلى تحقيقه.

ولا بد على الفرد أن يرفض تقبل الإيحاءات السلبية سواء من قبل ذاته أم من قبل الآخرين ، ومن هذه الإيحاءات بعض الجمل الدارجة مثل : " أنت لا تستطيع"، "إنك لن تصل إلى شيء"، " لا يمكنك النجاح"، "أنت فاشل"، "الأمور تزداد سوءاً"، "ما الفائدة؟"، لا أحد يهتم"، هذه الإيحاءات السلبية تهدم الإنسان وتحطمه معنوياً وفكرياً ، ويمكن للفرد استخدام التخيل لرؤية إمكاناته الرائعة إذا اقترن ذلك بقوة الاعتقاد، وذلك من خلال رسم صور ذهنية في العقل يمكن تحقيقها بصورة ملموسة، والاعتقاد يدل على الإيمان بمفاهيم تتحكم في تواصل الفرد مع نفسه بصورة دائمة، وعندما يعتقد الفرد في شيء فإنه يؤمن به، وإذا تعامل مع هذا الإيمان بصورة فعالة حينئذ يمتلك القوة اللازمة لتسيير أمور حياته إيجابياً، إننا حين نحاول القيام بعمل نشك في قدرتنا عليه ، أول شيء يضمن لنا نتيجة هذه المغامرة هو إيماننا.

#### سمات أصحاب التفكير الإيجابي؛

وهناك عدة سمات يتسم بها أصحاب التفكير الإيجابي، وهي : التفاؤل؛ أى توقع نتائج إيجابية حتى أثناء مواجهة الصعوبات والأزمات . والحماسة؛ أى توافر طاقة إيجابية ودافعية عالية. والثقة فى النفس؛ أى الاعتقاد القوى فى القدرات والكفاءة الذاتية. والنزاهة؛ أى الالتزام الشخصى والصدق والمحافظة على المعايير الأخلاقية. والشجاعة؛ أى الاستعداد لتحمل المخاطر والتغلب على المخاوف. والمثابرة؛ أى السعى الدؤوب لتحقيق الهدف والقدرة على الاستمرار فى مواجهة تحديات الحياة . وتخطى الإخفاقات والانتكاسات والهدوء؛ أى الإيمان بالله تعالى فى قضاء الأمور، وأخذ الوقت الكافى للتفكير. وتحديد الأهداف؛ أى التركيز على تحقيق الأهداف؛ وترتيب الأولويات.

إن سمات المفكرين الإيجابيين تتمثل فى الآتى: يتحدون المشكلات، ويستمتعون بالحياة، وعقولهم متفتحة دائماً للأفكار والاقتراعات الجديدة، ولا يسمحون للأفكار السلبية باقتحام عقولهم، ويسلكون الطرق المستقيمة لا الملتوية فى قضاء أمورهم، ويقدرون النعم والعطايا الإلهية، ويطبقون الطرق الإيجابية فى حديثهم كاستخدام الجمل التفاؤلية، ويستخدمون لغة جسدية إيجابية كالابتسام والإيماءات المشجعة والأسماء الإيجابية، ويهتمون بتكوين تصورات ذاتية إيجابية عن أنفسهم، ولا يستمعون إلى الأشخاص الذين ينشرون الأكاذيب والشائعات.

إن هناك عدة طرق لتطوير توجه عقلى إيجابى لدى الفرد، وهي: التركيز الإيجابى على العناصر؛ أى عدم الاستغراق فى مشكلات الماضى حتى لا تصبح أكثر مما هى عليه بالفعل.

واستخدام اللغة الإيجابية؛ أى أن يذكر الإنسان نفسه دائما بأن أفكاره تتشكل من كلماته، لذا فهو يتجنب استخدام اللغة السلبية. وتقبل الأمور التى لا يمكن تغييرها؛ أى تقبل الأمور التى لن تسير بالطريقة التى خطط لها، وخاصة الأمور التى تكون خارج السيطرة وأكبر من قدرات الفرد. والتفاعل مع الآخرين والتواصل معهم؛ أى الالتقاء بالآخرين بشكل يجعل الفرد فى حالة أفضل، وخاصة إذا تخلل الضحك هذه اللقاءات، لأنه يقلل من حدة الإجهاد والتوتر والقلق، ويدعم العلاقات بين الأفراد ويجعلها أكثر ترابطا وقوة، فيصبح الفرد فى حالة أفضل. والمشاركة الاجتماعية؛ أى مساعدة الآخرين والإسهام فى النهوض بالمجتمع أو المشاركة بطريقة أو بأخرى مما يشعر الفرد بأنه أكثر إيجابية، ويمنحه مشاعر طيبة تشعره بالتحسن والرضا عن الذات، وتساعد الفرد على رؤية مشاكله من زوايا مختلفة. والحفاظ على التعلم؛ أى مواصلة التعلم وتحقيق الأهداف بصورة تمنح الطاقة، وتساعد على تواجد أفكار جديدة فى عقل الفرد، وتتيح الفرصة للتفكير فى الأشياء والنظر إلى المواقف بطرق مختلفة، مما يكون له تأثير إيجابى على حياة الفرد ككل. والامتنان؛ أى قضاء بعض الوقت يوميا للتفكير فى الأشياء التى تستحق الامتنان لها والتركيز عليها فى حياة الفرد، والتذكير بالنجاحات والإنجازات والأشياء الإيجابية التى تحدث فى حياته، والتى تشعره بتقدير الذات .

### تنمية التفكير الإيجابي لدى الآخرين؛

هناك بعض التقنيات التى يمكن استخدامها لتنمية التفكير الإيجابي لدى الآخرين، وهى :  
التحدث مع آخرين عن معتقداتهم، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أفكارهم لتعرف الطرق التى يفكرون بها، والرد المقنع عن الأسئلة حول النجاح والفشل، وتجنب الوقوع فى مسببات التفكير الخاطئ: كالتهويل، أو التهوين، أو المبالغة فى رد الفعل، ومساعدة الآخرين على رؤية الصورة الكبيرة لما يأمولونه فى المستقبل، وتحديد الخطوات اللازمة لتحقيق أهدافهم، وتعليم الآخرين كيفية مراقبة تقدمهم فى تحقيق الأهداف، ومساعدة الآخرين على تنمية الأفكار الإيجابية والتفاؤل حول نتائج تعلمهم فى المستقبل، والتشجيع على تحديد العوائق التى تحول دون تعلمهم وتطويرهم، واستخدام لغة إيجابية فى التعامل الأساسى، والثناء على ردود أفعالهم الصحيحة، والتشجيع على استخدام المفردات الإيجابية (مثل : أنا ناجح، أنا أنق بنفسي، لدى طاقة وقوة لأداء أى عمل).  
ووضع أهداف وتوقعات يمكن تحقيقها، بحيث لا تفوق قدرة المعلم أو التلاميذ، ونمذجة السلوك الإيجابى فى مواقف الحياة، والتشجيع على تحمل مسئولية قراراتهم وأفعالهم، وذكر الإنجازات والنجاحات التى تمت فى نهاية كل يوم مهما كانت صغيرة لدعم الشعور بالرضا الذاتى.

وهناك عدة خطوات يمكن اتباعها لإدارة الأفكار وممارسة التفكير الإيجابي، وهي: الوعي بالأفكار ومراقبتها، وتحديد الأفكار السلبية وتدوينها، وممارسة تمارين الاسترخاء، والتنفس العميق، والإيمان بأن الأفكار الإيجابية تأتي بنتائج إيجابية، والعكس صحيح، وجمع العبارات والبطاقات والملصقات التي تحمل رسائل إيجابية والاحتفاظ بها، والاطلاع عليها من آن لآخر من خلال تعليقها على الجدران، أو أى مكان مناسب يمكن النظر إليه يوميًا، وتقسيم الأهداف إلى عناصر قابلة للتطبيق، والتركيز على الأحداث السارة التي حدثت فى الماضى.

إن التفكير الإيجابي له أهمية فى الحياة، ذلك أن الانفعال الإيجابي له تأثيرات مشجعة على التفكير وعلى قدرة الأفراد على الأداء، فهو على سبيل المثال ينمى القوة على كل من: الإبداع والتجديد، وحل المشكلات الإبداعية، وضبط الذات، وقدرات التواؤم فى المواقف الصعبة، بالإضافة إلى أنه يوجه ويسهل تنظيم الذاكرة لرفع مستوى الكفاءة المعرفية، وكذلك يساعد على التفكير وإصدار الأحكام، والقابلية للمرونة.

كما أن للتفكير الإيجابي فوائد حياتية عديدة، منها: أنه يمنح الفرد شعورًا قويًا بالسعادة، ويجعل الفرد يستمتع بالحياة ويقبل عليها بطرق أفضل، ويساعد على تحقيق النجاح الدراسي، ويؤدى إلى زيادة الثقة بالنفس، ويساعد على اتخاذ القرارات الصائبة، ويشعر الفرد بالتفاؤل نتيجة لتوقع النتائج الإيجابية فى مختلف المواقف والأحداث، ويمنح الفرد القوة لمواجهة المواقف الضاغطة، ويمنحه التأثير الإيجابي القوى فى جهاز المناعة وبالتالي تقل فرص التعرض للإصابة بالأمراض، إذ تعد المناعة أحد العناصر التى تتأثر بشدة بنوعية التفكير.

كما يسهم التفكير الإيجابي فى تحقيق المرونة العقلية عند مواجهة التحديات والصعاب، وتعميق الثقة فى الله تعالى والتوكل عليه فى كافة الأمور، والحديث الإيجابي مع الذات والشعور بالرضا، والسعى نحو تحرى الطرق التى تؤدى للنجاح، والتحلّى بالصبر والمثابرة فى التعاملات الحياتية والتعليمية والمهنية، والقدرة على مواجهة الأزمات والتغلب عليها، ومساعدة الآخرين وإقامة علاقات اجتماعية ناجحة معهم، والتميز بقدرات معرفية وإبداعية جديدة، والتركيز على حل المشكلات بدلاً من الاستغراق فى المشكلات، والرؤية الإيجابية للذات وللآخرين، والاستبشار بالخير فى جوانب الحياة، والتحكم فى الانفعالات والسلوك، والرغبة فى التغيير والسعى إلى الأفضل، وتطوير الذات إعمالاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، وتكوين علاقات اجتماعية إيجابية مع المحيطين بالفرد.

## الخلاصة :

يمكن أن ننتهي من هذا العرض للدراسة النظرية للآليات التربوية والتعليمية اللازمة لمواجهة التطرف والإرهاب إلى وثيقة تتضمن المعايير اللازمة لكل آلية تربوية وتعليمية من هذه الآليات، وهذه الآليات والمعايير المرتبطة بكل منها يتم عرضها مصنفة في الآتي:

### الوثيقة التربوية والتعليمية لآليات مواجهة الإرهاب

#### ١ - آلية الأهداف التعليمية محورها الانفتاح العقلي والسلام الداخلي:

- يدرك المتعلم أهمية السلام الداخلي مع الذات.
- يتدرب على أن يحرر نفسه من الأفكار السلبية.
- يطبق التفكير العلمي داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.
- يقدر ويحترم كل صور الحياة.
- يرتبط بقضايا الوطن ومشكلاته ويعمل على حلها.

#### ٢ - آلية أدوار المعلم تتسم بالتعامل الإنساني:

- يمارس السلوك الإيجابي مع المتعلمين.
- يطبق مفاهيم الحرية والتسامح والبهجة في التعليم.
- يحقق الاحترام والعدالة الاجتماعية في التعليم.
- يحقق الاحترام والتشجيع.
- يتقبل الآراء المخالفة مع التعليل.
- يؤمن بالنقاش والحوار وإبداء الرأي.

#### ٣ - آلية التدريب على قيم الانتماء والولاء:

- يعتز بوطنه حضارة وتاريخاً وحاضراً ومستقبلاً.
- يعبر سلوكه عن طاقة دافعة لحماية الوطن وبنائه.
- يقوم بالواجبات التي يتطلبها الوطن منه.
- يفكر في هموم الوطن ورفاهيتهم.

#### ٤ - آلية الأنشطة التعليمية التي محورها إيجابية المتعلم:

- يلتزم بالنسق القيمي في تعامله مع زملائه ومعلميه.
- يمارس العمل التعاوني الجماعي في الأنشطة الرياضية.
- يشارك في أعمال تمجد رموز الوطن.



-يؤدي دوراً فاعلاً في تنفيذ البرلمان الصغير.

#### ٥ - آلية بيئة التعلم وقوامها الممارسة الديمقراطية:

- يتقبل الرأي والآراء المخالفة مع التعليل.
- يتعرف حلولاً متعددة للمسألة الواحدة .
- يؤمن بأن الأفكار نسبية وليست مطلقة.
- يشعر بالبهجة والتسامح والحرية في المؤسسة التعليمية.
- يتعلم أن مصادر التعلم متنوعة.

#### ٦ - آلية إستراتيجيات التعلم لصناعة متعلم جديد:

- يتحول من ثقافة الاجترار إلى ثقافة الابتكار.
- يتحول من الاعتماد على الآخر إلى الاعتماد على الذات.
- يتحول من السلوك الاستجابي إلى السلوك الإيجابي.
- يتحول من ثقافة القهر إلى ثقافة المشاركة.
- يتحول من ثقافة التحصيل إلى ثقافة التفكير.

#### ٧ - آلية التقنيات التعليمية لتغيير الذهنية:

- يتقن استخدام التعلم الإلكتروني الراشد.
  - يستخدم التقنيات استخداماً آمناً ومفيداً.
  - يوظف التقنيات المتقدمة لتوفير الجهد والوقت.
  - ينتج أفكاراً ورؤى إيجابية في غرف المحادثة.
  - يثرى رصيده المعرفي باستخدام الرحلات المعرفية.
- #### ٨ - آلية تقويم أداء المتعلم والمعلم لمراجعة عناصر المنهج:

- يتقبل المعلم أحكام طلابه التقويمية.
  - يستفيد من التقويم البنائي والمستمر.
  - يعدل سلوكه في إطار التغذية الراجعة.
  - يقوم نفسه تقويماً ذاتياً.
  - يؤمن بأن التقويم تشخيص وعلاج ووقاية.
- #### ٩ - آلية الأمن النفسي للمتعلمين وتتسم بالمشاركة المجتمعية:
- يشعر بالأمن والطمأنينة في بيئته.

- يدرك أهمية السلم الاجتماعى لتحقيق التقدم.
- يشعر بأن له ذاتا ودورًا فى مجتمعه.
- يتدرب على الدفاع عن القيم الخارجة.
- يلتزم بالسلوك الراشد نحو الآخرين.
- ١٠ - آلية الأمن الفكرى للمتعلمين وتتسم بالهوية الوطنية :
  - يتجه إلى البناء والتنمية والتطوير.
  - يجد من يستمع إلى آرائه ومقترحاته.
  - يعتز بهويته الثقافية ويدافع عنها.
  - يمتلك المثل العليا والقيم الإيجابية.
  - يميز بين الثوابت والمتغيرات فى الدين.
- ١١ - آلية الحوار التربوى وتتسم بالموضوعية فى الحكم:
  - يتداول الكلام مع الآخر فى هدوء بعيدًا عن التعصب.
  - يستخدم التناقش بطريقة متكافئة دون سيطرة.
  - يتبادل الحديث فى موضوعية بأسلوب إقناعي.
  - يتنازل عن رأيه إذا ثبت له خطؤه.
  - يتصف بالمرونة والانفتاح العلقى فى حوار.
- ١٢ - آلية لجان الأمن التربوى وتتسم بتوعية الشباب:
  - يوضح أنماط المخاطر التى يعيشها الوطن.
  - يعزز السلوك بالأمن الفكرى والاستقرار.
  - يشيع روح المحبة والتعاون بين أبناء الوطن.
  - يحترم الحقوق ويؤدى ما عليه من واجبات.
  - يستخدم السلوك الوسطى المعتدل.
- ١٣ - آلية التقييم الذاتى وتتسم بالاستدلال العلقى:
  - يستخدم الاستدلال العلقى لتقييم المواقف.
  - يميز بين ما يفيد الوطن وما لا يفيده.
  - يمحص الأدلة المؤيدة والمعارضة.
  - يستخدم مصادر علمية موثوقًا بها فى عرض رأيه .

- يصدر أحكاماً قيّمة تدعم المصلحة العامة .
- ١٤ - آلية المناعة النفسية لتحقيق الصمود النفسي:
  - يشعر بأنه مقدر وله مكانة في المجتمع .
  - يضع لنفسه أهدافاً وتوقعات إيجابية .
  - يعتقد أنه قادر على حل المشكلات واتخاذ القرارات .
  - ينظر إلى المعوقات باعتبارها تحديات عليه مواجهتها .
  - يمتلك مهارات جيدة لبناء علاقات مع الآخرين .
- ١٥ - آلية التفكير الإيجابي لرؤية الأمور من منطلق متفائل:
  - يتوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب .
  - يتحلى بالثقة والأمل والتوقع الإيجابي .
  - يعمل على إيجاد حل لكل مشكلة .
  - يحترم أفكار الآخرين حتى ولو اختلفوا معه .
  - يرغب في مساعدة الآخرين .

- (١) سامية جابر، عام ١٩٨٩م، علم الاجتماع المعاصر، بيروت دار النهضة العربية، ص ٢٨٥ .
- (٢) حيدر بن عبد الرحمن، عام ٢٠٠٢م، ص ٤٢ .
- (٣) محمود حسين، عام ٢٠١٤م، ص ١٦٩ .
- (٤) صفاء الشريجات، عام ٢٠٠٧م، ص ٤٨٩ .
- (٥) هاشم عبد الرحمن، عام ٢٠١١م، ص ٥٠ .
- (٦) محمود زقزوق، عام ٢٠١٠م .
- (٧) محمد الحبيب حريز، عام ٢٠٠٥م، ص ٨٢ .
- (٨) حسن عبد الله حمد النيل (٢٠١١). الفراغ الفكري وخطورته على الشباب في ظل ثورة الاتصالات الحديثة، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ص ٧٠ .
- (٩) عيسى الشماس، عام ٢٠٠٥م، ص ١١، ١٤ .
- (١٠) عبد الحفيظ المالكي، عام ٢٠٠٩م، ص ٢٧ .
- (١١) مصطفى عاشور، عام ٢٠٠٩م، ص ٩ .
- (١٢) حسن عبد الله حمد، عام ٢٠١١م، ص ٤-٦ .
- (١٣) رانيا نظمي، عام ٢٠١٠م، ص ٢ .
- (١٤) سعود بن محمد خريف، عام ٢٠٠٦م، ص ٦٨ .
- (١٥) محمد فتحى عيد، عام ١٩٨١م، ص ٢٨٧ .
- (١٦) خالد أحمد الشنتوت، عام ١٩٩٤م، ص ٧٠ .
- (١٧) سعود بن محمد خريف، عام ٢٠٠٦م، ص ٦٣ .
- (١٨) المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦ .
- (١٩) أمينة نصير، ٢٠١٤، وسطية الإسلام مفهومها ومظاهرها، المؤتمر الثالث والعشرون: خطورة الفكر التكفيرى والفتوى بدون علم على المصالح الوطنية والعلاقات الدولية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٦ .

## الإرهاب مفهومه ومظاهره

الأستاذ الدكتور/ السيد محمد الديب

أستاذ بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر – بالقازيق

مصر

تعرّض الإسلام في الخمسين سنة الأخيرة لحمات ضارية من التشويه والإساءة بسبب وسّمه بالإرهاب، الذي لا يذكر في كثير من الدول الغربية إلا مقترناً بالإسلام ظلماً وافتراءً مع أن كثيراً من المثقفين المنصفين منهم يدركون حقيقة هذا الدين، وروحه السمحة، ومبادئه الرحيمة، وأنه لا علاقة له بما يوصف به من الزيوف والأباطيل، ومن المؤسف في هذا السياق أن بعض البلاد العربية والإسلامية بما لديها من أحزاب أو تيارات قد شاركت جهلاً في هذه الحملات دون إدراك لما قد يترتب عليها من أضرار ومساوئ، ليس من اليسير تصحيحها وإزالة آثارها، لكن الثابت الذي لا يمكن إغفاله هو أن مشكلة فلسطين كانت أحد بواعث هذه الحملات الهوجاء خاصة مع الاختلاف القائم في تعريف الإرهاب ، فأكثر دول العالم – قبل اتفاقية مدريد للسلام- كانت ترى أن مقاومة المحتل للأرض المغتصب للإرادة حق أصيل، بينما كانت أمريكا وإسرائيل تصف هذه المقاومة بأنها أعمال إرهابية، ولذلك لا تكاد دول العالم تتفق على تعريف للإرهاب حتى الآن.

وقد أشار أحد المواقع الإلكترونية إلى التقرير الذي قدمته الأمم المتحدة، منذ حوالي عشرين عاماً، ذكرت فيه أن قضية الإرهاب صعبة الحل، فضلاً عن عدم الاتفاق على تعريف محدد لهذا السلوك العنيف، وأكدت أنها قضية شديدة التعقيد، وللبحث عن أبعاد هذه الظاهرة أورد التقرير ما

يلي: "إنه لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار الخلفيات المسببة للإرهاب وللعنف في أنحاء عديدة من العالم، وقد اتهمت منظمة الأمم المتحدة الدول الكبرى بأنها تتحمل القسط الأكبر من مسئولية تفشى ظاهرة الإرهاب، التي تهز العالم، وذكرت عدة أسباب كان من أبرزها تهاون الدول الكبرى عن القيام بواجباتها، وكذلك تواطؤ الدول الكبرى وتحيزها، وممارسة حق النقض "الفيتو" في مجلس الأمن الدولي؛ مما أدى إلى الفشل في تحقيق التعاون الدولي، وحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بين دول العالم، بالإضافة إلى اغتصاب حقوق الدول المستضعفة مما ألحق بها ظلماً" (١).

وقد تنوعت الأعمال الإرهابية في السنوات الأخيرة مثل: خطف الطائرات، وربما تحول خطفها إلى تدميرها بكل من فيها، ومثل: احتجاز الرهائن والسطو على السفن، والاختيالات السياسية، وضرب المدن بالقنابل، والاعتداء بالقتل على القوات النظامية.. وغير ذلك مما يقع في الكثير من الدول، لكن أفظع وأعنف تلك الاعتداءات ما يوجه إلى دور العبادة من مساجد وكنائس، وذلك بقتل من فيها، وهم يؤدون شعائرهم الدينية؛ ذلك أن قتل النفس الإنسانية أعلى درجات التطرف والإرهاب، قال تعالى: ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ وَمَنْ جَمِيعًا أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ( المائدة : ٣٢ ) . كما حرم الإسلام الانتحار، فالإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيانه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ( النساء : ٢٩ ) .

ويصل الإسلام بمبادئه السمحة الرحيمة إلى إقرار آداب القتال، والتي تجلت في الغزوات وسائر الفتوحات الإسلامية، وهذه بعض مقولة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جيش أسامة بن زيد عند تحركه لفتح بلاد الشام، حيث قال: " أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تملأوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له" (٢).

ولابد من تمام العلم بأن الإسلام دين عظيم يعتمد على التوحيد والعدل والمساواة والتسامح والرحمة، والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن أى سلوك أو فهم يربط الإسلام بالإرهاب دليل على الجهل بالدين، وأن تحويل التطرف في الآراء إلى سلوك عدواني يتنافى مع النصوص الواضحة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

## مفهوم الإرهاب

تتعدد المفاهيم وتختلف الآراء، ولكنها فى سائر الأحوال تأبى قتل النفس البشرية، التى أوجب الله تعالى صيانتها، وعدم إراقة دماؤها، فقد خلقت كما أمر الله تعالى لعبادته ولتعمير الأرض وبقاء النسل ونشر المحبة والسلام؛ إذ إن حفظ الإنسان وعدم الاعتداء عليه بالقتل تقديس لله رب العالمين، وارتقاء فى علاقة البشر به.

أما الإرهابى فإنه بمجموع سلوكه الغاشم يتدنى عن الحيوان الأعجم هذا الذى لم يحمل أمانة أو تكليفاً، ولقد أكد القرآن الكريم تكريم الله تعالى للإنسان، وتمييزه عن سائر مخلوقاته، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، فالقتل أبشع نواتج الإرهاب، الذى يكتوى بناره الأقوياء والضعفاء، والعارفون والجاهلون، فى سائر الأزمنة والأمكنة.

لقد صار مفهوم الإرهاب متعددًا ليس على المستوى الدولى فحسب، وإنما فى نطاق الدولة الواحدة بسبب كثرة الدوافع والأسباب، وما دامت الآراء فى الإرهاب ودوافعه مختلفة، فإن المفاهيم أيضاً لابد أن تكون متباعدة.

### ١- الإرهاب فى ميزان اللغة:

يتجه الحديث عن الإرهاب ابتداءً - من حيث اللغة - إلى المعاجم العربية، وصولاً إلى وضع تصور عام يشمل غالب أحواله، ويلزم احتكاماً إلى منهج العرض للموضوع أن نذكر ما يلى بشأن البيان اللغوى: فكلمة "الإرهاب" مصدر للفعل "أرهب" أى أخاف وأفرع، وهو بالمعنى ذاته من الفعل "رهب" ومصدره "ترهيب" وأصله الثلاثى "رهب" أى خاف، وورد "ترهب" أى انقطع للعبادة فى صومعته، وبمعنى "توعد"، وكذلك "استرهب" والمعنى: استرهبه أى استدعى رهبته، حتى رهبه الناس.

فمعظم المعانى لهذه المادة اللغوية لا تبعد عن الخوف والفرع، ولا علاقة لها بالقتل والتخريب والاختطاف وطلب المال، كما أن أكثر المنظرين لتعريف الإرهاب يحرصون على بيان تصرفات الفعل بالقرآن الكريم؛ للإشارة ضمناً إلى انتفاء العلاقة بين الإسلام والإرهاب، وأن الممارسات الحادثة من الإرهابيين لا تعبر عن عقيدة الإسلام بأصولها من الكتاب والسنة، حتى لو استندوا إلى حقوق لهم يذكرونها ويتمسكون بها، ويمكن أن يتجلى ذلك فى الحديث عن أسباب الإرهاب.

وقد وردت مفردات الكلمة فى القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة (٣)، وهى: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٤)، و﴿فَارْهَبُونَ﴾ (البقرة: ٤٠)، و﴿فَارْهَبُونَ﴾ (النحل: ٥١)، و﴿تَرْهَبُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠)، و﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ (الأعراف: ١١٦)، و﴿الرَّهْبِ﴾ (القصص: ٣٢)، و﴿رَهْبَةً﴾ (الحشر: ١٣)،

﴿ وَرَهَبًا ﴾ ( الأنبياء: ٩٠)، وتذكر المادة بقريب من المعنى فى آيات أخرى هى : ﴿ وَرَهَبَانًا ﴾ ( المائدة : ٨٢) و﴿ وَرَهَبْنَهُمْ ﴾ ( التوبة: ٣١)، و ﴿ وَالرُّهْبَانِ ﴾ ( التوبة : ٣٤)، و﴿ وَرَهَبَانِيَّةً ﴾ ( الحديد : ٢٧) مفردات المادة اللغوية فى هذه المواضع تدل على الخوف والرهبنة من الله تعالى. "ومن المعلوم أن تلك الرهبنة لو استقامت فى قلوب الناس لتخلص العالم من الإرهاب، ولأمن الناس جميعاً شروره؛ لأن نيرانه لا تستعر إلا عند خلو القلوب من رهبنة الله، وكذلك كان ورود تلك المادة فى القرآن الكريم لمنع الإرهاب، وليس لإيقاظ أسبابه"<sup>(٤)</sup>.

ويلزم لاستكمال البيان الإشارة إلى موضع للكلمة فى القرآن الكريم، وذلك قول الله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ .. ﴾ ( الأنفال : ٦٠) فالأمر فى الآية مبعثه حتمية الاستعداد للعدو، حتى يستشعر قوة المواجهة، ولا يتسرع فى إشعال الحرب، وليعيد حساباته بشأن الدخول فى القتال، فالكلمة يمكن أن تقترب من معنى "الردع" بالمفهوم العسكرى الحديث، أو الاستعداد للعدو وإشعاره بذلك، وهذا مطلوب فى ظل حتمية التخويف، خشية بدء الاعتداء واحتلال الديار.

وجاءت الكلمة بمعنى الخوف فى بعض أحاديث الرسول ﷺ على صياغة "رَهْبَة" ومقتربة أحياناً بما يقابلها وهى كلمة "رغبة"، فمن دعاء الرسول ﷺ: "وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة.."<sup>(٥)</sup> ولم يرد مصطلح "الإرهاب" أو "الإرهابي" فى المعاجم اللغوية القديمة، أو فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

وجاء فى " الوسيط " : الإرهابيون وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية. وهذا البيان غير واف فى ظل المتغيرات الحادثة، إذ قصر الأهداف على السياسية، ولكنها قد تكون دينية أو اجتماعية، أو اقتصادية "مالية"، أو غير ذلك.

وفى "المنجد": الإرهابى من يلجأ إلى "الإرهاب" لإقامة سلطته. كما وردت أيضاً فيما يتعلق بالحكم الإرهابى أنه نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف، تعتمد إليه حكومات أو جماعات ثورية<sup>(٦)</sup>، ويعود استعمال كلمة "الإرهاب" كمصطلح دولى إلى فترة الثورة الفرنسية وترتبط بما يسمى بحكم الإرهاب.

## ٢- عدم الاتفاق على تعريف الإرهاب:

الحاصل أنه حتى الآن لم يحدث اتفاق على تعريف محدد للإرهاب بين الدول، وربما فى الدولة الواحدة، وسبق أن ذكرت تعريفاً لهذا المصطلح منذ ما يقرب من ثلاث سنوات، وربما بات الآن غير كاف؛ لأن الإرهاب ليس ثابتاً على حالة واحدة، وإنما يتطور كطبائع الأشياء من ناحية



مقدار المطامع والأهداف، والدوافع والأسباب، ومن حيث آليات التدمير والاختطاف والقتل وفرض الإتاوات، ووسائل الهروب والاختفاء، ومما ذكرت: " الإرهاب: اعتداء فرد أو جماعة على الآخرين، وإحداث تخويف وترهيب؛ لتحقيق أهداف متعددة مثل: السطو والسرقة والقتل، ومثل الانتقام الإجرامى، تحت مظلة الادعاء بالدفاع عن دين أو فكر أو عرض أو مال، أو نتيجة لفهم خاطئ لنصح صحيح أو كاذب، أو اعتناق لرأى شاذ أو متطرف، أو تأثر بقراءة أو استماع لرؤية ظاهرية غير عميقة، وغير ممحصّة، فيتجه الإرهابى ابتداءً إلى الآراء المتطرفة ورفض الحوار، ثم يتحول إلى ممارسة الإرهاب، لفرض آرائه بالعنف والقوة وبوسائل أخرى متعددة" (٧) وغالبًا ما يكون ذلك من مجموعة صغيرة أو كبيرة تتلاقى على أهداف مشتركة تختلف من دولة لأخرى.

### ٣- مفهوم الإرهاب فى النطاق العربى :

إن الإرهاب مجموعة من السلوكيات العدوانية، التى تلحق الأضرار بالبيئة بما فيها من المرافق والمنشآت العامة التى يستخدمها جميع الناس، لترويعهم أو قتلهم باستعمال سائر الأدوات التى تلقى الرعب والفرع فى قلوب الجميع، لا فرق بين شخص وآخر ما دام الهدف زعزعة الأمن، أو قتل جنوده، أو تحقيق مكاسب لفرد أو فئة، فالإرهاب: " هو قنبلة موقوتة ولدت منذ ولادة المجتمعات الإنسانية، وتطورت كالظواهر الأخرى، مستفيدة من التقدم العلمى لتفعيل أساليبها ووسائلها، ونتيجة لذلك تعددت أهدافها، وتوسعت جغرافيتها؛ لتشمل العالم بأسره، دونما تمييز بين الدول المتقدمة، أو التى فى طور النمو، وسواء كانت الدولة فقيرة أو غنية، أو أنها تطبق النظام الديمقراطى أو غيره من الأنظمة، بحيث بات وقوع العمل الإرهابى فى أية دولة محتملاً فى أى زمان ومكان" (٨).

ولم تعد القوة مانعة من وقوع الإرهاب فى ظل تعدد الأهداف، خاصة السياسى منها، الذى صار الأغلب والأكثر، للضغط على السلطات لتغيير مواقفها حول مطالب الإرهابيين، ولذلك فرض الإرهاب نفسه على المسرح الدولى وشمل الجميع، مع تعدد الأهداف بين دولة وأخرى.

إن أى تعريف للإرهاب يعبر عن أصحابه ولا يرتضيه "غالبًا" الآخرون، ولذا لا يسلم كل تعريف من النقد، ونستعرض فيما يلى بعض التعريفات، التى تتقارب أو تتباعد حسب تنوع البيئات، ومستوى الاستقرار السياسى والعقائدى، وحجم التنوع الطائفى، واختلاف المواجهة وآلياتها بين الدول، فالإرهاب وسيلة يستخدمها الأفراد والجماعات ضد الحكومات، كما يكون من بعض السلطات ضد مجموعة أو طائفة أو فصيل عرقى أو سياسى، فيحدث العنف والصدام.

وقد زادت حدة الأعمال العدوانية فى السنوات الأخيرة بمنطقة الشرق الأوسط بسبب مشكلة فلسطين وعدم الاستقرار السياسى فى بعض الدول، فضلاً عن الوقوع فى حبال التطرف الفكرى والعقائدى، والتحول إلى العنف.

وجاء تعريف الإرهاب فى بيان لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وهو أنه "ترويع الأمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحياتهم وكرامتهم الإنسانية، بغياً وإفساداً فى الأرض"<sup>(٩)</sup>.

ولم يشر هذا البيان مع وجازته إلى ذكر ما يمكن أن يأمله الإرهابيون من أهداف وطموحات، أو إلى وجود أسباب ودوافع لذلك، أو انتقائها.

وعرّفه مجمع الفقه الإسلامى الدولى بأنه: "العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً، الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان فى دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق بشتى صنوفه وصور الإفساد فى الأرض"<sup>(١٠)</sup>.

وقد قدمت جامعة الدول العربية تعريفاً منذ عدة سنوات جمعت فيه كل أفعال العنف، مهما كانت بواعثه أو أغراضه، ولم تجعل من أعمال الإرهاب الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي، والكفاح من أجل التحرير، وتقرير المصير، وفقاً لمبادئ القانون الدولى، ويبدو أن هذا الحق يظهر ويغيب، ثم يعود من جديد، على الأقل بشأن حقوق الدولة الفلسطينية.

وقد صدر من داخل كيان جامعة الدول العربية هذا البيان: "إن الإرهاب بمفاهيمه المتعددة والمختلف فيها سيظل قائماً طالما وُجد الظلم والطغيان على الأرض، ولن يتوقف هذا الإرهاب أو يقلل منه إلا الرجوع إلى العدل وإنصاف الأفراد والشعوب، واحترام الأقوياء للضعفاء واحتكام الأفراد والدول إلى القوانين والشرائع العادلة، التى تنظم طبيعة العلاقات بين المجتمع".

#### ٤ - التعريف الدولى للإرهاب:

كان عام ١٩٧٢م بداية لمرحلة جديدة انتشر فيها مصطلح الإرهاب، ومع ذلك لم يُحسم الخلاف على تعريف هذا المصطلح وبيان مفهومه، تلك السنة التى حدث فيها الاعتداء على "الإسرائيليين" بمطار اللد "بإسرائيل" وفى ميونيخ بألمانيا وأتهم الفلسطينيون بما حدث، وأعلن أن ذلك بمثابة رد على الاعتداء الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى، فهم غير قادرين على المواجهة، ولذلك جاءت هذه الأعمال دفاعاً عن حقوق مهجرة وأرض سلبية ووطن مسروق، وخلال ذلك أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بإنشاء لجنة خاصة لتعريف الإرهاب<sup>(١١)</sup>.

واستجابت دول عدم الانحياز لتقديم التعريف المستهدف الذى تراه، من خلال ذكر وتحديد أعمال العنف التى يمارسها أفراد أو مجموعات مُعرّضة بها النفوس البريئة للخطر، أو تبيدها وتقضى عليها، أو تعرض الحريات الأساسية للخطر، أو بهدف الحصول على مكاسب متنوعة. ورُفِع من ذلك ما يُتخذ إعمالاً للحق الثابت فى تقرير المصير، الذى تُطالب به الشعوب الخاضعة للنظم الاستعمارية أو العنصرية، أو أى شكل آخر من أشكال السيطرة الأجنبية: " ويُستثنى من ذلك الأعمال التى تتم فى إطار نضال الشعوب، وخصوصاً حركات التحرير الوطنية " (١٢).

وقد سبق بيان ضلوع بعض الدول الكبرى فى صناعة الإرهاب، بدعوات حول الحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وقساوة بعض الأنظمة الحاكمة، رغم التحولات الحادثة فى السنوات الأخيرة، والتى تشهد اكتواء هذه الدول - هى الأخرى - بنيران الإرهاب، وقدمت كثير من هذه الدول تعريفات متعددة تجرم فيها الإرهاب، ولكن حسب رؤاها الخاصة دون إثبات لحركات التحرير ونشاطاتها لتحرير الأوطان.

وأعلنت دول أمريكا اللاتينية تعريفاً للإرهاب فذكرت أنه: "كل تهديد باستخدام العنف، يُعرّض نفوساً بشرية بريئة للخطر، أو يدمرها، أو يُعرّض الحريات الأساسية للخطر، ويقوم فرد أو مجموعة أفراد باقترافه على أرض أجنبية، أو فى أعماق البحار، أو على متن طائرة تطير فى المجال الجوى الذى يقع فوق البحر، وذلك بهدف إحداث الرعب، لتحقيق هدف سياسى" (١٣). ولم يشمل هذا التعريف الإرهاب المحلى، الذى يقوم به الأفراد والمجموعات على أرض وطنهم.

واعتبروا من أعمال الإرهاب الدولى الإجراءات القمعية غير الإنسانية، التى تقوم بها الأنظمة الاستعمارية أو العنصرية، وكذلك كل الإجراءات التى تهدف إلى ممارسة سيطرة أجنبية من خلال إنكار حق الشعوب فى تقرير مصيرها، وكذلك إنكار حقوقهم فى الاستقلال ورفض الوصاية الدولية والتبعية لإحدى التكتلات الاستعمارية. فى حين لم تذكر الدول الأوروبية وأمريكا أى حق للشعوب المستضعفة فى تقرير مصيرها، وجعلوا أن دوافع ارتكاب الفعل الإرهابى لا يضىء الشرعية عليه خاصة عندما يوجه إلى الأبرياء.

فالإرهاب بالمفاهيم المذكورة وفى حدود ما كتُب عنه<sup>(١٤)</sup>: كل اعتداء على الآخرين، أو عمل عنيف وراءه دافع سياسى، أيا كانت وسيلته، فهو عمل غير مشروع فى دوافعه وأساليبه وغاياته. وهذا يشمل وقائع الإرهاب المحلى فى بعض البلاد العربية، ولا يشمل هذا التعريف الإرهابيات ذوات الدوافع غير السياسية وهى كثيرة، وإن انعكست آثارها على الشعب والسلطة الحاكمة.

ولم تشمل التعريفات الدولية للإرهاب ما يحدث كثيراً حول الخلاف العقائدى، وحقوق الأقليات ودور العبادة، والإساءة إلى الأديان السماوية، اكتفاء بتصريحات مهدئة مرتبطة بوقتها مثل بيانات الشجب والاستنكار .

ولا شك فى أن صناعة الإرهاب وآليات تفكيكه لا تتوقف عند مرحلة معينة، فالمشكلات تزداد تعقيداً، ولا توجد بوادر مشجعة على الوصول إلى حلول حاسمة على المدى القريب، وبقي الواقع أن كل دولة تنهض باختيار الطريقة التى تراها للمواجهة وحل المشكلات العالقة، دون تنسيق عادل مع المنظمات الدولية.

#### ٥- مصر والإرهاب :

لقد اكتوت مصر بنيران الإرهاب، خاصة بين عامى (١٩٩٢م - ١٩٩٧م)، تلك الحقبة التى شهدت أعمالاً إجرامية بشعة فى مدينة الأقصر وغيرها، وعُرضت القضية للنقاش المجتمعي، وقدمت جريدة الأهرام "آنذاك" عشرات الدراسات والمقالات تحت عنوان شمولى هو " الإرهاب والتطرف فى فكر المثقفين" وربما أسهم ذلك مع بعض الإجراءات والتحويلات فى التخفيف من حدة الإرهاب قبل نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الذى يليه، وإن لم يتم القضاء عليه تماماً، وتحتم التفريق بين التدين والتطرف والإرهاب وبينها فروق واضحة، وقوى الدافع لصدور القانون ٩٧ لسنة ١٩٩٢م "قانون الإرهاب" وجاء فيه تعريف الإرهاب بأنه "كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ إليه الجاني؛ تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص، أو إلقاء الرعب بينهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر"<sup>(١٥)</sup>.

وصار هذا التعريف الذى مرّ عليه ربع قرن من الزمان غير كاف ولا يشمل الدوافع الحقيقية للإرهاب وآليات مواجهته، وتتنوع مصادره فى الحصول على الدعم المالى لتنفيذ الهجمات المتعددة والمتنوعة دون التوقف عند خطوط حمراء، فكل شيء متاح ومباح.

وكانت سنة ٢٠١١م وما مر بها من أحداث فى مصر والعالم العربى بداية لمرحلة جديدة زادت فيها حدة الأعمال الإرهابية، خاصة فى ظل تفكيك بعض الأنظمة الحاكمة، وفقد البدائل القادرة على إدارة زمام الحكم فى العديد من الدول، وزيادة التعقيد للمشكلة الفلسطينية، خاصة بعد الإعلان الأمريكى عن إقرار القدس عاصمة لإسرائيل.

#### ٦- مصطلحات أخرى:

**المقاومة :** هى " دفاع عن حق مسلوب من غاصب، وهى مشروع، بل واجبة بطرد المعتدين واسترداد الحقوق المغتصبة"<sup>(١٦)</sup> وتقدم ذكر ذلك وبيانه بهذا البحث، أما مجالات الحديث

عن مقاومة المحتلين والمغتصبين فهي كثيرة، وفي شتى بقاع العالم، وليس ذلك من مستهدفاتنا في هذه الأوراق.

**الجهاد:** فى المعنى الشرعى هو " بذل الجهد، ويُطلق على مجاهدة النفس، وكفها عن الشهوات، ومجاهدة الشيطان، وعدم اتباع خطواته، ومجاهدة العدو بالوسائل السلمية أولاً، ثم عند اقتضاء الأمر المحافظة على حرمة البلاد والعباد ورد الاعتداء وصدّه يُلجأ إلى القتال بضوابط وضعها الإسلام، وطبقها النبي ﷺ" (١٧).

فالجهاد يشمل فى جانب منه مقاومة المعتدين بالوسائل المناسبة لحالة الاعتداء، والهدف منه الدفاع عن حُرّمات الأمنين: أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، ولا يكون ذلك فردياً، أو خاضعاً لرؤية خاصة، وإنما يتحقق جمعياً ونظامياً.

**التطرف:** "الأخذ بطرف الشيء ويقصد به الغلو والمبالغة والتزمت" (١٨)، وقد يكون وصفاً لفعل أو سلوك أو فكر، وإذا تجاوز بالفعل والسلوك حدود الشخص "المتطرف" إلى الآخرين بالضرر والإيذاء فهو مرفوض ومنكور، إذ يصير مقدمة أو تمهيداً للإرهاب؛ لخطورة فرض الرأى بالقوة والإكراه وشناعته، أما إذا كان فى نطاق القول والفكر، فالأصل أنه لا شىء فيه شريطة أن يخضع لأداب العرض والحوار.

وإذا توغل التطرف فى الدين فتكمن الخطورة فى محاولات إلزام الآخرين بالتشدد والبعد عن التوسط والاعتدال، قال الرسول ﷺ: " إياكم والغلو فى الدين فإن الغلو أهلك من كان قبلكم" (١٩)، وبمثل خطورة التشدد والغلو تكون خطورة التفريط فى أحكام الدين وتشريعاته، ولذلك صور كثيرة لا يتسع مجال القول فيها، كما أن تغيير المنكر يخضع لضوابط كثيرة، توسعت فيها كتب الفقه والحديث النبوى الشريف.

## مظاهر الإرهاب

تتعدد صور الإرهاب على المستوى العالمي، وإن كانت الظواهر أو الأشكال تختلف فى الدوافع والأفعال من بيئة أو منطقة أو دولة لأخرى، وهذا بعض ما انكشف لنا من خلال الاطلاع والمشاهدة فى الأربعين سنة الأخيرة.

١- إرهاب الأفراد: ويتجلى "فى السطو المسلح وقطع الطريق، وأعمال الثأر والانتقام للشرف، والاختطاف من أجل الفدية، أو التهديد والابتزاز، وما إلى ذلك من الأعمال التى يقوم بها أفراد منحرفون، سواء كانوا منضوين تحت مظلة عصابة صغيرة، أو يقومون بها وحدهم"<sup>(٢٠)</sup>، ويكاد هذا النوع ينتشر فى سائر ربوع العالم.

٢- إرهاب الجماعات والتكتلات: وله أشكال وأفعال متنوعة، وأكثرها يسعى إلى المال، وهى أكثر تنظيمًا وتخطيطًا وانتشارًا من إرهاب الأفراد، وإن كانت الأهداف متقاربة، فهذه الجماعات "تعد الإنسان سلعة وكمًّا لا قيمة له مطلقًا، إلا بقدر الفائدة المادية التى تُجنى من ورائه، ولهذا كان من ضمن أعمالها الإرهابية اختطاف أشخاص لبيع أعضائهم الجسدية؛ كى يستفيد منها ثرى هنا أو هناك؛ مما يفقد المواطن إحساسه الكامل بالأمن، ويجعله دائم القلق على مصيره ومصير أبنائه"<sup>(٢١)</sup>، وتعمل هذه الجماعات مثل "المافيا" وفق تخطيط هادف، وربما تدعمهم مؤسسات متعددة لأسباب غير معلنة، وتشمل مخاطرها سائر مناحى الحياة، ولا تبالى فى سبيل الحصول على الأموال لتنفيذ مخططاتها، حتى لو كان عن طريق المخدرات، والاستئجار لخطف الطائرات، والإغراء بالجنس، والتهديد بالقتل، وربما تستأجر لحساب مؤسسات تدعمها فى سرية وكتمان، ولا يتسرب من ذلك إلا القليل.

٣- الإرهاب السياسى: يحدث هذا النوع من الإرهاب بسبب الفتن الخارجية والداخلية وعدم الاستقرار لبعض الأنظمة الحاكمة، وكثرة المناوئين لها، ومن المؤسف أن المواطنين هم الأكثر تضررًا مما بين الفصائل المتحاربة؛ سعيًا إلى السلطة واعتلاء سدة الحكم.

٤- الإرهاب الدينى: يقوم بهذا النوع جماعات من المتطرفين، الذين يتخذون المغالاة والتشدد سبيلًا ومنهجًا واعتقادًا ووسيلة لتحقيق أهدافهم وإغواء أتباعهم، فيشرعون فى تغيير الواقع بالقوة، حيث لا يتقون فى السلطات الحاكمة كما يُروَّج لهم، ويرون أنها غير جادة أو حريصة على إصلاح المجتمع وتطهيره مما يرونه إساءة إلى الدين وتفريطًا فيما يجب الالتزام به، وتتولد لديهم الرغبة فى الانتقام جهلاً وعدوانًا فيكثر القتل والتدمير والاختطاف بما يثير الرعب والفرع لدى المواطنين، فهؤلاء يمارسون جرائمهم باسم الدين بأخطاء فى فهم نصوصه تلبيسًا وتدليسًا مع أنه لا علاقة للدين بالإرهاب.

٥- الإرهاب الدولي : لهذا النوع صور متعددة، "وهو أفدح أنواع الإرهاب وأعمه خطراً لأنه يشمل الكون بأسره شعوباً وحكومات، ويتمثل هذا الإرهاب فى محاولة فرض الذات على الآخرين بالإكراه أو الإغراء، والإرهاب الدولي هو أفعال الإرهاب المرتكبة من قبل الدول بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويكون إرهاب الدول مباشراً عندما تُقدم القوات المسلحة النظامية لدولة من الدول بشن هجوم أو هجمات على دولة أخرى أو ممتلكاتها، من أجل تحقيق أهداف سياسية معينة"<sup>(٢٢)</sup> ويجرى تفعيل هذا بصور متعددة، وأكثر هذه الممارسات ما يقع من إسرائيل بحق شعب فلسطين، فضلاً عن المساندة الأمريكية لها التى لا تتوقف.

ولا تقتصر أشكال الإرهاب على ما تقدم بيانه، ويمكن أن يضاف إليها، الإرهاب العرقي "الطائفي" والفئوى، والجزئى، والإقليمي "الاجتماعى"، والمذهبي.. وغير ذلك؛ مما يجعل من الإرهاب سجلاً مفتوحاً غير قابل للغلق والانتهاى.

## الخاتمة

### النتائج والتوصيات:

- ١- عدم الاتفاق الدولي على تعريف واحد محدد للإرهاب خلال الأربعين سنة الأخيرة.
- ٢- يختلف تعريف الإرهاب بين دولة وأخرى، حسب البواعث والأسباب، كما تختلف سبل المواجهة وآلياتها.
- ٣- لا علاقة بين الإسلام والإرهاب، وإن الأخطاء الحادثة من بعض المتطرفين المنتسبين للإسلام تكشف عن فهم خاطئ وتصرف ممقوت يلحق الأضرار بهذا الدين العظيم.
- ٤- الإرهاب ظاهرة دولية لا ترتبط بدين أو جنس أو شعب، ولذا يجب التنسيق بين الدول مع حفظ الحقوق للأقليات العرقية والدينية، ليعم السلام، وتتلاشى الإراقة للدماء في سائر دول العالم.
- ٥- عدم الاكتفاء بالشرطة في مواجهة الإرهاب، وحثمية الوصول إلى رؤية واضحة، تُحقن فيها الدماء، وتسان بها الأعراض والممتلكات.
- ٦- تتعدد مظاهر الإرهاب وأشكاله بين دولة وأخرى، وأخطر ما فيه قتل النفس البشرية دون أن يكون لها ذنب فيما جرى لها.
- ٧- حماية الشباب من التطرف والإرهاب لا تكون بصرفه عن الدين، وإن التوسط هو المنهج الذي يعبر عن الدين الصحيح.
- ٨- يختلف الإرهاب عن الجهاد والتطرف ومقاومة المغتصبين للأوطان.
- ٩- لابد من السعى إلى عقد مؤتمر دولي تحت رعاية الأمم المتحدة للاتفاق على مفهوم شامل وعام للإرهاب، وتحديد سبل المواجهة لكل الحالات، بما يحفظ الإنسان والأوطان في كل زمان ومكان، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



## الهوامش :

- (١) من بحث بعنوان "الإرهاب ومحاولة ربطه بالدين" على شبكة الإنترنت موقع "محدود" .
- (٢) المكتبة الشاملة نقلاً عن تاريخ الطبري، ٢٤٦/٢ .
- (٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٤) من بحث للدكتور/ عبد الله النجار بعنوان "تحديات الإرهاب من المنظور الشرعي" مقدم للمؤتمر السابع والعشرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مارس ٢٠١٧م.
- (٥) البخارى، ومسلم، وغيرهما.
- (٦) الإرهاب والإرهابيون، لمحمد عبد العزيز إسماعيل "مطابع الحسين بالإحساء ١٩٩٤م، ص٥٧" من خلال تحميل الكتاب على شبكة الإنترنت".
- (٧) من مقال بعنوان "الإرهاب" بجريدة صوت الأزهر فى ٣١/٧/٢٠١٥م، العدد "٨٢٧".
- (٨) ظاهرة التطرف والإرهاب ما بين الفكر والعقل لأنس محمد الطراوية - الأردن، عمان- موقع المركز الديمقراطي بالإنترنت.
- (٩) بيان المجمع فى نوفمبر (٢٠٠١م) نقلاً عن بحث سبقت الإشارة إليه للدكتور عبد الله النجار .
- (١٠) تعريف المجمع بقرار رقم ٤/٢/١٢٨ نقلاً عن بحث د. عبد الله النجار السابق ذكره ص٧.
- (١١) يراجع فى ذلك: كتاب "واقع الإرهاب فى الوطن العربى"، للواء محمد فتحى عيد، إصدار أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية -الرياض.
- (١٢) السابق.
- (١٣) السابق.
- (١٤) فى إصدار للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان "ظاهرة الإرهاب ..الأبعاد والمخاطر وآليات المعالجة " للأستاذ الدكتور/ محمود حمدى زقزوق، طبع عام ٢٠٠٩م، ص٢٣.
- (١٥) من مقالة بجريدة الأهرام فى ١٨/١١/١٩٩٢م، للدكتور فكرى أبو الخير .
- (١٦) السابق ص٢٨.
- (١٧) السابق ص٢٨.
- (١٨) السابق ص٢٣.
- (١٩) النسائى، وابن ماجه، وابن حنبل.
- (٢٠) من بحث بعنوان "الإرهاب ومحاولة ربطه بالدين" سبق ذكره.
- (٢١) من بحث بعنوان "الإرهاب والإرهابيون" ، مرجع سابق.
- (٢٢) "واقع الإرهاب فى الوطن العربى" للواء محمد فتحى عيد، مرجع سابق.

## دور الإعلام فى مواجهة صناعة الإرهاب حرب المصطلحات نموذجاً

الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور محمد فاضل

عميد كلية الإعلام - جامعة الأزهر

مصر

يُعرف خبراء الإعلام المصطلح بأنه: "كلمة، أو جملة مركزة، منحوتة بدقة، تعبّر عن حالة، أو موقف، أو قضية، أو حدث، أو منطقة جغرافية، أو فترة زمنية، أو فئة معينة، وذلك لإبراز معلومة، أو طمس أخرى، أو كسب موقف دولي، أو إقليمى، أو تغيير اتجاهات وميول معينة، لدى شعب، أو أمة معينة، أو صناعة صورة نمطية، أو سلب إرادة الآخرين والسيطرة عليهم، أو تكوين رأى عام، ويكون ذلك بما يتوافق مع مصالح صانع المصطلح"<sup>(١)</sup>.

وحرب المصطلحات تعنى: أن يعمد أعداء الأمة إلى أمر من أمور الإسلام - ذات الحقائق المحددة، والمسمايات المبينة، والأسماء المنضبطة - فيضعون له اسماً مزيفاً مُنفراً، يقلبُ صورة حقيقته فى الأذهان، ويصيرها مطبوعة بطابع تشمئز منه النفوس، وتنفّر لدى سماعه القلوب. أو أن يقصدوا شيئاً من القبائح التى نهى الشارع عنها؛ فيخترعون لها مصطلحاً جذاباً متألّقاً، حتى يستأنسه الناس، ويألفونه، ويستخدمونه كحقيقة مُسلمة، وذلك لأن حرب المصطلحات أسلوب قديم، وهذا الأسلوب بشقيه تحسين القبيح، وتقبيح الحسن، اعتماداً على المصطلحات المخترعة، يُعدُّ من الأساليب الخطيرة التى انتهجها الأعداء عبر مسيرتهم الطويلة فى صراعهم مع الحق<sup>(٢)</sup>.

وهذا المفهوم يعكس مدى قدرة الغرب على استخدام " حرب المصطلحات" لصناعة الأكاذيب المقنعة بهدف التلاعب بالرأى العام، وتضليل الشعوب، والسيطرة على عقول الناس وإخضاعهم لأهدافه بشتى أنواعها وأشكالها. لذا فإنه " من الخطأ تصوّر انحصار المعارك والحروب بيننا وبين

أعدائنا في ساحات القتال ومواطن النزال وحدها"، وأعداء الإسلام - وهم يخوضون حربهم ضد هذا الدين وأصحابه - لا يدعون فجاً يمكن أن ينالوا به من الإسلام وأهله إلا وسلوكه، ولا تنهياً لهم فرصة سانحة إلا وظفوها ورعوها حق رعايتها؛ لتكون لهم سنداً وركناً يعتمدون عليه في حربهم الكبرى ضد الاسلام والمسلمين؛ قال تعالى- مخبراً عن تنبئهم الصعب والذل، وارتكاب المستحيل لأجل ذلك: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)، ومن بين هذه الأساليب المتبعة أسلوب يمكن أن نسميه بـ "حرب المصطلحات" (٣).

ومن أخطر هذه الأسلحة "سلاح المصطلحات والشعارات"، الذي طرحه الغرب للتداول في عالمنا الإسلامي مع بدء الغزو الفكري، ولم يمض وقت طويل حتى شاعت هذه المصطلحات وذاعت، بعد أن رددتها وعممتها وسائل الإعلام، وأقحمت في صلب المناهج والكتب الدراسية، وأصبحت اليوم عملة دارجة، تطالعك بها الأغاني الشعبية، وأحاديث الدهماء، فضلاً عن أنصاف المتعلمين والمتقنين، الذين يلهجون بذكرها - حين يستريحون وحين يسرحون - ليثبتوا للناس أنهم بلغوا الحلم، وأنسوا من أنفسهم الرشد! وتأتى خطورة هذه المصطلحات والشعارات من أن كل مصطلح أو شعار مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشجرته الفكرية التي يمثلها، ويتغذى منها، ويعيش عليها، ومن ثم فهو حينما يُطرح للتداول في مجتمع جديد؛ فلا بد أن يحمل معه رصيده وفلسفته وتاريخه، ولا بد أن يلقي بظلاله، وإحباطاته، وقيمه، في هذا المجتمع المراد غزوه (٤).

وكجزء من حرب المصطلحات؛ تصدر المؤسسات الإعلامية الكبرى في الغرب كل عام ما يسمى: (كتاب الأسلوب " Style book ")، يتضمن المصطلحات والصيغ التي تتطابق مع سياستها، كما تقوم بتزويد العاملين لديها - بين وقت وآخر - بما يسمونه: " إرشادات تحريرية " " Editorial guidelines " تتضمن المصطلحات التي يجب التزام العاملين بهذه المؤسسات بها بشأن الأحداث والقضايا المستجدة، وهذا يفسر التناغم والاتفاق بين أطروحات جميع الإعلاميين في هذه المؤسسات على اختلاف آرائهم ومستوياتهم (٥).

وقد اعترف وزير الخارجية الأمريكي السابق " دونالد رامسفيلد " بأنه أسس مكتباً يُشرف عليه بنفسه مهمته تزييف الحقائق وبتبثها تحت مسمى: (وحدة التأثير الإستراتيجي) ميزانيته مئات الملايين من الدولارات، ويتعاون مع المخابرات الأمريكية، ويزود بمواده عدداً كبيراً من الصحفيين والكتاب " العرب وغيرهم "، ومن يريد الاطلاع على عينات من هذه المواد فعليه مراجعة مقالات بعض الكتاب العرب في كبريات الصحف العربية (٦).

أضف إلى ذلك؛ أن إسرائيل تعمل منذ أحداث ١١ من سبتمبر على استغلال الحادث الإرهابي الذي وقع ضد أمريكا، من أجل خدمة عدة غايات تحاول تحقيقها منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي، حيث سعت هي و"جماعاتها" - المتعددة في الأوساط الغربية - إلى إقناع الرأي العام الغربي بأن عدوه الجديد هو العالم الإسلامي، وبأن هذا "العدو" يحمل مخاطر أمنية، وسياسية، وثقافية، تماماً كما كان الحال مع العدو السابق "الشيوعية"<sup>(٧)</sup>.

ومن ثم يمكن القول: إنه من المعيب أن يستمر اختراق "المصطلحات المعادية" لوسائل الإعلام الوطنية العربية، لتستقر من خلالها في عقلية الشعوب؛ الأمر الذي يقتضى وضع "كتاب أسلوب" لوسائل الإعلام العربية كلها أو لكل واحدة منها، كي يعمل المحررون في ضوءه، وعندها ستنتهي هزيمتنا الدائمة في "حرب المصطلحات"<sup>(٨)</sup>.

إنَّ اللعب بالمصطلحات طريق سلكه المستشرقون، والتغريبون، من أجل التلبيس على المسلمين، ومحاولة التلبيس كذلك على كل مَنْ سَوَّلت له نفسه الدخول في هذا الدين، وبخاصة عندما رأوا الإقبال على الإسلام بكثرة في بلاد الغرب؛ فتارة يستخدمون اصطلاحات مُلبسة، وتارة يُحرِّفون في ترجمة تفاسير القرآن العظيم، وأحاديث النبي الكريم ﷺ؛ كما فعل أسلافهم قديماً عندما كانوا يقفون على أبواب مكة، ويحذرون الوافدين إليها من التأثر برسول الله ﷺ واصمين إياه بالسَّاحر والمجنون... إلخ<sup>(٩)</sup>.

لقد استخدم أعداء الإسلام آليات العولمة - التي تمتلكها بلادهم، بل وتسيطر عليها وتحتكرها - في نشر الأغاليط المصطلحية؛ من أجل تشويه صورة الإسلام، وكذلك دعوا لنشر الانحدار القيمي، مثل ما خلفته الدول المستعمرة لبلدان الشرق الإسلامي؛ إذ تحاول فرض قيمها وأخلاقياتها بقوة على الشباب المسلم في شتى البقاع، وزرعت بؤراً للإثارة ونشر الفاحشة، وترويج ثقافة الجنس، والمخدرات، فصرنا نسمع مصطلح "الصديقة أو الخليفة"، بدلاً من "الزانية" أو من يرتكب معها الإثم، وصرنا نسمع مصطلح "الأم العازبة"، بدلاً من المرأة التي ولدت من زنا.. إلخ<sup>(١٠)</sup>.

لقد شهدت السنوات الأخيرة ظاهرة تكاثر المصطلحات، وتداخلها، وتشويهها في إطار حروب المصطلحات التي تشنها الدول الكبرى على شعوب العالم؛ بهدف التبسيط الساذج للواقع السياسي المرير، وقد بات شيوع هذه المصطلحات في بيئتنا العربية ترفاً فكرياً، أو موضة أكثر من كونه تعبيراً عن حالات واقعية ملموسة بهدف الوصول إلى ثقافة مهزومة؛ تقلد الآخرين في استعمالاتهم لمصطلحات تشخص بيئة اجتماعية سياسية، وحالة ثقافية تؤهلهم قدراتهم الراهنة لبلوغها، بينما نحن بعيدون تماماً عنها؛ هذا الواقع يدعونا للتنبه من خطورة ذلك ونتأجه السلبية

على أمتنا العربية (١١).

وإن لم يتنبه المسلمون لنهج "حرب المصطلحات" ويعوا خطورتها، ويدركوا عواقبها فإنها ستؤدي حتماً إلى قلب كثير من الحقائق الشرعية في أذهانهم، ومن ثم في واقعهم، وسينقلب من ورائها الحق باطلاً، والباطل حقاً، والمنكر معروفاً والمعروف منكراً، والمصلح مفسداً، والمفسد مصلحاً، وستقود إلى فتح أبواب عريضة من الشر المستطير، وكلما استمرت الأيام ازداد شرها، وظهر أثرها، وتضاعف تأثيرها، وعسر إغلاقها وعلاجها، إلا بجهد متواصل وعمل دؤوب مضاعف، لا سيما مع تكفل وسائل الإعلام المتنوعة ذات التأثير الملحوظ بالقيام بهذه المهمة (١٢).

ولا شك بأننا في الأمة العربية تعرضنا لحرب خطيرة جداً ترتبط بموضوع المصطلحات، وبكل أسف فإن جزءاً من هذه المصطلحات لم تنتجها، والأسوأ من ذلك أن الجزء الآخر منها نحن أنتجناه، لكن مضمون هذه المصطلحات حور من قبل المجموعات التابعة للتلمودية الإمبريالية في الغرب، وأعيد إنتاجه بشكل آخر، وأرسل إلينا، بهدف ضرب العقيدة؛ لأنه عندما نخسر المصطلح نخسر العقيدة، وعندما نخسر العقيدة نخسر الثقافة، ونخسر معها الأخلاق، والاقتصاد، والسياسة، والمجتمع، ونخسر كل شيء، وعندما نخسر العقيدة نخسر قضاياها، وبالتالي فإن معركة المصطلحات تعد اليوم إحدى أهم المعارك التي يجب ألا نغفل عنها، فقد قدم الإعلام الغربي والعربي - الشريك في المؤامرة - سبلاً من المصطلحات الوافدة، لتكون بديلاً فكرياً للمنظومة التي تقود مجتمعنا وتدير سلوكه (١٣).

والحقيقة أن وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة؛ تضج هذه الأيام بأخبار وموضوعات تدور جميعها في حلقة واحدة يطلق عليها: "الإرهاب"، وقد تستخدم كلمات أخرى كالأصولية أو العنف... إلخ، لكن المقصود هو: إبراز الحوادث الفردية أو الجماعية، وهذه الحوادث يعتمد بعض منها على استخدام العنف ضد فريق أو شخص آخر، فتركز وسائل الإعلام الغربية على الإرهاب، وتتهم به دولاً في العالم العربي والإسلامي، ولا تفرق في ذلك بين استخدام العنف من أجل صد العدوان، وبين العنف الذي تمارسه الجماعات الإرهابية - التي توزع مقولات التكفير لكل من يخالفها، وترخص لأنباعها القتل والتدمير - وقد تناست وسائل الإعلام الغربية أن الإرهاب هو ظاهرة عالمية، وليست ظاهرة متعلقة بالمسلمين فقط، بل ويتحرك الإرهاب في كثير من دول العالم بخفاء وسرية تامة؛ إذ تذكر التقارير الاستخباراتية الأمريكية أن هناك حوالي أربعين "مليشيا" عسكرية متطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها (١٤).

ويرى بعض المتابعين أن تركيز وسائل الإعلام الغربية على الإرهاب خارج دولها يرمى إلى تحقيق الاستقرار الداخلي، وإعطاء الانطباع بأن الحال فيها أفضل بكثير من الدول الأخرى، وفي ظل هذه التناقضات بدا الإعلام العربي منساقاً وراء المصطلحات الغربية للإرهاب، دون تدقيق وتأكد من أهدافها الخفية؛ فبداية هذه المصطلحات كانت بكلمات غير مرعبة " كالمتشددين الإسلاميين" ، ومن ثمّ تبعتها كلمة "الأصوليين"، وكلما تقبل المجتمع مصطلحاً وتعود عليه عن طريق وسائل الإعلام؛ زجت بمصطلح آخر جديد، ومن ثم جاء مصطلح " المتطرفين المسلمين" ، وأخيراً وصل الأمر إلى إعلانها صريحة : " إن العرب والمسلمين إرهابيون"، ويلاحظ أنّ وكالات الأنباء العالمية هي التي تحدد الأجندة والأولويات بحسب ما يحلو لها، ووفقاً لمفهومها للإرهاب، وقيمها، ومعتقداتها، وسياستها، وأيدولوجيتها؛ فيما غاب الإعلام العربي عن وضع إستراتيجية واضحة للتعامل مع الإرهاب؛ الأمر الذي أدى إلى تلك المغالطات حول تشويه صورة الإسلام والمسلمين بصورة عامة، والعرب بصفة خاصة (١٥).

## نماذج من حرب المصطلحات

دخلت كثير من المصطلحات في قاموس الإعلام العربي الإسلامي خلال السنوات الأخيرة، وأصبح لها تأثير قوى، وشكلت وجدان الإنسان العربي والمسلم وتفاعل معها، وصار لهذه الكلمات مرادفات حسية سلبية لدى المتلقي، وبالتالي أوجدت أو خلقت صورة مشوشة للإسلام والمسلمين عند المسلمين أنفسهم، ومن أمثلة هذه المصطلحات (١٦) :

### مصطلح "الأصولية" :

الأصولية كلمة مترجمة ومنقولة عن الأصل اللاتيني: (Fantametalist)، وهذه الكلمة أطلقت بعد العصور الوسطى على المتطرفين المسيحيين، ولا تنطبق على المسلمين؛ حيث إن كل مسلم هو متمسك بالأصول، وعليه فإن المسلمين أصوليون بمعنى أنهم متمسكون بأصولهم الإسلامية، ولا ضير في ذلك؛ فبدلاً من استعمال كلمة "الأصوليين" بمعناها المسيء للمسلمين عامة، يمكن استعمال مصطلح "المتزمتين" أو "المتطرفن" لمن ينطبق عليهم هذا المعنى مثلاً .

### مصطلح "التطرف والاعتدال" :

يؤكد البعض أنه بالرجوع إلى المصطلحات الإسلامية الأصيلة لا نجد أثراً لهذين المصطلحين، مما يدل على أنهما: إما مترجمان من لغات أجنبية، أو من اشتقاق بعض الكتاب غير المتعمقين في أمور الدين؛ لأن السائد في كتب أهل العلم في مثل هذا الأمر هو التعبير بمصطلح "الغلو" عن انحراف عن منهج أهل السنة والجماعة في جانب التشديد على النفس أو الغير، والتعبير بمصطلح "الإرجاء" عن انحراف عن منهج أهل السنة والجماعة في جانب التساهل في التكليف الشرعية، إذا كان ذلك منهجاً واعتقاداً، والتعبير بـ " المعصية " إذا كان هذا التساهل في التكليف الشرعية سلوكاً فردياً لا يعبر عن منهج أو اعتقاد معين.

### مصطلح "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام(داعش)" :

فهذا الوصف الذي تلوكه أجهزة الإعلام ليل نهار يعطيه نوعاً من الشرعية، وبخاصة لدى الشباب ضعيفي الثقافة الدينية؛ لأنه يشير إلى استرجاع الخلافة الإسلامية التي كان سقوطها من يد العثمانيين في ١٩٢٤م، ويفضل البعض اعتماد مصطلح "العصابات الإرهابية" بدلاً من مصطلح " الدولة الإسلامية " أو " تنظيم الدولة الإسلامية " أو " تنظيم أنصار الشريعة " أو " تنظيم جبهة النصرة " لأن هذه المصطلحات التي تضيف على مثل هذه التنظيمات صفة الإسلامية تكسبها الشرعية، وتجعلها في مصاف الدول رغم أنها لا تتوافر فيها مقومات الدولة.

## مصطلح " الذئاب المنفردة ":

فقد أعادت حادثة الأمريكي - الذى قتل ٥٠ شخصا وأصاب ٥٣ آخرين فى ملهى ليلي بمدينة "أورلاندو" بولاية فلوريدا الأمريكية يوم الأحد ١٣ يونيو ٢٠١٦م قبل أن تقتله الشرطة- المصطلحات الإعلامية لدائرة الضوء؛ إذ اعتبره الخطاب الإعلامى أحد "الذئاب المنفردة"، وهو الوصف الذى يمكن أيضاً إطلاقه على غيره من مرتكبي الجرائم الانتحارية ، ويطلق على أشخاص يؤمنون بالفكر التنظيمى الإرهابى، ويقومون بهجمات بشكل منفرد، ولم يكونوا على تواصل معهم وليسوا مكلفين بالمهمة من قبل قيادات إرهابية، وفى الغالب يكونون أشخاصاً عاديين، وليس لهم أى تحركات أو سلوك عدوانى، حتى باتت مثل هذه المصطلحات تظهر فى عواصم الغرب كشبح فى محطات مترو الأنفاق، والمقاهى، ودور المسارح، والسينما، وسواها من الأماكن العامة.

وقد برز المصطلح على يد تنظيم القاعدة فى مجلة " أنسباير" التى تصدر عن التنظيم منذ ٢٠١٠، وكان أول مقال بها لمؤسسها " أنور العولقى" بعنوان "الذئاب المنفردة.. كيف تصنع قنبلة فى مطبخ أمك"، حيث إنه كان يقصد بالذئب المنفرد الجهاد الفردى - وفقاً لدراسة إماراتية - " جذب الذئاب المنفردة" وتجنيدتها وتوجيهها إلكترونياً من خلال أكثر من ٩٠ ألف صفحة على موقعى "فيسبوك" و"تويتر" باللغة العربية، و ٤٠ ألفاً بلغات أخرى، واكتسب هذا المصطلح قوة أكبر عام ٢٠١١م، بعد مقتل " أسامة بن لادن " نتيجة اضطرار عدد كبير من العناصر الإرهابية للعودة إلى بلدانهم، هرباً من ملاحقات أمريكا، ليشكلوا بعد ذلك مجموعات ذئاب منفردة فى هذه الدول.

## مصطلح "جماعة أنصار بيت المقدس ":

وقد غيرت اسمها رسمياً إلى " ولاية سيناء " منذ إعلانها مبايعة تنظيم داعش، والغريب أن وسائل إعلامنا هى التى حفرت اسمها فى عقول الناس وجعلت منها شيئاً مخيفاً؛ فكيف نعترف بولاية اسمها " سيناء " توحى بانفصالها عن مصر؟! وكيف نردد اسماً براقاً له طابع دينى جذاب هو "جماعة أنصار بيت المقدس"؟! ، وأعرف أن هذا الاسم قد يكون مقبولاً لو كان أتباعه يعملون على تحرير بيت المقدس فعلاً.

والأخطر من هذا وذلك هو إضفاء كثير من وسائل الإعلام فى العالمين العربى والإسلامى صفات البطولة والزعامة على محركى مثل هذه التنظيمات، والعقول المدبرة لها مثل "زعيم تنظيم كذا"، وبعضها يعطى توضيحات أشد خطورة مثل "زعيم تنظيم (داعش) الدولة الإسلامية فى العراق والشام"، وكذلك " زعيم تنظيم القاعدة " و" أمير تنظيم ولاية سيناء "، ومن قبل " زعيم جماعة أنصار بيت المقدس فى سيناء"، مما يكون له رد فعل قوى جداً عند الشباب، وخلق نزعة لديهم لتولى مثل هذه المناصب، والتقليد الأعمى والسير على نهجهم، ولقد رأينا كيف كان أبو بكر البغدادي



ينجول ببندقيته في صحراء العراق تقليدًا لطريقة " أسامة بن لادن " في ظهوره المعهود ببندقيته.

### مصطلح " الانغماسي " :

وهو اسم يُطلق على العناصر التي تنفذ العمليات الانتحارية، ويعرف بأنه : " قوات خاصة للجماعات المسلحة تنفذ عملياتها في الخطوط الدفاعية الأولى، وقلب القوات النظامية؛ كونها مُدرّبه تدريباً عسكرياً عالياً على مهام الاقتحامات، وتتمتع بلياقة بدنية عالية تمكنها من الاستمرار في القتال والمناورة أطول فترة ممكنة، وأنها عناصر تحمل ذخائر تفوق أضعاف الذخائر التي يحملها العنصر العادي"، وحدد موقع " المنبر الإعلامي الجهادي" المهتم بنشر أخبار تنظيم "داعش" مهام العنصر الانغماسي في أنها تتمثل في: إرباك القوات النظامية والتأثير على معنوياتها، وتسهيل مهمة الفصيل الذي ينتمون إليه في الاقتحام والسيطرة، وأنَّ الانغماسي أطلق عليه ذلك كونه ينغمس في عمق القوات والانغماسيون يختلفون عن " الانتحاريين" بأنهم لا يشترطون أن ينفذوا عمليات تودي بحياتهم بل يمكنهم قيادة عربة ملغومة إلى الهدف المطلوب وتفجيرها عن بعد في المنطقة المستهدفة، وتمكنهم من الانسحاب للقيام بعمليات أخرى.

### مصطلح " الإرهاب " :

وهو مترجم عن كلمة " Torrism " وتعني: الترويع، والاعتداء بغير حق، وهو ما يشبه البغي، وأصبحت متداولة أيضاً، ولها تأثيرها السلبي على عقل الإنسان المسلم في الغرب خصوصاً، بينما هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي الإسلامي يختلف تماماً عما سوقت له حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ( الأنفال: ٦٠)، والإرهاب هنا له معنى آخر وهو: إظهار القوة للردع وليس للاعتداء، وهذا المعنى توضحه الآية الكريمة: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠). ثم إنَّ إرجاع المجتمع من حالة التنظيم والقانون إلى الفوضى تعد فساداً في الأرض، يقول تعالى: ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٧٧)؛ ومن المصطلحات أيضاً: " الإرهاب التكفيرى" ، والإرهاب مصطلح حل مكان التخريب أو العصيان أو العصابات، روجت له البرجماتية الأمريكية وعمته على العالم وتلقفته كل الجهات بما فيها المتهمّة (بفتح الهاء) والمتهمّة

(بكسر الهاء)، فإسرائيل مثلاً تسمى المقاومين الفلسطينيين "مخربين"، وفرنسا تسمى الثوار الجزائريين: "عصابات"، ومع انتشار ظاهرة الإرهاب وتباين الإستراتيجيات المعتمدة من طرف وسائل الإعلام العربية المختلفة - فى تغطيتها دون الوقوع فى الدعاية الموجهة التى تخدم هذه التنظيمات- أصبح من الضرورى الاتفاق على دليل موحد للمصطلحات المتعلقة بالتغطية الإعلامية لهذه الظاهرة.

#### مصطلح " الإسلام السياسى " :

وهذا المصطلح له مدلوله الفكرى والثقافى الذى يوحى بأنّ هناك نوعين من الإسلام ؛ أحدهما موافق للمواصفات الأمريكية، والآخر غير مطابق للمواصفات.

#### مصطلح " المعارضة المسلحة " :

وهو من المصطلحات التى تستخدم لتطويعها؛ لإسباغ شرعية سياسية على الإرهاب، كونه يعطى شرعية للتطرف والعنف.

#### مصطلح " الاستعمار " :

وهو مترجم عن (IMPRYALISM) وتوحى بالتعمير وترقية الشعوب وتطويرها؛ بينما الكلمة الأكثر دقة هى "الاستكبار"، وهى موجودة فى القاموس الإسلامى، وأكثر تعبيراً ومحاكاة .

#### مصطلح " الجهاديون " :

اعتماد مصطلح جهادى فى تعريف القائمين بالعمليات الإرهابية يجب تلافيه وتعويضه بمصطلح "الإرهابى" ؛ لأنّ كلمة الجهاد فى الإسلام تحمل دلالة إيجابية، وهى: "الجهاد فى سبيل الله"، ويعني: جميع الأفعال أو الأقوال التى تتم لنشر الإسلام أو لصد عدو يستهدف المسلمين، أو لتحرير أرض المسلمين، أو لمساعدة مسلم ما؛ فقد جاء هذا المصطلح فى فجر الإسلام عندما ذكرت معركة " بدر الكبرى " فى القرآن الكريم، وتمّ تعميمه ليشمل أى فعل أو قول يصب فى مصلحة الإسلام، لصد عدو ما يستهدف الإسلام فعلاً أو قولاً، وإسقاط هذا المصطلح على الإرهابيين قد يمنحهم شرعية لدى المتلقى وبأنهم فى حالة دفاع عن أنفسهم من العدو الذى اغتصب أرضهم.

#### مصطلح "تنظيمات مسلحة" :

ينبغى عدم استخدام هذا اللفظ واستبداله بلفظ "تنظيمات إرهابية تحمل السلاح"؛ ذلك لأن هذه المصطلحات تُدخل مثل هذه التنظيمات فى مصاف الدول؛ رغم أنّها لا تتوافر لها مقومات الدولة، وهو بمثابة اعتراف رسمى وإعلامى بوجودهم، وبأنّ لهذه الجماعات تنظيمًا عسكريًا ؛ أى : قوات مسلحة شأنها شأن الدول القائمة فعلاً.

## مصطلح "الإعلام الجهادي":

من قبيل الخطأ العلمي أن نسمى ما تروج له الحركات والتنظيمات الهدامة في وسائل الإعلام التقليدي والجديد "إعلام"، بل هو يدخل في نطاق مسمى "الدعاية السوداء" التي تُستخدم في تلميع وصقل صور قادة التنظيمات والحركات الهدامة، وهي ليست بالأمر الجديد؛ فمنذ الأزل أدى الإعلام دوراً مهماً ورئيساً في صنع "الأبطال"، وفي رسم صورة خيالية لأشخاص مخالفة للواقع ومخالفة لما هم عليه، وهذا يظهر بوضوح في بث صور العمليات الإرهابية أو الإرهابيين في نشرات الأخبار، وأغلفة المجلات، وصفحات الجرائد الرئيسية، والصحف الإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها.

كما أورد الصحفي البريطاني المعروف "روبرت فيسك" عينة من المصطلحات التي دأب الإعلام الغربي على استخدامها للتغطية على الجرائم التي يقترفها الكيان الصهيوني، والقوى الإمبريالية العالمية في فلسطين المحتلة؛ من قبيل استخدام مصطلح أو تعبير "المناطق المتنازع عليها" بدلاً من "الأراضي المحتلة"، و"إغلاق المنافذ" بدلاً من "الحصار"، و"المجاورات" بدلاً من "المستوطنات"، و"المتعاونين من الفلسطينيين" بدلاً من "العملاء"، و"القتل الخطأ بسبب الوجود في منطقة الاشتباك" بدلاً من "القتل المتعمد للأبرياء"، واستخدام "الجدار العازل" بدلاً من "الحاجز العنصري"، كما عمد الإعلام الإمبريالي الصهيوني ومن والاه إلى استخدام تعبير "النزاع العربي - الإسرائيلي"، بدلاً من "الصراع العربي الصهيوني"، ليضفي القطرية على الصراع بدلاً من الطابع القومي، وتم أخيراً حصر الصراع بين فلسطين وإسرائيل فقط، كما استخدم مصطلح "دول الطوق" بدلاً من "دول المواجهة"، إلى جانب محاولات محو الذاكرة الوطنية بإطلاق الأسماء العبرية واليهودية على المناطق العربية، بهدف تزوير تاريخ المنطقة وبخاصة في فلسطين<sup>(١٧)</sup>.

و" ليس ذلك فقط؛ بل الأهم هو اللغة التي تعالج بها وسائل الإعلام الإرهاب والمنظمات الإرهابية؛ كونها ترسم معالم الخطاب السائد لدى الرأي العام، فالإرهابيون يحاولون فرض لغتهم ومصطلحاتهم على وسائل الإعلام، بحيث تصبح مناسبة للاستخدام في حديث الناس، فيما تحاول الجهات المعنية بمحاربة الإرهاب فرض تعابير ومصطلحات الأجهزة الحكومية، وإذا ما استخدمت وسائل الإعلام تعابير ومصطلحات الإرهابيين فإنها تسهم بتحويلها إلى طريقة مقبولة للتعبير عن تلك الأنشطة، وهذا يعد جزءاً مهماً من الحرب النفسية للجماعات الإرهابية؛ إذ تعد حرب المصطلحات من أهم ملامح الحرب النفسية المعاصرة؛ بغية التأثير في الرأي العام، وخلق حالة من التكيف مع هذه المصطلحات"<sup>(١٨)</sup>.

وفيما يتعلق بمعالجة الفضائيات العربية للعمليات الإرهابية؛ فقد أعطت بعضها رموزاً اتصالية توحى بالتعاطف مع الإرهابيين، ففي العراق عملت وسائل الإعلام - سواء بقصد أم غير قصد - على إذكاء الفتن الطائفية ، وذلك عن طريق توصيفات إعلامية سياسية و طائفية بين مناطق عربية تصفها بالسنية، وجنوبية تصفها بالشيوعية، وشمالية تصفها بالعرقية، كما نرى هذا جلياً في معالجة الفضائيات الدولية لموضوع الإرهاب في العراق؛ إذ رصدت إحدى الدراسات حول معالجة قناة " BBC " البريطانية بعض الرموز التي تحمل شحناً طائفيّاً؛ حيث جرى وصم أسماء الأشخاص، والأحزاب، والكتل البرلمانية؛ بأوصاف مذهبية وعرقية، كما أُطلقت على المدن والأماكن والمساجد تسميات طائفية، ووصفت عميات الإرهاب في العراق بأنها "عنف طائفي" (١٩).

كما أنّ الكثافة في عرض المضمون الخاص بالإرهاب له آثار سلبية على الجمهور؛ فالتركيز الكبير على مثل هذه الموضوعات قد يأتي بنتائج عكسية، تجعل المتلقى لا يبالي بمشاهد ضحايا الإرهاب، فيعمل على إلهاء نفسه بمشاهد مسلية بقنوات أخرى لسببين: إما لأن عواطفه لا تتحمل مشاهد الدمار، وإما لتولد شعور اللامبالاة عنده؛ إذ أصبحت القضية مشهداً عادياً لا يعنى له شيئاً؛ لتكرار المشاهد التي تقلل من قيمة الإنسان، وهذا الشعور السلبي ولّدته وسائل الإعلام، وأصبحت صور الإرهاب أخطر من أفلام العنف، لأن بعض الفضائيات تتعمد الترويج لمشاهد الإرهاب (٢٠).

- (١) د. أحمد إبراهيم خضر، "الإسلام وحرب المصطلحات"، مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٢٩ - السنة الثامنة والعشرون جمادى الثاني ١٤٣٥هـ - نيسان ٢٠١٤م .
- (٢) المرجع السابق.
- (٣) المرجع السابق.
- (٤) د. سعد عبد الله عاشور، وحسن سليمان حلس، "المصطلح الإسلامي في مواجهة المصطلحات الغازية"، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين في الفترة: ٢-٣/٤/٢٠٠٧م، ص ١٩٢.
- (٥) حسن م. يوسف، "من دفتر الوطن- حرب المصطلحات"، موقع الوطن، متوافر: ١٧/١/٢٠١٧م .  
<http://alwatan.sy/archives/٣٦٧٦٨>
- (٦) المرجع السابق.
- (٧) صبحى غندور، مدير «مركز الحوار العربي» في واشنطن، مقال بعنوان: "من حرب أمريكا على الإرهاب. إلى حرب إسرائيل على العرب والمسلمين"، متوافر :  
<http://www.arabworldbooks.com/articles٢٢.htm>
- (٨) حسن م. يوسف، المرجع السابق.
- (٩) د. جمال عبد الناصر، بحث بعنوان: "الإسلام والإرهاب.. إشكالية المصطلح" متوافر بتاريخ يوم الإثنين ١٤/١٢/٢٠١٥م:  
<http://www.wasatyea.net/?q=ar/content>
- (١٠) المرجع السابق.
- (١١) نبيل فوزات نوفل، "حرب المصطلحات وخطرها على الأمة"، جريدة النور السورية، أول ديسمبر ٢٠١٧م، العدد ٦٩٢، متوافر :  
<http://annour.com/index.php/%D٨%AF%D٨%B١%D٨%A٧%D٨%B٣%D٨%A٧>
- (١٢) د. أحمد إبراهيم خضر، المرجع السابق.
- (١٣) نبيل فوزات نوفل، المرجع السابق.
- (١٤) مسلم عباس، مقال بعنوان: "وسائل الإعلام وصناعة الإرهاب"، بوابة النبأ المعلوماتية، متوافر بتاريخ ٢٧/٩/٢٠١٧م.  
<http://annabaa.org/arabic/violenceandterror/١٢٦٢٨>
- (١٥) المرجع السابق.
- (١٦) لمزيد من التفاصيل راجع:
- عبد الصبور محمد فاضل، "إشكالية العلاقة بين صناعة الإرهاب ومواجهته في الخطاب الإعلامي"، بحث مقدم لمؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية السابع والعشرين، وزارة الأوقاف المصرية .
- "حرب المصطلحات (٤)"، مقال منشور بموقع "مداد" متوافر بتاريخ ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ -  
<http://midad.com/article/٢١٤٢٩٦/%D٨%AD%D٨%B١%D٨%A٨> ١١/١١/٢٠٠٧م:
- د. أحمد إبراهيم خضر، المرجع السابق.

(١٧) نبيل فوزات نوفل، المرجع السابق.

(١٨) مسلم عباس ، مقال بعنوان : " وسائل الإعلام وصناعة الإرهاب" ، بوابة النبا المعلوماتية، متوافر بتاريخ

<http://annabaa.org/arabic/violenceandterror> ١٢٦٢٨

٢٧/٩/٢٠١٧م.

(١٩) المرجع السابق .

(٢٠) المرجع السابق .

## مخاطر الإرهاب الدينية

الأستاذ الدكتور/عبد المنعم صبحى أبو شعيشع

أستاذ الدعوة الإسلامية

ووكيل كلية أصول الدين والدعوة بطنطا

مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين .. أما بعد ،،  
فالإرهاب من أخطر الآفات التي ابتليت بها البشرية وأصابت المجتمعات الإنسانية؛ فقد تسبب الإرهاب فى تخلف الحياة الحضارية، وأشاع الخوف فى كل الأوساط الاجتماعية، وأفقد الناس جميعاً كل صور الأمن والاستقرار والسلام والتعايش .  
والإرهاب هو الشر الذى لا يجلب خيراً، والإفساد الذى ليس من ورائه إصلاح، والتدمير الذى يهلك كل بناء، والتخريب الذى يذهب بكل إعمار، يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِي حَبِثَ لَّا تَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ ( الأعراف: ٥٨).

ومخاطر الإرهاب شاملة، فهي لا تقف عند حد، ولا تقتصر على ناحية، ولا تكفى بجهة، كما أنها تأخذ كل ما فى طريقها من أرواح، وأعراض، وأعمال، وأموال، ودور للعبادة .  
وأكبر مخاطر الإرهاب **المخاطر الدينية**؛ لأن فيها إساءة للدين، وتحريفاً لمقاصده ، وتعطيلاً لشعائره، وتشويهاً لأحكامه، وإخافة لأتباعه، وتدميراً لمساجده وكنائسه، والدين بوجه عام هو منهج الله الذى أرسل به الرسل، وبعث به الأنبياء، وأنزل به الكتب، ودعا إليه المرسلون، وجعل العلماء فيه ورثة الأنبياء عليهم السلام، كما أن الدين هو الأمانة التى ينبغى أن تحفظ، والرسالة التى يجب أن تُصان، وهو الدعوة التى تكفل الله تعالى بحفظها مهما تربص بها المتربصون .

ولما كان من واجب المؤسسات الدينية والدعوية والثقافية بيان مخاطر الإرهاب الدينية، وكيفية مواجهتها ومعالجتها؛ قامت وزارة الأوقاف المصرية بعقد مؤتمر بعنوان : « صناعة الإرهاب وحتمية المواجهة وآلياتها » وذلك لبيان مخاطر الإرهاب بكل أشكالها وأضرارها . ومن هنا كان هذا البحث الذى بين أيدينا يدور حول مخاطر الإرهاب الدينية.

### أولاً : من مخاطر الإرهاب الإساءة إلى الدين

إن على رأس مخاطر الإرهاب الدينية الإساءة إلى الدين، وأبرز صور الإساءة إليه ما يلي :

#### ١- الإساءة إلى مقاصد الإسلام :

الإسلام دين له مقاصد يدعو إلى حفظها وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العرض، وحفظ المال، وحفظ العقل .. والإسلام لا يفرق فى حفظ هذه المقاصد بين المسلم وغير المسلم، فقد جعلها الإسلام حقاً لكل الناس، لذا يعتبر الإسلام كل صور الاعتداء على غير المسلمين كالاعتداء على المسلمين تماماً، ومن هنا فإن كل اعتداء مادي أو معنوي على حقوق غير المسلمين فيه تشويه للدين، وإساءة إليه، وصد عنه، وتشويش عليه؛ لأن كل أساليب الاعتداء على حقوق غير المسلمين يخالف منهج الإسلام وأحكام شريعته .

#### ٢- الإساءة إلى نظام المعاملة الإسلامية :

الناس جميعاً فى نظر الإسلام إخوة، فكلهم لآدم عليه السلام ، وآدم من تراب ، لذا دعا الإسلام إلى العدل، والمساواة، والسماحة، مع كل الناس فى كل المعاملات، دون تفریق بين مسلم وغير مسلم . والناظر فى التاريخ الإسلامى يجد مواقف رائعة من العدل، والمساواة، والسماحة الإسلامية فى كل عصر من العصور ، جعلت غير المسلمين يشهدون بعظمة الإسلام فى المعاملة والمحاورة والمعايشة والمخالطة .

ومن هنا فإن كل أساليب التعصب، والتشدد، والتطرف الفكرى والمادى فى الدين والدنيا، مع المسلمين أو غير المسلمين فيه إساءة للدين، ومخالفة لأحكام شريعته، واتباع للهوى .

#### ٣- الإساءة إلى منهج الدعوة الإسلامية :

لقد حدد الإسلام منهج الدعوة إلى الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ ﴾ (النحل ١٢٥). وكما حدد الإسلام وسائل الدعوة وآدابها، فإنه فى نفس الوقت نهى عن كل أساليب الإكراه، والعنف، والتدليس، والغش،



والتضليل فى طريق الدعوة إلى الله تعالى؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ<sup>ط</sup> فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩) وهكذا نرى الدعوة إلى الله تعالى تقوم على اللطف، واللين، والصدق، والحرية، والخلق الحسن . كذلك يبين القرآن الكريم أن رسالة الداعية تبدأ وتنتهى بالبلاغ المبين، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ﴾ (النور: ٥٤).

ومن هنا فإن أشكال العنف، والإكراه، والخداع، والتدليس فى مجال الدعوة إلى الله تعالى، هى من أكبر صور الإساءة إلى الإسلام، والإساءة إلى منهج الدعوة الإسلامية الذى يقوم على الشفقة، والإقناع، وحسن المحاوره، والمجادلة بالتي هى أحسن، والحرية التامة للمدعو . قال الدكتور / عبد العظيم المطعنى: " منهج الدعوة فى الإسلام كما جاء فى القرآن الكريم يقوم على التبليغ والتوضيح فى إطارين سلميين وردا فى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ<sup>ط</sup> وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، فمهمة الرسول ﷺ ومهمة الدعاة من بعده تقف عند هذا الحد لا تتجاوزه إلى القهر أو الإكراه أو فرض الرأى بالقوة. وفى آيات أخرى يحصر الإسلام الدور الذى ينبغى أن تقتصر عليه الدعوة النبوية فى مجرد البلاغ، أما حساب العباد فهو على الله وحده، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٨٢)، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوْاْ أَنَّ مَا عَلَى رَسُوْلِنَا أَلْبَلُغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢)، هذا بالإضافة إلى أن الإسلام يدعو القائم بالدعوة إلى الله تعالى إلى التحلى بالحلم، والتواضع، والرفق، والعفو، والإحسان، والإخلاص، والإخبات، وعدم التخلى عن هذه الصفات مهما كانت الشدائد .

لذا فإن كل أساليب الإرهاب والإخافة والإرعاب والعنف فى الدعوة إلى الله تعالى تخالف منهج القرآن الكريم، وتخالف أيضا منهج النبى ﷺ، وتخالف كذلك منهج أصحابه رضى الله عنهم، وهذه المخالفات من أكبر صور الإساءة للإسلام، والإسلام بريء منها ولا يعترف بها ولا يقرها ، ومن هذه الجرائم ما يلى:

## ١- تفجير دور العبادة :

من أسوأ جرائم الإرهاب الدينية تفجير دُور العبادة - مساجد وكنائس - وهى بيوت لها مكانتها ومنزلتها دينياً ودنيوياً، كما أن لها حرمتها وقدسيتها شرعاً و عرفاً، هذا بالإضافة إلى أهميتها التعبديّة، والتربويّة، والدعويّة، والتعليميّة، والاجتماعيّة .

والإسلام لا يفرق بين دُور العبادة عند المسلمين ودُور العبادة عند غير المسلمين، فكلها فى نظر الإسلام دُور عبادة وحقها أن تحفظ، والناظر فى تاريخ الإسلام يجد أن الخلفاء والأمراء والعلماء من المسلمين قد أحسنوا إلى الكنائس وحافظوا عليها.

وتفجير دُور العبادة أفطع صور التفجير؛ لأنه موجه إلى ضيوف الرحمن وزوّاره، وعبّاده، ولأنه يؤدى إلى خسائر دينية، وإنسانية، واجتماعية، ويشيع الرعب من التوجه إلى بيوت الله تعالى، والجلوس فى دور العبادة، ويؤدى إلى تخريبها تخريباً شاملاً، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ

مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ١١٤) .

وكما أن تفجير دور العبادة أجرم صور التفجير، فإن المجرمين القائمين به لا صلة لهم بدين، ولا علاقة لهم بطاعة، وأنهم افتقدوا كل معانى الرحمة والشفقة والإنسانية .

## ٢- اغتيال علماء ورجال الدين :

وهذا العمل من أجرم الأعمال، وأفطع الأفعال؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام، لذا فإن الاعتداء عليهم بأى صورة من صور الاعتداء هو اعتداء على الأنبياء عليهم السلام، واعتداء على الرسالات السماوية، والشرائع الإلهية، واعتداء على كل الحقوق الإنسانية والمجتمعات البشرية، ولذا فليس بعد اغتيال العلماء من جرم، وليس بعد الاعتداء عليهم من إثم .

إن الإرهاب لم يشبع من سفك الدماء بكل الأساليب وشتى الوسائل، فى الأسواق والمؤسسات، والمواصلات، ودور العبادة، والجو والبحر، ولكن حملة حقد الأوسد الذى لا يعرف للرحمة سبيلاً ولا للخير طريقاً، والذى ليس لشره نهاية؛ على التوسع فى العمليات الإرهابية باغتيال علماء الدين والقضاء على حياتهم .

ولا شك أن اغتيال علماء الدين من أجرم الأعمال، لأنه اعتداء على رجال يقومون بأشرف رسالة، وأعظم مهمة، وأكرم أمانة، فهم يبلغون رسالة الله إلى خلقه، وينشرون دينه بين عباده، ويعلمون الناس أحكام الشريعة الإلهية، وفيهم يجد الناس القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة، وأنوار

الإيمان، وضيء الطاعة، وآداب الدعوة والعلم، وإيهم يلجأ الناس عند الشدائد والمحن والكروب، يسألونهم، ويستأنسون بهم، ويقتبسون منهم كل معاني الخير والبر . وفي اغتيالهم حرمان للمجتمعات من علمائها الذين يرشدونها إلى ما ينفعها ويصلحها ويرقى بها في كل المجالات الدينية والدنيوية، ولا شك أن حرمان المجتمعات من هذا الحق يوقعها في كل صور الشقاء، والصراع، والجهل، والأمية، ويُصيبها بكل صور الأمراض والآفات النفسية، والقلبية، والروحية، ويشيع فيها المشكلات والأزمات والهموم والكروب، ويحرمها من كل صور الأمن والسلام، والتعاون والتكامل، والتقارب والتعايش .

ومن عدل الإسلام أنه لا يفرق في حرمة اغتيال العلماء بين علماء الإسلام وعلماء أهل الكتاب، فَحَفِظُ النفس من مقاصد الإسلام، وهو لكل الناس مسلمين وغير مسلمين، ولكل العلماء من المسلمين ومن أهل الكتاب. ولاشك أن اغتيال العلماء من أكبر ما يهز مشاعر المجتمعات البشرية، ويؤكد خطورة العمليات الإرهابية الإجرامية على الرسالات السماوية ، والشرائع الربانية، والحقوق الإنسانية، والأعراض البشرية .

## ثانياً : من مخاطر الإرهاب انتشار المفاهيم المغلوطة

إن من مخاطر الإرهاب الدينية ظهور المفاهيم المغلوطة، فأتباع الإرهاب لم يقفوا عند حد الإخافة والإرعاب والعنف والإكراه والتهديد .. إلخ، ولكنهم انغمسوا في نشر المفاهيم المغلوطة والعمل بها؛ فأطلقوا الأحكام الخاطئة، وأشاعوا الأقوال الضالة، قال تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴾ (الكهف: ٥).

وقد استخدم الإرهابيون بعض هذه المفاهيم أسلوباً في دعوتهم، وبعضها وسيلة لتحقيق أهدافهم، وبعضها منهجاً لمطامعهم، وبعضها أحكاماً شرعية يحلوا لأنفسهم بها ما حرم الله ورسوله، وينفذوا بها أعمالهم الإجرامية التي لا يُقرها دين ولا ضمير ولا عُرف، ليحققوا أهدافهم الدنيئة والرخيصة . لا شك أن الفهم الخاطئ للدين هو السبب الرئيس في لجوء الإرهابيين إلى المفاهيم المغلوطة، وكما قال الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق : "الإسلام - دين الاعتدال والوسطية - يكره التطرف والغلو في الدين ويدعو إلى التيسير على الناس والرحمة بهم، ورغم أن تعاليم الإسلام واضحة في هذا الشأن، إلا أن هناك اتجاهات تفسر الإسلام على هواها، وتريد أن تشده ناحية اليمين أو ناحية اليسار بتفسيرات خاطئة تجعل منه إما ديناً جامداً منغلِقاً متوقعاً لا يقوى على مسايرة الزمن، ولا يراعى متغيرات الحياة، وإما أن يجعل منه فريق آخر ديناً دموياً عدوانياً متعطشاً لسفك الدماء ، وكلا الاتجاهين لا مكان له في الحقيقة ولا يعبر إلا عن الرؤى المريضة لمن يتحدثون بها " (١) .

كما أن الإرهاب يعمل جاهداً على نشر وشيوع المفاهيم المغلوطة؛ لأن ذلك مما يفتح له الطريق ، ويذل له السبيل ، ويبسر له الوصول إلى مطامعه الخسيسة، ومطالبه التي لا يُقرها دينٌ ولا عقلٌ ولا ضميرٌ .

والإرهاب في سبيل نشر المفاهيم المغلوطة استخدم كل أساليب التحريف الفكري، والتدليس الديني؛ لقلب الحقائق، وتبديل الأحكام، وتزوير المفاهيم، وتضليل العقول، واستقطاب الشباب، واكتساب الأفراد، هذا بالإضافة إلى أن الإرهاب يعتمد في نشر المفاهيم المغلوطة على النفاق والتظاهر بنصرة الدين وحمانيته ومحبة الحق والعدل، قال تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴾ (الكهف: ٥) . في حين أنه لا علاقة له بدين، ولا يحتكم إلى دين، ولا ينصر ديناً، فلا يُصدّق

ادعاءات وأكاذيب الإرهاب إلا مهتز العقل، ومريض القلب، ودنيء النفس . ومن وسائل الإرهاب في سبيل نشر المفاهيم المغلوطة: التلاعب بالمصطلحات والألفاظ،

واختلاق المبررات والمسوغات، وإصاق التهم والافتراءات، وإشعال الفتن والصراعات، ويتصف كل المنتسبين إلى الإرهاب بإجادة الجدل بالباطل والمكابرة للإصرار على باطلهم وللحفاظ على مطامعهم ، ومن المفاهيم المغلوطة ما يلي :

#### ١ - مفهوم التكفير :

جاء في كتاب « مفاهيم يجب أن تصحح » : " ومن الأصول المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة، أنه لا يجوز الحكم على المسلم بالكفر مهما تكاثرت مؤيدات الحكم عليه بذلك، ما دام احتمال واحد لبقائه على الإسلام موجوداً .

لكن الفكر التكفيرى يعكس هذا الحكم، فيذهب إلى أنه لا يجوز الحكم على المسلم بالإسلام مهما تكاثرت مؤيدات الحكم بإسلامه، ما دام احتمال واحد لتحوله إلى الكفر موجوداً .

فالتكفير حكم شرعى لا يصدر إلا عن أدلة شرعية قاطعة، ومن ثم فإن مرده إلى أحكام الشريعة وفقه نصوصها، ولا يجوز فى ذلك كله الخوض بلا علم ولا برهان من الله، ومن هنا فإنه لا يجوز الحكم على الناس بالكفر، وإنما يكون ذلك لحكم القاضى أو المفتى لما لهما من علم بالأحكام الشرعية والإجراءات القضائية " (٢) .

#### ٢ - مفهوم الخلافة :

قال الأستاذ الدكتور/محمد رأفت عثمان: " لا يوجد فى الإسلام ما يوجب نظاماً سياسياً معيناً، وإنما الواجب هو أن تكون الدولة ملتزمة بتطبيق شرع الله تعالى ويمثلها الرئيس أيّاً ما كان لقبه: خليفة، أو إماماً، أو أميراً للمؤمنين، أو رئيساً للدولة، أو رئيساً للجمهورية، أو أى لقب آخر يفيد هذا المعنى " (٣) .

وقال الأستاذ بشار عواد معروف : " ونظام الخلافة نظام مستحدث، استحدثته الظروف بعد وفاة النبي ﷺ، والشعور بضرورة وجود رجل على رأس هذه السلطة، اصطلاح على تسميته فى حينها بالخليفة، وكان يمكن أن يسمى بتسمية أخرى " (٤) .

وجاء فى كتاب « مفاهيم يجب أن تصحح » : " أما مَنْ يتخذون من قضية الخلافة وسيلة للمتاجرة بالدين واللعب بعواطف العامة، محتجين ببعض النصوص التى يسقطونها إسقاطاً خاطئاً، دون أى دراية بفقهِ الواقع ويجعلونها أصل الأصول الذى عليه مناط الإيمان والكفر، فإننا نرد عليهم بما أكد عليه فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر فى كلمته التى ألقاها فى مؤتمر الأزهر فى مواجهة الإرهاب والتطرف: " من أنه لا نزاع بين أهل العلم المعترين أن الخلافة أليق بالفروع وأقرب لها، ومذهب الأشاعرة على أنها فرع لا أصل، وأنها ليست من أصول الديانات

والعقائد عندنا، بل هي فرع من الفروع. فكيف صارت هذه المسألة التي ليست من أصول الدين عند أهل السنة والجماعة، فاصلاً عند هذا الشباب بين الكفر والإيمان، وفتنة سُفكت فيها الدماء، وخُرب العمران، وشُوّهت بها صورة هذا الدين الحنيف " (٥).

### ٣ - مفهوم الجهاد :

جاء في كتاب « مفاهيم يجب أن تصحح » : "يجب رد العدوان عن الدولة بما يمثله دون تجاوز أو شطط ولا مجال للاعتداء، ولا حق للأفراد في إعلان العدوان إنما هو حق لرئيس الدولة والجهات المختصة بذلك وفق القانون والدستور .  
 وأن الجهاد هو: بذل الجهد بأشكاله المختلفة والمتنوعة لإعلاء كلمة الله ولنشر الدين الصحيح بين الناس .

فالجهاد في الإسلام شجرة جذعها الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لتوصيل حقيقة الإسلام الصحيح إلى العقول.

وأما الجهاد القتالي فإنه متفرع عن الجهاد الدعوى تفرع الأغصان من الشجرة، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الفرقان المكية: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِمْ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٢) فإن قيل : لماذا شُرع الجهاد القتالي في الإسلام إذا ؟ قلنا: لدرء الحرابة لا لإزالة الكفر ، فكل من يحارب المسلمين أو يعتدى على ديارهم أو أوطانهم أو على أنفسهم، هو الذى نحاربه ونردُّ عدوانه عنا .

والفرق بين الجهاد الدعوى والقتالي : أن الجهاد الدعوى كان ولا يزال حواراً وإقناعاً وليس إرغاماً وإكراهاً، والجهاد القتالي إنما يكون درءاً للحرابة والاعتداء لا عدواناً وحراباً" (٦) .

### ٤ - مفهوم الجزية :

قال الأستاذ الدكتور / صوفى أبو طالب : " فهي - أى الجزية - تجب على أهل الكتاب فى دار الإسلام مقابل حماية أرواحهم وممتلكاتهم وتوفير الأمان لهم، فضلاً عن كونها بديلاً عن ضريبة الدم؛ لأنهم كانوا لا يجندون فى الجيش الإسلامى، إذ كانت الخدمة العسكرية تطوعية، ولذا كانت لا تجب الجزية؛ على غير القادرين على حمل السلاح مثل الشيوخ والنساء والأطفال والرهبان، ولما كان التجنيد فى العصر الحاضر إجبارياً فقد سقطت الجزية لأن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعمداً" (٧).

هذه بعض المفاهيم الإسلامية التي وظفها الإرهابيون وعرضوها بشكل خاطئ ومغلوط لأغراض نفعية، أو سلطوية، أو تدميرية، أو تخريبية، فكانت من أخطر مخاطر الإرهاب الدينية .

### ثالثاً : من مخاطر الإرهاب غلق أبواب الاجتهاد والتجديد

من مخاطر الإرهاب الدينية غلق أبواب الاجتهاد والتجديد، وذلك لأن الفكر الإرهابي يقوم على التعصب لمذهب معين، والعمل بحكم محدد، والانتساب لإمام مسمى؛ وعليه فإن الإرهابي لا يؤمن إلا برأيه، ولا يلتزم إلا بمذهبه، ولا يقتدى إلا بإمامه، والإرهابي لا يتنازل عن رأيه مهما كانت المصلحة، ولا يغير حكمه مهما كانت الضرورة، ولا يجدد فتواه مهما كانت الحاجة .

وهذا المنهج الفكري المذهبي الذي يقوم عليه الإرهاب ويستند إليه يتعارض مع الإسلام من كل الوجوه، فمن خصائص الإسلام التي خصه الله تعالى بها الجمع بين الأصول والفروع، والثوابت والمتغيرات، والقطعيات والظنيات، فالثوابت مجالها القطعيات العقديّة والتعبدية والأخلاقية، والمتغيرات مجالها الظنيات الفرعية والجزئية، وهذه الخصائص جعلت الإسلام مرناً يواكب كل عصر، ومتجدداً يساير كل وقت، وصالحاً للتطبيق في كل زمان، وقادراً على إيجاد الحلول لكل المستجدات والتطورات .

وإذا كان التجديد شريعة إسلامية، وفريضة دينية، وضرورة اجتماعية؛ فإن الإرهاب لا يقول بالتجديد ويخلق أبواب الاجتهاد حتى يظل واقفاً عند مذهبه، فأرضاً رأيه، مُنفذاً هدفه، ثابتاً على تعصبه وتشدده .

- مشروعية التجديد في الخطاب الديني :

الناظر في السنة النبوية يجد أن كلمة « التجديد » وردت في أكثر من حديث نبوي، من هذه الأحاديث : قوله ﷺ: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من الزمان من يجدد لها أمر دينها »<sup>(٨)</sup>. وقوله ﷺ: « جددوا إيمانكم، قيل يا رسول الله : وكيف نجدد إيماننا؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله »<sup>(٩)</sup> .

والتجديد في مجال الثوابت والقطعيات يكون بمعنى إحيائها، والعودة إليها، وإزالة البدع والمحدثات عنها، والثبات عليها، والدفاع عنها، يقول ﷺ: « من أحيأ سنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد »، فمن معاني التجديد الإحياء .

والتجديد في مجال المتغيرات والظنيات يكون بمعنى تغيير الفتوى والحكم إلى حكم آخر يناسب الواقع. والتجديد في مجال أساليب الدعوة يكون بمعنى تجديد الألفاظ ، وتغيير الكلمات ، التي تجعل المستمع أكثر استماعاً، وإنصاتاً، والتزاماً .

والتجديد في مجال الوسائل يكون بمعنى استخدام الوسيلة الأفضل، والأسرع، والأقرب، والأيسر، ما دامت الوسيلة مشروعة .

- التجديد في الخطاب القرآني :

التجديد من خصائص القرآن الكريم التي خصه الله تعالى بها، وهو كما جاء في الحديث النبوي: « لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد » (١٠) .

والمعنى : أن آياته - التي دلالتها على المعاني ظنية - دائماً متجددة مواكبة لكل عصر، لا تقف عند معنى معين ، ولا عند أمر محدد .

صور التجديد في الخطاب القرآني كثيرة، ومنها :

١ - تجديد الخطاب في المرحلة المدنية عن الخطاب في المرحلة المكية في الموضوع، والأسلوب، والمنهج، والوسيلة، والدليل (١١) .

٢ - مخاطبة كل صنف من أصناف المدعوين بما يناسبه ويوافقه، وذلك واضح في خطاب القرآن الكريم للمشركين، واليهود، والنصارى، والملحدون، والطائعين، والعصاة، والمنافقين.

٣ - مخاطبة القرآن الكريم لكل الملكات في الإنسان عقلاً وقلباً، ونفساً، ومشاعر.

٤ - تنوع أساليب الدعوة والخطاب في القرآن الكريم، ومنها: الحكمة، والموعظة، والمحاورة، والقصة، وضرب الأمثال، والترغيب، والترهيب.

- التجديد في الخطاب النبوي :

يشهد لهذا ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه : كان صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة. ويتخول بمعنى يتعهد أصحابه رضي الله عنهم بالمدائمة على وعظهم بالأسلوب المناسب والوسيلة الملائمة .

ويشهد لهذا أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل عن الأمر الواحد فيجيب بأجوبة متجددة في كل مرة، حيث كان يجيب كل سائل بما يناسبه .

كما يشهد لهذا أيضاً أن كثيراً من ألفاظ السنة النبوية دلالتها على المعاني ظنية، لا تقف عند معنى محدد ، ولا أمر معين .

ولا يخفى على أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بأساليب كثيرة، منها: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة، والقصة، وضرب الأمثال، وصوغ التشابيه، والترغيب والترهيب.

- ضرورة تجديد الخطاب الديني في مجال الدعوة :

مما يؤكد ضرورة التجديد في الخطاب الديني الإسلامي ما يلي :

١ - التجديد فطرة في الإنسان :

فطر الله تعالى الإنسان على حب كل جديد من المطعم، والمشرب، والملبس، والمركب، والمخاطبة؛ لذا فإن الإنسان دائماً يتوجه ويلتفت إلى كل جديد ويحتفل بكل حديث، ولذا كان تجديد الخطاب الديني في مقام الدعوة ضرورة، لأنه يحمل المدعو على الإقبال والاستماع ، ويزيد الدعوة جمالاً ، ونوراً، ووضوحاً .



## ٢- عالمية الدعوة الإسلامية :

من خصائص الإسلام العالمية، والآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، وهي توجب وتفرض على الدعوة تجديد الخطاب الديني بجعله خطاباً عالمياً شاملاً لكل الناس، خطاباً متسامحاً لكل الخلق، اقتداءً بالخطاب القرآني، ففيه يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ، و﴿يَتَأْتِيهِمُ الْكُتُبُ﴾ ، و﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، و﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، واقتداءً أيضاً بالخطاب النبوي .

## ٣- تجدد الحياة وتطورها :

شاء الله تعالى أن جعل الحياة متجددة ومتطورة دائماً فقال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) ونحن نؤمن بأن العالم متغير ، وكل متغير حادث ، فالعالم حادث، وكل حادث لا بد له من مُحدثٍ ، والمُحدثُ هو الله تعالى .

والإسلام دين الحياة المتجددة دائماً ، وأحكامه ينبغي أن تكون ملبية لكل جديد في ضوء القواعد الإسلامية العامة، والأدلة الشرعية الكلية، والناظر اليوم يجد قضايا ومعاملات جديدة تحتاج من العلماء أن يجتهدوا فيها، ويأتوا لها بحكم الشرع فيها.

## ٤- التقدم العلمي في كل المجالات :

لا شك أننا في عصر التقدم العلمي، وأن التقدم العلمي أوجد أموراً في حياة الناس تحتاج إلى حلول من منظور شرعي، والدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، ومهمة الدعوة الاجتهاد والتجديد ورفع الحرج عن الناس .

## ٥- الحاجة إلى التواصل والتفاعل بين الشعوب كافة:

لا ينبغي للمسلمين أن يعزلوا عن غيرهم، فهناك علوم لا وطن لها؛ كالطب والهندسة والزراعة والفضاء والبحرية وغيرها، وجميعها لا تنتمي إلى وطن معين لأنها إرث إنساني، وهذه العلوم يجب على المسلمين أن ينتفعوا بها، لذلك يجب على الدعوة تجديد الخطاب الديني الذي يحث المسلمين على التواصل بغيرهم والاستفادة منهم، فالإسلام لا يمنع ذلك، وحضارة المسلمين تشهد بذلك وتؤكد، والحضارات تتبادل ولا تتصارع، وتتكامل ولا تتعارض، وقد أخذ المسلمون من غيرهم، وغير المسلمين أخذوا من المسلمين<sup>(١٢)</sup> .

هذا هو مفهوم تجديد الخطاب الديني، حقيقة إسلامية، وخصيصة شرعية، وضرورة اجتماعية، والتجديد ثابت في كل المجالات الإسلامية، يشهد بذلك تاريخ الحضارة الإسلامية والفقهية، أما أتباع الإرهاب فإنهم يغلقون أبواب التجديد والاجتهاد؛ لتنفيذ مخططاتهم الإجرامية التي تقوم على التعصب والتشدد والتهمز .

## رابعاً : من مخاطر الإرهاب عدم قبول الآخر

من مخاطر الإرهاب الدينية عدم قبول الآخر، والدخول معه في نزاعات وخلافات وصراعات أشعلت حروباً كثيرة في أماكن عديدة، وعدم قبول الآخر أمر يرفضه الإسلام ولا يقره .  
قال الأستاذ الدكتور/ صوفى أبو طالب : " إن الإسلام أبعد ما يكون عن التعصب الديني، فهو يعترف بالآخر، ويظهر ذلك بصورة جلية في اعترافه بالرسالات السماوية السابقة عليه، وهو خاتم الرسالات السماوية، وهى كلها خرجت من مشكاة واحدة، وهو ما أكده القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦) وتطبيقاً لهذا المبدأ اعترف الإسلام بحرية العقيدة وحق إقامة الشعائر الدينية " (١٣).

إن قبول الآخر أمر قرره القرآن الكريم فى كثير من الآيات القرآنية ، من تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة: ٨-٩).

ومن الأمور التى تؤكد أن قبول الآخر حقيقة قررها القرآن الكريم، أن الإسلام شرع الزواج بالكتابية - اليهودية والمسيحية - وأباح طعام الذين أوتوا الكتاب، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّحِدِينَ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥).

هذا بالإضافة إلى أن القرآن الكريم يؤكد أن مبدأ تكريم الإنسان حق لكل إنسان ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ

كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿ (الإسراء: ٧٠) .

كما أن قبول الآخر أمر قررتَه وأكدته السنة النبوية قولاً وفعلاً، فالناظر في السنة النبوية يجد أن النبي ﷺ دعا إلى بر الوالدين وإن كانا على غير الإسلام، ودعا إلى الإحسان إلى الجار وإن كان غير مسلم وجعل له حقاً، وعندما هاجر إلى المدينة المنورة كانت السماحة مع اليهود من خلال وثيقة المدينة التي قننت كامل حقوق المواطنة وواجباتها بين المسلمين وغير المسلمين في كل الميادين الدينية والمدنية، كما أن عهد الخلفاء الراشدين خاصة عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يؤكد مبدأ قبول الآخر والاعتراف به .

- (١) مفاتيح الحضارة وتحديات العصر: د/ محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد ٣٣ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٥١ - ٥٢ .
- (٢) مفاهيم يجب أن تصحح: أ.د/ عبد الله مبروك النجار، وأ.د/ محمد سالم أبو عاصي، مراجعة وتقديم أ . د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف ص ٢٢ وما بعدها .
- (٣) ملخص أعمال مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب ( صفر ١٤٣٦ هـ - ديسمبر ٢٠١٤ م ) ص ٢٠ .
- (٤) المصدر السابق: ص ٢١ .
- (٥) مفاهيم يجب أن تصحح: ص ٣٠ - ٣١ .
- (٦) مفاهيم يجب أن تصحح: ص ٣٩ وما بعدها .
- (٧) الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري « قضايا إسلامية » وزارة الأوقاف - العدد ١٥ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ص ١١٤ - ١١٥ .
- (٨) أخرجه أبو داود في أول كتاب الملاحم .
- (٩) الحديث رواه أحمد والطبراني - وإسناده حسن .
- (١٠) الترغيب والترهيب ٢/٢١٠، وقال المنذرى : رواه الحاكم من رواية صالح بن عمر، وهو صحيح .
- (١١) انظر : باب المكي والمدني في علوم القرآن .
- (١٢) ارجع إلى كتابنا تجديد الخطاب الديني في موكب الدعوة، ص ٤ وما بعدها .
- (١٣) حقيقة الإسلام في عالم متغير: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سنة ٢٠٠٢ م، ص ٣٨ .

## أسباب صناعة الإرهاب من المنظور السوسولوجي

الأستاذة الدكتور/ عزة محمد أبو الهدى

أستاذ علم الاجتماع – كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر

مصر

إن قضية الإرهاب قد أصبحت محور اهتمام العالم أجمع بعد أن تصاعدت وتيرته، واستفحل شره، وتفاقم أثره، بحيث تجاوز ترويع الأمنيين في بيوتهم وشوارعهم وأماكن عبادتهم إلى تهديد الدول والمجتمعات عن طريق استنزاف مواردها، وإعاقة جهود التنمية بها، والنيل من استقرارها، وزرع بذور الريبة والشك بين جماعاتها البشرية.

وعلى الرغم من أن ظاهرة الإرهاب تعود في قدمها إلى وجود الإنسان على الأرض، إلا أن المجتمعات العربية والإسلامية التي عانت أكثر من غيرها من ويلات هذه الظاهرة، قد أصبحت في وقتنا الحاضر بؤرة اهتمام الباحثين، وهدف تحريض المغرضين، خاصة بعد أن تفرق على أرضها الكثير من التنظيمات المتطرفة التي ضمت إلى صفوفها عدداً ليس بالقليل من شباب الدول الغربية.

وقد تعددت البحوث والدراسات التي تناولت قضية صناعة الإرهاب من العديد من الاتجاهات، منها: الاقتصادى والقانونى والدينى، إلا أن الكثير من علماء الاجتماع يؤكدون أن علم اجتماع الارهاب (Sociology of Terrorism) لم يلق الاهتمام الكافى، وما زالت الدراسات التي تتناول هذه الظاهرة محدودة وغير كافية لتشكيل وبلورة هذا العلم؛ ليكون أحد فروع علم الاجتماع

الذى يمكن أن يسهم فى تحليل أسباب صناعة الإرهاب، وتقديم الحلول التى من خلالها يتمكن المجتمع وصناع القرار من القضاء على هذه الصناعة، وتخليص المجتمع الإنسانى من شرورها. وقد حاولت هذه الدراسة تمييز أسباب صناعة الإرهاب من المنظور السوسولوجى، على اعتبار أنها ظاهرة اجتماعية يمكن أن تخضع للبحث والدراسة؛ بهدف تحليل بواعثها وعواملها، فى ظل التحولات الثقافية والتقنية التى يشهدها عالمنا، والتى تولد المبررات وتوفر الأدوات التى توجب نيران التطرف، وتعزز تنامى التنظيمات الإرهابية وانتشارها، وتيسر لهم سبل التواصل.

### تعريف الإرهاب:

إن تعريف الإرهاب مهمة ليست بالهينة؛ نظراً لعدم وجود توافق على هذا التعريف على المستوى الدولى، وقد أدى غياب الإجماع على هذا التعريف إلى صعوبة فهم الظاهرة أو تحليل أسبابها، وقد تعددت التعريفات واختلفت حسب التوجهات الأيديولوجية والأهداف التى تسعى إلى تحقيقها الدول والجماعات، بحيث أصبح تعريف الإرهاب واحداً من أكثر التعريفات تعدداً فى تاريخ البشرية، وبحيث جمع شميد (Schmid) مائة وتسعة تعريفات مختلفة نشرها فى كتابه " الإرهاب السياسى: دليل بحثى للمفاهيم والنظريات وقواعد البيانات والأدب"<sup>(١)</sup>.

وقد حاول بيرجسين وليزاردو (Bergesen and Lizardo) وضع تعريف للإرهاب بالنظر إلى ثلاثة مستويات هى: الأفراد، و الجماعات، والدول، حيث جاء تعريفهما أن الارهاب هو: " استخدام جماعة لا تنتمى لنظام الدولة للعنف، بغرض تحقيق هدف سياسى أو دىنى أو اجتماعى، من خلال الخوف والترهيب الذى توجهه إلى عدد كبير من الناس"<sup>(٢)</sup>.

وقد عرفته الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب عام (١٩٩٨م)، ومعاهدة منظمة المؤتمر الإسلامى لمكافحة الإرهاب عام (١٩٩٩م) بأنه: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيًا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردي أو جماعى، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بايذائهم، أو تعريض حياتهم أو أعراضهم أو حريتهم أو أمنهم أو حقوقهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو تهديد الاستقرار أو السلامة الإقليمية أو الوحدة السياسية أو سيادة الدولة المستقلة"<sup>(٣)</sup>.

## ظاهرة الإرهاب من منظور النظريات الكلاسيكية لعلم الاجتماع؛

يقوم علم الاجتماع بدور محوري في فهم الظواهر الاجتماعية وتحليل الأسباب الكامنة وراء تلك الظواهر، على الرغم من أنه لا توجد نظرية قوية استطاعت تفسير الإرهاب بوصفه ظاهرة اجتماعية، إلا أن محاولات الباحثين وعلماء الاجتماع لم تتوقف عن محاولة إيجاد تلك النظرية، وتمييز وتفسير الأسباب الكامنة وراء قيام الأفراد أو الجماعات بالإرهاب باعتباره ملجأهم الوحيد. وقد تناولت النظريات الكلاسيكية الثلاث لعلم الاجتماع، وهي: النظرية الوظيفية (Functionalism)، ونظرية الصراع (Conflict theory)، ونظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactionism)، ظاهرة الإرهاب من اتجاهات مختلفة هي:

### النظرية الوظيفية (Functionalism)؛

يعتقد دوركهيم (١٩٣٣م) مؤسس النظرية الوظيفية: أن المجتمع يتألف من أنظمة مترابطة تؤدي عن طريق توافقها وانسجامها إلى توفير الحياة المستقرة لهذا المجتمع، وتفترض النظرية الوظيفية أيضاً أن التوازن سمة أساسية في الحياة الاجتماعية، وأن أي انحراف عن الحياة المستقرة والتوازن في المجتمع يسبب صدمة لهذا المجتمع، وتعتبر هذه النظرية أن الصدمة الاجتماعية (Social Shock) تؤدي وظيفة في المجتمع، تتمثل في أن المجتمع يغير هيكله حتى يتكيف مع هذه الصدمة بغرض استعادة التوازن والحياة المستقرة.

لذلك يرى الوظيفيون أن الإرهاب يمثل صدمة اجتماعية تهدد التوازن والاستقرار في المجتمع، وأنه مرحلة مؤقتة للمجتمع تساعده على علاج الانحراف عن طريق تغيير هيكله، وبهذا يتعافى من الصدمة<sup>(٤)</sup>، ويؤكد الوظيفيون على أن الإرهاب باعتباره صدمة اجتماعية له وظائف أخرى كإمانة تساعد على تطور المجتمع نحو الأفضل، منها:

#### ١- تكوين وتعزيز التضامن والترابط داخل الجماعة البشرية:

إن شعور الأفراد بالحاجة إلى مواجهة الإرهاب يخلق شعوراً بالانتماء إلى الجماعة، ويعزز التضامن والترابط داخل هذه الجماعة، ويعتبر الوظيفيون أن تضامن الجماعة البشرية وتماسكها أمر ضروري؛ يمنح الأفراد القدرة على مواجهة الشذوذ (Anomie) والانحراف عن القواعد التي تحكم هذه الجماعة، وأن عدم وجود الترابط داخل الجماعة يدفع بها نحو مرحلة الشذوذ، وهي المرحلة التي لا يشعر فيها الأفراد بحاجتهم للاسترشاد، أو الالتزام بأية معايير من أجل البقاء، أو الحفاظ على الحياة الاجتماعية<sup>(٥)</sup>.

## ٢- توضيح المعايير الاجتماعية:

يعتبر الموظفون أن الإرهابيين يخالفون المعايير الاجتماعية، وبهذا يجذبون نظر أفراد المجتمع إليهم، ويرتبط في أذهانهم الضرر الذي وقع عليهم بانتهاك هذه المعايير، وهكذا تصبح هذه المعايير أكثر وضوحاً، كما تصبح الحاجة إلى المحافظة عليها من أجل حماية الوضع الراهن والحفاظ عليه أكثر رسوخاً.

## ٣- تحقيق التغيير المطلوب:

تؤكد النظرية الوظيفية أن التغيير الاجتماعي (Social change) أمر مرغوب وحتمي للحفاظ على مجتمع متوازن وصحي، كما يؤكد الموظفون على أن التغيير الاجتماعي يحدث في معظم الأحيان استجابة لصدمة اجتماعية تجعل هذا التغيير حاجة ماسة تساعد المجتمع على أن يتعافى من أثر هذه الصدمة، كما تؤدي إلى تطوره وتحقيق التوازن بين جماعاته.

ومن المؤكد أن الإرهاب يجلب صدمة اجتماعية تؤدي إلى تحريك المجتمع نحو التغيير الاجتماعي المرغوب، والذي يجب أن يحدث بطريقة بطيئة، من خلال التخطيط الذي يراعى الحفاظ على مستوى معين من التوافق مع المعايير الاجتماعية للمجتمع.

وقد تعرضت النظرية الوظيفية للإرهاب - باعتباره ظاهرة تؤدي وظيفة تعود بالفائدة على المجتمع - إلى كثير من النقد، على اعتبار أن جميع الظواهر الاجتماعية لا تؤدي بالضرورة وظيفة ذات فائدة للمجتمع، وذلك كما أفاد ميرتون (Merton) في نقده لرؤية إميل دوركهايم للنظرية الوظيفية<sup>(٦)</sup>.

ويهدف صناع الإرهاب إلى تحقيق أكبر قدر من الضرر والدعاية من خلال هجماتهم الإرهابية التي لا يمكن التنبؤ بها، مما يجلب صدمة قوية تهدد الأفراد الذين يحافظون على حياة متماسكة في المجتمع، وتجعلهم يتشككون في أسلوب الحياة التي يوفرها لهم هذا المجتمع، وفي قدرة هذا المجتمع على توفير الأمن والسلام لهم، وكذلك في المعايير والقواعد التي يلتزمون بها، وبدلاً من أن تؤدي هذه الصدمة إلى إعادة التوازن إلى المجتمع، فإنها على العكس تؤدي إلى مزيد من الاختلال لهذا التوازن؛ الأمر الذي يحول بيئة المجتمع إلى بيئة يسود فيها ارتباك قوي بشأن المعايير والقيم، مما يُضعف دوافع الأفراد إلى التوافق والترابط، كما تضعف ثقتهم بنظم المجتمع.

ويرى بعض السوسيولوجيين أن الإرهاب ليس هو الصدمة التي تعيشها المجتمعات، ولكنه نتيجة " لصدمة التحديث الذي انتشر حول العالم بسرعة المرض"<sup>(٧)</sup>، والذي ينمو ويتطور بسرعة القفزات التي يحققها التقدم التقني ووسائل التواصل الاجتماعي.



إن التحديث والتطور والنمو الاقتصادي الكبير والنفوذ الدولي المسيطر الذي يشهده العالم الغربي قد أصاب شباب عالمنا العربي والإسلامي بصدمة، وضعت ما كان مستقرا موضع التساؤل والتشكيك، مما وفر بيئة خصبة لصناع الإرهاب يستمدون منها مواردهم، ويسعون لتحقيق أغراضهم منها وعليها.

### نظرية الصراع (Conflict theory):

يُرْجِعُ مُنْظَرُ الصراع سبب العنف بشكل عام إلى الصراع على الموارد المحدودة، سواء كانت اقتصادية أو سياسية تتعلق بالقوة أو السلطة، أو أى مورد آخر يرى الناس أنه يحقق لهم المصلحة، ويؤكد مُنْظَرُ هذه النظرية أن الصراع بين طبقات المجتمع هو السبب الرئيس فى صناعة الإرهابيين الذين يعانون من التمييز، ويواجهون ردود فعل أشد وأقل تسامحاً من المؤسسات المجتمعية، ويعتبرون أنفسهم مجموعة محرومة ليس لديها بدائل للتغلب على نظام الاستغلال الذي تعاني منه، ولذلك فإن أكثر أعضاء الجماعات الإرهابية ينتمون إلى فئة العمال، أو على الأقل أقرب نسبياً إلى الطبقة العاملة (البروليتاريا)، وذلك كما يرى المنظرون المعاصرون لهذه النظرية؛ حيث يؤدي عدم توفر البدائل التي تحمي هذه المجموعة من الاستغلال إلى شعورهم بالإحباط، ولجوئهم إلى الإرهاب يأساً من التغيير أو انتقاماً من الطبقة المستغلة.

وتواجه نظرية الصراع فى تفسيرها لأسباب صناعة الإرهاب نقداً واضحاً، يتحدد فى التناقض الواضح بين التفسير الماركسي للإرهاب والواقع المعاصر الذى يشهد حالياً مشاركة أعضاء من الطبقات الاجتماعية والاقتصادية العليا فى النشاط الإرهابي، وانخراط أبناء بعض الأسر الثرية فى صفوف الجماعات الإرهابية.

### نظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactionism):

تركز هذه النظرية على أهمية دور الأفراد فى المجتمع، وعلى تفسير هؤلاء الأفراد للمعتقدات والمعاني فى حياتنا الاجتماعية، والتي تؤدي إلى تشكيل سلوكهم وفقاً لتفسيراتهم الخاصة، بحيث يعبر هذا السلوك عن الحقائق الذاتية المرتبطة بهم.

وتؤكد هذه النظرية أن انتماء الفرد إلى مجموعة وتفاعله مع أفرادها يسهم إلى حد كبير فى استقباله وتفسيره لهذه المعتقدات والمعاني، وبذلك تؤكد أيضاً على الدور الذى يلعبه التعليم والانتماء إلى إحدى الجماعات البشرية فى توجيه سلوك الأفراد؛ لأنهما يجعلان المعتقدات والمعاني السائدة فى الحياة الاجتماعية عرضة للتغيير والتحول وإعادة التفسير<sup>(٨)</sup>.

ويعتبر الإرهاب من وجهة نظر منظري هذه النظرية سلوكاً متعلماً، يتعلمه الأفراد من خلال تفاعلهم مع الإرهابيين الآخرين الذين يشكلون ثقافة فرعية منحرفة ومضادة للمجتمع، ويسعى الإرهابيون الذين ينضمون إلى الجماعات الإرهابية إلى تعزيز انتمائهم إلى الجماعة عن طريق الالتزام فقط بنوع الأعمال التي تحددها تلك المجموعة، ويعمد صناع الإرهاب إلى أن تصبح المجموعة هي المرجعية الوحيدة لأعضائها<sup>(9)</sup>، كما يلجأ صناع الإرهاب إلى تعزيز المفاهيم والمعتقدات الخاصة بالجماعات الإرهابية عن طريق إشراك الأعضاء الجدد في الأعمال الإرهابية؛ حتى يحققوا التواصل بين أعضائها، في الوقت الذين يوفرون لهم الوقت والمال الذي يجنونه من استغلال موارد المناطق التي يحتلونها، أو الذي تمدهم به بعض الدول والمنظمات؛ كي تساعد على القيام بهذه الأعمال الإرهابية التي تحقق مآربهم، وتزيد من نفوذهم وقوتهم.

### الاتجاهات النظرية في تمييز أسباب صناعة الإرهاب:

لقد تعددت الاتجاهات النظرية التي حاولت تمييز وتفسير الأسباب الكامنة وراء ظاهرة الارهاب، ويرى كل اتجاه أنه قد أدرك وميز السبب أو الأسباب التي تدفع بعض الأفراد إلى اللجوء للفعل الإرهابي، أو الانضمام إلى الجماعات الإرهابية، إلا أنها جميعاً لم تقدم نظرية قوية متماسكة يمكن من خلالها التعرف على جوهر هذه الظاهرة، بحيث يمكن تحديد الأسباب الدافعة لها، ومن ثم توجيه الجهود للقضاء عليها وتجنيد المجتمعات شرورها. ويمكن تحديد أهم هذه الاتجاهات النظرية في ثلاثة اتجاهات رئيسة هي: الاتجاه البيولوجي، والاتجاه النفسي (السيكولوجي)، والاتجاه السوسبيولوجي.

### الاتجاه البيولوجي:

يذهب الاتجاه البيولوجي إلى أن البنية البيولوجية والحيوية لبعض الأفراد تدفعهم إلى ارتكاب الأفعال العنيفة، إلا أن هذا الاتجاه قد لاقى الكثير من المعارضة نظراً لصعوبة فصل التأثير والتفاعل البيئي عن أثر الجينات الموروثة في توجيه السلوك البشري<sup>(10)</sup>، كما أن هذا الاتجاه يثير الكثير من المشكلات الأخلاقية؛ والتي تؤدي إلى وصم بعض الجماعات الإثنية بالعنف والإرهاب نتيجة تشابهم في بنيتهم البيولوجية وجيناتهم الموروثة، في غير وجود دليل علمي قوى يدعم هذا الاتجاه<sup>(11)</sup>.

### الاتجاه النفسي:

حاول الاتجاه النفسي تفسير لجوء بعض الأفراد إلى العنف أو الإرهاب، حيث اعتبر أن العنف والعدوان طاقة عقلية يمتلكها جميع البشر، وأن تعرض الأفراد إلى المعاناة والتوتر الناتج -

فى معظم الأحيان - عن الحرمان المادى (Material deprivation)، يدفعهم إلى استخدام هذه الطاقة واللجوء إلى العنف والإرهاب؛ وذلك للتخفيف من المشاعر السلبية التي تنتج عن هذا التوتر، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن التوتر والضغط النفسى هما السبب الرئيس فى تكوين الجماعات الإرهابية، والتي تعتبر لجوءها إلى الإرهاب محاولة يائسة لإنهائهما أو التآثر لهما<sup>(١٢)</sup>.

ولقد خلصَ كثير من الباحثين إلى أن الظلم يؤدي إلى شعور الناس بالتوتر (Strain)، ولذلك يعتبرون الظلم هو السبب الرئيس للتوتر، والتوتر هو السبب الرئيس للإرهاب، وأنه إذا انتهى الظلم فسوف ينتهى الإرهاب<sup>(١٣)</sup>.

وقد اختلف هؤلاء الباحثون فى نوع التوتر الذى يسببه الظلم ويرتبط بأسباب الإرهاب، حيث أفاد الباحثون أن الإرهاب ينتج عن:

- الحرمان المادى المطلق والنسبى.
- المشاكل المرتبطة بالعولمة والتحديث، مثل التهديد بالهيمنة الدينية، والتحديات التي تواجه الأدوار التقليدية للأسرة.

- الاستياء من الهيمنة الثقافية والاقتصادية والعسكرية للغرب.
- النزاعات الإقليمية والعرقية والدينية.
- التمييز الاقتصادى والسياسى، وغير ذلك من أشكال التمييز على أساس العرق أو الدين.
- المشاكل التي تواجهها جماعات مهاجرة معينة، بما فى ذلك البطالة والتمييز.
- الحرمان من حقوق الإنسان الأساسية، بما فى ذلك الحقوق السياسية، وحقوق الأمن الشخصى، والحق فى تلبية الاحتياجات الإنسانية الأساسية.
- القمع القاسى الذى تمارسه بعض الدول ضد فئات معينة.
- التشرد أو فقدان الأرض أو المنزل.
- الاحتلال العسكرى للوطن.
- التهديد الشديد للهوية<sup>(١٤)</sup>.

ويقف هذا الاتجاه عاجزاً عن تفسير السبب الذى يمنع معظم الأفراد الذين يتعرضون للتوتر والحرمان المادى من الانضمام لهذه الجماعات، ولهذا تعرض لكثير من النقد، ورفضه كثير من السوسيولوجيين، على اعتبار أن الاعتماد على العامل النفسى وحده لا يمكن أن يقدم تفسيراً للأسباب التي تدفع الأفراد والجماعات للجوء إلى الأعمال الإرهابية، فضلاً عن أن الكثير من الدراسات لا تقدم دليلاً قوياً يدعم تفسير هذا الاتجاه<sup>(١٥)</sup>.

## الاتجاه السوسيولوجي:

تناول الاتجاه السوسيولوجي صناعة الإرهاب من منظور يعتمد على تعدد العوامل وتشابكها، على اعتبار أن هذه الصناعة هي ظاهرة اجتماعية يشملها ما يشمل مثل هذه الظواهر من تداخل الأسباب والعوامل والعلاقات مع بعضها البعض، ومع غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى. وعلى الرغم من تمييز بعض الدراسات لأحد العوامل على اعتبار أنه العامل الأكثر أهمية في تشكيل الجماعات الإرهابية، إلا أن كثيراً من الباحثين قد جعلوا من تفاعل العوامل الاجتماعية والثقافية والأيدولوجية والاقتصادية والدينية والنفسية؛ سبباً لنشأة هذه الجماعات، ودافعاً لتحول الأفراد نحو الإرهاب<sup>(١٦)</sup>، مما زاد المعقد تعقيداً، وجعل تمييز الأسباب الجوهرية لهذه الظاهرة أمراً بالغ الصعوبة.

وقد فسر بعض السوسيولوجيين الإرهاب على أنه "رد فعل أحرق لتناقضات المجتمع ومظالمه وصراعاته"<sup>(١٧)</sup> التي تلعب فيها العوامل الاجتماعية، والبيئية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية دوراً كبيراً، يهدف إلى إزالة عوامل التناقض والتوتر، وإعادة الانسجام بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه.

وينطوي هذا التفسير على تناقض واضح يؤكد حماقة الفعل الإرهابي، مؤداه أن الفعل الإرهابي الأحرق يهدف إلى التدمير بدون تمييز، الأمر الذي لا يمكن أن يعيد الانسجام بين المدمر والمحيط الذي تم تدميره، كما أنه لا يزيل عوامل التوتر ولكنه يقضى على الأخضر واليابس.

وقد قدم الباحث الأمريكي روبرت أجنيو (Robert Agnew) نظريةً أسماها "نظرية التوتر العامة للإرهاب" (General Strain Theory of Terrorism)<sup>(١٨)</sup> خلص فيها إلى أن نسبةً ضئيلةً من التوترات الجماعية، والتي يعانى منها أعضاء مجموعة معينة، هي التي تؤدي إلى الإرهاب، وقد وضع أجنيو ثلاثة شروط لهذه التوترات حتى تكون سبباً كافياً لنشوء الجماعات الإرهابية، وهي:

١- أن تكون التوترات شديدة، و ناتجة عن عدد كبير من الضحايا المدنيين الذين ينتمون لهذه المجموعة.

٢- أن يصحب هذه التوترات ظلمٌ واقع على أفراد هذه المجموعة.

٣- أن يتسبب في هذه التوترات أشخاص مدنيون يفوقون أفراد المجموعة في القوة، وترابطهم علاقات ضعيفة بأفراد هذه المجموعة.

وتجافى هذه النظرية فى تفسيرها أسباب الإرهاب الواقع الراهن، ولا تتفق مع طبيعة الأعمال الإرهابية التى يشهدها وقتنا الحالى، من حيث إن الجماعات والتنظيمات الإرهابية لم تكن مجموعات مسالمة وقع عليها الظلم فتحولت من السلم إلى تبنى الإرهاب، كما أن الكثير من هذه التنظيمات نشأ وتكون دون أن يكون لها ضحايا من المدنيين، فضلاً عن أن أغلب ضحاياها من الأبرياء المسالمين الذين لم يتسببوا لها بالتوترات، والذين لا يفوقونها فى القوة .

وقد ركز دومينيكو توسيني (Domenico Tosini) على تحليل الآليات الاجتماعية ( Social mechanisms) الكامنة وراء الهجمات الإرهابية التى تعتمد على الانتحاريين بصفة خاصة، حتى يستطيع تمييز أسباب الإرهاب، حيث أفاد أن هذا النوع من الإرهاب يرتبط بأسباب ودوافع الإرهابيين التى تتصل بأوضاع سياسية واقتصادية وثقافية ودينية معينة.

ويؤكد توسيني أن تحليل هذه الآليات لا بد أن يعتمد على ثلاثة مستويات، أولها: المنظمات الإرهابية التى تعتبر صانعة القرارات، وثانيها: المجتمع الذى تمثله هذه المنظمات، والذى يوفر لها المأوى والتمويل، وثالثها: الإرهابيون الانتحاريون أنفسهم<sup>(١٩)</sup>، وبيان ذلك فيما يلى:

١- **المنظمات الإرهابية:** تتواجد معظم هذه المنظمات فى شكل جماعات مسلحة ضمن معسكرات ذات صبغة قومية أو دينية، وقد برر ريموند بودون (Raymond Boudon) لجوء هذه المنظمات للهجمات الإرهابية الانتحارية؛ بأنه استخدام لإستراتيجية العقلانية الفعالة (Instrumental rationality) التى يفرضها عدم تكافؤ الموارد المادية والبشرية بين هذه المنظمات وبين أعدائها، حيث توفر هذه الهجمات أعلى درجة من الكفاءة فى تحقيق أهداف قادة هذه المنظمات، وذلك لعدة أسباب هى (٢٠):

أ- سهولة تنفيذ الهجمات الانتحارية من قبل الإرهابيين الذين يلجأون إلى التكرار والتخفى، مما يسهل وصولهم إلى أماكن لا تستطيع المجموعات المسلحة الوصول إليها.

ب- عدم تمكن أعدائهم من الحصول على معلومات عن المنظمة التى ينتمى إليها الإرهابى؛ لأن هذه الهجمات تؤدى إلى قتل الإرهابى كما تؤدى إلى قتل ضحاياهم.

ج- إن تدريب الإرهابى على القيام بعملية انتحارية لا يحتاج إلى وقت طويل، كما أن تكلفته المالية ضئيلة مقارنة بتدريب الجماعات المسلحة.

٢- **المجتمع:** يلعب المجتمع الذى تنتمى إليه الجماعات الإرهابية دوراً محورياً؛ من حيث توفير المال والسلاح وأماكن الإيواء والأفراد بمن فيهم من يقومون بأعمال انتحارية، والأهم من ذلك كله توفير الغطاء الأيديولوجى والمعتقدات، وترسيخ ثقافة الاستشهاد ( Culture of

(martyrdom) التي يروجون لها على أنها أنبل الطرق التي يمكن أن يسلكها الإنسان، و التي تبرر استخدام العنف المتطرف، وتمنح قيمةً عاليةً لتضحية الانتحاري بحياته في سبيل هذه المعتقدات<sup>(٢١)</sup>.

٣- **الانتحاريون:** يتميز هؤلاء الانتحاريون بوجود مجموعة معقدة من الدوافع لديهم تدفعهم إلى التضحية بحياتهم من خلال الأعمال الانتحارية، وتفيد الدراسة التي أجريت على مجموعة من النساء تسمى الأرمال السود (Black Widows)، والتي قامت بأعمال انتحارية ضد القوات المسلحة الروسية التي قتلت أزواجهن المتمردين، أن الانتقام أو الثأر هو أهم الدوافع التي توجه سلوك الانتحاريين<sup>(٢٢)</sup>، وتعتبر أزمة الحالة الراهنة (Status crisis) هي الدافع الثاني من حيث الأهمية؛ حيث يكون الموت للانتحاري أفضل من نمط الحياة الخاطئة التي يعيشها. ومن الدوافع التي قد تدفع الانتحاريين لقتل أنفسهم؛ اعتقادهم الخاطيء بمساعدة أسرهم حين يتأكدون أن المنظمات الإرهابية سوف تقدم المساعدة المالية لأسرهم، وتوفر لهم الحياة الكريمة التي لا يستطيعون توفيرها لهم في حياتهم<sup>(٢٣)</sup>. ويُقدم بعض الانتحاريين على القيام بعملياتهم الانتحارية نتيجة إيمانهم الشديد بقيم وقواعد ثقافة الاستشهاد الخاطئة التي رسخها في عقولهم صناع الإرهاب، بحيث يشعر الإرهابي بأنه يخدم هدفاً يستحق التضحية<sup>(٢٤)</sup>.

### الإرهاب والتطرف الديني؛

يؤكد مورجان (Morgan) أن ممارسة الإرهاب قد شهدت تغييراً جذرياً في عصرنا الحالي، وأن التعصب الواضح الذي يميز المنظمات الإرهابية عبر مجموعة من نظم المعتقدات هو جزء رئيس من هذا التغيير، في حين أن التغيرات السياسية والاجتماعية قد هيمنت على الاعتبارات البراجماتية لهذه الممارسات في الماضي<sup>(٢٥)</sup>، وتنفرد الممارسات الإرهابية في وقتنا الحالي بالهجمات التي تزيد فيها معدلات الموت والدمار، كما تتميز بوجود شباب ينتمون إلى أكثر من جنسية في نفس المنظمة الإرهابية، والتي توفر لهم المأوى والتمويل المالي الكبير الذي لا يستطيع أن يوفره إلا الدعم الذي يصلهم من دول ذات مستوى اقتصادي كبير، وقد صاحب تصاعد وتيرة الإرهاب في الوقت الحالي، ومساندة بعض الدول للمنظمات الإرهابية، أن أصبح التخريب والدمار وموت أكبر عدد من الضحايا أهدافاً في حد ذاتها، تحقق غاية الممولين لها، بغض النظر عن انتمائهم الديني أو السياسي، وبدون أخذ الانتماءات السياسية أو الدينية لضحاياهم في الاعتبار.

ويرى بعض الباحثين أن التطرف والتعصب الديني يعتبر الدافع الأكثر أهمية في عصرنا الحالي، بحيث يفوق في مداه وتأثيره الدوافع السياسية التي وقفت في السابق خلف معظم الأعمال الإرهابية<sup>(٢٦)</sup>.

ويرفض إياناكون وبيرمن (Iannaccone and Bermen) التحليلات الشائعة في البحوث الغربية، والتي تربط الإرهاب بالتطرف الإسلامي؛ مدعية أن الإرهابيين يتبنون العنف طاعة لله، وأنهم لا يكون لديهم تعاطف أو رحمة تجاه ضحاياهم لأنهم يعتبرونهم أعداءً لله، كما أنهم يضحون بأنفسهم لأنهم يؤمنون بوجود جزاء عظيم وسريع بعد استشهادهم، ويؤكد الباحثان أن هذه التحليلات لا تجيب على التساؤلات التي ترتبط بأسباب الإرهاب بقدر ما تثير من تساؤلات، مثل: لماذا يوجد الكثير من المنظمات الإرهابية التي لا تنشأ على أساس ديني؟ وإذا كان الجزاء الذي ينتظره الشهيد هو ما يدفعه للقيام بالعمل الانتحاري، فلماذا تقدم على الأعمال الانتحارية جماعات لا تؤمن بالله مثل نمور التاميل (Tamil Tigers) في سريلانكا؟، كما يؤكد الباحثان أن المتطرفين في كل الديانات، والذين يصل بهم تطرفهم إلى قتل الأبرياء أو قتل أنفسهم، هم ضحايا للجهل أو الإكراه أو الخداع أو الأمراض النفسية، وهو ما أجمعت عليه النظريات الأكاديمية التقليدية<sup>(٢٧)</sup>.

وتتفق هذه الرؤية مع الرؤية الإسلامية؛ التي لا تجد في آراء الفقهاء المشهود لهم بالعلم ما يبيح قتل النفس التي حرم الله قتلها، أو يبيح الانتحار وقتل الأبرياء في أماكن عبادتهم، ويسهم الجهل بحقيقة الدين وعدم التعمق في فهمه في ظهور التطرف؛ نتيجة للفهم الظاهري للنصوص وعدم امتلاك مقومات الاجتهاد الصحيح، ومن ثمّ الوقوع في الخطأ في استنباط الأحكام وفي تصور المفاهيم وبناء الواقع عليها، كما أن التعلم على غير أيدي العلماء، وتلقي العلم من الورق والكتب مباشرة من غير فهم أو ربط للنصوص بأسبابها وحكمها، يعتبر من أوسع الأبواب التي يتسرب منها الجهل الذي يؤدي إلى الغلو والتطرف<sup>(٢٨)</sup>.

ويلجأ صناع الإرهاب إلى إكراه الأفراد الذين ينضمون إليهم للقيام بالأعمال الإرهابية، وذلك بعد أن تغلق أمامهم سبل العودة إلى موطنهم خوفاً من الاعتقال والتعذيب والتكيد بهم وبأسرهم، كما يلجأون إلى خداعهم بتفسير نصوص الدين بطريقة خاطئة ومغرضة، مستغلين جهلهم، أو عن طريق المغالاة والخداع في تصوير العدا الذي يمارسه المجتمع ضد كل من يلتزم بتعاليم دينه.

إن التحولات الثقافية التي يشهدها عالمنا المعاصر، والتي دفعتها عوامل التغيير الاجتماعي التي نتجت عن التطور التكنولوجي المتسارع، وما تمخض عنه من ثورة طالت المعلومات والاتصالات، قد تسببت في صدمة شديدة لشباب العالم العربي والإسلامي، تتمثل في

تخبطه في حلقة مفرغة باحثاً عن هويته، ومن هنا تسللت الجماعات الإرهابية، لتمثل ثقافة فرعيةً تسعى إلى توفير نوع من الهوية الثقافية للأفراد الذين ينتمون إليها، بما يحقق أغراضها الاجتماعية والسياسية باستخدام الدين وتوظيفه كمبرر لشرعية تواجدها في المجتمع، على اعتبار أنها حركة إصلاحية جاءت لتحارب الفساد فيه<sup>(٢٩)</sup>.

وقد عزز صناع الإرهاب هذه الثقافة عن طريق توظيف الدين من خلال الفتاوى المغرضة والمغلوبة التي تحت على التمرد والعنف، واستباحة الدم والمال، ورمى كل من يخالفهم بالكفر والردة والعودة إلى الجاهلية، بهدف هدم المجتمع و مؤسساته.

وتلعب الثقافة الفرعية للتطرف والإرهاب، باعتبارها ثقافة تعيش في صراع مع ثقافة المجتمع، دوراً كبيراً في تفويض ثقافة المجتمع وهويته، عن طريق تشويه رسالة الدين التي تمثل ركناً أساسياً ومهماً في ثقافة الشعوب العربية والإسلامية؛ مما يؤدي إلى اختلال المعايير الاجتماعية التي توجه الممارسات الاجتماعية لأفراد المجتمع، ومن ثم تفتش الأمراض الاجتماعية التي تعجل بالتفكك الاجتماعي، وشعور أفراد المجتمع بالاغتراب والعزلة داخل وطنهم، وبذلك يصبحون هدفاً سهلاً لصناع الإرهاب.

وقد قامت هذه الدراسة بتمييز الإطار الذي تعمل من خلاله ظاهرة الإرهاب، باعتبارها صناعة تقوم على تنظيمات أو جماعات لا يعوزها المال، ولا تعجز عن ضم الشباب الذين ينتمون إلى خلفيات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة، وفي بعض هذه الجماعات يجتمع أيضاً شباب من خلفيات دينية مختلفة، مثل الجماعات العنصرية في بعض الدول الغربية والآسيوية؛ ولذلك يقتضى الوقوف على أسباب نشأة هذه الصناعة ونموها أن ندرك الكيفية التي تم بها جمع الشباب الذين نالوا قدرًا كبيراً من التعليم مع أولئك الذين لم يحصلوا من التعليم إلا القليل، والذين لا يعوزهم المال مع من يعانون من الفقر المدقع، وكذلك من نشأوا في أسر مستقرة مع من كانوا ضحايا لأسر مفككة، فضلاً عن جمع من نشأ في ظل الثقافة الغربية مع من عاش في البيئة العربية والإسلامية.

إن نشأة هذه الجماعات أو التنظيمات قد اعتمدت على رسالة متكررة من مؤسسيها تؤدي إلى زرع الشعور بالقهر الجمعي (Collective Conquest) لدى مجموعة من الشباب، وتؤكد هذه الرسالة دائماً على أن حالة القهر هذه هي نتيجة لانتماء هذا الشباب إلى العقيدة أو الأيديولوجية المشتركة التي ينتمون إليها، والتي تدفع جميع الآخرين إلى ممارسة هذا القهر عليهم، فإذا صادفت هذه الرسالة نفساً تزرع تحت عبء معاناة أو حاجة شديدة لا تستطيع تلبيتها، وتتبنى عقيدة أو أيديولوجية مشوهة، أصبح الشاب فريسةً سهلةً لصناع الإرهاب، وبذلك تستوى جميع العوامل - سواء كانت اجتماعية، أو ثقافية، أو اقتصادية، والتي كانت سبباً في المعاناة، أو مثلت حاجةً



شديدة - فى قوة دفعها ودرجة مشاركتها فى ضم الشباب إلى صفوف الإرهاب، وكذلك يختفى الدافع الخاص لكل شاب تحت المظلة التى تضم تحتها كل رفاقه ، وتخالف هذه الرؤية التى تراها الدراسة تفسير الاتجاه النفسى مخالفة جوهرية، تتمثل فى أنه من المنطقى أن من يشعر بالمعاناة أو الحرمان سوف يوجه عنفه وانتقامه نحو من تسبب له بهما، فى حين أن الإرهابى يستهدف عددًا كبيرًا من الأبرياء الذين لا تربطهم علاقة مباشرة به.

إن توجه الشاب نحو الارتباط بالجماعات أو التنظيمات الإرهابية يعتمد على وقوعه فى أسر ثلاثة عوامل: **أولها** : المعاناة أو الحاجة شديدة الإلحاح، والتى تتعدد أنواعها بين الفقر والعوز المالى، أو التمييز العرقى أو الدينى، أو عدم القدرة على تحقيق الأمان لنفسه أو لأسرته، أو حتى الشعور الخاطئ بأن تقصيره عن القيام بما تفرضه عليه عقيدته يرجع لنمط الحياة الذى يفرضه عليه المجتمع الذى يعيش فيه.

**وثانيها**: عقيدة أو أيديولوجية مشوهة تخالف المبادئ الإنسانية والتعاليم السماوية، وترى فى مخالفيها أعداء لها يعملون دائمًا على قهر تابعيها.

**وثالثها**: الشعور بالقهر الجمعى، والذى يغرس فيه الإحساس بأنه ليس بمقدوره سد حاجته، وأن هناك غيره الكثير ممن يرزحون تحت عبء هذا القهر، فيسعى للانتماء إلى من يشاركونه عقيدته؛ حيث يمثل له هذا الانتماء ملاذًا يحقق له الهروب من المعاناة، والشعور بالرضا فى السعى لنصرة عقيدته .

وتتمثل هذه العوامل الثلاثة حلقةً تحيط بالشباب؛ فتجعلهم فريسةً لا تستطيع ولا ترغب فى الفكاك من شباك صناع الإرهاب.

لقد قام صناع الإرهاب فى عالمنا العربى والإسلامى بتشويه العقيدة الإسلامية السمحة، والبعد بها عن الوسطية التى ميزت الأمة على مر تاريخها، فأباحوا للمسلم أن يقتل نفسه وأن يقتل الأبرياء، كما غرسوا فى نفوسهم اليأس ونزعوا من قلوبهم الرحمة، من أجل تحقيق أهدافهم التى تجافى مقاصد الشريعة الإسلامية وتناقض جوهر العقيدة.

لذلك أصبح من اللازم أن يهتم علماء الأمة الإسلامية وفقهاؤها إلى المبادرة بكسر تلك الحلقة؛ عن طريق ابتكار الوسائل، واستغلال ما وفره التقدم التكني لإيصال صحيح العقيدة للشباب فى جميع أنحاء المعمورة، وفتح قنوات التواصل معهم، والاستجابة الواعية لما يشغلهم، على اعتبار أن هذه هى أقرب وأسرع الوسائل إلى كسر هذه الحلقة، والتى يتطلب التخلص منها جهودًا كبيرة تقع على عاتق المجتمعات والدول.

(١) Schmid, A. Political terrorism: A research guide to the concepts, theories, databases and literature. Amsterdam, the Netherlands: SWIDOC(١٩٨٣).

(٢) Schmid, A. Political terrorism: A research guide to the concepts, theories, databases and literature. Amsterdam, the Netherlands: SWIDOC(١٩٨٣).

(٣) عدنان السيد حسين العلاقات الدولية في الإسلام، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢٠٠٦م، ص ١٢٢.

(٤) Cinoğlu, H. and Özzeren, S. Classical Schools of Sociology and Terrorism. Eskişehir Osmangazi Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, (٢٠١٠). ١١(٢).

(٥) Turk, A. T.,. Sociology of Terrorism. Annual Review of Sociology. ٣٠, (٢٠٠٤) ٢٧١-٢٨٦.

(٦) ibid.

(٧) ibid.

(٨) ibid.

(٩) ibid.

(١٠) ibid.

(١١) ibid.

(١٢) ibid.

(١٣) ibid.

(١٤) ibid .

(١٥) ibid.

(١٦) ibid.

(١٧) ibid.

(١٨) ibid.

(١٩) idid.

(٢٠) ibid.

(٢١) Weinberg, Leonard 'Suicide Terrorism for Secular Causes.' Pp. ١٠٨-٢١ in Root Causes of Suicide Terrorism, edited by Ami Pedahzur. London: Routledge(٢٠٠٦) .

(٢٢) op.cit.

(٢٣) ibid.

(٢٤) Hafez, Mohammed M 'Dying to Be Martyrs: The Symbolic Dimension of Suicide Terrorism.' Pp. ٥٤-٨٠ in Root Causes of Suicide Terrorism, edited by Ami Pedahzur. London: Routledge. (٢٠٠٦) .

(٢٥) ob . cit.

(٢٦) ibid .

(٢٧) ibid.

(٢٨) ibid .

(٢٩) ibid.

## مفهوم الإرهاب

سماحة الشيخ / عمرو ملام

رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بالكاميرون

الكاميرون

إن الإرهاب ظاهرة قديمة قدم وجود الإنسان على الأرض، وعندما نرجع إلى القرآن الكريم في معرض حديثه عن إزهاق أحد ابني آدم روح أخيه نجد أن الله تعالى يدعو بنى آدم لحماية الحياة البشرية ، يقول الله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ ۝﴾ (المائدة: ٣٢).

لقد تمّ توظيف الإرهاب عبر التاريخ من قبل من يسعون للوصول إلى السلطة أو محاربة الدولة، وقد تعددت أشكاله عبر العصور، ومن ذلك :

- فى ألمانيا هناك عصابة "بادر ماينهوف" وهي حركة يسارية مناهضة للرأسمالية، وقد حاربت الدولة الألمانية واتهمتها بالوقوع في أيدي النازيين وذلك في ستينيات القرن الماضي .
- فى إيطاليا فى سبعينيات القرن الماضى عصابات الألوية الحمراء التي استهدفت إضعاف الديمقراطية الإيطالية .

وفى أيامنا هذه حدث تطور فى أشكال الإرهاب حتى صار الإرهاب الذي ينطلق من توجه دينى وطائفى أكثرها شيوعاً، ومن الجدير بالذكر أن هذا الشكل من الإرهاب قد تسبب عبر التاريخ فى كثير من البلايا على مستوى المذابح ضد الأفراد وممتلكاتهم .

وانطلاقاً من ذلك لا يمكن أن يكون الإسلام سبباً في أى إرهاب، فمن الخطأ القول بأن الإسلام هو سبب الأعمال الإرهابية؛ فديننا اسمه مرادف للسلام والأمن والعيش السلمى المشترك بين الشعوب، أما هذا النوع من الإرهاب المدفوع بالدين فما هو إلا تأويل خاطئ للنصوص المقدسة لأهداف متطرفة وإرهابية.

من أجل ذلك وفى أيامنا هذه على جميع التواقين إلى العدل والحرية التسابق إلى حسن فهم المحتوى الدينى كما نزل وبلغه رسل الله عز وجل .

بشكل تاريخى وطبقاً لأكثر الآراء انتشاراً في العالم يمكن أن نذكر أن الجماعات الإرهابية قد وصل نشاطها العسكرى من غرب أفريقيا إلى أفريقيا الوسطى، وقد أدى ذلك إلى خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، فقد تهاوى الاقتصاد في تلك المناطق وارتفعت التنمية بإرادة قوم لا يعرفون ديناً أو قانوناً، وقامت الجماعات الإرهابية تنشر العنف والفوضى في مالى كما تنشر بوكو حرام في النيجر ونيجيريا وتشاد والكاميرون. ولا شك إن الهجمات الإرهابية تطل أوروبا وأفريقيا على حد سواء.

ومن الجدير بالذكر أن مصر تتصدى بكل قوة وحسم للجماعات الإرهابية، وتعد رائدة فى مواجهة الإرهاب على المستويين الأمنى والفكرى.

وإذا تحدثنا عن الأسباب الدينية للإرهاب فلا بد أيضاً من الحديث عن الأسباب الاقتصادية الناشئة عن الفقر الذى يعيش فيه بعض السكان، والذى تستفيد منه الجماعات الإرهابية لتجنيد الشباب والنساء في عملياتهم القاتلة، فبالنسبة للفتيات يتم استخدامهن فدائيات لتفجير أنفسهن في مناطق مأهولة بالسكان لإحداث خسائر مادية وبشرية جسيمة.

### **معاربة الإرهاب :**

يعد الإرهاب كارثة عالمية لا بد من محاربتها، وعلى المجتمع الدولى كله أن يقوم بذلك بدءاً بمنظمة الأمم المتحدة التي تضم جميع دول العالم المستقلة، كما أن هناك الاتحاد الأوروبى، وجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامى، واتحاد دول المغرب العربى، ودول البحر المتوسط، ومنظمة حلف شمال الأطلسى والاتحاد الأفريقى.

ولا بد أن نحى المجتمع الدولى والدول الأفريقية على سياساتها الوطنية والدولية في محاربة الإرهاب.

كما أتوجه بالتحية المستحقة لمصر التي ظلت منذ أمد طويل وما زالت تنشر العلم والإسلام الوسطى السمح عبر العالم، لا يمكن أن ننسى أيضاً المغرب والجزائر وتونس .

إن عالمنا يشهد اليوم اضطرابًا ماحقًا في ظل الصراعات الدولية متعددة الأشكال، ولذلك فهو بحاجة إلى التعليم الإسلامي لمحاربة كل ألوان العنف بكل أشكاله : التطرف والظلم والإرهاب المدمر.

### **كيف نحارب الإرهاب :**

- ١- لابد من التعامل مع الأسباب الداعية إلى الإرهاب؛ وذلك بمحاربة الفقر والأمية والتمييز والتهميش والفساد.
- ٢- دفع النمو الاقتصادي، وخلق فرص عمل تدر دخلاً؛ خاصة في ظل الأزمات الاقتصادية التي لا يزال عالمنا يعاني منها منذ أمد طويل.
- ٣- احترام الآخرين والحريات الأساسية، وهذا الدور منوط بالمجتمع بأسره، بداية من القادة المحليين والتجمعات الأساسية والبرلمانية وحكومات الدول.
- ٤- تشجيع التسامح والحوار بين الأمم، والحوار بين الأديان والمجتمعات.

## الخاتمة

يمثل الإرهاب تهديداً خطيراً وخطراً على الأمن والحرية وقيم الديمقراطية، ومن ثم على المواطنين وجميع بلدان العالم.

وإذا كانت بعض العقول تسعى بسوء نية إلى أن تلقى في روع الرأي العام أن الإسلام مرادف للعنف ظلماً وعدواناً، فإنه يجب التأكيد على أنه ليس في هذا الدين سوى السلام والطاعة والانقياد لله، الذي هو مصدر السلام.

إن التاريخ البشري ليبيّن لنا ذلك عبر تطور الأديان التي سبقتنا مع ما حدث من إبادات جماعية باسم الدين؛ فلا يمكن مثلاً أن ننسب للإسلام وزر الحربين العالميتين مع ما صاحبهما من البربرية الفاضحة.

على عالم اليوم أن يرتبط بالدين الذي أنزله الله عز وجل عبر الفهم الصحيح والتفسير الصحيح للنصوص المقدسة، وتطبيقها الصحيح في حياتنا اليومية.

إن الوفاء بالعهد والصدق في الحديث لا بد أن يكونا نبراسين للتعامل بين البشر، وهكذا يعلمنا الإسلام احترام وإنفاذ العهود مع الأفراد ومع الدول. والأمر نفسه ينطبق على المعاهدات والاتفاقيات الدولية. يقول تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل: ٩١).

ولأن الحياة مقدسة فلا بد من حمايتها، وفي المعنى نفسه فإن محمداً ﷺ يعلمنا أن الإنسان بنيان الله ملعون من هدمه.

إننا ندعو البشر جميعاً إلى التوحد لا الفرقة، وإلى البناء لا الهدم، ومن أجل عالم يسوده السلام والأخوة والمودة لا بد أن نظل متوحدين ومتضامنين في حربنا على الإرهاب الدولي بجميع أشكاله وعلى التطرف أيضاً.

علينا بوضوح ألا ننسى دور الوقاية ومحاربة التطرف واستئصاله، فنحن نريد عالماً يعيش في ظل التفاهم والحب والأخوة العالمية واحترام الإنسان.

## الإرهاب تعريفه - جذوره التاريخية - أسبابه الدينية طرق علاجه

الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الحفناوى

أستاذ أصول الفقه ومقرر اللجنة العلمية الدائمة

لترقية أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد؛ فإن الأصل فى المسلم هو المسالمة العامة للناس جميعاً، بل المسالمة العامة للكائنات، فتسَلَّم هي منه كما يسلم هو منها؛ لأنها فى اعتقاده تسبح بحمد الله: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤) .

والإيمان الصحيح متى استقر فى القلب ظهرت آثاره فى السلوك، ومنهج الإسلام الواضح يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية؛ لتبقى حية متصلة بالينبوع الأصيل، والشريعة الإسلامية يتمثل مقصدها الأعظم فى جلب المصلحة ودرء المفسدة،



ولا يتم ذلك إلا بإصلاح حال البشر ومنع مفسادهم، فصلاح الإنسان صلاح العالم، وفساده هو فساد، قال تعالى فيما قصه على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَنْقَوْمَرِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود: ٨٨)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦)، والمصلحة هي المحافظة على مقصود الشرع بجلب المصالح لهم ودفع المفساد عنهم، ولا مفسدة تعدل إزهاق نفس بريئة بغير حق اللهم إلا لمجرد المخالفة في العقيدة أو المذهب أو الفكرة، هذه المخالفة التي تجسد سنة الله الكونية في التنوع والاختلاف الذي من المفترض أن يؤدي في النهاية إلى التعارف والتآلف، يقول تعالى: ﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣).

فالذي لا يقبل هذا التنوع ويستثمره لصالح الإنسانية إنسان منكوس الفطرة، معادٍ لسنة كبرى من سنن الله الكونية، وبالأحرى هو كائن مريض معند أليم، لا يستحق وصف الإنسان، ولا الانضمام إلى الأسرة الإنسانية، ويجب على الجميع مقاومته، والسعى إلى تخلص الإنسانية كلها من شره، ولكن ذلك مما يحتاج إلى تكاتف الجهود، وإلى الكثير من الخطوات العلمية المنهجية المدروسة، ومن ثم رأيت أن أدلى بدلوى في هذه القضية؛ بما رأيت أنه يقدم خطوة في سبيل تخلصنا وتخليص العالم كله من هذا الشر المحيط بنا (الإرهاب).

### تعريف الإرهاب

الإرهاب هو إخافة الناس وإشاعة الذعر والرعب بينهم، وقتل الأبرياء منهم، والاعتداء على أعراضهم وأطفالهم، وهدم بيوتهم وتخريب مزارعهم ومصانعهم، ومهاجمتهم بمختلف الأسلحة الفتاكة وتشريدهم.

وإن شئت قلت بجانب ذلك: هو وصاية الفكر والرأى المغالى وفرضه على الناس وإفساد عقولهم وأخلاقهم وقتل مخالفيهم. فالإرهابى غير معنى بمن يرتكب ضده جريمته، فهو لا يعرف

المجنى عليه ولا يكثرث به؛ لأنه عنده مجرد صندوق بريد لإيصال رسالة ترهب طرفاً ثالثاً<sup>(١)</sup>.  
 إن جريمة الإرهاب لا تقصد الاعتداء على إنسان بريء، أو على جماعة من الأبرياء فقط،  
 ولكنها تستهدف إرهاب أمة كاملة، أو مجموعة من الأمم، مما يجعلها أولاً جريمة جماعية، وثانياً  
 جريمة ضد الإنسانية، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا  
 بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا  
 النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ  
 لُمُسْرِفُونَ ۗ ﴾ (المائدة : ٣٢).

### الجدور التاريخية للإرهاب :

والذى يقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ  
 قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي  
 أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ ﴾ (البقرة: ٣٠) يفهم أن نوازع الشر كامنة فى النفس الإنسانية، وأن الإرهاب  
 والاعتداء بدأ منذ بداية البشرية .

وقد ذكر المؤرخون أن الإرهاب ظاهرة صاحبت البشرية منذ القدم، وقد عرفه العالم فى  
 صوره المختلفة منذ أقدم العصور . وفى تاريخ الحضارة الإسلامية كانت هناك خلافات سياسية  
 أخذت صبغة دينية مذهبية، وكان الاختلاف فى الإمامة يمثل حجر الزاوية فى تلك الخلافات، مما  
 أدى إلى ظهور فرق متطرفة فكرياً ومنهجياً، أبرزها فرقة الخوارج التى يرجع العلماء والمؤرخون  
 التطرف الدينى والإرهاب إليها وإلى أفكارها، حيث عامل الخوارج المخالفين لهم من المسلمين  
 باعتبارهم كفاراً، بل كانوا يعاملونهم بما هو أقسى من معاملة الكفار، ولا يستثنون من ذلك امرأة  
 ولا طفلاً ولا شيخاً، ثم تبادوا فى غلوهم فارتكبوا باسم مبادئهم أعمال القتل واستباحوا لأنفسهم  
 أموال المسلمين وممتلكاتهم .<sup>(٢)</sup>

وفى الوقت الراهن برز الإرهاب فى شتى دول العالم بأوسع أشكاله وأنواعه وصوره، ومن  
 أبرزها ما يلي :

١- احتلال الدول والسيطرة على مقدراتها، وسرقة ثرواتها، واستغلال شعوبها .  
٢- قيام الدول الداعمة للإرهاب بتقديم كل أنواع الدعم المادى والمعنوى للمنظمات الإرهابية؛ كى تمارس القتل ونشر الفساد وارتكاب الأعمال التخريبية بالممتلكات العامة والخاصة داخل دول بعينها .

٣- الإرهاب الإلكتروني المتمثل فى الجرائم المرتكبة بواسطة الحاسوب واستخدام برامجه، مثل : الاختلاس، والاحتياىل، والسرقة، والتتصت على الخصوصيات .

٤- إرهاب الأسلحة، بحيث أصبح هناك تشكيلة من الذخيرة يختار الإرهابى منها ما يشاء لتنفيذ سيناريو أى عملية إرهابية، ابتداء من الأسلحة الفردية والمتفجرات التى تمّ تصميمها لإعانة الإرهابيين وتسهيل مهمتهم من حيث دقة التصويب أو كتم الصوت أو استغلال إمكانية التفجير عن بعد، وانتهاءً بأسلحة الدمار الشامل المتمثلة فى الأسلحة الكيماوية والنووية التى تمتلكها بعض الدول<sup>(٣)</sup> .

وخلاصة القول هنا أن الإرهاب غدا مظهراً من أشد مظاهر الغلوّ شيوعاً وانتشاراً، ويكاد يكون قاسماً مشتركاً بين الغلاة بمختلف توجهاتهم، والكل يمارس العنف بصور متعددة، ابتداءً بعنف اللسان، وانتهاءً بسفك الدماء، وإزهاق الأرواح .

ومما ينبغى ذكره أن ظاهرة الإرهاب تتجلى عند أفراد قلائل وجماعات صغيرة داخل المجتمعات المسلمة، بيد أن الآثار الناجمة عن أفكارهم وتصرفاتهم جعلها بالفعل ظاهرة مثيرة وأزمة خطيرة تمس ديننا وقيمنا وحياتنا ومستقبل أوطاننا، ومن العجب أن أولئك الإرهابيين يعتقدون أن ما يقومون به من قتل وسفك دم يتقربون به إلى الله تعالى، وهو اعتقاد خاطئ، فلا توجد شريعة نزلت من السماء إلا وتدعو إلى التمسك بالقيم والمبادئ، وتتصّ على حرمة الدماء وترويع الأمنين، يقول تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا

بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۗ ﴾ (المائدة: ٣٢) : وقال المعصوم عليه السلام : " ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به .. " <sup>(٤)</sup> .

## جهود المجتمع الدولي لمكافحة الإرهاب

بدأت جهود المجتمع الدولي لمكافحة الإرهاب منذ عصر عصبة الأمم المتحدة بعد نجاح إرهابيين ينتمون إلى منظمة انفصالية مقدونية في اغتيال ألكسندر الأول ملك يوغوسلافيا، ولويس بارثون رئيس مجلس الدولة الفرنسي في مارسيليا بتاريخ ١٠/٩/١٩٣٤م، وأثمرت هذه الجهود عن اعتماد عصبة الأمم ميثاقاً دولياً يضم اتفاقيتين؛ الأولى : خاصة بقمع الإرهاب الدولي، والثانية : خاصة بمحاكمة المتورطين في جرائم الإرهاب أمام محكمة جنائية دولية .

## الأسباب الدينية لصناعة الإرهاب

**السبب الأول:** الاعتماد على النفس في الفهم دون الرجوع للعلماء:

فمجرد الاعتماد على النفس في فهم النصوص، أو القراءة الحرة البعيدة عن الأخذ عن العلماء النقات، أو حتى الأخذ عن أدعياء العلم ممن لم ترسخ أقدامهم في العلم والبحث، كل ذلك مدعاة للانحراف في الفهم واتباع الهوى، وهذا أحد أكبر المداخل التي يدخل منها التطرف والإرهاب<sup>(٥)</sup> .

روى أميمة الجمحي عن النبي ﷺ قال: " إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر"<sup>(٦)</sup> ، وقال ابن مسعود: "لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا"<sup>(٧)</sup> ، والأصاغر هم الذين يقولون برأيهم ، وقال بعض أهل العلم المراد بالصغير هنا : الذي يُسْتَقْتَى ولا علم عنده، والمراد بالكبير هو العالم في أي سن كان، فقد قالوا : الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان حدثاً .

وهذا ما نوّه إليه العلماء من لدن السلف الصالح والأئمة الكبار فيقول الإمام الشافعي:

"من تفقه في بطون الكتب ضيّع الأحكام، ومن كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه"<sup>(٨)</sup> .

وإذا كان أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحدًا بذنوب، فإن الإرهابيين بناء على اعتمادهم على فهمهم يقولون: إن المسلم لو ارتكب معصية صغيرة أو كبيرة فقد صار كافرًا ما لم يتب في

لحظتها، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ

يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٧)،

ولو كان ما لدينا من القرآن والسنة هذا النص فقط، لكان الحكم كما يقولون، ولكن الله تعالى يقول

في الآية التي تليها: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ

أَلَمْ تَوْقُلْ قَالَ إِنِّي تَبْتُ وَلَا أَلْئِنَّ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿النساء: ١٨﴾.

فإذا جمعنا الآيتين يكون معنى ( قريب ) هو حضور الموت، فإن أضفنا إلى ذلك بعض ما ورد في السنة تأكد هذا المعنى بجلاء، من ذلك قوله ﷺ : " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " <sup>(٩)</sup> أي: تاب قبل علامات الساعة الكبرى .

**السبب الثاني: التشكيك في العلماء وفقدان الثقة بهم :**

وهذا من أخطر مخططات أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، وهو أن يعزلوا علماء الأمة عن الناس؛ لأن الناس لن يعرفوا دينهم الحق إلا عن طريق العلماء، فهم ورثة الأنبياء، ومصاييح الأمة، فلو انعزل العالم عن الناس أو هجره الناس لوقعوا في ظلمات، وتفرقت كلمتهم، وشُتت جمعهم، وهذا ما خطط له أعداء الأمة؛ ففي برتوكولات حكماء صهيون: " قد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأممييين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم، التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودًا في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدين ليتضاءل يوماً فيوماً ، سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جداً من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئاً على الناس، حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها " <sup>(١٠)</sup> .

ولذلك انحرف بعض الشباب عن منهج التلقي، فبعد أن فقد الثقة في العلماء بدأ يبحث عن مخرج، وبدأ في تغيير منهج التلقي نتيجة الجهل الذي يعيش فيه، فكانت المحاولة في فهم الآيات والأحاديث وفق ما يرى هو دون رجوع إلى علماء الأمة، فبدأوا يعتقدون أولاً، ثم ذهبوا إلى آيات من القرآن الكريم يطوعونها حسب وجهتهم، وكذا كل الأدلة التي تفسد عليهم استدلالهم، طوعوها حسب ما يعتقدون .

**السبب الثالث: اجتزاء النصوص، وتنزيل الآيات التي نزلت في غير المسلمين في المسلمين:**

وهذا هو ما قام به الذين قالوا: "بكفر مرتكب الكبيرة، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ

سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨١) ،

فقالوا: من فعل كبيرة، ولم يتب منها وأصر عليها، فقد أحاطت به خطيئته وصار مرتدًا بذلك .

فإذا أخذنا النص القرآني هكذا مقطوعاً مبتوتاً عن غيره فيمكن أن يكون الاستنتاج سليماً، ولكن متى عدنا للآية في موضعها نجدتها نتحدث عن بنى إسرائيل وتحريفهم للتوراة، وإسناد ما حُرِّف وكتب باليد لله تعالى، عند ذلك توعدهم الله على هذا الفعل الشنيع، وقولهم: إن هم دخلوا النار فلن يلبثوا إلا أياماً معدودة، فردَّ الله ذلك عليهم، وقال بأنهم قد كسبوا سيئة كبيرة، وقد أحاطت بهم خطيئتهم، وسيدخلون النار ليس لأيام كما يدعون بل خالدين فيها، ولنقرأ الآية كلها يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ (البقرة: ٧٨-٨١) .

أما المسلم الذي يرتكب خطيئة ليست من هذا النوع فتكفيه التوبة قبل حضور الوفاة، هذا في حقوق الله، وأما في حقوق العباد فيلزمه الصفح والسماح من صاحبها ولا تكفى مجرد التوبة، وقياس المعاصي على التحريف غير جائز، فالغيبية معصية، والنميمة معصية، والحسد معصية، والهمز واللمز والتنازب بالألقاب وأمثالها كثير، فهل من يفعل ذلك يكفر؟! إذا قلنا بهذا فلن يبقى أحد من هؤلاء الشباب المخدوعين بأقوال منظري الإرهاب ولا من غيرهم (١١) .

وهذا ما يسميه الإمام الشاطبي باتباع الهوى، فقال: " ولذلك سمي أهل البدع: أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك (١٢) .

ومثل قولهم: إن الأمة الإسلامية إذا عملت ببعض الشريعة وتركت البعض الآخر يجرى لها ما جرى على اليهود، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْلَاءٌ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۗ أَفَعُومُونَ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۗ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ

ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا حِزْبٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۗ فَلَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ ﴿البقرة: ٨٥، ٨٦﴾.

**السبب الرابع:** تنزيل الظنى منزلة القطعي، والفروع منزلة الأصول :  
القطعي يختلف عن الظنى، والأصول تختلف عن الفروع ولكل أحكامه، فلا يصح أن ينزل أحدهما منزلة الآخر. وقد عرف العلماء القطع فقالوا: هو حصول العلم ضرورياً كان أو نظرياً. والظن: إدراك الطرف الراجح<sup>(١٣)</sup>. كما أن هناك قواعد تحكم الخلاف بين القطعي والظنى منها :  
أن الظنى لا يُنكر المختلف فيه، كما أن الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد، بينما القطعي يفيد العلم اليقيني فلا يجوز فيه الاجتهاد، ولا يجوز فيه الخلاف<sup>(١٤)</sup>؛ لأن هذا شأن قطعي الثبوت والدلالة، وقاعدة " الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد " تصدق على أمرين:  
**الأول :** الاجتهاد في الحادثة أو القضية المعروضة على القاضى إذا كانت من المسائل التى يسوغ فيها الاجتهاد .

**الثانى :** اجتهاد المكلف عند اشتباه الأمور عليه، كالتحرى فى القبلة، فإن الاجتهاد الثانى لا ينقض اجتهاده الأول .

وبهذا يتضح عدم جواز تنزيل الظنى منزلة القطعي، بينما يقوم أصحاب التيار المتطرف والمتشدد بتنزيل الفروع مكان الأصول والظنى مكان القطعي، مثل القول بوجوب ستر وجه المرأة، وادعاء الإجماع عليه والقول بفرضية النقاب، فالخلاف فى هذه المسألة سببه :  
عدم وجود أدلة قطعية فيها، ومع ذلك نرى أصحاب الفكر المتشدد يأتون أن تنزل هذه المسألة منزلتها، وأن يُعامل معها التعامل المناسب مع أشباهها من مسائل الفروع الاجتهادية الظنية التى تحتل اختلاف الأنظار وتباين الآراء، وقضوا بقطعية تغطية الوجه ووصف المخالف لهم وكذا المرأة التى لا تغطى وجهها بأوصاف لا ينبغى لمسلم أن يتلفظ بها.

**السبب الخامس:** الخلط بين الكفر الأصغر والأكبر :

إن لفظ الكفر ورد كثيراً فى القرآن والسنة وعلى السنة العلماء فهل له معنى واحد، بمعنى الخروج عن الإسلام والسقوط فى الكفر؟ أم له معان أخرى ككفر النعم وأمثالها؟ إن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل: ٤٠). فما يقابل الشكر

هنا هو كفر النعمة وجودها، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: ١٢).

وأصرح من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢). وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ۗ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم: ٨) ناداهم الله بوصف الإيمان وطلب منهم التوبة ليكفر عنهم السيئات. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۗ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۗ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۗ إِذِنَ اللَّهُ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢)، فسمى الله الجميع مصطفين، وفيهم المقصر بفعل المعاصي وهو الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد وهو الفاعل للأوامر والمجتنب للمعاصي، مقتصرًا على الواجب، ومنهم السابق الذي زاد على المقتصد بفعل النوافل .  
وقيل : هذه القسمة بحسب الثواب في الآخرة، فالظالم لنفسه من زادت سيئاته على حسناته، والمقتصد من تساوت حسناته وسيئاته، والسابق من زادت حسناته على سيئاته.

وجاء في السنة المطهرة عن الرسول ﷺ: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" <sup>(١٥)</sup> والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۗ ﴾ (الحجرات: ٩) فأثبت لهما صفة الإيمان مع اقتتالهما، فظهر أن الحديث لا يعنى الكفر الأكبر. وقال رسول الله ﷺ للنساء: " تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار " فلما سألت امرأة عن السبب قال ﷺ: " تكثرن اللعن وتكفرن العشير" <sup>(١٦)</sup> والعشير هو الزوج .



إن الخلط بين الكافرين هو الذى وقع فيه أهل الإرهاب، كما أنهم خلطوا بين الفسق الذى يكون بالذنوب الصغير وبالكفر، وبين الكفر والظلم، فجعلوها كلها بمعنى الشرك أو مرادفة له، ولكن من يقرأ القرآن والسنة يجد غير ذلك .

من هذا قولهم: الظلم من الكفر، فقد قال تعالى: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٤) ولا يشك أحد أن الكافر ظالم لنفسه بكفره، ولكن هل كل ظالم كافر ؟ لا بكل تأكيد، فهذا يونس عليه السلام يقول فيما قصه القرآن الكريم: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧) أما الخلط بين الفسق والكفر فيستشهد له الإرهابيون بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (البقرة: ٩٩) والحق أن الفسق يطلق على المعصية الصغيرة وعلى الكفر، لذا كل كافر فاسق، ولكن ليس كل فاسق كافراً. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ (الحجرات: ١١) فهل التنابز بالألقاب من موجبات الكفر؟ لم يقل أحد بهذا؛ لأن الله عز وجل أعطاهم اسم الفسق لا الكفر، وإن كان الكفر يعتمه خروج عن الطاعة عقيدة أو عملاً، لكنه هنا للعمل؛ لأن الآية فى السلوك لا فى العقيدة، حيث ناداهم الله بوصف الإيمان، والذين لم يتوبوا ظالمون، والظلم قد يكون بالكفر، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (نجم: ١٣) وقد يكون بغيره وهو عدم العدل، وهو المراد هنا، أو ظالمون لأنفسهم بالتنسب فى العقاب: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (الطلاق: ١) .

إن ألفاظ الفسق والظلم أطلقت على المسلم والكافر فى القرآن والسنة، لذا يجب التثبت وعدم التسرع، فالكفر الأصغر لا يخرج صاحبه عن الملة، والكفر الأكبر يخرج صاحبه عن الملة، وكل كافر فاسق وظالم، ولكن ليس كل فاسق أو ظالم كافراً<sup>(١٧)</sup> .

**السبب السادس:** توسعهم فى دعاوى نسخ الآيات القرآنية، الأمر الذى يقف حائلاً دون فهم عموم الكتاب وهدايته:

فالأصل فى الآيات القرآنية أنها محكمة غير منسوخة، والتوسع فى دعاوى نسخ النصوص مسلك غير مرضٍ، فإن فيه تقييداً لإطلاق القرآن، وتضييقاً لشموله لكل زمان ومكان. وفى الوقت الذى يزعم فيه الإرهابيون وغيرهم نسخ آيات العفو والصفح فى القرآن الكريم بأية واحدة يقال

عنها: آية السيف، أرى عدم وجود آية واحدة في القرآن الكريم منسوخة الحكم، وإن كان هذا على خلاف ما يراه كثير من الأصوليين من أن هناك اثنتين وعشرين آية منسوخة الحكم .

**السبب السابع:** التكفير باللوازم، وهو ما يسميه الفقهاء التكفير بالمآلات :

يقول القاضي عياض؛ " والمقصود به أن يقول قولاً يؤديه سياقه إلى كفر، وهو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه، كحال بعض أهل البدع والمتأولين " <sup>(١٨)</sup> .

وقد اتفق العلماء على عدم التفكير باللوازم، بينما نجد الإرهابيين يقومون بتكفير الناس بلازم أقوالهم مع أن لازم القول ليس بقول؛ إذ قد يكون القائل لا يعتقد بلازم قوله .

يقول ابن رشد الحفيد : " ومعنى التكفير بالمآل : أنهم لا يصّرّحون بقول هو كفر، ولكن يُصّرّحون بأقوال يلزم عنها الكفر وهم لا يعتقدون ذلك اللزوم " <sup>(١٩)</sup> . ويبطل ابن حزم الكفر بالمآل فيقول : " وأما من كفرّ الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ ؛ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به " <sup>(٢٠)</sup> .

كما ينفي الشاطبي التكفير بالمآل فيقول : " والذي كنا نسمعه من الشيوخ أن مذهب المحققين من أهل الأصول أن الكفر بالمآل ليس بكفر في الحال؛ كيف والكافر ينكر ذلك المآل أشد الإنكار، ويرمى مخالفه به " <sup>(٢١)</sup> . فالذي عليه الأمة سلفاً وخلفاً عدم التكفير باللوازم فلا يمكن تكفير الناس بما لم يقولوه؛ لأن لازم القول ليس بقول .

### طرق القضاء على الإرهاب

إن القضاء على الإرهاب يحتاج إلى جهود كبيرة، وخطوات عملية جادة، تشترك فيها جميع المؤسسات التعليمية والثقافية والاجتماعية والدعوية، وبإشراف ورعاية وتوجيه جمع كبير من العلماء العاملين المخلصين، والمفكرين المجددين، والدعاة المستبشرين، والمتقنين الرصينين، واتباع الأساليب الناجعة، والتي من أبرزها ما يأتي :

- ١- إعادة النظر في مناهج وأساليب البناء التربوي، والإعداد العلمي، والتكوين الثقافي المتبعة اليوم، وتخليصها من الجزئية والقصور، واعتماد المنهجية الإسلامية الشاملة والمتكاملة من أجل إعداد الشخصية الإسلامية المتوازنة والمنشودة .
- ٢- إشاعة الوسطية والتوعية بها لتكون منهجاً عاماً وسلوكاً ملازماً لكل الناس .
- ٣- العمل على نشر الوعي السليم بالإسلام عقيدة وفكراً وتشريعاً وأخلاقاً ومنهجاً شاملاً لمختلف مجالات الحياة، والتحذير من الأفهام المنحرفة والأفكار الفاسدة .

٤- أن تستشعر المؤسسات التعليمية والثقافية والدعوية والسياسية حجم المشكلة وأن تأخذ الأمر بجد، وترتكز على البرامج الهادفة، والإجراءات الجادة، والخطوات العملية، وأن تهتم بتدريس العلوم التي تقضى على العنف والإرهاب، وأن تشجع الباحثين على المضي قدماً في نشر ثقافة الحب والمودة والرحمة التي حث عليها الإسلام، وأن تبين للناس براءة الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب ؛ لأنه دين الوسطية التي تمنع ظهور الغلو والإرهاب بين معتقيه .

٥- التخلص من أسلوب التلقين والتحفيز دون فهم ووعي، والاهتمام بالبناء الفكري فى المناهج التعليمية .

٦- تفعيل قنوات الحوار الفكري المفتوح، واعتماد الحوار الحر البناء بعيداً عن الشدة والعنف والتهمك والسخرية .

٧- تفعيل دور المساجد والكنائس والمؤسسات والمنشآت الثقافية ودعمها والاهتمام بها .

٨- أن تقوم وسائل الإعلام المتنوعة بواجبها خير قيام، وذلك بنشر التوعية الدينية والثقافية والفكرية عبر برامج هادفة .

٩- دعم وتشجيع المنشآت والمؤسسات الثقافية المعول عليها نشر الوعي، وتوجيه الفكر، وترشيد الخطاب، والتصدي للانحرافات الفكرية وشطحات التطرف والغلو.

١٠- التركيز على المفاهيم والمبادئ والقواعد التي بمجملها تؤدي إلى حسن فهم الإسلام والتي

منها: فقه المقاصد، وفقه الأولويات، والموازنات وفقه الواقع، وفقه الخلاف، وفقه الجهاد (٢٢) .

١١- يجب أن يعاد النظر فى بعض المكتوب فى كتب التراث سواء أكانت كتب تفسير أم كتب فقه أم غير ذلك، ولا بد من الشجاعة والجرأة فى أن يبادر كل فى ساحته وفى إطاره الدينى والمعرفى لتنتيخ الموروث الدينى الذى تستند إليه جماعات الإرهاب لتسويغ إجرامها، وأن يتم الأخذ بالمقدس كالقرآن الكريم والاستناد إلى الثابت من السنة، وأما ما دون ذلك فيجب إعادة قراءته ؛ إما بتوضيح مقاصده بما لا يقبل الشك، وإما برفضه وضربه بعرض الحائط إن خالف القرآن وثوابت الدين. وأنا على يقين بأن أولئك الشباب لو فتحوا قلوبهم وتجردوا عن العواطف لأصحاب الآراء المتطرفة، وحاورهم علماء يعرفون الله لندموا على كل لحظة قضوها فى بث الرعب ونشر الإرهاب .

١٢- يجب إعادة قراءة الفقه واستنباط الأحكام من القرآن والسنة الصحيحة؛ ليعلم الجميع سماحة الإسلام وبعده عن التطرف .

- ١٣- ضرورة تعزيز لغة الحوار والتلاقى على كل المستويات لا على مستويات النخب فحسب.
- ١٤- لا بد من التعاون الدولي لمواجهة الإرهاب عن طريق إبرام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية .
- ١٥- نشر المنهج الوسطى الذى يدعو إليه الأزهر، ووزارة الأوقاف، ودار الإفتاء، وإشاعة الثقافة الدينية المعتدلة بين الشباب، وعدم تركهم فريسة للجماعات المتطرفة والإرهابية .
- ١٦- تجديد فهم الخطاب الدينى ليتفاعل مع الواقع المعاصر بعيداً عن نقل روايات وآراء مكذوبة ونشرها بين الناس .

## الخاتمة والتوصيات

- ١- كل ما سبق يضع على كاهل العلماء الكثير من المسؤولية لمواجهة الفكرية لمنظري الإرهاب ولشيوخهم، فالجرائم الإرهابية فى تزايد مستمر، ولن ينتهى هذا التزايد إلا إذا تكاتف العلماء للتصدى لهذه الظاهرة.
- ٢- يجب الفصل بين الإسلام والإرهاب، كما يجب على المجتمع الدولى استنكار إصاق تهمة الإرهاب بالإسلام .
- ٣- يجب التفريق بين الإرهاب العدوانى وبين الجهاد فى سبيل الله لرد العدوان، وتحرير الأرض المغتصبة من المحتل الغاشم .
- ٤- لا بد من بحث متعمق لمعرفة أسباب الإرهاب وعوامله، ثم تهيئة المناخ المناسب لقلع جذوره، ووضع معالجة فورية لأسباب التطرف الدينى أو السياسى أو الاجتماعى بحملة قومية تتعاون فيها جميع الأجهزة العربية والإسلامية على المستوى التعليمى والتربوى والدينى، لملء فراغ الشباب وفتح متنفس للتعبير عن نفسه وتعميق الاعتدال فى التعبير والممارسة، وتعميق الانتماء .
- ٥- دعوة المنظمات الإقليمية والأمم المتحدة إلى سرعة أخذ إجراء من خلال اجتماعات عربية ودولية لبحث الوسائل العاجلة لمواجهة الإرهاب من جميع النواحي الأمنية والسياسية والاقتصادية والتعليمية .
- ٦- تشجيع الحوار الحضارى وتعميق المفهوم الفكرى والإبداعى المتميز الذى يقبل بمنطق الحوار وتعدد وجهات النظر واحترام رأى الآخر، وبنفتح على مصادر العلم والمعرفة .
- ٧- ترسيخ الهوية الثقافية للشخصية العربية، والمجتمع العربى، وتعميق مضمونها الحضارى على المستويين الوطنى والقومى .

## الهوامش:

- (١) الفرق بين الإرهاب والعنف: أن العنف يستهدف المجنى عليه لذاته، وغالبًا ما يكون معروفًا لمرتكب الجريمة. لذلك فإن جريمة العنف شخصية يعاقب عليها القانون، أما جريمة الإرهاب فإنها جريمة ضد الإنسانية ليس فقط بموجب القانون، ولكن فوق ذلك بموجب الشريعة الإسلامية .
- (٢) الخوارج في العصر الأموي: د / نايف معروف . ص ١٩٥ - ١٩٧، ومكافحة الإرهاب في ظل ازدواجية المعايير، د / عبد الستار الهيتي، ص ١٥٤ بحث منشور في مؤتمر الإرهاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ٢٠٠٩م .
- (٣) مكافحة الإرهاب في ظل ازدواجية المعايير: ص ١٥٨ .
- (٤) أخرجه الترمذى في سننه ٣٣٢/٤ حديث رقم ١٩٤١، والبيهقى في شعب الإيمان ٨١/١١ حديث رقم ٨٢١٥، كلاهما عن أبي بكر رضي الله عنه .
- (٥) مجدى عاشور: موسوعة الرد على الخوارج، ٣ / ٥٢ .
- (٦) السيوطى: صحيح الجامع .
- (٧) الطبرانى: المعجم الكبير: ٩ / ١١٤ .
- (٨) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ص ٤٤ .
- (٩) أخرجه مسلم .
- (١٠) ماثيو جولوفنسكي: بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول: ص ١٧ .
- (١١) السامرائى: التكفير: ص ٥٨، ٥٩ .
- (١٢) الشاطبى: الاعتصام: ١ / ١٧٢ .
- (١٣) مجدى عاشور: موسوعة الرد على خوارج العصر: ٤ / ١١ .
- (١٤) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لتاج الدين السبكي، ط عالم الكتب: ١ / ٢٧٥ .
- (١٥) أخرجه الشيخان .
- (١٦) أخرجه الشيخان .
- (١٧) بيان للناس من الأزهر الشريف: ١ / ١٢٣، والتكفير للسامرائى: ص ٦٣ .
- (١٨) القاضى عياض: الشفاء: ٢ / ١٠٥٦ .
- (١٩) ابن رشد: بداية المجتهد: ٢ / ٤٩٢ .
- (٢٠) ابن حزم: الفصل: ٣ / ٢٩٤ .
- (٢١) الشاطبى: الاعتصام: ٢ / ١٩٧ .
- (٢٢) الافتراق بين وسطية الإسلام وظاهرة الغلو الديني، للدكتور فؤاد البعدانى . ص (٤٥٣) بحث قدم لمؤتمر الإرهاب الذى عقد فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ٢٠٠٩م .

## آليات الإرهاب المعاصر

الأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي

أستاذ الشريعة الإسلامية

عضو مجمع البحوث الإسلامية

مصر

ابتلى العالم المعاصر بفكر يحرض على الهيمنة والإقصاء والاستيلاء على المقدرات والثروات ورفض المخالف، لأهداف سياسية تحكيمية تبغى الإخضاع والسيطرة، باسم الدين أو المذهب.

والإشكالية هي العداء مع الإسلام ودوله، وضربه بيد أبنائه والمحسوبين عليه، فهذه أقوى سبل الهزيمة، وجدت في عالم المسلمين مسرحاً وبيئة خصبة لها، من جانب قوى العولمة والاستكبار العالمية إككاماً لخطتها في تركيع شعوب المسلمين، وتفتيت دولهم، وإضعاف مجتمعاتهم، وهو ما تشهد عليه الصورة البائسة في أوطان الإسلام.

وبالطبع وجدت تلك القوى الكبرى ضالتها المنشودة في استخدام أفراد وجماعات تاجرت بالإسلام، أو فهمته على غير حقيقته، أو وظيفته لبلوغ أغراضها في الزعامة والنفوذ، أو وجهته وجهة تنافى مقاصده بوصفه دين هداية وتسامح وتعايش وسلام.

وقد تبنى أصحاب الجماعات المتأسلمة فكراً يناقض حقائق الإسلام الناصعة في الحياة، ويتعارض مع العقل والعقلانية، ويخاصم البناء والنهضة، ويكسر التخلف والتراجع، ويقوض سلام واستقرار مجتمعات المسلمين، ويتخذ العنف والإرهاب طريقاً لتحقيق مآربهم في الوصول إلى السلطة والحكم.

وقد كان صنيعهم في ذلك فكراً وفقهاً مغلوطاً وخاطناً، وسلوكاً دموياً وعدوانياً، بدعاوى دينية ونصوص قرآنية، مما يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل: ١١٦).

وما درى هؤلاء المفترون أنهم كم ظلموا الإسلام وشوهوا تعاليمه، ووصموه بكل نقيصة هو منها براء، والأدهى والأمر أنهم كفروا المسلمين وحاربوهم، وأوقفوا مسيرة تقدمهم باسم الإسلام وعلى جثت المسلمين .

واستقراء الواقع في العالم العربي والإسلامي يكشف عن فكر يتصادم مع النقل الصحيح والعقل السليم، والفطرة السوية، ويعمل على نشر فقه ليس من الدين الثابت ولا من الفهم الواعي المستند إلى صحيح النص، ولا يعتمد على اجتهاد سديد، ولا مصلحة معتبرة، حيث يسفر عن إضرار وإهلاك بالإسلام والمسلمين.

وقد أسفر هذا عن خلل واضطراب في الفقه في أذهان من لم يتسلحوا بأدواته، ولم يحسنوا صنيعته، ولم يسلكوا منهجه، الذي يكون بالتفقه والدراية كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢)، وفي حديث الرسول ﷺ : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " (١).

وهم وإن كانوا يحفظون القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ فإنهم ضلوا وأضلوا فيما فهموه وأشاعوه بين جماعتهم ومريديهم، فذلك مبلغهم من العلم، وإنهم فيما ذهبوا إليه من الخطل والخطأ، مشهرين النصوص، هم جهال مكفرون إرهابيون، ولا يمكن أن يكونوا فقهاء ولا متفقيين، وإن حفظوا مئات بل آلاف الأحاديث؛ ففي الحديث: " نضر الله امرأ سمع منا حديثاً حفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه " (٢).

وقد اتخذوا من الفكر الجاهلي والقلوب المقلدة، طريقاً إلى التطرف والقتل والإرهاب، وكان سبيلهم إليه سلوك أي وسيلة توصلهم إلى مبتغاهم، نخس من بينها تكريس فكر التطرف والإرجاف والابتسار والتدليس، إلى جانب الإرهاب التكنولوجي وثورة المعلومات، وقد بلغ بهم الولع مبلغه في الانجراف إلى الفخ الذي نصبه أعداء الإسلام، بغية هزيمة أمتهم، وسعيهم إلى تدمير مجتمعات



الإسلام، فلم يتورعوا عن اللجوء إلى كل وسيلة ولو غير مشروعة، فهم ماضون بعنف إلى ذلك لا يرضون عنه بديلاً.

### التطرف الفكري:

التطرف أو التشدد والتنطع مصطلحات تعبر عن اتجاه يتجاوز به صاحبه حد الاعتدال، وينحو به منحى الشطط والإفراط، فالتطرف حالة فكرية تصادر رأى الغير، وتلغى الآخر المختلف، ويتحول به إلى نهج يجافى النهج السوى المعقول، وهو لذلك منهى عنه بنصوص صريحة، يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧). ويقول الرسول ﷺ: "إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"<sup>(٣)</sup>. ويقول كذلك: "هلك المنتطعون قالها ثلاثاً"<sup>(٤)</sup>. والمنتطعون هم المتشددون، وإنما حكم عليهم بذلك لما فيه من الخروج على المنهج الوسطى، وهو منهج أمة الإسلام التي استقامت به في العقيدة والشريعة والأخلاق، فأنجزت حضارة إنسانية قائمة على الإيمان، والوحدانية، والحرية، والكرامة، والمشورة، والاجتهاد، وصالح الدين والدنيا، وجهاد المعتدين.

وعلى حين لم يعقلوا شيئاً من ذلك، ولم يسلكوا سبيله، بل تنكبوا عنه بتفسيرات منحرفة عن الحق ومقصد الشرع، فكفروا أهل الإسلام، وفرضوا رأيهم بالقوة والغلبة على المختلفين، ومبدأ السمع والطاعة للموافقين، وشرردوا وطردوا غير المسلمين من حق المواطنة في الدولة الإسلامية، ثم لم يعبأوا بصالح الدين، الذي جاء رحمة وسماحة وإرشاداً، وأغلقت عقولهم، يقول تعالى: ﴿ فَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦). وقتلوا أبناء دينهم ووطنهم في مشاهد مأساوية.

وقد أورت ذلك فكراً معوجاً، وثقافة مغلوطة، وآفاقاً ضيقة، مجانية للهداية والعدل، فما كان هؤلاء يحملون منهج الله تعالى ويستقيمون على طريقته، وإن رفعوا راية الإسلام، وأيدوا رأيهم بنصوصه، يدل على ذلك أنهم لم يلتزموا بهديه ولا بمنهجه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

تُوَعَدُونَ ﴿ (فصلت: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، (الأحقاف: ١٣)، وبقوله ﷺ: "قل آمنت بالله، ثم استقم" (٥).

فما كان الإيمان ادعاءً ولا الشريعة اعوجاجاً، وإنما تكون الاستقامة بالعلم الذي يتحلى حامله بطلب الحق والعدل، كما في الحديث: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" (٦).

وإن خطر الفكر وانحرافه عن جادة الإسلام الحق مما لا يخفى في المشهد العربي والإسلامي الراهن، يظهر ذلك فيما يحدث على أرض العروبة والإسلام من ضلال فكري، وجهالة فقهية، ومفاهيم مغلوبة، صيرت الباطل حقاً، وزيفت الإسلام وصيرته حرباً على المسلمين، وعلى العالم كله.

#### أباطيل المتأسلمين :

وتتجلى خطيئة الفكر المغلوط، والمفاهيم المغلوطة، في استدعاء مصطلحات كثيرة، يوظفونها للوصول إلى أهدافهم، لعلمهم أنها تحوز الرضا والقبول في الأمة؛ لاستقائها من أصول معتمدة، ولوجودها في الضمير الإسلامي، وقيامها على سنن العدل والرشاد ابتغاء رضا الله وطلب ثبوته، ومصالحة المحكومين في دولة قامت على التعددية في الأديان والأجناس واللغات والألوان.

ومما ساقه هؤلاء المتأسلمون، أنهم على قلة عددهم هم المؤمنون وحدهم وأن جموع المسلمين كفار مارقون مرتدون، وحيث إنهم كذلك، فيجب قتالهم بحسبانهم أعداء الإسلام الذي زيفوه ويقدمونه للناس ظلماً وافتراء وعدواناً، ويمضون على هذا الزعم بقولهم: إن جموع المسلمين هم العدو القريب، يجب قتالهم قبل العدو البعيد – إسرائيل وصنائعها – ولا يباليون بإنقاذ القدس والمسجد الأقصى، وكنيسة القيامة، وغيرها من مقدسات الإسلام والمسيحية، فهم يؤولون بالخطأ قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ١٢٣).

ومن أباطيلهم كذلك أن ولاءهم فقط للإسلام الذي يزعمون، كما أمر القرآن في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَاَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ

تُحْسِنُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ

فَتَرَبُّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿التوبة: ٢٤﴾، وهم لجهلهم هذا وعدم فهمهم يخاصمون أهليهم وذويهم، ويبررون قتل إخوانهم، وغرسوا في أذهان الشباب أن الرسول ﷺ قاتل أعمامه وذويه، كما قاتل الصحابة أقاربهم، وتجاهل هؤلاء الإرهابيون، أن قتال الرسول ﷺ وأصحابه كان دفعاً لهجوم واقع على الإسلام والمسلمين، ودفاعاً شرعياً مقررًا في الأنظمة والشرائع، لا يجوز إنكاره.

ومما ساقوه مزاعم التكفير والقتل باسم الجهاد، من أجل إقامة الخلافة واستعادة العصر الذهبي، والغريب أنهم لم يجدوا نموذج الحكم العادل القائم على الشورى إلا في شكل الخلافة، وهو غير صحيح، إذ العبرة في الشرع: بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني. ويؤكد أغاليطهم رفضهم الديمقراطية، فهي ليست من الشريعة لما فيها من الخروج كما يزعمون على مبدأ الحاكمية والولاء والبراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضَى الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧)، فهي حكم البشر لا حكم الله تعالى، وذلك لجهلهم وبالمخالفة لقوله ﷺ: "لا تجتمع أمتى على ضلالة" (٧). وفي رواية: "على خطأ".

وتبرز خطيئتهم في أنهم جعلوا فهمهم الخاطئ للإسلام معول هدم للدول الإسلامية، وتفكيك أوطان الإسلام، وتدمير البنية التحتية، وتعويق مسيرة الدولة في التقدم والتنمية، بجانب عدم إدراكهم لطبيعة العصر، والنظام الدولي كما عبرت عنه المواثيق الدولية، وبات هذا الفكر المتطرف هو عنوان الإرهاب، وأداة الخراب والدمار الذي حاق وامتد إلى جنبات عالم المسلمين؛ ليكون عقبة كؤودًا في أذهان المخدوعين به، والمفتونين بطريقته، السائرين على دربه.

هؤلاء الذين غرسوا فقه البلاء عظيم الخطر على من اعتقده، فقد جعل القائمين عليه كالخشب المسندة لا تفقه ولا تعي حقيقة الدين، وغيب عقولهم، فأصبح ردهم إلى الدين الصحيح من الصعوبة بمكان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ

الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وأنهم بذلك الغسيل للأذهان صار بأسهم بكل عنفوانه على الإسلام وشعوبه سلاح تقتيل وتدمير لمجتمعاته، وأداة تفكيك وتفتيت لأوطانه، حتى فاق كل حد، وأصبح لا يقف عند حد.

وبلغ بهم الحال إلى أن صار صنيعهم الهدام وفكرهم المزيف، يفوق أفاعيل الأعداء، ويتجاوز ما كانوا يرجونه من وراء استخدامهم للنيل من الإسلام وهزيمة أوطانه، فتحقق للأعداء هدفهم الذي شقيت به الأمة وعالم المسلمين، وآية ذلك أنه بذلك الفكر وبسوء صنيع الإرهابيين أصيب المسلمون في دينهم فعادوا القهقري بالتخلف؛ بسبب المفاهيم والفكر المزيف الذي أشاعوه عن الإسلام بين المسلمين والناشئة والشباب، وسادت بينهم البلبلة والحيرة.

ولو كان من بين ما حدث من جراء ذلك هو ضلال الإلحاد لكفى، حيث وقع العديد من الصغار والشباب في حمأة الإلحاد والخروج عن ربة الدين، إذ لم يجدوا عند هؤلاء الحاملين لراية الإسلام زوراً وبهتاناً إلا سفك الدماء، وتقجير العمران، وإهلاك كل ما وجدوه في طريقهم، وتكفير كل من يخالفهم، وإخراج رعية الإسلام من المواطنين بغير حق وتشريدهم من بلادهم وأوطانهم. فاجتمع بسبب الإرهاب الفكرى والضلال الفقهي مساوئ عديدة؛ من تخلف وإرهاب وإلحاد، لن تتخلص منها الأمة إلا بعد عقود وزمان، حتى تنمى تلك المآسى التي أخذت كل شىء في طريقها، وإذا كان كشف حساب خسائر إرهاب الفكر يصعب حصرها، فالمؤكد ضياع بعض الشباب وتجنيدهم لحساب هذا الفكر التدميرى الظلامى، بجانب إزهاق أرواح بريئة في غير قضية صحيحة، للوصول إلى هدف سياسى وطموحات محض شخصية، وجدت ضالتها في رفع شعارات دينية برافة، دغدغت المشاعر، واستقطبت ضحاياها من المخدوعين، واستخدمتهم وقوداً لمطامع الإرهابيين.

### إرهاب العصر فى العالم الافتراضى؛

وهو ذلك النمط الفريد الذى استخدم الفضاء الإلكتروني، الذى يجعل الفكر والعالم كله بين يدى المستخدم له على شبكة المعلومات الدولية، وقد فاق هذا النمط فى الاستعمال كل صور الإرهاب؛ بما ينطوى عليه من فتح قنوات اتصال لقطاعات مختلفة من مجتمعات متنوعة عبر أرجاء العالم الفسيح، يلتقون في زحام العولمة بكل ما تنتجه من رؤى وأفكار.

وقد وضع هذا الإرهاب الجديد بصمته على صغار وشباب العالم المعاصر بكل أديانه وأجناسه ودوله ولغاته، يتبادلون فيه الرأي، ويتحاورون حول قضايا في كل اتجاه بلا قيود ولا حواجز.

هذه التكنولوجيا صُنعت لخير ومصلحة البشرية، أو هكذا يجب أن تكون، باعتبارها إبداع العقل فى الزمن الأخير الذى سعد فيه الإنسان إلى القمة، وتصور أنه مالك وصانع حياته فى هذا الكون، وقد سار صناع هذا العالم الإلكتروني فى الطريق الإمبريالى الذى خطّوه لأنفسهم تجاه عالم الجنوب، وهو العالم الإسلامى فى مجمله، تحولوا فيه من الغزو العسكرى إلى الغزو الفضائى، بكل

تقنياته وإبهاره ومنجزاته.

وهكذا استغلّت هذه التكنولوجيا في استباحة عقول الناشئة والأحداث لصناعة الإرهاب في عالمهم، وانبطاح شعوبهم أمام ألوان من إرهاب متنوع الأساليب، زينه لهم أصحاب هذه التقنيات، لبلوغ مآربهم والوصول إلى أهدافهم في الاستيلاء على مقدرات هذه الدول.

يحدث ذلك والقائمون على مقاليد الأمور في دول العالم الإسلامي في غفلة عن وقاية مواطنيهم، وحمائيتهم من عواقب الغزو الجديد، مما يتسبب في إثارة الفتن، وبث أساليب جهنمية لهؤلاء الذين يطمحون إلى العلو، ويطمعون في الزعامة والنفوذ، وما أكثرهم في شعوب المسلمين.

وإن دخول إرهاب الفضاء الإلكتروني إلى عالم المسلمين، مرده إلى الانحدار الذي انزلق إليه جماهير المسلمين، وما هم عليه من جهالة وأمية وغفلة عن توجيهات النصوص، فلو أعمالوا موجبها في الأخذ بالأسباب واستشراف المستقبل، لما وقعوا فريسة بل ضحايا لمكايد الأعداء،

ولأعدوا العدة لردعه ومواجهة عدوانه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ

وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ

يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُغْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠).

والقوة المرادة من النص هي كل قوة، بما فيها القوة المناسبة لكل عصر، وهي المعلوماتية الإلكترونية في العصر الراهن، التي تصنع ما أنجزه العقل البشري في المجالات المختلفة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية.

وتكمن المشكلة في تخلف العقل المسلم، ونقص الوعي بصحيح الإسلام، وعدم إدراك مرامي

النصوص التي تنهض بالمسلم في دينه ودنياه، على نحو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ

ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣) .

وأمام هذا التردى الذي وصلت إليه دنيا المسلمين، وجعل دول العالم الإسلامي مسرحاً للصراعات الداخلية في الاقتتال الدائر داخل دولهم، وتدمير كياناتها، بالمخالفة لقول الرسول ﷺ: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" <sup>(٨)</sup>، وما أدت إليه هذه المآسى من تهجير وتشريد بعض أبناء الوطن، وتفكيك وتقسيم دولهم، كما جرى ويجرى في السودان، وفي سوريا، وفي ليبيا، وفي الصومال، وفي اليمن، وغيرها .

وعلى حين أثمر الإرهاب الخارجي بأيدي عربية تدعى الإسلام أو تنتسب إليه تلك المآسى، لم تتوقف الصراعات السياسية والدينية والمذهبية التي تدور رحاها في بلاد المسلمين، في غير وعى لفريضة الوقت وكل وقت، بالتمسك بالوحدة والاعتصام بالتوحد، والسعى إلى التقدم والنهوض.

فهلا فقه صناع القرار، وكل مسئول، وطلاب الزعامة، والرأى العام، النصوص الناهية عن النزاع والفرقة بقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ<sup>ط</sup> وَأَصْبِرُوا<sup>ع</sup> إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦) ، فهنا يربط النص القرآني بين الفرقة والفشل، ويقرر أنه لا يجتمع صراع وانقسام مع النصر، وأن الفرقة قرينة الهزيمة، وأن النصر قرين الوحدة، فهذه شهادة التاريخ ومقتضى النواميس الكونية، يقول تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ<sup>ط</sup> وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح: ٢٣).

#### المشهد في الفضاء الإلكتروني؛

يهول المطالع لهذا الفضاء حجم ما يوجه إلى عالم المسلمين من برامج وأطروحات عن الإسلام، وما ينشر عن المسلمين عبر هذا الفضاء المتسع بعناصره الشاملة للمعلومات Information ، والاتصال التقنى Cyber، والخاصية الرقمية Digital، فكم من الأغاليط التي تنتشر عبر الشبكة الدولية Internet عن الإسلام عقيدة وشريعة، وعن رموزه ومقدساته، ويضيق المقام عن إيراد نوعية ما يبث عبرها من أكاذيب وافتراءات .

ويتم تداول أطروحات حول الاعتراف بالإسلام بوصفه ديناً إلهياً، فها هو الإيطالى جابرييلي يقول<sup>(٩)</sup>: لقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمرداً شيطانياً، وانشقاقاً مشئوماً قام به شعب بربرى"، ويتوالى الطعن بنتاول مقام الرسول الشريف ﷺ، كما حدث في الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة، فقد بدأت في صحيفة دانماركية وانتقلت إلى الشبكة الإلكترونية، ونتج عنها موجات من الرفض والاحتجاج فى العالم الإسلامى.

وامتد العدوان الإلكتروني إلى مدينة القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى رسول الإسلام ﷺ ، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١)، والتي لمكانتها المقدسة بقول الرسول ﷺ : "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام،

ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى<sup>(١٠)</sup>، فهناك عبر الشبكة المعلوماتية تبث العديد من أكاذيب تزييف التاريخ وحقائق الرسالات السماوية عن وضعية القدس، والحق الفلسطيني العربي الإسلامي فيها.

كما أن ما تنتشره أبواق الصهيونية العالمية عن القدس يزييف الوعي العالمي، فهناك من المفتريات على مواقع التواصل الاجتماعي ما يتصدر تلك المواقع، بعنوان : القدس حق إسرائيل وبالذليل<sup>(١١)</sup>، إلا أن هذه المزاعم والأكاذيب لن تغير من الحقيقة التي تضرب بجذورها عبر التاريخ الثابت، وهو أن الكنعانيين وهم عرب عاشوا في هذه المدينة منذ القديم، وسميت منذ البداية أورسالام وهو اسم الإله الكنعاني حامى المدينة، ثم سميت باسم ييوس نسبة إلى اليبوسيون المتفرعين من الكنعانيين.

وتذكر مصادر تاريخية أن الملك اليبوسى [ ملكى صادق ] أول من بنى ييوس أو القدس، وكان محباً للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام، ومن هنا جاء اسم المدينة أورسالام، وقيل بأنه هو من سماها بأورسالام أي مدينة سالم.

وشمل الافتراء القرآن الكريم، كالفعل الهمجى المسىء الذى تناقلته وسائل التواصل الاجتماعي whatsapp, Twitter, facebook وغيرها، حيث قامت ببث فعل من قام بحرق القرآن الكريم وسط جمع من مؤيدية على مرأى ومسمع من العالم في فلوريدا بأمريكا، ومما قاله عن جريمته ضد المسلمين<sup>(١٢)</sup>: "دَعَوْنَا بِالْفِعْلِ إِلَى يَوْمٍ عَالَمِي لِحَرْقِ الْقُرْآنِ، وَالْهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ تَكْرِيمُ ذِكْرِي مِنْ قِضَى فِي اعْتِدَاءِ ١١ أَيْلُولَ، وَرِسَالَةَ تَحْذِيرٍ لِلْمُتَعَصِّبِينَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْ لَا يَحَاوِلُوا إِرْسَاءَ [ تَطْبِيقِ ] الشَّرِيعَةِ هُنَا فِي أَمْرِيكَ".

وعلى شاكلة هذه المطاعن العنصرية وبسببها تقوض جهود السلام العالمية، وتشيع الحروب الدينية والمذهبية بالنقيض لرسالاتها، فالأديان اليهودية والمسيحية والإسلام جاءت لسلام البشر جميعاً.

### واجب الدعوة للإسلام باستخدام شبكة المعلومات الدولية؛

الثابت في الواقع الحياتى أهمية البث الإلكتروني عبر الشبكة العنكبوتية Internet لما لها من خصائص تنفرد بها عن الإعلام المرئى والمقروء والمسموع، فهى أداة معلوماتية عالمية تتجاوز المحلية ولا تعرف الحدود الجغرافية، كما أنها وسيلة سهلة ميسورة، فهى تضع العالم بين يدي أصابع المتعامل بها، ويقبل عليها كل أطراف المجتمعات شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً.

كما نتج عن هذه الوسيلة تبادل المحادثات وتداول الرأي بين مستخدميها، وتجعل لكل حق

التعبير بحرية مطلقة، ربما لا يسمح بها في وسائل الإعلام الأخرى، بالإضافة إلى أن التعامل بها لا يقتصر على لغة واحدة، وإن كانت الإنجليزية هي اللغة الأولى في الاستخدام، وإنما توجد بجانبها اللغات العالمية، من بينها اللغة العربية، ومن حيث إن اللغة العربية إحدى اللغات العالمية في المنظمة العالمية - الأمم المتحدة- والوكالات المتخصصة التابعة لها، فإن الدعوة إلى الدين بهذه الوسيلة الدولية يكون واجباً.

وهذا الوجوب يعد نوعاً من الجهاد الذي طلبه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِمْ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٢)؛ إذ الوسائل تأخذ حكم المقاصد، يقول القرافي عن الوسائل: والمشهور في الاصطلاح عند أصحابنا التعبير عنها بالذرائع، وهي الطرق المفضية إلى المقاصد، قيل: وحكمها حكم ما أفضت إليه من وجوب أو غيره، إلا أنها أخفض رتبة في حكمها مما أفضت إليه، فليس كل ذريعة يجب سدها، بل الذريعة كما يجب سدها يجب فتحها، وتكره وتندب وتباح<sup>(١٣)</sup>، ويرد على من يعترض على كون الوسيلة قد تنطوي على محرم، وهو الحاصل فيما تشتمل عليه الشبكة العنكبوتية بقوله: " بل قد تكون وسيلة المحرم غير محرمة إذا أفضت إلى مصلحة راجحة" <sup>(١٤)</sup>.

ويظهر رجحان الدعوة بما أتاحتها الثورة المعلوماتية ، حيث إنها أحدثت طفرة كبيرة في المجال المعلوماتي والمعرفي بالأديان، والسياسات، والأنظمة، والأيديولوجيات، والمهم كفاءة استخدامها؛ ويتعين من أجل ذلك، تصميم برامج محكمة للتعريف بالإسلام، وإفهام المخاطبين به بالطرائق المناسبة لعقولهم، وتقديم هذه البرامج باللغات الرئيسية في العالم كالإنجليزية والفرنسية والصينية والألمانية والروسية، والتوجه فيها إلى القضايا والمشكلات الشاغلة لهم، وتعريفهم بالحلول الإسلامية لها.

وفي مجال الذود والدفاع عن القضايا الإسلامية كالقدس والإرهاب وغيرها، فإنه يعد واجباً عينياً على كل من يقدر عليه، بل هو واجب الوقت لما وصل إليه حال الإسلام والمسلمين في هذا العصر، تأسيساً على قاعدة: "الوسيلة إلى الواجب واجبة" وليس ثمة قضايا أوجب من ذلك.



## الهوامش:

- (١) باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، حديث رقم ١٣.
- (٢) العلم ، سنن أبي داود حديث رقم ٣٦٦٢.
- (٣) مناسك الحج ، سنن النسائي، حديث رقم ٣٠٧٠ .
- (٤) العلم ، صحيح مسلم، حديث رقم ٦٩٥٥.
- (٥) سفيان بن عبد الله ، مسند أحمد، حديث رقم ١٥٨١٤.
- (٦) فتح المغيبي : للسخاوي، ١٦/٢، ١٧.
- (٧) عمر رضى الله عنه ، سنن الدار قطنى، حديث رقم ٤٦٦٦ .
- (٨) الإيمان، صحيح البخارى، حديث رقم ٣١ .
- (٩) فرانشسكو جابرييلى، الإسلام في عالم البحر المتوسط، ص ١٠٤، ١٠٥ .
- (١٠) فضل الصلاة ، صحيح البخارى، حديث رقم ١١٨٩.
- (١١) [https // www. Youtube. Com / watch? V= ip-hxyvgz6k https//ar.](https://www.Youtube.Com/watch?V=ip-hxyvgz6khttps//ar)
- (١٢) [Http// al - ghorballo. blogspot. Com.cg ٢٠/٥/١٠ blogpost-٧٤٩٩.html](http://al-ghorbalo.blogspot.Com.cg/٢٠/٥/١٠/blogpost-٧٤٩٩.html)
- (١٣) تهذيب الفروق، والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، ٤٢/٢ .
- (١٤) المرجع السابق، نفس الموضوع.

## ما الإرهاب ؟

### دراسة فى مقاربات المفهوم وإشكاليات الواقع

الأستاذ الدكتور/ محمد فوزى عبد الحى

مشرف قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، جامعة الأزهر

مشرف قسم الفتوى باللغة الإنجليزية

بمركز الأزهر العالمى للرصد والإفتاء

مصر

لعل مصطلح الإرهاب ومادته واشتقاقته من أكثر المواد التى تداولتها أجهزة الإعلام، ونشرات الأخبار، وبرامج الحوار الليلي، وكتب المقالات، وصناعات الدراما، وخبراء السياسة، وصناعات الإستراتيجية، ومحللو الجريمة، والمهتمون بالمجالات الأمنية والعسكرية والفكرية والدينية خلال العقود الثلاثة الأخيرة؛ ففى ظل عالم تسوده ألوان جديدة من الأفكار الجامحة، ونزعات مفرطة للسيطرة والسلطة، ترسم الأحلام وتزين المطامع وتلون الخيال، فى ظل واقع حقيقى لم يزل يسير ببطئه ورتابته فى مساره القديم، ولو كان أسرع قليلاً من عصور التاريخ المنصرمة، تقذف إلينا مجالات الخيال الإنسانى بأفكار جديدة، منها أفكار إيجابية وأخرى سلبية، ومنها أنماط بناء، أو سلوكيات مدمرة وألوان من التفكير الخاطئ والتدين المغلوط والتلون، وتجنح جميعها إلى التفريط والتطرف، منها ظاهرة العصر: الإرهاب.

ومع ذلك فلا تظنّ جريمة الإرهاب فى أصل معناها وتجسّداتها من محدثات الأمور أو نوازل العصر، فالحق أن العصور الإسلامية والإنسانية قد عرفته مراراً؛ وعالجت الشريعة الإسلامية صوراً عديدة منه فى أبواب شتى، ووضعت لكل نوع منه تعريفاً وشروطاً؛ فهو فى الاشتقاق والماهية قديم قدم الوجود الإنسانى فى هذا العالم، وإن كان وفق الاصطلاح المخترع فى السنوات الأخيرة حديثاً فى بعض آلياته ووسائله، وصوره وفضاءاته، وأغراضه ومؤامراته.

## مفهوم الإرهاب

يشقُّ الإرهاب من مادة "ر ه ب"، وهي أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر على دقة وخفة؛ ومن أقدم من ذكر لفظ "الإرهاب" الطبرى فى التفسير<sup>(١)</sup>، وابن فارس فى مادة "ر ه ب" من معجم مقاييس اللغة<sup>(٢)</sup>.

والرهبة: شعور بالخوف والفرع<sup>(٣)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي

صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الحشر: ١٣)، أى: أنتم أشد

مرهوبة فى صدورهم، إذ المؤمنون مرهوب منهم لا راهبون فى هذا السياق، فهم وإن أظهروا لكم فى العلانية خوف الله فأنتم أهيب فى صدورهم من الله<sup>(٤)</sup>؛ وهذا التأويل صريح فى أن الرهبة فى الأصل فعل باطنى بأمرة ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ والرهبة منهم فى هذه الآية موضع ذم؛ لمخالفتها فعل العقلاء المتقين، فلا يخشى التقى أحداً أشد من خشيته لله.

وقد يكون استشعار الرهبة والرهب موضع مدح كما لو كانت رهبة من الله؛ وفى الذكر

الحكيم ثناء على نبي الله زكريا وأهل بيته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (الأنبياء: ٩٠). وفى الحديث عن عبد الله بن خباب بن الأرت، عن أبيه،

قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً فَأَطَالَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّيْتَ صَلَاةً لَمْ تَكُنْ تُصَلِّيْهَا؟ قَالَ:

"أَجَلْ؛ إِنَّهَا صَلَاةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ؛ إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فِيهَا ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً..."<sup>(٥)</sup>

ولعل هذا الملمح اللغوى دال على أن أسباب الرهبة نفسها منها الحسن والقيح.

وبعض الرهبة يأتى على مقتضى الطبيعة والفطرة عند خوف المخاطر؛ كما فى قوله تعالى:

﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ (القصص: ٣٢)، أى

الفرع<sup>(٦)</sup>، ومنه الرهب الفطرى؛ فهو مخافة مع تحرز واضطراب، وقيل فى أصله: مأخذه من

الرهابة وهى عظام الصدر، لاضطرابها عند الخوف؛ ومنه سمي البعير الفار: الرهب لفراره من

الخوف الذى يحصل له<sup>(٧)</sup>، وهذه فطرة اتفقت فى خلق الأحياء عامة؛ كرهبة الإنسان من ضواري

الحيوان وملابسة الفواجع والمهلكات، والخوف: فراغ جوف<sup>(٨)</sup>، ودلالة هذه المادة فى الأصل تشير

إلى فراغ باطن الشيء مع تماسك ظاهره، ولذلك فسروا الرهبة بالخوف<sup>(٩)</sup>.

ويأتى فعلها لازماً ومتعدياً، فرهب أى: خاف، وترهب غيره: إذا توعد<sup>(١٠)</sup>؛ ومن استعماله

متعدياً أيضاً قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزَهَبُوهُمْ وَجَاءُوا

بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ ( الأعراف: ١١٦ )، أى: خوفوهم، وقال الزجاج: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس<sup>(١١)</sup>، وفيه دليل على أنهم لم يطلبوا نصر الحق وأهله، أو معرفة الحقيقة بأماراتها؛ وإنما طلبوا الغلبة والرهبة ولو بزرع مكذوب الخوف والظنون، وذلك بسحر عيون الناس لترهيب قلوبهم<sup>(١٢)</sup>، وفى ذلك دلالة على أن الإرهاب يقع على وجهين:

**أحدهما:** الإرهاب اللفظي؛ كما فى قولهم: " ترهبه، أى: توعدته" ويكون الإرهاب فيه بكريه الكلام وهجر المقال؛ ويدخل فيه اللعان والتفسيق والتبديع والتضليل والتكفير.

**الثاني:** الإرهاب الفعلى، وهو ما كان بغريب التصرفات المخوفة والأفعال العنيفة؛ ومنه فعل السحر من سحرة فرعون، والقتل من فرعون نفسه؛ ويدخل فى ذلك: الضرب، والإيذاء، والاعتداء، والتعذيب، والغصب، والاعتصاب، والبغى، والحراية، والتفجير، والقتل، والاعتيال .

وليس بخافٍ على أحد أن هذه القسمة إنما هى قسمة لغوية عامة؛ وإلا فلكل مصطلح من هذه المصطلحات مورده وألفاظه وماهيته ورسومه وأحكامه، والتي فصلت القول فيها مدونات الفقه والحديث والآداب والأخلاق.

ومن لاحظ هذه المادة عرف من استعمالها دلالتها على معنى زائد على ما لها من معانٍ ومترادفات؛ فهى أقوى من الخوف، وأوقع فى اليقين من الخشية، وليست بتحرز مجرد ولا خوف مشكوك فيه، ومنها استعمل القرآن الرهبانية فى قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا

كَتَبْنَا عَلَيْهَا ﴾ ( الحديد: ٢٧)؛ وهى غلو فى تحمل التعبد من فرط الرهبة<sup>(١٣)</sup>؛ فجعلت اسماً لما

فضل عن المقدار الواجب من العبادة والتنسك حتى أفرط فيه<sup>(١٤)</sup>؛ كما استعمل "الرهبان" كقوله

تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّذِينَ ءَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ۗ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة: ٨٢)، وهى جمع راهب، وهو طويل الخوف ومستمره، الذى

كلّف نفسه التجرد من الشهوات، كأنه فرغ جوفه منها خوفاً فأضحى لا شهوة له<sup>(١٥)</sup>.

فمادة الرهبة والرهب والرهب أصلها شعور إنسانى يتخطف داخلة المرء، يخفى أو يظهر، فى ظل وجود خوف شديد حقيقى حاضر، أو معقول منتظر، أو موهوم غائب، تغلف بطول واستدامة وتردد؛ فارق بهم الخوف المجرد العابر، ومنه سمي "الرهاب"؛ وهى سابقة لفظية طبية

تتقدم وصف الخوف المرضى الذى يستشعره الإنسان من أمر من الأمور غير المخوفة عادة؛ مثل رهاب الخلاء Agoraphobia، ورهاب المرتفعات Acrophobia، ورهاب الماء Aquaphobia، ورهاب البحر Thalassophobia، وغيرها من أنواع الرهاب (١٦).

والشعور بالرغبة نفسه فى أنساقه الدينية محل مديح وثناء، فهو خشية مفرطة من الله تدفع المرء للزوم درجة عليا من الورع قلما تتوفر لغيره فيمن لا رهبة عندهم، وقد جعل الحق هذا النوع من الخوف شرطاً لإفادة الناس الهداية والرحمة من وحى الله المرقوم بالألواح؛ وبها وحى الله إلى موسى بنوره وهداه، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ۗ

نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ﴾ (الأعراف : ١٥٤)؛ أى: يخافون ربهم، وزيدت اللام فى "لربهم" للتأكيد، وقيل: راهبون لربهم أى: من معاصى ربهم .

وقد تكون رهبة من العقوبة والسلطان، أو مخالفة القانون بما له من هيبة، ومنه قولهم: رهبت خير من رحمت، أى لأن ترهب خير من أن ترحم (١٧).

وإذا كانت الرهبة نفسها شعوراً بالخوف؛ فإن الدافع لها وهو المرهب المسبب لها قد يكون مشروعاً محموداً أو ممنوعاً مذموماً :

— فىكون مشروعاً مستحسناً إن كان لقصده مشروع مستحسن كترهيب قطاع الطرق، وردع المجرمين بالعقوبة، وصد البغاة المعتدين، وتخويف الأعداء المتربصين بالجيوش القوية والأسلحة الحديثة؛ كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

— ويكون ممنوعاً مذموماً إن كان لغرض ممنوع مذموم؛ كترويع الأمنيين، ونشر الخوف بين المسالمين، وترهيب الناس لأخذ مالهم أو هتك إنسانيتهم أو استحلال أعراضهم وكراماتهم؛ أو ترويع أهل دين لمفارقتهم، أو اضطهاد أهل بلد لهجره، كما تفعل قوى الاحتلال الصهيونى مع السكان العرب فى القدس والمدن والقرى العربية داخل الخط الأخضر .

فالمعنى اللغوى فى أصل الاستعمال دال على الهيئة المعروفة التى جعلت أماره على حصول الرهبة من شعور الداخل، ووجل الظاهر، وما قد يصاحب ذلك من هزة فى الأعضاء علامة على خلو القلب جراء الخوف الشديد : ﴿وَأَفْعِدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ ؛ وأما إحداث فعل الرهبة أو ما يسمى

بالترهيب والإرهاب فمنه مشروع وممنوع؛ فالمشروع ما وافق الشرع والقانون وصحّ مقصده،  
والممنوع ما خالف الشرع والقانون وخبث مقصده.

## نشأة مصطلح الإرهاب

يعود ظهور مصطلح " إرهاب " إلى ما يزيد على ألفين ومائة عام؛ وقد عرفت روما القديمة عام ١٠٥ م مصطلح "إرهاب قبائل السمبري"؛ وهم عصابات قبلية من القبلة من القنلة<sup>(١٨)</sup>، وفي القرن الأول ظهرت مجموعة من المتطرفين اليهود، أطلق عليهم "السيكاري" اتخذوا من العنف والإرهاب سبيلاً إلى تحقيق أغراضهم السياسية، فعملوا على قتل خصومهم ومعاونيهم من مواطنيهم وأهليهم ممن لا يرون رأيهم في إخراج مملكة يهوذا من سيطرة الرومان<sup>(١٩)</sup>.

وتذكر الموسوعة العالمية للإرهاب صوراً شتى للإرهاب في العالم القديم: عند الإغريق، وجمهورية روما، والإمبراطورية الرومانية، إبان عهد جستنيان، والإرهاب المغولي، والإرهاب إبان الحرب العالمية الأولى، والإرهاب في أيرلندا، وإبان حكم ستالين<sup>(٢٠)</sup>.

ومن مشاهير من اقترفوا جرائم إرهابية في الشرق القديم؛ ملك آشور: آشور ناصر بال الثاني إبان حكمه في القرن التاسع قبل الميلاد (٨٨٤-٨٦٠ ق.م)، ومن معالم وحشيته ما نقشه على بعض آثار عهده معلناً بقوته وغلبته في قوله: " شيدت نصباً قبالة باب مدينته (أى مدينة عدوه)، وسلخت جلود كافة زعماء التمرد، وغطيت النصب بجلودهم، ووضعت بعضاً منهم في بناء النصب نفسه، وأضرمت النار في كثير من أسراهم، واسترققت بعضاً منهم فجذعت أنوفهم، وقطعت آذانهم، وبترت أصابعهم!! " <sup>(٢١)</sup>.

ولا ننسى في هذا الصدد جرائم محاكم التفتيش في أوروبا في العصور الوسطى، فقد كانت نوعاً من الإرهاب الفكرى والدينى والإبادة للمخالف دينياً، سواء أكان مخالفاً في الديانة أم في الطائفة؛ وجرائم فرسان المعبد إبان الحروب الصليبية، وكانوا أشبه بتنظيم دينى متطرف في العصور الوسطى.

ولا ريب أن طوائف من الحركات الإرهابية ظهرت في الشرق الإسلامى قديماً، من أبرزها طوائف الإرهابيين القرامطة؛ وهى حركة باطنية اعتمدت التنظيم السرى والقتل والاعتقال، ومن شنيع فعالهم: مهاجمتهم مكة وقتلهم الحجيج واقتلاع الحجر الأسود وسرقته إلى الإحساء حيث بقى عشرين عاماً حتى سنة (٣٣٩هـ)<sup>(٢٢)</sup>، ومنها: تنظيم "الحشاشين" وعُرف بالقتل والاعتقال، ومن تسميتهم دخلت كلمة (Assassin) إلى اللغات اللاتينية بمعنى القاتل المأجور أو القاتل الغادر<sup>(٢٣)</sup>. وحديثاً يوجد كثير من جماعات العنف والتكفير منها: جماعات التكفير والهجرة، والقاعدة، وداعش، وغيرها.

وقد أدى الفعل الثورى فى أوربا إلى مناقشة النخبة العلمية للفعل العنيف، وفى فرنسا كان اليعاقبة أول من شرع فى صياغة اصطلاح "الإرهاب" فى أوربا الحديثة أثناء ما عرف بحكم الإرهاب ( *Le Gouvernement de la terreur* ) فى عهد ماكسميليان روبسبير ( ١٧٥٨م - ١٧٩٤م) عامى ١٧٩٣م-١٧٩٤م من عمر الثورة الفرنسية، قتل فيها باسم الثورة بين ١٦٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ ألف مواطن فرنسى ممن اعتبروا من أعداء الثورة؛ وأعلن ماكسميليان - فى صورة من الترهيب اللفظى والمبالغة التى يتسم بها الفعل الإرهابى- أن الإرهاب هو العدالة فى صورتها الصارمة الناجزة التى لا هوادة فيها!! وفى عام ١٧٩٨م ظهر أول تعريف رسمى للإرهاب وضعته لجنة علمية فرنسية وعرفته بأنه: "نظام حكومة الإرهاب"؛ وتُعزى كلمة terrorism الإنجليزية إلى وصف رجل بريطانى لحالة سفك الدماء التى شاهدها عن كثب فى فرنسا فى ذلك العهد الثورى - عهد الرعب- حتى علق الكاتب إيدموند بوركيه على ذلك تعليقا عجبيا فى اختيار ألفاظه: " ألوف من كلاب النار يسمون بالإرهابيين!!" (٢٤) ، ولكن ماكسميليان ما لبث أن لقى المصير نفسه على يد أقرانه؛ فاقْتيد مع مائة من أنصاره إلى المقصلة (٢٥).

والإرهاب باصطلاحه الحديث يجرّد نوعاً خاصاً من الإرهاب يرتبط بدوافع سياسية - وإن تقنعت لبوساً دينية أو تأولت نصوصاً مقدسة أو تتسبّت إلى ديانة راقية- تتخذ وسائل عنيفة لتحقيق أغراضها، وهو بهذا المعنى قديم قدم الاجتماع الإنسانى، ومولده الرغبة فى السيطرة وتحصيل السلطة، ومع خمسينيات القرن العشرين ظهر الإرهاب بدوافع قومية سياسية كما فى الإرهاب الصهيونى والإرهاب فى أيرلندا، كما ظهرت حركات إثنية انفصالية تبحث الانفصال عن حدود الدولة الوطنية الحديثة مدفوعة بعوامل إثنية أو جغرافية، أو طمعاً فى ثروات طبيعية (٢٦).

ومن الأمور المقبوحة عدم تفرقة بعض الدراسات بين الإرهاب المشروع وهو ما يسمى بالجهاد العينى دفاعاً عن النفس والأرض والعرض عند العدوان، وبين الإرهاب المذموم الذى نشنه كيانات غاصبة؛ كالكيان الصهيونى على الأرض العربية والمقدسات الإسلامية والمسيحية.



## تعريف الإرهاب

أما تعريف الإرهاب، فتوضح الدراسات وجود ما يزيد عن مائتي تعريف للإرهاب حول العالم؛ تستخدم الحكومات والمنظمات قرابة تسعين تعريفاً منها حالياً.

وفى دراسة قام بها شميد وجونجمان (Schmid and Jongman) من جامعة ليدين جمعا فيها أكثر من مائة تعريف علمي للإرهاب، وخلصاً من ذلك إلى الآتي:

— اشتمال هذه التعريفات على إبراز عنصر العنف (٨٣% من التعريفات).

— إبراز الأغراض السياسية من وراء الفعل الإرهابي (٦٥% من التعريفات).

— التركيز على إحداث الخوف والترويع في (٥١% من التعريفات).

— الاستهداف العشوائي والتعسفي في (٢١% من التعريفات).

— استهداف الأبرياء والمدنيين والمسالمين (١٧,٥% من التعريفات).

وفى دراسة قام بها ميراري (Merari) لتعريفات الإرهاب فى الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا، وجدها تركز على ثلاثة عناصر: استخدام القوة، والغرض السياسى، وبث الخوف فى قلوب فئة معينة من السكان<sup>(٢٧)</sup>.

ويمكن القول إن جريمة الإرهاب يتنازعها ثلاثة أنواع من الأوصاف القانونية، الأول: بصفته مجرد جريمة دولية. والثانى: بصفته جريمة ضد الإنسانية. والثالث: بصفته جريمة حرب. والنزاع فى الاعتبار لا فى الوقوع نفسه؛ أى: فى اعتبارها جريمة، واعتبارها ضد الإنسانية، واعتبار حالة وقوعها حالة سلم لا حرب<sup>(٢٨)</sup>.

وهناك تعريفات عديدة للإرهاب نذكر منها ما يلى:

— عرف الأصوليون الروس الإرهاب بأنه: قتل النشاط غير الحكوميين للناس لأسباب عديدة بوصف ذلك القتل بياناً سياسياً<sup>(٢٩)</sup>، ويأتى هذا التعريف على ذكر المبالغة المنكرة فى الفعل الإرهابى الذى يرسل بياناً سياسياً فى صورة دم وأشلاء!! .

— عرفه المؤتمر الدولى الذى انعقد تحت إشراف عصبة الأمم عام ١٩٣٧م بغرض وضع اتفاقية لمكافحة الإرهاب بأنه: الأفعال الجنائية الموجهة ضد دولة ويكون الغرض منها أو من طبيعتها إثارة الفرع والرعب لدى شخصيات معينة، أو لدى جماعات من الناس، أو لدى عامة الناس<sup>(٣٠)</sup>.

— عرفته موسوعة الإرهاب بأنه الاستخدام العشوائي للقوة بغرض تحقيق أهداف سياسية، وتكمن مشكلة الإرهاب فى صعوبة إيقاف الشخص المقتنع بأفكار أحد المنظمات الإرهابية عن القتل

عند إيمانه بذلك<sup>(٣١)</sup>؛ ولا ريب في اشتراك المتطرفين حول العالم في لىّ أعناق النصوص الدينية وصرفها عن أصول معانيها وصحيح دلالتها لاستباحة القتل والعنف، وهذا الأمر سواء عند جماعات العنف الإرهابية في كل الأعراق والأديان.

— وعرفته وزارة الخارجية الأمريكية بأنه: العنف العمدى بدافع سياسى ضد أهداف سلمية غير حربية من قبل منتسبى الجماعات القومية والسرية<sup>(٣٢)</sup>، ومكمن الغموض هنا كما ينص تقرير الخارجية الأمريكية عن مكافحة الإرهاب هو خفاء نية المُنفذ، وعدم معرفة دوافعه السياسية أو غيرها، ومن ثم فإنّ تكشف المعلومات الذى يستغرق زمناً يمكن أن يغير الأحكام المبدئية الصادرة في حوادث الإرهاب<sup>(٣٣)</sup>.

— وقد عرفته دول عدم الانحياز عام ١٩٨٤م بأنه: نوع من العنف تقوم به قوى استعمارية عنصرية أو نظام ضد الشعوب المناضلة من أجل الحرية<sup>(٣٤)</sup>؛ وهنا نلاحظ تركيز دول عدم الانحياز على مكافحة قوى الاحتلال والإمبريالية بوصفهما قوى إرهابية.

— وأخيراً عرفه مجمع الفقه الإسلامى التابع لرابطة العالم الإسلامى بأنه: "العدوان الذى تمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية وإخافة السبيل وقطع الطريق وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأماكن العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر"<sup>(٣٥)</sup>.

وعلى الرغم من اتفاق جمهرة الحكومات والخبراء على أصل المقصود بالفعل الإرهابى المتلبس بالعنف والغرض السياسى، فإن الخلاف ينشأ عند وصم فرد بعينه أو جماعة محددة بالإرهاب، بل إن الخلاف ربما ينشأ بين هيئات تابعة لدولة واحدة عند تحديد المراد بالإرهابى أو الجماعة الإرهابية بناء على رؤية ومعطيات كل هيئة، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٣٦)</sup>، فالاختلاف في تحديد من هو الإرهابى وما هى الدوافع التى تعتبر دوافع إرهابية يشكل السبب الرئيس في عدم وجود تعاون دولى لمكافحة الإرهاب<sup>(٣٧)</sup>.

وعند النظر إلى قضية تعريف الإرهاب نجد هناك اتجاهين إزاء هذه المقاربة :

— يذهب الاتجاه الأول إلى تحديد الفعل الإرهابى بوصفه المادى العنيف الواقعى، ولهذا يورد بعض هؤلاء أفعال المقاومة ضمن هذه الفئة، باعتبار أن كل فعل يهدد سلامة المدنيين

والمسالمة من قتل واغتيال وتفجير، أو طعن وإيذاء، أو اختطاف يشكل فعلاً إرهابياً بغض النظر عن دوافعه ومشروعيته من عدمها؛ وهذا الإطلاق صادق على الفعل دون نظر إلى مقاصده حميدة أو ذميمة؛ فهذا الاتجاه ينظر للمفهوم من الإرهاب بوصفه اللفظ الموضوع للدلالة على فعل معين<sup>(٣٨)</sup>.

- يذهب أنصار الاتجاه الثانى إلى صعوبة تعريف الإرهاب، بل إلى عدم جدواه، وذلك بالنظر إلى اختلاف أطراف المجتمع الدولي وعدم اتفاقهم على تحديد المراد بالإرهاب<sup>(٣٩)</sup>. وهذه نظرة واقعية تستند إلى وقائع الأحداث السياسية والتحالفات الدولية والمصالح الإستراتيجية للدول، فبعض الجماعات الدينية والإثنيات تسعى للاستقلال عن دول وطنية قائمة، فهى فى نظر هذه الدول حركات تمرد إرهابية وانفصالية عن الدولة وحلفائها والدول صاحبة المصلحة فى استقرار الدولة المعنية، وفى الوقت نفسه تنظر هذه الحركات وحلفاؤها إلى أعضائها بوصفهم أبطالاً وطنيين يقودون حركات تحررية من أجل نيل حق تقرير المصير؛ وهذه النظرة المزدوجة صادقة على الجيش الجمهورى الأيرلندى، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وحزب العمال الكردستانى، مع اختلاف فى الظروف والسياقات التاريخية، كما تستخدم بعض الدول جماعات إرهابية أدوات لتحقيق أهداف السياسات الخارجية مما لا يمكن لهذه الدول تحقيقه بالدبلوماسية المألوفة أو بالحرب التقليدية<sup>(٤٠)</sup>.

وعند تفحص هذين الاتجاهين لا تجد بينهما مخالفة حقيقية بل نسبية فى زاوية الرؤية لا غير؛ ففريق يرى تكييف الفعل الإرهابى بناء على صفة وقوعه بغض النظر عن دوافعه وأهدافه؛ وفريق يرى واقعياً اختلاف أنظار المجتمع الدولي إزاء الفعل الواحد، فيراه البعض حقاً مشروعاً ويراه الآخر فعلاً إرهابياً، فلا يمكن إذاً وضع تعريف متفق عليه، وحتى لو اتفقت الأطراف على تجريم الفعل الإرهابى العنيف الموجه ضد فئة من المدنيين المسالمين الأبرياء، فسوف يختلف البعض فى كونه إرهاباً، أو دفاعاً عن النفس، أو مقاومة للاحتلال؛ فنعود واقعياً مرة أخرى إلى الاختلاف الواقعى وعدم الاتفاق.

والحقيقة أن اختلاف أطراف المجتمع الدولي فى تعريف الإرهاب دليل قائم على اجترار المعتقدات التاريخية، وعدم انحياز بعض الحكومات للإنسانية والسلام فى استباحة حقوق بعض الشعوب والأعراق والأديان، كما هو الحال فى قضية الشعب الفلسطينى ونضاله ضد الاحتلال الصهيونى، وحقه فى تقرير مصيره وإعلان دولته المستقلة، وهى القضية التى لم تبارح مكانها منذ سبعين عاماً بحجج واهية لا تستند إلى منطق سليم أو حق قائم؛ فاعتبار العدوان الصهيونى على

الفلستينيين دفاعاً عن النفس بينما مقاومة الفلستينيين إرهاباً لهُو من الأمثلة الفجة على تباين مفهوم الإرهاب فى نظر المجتمع الدولى؛ والأمثلة فى ذلك كثيرة.

وقد ذهب بعض الباحثين<sup>(٤١)</sup> إلى عدم سعى الغرب لتقديم تعريف واضح للإرهاب مبتغياً من ذلك وضع جميع من يعارض سياساته أو يخالفه فى خانة الإرهاب، وفى الوقت نفسه قرر الباحثون أن ترك التعريف هلامياً كان مقصوداً لى يمنع الغرب العرب من وسم سياساته ( أى سياسات الغرب ) وممارساته بسمة الإرهاب، ولا ريب أن هذه دعوى لا حقيقة لها؛ فالقضية تتعلق بالأخلاق السياسية وغلبة المذهب النفى عليها ولا تتعلق بوضع التعريف؛ لذلك يغلب على الدول الكبرى تبنى تعريفات للإرهاب تنظر للداخل وحماية المصالح، مع نعت كل فعل عنيف موجه ضدهم أو ضد مصالحهم أو ضد حلفائهم بالإرهاب، ولو اقتضى نعت الساعين لطردهم الاحتلال وتقرير المصير ونيل الحرية والكرامة بالإرهاب، وذلك على الرغم من إقرار الأمم المتحدة حق تقرير المصير لكافة شعوب العالم؛ حيث ينص العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية ١٩٦٦م فى مادته الأولى على أنه:

- " لى جميع الشعوب حق تقرير مصيرها بنفسها، وهى بمقتضى هذا الحق حرة فى تقرير مركزها السياسى، وحررة فى السعى لتحقيق نمائها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ... على الدول الأطراف فى هذا العهد، بما فيها الدول التى تقع على عاتقها مسئولية إدارة الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى والأقاليم المشمولة بالوصاية، أن تعمل على تحقيق حق تقرير المصير، وأن تحترم هذا الحق وفقاً لأحكام ميثاق الأمم المتحدة " .

ولا شك أن تحديد تعريف ملزم للإرهاب يظل بعيد المنال، ما لم يتأسس نظام عالمى ومجتمع دولى يقوم على مبدأ العدالة والمساواة والحرية والحقوق للجميع، دون تمييز بين البشر جميعاً بسبب دين، أو عرق، أو جنس، أو ثروة، أو تاريخ صراعى، أو موقع جغرافى. ويرى فقهاء القانون تقسيم الإرهاب من حيث عدة اعتبارات إلى ما يلى:

#### أولاً: أقسام الإرهاب من حيث مقترفيه :

— **الإرهاب الفردى:** إرهاب الأفراد ضد الدولة، وهو إرهاب المحكومين ضد الحاكمين، ويسمى بالإرهاب من أسفل إلى أعلى من جانب الأفراد والجماعات المناوئة للدولة باستخدام العنف ضد الدولة<sup>(٤٢)</sup>.

— **الإرهاب المؤسسى:** وهو غيبية الأنظمة والقوانين التى تحمى حقوق المواطنين<sup>(٤٣)</sup>.

– **إرهاب الجماعات:** وهو إرهاب جماعات المتطرفين فكرياً بدعم اقتصادي أو عسكري أو قانوني، واستغلالها العمل في الخفاء، مستخدمة أدوات الترويع والقتل والاعتقال للوصول لأغراضها من السيطرة والتحكم<sup>(٤٤)</sup>.

– **إرهاب الدولة:** وهو استهداف دولة أو كيان استعماري لمواطني دولة أخرى بغية احتلالهم أو تهجيرهم أو نهب ثرواتهم أو السيطرة عليهم؛ كإرهاب الاحتلال البريطاني والاحتلال الفرنسي والاحتلال الإيطالي لبعض الدول العربية في القرن العشرين، وإرهاب الكيان الصهيوني للشعب الفلسطيني واحتلال أرضه المستمر طيلة العقود الماضية.

### ثانياً: أقسام الإرهاب من حيث مقصده :

– **إرهاب جنائي:** ويكون غير مقصود بذاته وإنما لارتكاب جريمة مالية؛ كالغصب، أو بدمية؛ كالاعتصاب أو الإكراه على الزنا ونحوه.

– **إرهاب سياسي:** ويكون بغرض تحقيق هدف سياسي، كالضغط على نظام حاكم وجبره على فعل شيء أو الامتناع عن شيء، وقد تقوم به أطراف غير موسومة بالإرهاب بتاتاً؛ كالقنوات الفضائية التي تضغط على الحكومات من خلال بث الأكاذيب والشائعات وتزوير الأفلام والوثائقيات ونحوها.

– **إرهاب ديني:** وهو المدفوع بسبب ديني، كالموجه ضد طوائف المخالفين في المذهب أو الآراء الدينية العقديّة، أو ضد المخالفين في الديانة، وقد يكون فردياً، أو جماعياً مؤسسياً، وربما دعمته بعض الدول في الخفاء.

– **إرهاب اقتصادي:** وهو المدفوع بغرض اقتصادي، كالضغط على المقصود به لعدم دخوله صفقة معينة أو لجبره على تنفيذ أمر تجاري معين ونحو ذلك؛ وقد يقوم به فرد أو شركة أو مصرف أو دولة، ضد فرد أو شركة أو مصرف أو دولة.

### ثالثاً: أقسام الإرهاب من حيث نطاقه :

– **إرهاب محلي:** وهو الواقع داخل دولة واحدة على يد بعض مواطنيها، دون صلة أو رعاية من طرف خارجي؛ فهو إرهاب محلي في نطاق محلي.

– **إرهاب دولي:** وهو نوع من العنف غير المشروع يتخطى الحدود السياسية في نطاقه أو تمويله أو أشخاص منفذيه؛ كأن يقع في عدة دول من تنظيم واحد، أو يحدث برعاية أطراف خارجية أو مشاركتهم أو رعايتهم السياسية أو تغطيتهم الإعلامية؛ فقد تشترك بعض الدول والحكومات أو تتواطأ مع منظمات إرهابية بهدف تقويض علاقات الصداقة بين الدول، أو ابتزاز الدول لتحصيل مكاسب معينة<sup>(٤٥)</sup>.

#### رابعاً : أقسام الإرهاب من حيث أدواته:

– **الإرهاب التقليدي:** يشير هذا النوع لجرائم الإرهاب التقليدية من القتل والاعتقال والترويع، باستخدام الأسلحة التقليدية ومهاجمة أهداف مدنية أو عسكرية أو شرطية في حال السلم، أو القيام بعمليات انتحارية ضد أى من هذه الأهداف لتحقيق غرض سياسى.

– **الإرهاب الإلكتروني:** وهو نشاط أو هجوم متعمد مدفوع بدوافع سياسية يسعى للتأثير على قرارات حكومة من الحكومات أو توجيه الرأى العام العالمى فى اتجاه معين<sup>(٤٦)</sup>؛ ويحدث هذا الإرهاب فى الفضاء الإلكتروني من خلال اختراق أنظمة الحماية وشبكات المعلومات، وضرب مراكز التحكم والسيطرة، والهجوم على شبكات الطاقة وأنظمة التسليح لترويع الدول وتهديدها والضغط عليها، وقد يكون مقترفوه أفراداً أو جماعات أو دولاً يعملون عبر الفضاء الإلكتروني.

– **الإرهاب الإعلامى:** وهو يشير للأنشطة الإعلامية التى تنبثها القنوات والمواقع والصحف ضد دول أخرى، بغرض تقويض أمنها، وتهديد سلامتها، وإرغامها على اتخاذ مواقف معينة بصناعة رأى عام عالمى مناهض لسياساتها، أو تأليب شعوب ضد حكوماتها.

## الأمم المتحدة ومكافحة الإرهاب

على الرغم من الاختلاف التطويرى لجريمة الإرهاب، فقد اتخذت الأمم المتحدة عدة خطوات مهمة فى مجال مكافحة الإرهاب فعلياً؛ ووضعت ثلاثة هياكل رئيسية لتنفيذ هذه المهمة:

### أولاً : لجنة مكافحة الإرهاب :

أنشئت اللجنة عقب الهجمات الإرهابية التى حدثت فى الولايات المتحدة فى ١١ من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م ، وتعمل لجنة مكافحة الإرهاب وفقاً لقرارى مجلس الأمن ١٣٧٣ لسنة ٢٠٠١م و١٦٢٤ لسنة ٢٠٠٥م، وتسعى لتعزيز قدرة الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة على منع وقوع أعمال إرهابية داخل حدودها، وأهاب القرار ١٣٧٣ لسنة ٢٠٠١م، الذى اتخذ بالإجماع فى ٢٨ من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، بالدول الأعضاء تنفيذ عدد من التدابير الرامية إلى تعزيز قدرتها القانونية والمؤسسية على التصدى للأنشطة الإرهابية، ومن بينها اتخاذ خطوات من أجل:

- تجريم تمويل الإرهاب.
- القيام بدون تأخير بتجميد أى أموال لأشخاص يشاركون فى أعمال الإرهاب.
- منع الجماعات الإرهابية من الحصول على أى شكل من أشكال الدعم المالى.
- عدم توفير الملاذ الآمن أو الدعم أو المساندة للإرهابيين.
- تبادل المعلومات مع الحكومات الأخرى عن أية جماعة تمارس أعمالاً إرهابية أو تخطط لها.
- التعاون مع الحكومات الأخرى فى التحقيق فى تلك الأعمال الإرهابية واكتشافها، واعتقال المشتركين فيها وتسليمهم وتقديمهم للعدالة.
- تجريم مساعدة الإرهابيين مساعدة فعلية أو سلبية فى القوانين المحلية، وتقديم مخالفيها للعدالة.

### ثانياً: إستراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب :

لا ريب أن مكافحة آفة الإرهاب أمر يهم كل الأمم والدول، وقد ظلت المسألة على جدول الأعمال الدولى لعدة عقود، ودخلت مرحلة تاريخية فى عام ٢٠٠٦م عندما وافقت جميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة لأول مرة على إستراتيجية عالمية لتنسيق جهودها لمكافحة الإرهاب؛ وتتضمن الإستراتيجية توصيات عملية فى أربعة مجالات رئيسية :

- معالجة الظروف المؤدية إلى انتشار الإرهاب.
- منع الإرهاب ومكافحته.
- بناء قدرات الدول على منع الإرهاب ومكافحته، وتعزيز دور منظومة الأمم المتحدة فى هذا الصدد.

- ضمان احترام حقوق الإنسان للجميع وسيادة القانون أثناء مكافحة الإرهاب.

وتضطلع لجنة مكافحة الإرهاب بدور مهم في هذه الإستراتيجية، من خلال مساعدة البلدان على تنفيذ التدابير الرامية إلى تعزيز قدرتها القانونية والمؤسسية على مكافحة الأنشطة الإرهابية<sup>(٤٧)</sup>.

### ثالثاً: مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب :

وأخيراً اعتمدت الجمعية العامة القرار رقم ٢٩١/٧١ بتاريخ ١٥ من حزيران/ يونيو عام ٢٠١٧م بإنشاء مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب The United Nations Office of Counter-Terrorism، وعين السيد فلاديمير إيفانوفيتش فورونكوف وكيلاً للأمين العام لمكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب في ٢١ من حزيران / يونيو ٢٠١٧م.

— اقترح الأمين العام أنطونيو غوتيريس في تقريره ( A / ٧١/٨٥٨ ) بشأن قدرة الأمم المتحدة على مساعدة الدول الأعضاء في تنفيذ إستراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب، وفرقة العمل المعنية بالتنفيذ في مجال مكافحة الإرهاب ومركز مكافحة الإرهاب، والتي أنشئت في البداية من قبل إدارة الشؤون السياسية، ونقلها إلى مكتب جديد لمكافحة الإرهاب برئاسة وكيل للأمين العام.

— يوفر وكيل الأمين العام الجديد قيادة إستراتيجية لجهود الأمم المتحدة في مجال مكافحة الإرهاب، ويشارك في عملية صنع القرار في الأمم المتحدة، وضمان تناول ومعالجة أصول وأثار الإرهاب في عدة قطاعات في عمل الأمم المتحدة.

### ويضطلع مكتب مكافحة الإرهاب بخمس مهام رئيسية هي:

— قيادة جهود مكافحة الإرهاب من خلال الولاية الممنوحة له من قبل الجمعية العامة لمنظومة الأمم المتحدة.

— تعزيز التنسيق والاتساق بين كيانات فرقة العمل المعنية بالتنفيذ في مجال مكافحة الإرهاب وعددها ٣٨؛ لضمان التنفيذ المتوازن للأركان الأربعة لإستراتيجية الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب.

— تعزيز تقديم المساعدة التي تقدمها الأمم المتحدة إلى الدول الأعضاء في بناء القدرات في مجال مكافحة الإرهاب.

— تحسين الرؤية والدعوة وتعبئة الموارد لجهود الأمم المتحدة في مجال مكافحة الإرهاب.

— ضمان أن يتم إعطاء الأولوية الواجبة لمكافحة الإرهاب على نطاق منظومة الأمم

المتحدة، وأن يكون العمل على منع التطرف العنيف متجذراً بقوة في الإستراتيجية.



– يهدف المكتب أيضاً إلى إقامة علاقات وثيقة مع هيئات مجلس الأمن والدول الأعضاء، وتعزيز الشراكات القائمة والنامية الجديدة من خلال السفر المنتظم والحضور في الاجتماعات المتصلة بمكافحة الإرهاب.

يشكل إنشاء هذا المكتب أول إصلاح مؤسسى رئيسى يضطلع به الأمين العام<sup>(٤٨)</sup>.

## خاتمة

تبين من هذه الدراسة أن الرهبة شعور إنسانى يتخطف داخله المرء، يخفى أو يظهر، فى ظل وجود خوف شديد حقيقى حاضر، أو معقول منتظر، أو موهوم غائب، تغلف بطول واستدامة وتردد، وهو شعور فطرى طبيعى، قد يكون مدفوعاً بأغراض دينية؛ كرهبة المتقين والرهبان الصادقين، أو لأغراض فطرية؛ كالخوف من حيوان ضاري.

وأما فعل الإرهاب فمنه مشروع؛ كما فى إرهاب المجرمين بالعقوبة، والأعداء المحاربين بالجيوش القوية، ومنه مذموم ممنوع؛ كإرهاب الأبرياء المسالمين، أو ترويع الأمنين، أو تخويف أهل عرق أو ديانة لمفارقة ديارهم أو هجر دينهم.

وقد ظهر مصطلح الإرهاب فى العصر الحديث مع اندلاع الثورة الفرنسية، ومنها انتقل إلى باقى اللغات اللاتينية، وعلى الرغم من اتفاق الكافة على تحديد المراد بالفعل الإرهابى؛ فهناك خلاف فى تحديد من هو الإرهابى؛ للاختلاف فى اعتبار مشروعية المقاصد الدافعة للإرهاب، والتي تحكمها مصالح كل دولة وسياساتها الداخلية والخارجية، ومن ثم يصعب وضع تعريف مُرضٍ للإرهاب دون وجود نظام عالمى عادل وشفاف.

وللإرهاب أقسام عديدة؛ فهناك إرهاب الأفراد، والجماعات، والمؤسسات، والدولة؛ من حيث أشخاص مقترفيه، وهناك الإرهاب الدينى والاقتصادى والسياسى والجنائى من حيث مقاصده، وهناك إرهاب محلى وآخر دولى من حيث نطاقه، وأخيراً هناك الإرهاب التقليدى والإلكترونى والإعلامى من حيث أدواته.

وقد اتخذت الأمم المتحدة العديد من الإجراءات لمكافحة الإرهاب؛ فأُسست لجنة مكافحة الإرهاب، ووضعت إستراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب، وأسست أخيراً مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب، ويتوقف نجاح هذه المبادرات والهيئات على قيام نظام عادل يلتزم بإقرار السلام والأمن لكافة الشعوب، وضمان الحرية الدينية والسياسية والاقتصادية لكافة المواطنين.

- (١) قال الطبري: أرهبت العدو، ورهبتته، فأنا أرهبه وأرهبه، إرهابًا وترهيبًا. انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، ط أولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٣٥/١٤.
- (٢) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق، ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٤٤٧/٢.
- (٣) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص ١٧٤٩.
- (٤) عصام الدين الحنفي، حاشية القنوي على البيضاوي، معه حاشية ابن التمجيد لمصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط. أولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٥/١٩.
- (٥) الترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثا في أمته.
- (٦) قيل: من الرهب؛ أي: من موضع الكم، وهو ما يغطي اليد من الثوب، وهو ضعيف. انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١/٢٦٩، ٥٦٩.
- (٧) أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل، بيروت: ط دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١١٦/٢.
- (٨) د. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م، ص ٨٦٤.
- (٩) فرق بعض العارفين بين الخوف والرهبه بأن الخوف: هو توقع الوعيد، ومن علاماته: قصر الأمل وطول البكاء. وأما الرهبه فهي انصباب إلى وجهه الهرب، فصاحبها يهرب أبدأ لتوقع العقوبة، ومن علاماتها: حركة القلب إلى الانتباض حتى إنه يكاد أن يبلغ الرهبه في الباطن مع ظهور الكمد والكآبة على الظاهر. راجع: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ط مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ، ص ٢٦٢.
- (١٠) ابن منظور، لسان العرب، ص ١٧٤٨.
- (١١) ابن الجوزي، زاد المسير، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢٤٠/٣.
- (١٢) ابن منظور، لسان العرب، ص ١٧٤٨.
- (١٣) الفيروزآبادي، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد على النجار، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٩٩/٣.
- (١٤) ابن منظور، لسان العرب، ص ١٧٤٨.
- (١٥) قارن: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص ٢٦١، و د. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي، ص ٨٦٤.
- (١٦) راجع: د. لطفى الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسى، مراجعة: عادل صادق، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة، ص ٢، ٥، ١٢، ١٣٨.
- (١٧) ابن منظور، لسان العرب، ص ١٧٤٨.
- (١٨) Jonathan Matusitz, *Terrorism and Communication: A critical Introduction*, (California: ٢٠١٣), p. ١.

Cf. Mark Andrew Brighton. The Sicari I in Josephus's Judean War: Historical (١٩) Analysis and Historical Observations. (Society of Biblical Literature: ٢٠٠٩), p. ١٤١. See, Martha Crenshaw *et al.*, International Encyclopedia of Terrorism, (٢٠) (Chicago: ١٩٩٧), p. ٢٧-٧٩.

Jonathan Matusitz, *Terrorism and Communication*, p. ٨. (٢١)

(٢٢) انظر للمزيد عنهم: ابن كثير، البداية والنهاية، ١١ / ٧١، في أحداث عام ٢٧٨ وما بعدها، وابن الجوزي، القرامطة، تحقيق: محمد الصباغ، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٢٠هـ، ١ / ٣٧٩-٣٨١.

(٢٣) انظر للمزيد عنهم : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ١/٤٠٣-٤٠٩.

(٢٤) تذكر كيف استخدم النبي ﷺ لفظ "كلاب أهل النار" لوصف الخوارج البغاة المستحلين للدماء المفارقين للجماعة.

Jonathan Matusitz, *Terrorism and Communication*, p. ١-٢.

See, Martha Crenshaw *et al.*, International Encyclopedia of Terrorism, (٢٥) . *Maximilien Robespierre: A Study* Reginald Somerset Ward (Chicago: ١٩٩٧), p. ٥٠; *in Deterioration*, (Macmillan and co., limited, ١٩٣٤), p. ٣٢٥ ff.

Cf. Amy Zalman, the History of Terrorism, on the following link:(٢٦)

<https://www.thoughtco.com/the-history-of-terrorism-3209374>

Cf. Jonathan Matusitz, *Terrorism and Communication*, p. ٢-٣. (٢٧)

(٢٨) عناصر الجريمة الدولية هي: (١) ألا تقتصر حدود الإرهاب على دولة بعينها بل تتجاوز الحدود الوطنية للدولة فيما يتعلق بالمتهمين أو بالوسائل المستخدمة أو نوع العنف المستخدم. (٢) أن تتم الأعمال الإرهابية بدعم أو تشجيع أو موافقة الدولة التي يوجد فيها مرتكبو هذه الأعمال أو بدعم دولة أجنبية. (٣) تعلق الإرهاب بالمجتمع الدولي بأسره بحيث يمكن اعتباره تهديدًا لأمن المجتمع الدولي. (٤) بلوغ الأعمال الإرهابية حدًا من الجسامة في أدواتها أو ضحاياها تعتبر به اعتداء على الإنسانية. انظر: د. محمد نصر، أحكام القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان بين الشريعة والنظام الدولي، ص ١٧٦-١٧٨.

Jonathan Matusitz, *Terrorism and Communication*, p. ٢. (٢٩)

(٣٠) د. حميد السعدى، مقدمة في دراسة القانون الدولي الجنائي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧١م، ص ١٣٨، و د. هيثم عبد السلام، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ص ٢٣-٢٤.

See, Martha Crenshaw *et al.*, International Encyclopedia of Terrorism, p. ٩. (٣١)

It is defined as: "premeditated, politically motivated violence perpetrated against (٣٢) noncombatant targets by subnational groups or clandestine agents. See, National Counterterrorism Center, Country Report on Terrorism ٢٠٠٥, Statistical Annex: April ٧, ٢٠٠٦, p. i.

. Ibid., p. iii. (٣٣)

(٣٤) د. هيثم عبد السلام، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ص ٢٧  
نقلاً عن كميل حبيب، مقال بعنوان: إسرائيل دولة الإرهاب، منشور بمجلة الفكر العربي، بيروت، عدد: ٩٦، ربيع  
١٩٩٩م، ص ٥.

(٣٥) عبد الرحمن المطرودي، مفهوم الإرهاب وموقف الإسلام منه، ص ٢١.

(٣٦) مثلاً تعرف وزارة الدفاع الأمريكية الإرهاب بأنه: " الاستخدام المحسوب للعنف غير المشروع، بغرض  
الترويع أو الإكراه، أو تهديد الحكومات أو المجتمعات؛ لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية في الأساس"  
وهو خلاف تعريف وزارتي العدل والخارجية الأمريكية.

"The calculated use of unlawful violence to inculcate fear, intended to coerce or to intimidate  
governments or societies in the pursuit of goals that are generally political, religious, or  
ideological." See, Paul M. Maniscalco and Dr. Hank T. Christen, Homeland Security and Practice of  
Terrorism Response, (Jones and Bartlett Publishers: ٢٠١١), p. ٣ quoted from the US Department of  
Defense, ٢٠٠٣, p. ٥٣١.

S. Ekici and A. Ekici, Building Terrorism Resistant Communities: Together Against Terrorism, p. ١٧٩. (٣٧)

(٣٨) المقصود بالمفهوم : الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل. انظر:  
الجرجاني، التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م، ص ٢٣٥.

(٣٩) د. هيثم عبد السلام، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، ص ٢٣-٢٤.

John Fay, Encyclopedia of Security Management, , p. ٥٦١. (٤٠)

(٤١) هو الشيخ على فضل الله، الإرهاب والتكفير، بحث مقدم لمؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب، ص ٢٣٩.

(٤٢) د. محمد نصر، أحكام القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان بين الشريعة والنظام الدولي، ص ١٧٨.

(٤٣) محمود عرابي، الإرهاب: مفهومه، أنواعه، أسبابه، آثاره ، مصر، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧م، ص ٢٥-٢٦.

(٤٤) محمود عرابي، الإرهاب، ص ٢٦.

(٤٥) محمد عبد العظيم وآخرون، مدخل لظاهرة الإرهاب في مصر والمملكة العربية السعودية، ص ٥١.

(٤٦) د. غادة نصار، الإرهاب والجريمة الإلكترونية، ص ٧٦.

<http://www.un.org/ar/sc/ctc/action.html> (٤٧)

<http://www.un.org/ar/counterterrorism/> (٤٨)

## الإمام الغزالي وردوده على التكفيريين التأصيل والتفعيل فى الواقع المعاصر

الأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبوليلت

أستاذ بكلية اللغات والترجمة . جامعة الأزهر

مصر

تتَبَّع هذه الورقة جذور التكفير والتبديع وتطورها؛ لدفع مخاطرها على المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال فكر الغزالي، وبعض معاصريه من مؤرخى الفرق ونقادها من علماء الكلام، وليس من شأن هذا البحث التوسع فى الموضوع وتشعبه إلى حد الإسهاب، أو اختزال المعلومات إلى حد الإبهام.

ويعتمد البحث بالدرجة الأولى على الإحصاء الذى قدمه حُجة الإسلام للفرق والطوائف الضالة والمضللة، والحركات الكافرة والمُكفِّرة، والمبتدعة والمبدعة طبقاً للمنهج الاستقصائى النقدي، محاولين إزاحة القناع عن وجوه الأعداء الحقيقيين الذين يعملون جاهدين، وبشتى الطرق، على إضعاف الإسلام والمسلمين من جميع الوجوه الدينية والسياسية والاجتماعية الحضارية، وتشكيك العوام وأشباه المتقفين منهم فى الحقائق الدينية الثابتة، والتمويه عليهم فيها.

### عصر الغزالي:

فى القرن الرابع الهجرى كانت أمراض الخلافة فى بغداد قد تَفَحَّلت والبيثور قد طفحت على الجسم كله، وكان الروح المجتمعى قد ضعف ووهن فانقسم ولاة الدولة على الدولة، واستقل كل منهم بحظ من الغنيمة يقدر بمدى قوة المتغلب.

ويشخص ابن كثير الوضع السيئ للخلافة العباسية قائلاً: "وهن أمر الخلافة جدًّا، واستقل نواب الأطراف، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد." (١).

وما زال حكم الخلافة ينكمش ويتضاءل حتى وصل الحال بالخليفة إلى أن حكمه لم يكن يتعدى قصره الذي يقيم فيه، هذا فضلا عن أن الخلفاء قد صاروا ألعوبة يتسلى بها الخدم والمماليك، حتى وصل الحال بالخليفة إلى تسول لقمة العيش على أبواب المساجد.

كان الصراع على السلطة، والتسابق إلى الكرسي هو المطلب الغالب لأصحاب الطموح والمغامرين؛ بل كانت المناصب تباع وتشترى، ولقد استقل المتنازعون المتشاكسون بالدخل القومي لأنفسهم، فازداد الفقر واشتدت الحاجة بالناس، فانتشرت الأمراض والأوبئة، وحلت شريعة الغاب محل شريعة رب الأرباب، وفي ظل هذه الفتنة صار الكل مهزوما، وتساوى مصاص الدماء ومصاص الحصة ينتهي بها من شدة الجوع.

وأهم ما ينبغي ذكره هنا كما قال الإمام الغزالي: إن القيم السياسية والأخلاقية قد انهارت؛ فشاع القتل والترويع ونهب الأموال، ولقد وصل الحال إلى تعيين أحد قطاع الطرق في بغداد رئيساً للشرطة في إمارة الدولة البويهية (٢).

وكان هذا الوباء السياسي وفوضى الحكم هو السبب المباشر فيما حل بالمسلمين من نكبات على أيدي الفرق الباطنية، وجناحها الفكري المتمثل في إخوان الصفا، وجناحها العسكري المتمثل في "فرقة الحشاشين" (٣)، وصيرورة المسلمين نهية لكل ذي مخلب وناب، ولقد انتشرت الفرق الباطنية وظهرت في ظل هذه الهزائم التاريخية المتتالية، واقتترنت بالخلافات والصراعات بين المسلمين.

لذا كان مشروع الغزالي العلمي والعملية في أواخر حياته العزلة والمجاهدة، وتطهير القلب أولاً لاستقبال النور الإلهي والأمداد الربانية، وتطهير العقل مما ران عليه من الفلسفات المادية، والأفكار الإلحادية، والنزعات الطائفية، التي انحرفت بالقلب عن مداره الروحي، كما انحرفت بالعقل عن مساره الفكري الصحيح المتسق مع القلب السليم، وعلى رأس هذا كله الوحي المنزل، والاجتهاد المأمور به شرعاً لاستمرار وجود الدين مسيطراً على المجتمع، يهديه ويقويه؛ حتى يقاوم أى انحراف أو اعتساف.

لقد خاض الإمام الغزالي معركة حياته لحماية العقيدة، والحفاظ على الوحي المنزل وأدلتة اليقينية التي ليس في مكنة العقل الاستغناء عنها، أو تنزيلها عن رتبها.

وقد كان تكفير المخالف المسلم أمراً فردياً أو ظاهرة محدودة لا تمثل ظاهرة في نفسها، حتى ظهر الخوارج، فتوسعوا في إطلاق لفظ "الكفر" على كل من خالفهم، ومع التكفير للمسلم أباحوا دمه واستحلوا ماله، فصار التكفير من ثم منظماً ومنهجاً.

ولقد فطن الإمام على ﷺ لهذا الأمر، وأدرك خطورته على الإسلام والمسلمين؛ لأنه قد يكون البوابة الكبرى والأولى لدخول أصحاب المصالح، وصنّاع المكائد لتمزيق شأن المسلمين، بتأليب بعضهم على بعض.

حقاً، لقد فطن الإمام على كرم الله وجهه لذلك عندما سأله أصحابه: عن أهل النهروان<sup>(٤)</sup> أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا. قيل: أفرنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: "إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا". هذا ما أورده ابن جرير، وغيره في هذا المقام.<sup>(٥)</sup>

أراد الإمام على ﷺ أن يغلق الباب دون التكفير، لأنه لو ترك مفتوحاً؛ لكفر الناس بعضهم بعضاً؛ وعادة ما يكون التكفير ذريعة لاستباحة الدماء والأموال والأعراض وإشاعة الفوضى.

ولقد وصل عنف الخوارج إلى تكفير من خالفهم من أصحاب رسول الله ﷺ. فقد كفروا علياً وعثمان والحكمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وكل من رضى بالتحكيم، كما كفروا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وطلحة والزبير رضى الله عنهما من أصحاب موقعة الجمل، وتعمقوا في هذا الأمر حتى كفروا مرتكب الكبيرة، وأوجبوا الخروج على الإمام الجائر، وكفروا كل من خالفهم أو دعا بغير دعوتهم، كما قتلوا عبد الله بن حباب بن الأرت لروايته لحديث الفتن، وحض الناس على اعتزالها؛ قتلوه، وقتلوا معه زوجته وولده وأم ولده<sup>(٦)</sup>.

ومنهم من حكم على من قعد عن نصرتهم، بالكفر والشرك، ومنهم من ابتدع أشياء في الدين، كفّرهم العلماء بسببها، كما أن منهم من استحل الحرام، واستباح الحرمات والأعراض، وأموال مخالفيهم، وزعموا أن من معهم لا يدخل النار أبداً.

ولقد امتدت ظاهرة التكفير واستباحة دم المخالفين والمعارضين في بلدان المسلمين وعلى مدار التاريخ منذ ذلك الحين؛ والتي تصدى لأصحابها حجة الإسلام .

وما أشد ما تعاني مجتمعاتنا الإسلامية من هذا الوباء الذي يظهر لنا فكرياً في بداياته، ثم عنيفاً دموياً في نهاياته. ولقد اتسع التطرف والعنف القتالي حتى صار عبئاً على الإسلام، وعقبة أمام المسلمين أن يتحدوا، أو يتقدموا، أو حتى يعيشوا في أمان واستقرار وحسن سيرة.



لقد لَطَّحَ المتشددون وجه الإسلام، وأساءوا إلى المسلمين وشوَّهوا صورتهم، حتَّى ألبوا العالم كله عليهم، وجلبوا اللعنة على أنفسهم، وحتى أدرك المستعمرون نقاط الضعف عندهم فتسللوا منها، ودسوا عناصرهم فيها، وزودوهم بالمخططات والعتاد والمال، حتى صارت المعارك بين المسلمين وبعضهم، وانقلب المتقاتلون إلى أعدائهم، يطلبون منهم النُّصرة، وهم لا يعينهم إلا هزيمة جميع المسلمين وتفنيت العالم الإسلامي بأجمعه.

### في مواجهة المارقين والمكفرين :

تعرض الإمام الغزالي لمطاعن المغرضين والمتعصبين، إذ أنكر عليه البعض مبالغته في تقرير حجة الخصوم<sup>(٧)</sup>، وقد استعمل الغزالي لفظ "الكفر"، و"التكفير" في (المنقذ) وفي (تهافت الفلاسفة)، ولخطورة هذا الموضوع كتب حجة الإسلام مصنفات كثيرة، منها على سبيل المثال: "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" في الرد على مسلم متعصب .  
 وقبل أن نقدم على ذلك أمثلة من كتبه، يجب أولاً أن نعرِّف الكفر من وجهة نظره، وما مجاله، وكيفية علاجه ؟

يقول حجة الإسلام في مقدمة كتابه " فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة " : " فإنِّي رأيتك أيها الأخ المشفق، والصديق المتعصب مُوغِرَ الصدر، منقسم الفكر لِمَا قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة، على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين، والمشايخ المتكلمين، وأن العدول على مذهب الأشعري ولو في قيد شبر كفر، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر، فهوَنَ أيها الأخ المشفق المتعصب على ما يقولون، واهجرهم هجرًا جميلاً ، واستحقر مَنْ لا يُحْسَدُ ولا يُقَدَّفُ، واستصغر من بالكفر أو الضلال لا يعرف، فأى داع أكمل وأعقل من سيِّد المرسلين ﷺ، وقد قالوا: إنه مجنون من المجانين، وأى كلام أجلّ وأصدق من كلام رب العالمين، وقد قالوا: إنه أساطير الأولين، وإياك أن تشتغل بخصامهم وتطمع في إفحامهم، فتطمع في غير مطمع، وتصوت في غير مسمع".<sup>(٨)</sup>

واستشهد الغزالي بالآيات التي نزلت لتثبيت قلب النبي ﷺ، هي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ

عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿ (الأنعام: ١٤، ١٥)، وقوله

تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿ ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا

بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿ (الحجر: ١٤، ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام: ٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١١١).

ويقسم الغزالي المُكفِّرين لغيرهم إلى مقلدين للمذاهب الكلامية أو الفقهية؛ فهم يكفرون من يخالف من يقلدونه من أصحاب هذه المذاهب، والباطنية الذين يكفرون كل من يخالفهم. والغزالي نفسه ينصح معارضة أن يسأل نفسه، ويسأل صاحبه، ويطلبه بتعريف الكفر ما هو، يقول: " فإن زعم أن حدَّ الكفر (معناه) ما يخالف مذهب الأشعرى أو مذهب المعتزلى أو مذهب الحنبلى أو غيرهم، فاعلم أنه غبى بليد، قد قيَّده التقليد، فهو أعمى من العميان، فلا تضيع بإصلاحه الزمان، وناهيك حجة في إفحامه، مقابلة دعواه بدعوى خصومه.

#### تحذير المسلم من التكفير للمخالف:

ويحذر حجة الإسلام المسلم من "تكفير الفرق، وتطويل اللسان في أهل الإسلام، وإن اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين بقول (لا إله إلا الله)، صادقين بها غير مناقضين لها". ثم يُعرِّف الكفر بأنه "هو تكذيب الرسول ﷺ في شيء مما جاء به، والإيمان تصديق في جميع ما جاء به"<sup>(٩)</sup>.

ومضى الغزالي يشرح ويُفصِّل ويبين خطأ من يتعجَّل بتكفير المسلم عن غير معرفة أكيدة بحدِّ التصديق والتكذيب<sup>(١٠)</sup>، مبيناً كيف يتخلَّص الإنسان من شكِّه وحيرته في الحكم على ما يراه من خلاقات بين الفرق الإسلامية، وبين أهل الأديان جميعاً، وبخاصة أن كل فرقة تُكفِّر مخالفيها. وقد أحال الإمام في الحكم على الكفر أو الشرك إلى الشرع، لا إلى العقل، وشدَّد على عدم تكفير المخالف في الفروع من فرق المسلمين. ونوَّك أن معنى الكفر هو التغطية على الحقيقة عن عمد، وهذا أمر يواجه بالدعوة والموعظة الحسنة، وبالجدال بالتي هي أحسن، وهذا هو منهج الإسلام، فالأمور التي لا تتعلق بأصول الاعتقاد، ولكنها قد تؤخذ باعتبارها وسائل للبرهنة على أمر ما، فهذه ليس فيها تكفير ولا تبديع، اللهم إلا إذا كان الكلام فيها يُضللُّ العوام، ويُشوِّش قلوبهم، أو يكون ضرره محققاً، فيحكم إذن عليها بالبدعة، وبخاصة في الأمور التي لم تُؤثِّر عن السلف. أما ما يتعلق بأصول الاعتقاد، فيكفِّر منكرها، وذلك مثل من ينكر البعث الجثمانى، والنعيم والعذاب الحسينيين في الآخرة. وكمن يقول: إن الله لا يعلم إلا نفسه، وأنه لا يعلم الجزئيات المتعلقة

وأشار الغزالي في كتابه "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" إلى فساد رأى من يتسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه (١٢).

### الخلافة والخلاف :

١- طرح الغزالي نقطة مهمة- طالما تسببت في قتال المسلمين بعضهم لبعض، والتّرامى بالكفر واستباحة الدم- وهى الخلافة، يقول: "إن الخطأ فى أصل الإمامة وتعيّنها، وشروطها وما يتعلق بها، لا يوجب شيء منه تكفيراً، ولا يُلتفت إلى قوم يعظمون أمر الإمامة، ويجعلون الإيمان بالإمام مقروناً بالإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ، كما لا يُلتفت إلى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم فى الإمامة؛ فكل ذلك إسراف، إذ ليس فى واحد من القولين تكذيب للرسول ﷺ أصلاً، ومهما وجد التكذيب وجب التكفير وإن كان فى الفروع، وذلك لأن الإمامة أو الرئاسة أو الخلافة أو السلطنة، وإن كان أساسها الدين، وغايتها حفظ الملة والدولة، ورعاية مصالح الناس وتوفير الأمن لهم، وغير ذلك من أمور الدنيا، فهى من اختيار الناس أو عملهم، إذ لا يوجب الإسلام تعيين الإمام، ولم ينص النبى ﷺ على شخص بعينه أو بصفاته، ما يعطى للناس حرية اختيار من يحكمهم أو يمثلهم (١٣).

٢- أضاف الإمام أن منكر التواتر تلزمه صفة الكفر، لأنه فى هذه الحالة يكون منكراً للقرآن لأنه وصل إلينا بالتواتر وكذلك السنة الصحيحة، فإنه يكون منكراً لها. ولحرص حجة الإسلام على عدم تكفير المسلم فإنه يقول: إن التواتر، ينكره الإنسان بلسانه، ولا يمكن أن يجله بقلبه، أما من أنكر خبر الأحاد فلا يلزمه به الكفر، والتواتر كما عرّفه "هو ما لا يمكن الشك فيه، كالعلم بوجود الأنبياء، ووجود البلاد المشهورة ونحو ذلك".

ومن جحد مسألة فيها إجماع ففى تكفيره نظر، وذلك لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة فيه غموض كما يدركه علماء أصول الفقه، وأنكر النّظام كون الإجماع حجة أصلاً، ويقول: إن من ينكر الإجماع لعدم ثبوته عنده حتى حينه فهو جاهل مخطئ، وليس بمكذب؛ فلا يمكن تكفيره، والاستقلال بمعرفة التحقيق فى هذا ليس بالأمر اليسير (١٤).

٣- وهناك فئة من الناس يصح عليها حكم الكفر- فى نظر الغزالي - وإن ادّعوا الإسلام، مثل بعض من يزعم أنه رُفِع عنه التكليف وذلك لبلوغه حالة بينه وبين الله تجعله يستحل الخمر وجميع الرذائل التى تساعد على انتشار الإباحية، والفوضى، وكما يدعى بعضهم أن أعماله فى الظاهر مخالفة للشرع ولكنه فى باطنه ليس كذلك، وهذا من تلبس إبليس لأنه يضل الناس ويزين لهم ارتكاب الفواحش والآثام وأكل أموال الناس بالباطل بمثل دعواه.

٤- يدخل في حكم الكفار طائفة من الباطنية يزعمون أن الله واحد بمعنى أنه يعطى الوحدة ويخلقها، وعالم بمعنى أنه يعطى العلم لغيره ويخلقه فيه، وموجود بمعنى أنه يوجد غيره، أما أن يكون أى الله واحداً فى نفسه، وموجوداً أو عالماً على معنى اتصافه بهما فلا (١٥).

وعلى كل من ينتصب لإصلاح المجتمع وصلاح أفراده، ألا يبالغ فى استعراض الأشياء، فيقف عند اليسير منها ويضخمه، وهو يسيرٌ فى نفسه، ولكنه هو الذى ضخمه وتبجح به، وكما يقرّر الإمام الغزالي فى منهجه الإصلاحى أنه يجب أن ننظر فى المسألة دون تعصب أو موقف سابق، هل يعظم ضررها على الدين أم لا؟ فإن ما لا يعظم أمره فى الدين فالأمر فيه أسهل، وإن كان القول شنيعاً وظاهر البطلان، كقول الإمامية المنتظرة أن الإمام مختف فى سرداب فإنه ينتظر خروجه؛ فإنه قول كاذب ظاهر البطلان شنيعٌ جداً، ولكن لا ضرر فيه على الدين، إنما الضرر على الأحمق المعتقد لذلك، إذ يخرج كل يوم لاستقبال الإمام حتى يدخل فيرجع إلى بيته خاسئاً (١٦).

ومن هذا المثال أخذ الإمام هذا الحكم: "إنه لا ينبغي أن يكفر بكل هذيان، وإن كان ظاهر البطلان... فإذا فهمت أن النظر فى التكفير موقوف على جميع هذه المقامات التى لا يستقل بأحاديها المبرزون علمت أن المبادر إلى تكفير غيره مجازف... فإذا رأيت الفقيه الذى بضاعته مجرد الفقه يخوض فى التكفير والتضليل فأعرض عنه، ولا تشغل به قلبك ولسانك، فإن التحدى بالعلوم غريزة فى الطبع لا يصبر عنه الجهال؛ ولأجله كثر الخلاف بين الناس، ولو يُنكث من الأيدى من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق" (١٧)، ومعنى ينكث من الأيدى أى يُنفض كما يُنفض الثوب.

#### والمقامات التى يشير إليها حجة الإسلام هي :

١- النص الشرعى هل يقبل التأويل أو لا يقبل؟ ومعرفة ذلك ليس أمراً سهلاً، إذ يُحتاج فيه إلى الماهر الحاذق فى علم اللغة وأصولها، ثم بعادة العرب فى الاستعمال فى استعاراتها، وتجوزاتها ومنهاجها.

٢- اختبار النص المتروك، أو المعدول عنه، هل هو متواتر أو آحاد، أو هو مروى بالإجماع المجرد على تفصيل ذلك.

ونختم كلامنا عن التكفير والتبديع من وجهة نظر الغزالي بما ذكره فى كتاب "ميزان العمل" تحت عنوان: "معنى المذهب واختلاف الناس فيه" وقوله فى فلسفة ظهور اختلاف الناس فى المذهب، والفرقة، إذ ذكر هو فى كثير من كتبه مذهب الصوفية، ومذهب الأشعرية، وبعض المتكلمين، مع أن الكلام لا يفهم إلا على مذهب واحد، فما الحق إذن من هذه المذاهب، إذ لا يتصور أن تكون كلها صحيحة؟ فإن كان أئمة المذاهب كلهم على حق فكيف يتصور هذا؟ وإذا كان بعض ما قالوه حقاً، فما ذلك البعض؟! هذه الأسئلة سواء افترضها الإمام واختطها لنفسه بهذه

الطريقة، أم كانت أسئلة حقيقية عُرضت عليه، فهي تمثل لازمة من لوازم الجدل عن الدين والطريق إليه.

عرّف الغزالي المذهب بأنه يكون نمط الآباء والأجداد، أو مذهب المعلم أو مذهب أهل البلد الذى فيه النشوء، وذلك يختلف باختلاف البلاد والأقطار، ويختلف كذلك باختلاف المعلمين، فكل واحد يتأثر ببيئته التى نشأ فيها وبمذهب أهل البلد، والذى ورثه الآباء عن الأجداد وورثوه لأبنائهم، وجمد كل واحد على ما تلقاه من مذهب وتحمس له وتعصبّ دونه.

ويرد الإمام الغزالي هذا التعصب الذى استولى على أصحاب المذاهب المقديين إلى حرص جماعة على طلب الرياسة، باستتباع العوام، ولا تتبع دواعى العوام إلا بجامع يحمل على التظاهر، فجعلت المذاهب فى تفصيل الأديان جامعا، فانقسم الناس فرقا، وتحركت عوامل الحسد والمنافسة، فاشتد تعصبهم واستحكم به تناصرهم<sup>(١٨)</sup>، وبهذا شوّه هؤلاء المنتطحون على الناس إيمانهم، وهوتوا من شأن الدين عندهم.

ويبين الله تعالى أن اختلاف الناس منهم، وليس منه، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩) فهذا خبر من الله تعالى عن اختلافهم، ولم يصف الله تعالى اختلافهم إلى نفسه، بل أضافه إليهم<sup>(١٩)</sup>.

وفى الرد على المخالفين فيما ذهبوا إليه، أنه يجوز الاختلاف بين المكلفين فيما كلفوا علمه من المذاهب، وكذلك يجوز عليهم الاختلاف فى الأدلة، والاختلاف فى كيفية الاستدلال بها والنظر فيها، والانتهاء من ذلك إلى وجوب الحاجة إلى الإمام الذى وصلوا به إلى رتبة النبوة فى كل عصر.

إن الله تعالى عندما يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨)، فإنما هو تقرير حالة،

أى: حالة الإنسان بحكم طبعه، وثنائية خلقه. فالاختلاف طبعى بين البشر، وهو بهذا الوجه منتج للوفاق، والاتفاق، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، فهذا أمر بعدم التفرق.

وفى تحذير المسلمين من الافتراق، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، ويقول تعالى: ﴿وَلَا

تَنَزَعُوا فَيَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)، ويقول

تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٣).

ومن المهم التنويه به أن الإمام الغزالي قد فرق بين "الخطأ الشرعي" وبين "التكفير"، وعليه فليس بجائز شرعاً أن يُكْفَر أحدٌ مَنْ يُكْفَره لمجرد أنه يخالفه في الفرقة، أو الرأي والمذهب .  
ويذكر الغزالي حديث النبي ﷺ " إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما " (٢٠)، وقال: إن معناه أن يكفره مع معرفته بحاله، فمن عرف عن غيره أنه مصدق لرسول الله ﷺ ثم يكفره، فيكون المكفر كافراً؛ فأما إن كَفَّرَه لظنه أنه كذب الرسول، فهذا غلط منه في حال شخص واحد؛ إذ قد يظن به أنه كافر مكذب، (وهو) ليس كذلك، وهذا لا يكون كفراً (٢١).

هذه هي وجهة نظر حجة الإسلام في تكفير المسلمين بعضهم لبعض. وعلى هذا إجماع علماء المسلمين في عدم تكفير أحد من أهل القبلة، وأنه لا يجوز أن يكفر أحد من المسلمين بمعصية، حتى لو كانت من الكبائر، فهذا يدعو إلى التوبة، لا إلى التكفير.

أما بالنسبة للأمم الأخرى، يقول الإمام الغزالي: "إن من بلغته الدعوة، وبلغه القرآن الكريم، الذي تحدى الله به سائر البشر، وكذلك سائر معجزاته ﷺ فَيَعْبُرُهَا ولم ينظر فيها، بل أعرض وتولى، وعاند وعادى فهذا هو الجاحد الكاذب، وهو الكافر، ثم يستنتى الإمام من هذا الحكم أكثر الروم والترك الذين بَعُدت بلادهم عن بلاد المسلمين. وإن كان من أهل الدين؛ يعنى كان له دين مخالف دين الإسلام، فلا بد من تعريفه بالإسلام بطرق يستطيع معها فهم هذا الدين الخاتم، والكامل الشامل، الذي أرسل الله به نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، واستجابة لحاجات البشر ومصالحهم جميعاً (٢٢).

## توصيات

- ١- إن التطرف لا يُعالج بتطرف مضاد، ولا يقابل بقوة السلاح وحده، وإنما يواجه عقلياً وفكرياً وبتقوية الإيمان في القلوب، والحفاظ على الإسلام ضد هجمات خصومه من الحداثيين المتطرفين من جانب، ومن الملاحدة وانتقاداتهم من جانب آخر؛ لأننا بسكوتنا عن الهجوم المضاد على الإسلام نقدم تبريرات للمتطرفين والتكفيريين، وأصحاب النزعات العنُفوية للقيام بعمليات إرهابية، واجتذاب أصحاب القوى المعطلة لتتضم إليهم.
- ٢- لا بد من توسيع مساحة الحريات، ورعاية حقوق الإنسان أيّاً كان، طبقاً للمعايير الشرعية والأعراف الدولية.
- ٣- توسيع الانسدادات التي أصابت شرايين التعليم والتنقيف، فالشباب إذا لم تشغله بحق أو بنافع شغل نفسه هو بباطل، أو انحراف، وقد يصل به الحال إلى حد الانخراط في جماعات الإرهاب، أو الالتجاء إلى المحرمات والممنوعات التي تضر بالشباب وبالوطن كله، الذي هم عُدته وعتاده.
- ٤- تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام الكرامة الإنسانية لكل مواطن مسلم أو غير مسلم.
- ٥- تفعيل دور المساجد ودور العبادة وتفعيل المنابر الثقافية، وذلك للنهوض بوعي المواطن وتنقيفه الثقافة الصحيحة، والبعد به عن مزالق التطرف، ومواطن الإرهاب.
- ٦- تحسين أحوال الإعلام والإعلاميين، وإعطائهم مزيداً من الثقة في أنفسهم في أن يكونوا مهنيين ملتزمين بأخلاق المهنة، وتزويد المواطنين بالحقائق، وبالمعلومات والتحليلات الصحيحة التي تحصن المجتمع من التحلل، ثم السقوط.

## الهوامش :

- (١) البداية والنهاية ، ١١ / ١٩٧ .
- (٢) المصدر نفسه ، ١١ / ٧٩ ، وابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) تجارب الأمم، القاهرة، دار الكتاب الإسلامى ٨٥/ ٢ هـ. ف. أمزدروز ومحمد أمخزون، الفرق الباطنية التاريخ والمنهاج، ضمن سلسلة: ليستبين سبيل المجرمين، المغرب، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص ٨٢ وما بعدها.
- (٣) طائفة الحشاشين أو الحشاشون أو الحشيشية أو الدعوة الجديدة كما أسموا أنفسهم، من فرق الباطنية الإسماعيلية النزارية، وقد انفصلت عن الفاطميين فى أواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى لتدعو إلى إمامة نزار المصطفى لدين الله ومن جاء من نسله، واشتهرت ما بين القرن ٥ و ٧ هـ الموافق ١١ و ١٣ م، وكانت معاقلم الأساسية فى بلاد فارس وفى الشام بعد أن هاجر إليها بعضهم من إيران. ( الملل والنحل. الشهرستانى. ٢ / ٣٢- ٣٣ ، وانظر: تاريخ الإسماعيلية، عارف تامر ، ٤ / ٩٨ ) .
- (٤) معركة النهروان أو وقعة النهروان، هى معركة وقعت بين على بن أبى طالب عليه السلام ، والخوارج فى موقع يقال له النهروان غربى دجلة سنة ٣٧ هـ ( انظر: تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى ، ٥ / ٧٢ - ٨٠ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، ٢ / ٦٧١ - ٧٧٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٢٨٤ - ٢٨٧ ) .
- ( ٥ ) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠ / ٥٩١ .
- (٦) البغدادى، الفرق بين الفرق، (عبد القادر بن طاهر) بيروت، دار الجيل، ودار الآفاق ١٤٠٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ص ٥٧ .
- (٧) المنقذ من الضلال، ص ٨٦ .
- (٨) مجموعة رسائل الغزالي، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٦ م، ص ٢٣٧-٢٣٨ .
- (٩) السابق نفسه، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .
- (١٠) فيصل ٢٤٢ وما بعدها، والمنحول ص ١٣ .
- (١١) رسائل الإمام الغزالي ٢٤٥-٢٤٦ ، وميزان العمل ص ١٨٢-١٨٣ .
- (١٢) المنقذ من الضلال، ط. دار المنهاج ٧٦ .
- (١٣) نفسه، ص ٢٤٦-٢٤٧ .
- (١٤) نفسه، ص ٢٤٩ والمنقذ ص ٧٤ .
- ( ١٥ ) نفسه، ص ٢٤٨ .
- (١٦) نفسه ، ص ٢٥٠ ، والمنقذ ، ص ٩٦ ، وفصائح الباطنية، ص ٩٩ . وأيضا : القاضى عبد الجبار، كتاب المغنى ، ٢٠ / ٦٤ .
- (١٧) رسائل الغزالي، ص ٢٥٠ .
- (١٨) الإمام الغزالي، ميزان العمل ، ص ٤٠٦-٤٠٩ .
- (١٩) أبو الحسين الخياط، كتاب الانتصار ص ١٢١ .
- (٢٠) متفق عليه، واللفظ لمسلم .
- (٢١) المصدر نفسه، ص ٢٤٩ .
- (٢٢) نفسه، ص ٢٥٣ .



## تحديد مفهوم الإرهاب

### الأستاذ الدكتور/ مرزوق أولاد عبد الله

أستاذ التعليم العالى الإسلامى بالجامعة الحرة بأمستردام

هولندا

تتميز المرحلة التاريخية التى نعيشها اليوم، بانقلاب فى المفاهيم، والتباس فى الأفكار، ومحاولات من هنا وهناك؛ لزرع مصطلحات ومفاهيم عند فئات من الناس تعانى مشاكل بالغة فى تمييز الحق من الباطل، ومعرفة الأصيل من الدخيل، والثابت من المتغير، مما نتج عنه عند بعضهم ضياع الهوية الإيمانية، والشخصية الإسلامية.

لذلك يمكن القول: إن أخطر ما يصيب المسلم فى حياته، هو أن تلتبس عليه الأمور، وتختلط أمامه الحقائق، وتشوه عنده المفاهيم، وتتبدل معانى المصطلحات، وتضطرب عنده الموازين، فإذا به يرى الحلال حراماً والحرام حلالاً، والحق باطلاً والباطل حقاً، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، فتختل عنده الموازين، فلا يعرف لدينه حدوداً يقف عندها، ولا أصولاً يتمسك بها، ولا مبادئ يضحى من أجلها، ويضطرب سلوكه، فتنشوه شخصيته الإسلامية أو ربما تُمحي بشكل كلي، فى حين أن الإسلام دين التوازن والاعتدال والوسطية، عقيدة وشريعة وعبادة، بمنهج فريد وخالص، نقى خالٍ من الإفراط أو التفریط، ومن كل غلو وتقصير .

إن قضية الإرهاب والإرهابيين التى تؤرق العالم والأمة الإسلامية أصبحت الشغل الشاغل بالنسبة لعدد من المؤسسات السياسية والإعلامية والأمنية، ومعهم عدد لا يحصى من الباحثين والمفكرين، كل منهم يسعى إلى رصدها ومتابعتها بالدراسة والتحقيق، للوقوف على كنه هذه الظاهرة الخطيرة، وكشف أسبابها وأهدافها وآثارها وسبل معالجتها.

وانطلاقاً من القاعدة الأصولية التي صدقتها العقول وتساوت معها النقول، والقاضية بأن: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"، كان لا بد من تحديد المصطلحات وتوضيح المفاهيم التي تتسق مع المفاهيم الاجتماعية والسياسية والفلسفية والدينية، وبخاصة تلك التي تتميز بطبيعتها الإشكالية، وتستعصى على التأطير والتحديد، بسبب تعدد وجهات النظر واختلاف طبيعة التفكير والتناول .

إن الحمى الدولية التي سرت بسبب مصطلح الإرهاب إلى مختلف الدوائر البحثية على اختلاف مستوياتها، كلها تهدف إلى وضع تعريف واضح جامع ومانع لهذا المصطلح، مع الإقرار باختلاف المحددات الفكرية والأسس المنطقية القاضية بوضع لبنات ذلك التعريف والمفهوم<sup>(١)</sup>.

فبينما نرى تعدد المرجعيات الثقافية وبروز الانتماءات الفكرية باعتبارها عاملاً مهماً في تباين الرؤى حول ذلك المصطلح، نجد أن الرؤى السياسية والأطر الاجتماعية بما تقتضيه من نسبية القيم والمفاهيم كلها تبرز باعتبارها عاملاً أساسياً يقف دون الاتفاق على وحدة التعريف، ناهيك عن المصالح الإستراتيجية والنظرة النفعية (البرجماتية) وما يشكلان من تحد كبير يقف دون تحديد معالم تلك الظاهرة وأسسها، حتى إن بعض الباحثين قد استطاع أن يتقلت من طوق الرهبة والغموض المحيطين بدراسة هذه الظاهرة فيقول: ( إن المشكلة ليست في المفهوم بقدر ما هي في انعدام الإرادة الدولية في الاحتكام إلى الحق والعدالة في العالم) وهو محق في ذلك بعض الشيء<sup>(٢)</sup>.

ويشير باحث آخر إلى أنه مع كل ما تقدم من صعوبات وإبراز مشكلات تحول دون وضع تعريف واضح المعالم قوى الأسس، يكون ناتجاً من رؤية معمقة لحقيقة تلك الظاهرة، وأبعادها، وأغراضها، والقائمين عليها، إلا أنه في الوقت نفسه يجدر بنا القول بأن العزوف أو التثني عن وضع تعريف واضح المعالم لتلك الظاهرة لا يقل خطورة عن ظاهرة أخرى تقتزن مع المفاهيم ذات الأساس الاجتماعي والثقافي والفكري، ألا وهي التعويم الدلالي لتلك المفاهيم، ومن ثم الترقى إلى الإسقاط الانتقائي لتلك المفاهيم على بعض المكونات الثقافية، أو الأنساق الاجتماعية في المسيرة البشرية، إن الإشارة إلى الإرهاب دون فهم واضح لمعنى المصطلح ونطاقه أمر مضلل<sup>(٣)</sup>.

### الإرهاب في التعريف اللغوي :

تعتبر كلمة "إرهاب" مصدرًا للفعل أرهب يرهب، وهو رباعي، بزيادة الهمزة على أصله الثلاثي الذي هو رهب يرهب رهبة، ومعناه: خاف يخاف خوفاً، فيكون معنى الرباعي: أخاف يخيف إخافة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

(الأنفال: ٦٠) أي: تخيفونه، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ١١٦). أي: حملوهم على أن يرهبوا، فهو بمعنى أرهبوهم .

قال الفيروز آبادي في (القاموس): رهب كعلم، رهبة ورهباناً — بالضم والفتح .  
ومن الكلمات الرديفة والمقاربة لمعنى الإرهاب: الترعب، والترويح، والإفزاع، وغير ذلك من الكلمات التي تدل على معنى جامع مشترك بينها، يتمثل ببث أسباب فقدان الأمن عن النفوس، والاطمئنان من القلوب، وتجلب إليها الشعور بالخوف، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴾ (النحل: ٥١) .

### الإرهاب فى الاصطلاح المعاصر:

يعرف مفهوم الإرهاب فى الغالب: بالقتل والاغتيال، والتخريب والتدمير، ونشر الشائعات والتهديد، وكل أنواع الابتزاز والاعتداء، وأى نوع يهدف إلى خدمة أغراض سياسية وإستراتيجية، أو أنشطة أخرى تهدف إلى إشاعة جو من عدم الاستقرار<sup>(٤)</sup>.

وقد أورد قرار مجلس الأمن الدولى (رقم ١٥٦٦ لسنة ٢٠٠٤ م ) أن أى أعمال تُرتكب ضد المدنيين بقصد القتل، أو إلحاق إصابات جسمانية خطيرة، أو أخذ الرهائن، بغرض إشاعة حالة من الرعب بين عامة الجمهور، أو جماعة من الأشخاص، أو أشخاص معينين، أو لتخويف جماعة من السكان، أو إرغام حكومة أو منظمة دولية على القيام بعمل ما، أو عدم القيام به؛ تعد أعمالاً إرهابية<sup>(٥)</sup>.

ويبقى أبسط تعريف للإرهاب: هو الذى حُدِّد فى "استخدام العنف والتهديد باستخدامه بقصد إثارة الفزع، ونشر الرعب، باستخدام الوسائل التى تتراوح بين الاغتيالات، وتفجير القنابل فى الأماكن العامة، والهجوم المسلح على المنشآت والأفراد والممتلكات، واختطاف الأشخاص، وأعمال القرصنة الجوية، واحتجاز الرهائن، وإشعال الحرائق، وغير ذلك من الأعمال التى تتضمن المساس بمصالح الدول الأجنبية، مما يترتب عليه إثارة المنازعات الدولية وتبرير التدخل العسكري"<sup>(٦)</sup>.

وعرف الإرهاب فى مشروع إعداد الاتفاقيات الدولية لمكافحة الجرائم ضد الإنسانية بأنه: (الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما، أو سكانها، والتى من شأنها إثارة الرعب لدى شخصيات، أو مجموعات من الأشخاص، أو لدى الجمهور؛ تهدف إلى تدمير أموال عامة، وإلحاق الضرر بها).

و عرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية " الممارسات الإرهابية" بأنها " بث الرعب الذى يثير الخوف، والفعل الذى تحاول أن تحقق من خلاله جماعة أو منظمة أو حزب أهدافها عن طريق استخدام العنف، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص، سواء كانوا أفرادًا أو ممثلين للسلطة، ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة"<sup>(٧)</sup>.

كما عرّف "بوول ويلكنسون " الإرهاب بأنه: ارتكاب العنف المتطرف، لأجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة، يضحى من أجلها بجميع المعتقدات الإنسانية والأخلاقية"<sup>(٨)</sup>.

وفى تعريف آخر عرّف الإرهاب بأنه " اعتداء على الأرواح والأموال والممتلكات العامة أو الخاصة بالمخالفة لأحكام القانون الدولى، بالمعنى الذى تحدده المادة ٣٨ من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية، ويُعد الفعل إرهابياً دولياً وبالتالي جريمة دولية، سواء قام به فرد أم جماعة أم دولة، كما يشمل كذلك أعمال التفريقة العنصرية التى تباشرها بعض الدول"<sup>(٩)</sup>.

وقد عرّفت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب هذه الظاهرة بأنها: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيًا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامى فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق العامة أو الخاصة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر"<sup>(١٠)</sup>.

كما حددتها (الموسوعة السياسية) بأنها "استخدام العنف غير القانوني، أو التهديد به؛ بغية تحقيق هدف سياسى معين"<sup>(١١)</sup>.

إن مصطلح الإرهاب فى اللغة العربية، ومرادفه فى اللغات الأخرى، هو مصطلح واسع يشمل كل تخويف ورعب بحق أو بدون حق، وبالتالي يشمل كل استعمال غير مشروع للقوة، وكل اعتداء على الأرواح والممتلكات العامة والخاصة، ولذلك اختلف فيه علماء القانون الخاص والعام.

وقد عرّف المجمع الفقهي الإسلامى الإرهاب بما يلي: "الإرهاب هو العدوان الذى تمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغية على الإنسان (دينه، دمه، وعقله، وماله، وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامى فردي أو جماعي؛ ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوف إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأماكن العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد فى الأرض التى

نهى الله سبحانه وتعالى عنها المسلمين فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٧٧) (١٢).

وقد شرع الله الجزاء الرادع للإرهاب والعدوان والفساد، واعتبره محاربة لله ورسوله فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٣)، ولا يوجد فى أى قانون بشرى عقوبة بهذه الشدة، نظراً لخطورة هذا الاعتداء الذى يعتبر فى الشريعة الإسلامية حرباً ضد حدود الله، وضد خلقه (١٣).

### معالجة الإرهاب :

تتطلب معالجة الظاهرة الإرهابية أمرين مهمين :

الأمر الأول: هو التمييز بين الإرهاب والعنف .

الأمر الثانى: تحديد العلاقة بين التطرف والإرهاب .

بخصوص الأمر الأول، من المهم التأكيد على أنه ليس كل عمل عنيف هو عمل إرهابى، ولكن كل عمل إرهابى هو - بالتأكيد - عمل عنيف.

والإرهابى غير معنى بالضحية المباشرة لجريمته، فهو لا يعرف الضحية ولا يكثرث لها، والضحية عنده مجرد صندوق بريد لإيصال رسالة ترهب طرفاً ثالثاً، من أجل ذلك فإن عقل الإرهابى يبرمج بحيث تصبح الضحية البريئة هذه مجرد أداة لتوصيل رسالة وفقاً لمعتقدده، وهذا أبشع أنواع الإرهاب والإجرام، أما العنف: فإنه يستهدف الضحية لذاتها وغالباً ما تكون الضحية معروفة لمرتكب الجريمة .

لذلك فإن جريمة العنف هى جريمة شخصية يعاقب عليها القانون، أما جريمة الإرهاب فإنها جريمة ضد الإنسانية، ليس فقط بموجب القانون، ولكن فوق ذلك، بموجب الشريعة الإسلامية، من حيث إن هذه الجريمة تستهدف إرهاب أمة كاملة وليس الاعتداء على إنسان بريء، أو على جماعة من الأبرياء فقط .

بخصوص الأمر الثانى: تحديد العلاقة بين التطرف والإرهاب، من المهم التأكيد على أن

التطرف ليس دينياً فقط، وليس إسلامياً فقط، بل هناك تطرف علمانى شيوعى، وعلمانى إحدائى.

فالإرهابى مخلوق قادم من عالم مختلف، إلا إنه فى الوقت نفسه من لحم ودم، هو فرد من أفراد عائلتنا يأكل من موائدنا، ويمشى فى أسواقنا وشوارعنا، ولكنه يرى بعينه خاطئاً ما لا نراه نحن، ويسمع بأذنيه جاهلاً ما لا نسمعه، ويسعى بقدميه ظالماً معتدياً إلى ما لا يخطر على قلب بشر<sup>(١٤)</sup>.

### السياق التاريخى للإرهاب :

لا يعد الإرهاب ظاهرة جديدة؛ فجزوره تمتد إلى أعماق التاريخ، إلا أن الإرهاب والتطرف خضعا للتطور فى اختلاف أسبابهما وتنوع أشكالهما وأساليبهما وضحاياهما، وكان الظهور الأول للفكر الإرهابى فى القاموس السياسى منذ القرن الثامن عشر الميلادى حيث نسبت الفكرة إلى الترويع والرعب الذى عرفته الثورة الفرنسية، وانتقلت تدريجياً فكرة الإرهاب من ممارسات الدولة إلى ممارسات الأفراد.

لم تعرف المجتمعات القديمة جريمة الإرهاب بمفهومها الشائع فى العصر الحديث، ورغم ذلك فإن "ظاهرة العنف كانت السمة المميزة للمجتمعات البدائية؛ مجتمعات شريعة الغاب والبقاء للأقوى"، واستمرت هذه الظاهرة وتنامت بعد ظهور المجتمع المدنى المنظم.

كما عرّف الفراعنة جريمة الإرهاب فى عام ١٩٨١ ق.م وأطلقوا عليها اسم "جريمة المرهبين"، حيث كانت هناك محاولة لاغتيال الملك رمسيس الثالث<sup>(١٥)</sup>.

إن تاريخ البشرية يزخر بالممارسات الإرهابية الناتجة عن الأفكار المتطرفة، غير أن هذا المصطلح لم يتم تناوله فى المحافل الدولية فى زمننا المعاصر إلا بعد تشكيل عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك على إثر اغتيال ملك يوغوسلافيا ألكسندر الأكبر، ففى ذلك الحين دعت عصبة الأمم إلى عقد مؤتمرها الدولى الأول سنة ١٩٣٧م لدراسة مشكلة الإرهاب<sup>(١٦)</sup>.

وعلى الرغم مما جاء فى ميثاق الأمم المتحدة، بعد سقوط ملايين الضحايا التى أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية، من تأكيد على حظر الحروب ومنع الاستعمار واغتصاب أراضي الغير بالقوة، واحترام سيادة واستقلال الدول، إلا أن كل تلك العوامل لم تساعد فى وضع معايير وضوابط صارمة للتعامل مع ظاهرة الإرهاب، بل لم تساعد فى تحديد مفهوم واضح المعالم للممارسات الإرهابية<sup>(١٧)</sup>.

يستخلص من خلال هذه اللوحة التاريخية أن التطرف والإرهاب ظاهرة ملازمة للبشرية، لكن إنتاج هذه الممارسات يرتبط بشيوع الأفكار الهدامة والفلسفات التدميرية، فهى ليست اختراعاً عربياً أو إسلامياً، ولا دين ولا وطن لها، فهناك دوافع ترتبط بما هو موضوعي كتفكك الروابط

الاجتماعية وضعف مؤسسات الرعاية الاجتماعية، مما يفرز حالات نفسية تؤدي بالأفراد إلى الارتقاء في أحضان التنظيمات المتطرفة، هذا بالإضافة إلى ما تسهم فيه التحولات الجيوسياسية في أوطاننا العربية<sup>(٨)</sup>.

### تهمة إصاق الإرهاب بالإسلام، وخطورة الربط بين الإسلام والإرهاب والتطرف :

إن محاولات إصاق البعض تهمة الإرهاب والعنف بهذا الدين، تعتبر من أشد التهم قسوة وظلماً لرسالة الإسلام ولرسول الإسلام ﷺ، وهذه التهمة المفتراة تنقضها وتنفيها نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وعمل الخلفاء الراشدين.

وتأسيساً على ذلك أكد المجمع الفقهي الإسلامي أن التطرف والعنف والإرهاب ليس من الإسلام في شيء، وأنها أعمال خطيرة لها آثار فاحشة، وفيها اعتداء على الإنسان وظلم له، ومن تأمل مصدرى الشريعة الإسلامية كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ فلن يجد فيهما شيئاً من معانى التطرف والعنف والإرهاب، الذى يعنى الاعتداء على الآخرين دون وجه حق .

### الإرهاب والدولة :

يتصف الإرهاب وممارسته بكونه ضد كل نظام سواء كان عاماً أم خاصاً، وبالتالي فهو ضد الدولة وإدارتها وبالأخص منها عمودها الفقرى الجيش والشرطة، أى أن التنظيمات جميعاً لا تقبل سوى تنظيمها أو بالأحرى تنظيماتها الخاصة والمنغلقة على نفسها، والمعادية لمن هو خارج عنها، وذلك لأنه وحسب تقدير الإرهابيين فإن كل المؤسسات المجاورة أو المنافسة هي معادية لهم حتماً، ولا يمكن الاطمئنان إليها أو مساكنتها أو التحالف معها، وإن حصل ذلك فالى حين فقط، ومن ثم فهي أبداً تبادر إلى حربها ظناً منها أنها تدافع عن نفسها؛ لأنه فى تصورهما إذا لم تفعل هي وتبادر فإنها ستكون ضحية لها، ولذلك يجب الحذر من الآخرين والشك فيهم والعمل على إقصائهم حتى يزول الخوف منهم.

**سيكولوجية الإرهابي:** تكاد تطابق نفسية الإنسان البدائي ضمن جماعته فى الغابة، فهو بين خيارين : قاتل أو مقتول، فالمحيط حوله معاد له، وتلقائياً لا سبيل لمواجهة سوى المبادرة إلى اغتياله أو تخريبه أو حرقه، وكل تهاون فى إنجاز ذلك يعنى الانتحار<sup>(٩)</sup>.

إن من أهداف الظاهرة الإرهابية أن تُعطل صيرورة الدورة الطبيعية لحياة الأفراد والجماعات والدول، وتجعلها معلقة تحت سيف التهديدات الإرهابية التى تُشهرها المخططات والبيانات وشرائط الفيديو المنبثقة من الكهوف المتوازية، وكما أنه ليس للإرهابى دين، فالإرهاب يستعمل جميع الديانات قناعاً لممارساته، فذلك هو لا سياسة له، بل إنه أصلاً ضد السياسة وضد

السلطة السياسية ضد الدولة، ودليل ذلك أنه حتى عندما يمتلكها لا يتوقف أو يستقر، بل يستمر في ممارساته الإرهابية عن طريق توسيعها إلى قواعد وقلاع إرهابية أخرى، إنه لا يستهدف نظاماً آخر بديلاً؛ بل إنه فقط ينشر الفوضى والاعتقال والتهديد، فتلك هي سوقه وذلك هو دينه، ولا يعرف أن يؤسس أو يبني أمراً أو شيئاً آخر (٢٠).

**التنظيم الإرهابي:** هو تنظيم عسكري، لا علاقة له بالسياسة أو بالعمل السياسي، وقد يُستخدم سياسياً بالطبع، ولكن تشكيله وعقيدته وهيكلته لا علاقة لها بغير قواعد وقوانين الانضباط العسكري، كلُّ قوته في انضباطه المطلق، وفي تقديس تراتبيته، ومقياس الإخلاص والانضباط هو الاستعداد للموت في كل حين وبدون تردد، فضلاً عن بقية الاستعدادات، مثل التخلي عن الممتلكات وعن الأسرة .

إن انضباطية التنظيم الإرهابي لا تخضع لقانون أو لميثاق سياسى غير مزاج المسئول المباشر في التراتبية عن الشخص الإرهابي، ولكن ضمن أفق واحد وطريق لا يحيد عنه إلى غيره، ألا وهو القتل غيلة والسرقه والنهب، فإذا أمر الأمير بغير ذلك اهتزت بوصلة الإرهابي، وارتبك سلوكه، واختل توازنه العقلي والنفسي، هو مصنوع لكي يكون إرهابياً فقط، ولا شيء غير الإرهابي، مطيع غير أنه لا يطيع إلا من يأمره بالتحريق والتقتيل والتخريب والنهب وليس أى أمر آخر (٢١).

### **بنية التنظيم الإرهابي:**

إن بنية التنظيم الإرهابى مغلقة تماماً، ولا تفتح إلا لتلحق بها ضحية جديدة، بعد اختبار وتمرين وامتحان عسير، ولا يسمح باختراق خارجي، وإذا حصل الاختراق فقد ينكشف، وذلك بفعل الدرجات العليا من الشك والتشكيك والاحتياط الذى يتوسل بالدم غالباً حتى يطمئن؛ ذلك لأن الحياة الحقة لا توجد فى الدنيا بل فى الآخرة، فإذا هم اغتالوا مشكوكاً فيه، أو غامروا به فى عملية انتحارية، فجزاؤه عند خالقه، فهو لذلك فى زعمهم الباطل لن يخسر سوى حق تافه فى حياة عابرة دنية وزائلة فى مقابل حياة أخروية، خالدة بالمتعة الجسدية (٢٢).

لذلك يصعب الاختراق الأمنى أو الثقافى للتنظيم الإرهابى، وهذا من جهته يعتبر مصدراً من أهم مصادر تماسك التنظيم الإرهابى وقوته، ومتانة العلاقة التى تربط بين أعضائه وصلابة علاقاتهم (٢٣).



### أسباب مظاهر التكفير التي تؤدي إلى الإرهاب باسم الدين:

الحقيقة التي يلمسها من عايش قادة هذا الفكر، أنهم كانوا تلاميذ لشباب متطرف يؤمن بكفر المسلمين في عصرنا، ثم خرجوا على أسانذتهم، وكونوا جماعتهم التي ستفصل مناهجها، ولكن قبل الانفصال كان يضمهم فكر واحد يقوم على الحاكمية، وهي عندهم ترجمة عملية للنطق بالشهادتين، وتعنى عندهم مقاطعة المجتمع بجميع صورته وهيئاته، والخضوع لحاكمية الله وحده؛ لأن المسلمين في زعمهم لا يدركون معاني شهادة أن لا إله إلا الله، وبالتالي لم يدخلوا بعد في الإسلام.

### مفاهيم مغلوطة يمكن أن تقود إلى العنف والإرهاب :

يمكن تصنيف هذه المفاهيم المغلوطة على سبيل المثال لا الحصر، والتي يمكن أن تؤدي إلى العنف والإرهاب، تحت أربعة عناوين عريضة:

**الأول:** ما يتعلق بالجهاد من مفاهيم غير صحيحة، أو غير منضبطة، أو مغالية، أو مشوشة.

**الثاني:** ما يتعلق بالغلو في الدين وترك الوسطية فيه والجنوح إلى تجاوز الحدود، في مقابل ما يفعله البعض من تجاوز للدين وأحكامه والتهاون بها.

**الثالث:** ما يتعلق بالعقائد التكفيرية مثل تكفير أصحاب الكبائر، أو عدم العذر بالجهل في باب العقائد، أو سحب أحكام التكفير على طوائف بأكملها بدعوى الموالاة.

**الرابع:** ما يتعلق بأهل الكتاب والتجاوز في معاملاتهم، والتهاون بأرواحهم وأموالهم، دون اعتبار لقيمة العدل باعتباره قيمة إسلامية سامية.

### تطور وسائل الاتصالات وانتشار الأيديولوجيات العابرة للقارات:

لقد أسهمت وسائل الاتصالات الحديثة والعصرية بشكل كبير ووافر في انتشار التطرف والإرهاب باسم الدين الإسلامي وباسم المسلمين، خاصة بعد ظهور القنوات الفضائية والإنترنت، والذي تزامن مع تطور أدبيات السلفية الجهادية وتقنياتها الإرهابية، وخاصة فيما يخص صنع المتفجرات، علاوة على الدروس الدينية المغلوطة والخطب الحماسية المثيرة للضغائن ضد الغرب، وضد الأنظمة والتيارات السياسية والفكرية المختلفة، حيث أصبح من المعتاد أن يجد الشباب بين أيديهم طرق كيفية صنع المتفجرات، وكذا مشاهد الأجساد المبتورة والرؤوس المقطوعة، وعمليات تنفيذ أحكام الإعدام العشوائية بالطرق البدائية والمتوحشة، وبجانب هذا تزايد عدد المواقع الإلكترونية للدعاة السلفيين والخطباء الدينيين المتشددين وأمراء الفرق المسلحة، والذين يعتمدون أساليب التحريض المكشوف، والتخويف العلني، والقذف بكل أنواعه، مما جعل العنف اللفظي أمراً متداولاً في معظم المواقع من هذا النوع. كما أصبح متاحاً الاطلاع على العديد من الوثائق

والنصوص والكتب التي كانت قبل سنوات محظورة ومحدودة التداول بسبب طابعها الإرهابي أو العنصري، والتي أصبحت في متناول مختلف الأفراد بمجرد النقر على أزرار الحاسوب<sup>(٢٤)</sup>.

كما أن غرف الدردشة على الإنترنت أسهمت في استقطاب العديد من الشباب داخل التيارات المتطرفة، حيث تحولت من النقاش الفكري والسياسي والتعارف السلمي إلى مواقع لاستدراج الشباب، وتكوينهم في مذاهب التطرف الديني، وشحنهم بمشاعر البغض والنفور من القيم الديمقراطية التي تقدم على أنها " خطر يهدد كيان الأمة بالزوال " <sup>(٢٥)</sup>.

### العلاج الإسلامي للتطرف والإرهاب والعنف:

سبق الإسلام جميع القوانين البشرية في مكافحة ومجابهة الفكر الإرهابي، وحماية المجتمعات البشرية من ويلاته وشروبه، وفي مقدمة ذلك حفظ الإنسان، وحماية حياته وعرضه وماله ودينه وعقله، وذلك من خلال حدود وعقوبات واضحة منع الإسلام من تجاوزها، واعتبر الإسلام كل من تجاوز هذه الحدود ظالماً، وهو توجيه لجميع البشر بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو الدين أو العقائد، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢٩) <sup>(٢٦)</sup>.

وشنع على الذين يؤذون الناس في أرجاء المعمورة، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ

أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (البقرة: ٢٠٦) .

وأمر الله بالابتعاد عن كل ما يثير الفتن بين الناس، وحذر من مخاطر ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٢٥) .

كما أشار القرآن إلى منع البغى من الإنسان على أخيه الإنسان في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا

حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ

يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣) .

والإسلام عندما يُحرّم قتل النفس الإنسانية البريئة، وعندما يصنف هذا القتل بأنه جريمة ضد

الإنسانية جمعاء؛ فإنه لا يحصر النفس الإنسانية بالمسلمين أو غيرهم؛ ولكنه يطلقها عامة لتشمل

الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ أُنْبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

﴿إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۗ﴾  
(الأنعام: ١٦٤) (٢٧).

والإسلام عندما يرسى قاعدة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤) فإنه يؤكد على مبدأ العدالة الذي يقوم على أساس أن كل إنسان برىء حتى تثبت إدانته، وأنه لا يجوز معاقبة إنسان بريء على جرم ارتكبه إنسان آخر، فكيف إذا كان الإنسان هدفاً لعدوان بسبب جرم لم يرتكبه هو أو أى إنسان آخر.

لقد وصف النبي ﷺ المسلم بأنه "من سلم الناس من لسانه ويده" (٢٨)، أى: من سلم كل الناس من لسانه ويده، ومن هذا التعميم هناك تخصيص لأهل الكتاب، ولا سيما المسيحيين منهم، فبموجب عهد النبي ﷺ لمسيحيي نجران، فإن النبي ﷺ لم يتعهد لهم بالحماية وباحترام شعائرهم فقط — وهو النبي وليس الخليفة، أو مدعى الخلافة — ولكنه خصهم، وفي مقدمتهم القسيسون والرهبان بالمحبة والاحترام، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بالمودة (٢٩).

تغيب عن ثقافة الإرهابين فى نظرهم للآخر المختلف دينياً، أو مذهبياً، أو عقائدياً، مبادئ أساسية وجوهرية تقوم عليها العقيدة الإسلامية، من هذه المبادئ أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦). وأنه: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩).

وعالج الإسلام نوازع الشر المؤدية إلى التخويف والإرهاب والترويع والقتل بغير حق، قال رسول الله ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً" (٣٠)، وقال عليه الصلاة والسلام: "من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه" (٣١).

كما أوجب الله تعالى العدل فى التعامل مع أهل الذمة والمستأمنين وغيرهم من غير المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ﴾ (المائدة: ٨).

هذا وقد أولى الإسلام اهتماماً كبيراً لمسألة الرفق، وهو التلطف فى الأمور والبعد عن العنف والشدة والغلظة، وقد كان النبي ﷺ أرفق الناس بالناس وهو القائل: "ما كان الرفق فى شىء إلا زانه، وما انتزع من شىء إلا شانه" (٣٢). والقائل: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؛ تحرم على كل قريب هين لئين سهل" وهو القائل: "إن الله يحب الرفق، وإن الله يعطى على الرفق

### ما لا يعطى على العنف" (٣٣).

إن الدراسة الصحيحة والسليمة للإسلام ولسيرته النبوي ﷺ، قادرة على أن تعلمنا الكثير والكثير، وأن نوقفنا على مشاهد متنوعة في غاية النفع ومنتهى الفائدة بخصوص قيم الوسطية والتعايش السلمى بين الأفراد والأمم والشعوب والدول، بصرف النظر عن الانتماءات الدينية والفكرية والسياسية، ونبذ العنف والتطرف والتزمت والإرهاب .

المطلوب إذاً هو: الاقتداء به ﷺ واتباع سيرته ومنهجه في حياته الفردية والاجتماعية، وفي علاقاته الخاصة والعامة؛ لضبط إيقاع الحياة على هدى من الله ونور مبين وسراج وهاج، من اتبعه سلم، ومن حاد عنه ضل، علاوة على قيام المؤسسات الدينية فى العالم الإسلامى بدورها فى تنفيذ مزاعم الإرهابيين وأطروحاتهم الأيديولوجية الفكرية، ومزاحمتهم فى المجتمعات الإسلامية والدول الغربية أيضاً، والتي تحولت إلى محاضن للفكر التطرفى والإرهابي، وتفكيكها شرعياً وعلمياً وعملياً، ومجابهتها بكل السبل والطرق.

وختاماً يمكن القول بأن التطرف والإرهاب ظاهرة ملازمة للبشرية، لكن إنتاج هذه الممارسات الإرهابية يرتبط بشيوع الأفكار الضالة والمضلة والهدامة، والفلسفات التدميرية، فهي ليست اختراعاً أو إنتاجاً عربياً أو إسلامياً، وكذلك لا دين ولا وطن لها، كما أن هناك دوافع ترتبط بما هو موضوعي مرتبط بتفكك الروابط الاجتماعية، وضعف مؤسسات الرعاية الاجتماعية، وتخلي أهل العلم عن دورهم فى مقاومة هذه الأفكار الشاذة، والحالات النفسية التي من شأنها أن تقود بعض ضعاف النفوس إلى الارتقاء فى أحضان التنظيمات الإرهابية والمتطرفة؛ مما قد يؤدي إلى القيام بأعمال إرهابية.

## الهوامش:

- (١) الإرهاب، إضاءات بحثية ومناورات علمية، د. أحمد محمد هليل، قاضى القضاة الأردنى السابق ، رابطة العالم الإسلامى، المؤتمر الإسلامى العالمى لمكافحة الإرهاب، مكة المكرمة، ٢٠١٥م، ص ٤ .
- (٢) د.أحمد محمد هليل، الإرهاب، المرجع السابق، ص ٦ .
- (٣) د . أحمد محمد هليل ، مرجع سابق، ص ٥ .
- (٤) إبراهيم الصافى، الذكاء الجهادي، وتفكيك آليات هندسة الإرهاب، دار النشر المغربية، ٢٠١٦م، ص ١٧ .
- (٥) د . أحمد محمد هليل، مرجع سابق، ص ٢٠ .
- (٦) إبراهيم الصافى، مرجع سابق، ص ١٧، على فايز الجحني، رؤية للأمن الفكرى وسبل مواجهة الفكر المنحرف، اللجنة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الجزء ١٤، العدد ٢٧، ص ٢٧٥ .
- (٧) إبراهيم الصافى، مرجع سابق ، ص ١٧ .
- (٨) ويلكنسون، الإرهاب الدولي، ط لندن، ١٩٧٣م، ص ٢٩٢ .
- (٩) المادة ٣٨ من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية .
- (١٠) عبد الرحمن هوارى رشدي، التعريف بالإرهاب وأشكاله، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، العدد ٢٩، الرياض، سنة ٢٠٠٢م، ص ١٢ .
- (١١) موقع ستار تيمز، شئون قانونية .
- (١٢) موقف رابطة العالم الإسلامى من الإرهاب، رابطة العالم الإسلامى، ص ٨ .
- (١٣) المرجع السابق، ص ٨ .
- (١٤) الأزهر فى مواجهة الفكر الإرهابي، من أعمال مؤتمر الأزهر العالمى لمواجهة التطرف والإرهاب، القاهرة، دار القدس العربي، ٢٠١٤م ص ١٣٩-١٤٠ .
- (١٥) إبراهيم الصافى، ص ٢٣ .
- (١٦) إبراهيم الصافى ، مرجع سابق .
- (١٧) انظر: المرجع السابق .
- (١٨) انظر: المرجع السابق .
- (١٩) برنارد لويس، الحشاشون أصول الإرهاب المتأسلم، ترجمة محمد العرب موسى، تعقيب، عبد الصمد بلقيب، ٢٠١٤م، ص ١٢٧ .
- (٢٠) المرجع السابق، ص ١٢٧ .
- (٢١) برنارد لويس، مرجع سابق، ص ١٣٠ .
- (٢٢) برنارد لويس، مرجع سابق، ص ١٣٠ .
- (٢٣) برنارد لويس، المرجع سابق، ص ١٣٠ .
- (٢٤) الإسلام والتطرف، مجلة نوافذ، مجلة ثقافية، العدد ٤٧ — ٤٨، ٢٠١٢م، ص ٧٠-٧١ .
- (٢٥) انظر: المرجع السابق .

- (٢٦) بيان مكة المكرمة الصادر عن المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته السادسة عشرة التي عقدت في الفترة ١٠-١-٢٠٠٢ م .
- (٢٧) الأزهر في مواجهة الفكر الإرهابي، مرجع سابق، ص ١٤٣-١٤٤ .
- (٢٨) أخرجه البخارى في صحيحه (١٠) من حديث عبد الله بن عمر، ومسلم في صحيحه (٤١) من حديث جابر رضي الله عنه .
- (٢٩) الأزهر في مواجهة الفكر الإرهابي، ١٤٤ .
- (٣٠) رواه أحمد والنسائي .
- (٣١) رواه أبو داود .
- (٣٢) أحمد في مسنده ١٣٢٧١، والبخارى في الأدب المفرد، ص ٤٦٢ .
- (٣٣) عروض الملتقى الأول حول السيرة النبوية، ٤، ٣، نوفمبر ٢٠١٢م المنظم تحت شعار: اليسر والاعتدال في السيرة النبوية، المملكة المغربية، المجلس العلمي الأعلى، منشورات المجلس العلمي الأعلى، الدار البيضاء، ٢٠١٢م، ص ٧٢ .

## حتمية التكاتف الدولي فى مواجهة الإرهاب

**الأستاذ الدكتور/ مصطفى محمد عرجاوى**

أستاذ القانون وعميد كلية الشريعة والقانون الأسبق

جامعة الأزهر بدمهور والمحامى بالنقض

مصر

الحمد لله القائل فى محكم كتابه: ﴿ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩) والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل: " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فإنهم خير أجناد الأرض؛ لأنهم وأهلهم فى رباط إلى يوم القيامة" (١) .. وبعد؛ فقد كان لوزارة الأوقاف المصرية قصب السبق دائماً فى تخيرها لمؤتمراتها السنوية من المواضيع ما يسعى إليه الناس ويهتمون به؛ لأنه يتعلق بالواقع وسبل المعالجة الموضوعية، للتوصل إلى أفضل وأيسر سبل العلاج أو التصحيح للفكر بصورة يدركها العامى والمتعلم، بلا تطويل ممل أو اختصار مخل.

لذا فقد شرفت بالكتابة فى أحد محاور موضوع المؤتمر، وذلك تحت عنوان: "حتمية التكاتف الدولي فى مواجهة الإرهاب"، والله تعالى من وراء القصد .

## أولاً: صناعة الإرهاب الدولي وتداعياته

لا شك أن الإرهاب صناعة إجرامية، تمولّ بوسائل غير مشروعة دولياً ومحلياً؛ لأنه لا شيء يأتي من لا شيء، فلا بد من جهات توجه أو تقدم للإرهاب الأسود المغزيات، وتعمل على صناعته لمحاربة الأمم المناهضة لها فكرياً، أو اجتماعياً، أو سياسياً، أو عسكرياً، فليس الإرهاب لمجرد الإرهاب، وإنما لتحقيق غاية سوداوية حاقدة على المجتمع داخلياً أو خارجياً.

### ١- المفهوم الدولي للإرهاب وضوابطه

إذا كان الحكم على الشيء فرعاً عن تصوره، فلا بد من الوقوف على مفهوم الإرهاب في اللغة وفي الاصطلاح.

**الإرهاب لغة:** جاءت كلمة الإرهاب من رهب رهباً ورهبة<sup>(٢)</sup>، والإرهابي وصف يطلق على الذى يسلك سبل العنف لتحقيق أهدافه؛ فالإرهاب كلمة تعنى استخدام العنف، والتخويف، والإفزاز، وكل ما من شأنه إثارة الرعب والذعر بين الناس، بغية حملهم على الطاعة والخضوع<sup>(٣)</sup>.

**الإرهاب اصطلاحاً:** هو الأفعال الإجرامية الموجهة ضد الدولة أو الأفراد بهدف إشاعة الرعب فى المجتمع، وتفترن دائماً بالعنف وبوسائله غير المشروعة.

وتعد ظاهرة الإرهاب من أسوأ مظاهر العنف البغيض الذى تقشى فى بعض المجتمعات الدولية منذ سبعينيات القرن المنصرم، لذلك أصبح مصطلح الإرهاب من أكثر المصطلحات شيوعاً فى العالم بأسره، فى وقت تزداد فيه نسبة الجريمة ارتفاعاً وتتعدد أشكالها؛ لأن الواقع المتعلق بهذه الجريمة النكراء يؤكد أهمية محاربتها ومجابهتها بكافة السبل والوسائل .

### التعريف الدولي لمصطلح الإرهاب:

تتعدد التعريفات لمصطلح الإرهاب دولياً ومحلياً، ومن أهم تعريفات الإرهاب الذى أخذت به لجنة الخبراء الإقليميين بالأمم المتحدة<sup>(٤)</sup> تعريف الإرهاب الدولى بأنه: إستراتيجية عنف محرم دولياً، تحفزها بواعث عقائدية، وتتوخى إحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين، بهدف الوصول إلى السلطة، أو بحجة وقوع مظلمة، بصرف النظر عما إذا كان مقترفو العنف يعملون من أجل أنفسهم أو نيابة عن دولة من الدول<sup>(٥)</sup>.

### ضوابط المفهوم الدولي للإرهاب: (٦)

اختلف الفقه القانونى العربى والأجنبى وتضاربت آراؤه حول الضوابط المحددة لمفهوم الإرهاب الدولى، وذلك باختلاف المعايير التى يعتمدها أصحابها لتحديد مفهوم العمل الإرهابى، وهو ما يمكننا أن نرجعه إلى كون كل باحث يحمل أولويات معينة وأفكاراً سابقة فى تحديد مفهوم



الإرهاب، فى ظل سيطرة هذه الأفكار عليه؛ ولذلك تعددت الاتجاهات فى تحديد المعايير المطلوبة لتحديد مدلول العمل الإرهابى.

ويمكن استخلاص أهم ضابط للعمل الإرهابى الدولى؛ بأنه كل عمل عنيف ذى جسامة غير اعتيادية، يتضمن سلوكاً معدداً ومخصصاً لإحداث الفرع وإثارة الرعب الجماعى فى الدولة، أو فى جزء معين يستهدف طائفة اجتماعية معينة<sup>(٧)</sup>.

## ٢. وسائل صناعة الإرهاب الدولى

يتفق خبراء متخصصون فى شئون العمليات الإرهابية الدولية على أن صناعة الإرهاب الدولى قد بدأت من فكر متطرف يسعى للتوسع والانتشار، ومن ثم تنتعش معه صناعة السلاح لإمداد المتطرفين به بصورة غير مشروعة، وتقديمه للدول بحجة تدعيمها فى مواجهة الإرهاب بأسلحة بملايين الدولارات، فتروج لدى الدول المصنعة للسلاح هذه التجارة السوداء، والمحركة من خلال إثارة النعرات والقلاقل؛ لترويج الأسلحة مرة للمتطرفين والمنحرفين، وأخرى للدول المكلومة بالإرهاب، وأيدى المخربين وأصحاب المصالح المشبوهة تعبت وتلعب فى هذا المضمار كثيراً بهدف ترويج هذه التجارة بصورة مشبوهة<sup>(٨)</sup>.

### أثر غياب الوعى وتفكك الدول فى صناعة الإرهاب:

إن الإرهاب لا وطن له ولا دين، وإنما تتجح التنظيمات الإرهابية فى المناطق التى تسيطر عليها الفوضى، وفى البيئات الفاشلة، ويقوم الطابور الخامس بإثارة النعرات والتطرف الدينى أو الطائفى بين فئات الشعب أو الدول، بهدف تحريك التنظيمات المتطرفة وتشجيعها للقيام بعمليات إجرامية تستهدف الأقليات، سواء بالقتل أم بالتهجير؛ لإغراء قوى البغى والعدوان بالتدخل لحماية الأقليات، وهدفها الحقيقى هو اندلاع حروب أهلية فى داخل الدولة، أو بينها وبين جيرانها؛ لأن الهدف هو إحداث أكبر قدر من التفكك والصراع بين أفراد المجتمع بأى صورة كانت، وبأى أسلوب كان، فالغاية عند هؤلاء الجواسيس هو الإفساد والتدمير والتفكيك للمجتمعات بأى وسيلة كانت<sup>(٩)</sup>.

إن صناعة الجماعات المتطرفة تتم - غالباً - فى غيبة الدولة، لذلك لا مفر من قيام الدول بأدوارها لتتعاون فى سبيل محاربة مظاهر التطرف بكل صورته قبل استفحاله؛ لأن وسائل صناعة الإرهاب متعددة ولا تتجح إلا فى غياب الوعى العام وتفكك الدول.

### ٣. التداعيات المترتبة على الإرهاب الدولي

إن من أخطر وأبشع وأفظع الجرائم التي انتشرت في عالمنا المعاصر جريمة الإرهاب الدولي التي أصبحت عالمية الطابع، وتعانى من ويلاتها شعوب العالم برمتها، ولكن بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة، وخاصة في عصر العولمة، وتحول العالم بأسره إلى قرية صغيرة بفعل وسائل الاتصال الحديثة؛ حيث ساعد ذلك على معرفة الشعوب بما يتم في العالم في الوقت نفسه .

#### أهم التداعيات ومبرراتها :

- ١- عدم التعاون في تقديم المعلومات عن الجماعات الإرهابية.
  - ٢- الضعف الدولي في الرد على المخالفات والانتهاكات في حق بعض الشعوب.
  - ٣- عدم سرعة التعامل والتدخل في القضايا العالمية الساخنة بهدف الحد من غلواتها، وعدم تفجر السخط وتمثله في أعمال إجرامية.
  - ٤- التصور الخاطئ لدى بعض الدول الكبرى بأنها في مأمن من الإرهاب، أو يمكنها السيطرة عليه.
  - ٥- تجاهل العوامل المؤدية إلى الإرهاب العالمي، سواء أكانت عوامل دينية، أم طائفية، أم سياسية، أم اقتصادية، أم فكرية متطرفة؛ حتى يستفعل الأمر ويخرج عن السياق<sup>(١٠)</sup>.
- تلزم أهم التداعيات والمبررات الداعية إلى ضرورة المحاصرة والبتير للإرهاب داخلياً وخارجياً، فأمنا القومي خط أحمر، لا يمكن على الإطلاق السماح بالمساس به، تحت أى مبرر محلي أو أجنبي، إذ ينبغي محاربة كل من يحاول المساس بوحدتنا واستقرارنا أيّاً ما كان.

## ثانياً: حتمية المواجهة للإرهاب الدولي

إن الإرهاب بجميع صورته وأشكاله، يستلزم ضرورة مواجهته بكل قوة وحسم وبلا أدنى تردد؛ لأن حياة الأوطان هي الأبقى، بل هي الأولى بالرعاية والحماية لإسعاد المواطنين وتحقيق الاستقرار لهم، والازدهار والتقدم لأوطانهم.

ولن يتحقق الاستقرار داخلياً إلا إذا تم قطع أذرع الإرهاب الممدودة بالشر خارجياً، ولن يتحقق ذلك دون الإصرار الدولي على مواجهة الإرهاب في مهده، والقضاء على أسبابه، وتطهير المجتمع منه داخلياً وخارجياً، وبصورة حاسمة.

إن الإرهاب لا ينزل علينا من السماء، ولا يخرج لنا من باطن الأرض، ولا يتسلل إلى ديارنا فجأة؛ لأن السماء لا تمطر إرهاباً، والأرض لا تثبت خراباً، كما أن المجتمعات لا تقبل العنف ولا ترتضيه سبيلاً للحياة؛ لأنه يتنافى مع أبسط حقوق الإنسان في الأمن والأمان والاستقرار؛ ليتمكن من أداء رسالة استخلافه في الأرض، من نشر للعمارة، والزراعة، والصناعة، والتجارة، وكل ما يحقق الخير للمجتمع.

### – الدواعي المباشرة لمواجهة الإرهاب<sup>(١١)</sup>:

يدعى من يمارسون الإرهاب أنهم دُفعوا إليه بمبررات مزعومة؛ منها: الشعور بالغبن والظلم، والبحث عن استرجاع الحقوق بالقوة المفرطة، والانقياد والتأثر ببعض التفسيرات المتشددة أو المغلوطة لبعض النصوص الدينية دون فهم أو مراجعة.

هذه الادعاءات وغيرها هي مبررات لسفك الدماء، ويتناسى من يباشرون النشاط الإرهابي قول الله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أُورِثَ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ ۗ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦٨ – ٧٠).

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: " لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا"<sup>(١٢)</sup>، وعنه أيضاً: " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق"<sup>(١٣)</sup>، وجاء في قوله

صلوات الله وسلامه عليه: " اجتنبوا السبع الموبقات" ذكر منها: " قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق" <sup>(١٤)</sup>، ويقول الرسول ﷺ: " من حمل علينا السلاح فليس منا" <sup>(١٥)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج منها لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله" <sup>(١٦)</sup>.

إن الشريعة قد حسمت أمر القاتل المتعمد الإفساد في الأرض فيما سبق من آيات وأحاديث، فضلاً عن العقوبات التفصيلية الواردة في حد الحرابة <sup>(١٧)</sup>، ولا يختلف القانون في هذا الشأن العظيم، بل يقرر حق الدفاع الشرعي، ولا يسمح بالتراخي في مواجهة العدوان السافر بالرد الرادع بالوسيلة نفسها، ومن يتم القبض عليه من هؤلاء المعتدين على الأرواح والأموال، توقع عليهم العقوبات المتناسبة مع أفعالهم، فلا مجال على الإطلاق للتسامح مع من يسفكون الدماء، بل يجب التعامل معهم مباشرة بقوة وحسم؛ للتخلص من شرورهم قبل استفحال خطرهم وامتداده إلى خارج البلاد، فضلاً عن ضرورة محاربة الإرهاب الخارجي بالتعاون الوطيد مع الدول الأخرى، للتعجيل بالقضاء على الإرهابيين ومواجهتهم حفاظاً على الأمن والاستقرار للوطن والمواطن، وهي مهمة لا يمكن التغاضي عن القيام بها من الجميع <sup>(١٨)</sup>.

#### – الدواعي غير المباشرة لمواجهة الإرهاب :

قد لا يظهر الإرهاب بصورة مباشرة، وإنما يسعى بوسائل خفية للنيل من الدول، من خلال محاربتها فكرياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، أو من خلال نشر الشائعات أو الفكر المنحرف، أو العنصرية، أو الطائفية، أو البرامج البعيدة عن قيم ومبادئ المجتمع؛ لإحداث الفتن بين أبناء الوطن الواحد، بأساليب خبيثة ظاهرها الحق وباطنها الباطل، ولا يتحرك الشر في مجتمع إلا إذا تم التغاضي عن مظاهره السرطانية الخبيثة، لذلك لا مفر من مواجهة أهل الشر وإن كانت تحركاتهم تتخفى أو تتستر خلف منظمات ما يسمى بالمجتمع المدني، أو ما يدعى أنه لحماية حقوق الإنسان <sup>(١٩)</sup>.

فينبغي على الدول المسارعة إلى مواجهة هذا النوع من الإرهاب الخفي أو غير المباشر، ولا مفر من كشفه قبل امتداد خطره وإن ترتب على ذلك كشف الدول التي ترعاه لترتدع وتتوقف عن مكائدها، مهما كانت التبعات، فلا مجال إطلاقاً للتسامح مع أى توجه يفت في عضد المجتمع، سواء أكان بتمويل خارجي أم داخلي، فليس لها سوى المواجهة بكشفه وتكريته والقضاء عليه، بلا تسويق أو إرجاء، لأن الحق أحق أن يتبع.

إن هذه هي الطريقة المثلى فى التعامل مع الإرهاب باعتباره فكراً ومنهجاً وسلوكاً وواقعاً مفروضاً، وليست حالة وقتية أو فردية طارئة، وعلى الرغم من تنبيه جمهورية مصر العربية قادة دول العالم وشعوبه لخطورته منذ سنوات فإنهم لم يتحركوا إلا بعد أن شعروا بلهيب ناره وشروره يمتد إليهم، ويقتحم ديارهم؛ لذا لا مناص من المواجهة المباشرة من الجميع لكافة المظاهر والأسباب والدواعى لظهوره، فى أى بقعة من العالم على الكرة الأرضية، حتى نتخلص من شروره وإلى غير رجعة.

## ١. حتمية مواجهة الإرهاب الدولى خارجياً

يمكن تقسيم الإرهاب إلى أنواع عديدة، منها:

- ١- الجريمة المنظمة العابرة للحدود.
- ٢- الإرهاب الذى يتم برعاية بعض الدول.
- ٣- الإرهاب القائم على ميول قومية.
- ٤- الإرهاب الدينى الذى يقصى المنافسين له بمنطق القوة المقدسة.
- ٥- الإرهاب السياسى للاستتار بالسلطة.
- ٦- الإرهاب الإعلامى الذى يدعو إلى ثقافة العنف وتكفير الآخر.
- ٧- الإرهاب الأيديولوجى<sup>(٢٠)</sup>.

وهذه الصور<sup>(٢١)</sup> ينبغى مواجهتها خارجياً قبل أن يمتد سعيها ولهيبها إلى أرضنا، وينال من تماسكنا وترابطنا واجتماعنا على قلب رجل واحد فى خندق واحد، لدفع ومنع وحجب كل المواقع المؤدية إلى إفساد مجتمعنا أو التأثير على أفكاره أو النيل من سماحته وتسامحه، بأى صورة من الصور، فضلاً عن مواجهة التمويل الأجنبى بالمراقبة والمتابعة، وعدم السماح بالتصرف فى هذه الأموال إلا وفق الضوابط المحققة للشفافية التامة، وعلى أن يتم إنفاقها فيما يحقق المصلحة العامة، أو مصادرتها وحظرها مستقبلياً إذا ترتب عليها أى مضار بالمجتمع.

## ٢. حتمية مواجهة الإرهاب الدولى داخلياً

إن النصر على الإرهاب والتمكين للحق فى الأمن والأمان، مشروط بالإيمان بالحق، وأن الله تعالى لن يحقق النصر إلا لمن ينصره حقاً وصدقاً ويقيناً، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا

﴿ غَالِبَ لَكُمْ ﴾ (آل عمران: ١٦٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾  
(آل عمران: ١٢٦)، وقال جل جلاله: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ  
أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧).

ولا مفر من التأكيد على أن النصر لا يكون بقوة السلاح فقط، وإنما يكون بقوة الإيمان، وبالصدق مع الله تعالى، وبوضوح الهدف الذى يقاتل من أجله الجندى أعداء الحق من الإرهابيين، حتى وإن كانوا يستمدون قوتهم الباغية من الشرق أو الغرب، فإن النصر حليف من يضحى من أجل أمن وأمان وطنه ووحدة وسلامة أراضيه، بلا أدنى تردد، ولا حل سوى المواجهة بمنتهى القوة والصرامة والحزم لكل إرهابى يعتدى على أمن الوطن أو المواطن، سواء أكان من خونة أهله وبلده أم كان من الأجانب المأجورين أو العملاء المجرمين، لأن فاقداً للانتماء والولاء للوطن هو أكثر خطورة من المرتزقة الأجانب، لذلك ينبغى على كل مواطن أن يتحول إلى حارس أمين يؤازر جند وطنه، ويساند شرطتها، ويعمل على كل ما يحقق الأمن والاستقرار والنجاح فى مواجهة أعداء الحياة من الإرهابيين، وأهل الشر من المتربصين والحاقدين<sup>(٢٢)</sup>.

ويمكن حصر دواعى المواجهة الفورية للإرهاب الدولى داخلياً فيما يلى:

- ١- الاستغلال الإجرامى للتغرات ومحاولة التسلل منها.
- ٢- غياب الوعى عند بعض المواطنين بخطورة الإرهاب؛ مما يستلزم ضرورة التوعية بمساوئه ومخاطره الظاهرة والباطنة.
- ٣- التمويل المشبوه من الجهات الخارجية أو من غسيل الأموال داخلياً للإنفاق على العملاء.
- ٤- عشوائية المخربين فى استهدافهم ونشاطهم الإجرامى؛ لأن هدفهم التخريب والقتل بأى وسيلة.
- ٥- سرعة تحقيق الاستقرار التام فى ربوع الوطن، حماية للمواطنين والمقيمين والزائرين للمعالم السياحية من شرور أهل الشر، لتبقى أرض الكنانة آمنة دائماً كما أرادها الله تعالى فى قوله: ﴿... أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩).

٦- التضخيم الإعلامى الأجنبى لأى حادثة، حتى وإن تم القضاء على مرتكبيها، بهدف التشهير ونشر وقائعها التافهة على أوسع نطاق بهدف ترهيب من يرغبون فى القدوم إلى أرض الفيروز، وزيارة البقعة المطهرة فى طور سنين.

٧- استغلال حاجة بعض المواطنين والسعى لتجنيدهم في أعمال خسيصة، سواء بالاتفاق أو بالتحايل، بهدف قلب الحقائق، ونشر التقارير المكذوبة والوقائع المختلقة، والإرهاب الأسود. فهذه الأمور الفجة تستلزم ضرورة التدخل والمواجهة، لاستنقاذ المجتمع من آفة الإرهاب ومخاطره على أمن الوطن والمواطنين.

وليكن قدوتنا في الجهاد دفاعاً عن أوطاننا من الإرهابيين خير خلق الله تعالى وخاتم رسله الكرام سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). وكذلك أصحابه الكرام رضى الله عنهم، فقد كانوا يحرصون على الموت حرص أعدائهم على الحياة، ويفرحون بالشهادة، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم<sup>(٢٣)</sup>.

### ثالثاً: أهمية التكاتف الدولي لمواجهة الإرهاب وآثاره

لقد انتشر الإرهاب في شتى بقاع الأرض كالنار في الهشيم، بدرجات متفاوتة، فمعظم دول العالم تعاني من آثاره وتداعياته التدميرية على الأسر والمجتمعات، فضلاً عن نشر الخراب والكراهية والتدمير لل عمران في أرجاء الأرض، هذا الوباء تستلزم مواجهته ضرورة تكاتف الدول وتعاونها في محاربتة دون هوادة، باعتباره العدو الأول للإنسانية جمعاء.

إن محاربة التطرف والغلو والعنف المؤدى للجرائم الإرهابية لا يمكن أن تتم بالجهود الفردية لكل دولة على حدة؛ لأن وسائل الاتصالات والتواصل جعلت من العالم قرية واحدة، وأصحاب الفكر المنحرف لا يعدمون من يمد لهم يد العون خارجياً وداخلياً بالأفراد أو بالمال أو بالسلاح، من المختلين عقلياً من أمثالهم، بحجة فرض رأى معين أو توجه خاص، أو نصره طائفة أو مذهب أو اتجاه سياسى على آخر بالإكراه المادى، بل هناك من المتطرفين من يرى أن الحق مع حزبه أو فريقه، مهما كانت ضالته العددية أو ضحالته الفكرية؛ لظنه بجهالة وغباء مستحکم أنه وحزبه من حماة الحق، مع أنهم ليسوا سوى شرذمة ضالة ومضلة ومضللة الفهم والفكر، تسير خلف كل ناعق أو ناهق أو نابح، بلا وعى أو مبالاة، فلا مناص من التكاتف والتعاون الدولي للتخلص من شرورهم، والعمل على تجفيف منابعهم، مع السعى الحثيث لتدارك واسترداد من خدعوا منهم أو كادوا بشرط عدم تورطهم فى أى أعمال عنف أو إفساد؛ ليعودوا إلى سبيل الرشاد.

#### ١- كيفية ووسائل تحقيق التكاتف والتعاون دولياً لمواجهة الإرهاب

إن اليد الواحدة لا تصفق، وقد علمنا ديننا الإسلامى الحنيف أن يد الله تعالى مع الجماعة، مصداقاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "يد الله مع الجماعة"<sup>(٢٤)</sup>، ومن المعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكن أن تتعاون دولة مع أخرى إذا كانت الدول تفتقر إلى التعاون بين أبناء جلدتها، فتعاون المواطنين ووقوفهم خلف قياداتهم كالبنين المرصوص هو الحل الأمثل لمواجهة كافة العقبات، ومحاربة كل المنحرفين عن جادة الصواب، بصرف النظر عن هويتهم أو أوضاعهم الاجتماعية، فليس الفقر من مبررات السرقة، وليس الجهل من مبررات الخطأ، وقلة العدد والعتاد ليست من مبررات الهزيمة، لذلك ينبغى عدم البحث عن مبررات نلقى عليها خطايانا أو تقصيرنا مهما كانت درجته، بل ينبغى علينا أن نتحد؛ لأن فى الاتحاد قوة وفى التفرق ضعف، فلا مناص من توحيد رأينا ضد الإرهاب<sup>(٢٥)</sup>، وتوجيه كامل قوتنا المادية والمعنوية والفكرية لمحاربتة وردعه، مهما كانت مبرراته، ثم نتجه بعد ذلك إلى الدول المجاورة للتعاون والتكاتف معها لمواجهة المخاطر الإرهابية، ومن المهم تبادل المعلومات الأمنية فى هذا الشأن، فضلاً عن التسليح بالأدوات المناسبة للمواجهة بكل قوة عند الاقتضاء.



ولكى يتحقق التعاون والتكاتف الذى قد يصل إلى درجة التحالف لمواجهة الإرهاب الأسود ينبغي توافر بعض الشروط لتحقيق الفاعلية لهذا التحالف، من أهمها ما يلى:

١- أن لا تكون الحرب على الإرهاب انتقائية، بمعنى أن كل الجماعات الإرهابية يجب أن تكون مقصودة بالمواجهة، فلا تستثنى أى جماعات منحرفة أو محاربة للدولة.

٢- عدم إدخال المذهبية عند التضامن فى مواجهة الإرهاب، فكل إرهاب لا بد من مواجهته من جميع الدول للقضاء عليه فى مهده.

٣- أن تتعاون جميع الدول فى دعم قوى الاعتدال لمساندتها فى مواجهة الفئات المتطرفة بكل قوة وحسم.

٤- التعرف على منبع الداء للإرهاب فيتم اجتثاثه، ثم تقوم كل دولة بإعادة تأهيل من تم تضليلهم فكرياً أو كاد بهدف إعادتهم إلى الحالة السوية بوصفهم مواطنين فى أوطانهم.

٥- توسيع المشاركة المجتمعية، وذلك بإتاحة الفرص للجميع للمشاركة فى بناء الوطن؛ لأن المشغول لا يشغل؛ فكلما أتيحت الفرص للعمل البناء لكافة المواطنين بصورة متساوية لا يتم التمايز فيها إلا بالكفاءة والخبرة، فإن الأوضاع ستستقر، والمجتمع سينفى خبثه .

٦- أن تؤمن الدول بأن لكل دولة طبيعتها الخاصة، ولها قيمها ومبادئها، وعاداتها وتقاليدها، فلا تتدخل دولة فى شئون دولة أخرى بأى حجة، وإنما تمد يد العون عند الطلب.

ومن الجدير بالذكر أن معظم التنظيمات الإرهابية فى بلادنا العربية والإسلامية، صنيعه من صنائع الدول الاستعمارية، وهى تتصور أن شرور هذه التنظيمات لن تصل إليها بعد أن تندحر فى ديارنا، وديار العالم العربى والإسلامى، ولكن على الجميع إدراك أن العالم أصبح بمثابة دار واحدة، بمعنى أنه لا يمكن أن تشتعل حرب فى مكان منه، وتظل باقى الدول بمنأى عنها<sup>(٢٦)</sup>.

## ٢. الآثار المترتبة على التكاتف الدولى لمحاربة الإرهاب

لا ريب فى أن ثمرة التعاون الأمنى والتكاتف الدولى لمحاربة الإرهاب قد بدأت تؤتى أكلها؛ حيث سقطت أفنعة معظم التنظيمات الإرهابية، وظهرت بوجهها القبيح، وعدوانيتها الهوجاء التى تسعى للقضاء على الأخضر واليابس فى أى مكان حلت فيه بشورها، ويمكن حصر أهم نتائج وثمار التكاتف الدولى لمحاربة الإرهاب ومواجهته بكافة صورته الظاهرة والباطنة، فيما يلى:

١- القضاء على شوكة بعض التنظيمات الإرهابية، وإنهائها .

٢- تجفيف منابع التمويل الداخلى والخارجى للإرهابيين فى ظل تعاون دولى صارم ضد الفئات الباغية، وبصورة واقعية ولمموسة.

٣- تكليف كتائب من الدعوة والإعلام في الدول المتعاونة على اجتثاث الإرهاب لبيان مثالبه، والرد على دعاويه الباطلة، ودحض وواد أفكاره المغلوطة.

٤- نشر الوعي الصحيح بين أفراد الوطن والمواطنين في كافة الدول لمواجهة الفكر المتطرف بكل السبل .

٥- قصر الدعوة على المتخصصين، وتوجيه الدول المتعاونة في مواجهة الإرهاب للاستفادة من التجربة الرائدة في مصر من تصحيح وتوجيه وإصلاح للخطاب الديني، والمقررات التعليمية، وبالقدر الذي لا يخل برسالة العلم الشريف في كافة الجامعات والمعاهد الإسلامية في الداخل والخارج.

٦- حظر صعود المنابر على الفئات المتطرفة فكرياً، والداعية إلى الغلو والتطرف، واستبدالهم بكفاءات متميزة لنشر الدعوة داخل الكنانة وخارجها، من خلال التعاون مع الدول والمراكز الإسلامية في العالم أجمع.

لذلك انحصرت الموجة الإرهابية الهوجاء بعد مواجهتها بالقوة الحاسمة، وبالفكر المستنير، وتوحدت كلمة الجميع على الرسالة المصرية الصادقة والمبثوثة منذ سنوات بأن الإرهاب سيطول الجميع، وأنه بلا دين، ولا هوية، ولا وطن، ولا إنسانية، وأنه يستهدف الجميع بحقه الأسود وعملياته التخريبية المحرمة دولياً، ولما وقعت الواقعة واكتوى الجميع بنيران الإرهاب، علموا بأن أرض الكنانة هي حاملة لواء الأمن والأمان للعالم أجمع، وأن ما دعت إليه لم يكن سوى لتحقيق الأمن للجميع.

### ٣. أهمية استمرار التعاون والتكاتف الدولي لدحر الإرهاب

على جميع دول العالم المحبة للسلام، والساعية لتحقيق الاستقرار والأمن في شتى بقاع الأرض، أن تستمر في تعاونها البناء وتكاتفها لمحاربة الإرهاب، ليس من خلال التشريعات والقوانين فقط، وإنما أيضاً من خلال استمرار المراجعة الفكرية لكل ما يثيره بعض المغالين أو المتطرفين، سواء تعلق ذلك بالدين أو السياسة أو الاجتماع.

كما ينبغي أن يستمر العمل وبكل صدق ومصداقية على تجفيف منابع الإرهاب، من حيث التجنيد للأفراد أو التمويل للتنظيمات، والقضاء على أذنابه في كل المؤسسات الدولية والداخلية، فضلاً عن تسخير الإعلام بجميع صوره (المقروءة، والمسموعة، والمرئية، ووسائل التواصل الحديث) لمتابعة كل تجاوز فكري والرد عليه من المتخصصين، بمنتهى الموضوعية والسرعة والحسم، قبل أن يشيع فساد المفسدين .

هذا ومن الأهمية بمكان تنفيذ العدالة الناجزة ضد الإرهابيين وبصورة فورية، لأنه من أمن العقاب أساء الأدب، وإن أدى ذلك إلى تعديل جميع النصوص القانونية ذات الصلة، لإتاحة الفرصة للقضاء العادل للقيام برسالته، لتحقيق العدالة الناجزة ضد المنحرفين .

ولا يمكننا أن نقبل بانحسار الإرهاب الدموي شكلياً أو مظهرياً أو لفترة زمنية معينة، وإنما نقبل باجتثاثه من جذوره ودحره بكل قوة وحسم، حتى يتم تطهير المجتمع من مخاطره على الأمن الوطني بصفة خاصة، وعلى الأمن الدولي بصفة عامة، فلا مفر من استمرار المواجهة، واستمرار التكتاف الدولي، واستمرار العمل على تجفيف منابع، ومحاسبة الدول أو التنظيمات الداعمة للإرهاب بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

كما ينبغي على العالم أجمع ممثلاً في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وما تم تشكيله من منظمات أو تنظيمات ومراكز لمجابهة الإرهاب معاونة الدولة المعتدى عليها إرهابياً من دولة أخرى بأى صورة من الصور، ومساندتها بالقصاص من الدولة المعتدية، حتى يتم القضاء على جميع الممولين والمتعاونين مع الإرهاب داخلياً وخارجياً.

## الخاتمة

### أولاً: أهم نتائج البحث :

- ١- الإرهاب أصبح حقيقة واقعة تعاني منها جميع الدول، وهو بلا دين، ولا وطن، ولا هوية، ولا يرقب في أحد إلا ولا ذمة.
- ٢- التكاتف الدولي والتعاون على الأقل من خلال تبادل المعلومات الأمنية يحقق سرعة محاصرة الإرهاب ووأد مخططاته قبل تنفيذها.
- ٣- إن التعاون الدولي في تجفيف منابع الإرهاب يتم من خلال حظر تمويله، ومنع تجنيده وإمداده بالسلح بكل السبل.
- ٤- سقوط بعض التنظيمات الإرهابية لا يعنى انتهاء العصابات الإرهابية، فقد انتقلوا إلى وسائل التواصل الاجتماعي والاتصالات الخدمية، فلا مفر من محاصرتهم دولياً والقبض عليهم لحماية المجتمع من شرورهم.
- ٥- تكثيف التوعية بمخاطر الفكر المنحرف، والتأكيد على أن الإرهاب لن يتولد عنه سوى الخراب والشور.
- ٦- حرص وسائل الإعلام على نشر الأخبار الصادقة والرد على الإشاعات، وتكليف المتخصصين للرد على كل الأفكار المتطرفة، كل في مجاله.
- ٧- استمرار التعاون الدولي بجميع صورته والتكاتف لمواجهة الإرهاب وتفعيل جميع قرارات الأمم المتحدة في هذا الشأن.

### ثانياً : أهم التوصيات:

- ١- تطبيق العدالة الناجزة على من قاموا بالعمليات الإرهابية فوراً.
  - ٢- تخصيص جهات لمراقبة مظاهر التطرف والمسارة بمواجهتها قبل استفحالها.
  - ٣- احترام التخصص الدقيق، والسماح لأهل الذكر في مجالات تخصصهم بالرد على الترهات والمفتريات على الفور وبدون إرجاء.
- هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

## الهوامش:

- (١) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ١٦٣)، وابن عبدالحكم في فتوح مصر كما فى النجوم الزاهرة (٢٩/١)، والدارقطنى فى المؤلف والمختلف (١٠٠٣/٢) .
- (٢) أقر المجمع اللغوى كلمة الإرهاب باعتبارها كلمة مستحدثة أساسها (رهب) بمعنى خاف، وأرهب فلاناً بمعنى خوفه وفزعاه، المعجم الوسيط، ص ٣٩٠ .
- (٣) وقد وردت فى القرآن الكريم العديد من الألفاظ التى تدور معانيها حول مادة الإرهاب وهى: الخوف وردت مادته (١٢٣) مرة، وكذلك مادة الرعب وردت (٥) مرات، ومادة الردع وردت مرة واحدة، ومادة الفزع وردت (٦) مرات، ومادة الرهبة وردت (٨) مرات، كما وردت مصطلحات أخرى فى الذكر الحكيم تتدرج معانيها ضمن الإرهاب منها: البغى، والطغيان، والظلم، والعدوان، والخيانة، والغدر، والقتل، والسرقة، والحراية، وهى بلا ريب صور ووسائل وأتوات هدامة تشيع الخوف فى المجتمع المحلى والدولى، وترهب الأمنيين فيه. راجع فى تفاصيل مفاهيم ومعانى الإرهاب المتعددة، د. حمدان رمضان محمد فى بحثه المعنون: "الإرهاب الدولى وتداعياته على الأمن والسلم العالمى" دراسة تحليلية من منظور اجتماعى، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد ١١، العدد ١ ص ٢٧٠، و د. محمد عزيز شكرى، الإرهاب الدولى دراسة قانونية ناقدة، طبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩١م، ص ١١ .
- (٤) اعتمد هذا التعريف من لجنة الخبراء بالأأمم المتحدة المنعقدة فى مركز فيينا فى الفترة من ١٤-١٨ من مارس ١٩٩٨م.
- (٥) هذا التعريف من وضع الفقيه القانونى د/ شريف بسيونى ومشار إليه فى "الجريمة الإرهابية فى التشريع المغربى" لعبد السلام بوهوش، وعبد الحميد شفيق - مطبعة الكرامة - الرباط، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ٤٣ .
- (٦) لقد دخلت فكرة الإرهاب عموماً عالم الفكر القانونى لأول مرة فى مؤتمر "توحيد القانون العقابى" الذى انعقد فى مدينة وارسو فى بولندا عام ١٩٣٠م، ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف محاولات فقهاء القانون عن وضع تعريف جامع مانع للإرهاب، ولكن دون جدوى حتى الآن.
- (٧) راجع فى هذا المعنى: د. العادلى محمود صالح العادلى، موسوعة القانون الجنائى للإرهاب، دار الفكر العربى لعام ٢٠٠٣م، ٢٨/١، و د. مصطفى مصباح دبارة، الإرهاب وأهم جرائمه فى القانون الدولى الجنائى، دورية الزحف الأخضر، السنة الثالثة، العدد ٧٩، سبتمبر ١٩٨١م، ص ٤٢، و د. محمد عزيز شكرى، الإرهاب الدولى ١٩٩١م، ص ١١ وما بعدها.
- (٨) راجع فى هذا المعنى: جاسم محمد، صناعة الإرهاب والإرهاب السياسى: العراق، اليمن، أفغانستان - طبعة مايو ٢٠١٧م، وصناعة الإرهاب دولة الخلافة ورواج صناعة السلاح الأمريكى، وعبد اللطيف الحناوى، فى مقال بعنوان: صناعة الإرهاب فن، منشور على موقع العربية نت ١٠ من سبتمبر ٢٠١٤م، وإلهام أبو الفتح، مواجهة الإرهاب مسئوليتنا جميعاً، مقال نشر بصحيفة الأخبار المصرية ديسمبر ٢٠١٧م.
- (٩) راجع فى هذا المعنى: د. خطاب أبو دياب، صناعة الإرهاب واستخدامه فى زمن الفوضى الإستراتيجية، صحيفة العرب اللندنية ١٤ من مارس ٢٠١٥م، العدد ٩٨٥٦، ص ٩، وعلى أنولا، صناعة الإرهاب، ٣ من أغسطس ٢٠١٦م، وجاسم محمد، صناعة الإرهاب والإرهاب السياسى، طبعة مايو ٢٠١٧م.

(١٠) راجع في هذا المعنى: أمجد أحمد جبريل، تداعيات توسيع الحرب على الإرهاب في المنطقة العربية، أبحاث ودراسات، وحسين توفيق إبراهيم، العنف السياسي في الوطن العربي، أوراق عربية (١٧) بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠١٢م، ص ٢٣ - ٣٠، والتقارير الإستراتيجية العربي ٢٠١١م-٢٠١٢م، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام ٢٠١٣م، ص ١٥٩.

(١١) اعتمدت الجمعية العامة القرار رقم ٧١/٢٩١ والمؤرخ في ١٥ من يونيو عام ٢٠١٧م، بإنشاء مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب، وقد تم تعيين السيد فلاديمير إيفانوفيتش فورونكوف، وكيلاً للأمين العام لمكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب في ٢١ من يونيو ٢٠١٧م، كما اقترح الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريس في تقريره رقم ٨/٧١/٨٥٨ بشأن قدرة الأمم المتحدة على مساعدة الدول الأعضاء في تنفيذ إستراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب.

(١٢) صحيح البخارى، حديث رقم ٦٤٨٣.

(١٣) سنن ابن ماجه، حديث رقم ٢٦١٥، وصححه الألبانى في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم ٢٦٦٨.

(١٤) صحيح البخارى، حديث رقم ٢٦٣٤.

(١٥) صحيح البخارى، كتاب الديات، حديث رقم ٦٤٨٤.

(١٦) صحيح البخارى، حديث رقم ٢٤٩٤.

(١٧) راجع آية الحرابه فى سورة المائدة: الآية رقم ٣٣، وبحث الدكتور عبد الجليل الغندورى بعنوان: الحرابه فى الفقه الإسلامى - دراسة مصطلحية - والدكتور وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامى وأدلته، الفصل الرابع: حد الحرابه أو قطع الطريق وحكم البغاة، طبعة دار الفكر.

(١٨) لذلك قام أعضاء مجلس الأمن بالإجماع بإدانة الهجوم الإرهابى الذى تم فى الواحات المصرية والذى وقع فى يوم الجمعة ٢٠ من أكتوبر ٢٠١٧م، وذلك بأشد العبارات، باعتباره من الأعمال الإجرامية القذرة الممولة دولياً، وقد أكد المسئول الأسمى عن مكافحة الإرهاب على ضرورة وأهمية تعزيز التعاون الدولى فى مكافحة الإرهاب، ومنع التطرف العنيف بجميع صورته، المؤدى إلى وقوع الجرائم الإرهابية، وهذا يدل على أهمية المواجهة الجماعية للإرهاب؛ لقطع دابره ووأده فى مهده مباشرة، أو بالتعاون مع دول العالم عندما يستلزم الأمر ذلك .

(١٩) ينبغى مراجعة جميع التصاريح الممنوحة للجمعيات أو المراكز الممولة أجنبياً، لغل يدها عن كل ما يسىء إلى المجتمع المصرى، ولوضع ضوابط وقيود على تحركات وتصرفات هذه الجمعيات أو المنظمات، بحيث يتم التثبت من أن أعمالها تتم لصالح المجتمع وإلا فلا.

(٢٠) الأيديولوجيا أو الأيديولوجية، معناها باليونانية القديمة: فكرة، وبالعربية الأدلوجة، الفكرية، أو الفكرانية، أو العصيدة الفكرية، وقد تناولتها تعريفات عديدة إلا أن التعريف الأكثر تكاملاً لها هو أنها: النسق الكلى للأفكار والمعتقدات والتوجهات العامة الكامنة فى أنماط سلوكية معينة .

(٢١) راجع فى هذا المعنى: محمد العربى، فى الإرهاب أنواعه، أسبابه، طرق معالجته، مركز الروابط للدراسات الإستراتيجية، وعبد العزيز التويجى، محاربة الإرهاب مسئولية مشتركة حيث يقول: "الإرهاب سواء كان محلياً أم إقليمياً أم عابراً للقارات، يجب الحكم عليه بناء على طبيعة الأفراد والجماعات التى ترتكب جرائمه، فالإرهاب

لا دين له، ولا ينتمى إلى القوميات والأعراق المختلفة، لأنه جريمة في كل الأحوال تقع تحت طائلة القانون"، مقال منشور بصحيفة الحياة في ١٨ من مارس ٢٠١٧م، وأعمال الندوة الدولية المنعقدة في تونس حول التعاطى الإعلامي مع قضايا الإرهاب يومي ١٥، ١٦ من ديسمبر ٢٠١٧م، والمؤتمر الدولي الثالث، من أجل عالم بلا إرهاب، الذي انعقد في بغداد في الفترة من ١٣ - ١٤ من ديسمبر ٢٠١٧م، بمشاركة واسعة من دول التحالف الدولي والاتحاد الأوربي والمؤسسات المختصة، وندوة أجوبة حقيقية في مواجهة الإرهاب - مقارنة إقليمية، والمنعقدة في الجزائر في ١٠ من ديسمبر ٢٠١٧م، والأعمال المتعلقة بورشة العمل العربية الثالثة حول (استخدام الدواعش لوسائل التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا المعلومات لتجنيد مقاتلين جدد ... المخاطر والتحديات)، وقد تم ذلك في إطار متابعة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن في هذا الشأن، وقرار مجلس الجامعة على مستوى القمة وعلى المستوى الوزاري التي تدعو لاتخاذ تدابير قانونية وقضائية على المستوى العربي، من حيث الأجهزة والآليات المتاحة لمكافحة ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب، وعملية وأساليب تجنيد التنظيمات الإرهابية لمقاتلين إرهابيين جدد. لذا لا مفر من مواجهة حاسمة للإرهاب الدولي بجميع صورته، لتجفيف منابعه في الخارج وقبل تسلله إلى أوطاننا.

(٢٢) راجع هذا المعنى في : د. زهير الخويلدي، مدنية الإسلام في مواجهة عولمة الإرهاب، طبعة ٢٠١٥م، ود. بدر بن ناصر البدر، الإرهاب، حقيقته، أسبابه، موقف الإسلام منه، طبعة ٢٠٠٦م، وجاسم محمد، مكافحة الإرهاب الإستراتيجيات والسياسات في مواجهة المقاتلين الأجانب والدعاية الجهادية، طبعة دار المكتب العربي للمعارف، يناير ٢٠١٧م.

(٢٣) إذا كان الناس يعيشون في هذه الدنيا، ويقبسون أمورهم بالجدوى الدنيوية، فإن المؤمن الصادق المقتدى برسول الله ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، يقيس حياته بالجدوى الأخروية، ولا أدل على ذلك من جهاد صحابته وصمودهم في الميادين، هذه الروح الجهادية الفدائية السامقة، ينبغى أن يتحلى بها شباب مصر وشيبيها، ومن باب أولى جندها خير أجناد الأرض، لتطهير ثرى مصر من الإرهاب والغدر، ولتنظّل كما أَرادها الله تعالى، أرض أمن وأمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٢٤) وفي رواية عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: " إن الله لا يجمع أمتى - أو قال أمة محمد - على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار" البخارى حديث رقم ١٨٤٨، وسنن الترمذى، حديث رقم ٢١٦٧.

(٢٥) يحرض المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، في معظم مؤتمراته العالمية، وندواته المتعددة والمبثوثة في كافة الكنانة على بيان مثالب الفكر المتطرف، وتوضيح السبل القويمة لمحاربتة بالكلمة الصادقة، والحجة الدامغة، فضلاً عن حرص المجلس على نشر وقائع مؤتمراته وندواته على أوسع نطاق؛ لتحقيق الفائدة المثلى من وراء نشر الفكر الوسطى المعتدل.

(٢٦) راجع في هذا المعنى: د. كمال السعيد حبيب، حدود فاعلية التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب، السياسة الدولية، دورية متخصصة في الشئون الدولية تصدر عن مؤسسة الأهرام المصرية، طبعة ٢٠١٥م.

## الإرهاب.. وآليات المواجهة

الأستاذ الدكتور / نبيل السمالوطي

العميد الأسبق لكلية الدراسات الإنسانية

وأستاذ علم الاجتماع - جامعة الأزهر

مصر

تشارك جهات وعوامل متعددة متفاعلة في صناعة الإرهاب، وإذا قلنا: إن الإرهاب الموجه للدول العربية والإسلامية صناعة صهيونية ماسونية غربية، فإن ممارسة هذا الإرهاب من قبل عناصر وقوى محلية يرجع للعديد من العوامل، فهناك محاولات تفتيت العالم العربي إلى دويلات من خلال خطط وآليات عديدة، من أهمها: غرس تنظيمات إرهابية تسمى بأسماء إسلامية داخل هذه الدول، يتم توظيفها وتدريبها وتسليحها، ورسم الخطط الشيطانية لها لتدمير الجيوش وقوى الأمن داخل الدول العربية، والقضاء على مظاهر حضارتها التاريخية القديمة، وإحداث فتن داخلية على أسس دينية وعرقية وطائفية واقتصادية وغيرها، وتحتاج هذه المخططات الإرهابية لتنفيذها مجموعة من العناصر المحلية في الدول العربية، وهذه العناصر تنقسم على عدة أقسام:

- المغيب عقلياً والمستلب وجدانياً نتيجة للإيمان بأفكار خاطئة منحرفة، والجهل بصحيح الدين، والذي يسهل توظيفه عقائدياً في خدمة أغراض هذه التنظيمات الإرهابية من خلال تفخيخ سيارات، ولبس أحزمة ناسفة، وممارسة العمليات الانتحارية، ظناً منهم أنهم بذلك يُرضون ربهم ويزفون فوراً إلى الحور العين في الجنة، وهذا يعنى تبنيهم لأفكار خاطئة منحرفة حول الجهاد، والحاكمية، والخلافة.. الخ .

- المأجورون ممن يعانون الفقر والبطالة والأمية الهجائية، من مدمنى المخدرات وأطفال

الشوارع.



- المأجورون من المتقنين والكتاب والإعلاميين، والذين يفتقدون إلى الحس الوطني، والضمير الحي، والولاء والانتماء لدولهم، فخانوها، ويسعون للحصول على المال من وسائل غير مشروعة.

ولا شك أن رسم وسائل وآليات المواجهة لا بد وأن يعتمد على فهم عميق للتطرف والإرهاب، وخطط الدول المعادية، وفي مقدمتها القوى الصهيونية والغربية، وعلى فهم عميق لمفهوم الإرهاب، وللوثائق الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بصدد قضية الإرهاب، مثل التدابير الرامية إلى القضاء على الإرهاب الدولي، في القرار الذي اتخذته الجمعية العامة بناء على تقرير اللجنة السادسة (A/53/G36) 108/53 في ديسمبر 1994م، والقرارات التالية حتى ديسمبر 1997م، والتي تدين بقوة جميع أعمال الإرهاب وأساليبه وممارساته بوصفها أعمالاً إجرامية، والتي يمكن تبريرها أينما وقعت وأياً كان مرتكبوها<sup>(1)</sup>، والاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب سنة 2000م<sup>(2)</sup>، وقرارات الأمم المتحدة (الجمعية العامة) بناءً على تقرير اللجنة السادسة (8/54/G15) 110/54 بشأن التدابير الرامية إلى القضاء على الإرهاب الدولي.

وهنا أيضاً يجب الرجوع إلى الوثائق العربية مثل: " وثيقة الإرهاب والمقاومة رؤية عربية إسلامية" في ديسمبر 2001م بعد أحداث 11 أيلول 2001م في نيويورك وواشنطن<sup>(3)</sup>، وكذلك يجب الرجوع إلى توصيات المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب في الفترة من 5-8 من فبراير 2005م<sup>(4)</sup>، وأيضاً يجب الرجوع إلى المؤتمر الدولي (البيان الختامي) حول تقرير التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب في باكو سنة 2013م، والذي تمّ عقده بالتعاون بين مكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة " Unodc " والإيسيسكو المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة " Isesco " سنة 2013م<sup>(5)</sup>، وغيرها من وثائق محلية ودولية للتعرف على الإرهاب وأساليبه ومواجهته على المستوى الدولي.

يضاف إلى هذا أن مواجهة الإرهاب والتطرف بكل أشكاله تتطلب فهما ومراجعة للكثير من العوامل المتشابكة، والمتفاعلة، والمؤدية إلى وقوع بعض أبناء الوطن أسرى أو ضحايا لأفكار ومخططات خارجية هدامة، تستهدف تدمير وتفكيك المجتمعات الإسلامية والعربية وتمزيقها.

وكما يشير بحق أ.د. / جعفر عبد السلام فإنه ليس من السهل الوصول إلى تعريف قانوني لجرائم الإرهاب التي تسببت في الكثير من جوانب إدراج الإرهاب في جدول أعمال الجمعية العامة الأربعين، ويشير إلى أن طريقة إدراج البند تدل على مدى التباين في وجهات النظر بشأنه، فهو ينص على (التدابير الرامية إلى منع الإرهاب الدولي الذي يعرض للخطر أرواحاً بريئة، أو يودي

بها، أو يهدد الحريات الأساسية، ودراسة الأسباب الكامنة وراء أشكال الإرهاب وأعمال العنف التي تنشأ عن البؤس وخيبة الأمل والشعور بالضيق واليأس، والتي تحمل بعض الناس على التضحية بأرواح بشرية بما فيها أرواحهم هم، محاولين بذلك إحداث تغييرات جذرية<sup>(٦)</sup>.

وقد نجحت الدول الأوروبية في التوصل إلى الاتفاقية الأوروبية لقمع الإرهاب، وتم التوقيع عليها من العديد من الدول الأوروبية سنة ١٩٧٧م، وهي تهتم بالتجريم والعقاب على الأعمال التي تشكل جرائم إرهابية من وجهة نظر هذه الدول<sup>(٧)</sup>.

وعلى الرغم من كثرة تعريفات الإرهاب وتباينها بتباين الدول والمفكرين، فإن لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة تقوم بتقنين للجرائم المخلة بأمن وسلامة الإنسانية، وقد عرّفت المادة (١٩) من المشروع بأنه " هو كل نشاط إجرامي موجه إلى دولة معينة، ويستهدف إنشاء حالة من الرعب في عقول الدولة، أو أى سلطة من سلطاتها، أو جماعات معينة منها"<sup>(٨)</sup>.

وهناك الكثير من العلماء حاولوا تعريف الإرهاب مثل (ولتر) Walter الذي عرفه بأنه: عملية رعب تتألف من ثلاثة عناصر: وهي العنف أو التهديد باستخدامه، وردود الفعل العاطفية الناجمة عن أقصى درجات الخوف الذي أصاب الضحايا أو الضحايا المحتملة، وأخيراً التأثيرات التي تصيب المجتمع بسبب العنف أو التهديد باستخدامه، ونتائج الخوف"، وهناك تعريفات أخرى لباحثين مثل: (ثورنتون) Thornton، و(ميكولوس) E.mickolos<sup>(٩)</sup>،

كما أن هناك أنواعاً كثيرة من الإرهاب الذي تمارسه الدول، مثل ما تقوم به إسرائيل داخل القدس والأراضي الفلسطينية وغزة، وهناك من يعد أعمال مقاومة الاحتلال ومكافحته إرهاباً، وهناك من لا يعد ذلك إرهاباً بل مقاومة مشروعة للمحتل أو الاستعمار، بل يرى أنه عمل وطني واجب، وهذا في نظرنا هو الصحيح.

ولن نستعرض في عرض تعريفات الإرهاب، لكنها بشكل عام تتضمن: القيام بأعمال لترويع الناس، أو هدم المؤسسات، أو التهديد بذلك؛ لإنشاء حالة من الرعب على مستوى الدولة والمؤسسات والأفراد؛ لتحقيق هدف خبيث غير مشروع، وغير قانوني.

ولعل الأخطر في المنظمات الدولية الإرهابية في الشرق الأوسط أنها تتستر بالدين والإسلام، وتغيب العقل وتزييف الوعي، وهذا ما يرصده المرصد الشرعي بالأزهر الشريف، ويرد على كل الافتراءات والإشاعات المغرضة التي تستهدف هدم الدول، وترويع الأفراد، وتحطيم

المؤسسات الإستراتيجية فى الدولة باسم الإسلام، والإسلام الصحيح برىء تماماً من كل أنواع الغلو والتطرف والعنف والترويع، حتى ولو كان الغلو فى الدين، وحتى ولو كان الترويع بحديدة، أو بتخبئة حذاء المصلى، كما فى الأحاديث الشريفة.

وقد درس الباحثون صور الإرهاب حيث قسمه البعض على خمسة أنواع ، وهى<sup>(١٠)</sup>:

(١) الإرهاب التقليدى، مثل القتل والتفجير والتفخيخ؛ لإرهاب الناس، أو المؤسسات، أو الدولة بالأسلحة التقليدية.

(٢) الإرهاب النووى وبالمواد المشعة.

(٣) الإرهاب البيولوجى باستخدام الأسلحة البيولوجية الثلاثة: البكتيرية، والفيروسات، والسموم البكتيرية، وهذه تحتاج لتقنيات عالية.

(٤) الإرهاب الكيماوى، مثل المواد الموجهة ضد الأعصاب، مثل الخردل، ومنها الموجه ضد الإنزيمات.

(٥) الإرهاب المعلوماتى، ويتمثل فى اختراق وتخريب شبكات المعلومات بهدف التخريب وتعطيل الأنظمة الدفاعية، وإخراج الصواريخ عن مسارها، وإرباك حركة الملاحة الجوية. ويمكن أن نضع تحت هذا النوع من الإرهاب عمل مواقع لاجتذاب الشباب على مواقع التواصل الاجتماعى؛ لضمهم لجماعات إرهابية ، والقيام بتخريب مجتمعاتهم، سواء بوعى أو بغير وعى، بزعم أن هذا هو الإسلام.

والإسلام فى حقيقته دين الحب والسلام والأمن والصحة لكل الناس مسلمين وغير مسلمين، ويرفض كل ما يحض على الكراهية والعنف والترويع ، والإسلام رسخ العدل، والمواطنة ، وحقوق الناس، وسيادة القانون، وحرية الناس جميعاً، ولن نفصل فى هذا فالدراسات فيه كثيرة.

وسوف نتناول فيما يلى أهم عوامل قيام الإرهاب، ومن ثم آليات مواجهتها، فالتشخيص العلمى الموضوعى يجب أن يسبق خطة العلاج، وسوف نحدد هذه العوامل وآليات مواجهتها فى النقاط التالية :

#### ١- تقويم الأساليب التربوية الفاشلة :

لا شك أن لمناهج التربية الأسرية دورها فى بناء الشخصية الوطنية المؤمنة بالله والوطن، والمسلة بمنظومة القيم الإسلامية، وهنا تثار قضية القدوة، ودور الوالدين والأقارب ومجتمع الجيرة، وفشل التربية الأسرية فى بعض الحالات فى بناء الشخصية المتدينة الوطنية، الشخصية المنجزة والمنتجة.

## ٢- مواجهة الأساليب غير الناجحة في مرحلة التعليم قبل الجامعي :

تلعب المدارس دوراً أساسياً في تنمية الولاء والانتماء للوطن، وتقديم قدوة حسنة أمام الطلاب من جانب المعلمين، كما تلعب دوراً في التربية الدينية على مستوى المناهج، وفي مواكبة الطلاب لعلوم العصر.

ولعل فشل التعليم قبل الجامعي من رياض الأطفال إلى الثانوى فى إخراج شخصيات مؤمنة بدينها ووطنها ومجتمعها، تتحلى بالقيم ومكارم الأخلاق، وبالولاء لله والوطن، وبمعلومات ومهارات وقدرات تمكنها من التمييز بين الغث والسمين، وقادرة على التفكير التحليلي والنقدى، وقادرة على فهم المحاولات العلمية المخططة من قبل أعداء الإسلام والعروبة والوطن لاستقطابهم وعزلهم عن أوطانهم، والانضمام لجماعات معادية لأوطانهم دون وعى منهم؛ هذا الفشل يعد عاملاً كبيراً فى نجاح بعض الجماعات الإرهابية العالمية فى اختراق العقليّة المصرية واستقطابها لتبنى مفاهيم وأفكار شاذة منحرفة متطرفة، بل ويتم تجنيد البعض لصالح جماعات إرهابية تمارس القتل والتفجير والتفخيخ تحت أسماء دينية زائفة، لا علاقة لها بالإسلام أو المسيحية أو الكتب السماوية التى تدعو جميعها للولاء للوطن وللمواطنة، والتسامح، وقبول الآخر، والإيمان بأن التعددية الدينية والعرقية والمذهبية والاقتصادية سنة من سنن الله فى كونه<sup>(١١)</sup>.

## ٣- مواجهة الآثار السلبية للتعليم الأجنبي :

إن الهدف الأساسى للتعليم الأجنبي فى أى بلد هو خلق الشخصية المؤمنة بدينها ولغتها، والمنتمية إلى تراب وطنها، والمعترزة بتاريخه، إلا إن الجامعات الأجنبية قد يكون لبعضها أهداف أخرى غير تلك المعلنة كما يشير إلى ذلك د/ سعيد إسماعيل على حيث نقل عن سهير الببلى قولها عن الجامعة الأجنبية: "إن هدف هذه الجامعة هو صبغ المجتمع بالطابع الغربى، خاصة فى الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية"<sup>(١٢)</sup>.

فهذا هو مسار كل أنواع التعليم الأجنبي، سواء كان جامعياً أو قبل الجامعي؛ فالرموز الوطنية تسقط ليحل محلها رموز دول الغرب، واللغة العربية تسقط ليحل محلها لغات الغرب، والولاء للدين والوطن يخلت نتيجة الحرب الناعمة على الهوية من خلال التعليم، ويكفى فى هذا الرجوع إلى (لورانس براون) فى كتابه (الإسلام والإرساليات)، حيث يؤكد أنه إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة أيضاً، أما إذا ظلوا متفرقين فلا قوة لهم ولا تأثير<sup>(١٣)</sup>.

ولا شك أن الضعف الشديد للتعليم الحكومى الوطنى، وقوة التعليم الأجنبي، يهيئ الخريجين للوقوع فريسة وضحية سهلة أمام المؤامرات الصهيونية والماسونية الغربية؛ لافتقادهم الهوية الدينية

والوطنية والثقافية لبلدهم<sup>(١٤)</sup>، ولا شك أن توظيف التعليم الحكومي الوطنى فى ترسيخ قيمة الدين والقيم والوطن واللغة والثقافة الإسلامية، له دوره فى تحصين الطلاب ضد كل محاولات الاستقطاب لجماعات متطرفة أو إرهابية عن طريق الإنترنت وما يطلق عليه حرب المعلومات، وضد كل ما يشوه الدين والوطنية والمواطنة.

#### ٤- مواجهة الفقر المدقع والعشوائيات:

لا شك أن هذه المشكلات خاصة الفقر المدقع، إذا ارتبط بالجهل والأمية، والسكن فى العشوائيات، يمكن أن يجعل الكثير من أبناء هذه الفئات فريسة سهلة للاستقطاب فى يد الجماعات المتطرفة والإرهابية، وتوظيفهم بسهولة للقتل والنهب وسفك الدماء وترويع الناس وحرق المؤسسات الدينية والوطنية مقابل حفنة من الأموال، فهم مغيبون، مسلوبو العقل والإرادة، نتيجة لعوامل مجتمعة من الفقر والجهل والمرض والعيش فى العشوائيات.

#### ٥- مواجهة الإنترنت وحرب المعلومات والتجنيد الإلكتروني:

إن من أخطر وسائل العولمة والعصر هو الإنترنت، وحرب المعلومات، ومحاولات تجنيد الشباب، لصالح جماعات متطرفة وإرهابية، بل ويقومون بتوظيفهم من خلال حرب المعلومات، والاختراق الذهنى والعقلى للقيام بأعمال إرهابية، وأحياناً تبني أفكار هدامة تُقدم لهم على أنها هى الدين، وهى أبعد ما تكون عنه.

كما أن انتشار التليفونات المحمولة مع الشباب، واستخدامها فى غيبة الرقابة الأسرية والتربوية، يجعلهم فريسة لأعداء الوطن، خاصة فى ظل فشل التعليم فى بناء شخصيات مسلحة بالدين الصحيح، وبقيم الوطنية والمواطنة والتسامح وقبول التعددية والآخر، وفى ظل فشل الإعلام فى التوعية وحصين الناس ضد الأفكار الهدامة والمتطرفة، وفى ظل الفقر والجهل والمرض وسيادة العشوائية فى أغلب جوانب الحياة لدى أبناء المجتمع.

وفى العديد من الدراسات حول حرب المعلومات، ومحاولات استقطاب الشباب من خلال وسائل التواصل الاجتماعى؛ وجد أنه قد تم تجنيد أطفال من سن ثمانى سنوات، وأنه يمكن تجنيد زعماء للعصابات الإجرامية والإرهابية من سن ١٣ سنة؛ ولهذا يجب المزيد من الدراسات للجرائم المعلوماتية، ومنها:

- حرب الحصول على المعلومات فى غيبة من وعى الأشخاص.
- نشر معلومات مزيفة حول الدين والوطن ورموزه.
- إطلاق شائعات تهدد أمن المجتمع، وتتسبب فى الفتن والافتتال والحروب الأهلية.

- إفساد معلومات مهمة يحاول المجتمع نشرها بين الشباب حول نجاح برامج التنمية، أو إنجازات مهمة فى مجال الصناعة أو الزراعة أو إنتاج الأسماك أو الطرق أو الإسكان.  
- اجتراء معلومات من سياقها العام من أجل تحقيق أهداف خبيثة ضد الدين أو الوطن، أو لتزييف الوعي الجماهيرى.

وهذا ما يحتم على كل أجهزة المعلومات والداخلية والقانون مكافحة الجريمة المعلوماتية، وإغلاق المواقع المشبوهة أو المعادية، ومتابعة كل وسائل التواصل الاجتماعى التى يتعامل بها الشباب؛ لاكتشاف محاولات الأعداء نشر أفكار مضللة، أو تجنيد الأطفال والشباب، أو انتماء بعض الشباب - بوعى أو بدون وعى - لهذه التنظيمات الإرهابية.

فعلى أجهزة الأمن والمعلومات تنقية وسائل التواصل من كل ما يهدد أمن المجتمع، وإيقاع الشباب فى الزلل، بمعنى عمل تنقية للمواقع، وتطبيق عقوبة رادعة لكل من يتورط فى الانتماء لمواقع مضللة، ولعل لنا فى الصين نموذجًا حيث ألغت بعض مواقع التواصل الاجتماعى الدولية وأوجدت مواقع محلية وطنية بدلاً منها.

#### ٦- مواجهة تهمة الشباب :

لعل من أهم أساليب مواجهة الإرهاب والتطرف والعنف والانحراف لدى الشباب، العمل على مواجهة تهمة الشباب وإقصائهم عن إدارة شئونهم وشئون مجتمعهم ودولتهم، وأيضًا إشباع حاجات الشباب الأساسية، سواء الاجتماعية أو النفسية أو المهنية أو الاقتصادية أو السياسية... إلخ. لهذا فإن مواجهة تهمة الشباب ليست أمرًا سهلاً، وإنما يتطلب التفاعل والتعاون، ورسم سياسات وخطط، وتنفيذ برامج يشارك فيها كل الوزارات والمؤسسات التى لها صلة بالشباب، مثل التعليم والتعليم العالى والصحة والاستثمار والشباب والثقافة والأوقاف... إلخ، كما تشارك فيها الأحزاب السياسية، ومؤسسات المجتمع المدنى، والإعلام بكل أنواعه.

#### ٧- ضرورة تشجيع الاستثمار وخلق المناخ الجاذب:

صحيح أن الفقر ليس السبب الأساس للوقوع فى أسر الانحراف والإرهاب، لكنه يؤدى إلى البطالة وإلى تعاطى مخدرات، وإلى الجهل والمرض، وإلى انخفاض مستوى الإدراك والمعيشة، فهو أحد العوامل المهمة للوقوع فى أسر جماعات إرهابية، وتنفيذ أوامرها طلبًا للمال دون إدراك العواقب، والفقر والعشوائيات أهم أسباب خروج الأطفال للعمالة وترك التعليم، وأهم أسباب تفكك بعض الأسر والطلاق، ووجود ظاهرة أطفال الشوارع، والاتجار بالممنوعات كالأعراض والمخدرات... إلخ.

لهذا فإن تشجيع الاستثمارات المحلية والعربية والأجنبية، وعمل مراكز للتدريب والتأهيل المهني، وارتفاع نسب العمالة؛ يسهم بلا شك في عدم ترك بعض الشباب أسرى للوقوع في يد الجماعات الإرهابية.

#### ٨- حتمية التنمية الشاملة لمواجهة الإرهاب:

هذا يعني أن مواجهة انتشار الأفكار المتطرفة ووقوع بعض الشباب والأطفال أسرى لجماعات إرهابية إجرامية داخلية وخارجية، يكون برسم سياسات وخطط وبرامج للتنمية الشاملة اقتصادياً وتعليمياً وصحياً، وإرساء الولاء لله والوطن، وتنمية الوعي إعلامياً بحقيقة الإرهاب والأساليب الشيطانية التي يستخدمها لتدمير الوطن، وترويع الأمنين، لصالح جهة واحدة، وهي إسرائيل والصهيونية العالمية.

#### ٩- الإعلام وبناء الأمن الفكري:

الإعلام قد يكون مثاراً لنشر البلبلة، وتشويه فكر الأطفال والشباب والمواطنين عموماً، وقد يكون أداة مهمة فاعلة في التوعية بالأمجاد التاريخية لمصر ومركزها في القرآن الكريم والسنة ولدى أنبياء الله، ولاشك أننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في كرتون الأطفال الذي يسهم في بناء وتشكيل شخصية الأطفال وفكرهم ووجدانهم، وفي الدراما التلفزيونية والسينمائية، وفي البرامج الحوارية، وتجنب صراع الفتاوى والآراء الشاذة، وألا يتحدث في الدين أو غيره من موضوعات إلا المتخصصون المشهود لهم بالكفاءة من جهات مهنية متخصصة.

#### ١٠- المؤسسات الدينية والخطاب الديني:

لا شك أن المؤسسات الدينية وعلى رأسها الأزهر الشريف جامعاً وجامعة، مؤسسات عملاقة مؤثرة في بناء عقول الناس ووجدانهم، وتسهم في تشكيل قيمهم واتجاهاتهم، وتحولها إلى طاقات سلوكية فاعلة في خدمة الدين والوطن.

والمهم أن يتولى الخطاب الديني مؤهلون مهنيًا وعلميًا من مؤسسات معتمدة . ولا بد أن يتوافر في القائم به مجموعة كبيرة من الشروط العلمية والمهنية والشخصية، والقدرة على الحوار والتأثير والحضور الفكري والأدائي، وأن يتسم الخطاب بالعديد من الخصائص<sup>(١٥)</sup>.

وعلى الخطاب الديني الذي يتولاه متخصصون معتمدون توظيف خطب الجمعة ودروس المساجد وأجهزة الإعلام بكل أنواعها؛ لشرح معنى بعض المفاهيم التي تستخدمها التنظيمات الإرهابية بمعان خاطئة، وتجذب إليها أنصارها من المسلمين الذين يعانون من الأزمة الدينية، وفي مقدمة هذه المفاهيم معنى الجهاد، ومعنى الحاكمية، ومعنى الخلافة، ووظيفة الحرب في الإسلام.. إلخ.

هذه الآليات للحيلولة دون وقوع المواطنين من الشباب والأطفال فريسة للجماعات الإرهابية الداخلية أو الخارجية، والممولة من قوى الصهيونية والماسونية العالمية، أما من يثبت تورطه فعلاً في عمل إجرامي إرهابي فلا مجال إلا التعامل معه من خلال أجهزة الأمن والقانون في المجتمع.



## الهوامش :

- (١) رابطة الجامعات الإسلامية: سلسلة فكر المواجهة (٨) الطبعة الثانية، ٢٠١٥م، ص ٣١٢ وما بعدها.
- (٢) المصدر السابق ص ٣١٦.
- (٣) المصدر السابق ص ٣٥٦.
- (٤) المصدر السابق ص ٣٦٥.
- (٥) المصدر السابق ص ٣٧٣.
- (٦) جعفر عبد السلام: الإرهاب بين الإسلام والقانون الدولي- نماذج من الواقع- سلسلة فكر المواجهة رابطة الجامعات الإسلامية رقم (٨) الطبعة الثانية، ٢٠١٥م، ص ٣٠.
- (٧) المصدر السابق ص ٣١.
- (٨) المصدر السابق ص ٣٢.
- (٩) راجع الدراسة السابقة ص ٣٢.
- (١٠) وليد كساب: بين الإرهاب والمقاومة المشروعة، ص ٢١٨.
- (١١) راجع دراسة نبيل السمالوطي: العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية، مطبوعات رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٠١٥م (٤٠٠ صفحة).
- (١٢) راجع سعيد إسماعيل على : ص ٥٢، وراجع أيضاً: سهير حسين البيلي: الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، دار فرحة، د.ت.
- (١٣) سعيد على : ص ٤٨ ، وراجع أيضاً: عفاف صبرة.
- (١٤) راجع دراسة نبيل السمالوطى حول الإسلاموفوبيا ، أعمال المؤتمر الدولى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٦م.
- (١٥) أوردت أهمها فى : الخطاب الدينى وحضارة العمارة والسلام فى الإسلام، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر - العدد الخامس عشر، يونيو ٢٠١٥م ، ص ١٩-٥٧.

## دور الاحتواء الاقتصادي و الاجتماعي للشباب في مواجهة الإرهاب

### الأستاذة الدكتور/ يمن الحماقى

أستاذ الاقتصاد بجامعة عين شمس

ووكيل اللجنة الاقتصادية بمجلس الشورى سابقاً

مصر

تعتبر ظاهرة الإرهاب من أكثر الظواهر تأثيراً على العالم فى العقد الماضى، حيث لم تطل فقط الدول النامية وعلى رأسها منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا؛ بل امتد أثرها إلى العالم الغربى وخاصة دول أوروبا، والتي شهدت أحداثاً دامية من خلال تفجيرات رفعت نسب الضحايا فى كل من فرنسا وبلجيكا، وعلى الرغم من محاولات إصاق ظاهرة الإرهاب بالدين الإسلامى إلا أن معظم الدراسات تشير إلى أن هذا الاتجاه متعمد لخدمة أهداف ومصالح مستخدميه، وحيث لا يوجد تعريف واضح للإرهاب فإن من الخطأ الجسيم الحكم بأن الإرهاب مرتبط بالدين الإسلامى؛ حيث إن أكثر المتضررين فى أحداث الإرهاب من المسلمين .

وقد وصلت تكلفة الأثر العالمى للإرهاب إلى ٨٩,٦ مليار دولار عام ٢٠١٥م، وقد عانت العراق من أكبر أثر سلبى اقتصادى وصل إلى ١٧% من الناتج القومى الإجمالى عام ٢٠١٥م، وتتأثر السياحة فى الدول التى تعانى من الإرهاب بشكل كبير؛ حيث إن إسهام السياحة فى الناتج القومى تكون الضعف فى الدول التى لا تعانى من الإرهاب مقارنة بتلك المتأثرة بالإرهاب، وتتمثل الآثار الاقتصادية للإرهاب فى آثار مباشرة وغير مباشرة منها: الخسائر فى الأرواح، وتكلفة الخدمات الصحية للمصابين، وخسائر فى المنشآت، والأثر السلبى على الاستثمار والفرص الاستثمارية، هذا فضلاً عن الموارد التى يتم توجيهها لمواجهة الإرهاب، وتعتمد الآثار الاقتصادية

على مدى استمرارية الإرهاب ومداه .

ويعتبر عدم الوصول إلى تعريف محدد للإرهاب حتى الآن في مصلحة مستخدمى الإرهاب ؛ إلا أن الاهتمام بهذه الظاهرة أسفر عن كم كبير من الدراسات التي تحلل أسبابه، وآثاره، وكيفية مواجهته، ويمكن تحديد أهم نتائج هذه الدراسات فيما يلي :

١- أهمية استهداف الشباب، حيث يُظهر تقرير منظمة العمل الدولية ٢٠١٧م أن الشباب يمثل ٢٥% من سكان العالم ، ٨٥% منهم يتواجدون في الدول النامية، كذلك هناك ٢٥% من سكان العالم من الشباب لا يحصلون على خدمات التعليم والتدريب والتوظيف، وهذا الحرمان من المقومات الأساسية لفرص تحسين أوضاع الشباب؛ لا يؤثر فقط على إسهامهم فى نمو الاقتصاد العالمى، ولكن يؤثر أيضاً على إحساسهم بالانتماء .

٢- أوضحت الدراسات أن هناك ارتباطاً قوياً بين التطرف والشعور بعدم الثقة والإحباط والتمييز، ويعتبر كل ما سبق ليس نتاجاً فقط للفقر، ولكنه مزيج من الإحساس بعدم الانتماء ونوع الخطاب الدينى، بالإضافة إلى عدم المشاركة السياسية، ومن هنا فإن الاحتواء الاجتماعى والاقتصادى يمكن أن يلعب دوراً مهماً فى مكافحة التطرف والإرهاب، وتبدو صعوبة تحقيق هذا الاحتواء من تعدد أبعاده وأهمية التنسيق بين الجهات الفاعلة لتحقيق هذه الأهداف، وتتمثل أهم هذه الأبعاد فى التعليم والتدريب، والاحتواء الاجتماعى، والإعلام، والخدمات الصحية، ووسائل التعامل مع المسجونين، وجهود إعادة التأهيل .

٣- إن التوصيف الحقيقى لظاهرة الإرهاب بأنها عمليات إجرامية إنما تتطلب رفع كفاءة وفعالية استهدافها.

وقد أوضحت الدراسات ضرورة الأخذ فى الاعتبار بما يلي :

- إن استهداف ظاهرة الإرهاب يجب أن يتم على المستوى الدولى وبشكل جماعى، وهو ما يتطلب أهمية تبادل المعلومات بين الدول فى مجال الاستخبارات الأمنية، وبالنسبة لمصر فإن الأولوية يجب أن تكون بين مصر والدول العربية والأفريقية والأوروبية، وفى هذا الإطار فقد ثبت أيضاً أن شبكات التواصل الاجتماعى تلعب دوراً مهماً فى توسيع نطاق الإرهاب، فمن سبتمبر إلى ديسمبر ٢٠١٤م تم إنشاء ٤٦,٠٠٠ حساب على تويتر من قبل أنصار داعش، ومن هنا تأتى أهمية التنسيق فى مواجهة الجرائم الإلكترونية، ووضع سياسات دفاعية لمواجهة آثارها السلبية .

- لا شك أن تجديد الخطاب الدينى يجب أن يكون له دور مهم، وهنا تقع المسؤولية على الأزهر الشريف فى تحقيق هذا الهدف، على أن يتم ذلك فى إطار تطبيقى، بمعنى توصيف حجم

المشكلة الحقيقية، وتحديد وسائل استهدافها على الأبعاد الدولية والإقليمية والمحلية، حيث إن هذا التجديد لا بد أن تتنوع وسائله وأدواته.

- تلعب المؤسسات الأهلية دوراً مهماً في مكافحة الإرهاب والتطرف من خلال دورها الفعال في مواجهة ضعف الكفاءة في التعليم والتدريب، وكذلك جمعيات حقوق الإنسان يمكن أن تتعاون في مجال تأهيل المسجونين والتوعية بالخطاب الديني السليم، كذلك لها دور مهم في التواصل مع المجتمع المدني الدولي، وفي إطار الاحتواء الاقتصادي والاجتماعي فإن المجتمع المدني له تجارب كثيرة ناجحة، ومن هنا فإن دعم المجتمع المدني وتيسير عمله يمكن أن يسهم بشكل كبير في مواجهة التطرف والإرهاب.

- يؤثر الإعلام بشكل كبير في نقل الخطاب الديني المستنير، وكذلك في تدعيم قيم المواطنة وسيادة القانون، كما يمكن أن يكون له دور مهم في التوعية الثقافية والحفاظ على الهوية، وذلك بشرط أن يتمتع بالنزاهة والحرفية والموضوعية .

- يكتسب الاهتمام بتفعيل دور المرأة الاقتصادي والاجتماعي أهمية كبيرة في مكافحة الإرهاب والتطرف، ويلاحظ أن هناك زخماً دولياً في تحقيق التمكين الاقتصادي والاجتماعي للمرأة، وهنا يتطلب الأمر ترشيد وتعظيم الاستفادة من العلاقات الدولية في تحقيق هذا الهدف، ويكفي أن نذكر في هذا المجال أن هناك العديد من الأوروبيات قد تم تجنيدهن من المجموعات الإرهابية، وكان الدافع الهروب من ضغوط المجتمع الاقتصادية والثقافية، مما يعني أن تبادل المعلومات مع أوروبا حول الهجرة واستيعاب المهاجرين يعتبر أمراً مهماً لتجنب تجنيد أعداد إضافية من الشباب من قبل الجماعات الإرهابية.

### **دور الاحتواء الاقتصادي والاجتماعي في مكافحة الإرهاب في مصر:**

يوضح مؤشر الإرهاب العالمي (٢٠١٦م) أن مصر تقع ضمن العشرين دولة الأولى في التأثير بالأحداث الإرهابية، ولكن تظل أكثر الدول تأثراً بالإرهاب هي: العراق، ونيجيريا، وأفغانستان، وباكستان، وسوريا، وظهرت دول أوروبية وعلى رأسها فرنسا من ضمن العشرين دولة الأولى المتأثرة بالإرهاب، كذلك فإن نصف الهجمات الإرهابية حدثت عام ٢٠١٥م في أربع دول هي : العراق، وأفغانستان، وباكستان، والهند، ومن هنا فإن دول الشرق الأوسط تبدو أكثر الدول تضرراً من الإرهاب.

وتشير رؤية مصر ٢٠٣٠م إلى أنها تتبنى اتجاه النمو الاحتوائي، وهو ما يعني إتاحة فرص متكافئة للشعب المصري في إطار تحقيق التنمية.

إن تحقيق الاحتواء الاقتصادي والاجتماعى لمكافحة الإرهاب فى مصر إنما يواجه بالعديد من التحديات، وتتمثل أهم هذه التحديات فيما يلى :

أ - ارتفاع معدل الأمية، ولا شك أن للأمية تداعياتها وأثارها فى مدى قدرة المواطن الأمى على الاندماج فى المجتمع وتحقيق أهداف التنمية، مما يتطلب أهمية مواجهة هذه الظاهرة السلبية بالتعرف على أسبابها ، وتشير معظم الدراسات إلى أنها أسباب اجتماعية واقتصادية، حيث يصاحب معدلات الأمية المرتفعة ارتفاع نسب التسرب من التعليم، ومن هنا فإن الاحتواء الاقتصادي والاجتماعى يمكن أن يلعب دوراً مهماً فى مواجهة قابلية الأميين للتطرف والإرهاب .

ب - ظاهرة البطالة، وهو تحدٍ يصيب الشباب بالإحباط، ويعمق من عدم الانتماء؛ مما يتطلب أهمية استهداف هذه المشكلة، حيث إنها تشير إلى إهدار طاقات اقتصادية يمكن إذا ما أحسن استغلالها أن يكون لها آثار إيجابية مهمة على النمو، فإن هناك العديد من قطاعات الأعمال لا تجد عمالة مناسبة، ويشير ذلك إلى أن هناك مجالاً هائلاً لتحقيق الاحتواء الاقتصادي والاجتماعى عن طريق التعرف على الظروف الثقافية والاجتماعية والبيئية المؤثرة على الشباب، واختيارهم للعمل وفقاً لقدراتهم ، وكذلك تأهيلهم للحصول على الفرص المناسبة.

ج - ظاهرة الفقر، وهى تؤثر بدرجة كبيرة فى القدرة على استغلال الموارد الاقتصادية، ويصاحب ذلك ضعف قدرات الفقراء من ناحية، ومن ناحية أخرى زيادة متطلبات الإنفاق على الدعم، مما يؤثر على الموازنة العامة للدولة، وقد شهدت مصر جهوداً مميزة لمكافحة الفقر، على رأسها الخطط التنفيذية للقضاء على العشوائيات فى مصر، ويتطلب الأمر أهمية تحقيق الاحتواء الاقتصادي والاجتماعى للشباب فى العشوائيات، بما يكفل دعم قدراتهم وإيجاد فرص اقتصادية لهم، مع التركيز على المرأة؛ حيث يعتبر ذلك مدخلاً مهماً لتحويل الفقراء فى المجتمع إلى نعمة تسهم فى زيادة الإنتاج والدخل، فضلاً عن أن إدخال الجانب الثقافى والتعليمى فى استهداف الشباب - وهو أساس الاحتواء الاقتصادي والاجتماعى - يعتبر ركيزة فى مواجهة الإرهاب، ومواجهة محاولات تسميم أفكار الشباب باستخدام الدين .

د - تحسين كفاءة التعليم والخدمات الصحية، واللذان يعتبران أساساً مهماً لبناء القدرات التى بدونها يصعب الحصول على فرص عمل، وفى هذا الإطار تشير تقارير اليونسكو إلى أنه على الرغم من أن ٨٦% من دول العالم استطاعت أن تجعل التعليم إجبارياً، لكن ٤٦% فقط من هذه الدول هى التى تتابع فاعلية التعليم، ومن هنا يكون بناء نظم للمتابعة والتقويم مع تطوير التعليم ركيزة مهمة لبناء قدرات الشباب بكل أبعادها، كذلك وافق مجلس النواب المصرى مؤخراً على

قانون جديد للتأمين الصحى؛ يهدف إلى تطوير وتحسين الخدمات الصحية فى مصر، مع إتاحة هذه الخدمات وفقاً للقدرات المادية للمستفيدين، ويعتبر تفعيل تحسين كل من الخدمات التعليمية والصحية أساساً مهماً لتحقيق الاحتواء الاقتصادى والاجتماعى للشباب.

هـ - دور الجمعيات الأهلية - رغم الجهود التى تتم من البعض منها - لا يزال قاصراً عن تحقيق أهداف الاحتواء الاقتصادى والاجتماعى للشباب، ومن هنا فإن الأمر يتطلب معالجة المشاكل المؤثرة على أداء الجمعيات؛ حيث يمكن أن تلعب دوراً مهماً بالتعاون مع الحكومة فى تحقيق الاحتواء الاقتصادى والاجتماعى للشباب.

## التوصيات

١- دعم التعاون الدولي فى مكافحة الإرهاب من خلال التنسيق بين المؤسسات العاملة فى هذا المجال على المستوى الدولي والإقليمى، وذلك فى مجال تبادل المعلومات، والتعرف على التجارب الناجحة والاستفادة منها، والتعاون القضائى لمواجهة الإرهابيين، وكذلك دعم التكامل الاقتصادى العربى الأفريقى والأوروبى؛ بما يسهم فى زيادة فرص العمل من خلال التجارة والاستثمار، وفى هذا الإطار فإن المنتدى العالمى للشباب الذى أقيم مؤخرًا فى شرم الشيخ يمكن أن يكون وسيلة فاعلة لتبنى هذه القضية، خاصة وأن الحوار بين الشباب فى هذا المؤتمر يعتبر بداية مهمة ومُبشِّرة.

٢- أهمية تحقيق الاحتواء الاقتصادى والاجتماعى للشباب من خلال مواجهة مشاكل البطالة والفقير، وبناء القدرات من خلال تحسين كفاءة التعليم والصحة.

٣- دعم دور الجمعيات الأهلية على المستويات الإقليمية (أوروبية - أفريقية - عربية) فى تبادل الخبرات فى مجالات بناء قدرات الشباب وتأهيلهم لفرص العمل، ونشر مفاهيم الدين الإسلامى الصحيحة لمواجهة التطرف.

٤- أهمية تطوير الأداء الإعلامى لدوره المهم فى تحقيق الاحتواء الاقتصادى والاجتماعى للشباب، وذلك من خلال التدريب ونشر المعلومات والتعاون الإقليمى.

## حتمية التكاتف المجتمعي للقضاء على الإرهاب

الأستاذة الدكتورة / آمنة نصير

أستاذة العقيدة والفلسفة وعضو مجلس النواب

مصر

للتطرق لهذه القضية نتناولها من عدة زوايا : الأسرة ، والتعليم ، والإعلام:

### أولاً: الأسرة

الأسرة كانت وما زالت الركيزة الأولى في بناء المجتمع سواء في قوتها أو في ضعفها؛ وتزداد أهميتها اليوم في عصر متسارع في إيقاعه وفي إنجازاته العلمية والمبدعة، عصر أصبحت تهيمن عليه مفاهيم الكوكبية والكونية والاعتماد المتبادل بين الأمم، والإبداع لمن يريد أن يكون له موقع متميز في عالم تعدد المعرفة؛ حيث إن الأسرة هي التي تمد المجتمع بالكوادر الواعدة، وهي التي تعبئ الطاقات نحو غد أفضل، وهي التي تسهم إسهاماً فعالاً في نقل تراثنا الثقافي والحضاري لأمة ضاربة بجذورها في عمق التاريخ من خلال التنشئة الاجتماعية السليمة لأبنائها، لكي يكونوا الوريث الشرعي لكل تحد تعيشه أمتنا.

فالأسرة كما ورثناها في مجتمعاتنا هي نواة المجتمع النشء السليم، وبنية التنظيم الاجتماعي، و حجر الزاوية في الحفاظ على الاستقرار المجتمعي، وتربية النشء على القيم والفضيلة ومجاهاة الرذيلة، ولذلك يجب تضافر الجهود لتمكين الأسرة وإرساء مبدأ التحصين لها من خلال التمكين، وإزالة المعوقات من أمامها؛ حتى تقوم بدورها المنوط بها في مد المجتمع بأبناء أصحاء النفس والجسد والانتماء للوطن، وفيما يلي أتناول معوقات الأسرة التي تعيقها عن دورها.

يُعدّ هذا العالم المتسارع الذي نعيشه اليوم أحد التحديات في تربية الأبناء تربية سوية متوازنة، حيث تمر البشرية الآن بمرحلة مصيرية ونقلة مجتمعية حادة، لم تشهدها من قبل سوى في القرون الوسطى عندما حدثت تلك النقلة الشهيرة من العصر الزراعي دخولاً إلى العصر



الصناعى، وما واكب ذلك من تغير شامل لكل مجالات الحياة، وما يحدث اليوم هو شىء مشابه؛ إذ تستعد البشرية للخروج من العصر الصناعى للانطلاق نحو عصر جديد، وموجة حضارية متميزة توصف بعصر المعلومات.

وبالتأكيد يعيش مجتمعنا هذه التغيرات التى ظهرت على الساحة العالمية، والتى أثرت ولا تزال تؤثر على المستوى العالمى، وتنعكس توابعها على المستويين القومى والمحلى، نذكر منها على سبيل المثال: الغزو الثقافى والهوية الثقافية، وحوار الحضارات أو الصراع بينهما، والعنف والإرهاب، والعولمة، وغيرها، مثل التنمية البشرية، والإعداد للحياة، هذه التغيرات قد أفرزت قيماً لم تكن توجد من قبل، قد نقبل بعضها ونرفض البعض الآخر؛ لأنها لا تناسب مجتمعنا ومن ثم تمثل أخطاراً على أجيالنا من الشباب، وهنا يبرز دور الأسرة لحماية الأجيال من الآثار السلبية إذا ما تبنى الشباب هذه القيم وانبهر بها.

إن الأسرة هى المؤسسة التربوية الأولى التى يمكن أن تحمى الفرد من خطر اعتناق هذه القيم السلبية، لذا يجب أن ندرك مدى الاهتمام لانحسار دورها ما بين الماضى فى مجرد التنشئة والرعاية وبين الواقع التكنولوجى الذى امتد إلى الدور الاجتماعى والثقافى والتربوى والنفسى، ومواجهة تحديات الواقع واستشراف المستقبل فى إعداد النشء لمواجهة احتمالاته فى قدراته ومواهبه المتنوعة، فهو كائن بيولوجى لكنه فى ذاته كائن يتميز بالعقل وقدراته على التفكير، ويمكن القول إن مجتمع الغد لن ينهض به سوى إنسان الغد.

وهنا أطرح أمراً مهماً وهو أننا باعتبارنا شهود عيان على هذا التحول؛ فإن التاريخ لن يتردد فى محاولة التعرف وتسجيل دورنا كأسرة فى صنع هذا الانتقال، وكيفية تعاملنا معه من حيث مشاركتنا فى تحديد مساره، أم اكتفينا بالاستقبال دون تفاعل أو تأهب لتشكيل أولادنا وإعدادهم لكيفية التعامل مع واقع هذه المرحلة بوعى ومسئولية لهذا العصر الملقب بـ"عصر المعلومات"، حيث تسوده سلطة المعلومة، وتحل فيه المكانة الأولى المؤثرة والأساسية فى كافة المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المجالات، بل إن المعلومة ستكون هى السلعة الأساسية والمنتج فى الحياة اليومية، ومن ثم فهو عصر مجابهة القدرات الإبداعية لدى الفرد وحل مشكلاته، وله آياته وآلياته المستقلة التى تندمج فيها تكنولوجيا الاتصالات وتكنولوجيا الحاسبات الآلية، ليصبح العالم كله قرية صغيرة، إذ تقترب أركان المعمورة بعضها البعض، وتتفجر فيها الاكتشافات استمراراً لما سبق وإتينا بجديد لم يسبق، وتتوالى الثورات العلمية فى مجالات الحياة والاتصال، والهندسة الوراثية وغيرها، والتواصل السياسى المنحرف والسوى، ولا شك أن أكثر

ما ساعد على سهولة انتشار الإرهاب البغيض هذا التواصل السريع والسهل من خلال هذه التكنولوجيا؛ حتى صارت تحدياتها أكبر من قدرات الأسرة ذات التربية والثقافة فى العقود السابقة. وهنا أ طرح قضية مهمة فى هذا الزخم المعاصر بين العقل والإيمان، وما تمثله هذه العلاقة من أهمية قصوى للدخول فى عصر المعلومات ، فإذا كان الإيمان هو موقف أخلاقى، وفلسفة حياة، ومنهج سلوك ، وطاقة روحية خلاقية ومبدعة ، فإن العقل هو طاقة التفكير والتأمل والتحليل؛ إنه بعض من طاقة الروح الخلاقية فى كيان الإنسان، ومن ثم كانت علاقة الإيمان بالعقل علاقة ارتباط وثيق كعلاقة الروح بالجسد، وإذ يدخل الإنسان المؤمن إلى عصر المعلومات حاملاً فى قلبه نور الإيمان، وفى عقله طاقة التفكير وسعة المعرفة، فإنه يستطيع أن يتجاوز فى أمان سطوة العلم وحده أو الاكتفاء بالجوانب الشعائرية وحدها.

وعلى المحيط الاجتماعى نشير إلى أهمية ارتباط الإنسان ومنظومة قيمه، ونؤكد أهمية المحيط الاجتماعى الذى يستوعب هذا الإنسان، حيث إنه بهذا التحول التاريخى نحو "المعلوماتية" تتأكد أهمية القيم فى الأديان، والتى تساعد الإنسان على التوازن والاعتدال وعدم الشطط أو الاضطراب فى مضمون القيم الدينية التى لا تتعارض مع كل الجوانب الإنسانية.

وفى تطلع الإنسان نحو المستقبل يدخل حاملاً على أكتافه ثقل الماضى بترائه التاريخى وما احتواه من علاقات مع المختلف معه، هل تستطيع الأسرة أن تشكل جيل الأبناء برؤية جديدة للتعامل مع هذا التراث، على أن تتسم هذه الرؤية بالتعدد والمرونة وقراءة هذا التراث من واقع زمانه، وما كان فيه من صدام وحروب وأحداث قاسية، هل لدينا الأسرة المثقفة والواعية حتى تؤهل أولادها بهذا الوعى الدقيق الناضج؟.

هذا ملمح مهم استغل من قبل الإرهاب بالترويج لبعض النصوص والحروب التى جرت فى زمانها تلبسًا وتقليدًا على الشباب، فى حين غاب ذلك عن الأسر التى انحدر منها هؤلاء الشباب الذين انضموا للإرهاب وجماعته بمسمياته المختلفة، وبكل أسف لدينا قطاع كبير من الأسر تسود فيه الأمية الدينية والثقافية المنقشية فى المجتمع، خصوصًا عند المرأة الأم التى تعد مدرسة لأولادها، إلى جانب وجود قضية صراع الأجيال الذى لا يتيح الفرصة لإعداد الشباب إعدادًا جيدًا من أجل الابتكار والإبداع، هذه التحديات جعلت هؤلاء الشباب لقمة سائغة وسهلة الاستقطاب للإرهاب، بالانضمام لهذه الجماعات المجرمة والمتربصة بهم، والتى تحاول ضمهم إليها بإغراء المال وإقناعهم بالفهم الخاطئ جهلاً وافتراء لبعض النصوص التى كان لها زمانها وأحداثها فى التاريخ.

ومن أجل الارتقاء بالأسرة فلابد من تفعيل نشاط الجمعيات الأهلية التي تهتم بالمرأة للارتقاء بوعيها وتنقيتها، ورفع وعي الأسرة في مراقبة تأهيل الأبناء، خصوصاً الوعى بأهمية التنمية المستدامة، لأن مستقبل البيئة الاجتماعية رهن بالطريقة التي تنتهجها لتنمية مواردها البشرية. ومن الأمراض التي تعطل دور الأسرة في حماية النشء وحسن تربيتهم، ويجب محاربتها: العنف ضد النساء، سواء في بعض الآراء الحمقاء والبعيدة عن الدين، أو الفهم المغلوط لبعض الروايات الخاصة بالنساء، أو استخدام بعض العرف الموروث في كراهية إنجاب البنات كما كان في العصر الجاهلي، أو عدم الاهتمام بطفولتهن وما تشمله من الرعاية الصحية والنفسية والثقافية واستكمال سنوات التعليم.

ومن الصعوبات التي تحف بالأسر هذا الزحف الهائل للتكنولوجيا خصوصاً من جانب تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ، فلم تعد الأسرة المؤسسة الأكثر تأثيراً ونفوذاً في الناشئة، فإن الأبناء اليوم يفضلون قضاء أوقات فراغهم أمام الإنترنت أو التلفزيون أو فى أفضل الأحوال بصحبة أقرانهم، بدلاً من الاستمتاع برفقة العائلة والمشاركة في الوجبات العائلية المشتركة مع جلسات النقاش والحوار والخروج مع العائلة، مما يزيد من الهوية بين الآباء والأبناء ، وساعد وسهل استقطابهم إلى المخاطر وعلى رأسها انجرافهم للانحراف السلوكي، سواء الإجرامى أو استمالتهم إلى تشكيلات الإرهاب بتوجيهاتها ومسمياتها المختلفة من كل صوب وحذب.

ولا شك أنه لابد من الاهتمام بإيجاد مقومات الأسرة القوية لحماية شبابنا ثروة المستقبل، وذلك من خلال الإرشاد العلاجى فى قضية الصراعات والمشكلات الزوجية، التى تنشر صراعات الوالدين والأبناء، حتى نصل إلى سلامة صحة الأسرة النفسية والاجتماعية ودعمها بالترابط وتخليصها من أوجه التآزم والاضطراب التى تعطل طاقات النماء لديها، ويسهم الإرشاد الأسرى فى حل المشاكل المصاحبة للطلاق والترمل لدى كل من الزوجين والأولاد للأمور الحياتية بطرق علمية وصولاً إلى استيعابها، خصوصاً الصحة النفسية الوقائية للزوجين والأولاد فى مرحلة المراهقة، ويعمل على التوافق منعاً للطلاق وقبل اللجوء إليه، ومن المؤسف أن نسبة الطلاق فى الأسرة المصرية فى الآونة الأخيرة زادت مما ترتب عليه خلل فى بناء الأسرة ودورها فى حماية النشء.

أما الإرشاد الانمائى، فهو يحتل المكان الأهم فى الإرشاد الأسرى، ويندرج ضمنه كل برامج التنقيف الصحى والنفسى، والصحة الإنجابية، والإعداد للزواج، وبرامج تنمية المهارات للوالدين مع الأبناء فى مراحل أعمارهم المختلفة، وحسن إدارة الأسرة لحياتها ومواردها.

## ثانياً : التعليم

التعليم هو الركيزة التالية فى تربية النشء، ومن المؤكد أن غياب التعليم التأهيلي ساعد على استقطاب الإرهاب للشباب، فالمؤسسات التعليمية والتربوية هى صاحبة الدور الأول والأساس فى بناء الأجيال، وهى التى ستعين بالكامل على الدخول لعصر المعلومات، بالتغيير من أساليب التدريس، والانتقال من أساليب التلقين والحفظ إلى الحوار المتبادل، وما يتطلبه ذلك من إعداد جيد للمعلم، هذا الإعداد الذى يأخذ فى اعتباره توظيف قدرات التفكير بدرجة تفضّل التذكر والحفظ، كما يتطلب أن يتوفر فى المدرسة المناخ الذى يشجع على هذا النهج المختلف من التربية، مع الاهتمام بالتعليم التطبيقي بجوار التعليم النظرى، ويمتد ليشمل برامج متنوعة لخدمة المجتمع من خلال تقديم الإستشارات المتخصصة فى مختلف المجالات للأسرة والشباب، وتوفير التعليم المستمر والتدريب التحويلي لأبناء المجتمع بفئاتهم المختلفة، وعقد الندوات، وتنظيم المؤتمرات التى تتناول قضايا متعددة تتعلق بواقع المجتمع وخططه التنموية ومسيرته التقدمية خلال القرن الحادى والعشرين، كل هذا يصب فى بناء الإنسان لمجتمع أفضل.

ونؤكد على ضرورة إعداد برامج إرشادية، وتقديم دورات تدريبية، وعقد دورات ومؤتمرات علمية حول مختلف قضايا الأسرة، بما فى ذلك العلاقات الأسرية سواء بين الزوجين أم الآباء والأبناء، وأفضل الأساليب الكفيلة بحدوث تفاعلات أسرية سليمة تضمن تكوين أسرة متماسكة، وما يرتبط بذلك من بناء إنسان سوى صالح لنفسه ولمجتمعه منذ البداية، فقضايا الأسرة تعد ذات علاقة وثيقة بأهداف وخطط وجهود التنمية فى مجتمعنا، وما ينشده من طموحات وأهداف قومية ومتعددة الجبهات، وما قد يواجهه من صعوبات أو تحديات، وتطلعاً لما يرنو إليه من مستقبل واعد مليء بالخير والنماء والرقى لجميع أفراد المجتمع، فى مختلف حياتهم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والصحية.

إن هذه هى الأمنية للتعليم الذى يجب أن يسود فى داخل المناهج العلمية والتربوية وكتب الدراسة، وفى داخل المناهج فى التدريس والتعليم من هذه المراحل، ويجب على المؤسسات العلمية والتربوية خصوصاً فى الجامعات والنوادر الرياضية والاجتماعية الإكثار والمداومة على الوقوف على أهم معالم الحياة الأسرية المتطورة، وتوضيح دور الإرشاد النفسى فى مواجهة المشكلات الأسرية، وتوجيه الانتباه إلى ما يجب أن تضطلع به الأسرة فى مواجهة قضايا العولمة، والهوية الثقافية، والموروث من نصوصنا الناتج عن الحروب والصراعات السابقة، وتغيير القيم المتسارع، مما يساعد على استقطاب الإرهاب لشبابنا.

### ثالثاً: دور الإعلام بضروره

مما لا شك فيه أن دور الإعلام باختلاف مواقعه وتنوعه لا يقل أهمية في بناء نسيج مجتمع سليم بعيداً عن علل وأمراض هذا العصر، خصوصاً في مجتمع نسبة الأمية فيه عالية، فالإعلام يسهم إسهاماً فعالاً في نشر الثقافة العلمية والدينية بخاصة مما تعد سياجاً يحمي الشباب من ظواهر التطرف والبعد عن الاعتدالية وعن المؤسسات التي تتعامل مع وجدان الشعب وتشكيله، فإلى هذه المؤسسات على اختلاف أنواعها، والتي تمثل العمود الفقري للبناء الأخلاقي والاجتماعي للمواطنين طوال العقود الماضية، تتجه المسؤولية عن تقديم ما ينتفع به المواطن من صدق ودقة وأمانة الخبر في الصورة والكلمة، لأن دورها يبني به المواطن، خصوصاً في أهميته في العمل على إعلاء قيمة الحوار، واحترام الرأي الآخر، وتشجيع الرغبة في المعرفة العلمية، مع التأكيد على أهمية أعمال وتشغيل العقل والاهتمام بتربيته وتنقيفه، ويتمثل ذلك في إعداد الواعظ إعداداً ثقافياً وعلمياً إلى جانب إعداده دينياً، حتى يمدّه ذلك بكفاءة التواصل مع الآخرين؛ فيصبح مصدر إثارة للفكر وإنارة للضمير لأناس يختلفون في مصدر معرفتهم العقلية والمعرفية لما يتباينون في المشارب والاهتمامات، فانتساع مدارك رجل الدين بإمامه بالمناهج المتطورة، وأحدث الاكتشافات العلمية، وبعض أطراف الثقافة العامة، هو ضرورة لازمة لتغيير البنية النفسية والعقلية لمن يتصلون به ويملكون زمام القيادة والإدارة لبعض أمور حياتهم، إن لم تكن معظمها.

ويجب على الإعلام أن يأخذ في الاعتبار خطورة الزحف التكنولوجي، والانتشار الواسع، مع التطور المتسارع لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، والذي أسهم بشكل كبير في فقدان الاختيار والإرادة وضياح الهوية لدى بعض الأفراد والجماعات، حيث أصبح الارتباط بعوالم افتراضية هو الواقع لديهم؛ الأمر الذي تسبب في اضطرابات نفسية واجتماعية وإنسانية، وما يمثل أغلب هذه المظاهر " شبكة الإنترنت " التي يمكن القول إن استخداماتها السلبية أصبحت واضحة في مواقع الدردشة والاطلاع على المواقع الإباحية والتأثر السلبي بالثقافات الغربية عن عقيدتنا، خصوصاً في ظل تراجع بعض أدوار الأسر وغياب الرقابة والتواصل اللازمين لدورها.

ويعتبر الشباب هم الأكثر استخداماً لهذه المواقع، وهم الأغلب في إغراء الاستقطاب من قبل جماعات الإرهاب من مختلف الأيديولوجيات، فغياب المنهج العلمي الصحيح في الاستخدام للتكنولوجيا أوجد هوة بين الجانب الإيجابي لاستخدامها في الاستفادة الإيجابية وبين سوء استخدامها، وهذا يتناقى مع روح الإسلام الذي يحث أفرادها على حسن استخدام نعمة العقل وما ينتجها، ولقد صار سوء استخدام هذه التكنولوجيا في التواصل الاجتماعي نقمة على السلام الاجتماعي، بدلاً من أن يكون فيه نعمة التواصل العلمي والعلاقات الإنسانية الجيدة، كل هذا لغياب الإيمان والثقافة

ومسئولية أمانة الكلمة، واحترام حق الإنسان في الحياة المطمئنة من قبل ما يقرأه في الإعلام المقروء، أو ما يشاهده من قبل الإعلام المشاهد من أخبار، أو تحليلات إخبارية من قبل "التوك شو"، أو أفلام ومسلسلات انتشرت فيها الأساليب العنيفة التي تخرب ولا تربي مجتمع، فضاعت مسئولية حق حماية الأسرة لجميع أفراد النشء من الطفولة إلى المراهقة، مما أوجد ثقافة عنيفة بين أفراد الشباب، ولغة ومفردات ليست من موروثنا الفكري واللغوي والأخلاقي.

وأخيراً، فإننا جميعاً مطالبون بإعادة النظر إلى أنفسنا، وأن نتوجه إلى ذواتنا بالقول بأننا جميعاً مسئولون عن نقل أفكارنا وخبراتنا ورؤيتنا لشبابنا عبر الإعلام المشاهد والمقروء، وفي المنتديات والندوات من خلال النوادي الرياضية والاجتماعية، إننا في هذه المرحلة الحرجة - ونحن نحمل في داخلنا هموم وطننا ونحاول استشراف المستقبل - يجب ألا ننسى أن نعيد النظر إلى ذواتنا وأن نتوجه إليها بالمساءلة عن مدى وعينا بمسئوليتنا في عملنا، وعن القيام بدورنا كل في موقعه، سواء في المسجد أو الجامعة أو مؤسسة الإعلام أو المؤسسة التعليمية، وعن رؤيتنا للآخرين، وعن واجبنا نحو أنفسنا في عصر تتوالى فيه المكتشفات العلمية، وتتفجر فيه النظريات التي يُخطئُ الجديد منها القديم، أين نحن من هذا التقدم العلمي، خصوصاً في البرمجيات التي تسحب أولادنا من أحضاننا وتغربهم عن أسرهم، أو يؤخذوا إلى طرق الخراب والدمار وتسرق ثروتنا البشرية، ونحن نقف دون فعل جاد يقطع الطريق على لصوص هذا الزمان.

هي رسالة أرسلها عبر مؤتمرنا العظيم، فنحن أمة ذات ماضٍ خالد، وحضارة متواصلة عبر آلاف السنين، تعطينا الرؤية والفرصة للدخول إلى مستقبل متفائل، فلن نكون في موقف المتفرجين بل الفاعلين، لن نكون منفصلين بل ملتحمين، يحدونا في طريقنا حضارتنا وتاريخنا وإيماننا بالله الخالق العظيم.

## المفهوم الإسلامى للدولة الوطنية وتاريخ ظهورها، وأهم ملامحها، وعوامل صعودها قراءة فى (وثيقة الأزهر) و(وثيقة المدينة)

الأستاذ الدكتور/محمد إبراهيم العشاوى

أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد فى جامعة الأزهر الشريف

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام حضارة المسلمين، وقائد سفينة العالم إلى المرفأ الأمين، سيدنا محمد النبى المصطفى والحبیب المجتبى الذى جاء بصحيح الدين، وصریح اليقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فنحن فى عصر تشبنتت فيه السبل، وتشعبت فيه الرؤى، وكثرت فيه الأيديولوجيات، وتباينت فيه الاتجاهات، واختلطت فيه المفاهيم والتصورات، وغدا لكل فريق من الفرقاء منهج يؤصل له، ويناضل عنه، ويناظر عليه، ويدعو إليه، ويدفع عنه شبهات المشككين، وافتراءات الطاعنين، ويلتمس له من الحجج المقنعة، والبراهين الساطعة؛ ما يغرى الناس باعتناقه، وطرح ما سواه، حتى بدا العالم كله كأنه حلبة صراع على الوجود والكينونة والهوية والبقاء! ولن يبقى فى النهاية إلا الأصلح للبشرية، والأقرب إلى الفطرة السوية، والأقدر على قيادة سفينة العالم إلى بر الأمان وشاطئ النجاة.

والحق أن كل خطة رشد تنتصر فيها مبادئ العدالة والإنسانية والرحمة والتسامح، وتقر فيها حقوق الإنسان - أى إنسان - بغض النظر عن دينه وجنسه ولونه ولغته، وتنبذ فيها دعوات

التطرف والإرهاب والعنف والعصبية؛ فهي خطة يقرها الإسلام ويرضاها، ويحمل دعوتها ويتبناها، من غير شعور بالذنب أو استشعار للحرج.

ونحن - إن شاء الله - في هذه الوريقات نتناول مفهوم الدولة الوطنية، وكونها حقيقة شرعية، وضرورة عصرية، ردًا على من يزعمون أنهم يملكون الحقيقة المطلقة، فيرون أن مفهوم الدولة الوطنية مفهوم شيطاني غربي وافد، غرضه الإطاحة بمفهوم الأمة الإسلامية وهويتها وعقيدتها ووحدتها وقوتها وعزتها.

ونحن إذ نخوض في هذا الأمر فإنما نعتمد فيه على منهج البحث المجرد، حسبما يفتح الله لنا من خزائن علمه وحكمته، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

### أولاً: المفهوم الإسلامي لمصطلح الدولة الوطنية؛

لقد أصبح المسلمون بحاجة إلى تأصيل مفهوم الدولة الوطنية ومشروعيتها؛ خصوصاً أن دعاة الفتنة ومنظري الإرهاب يشوّهون فكرة الدولة الوطنية عند الشباب المسلم ليجندوهم ضد دولهم، ليجعلوا منهم وقوداً لعمليات إجرامية ضد الأبرياء والدول بحجة إقامة الدولة الإسلامية ودولة الخلافة، على أساس أن هذه الدول الوطنية ليست من الإسلام في شيء، جهلاً منهم واقتراء، ويجب محاربتها وإضعافها من أجل إقامة الدولة الإسلامية التي تحكم بشريعة الإسلام ويحكمها خليفة المسلمين!!

وهذا الموضوع أصبح من المهم تناوله بوضوح وجديّة ليصل إلى العالم الإسلامي في جميع أطرافه، وليفهم الشباب المسلم وكل المسلمين حقيقة الأمر، خصوصاً أن الكثيرين خدعوا لسنوات طويلة بخطاب جماعات الإسلام السياسي التي كانت تشكك في أسس الدول العربية والإسلامية القائمة، وتدعو إلى قيام دولة الخلافة الإسلامية باعتبار أنها الشكل الشرعي الوحيد للدولة في الإسلام، وذلك إنما يعبر عن جهلهم وتدليسهم؛ فالدولة الوطنية في شكلها الحديث ليس فيها ما يتعارض وشريعة الإسلام، بل فيها ما يصب في مصلحة البلاد والعباد.

ويكفي الدول الوطنية فخراً أنها نجحت في تجنب الطائفية والمذهبية والعنصرية، فالدولة التي تقوم على أسس المواطنة الصالحة دون تمييز بين لون، أو أصل، أو عرق، أو دين، أو مذهب، أو طائفة هي دولة ناجحة ومستقرة ومتطورة، وجماعات الإسلام السياسي هي العدو الأول والأكبر للدولة الوطنية، وليس الإسلام نفسه؛ لأن الدولة الوطنية تكشف ضعف وفشل جماعات الإسلام السياسي وفكرها، ومشكلة هذه الجماعات التي لن تستطيع التخلص منها هي أنها أطلقت شعار أن الدين «حلٌّ» لكل المشكلات، وأساساً لكل المشاريع بشكل هتافى عاطفى دون أجندة أو برنامج، وبالتالي بقيت الدولة الوطنية بعيدة عنهم، وبقوا بعيدين عنها<sup>(1)</sup>.



وخطاب جماعات الإسلام السياسى بطبيعته لا يؤمن بالدولة الفُطرية، ولا يعترف بالحدود الدولية، وقد قام بالأساس على وهم إعادة الخلافة الإسلامية، وهو فى أساسه هذا، لا يعير اهتماماً للمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مثله فى ذلك مثل غيره من الخطابات الأممية، كالخطاب الماركسى على سبيل المثال (٢).

وقد قام بالرد عليهم ومناقشتهم فكرياً، ببيان مشروعية الدولة الوطنية، وتحديد مفهومها وأهم ملامحها؛ الدكتور محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، يقول فضيلته: تعمل الجماعات المتطرفة دائماً على التشكيك فى مشروعية الدولة الوطنية، والتهوين من أمرها وأمر الانتماء الوطنى، وللرد على هؤلاء؛ نوّكد أن مشروعية الدولة الوطنية أمر غير قابل للجدل أو التشكيك، بل هو أصل راسخ لا غنى عنه فى واقعنا المعاصر، حتى أكد العلماء أن الدفاع عن الأوطان أمر دينى وشرعى فى المقام الأول؛ لأن الدين لا بد له من وطن يحمله ويحميه، وإلا لما قرر الفقهاء أن العدو إذا دخل بلدًا من بلاد المسلمين؛ صار الجهاد ودفع العدو فرض عين على أهل هذا البلد، رجالهم ونسائهم، كبيرهم وصغيرهم، قويهم وضعيفهم، مسلحهم وأعزلهم، كُلُّ وفق استطاعته ومُكنته، حتى لو فنوا جميعاً، ولو لم يكن الدفاع عن الديار مقصداً من أهم مقاصد الشرع؛ لكان لهم أن يتركوا الأوطان، وأن ينجوا بأنفسهم وبدينهم.

**وتعنى الدولة الوطنية:** احترام عقد المواطنة بين الشخص والدولة، وتعنى الالتزام الكامل بالحقوق والواجبات المتكافئة بين أبناء الوطن جميعاً، دون أى تفرقة على أساس الدين أو اللون أو العرق أو الجنس أو اللغة.

غير أن تلك الجماعات الضالة المارقة المتطرفة المتاجرة بالدين؛ لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية، فأكثر تلك الجماعات إما أنها لا تؤمن بالدولة الوطنية أصلاً من الأساس، أو أن ولاءها التنظيمى الأيديولوجى فوق كل الولاءات الأخرى وطنية وغير وطنية، فالفضاء التنظيمى لدى هذه الجماعات أرحب وأوسع بكثير من الدولة الوطنية والفضاء الوطنى.

وتسوّق سائر الجماعات المتطرفة أنها حامية حمى الدين، وأنها إنما تسعى لتطبيق حكم الله عز وجل وإقامة شرعه، وننساءل: أين ما تقوم به هذه الجماعات - من قتل ونسف وتفجير وتدمير وسفك للدماء وانتهاك للأعراض وسبى للحرائر ونهب للأموال وترويع للآمنين - من شرع الله وحكمه؟

إن ما تقوم به هذه الجماعات المتطرفة هو عين الجناية على الإسلام، ذلك أن ما أصاب الإسلام من تشويه لصورته على أيدي هؤلاء المجرمين بسبب حماقاتهم؛ لم يصبه عبر تاريخه على

أيدى أعدائه من التتار وغيرهم بما ارتكبوه من مجازر فى الماضى وما يصيبه على أيدى داعش، والقاعدة، والنصرة، وبوكو حرام، وأضرابهم فى الحاضر.

**ونستطيع أن نؤكد وباطمئنان على أمور، أهمها:**

**الأول:** أن الإسلام لم يضع قالباً جامداً لنظام الحكم لا يمكن الخروج عنه، إنما وضع أسساً ومعايير متى تحققت كان الحكم رشيداً يقره الإسلام، وفى مقدمتها مدى تحقيق الحكم للعدل والمساواة، وسعيه لتحقيق مصالح البلاد والعباد، ولا إشكال بعد ذلك فى الأسماء أو المسميات؛ لأن العبرة بالمعنى والمضامين لا بالأسماء ولا بالمسميات.

**الثانى:** أنه حيث تكون المصلحة، ويكون البناء والتعمير، فثم شرع الله وصحيح الإسلام، وحيث يكون الهدم والتخريب والدمار فثم عمل الشيطان وجماعات الفتنة والدمار والخراب.

**الثالث:** أن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية مطلب شرعى ووطنى، وأن كل من يعمل على تقويض بنيان الدولة أو تعطيل مسيرتها، أو تدمير بناها التحتية، أو ترويع الأمنين بها، إنما هو مجرم فى حق دينه ووطنه معاً.

**الرابع:** أننا فى حاجة ملحة إلى إعادة قراءة تراثنا الفكرى قراءة دقيقة واعية تفرق بين الثابت والمتغير، بين ما ناسب عصره وزمانه ومكانه من اجتهادات الفقهاء، وما يتطلبه عصرنا ومستجداته من قراءة جديدة للنصوص، يقوم بها أهل العلم والاختصاص؛ لحل إشكاليات الحاضر وبخاصة فيما يتصل بأحكام المواطنة، إلى جانب تأصيل فقه العيش الإنسانى المشترك، وبيان أن أمن الأوطان والمواطنين لا يتجزأ، وأنه لا يتحمل التجزئة أو التصنيف، وقد ذكر الإمام ابن حزم رحمه الله أن من كان بيننا من أهل الذمة، وجاء من يقصدونهم بسوء وجب علينا أن نخرج لحمايتهم بالسلاح وأن نموت دون ذلك<sup>(٣)</sup>، لا أن نستحل دماءهم أو أموالهم أو أراضهم<sup>(٤)</sup>.

ويُعرف ابن خلدون الدولة بأنها "كائن حى له طبيعته الخاصة به، ويحكمها قانون السببية، وهى مؤسسة بشرية طبيعية وضرورية، وهى أيضاً وحدة سياسية واجتماعية لا يمكن أن تقوم الحضارة إلا بها"<sup>(٥)</sup>.

ويذكر "أن الدولة التى تُحكم وفق الهوى والشهوة هى الدولة الفوضوية التى تحكمها الغرائز، وهذه أساساً لخراب العمران وعدم نهوض الحضارات"<sup>(٦)</sup>.

ومن الواضح أن الجانب السياسى وإدارة شؤون الدولة يستند إلى المبادئ والقيم والمقاصد؛ مثل العدل والشورى، فيما يترك المجال للتطور والإبداع البشرى وتراكم التجارب الإنسانية، وهو المعنى الذى عبر عنه أبو حامد الغزالي بقوله: "ما يتعلق بمصالح العباد من غير العبادات فالتحكم

فيها نادر<sup>(٧)</sup>، وما يعين على الفهم أنه ليس هناك نظام سياسى إسلامى واحد ومحدد وملزم، فلم يرد فى الكتاب ولا فى السنة شكل محدد للنظام السياسى، ولم يرد أى تفصيل عن كيفية قيام الدولة ولا عن طريقة تدبيرها وإدارتها.

وليس من الضرورى فى المجال السياسى أن نبث عن سند شرعى من النصوص لأى إجراء جديد، بل الذى يمنع الاجتهاد أو الاقتباس، فعليه البحث عن الدليل الشرعى الذى يمنع من الاجتهاد والإجراء الجديد؛ لأن الأصل فى المعاملات الإباحة حتى يرد المنع<sup>(٨)</sup>.

### وثيقة الأزهر:

وباعتبار الأزهر الشريف هو المرجعية العلمية العليا والأولى للعالم الإسلامى؛ فإنه قد صدرت عنه وثيقة بشأن مستقبل مصر، حدد فيها ملامح الدولة الوطنية، وعلى أساس من هذه الوثيقة تقوم الدولة المصرية الآن، وقد استلهم الأزهر فى صياغة هذه الوثيقة التى تحدد ملامح الدولة الوطنية الجديدة - حسبما جاء فيها - "روح تراث أعلام الفكر والنهضة والتقدم والإصلاح فى الأزهر الشريف، ابتداء من شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار وتلميذه الشيخ رفاة الطهطاوى إلى الإمام محمد عبده وتلاميذه المجتهدين من أمثال المراغى ومحمد عبد الله دراز ومصطفى عبد الرازق وشلتوت وغيرهم من شيوخ الإسلام وعلمائه إلى يوم الناس هذا.

كما استلهم فى الوقت نفسه إنجازات كبار المثقفين المصريين ممن شاركوا فى التطور المعرفى والإنسانى، وأسهموا فى تشكيل العقل المصرى والعربى الحديث فى نهضته المتجددة، من رجال الفلسفة والقانون، والأدب والفنون، وغيرها من المعارف التى صاغت الفكر والوجدان والوعى العام".

ويمكن تحديد ملامح هذه الدولة من خلال هذه المحددات الست الأولى فى الوثيقة:

**أولاً:** دعم تأسيس الدولة الوطنية الدستورية الديمقراطية الحديثة، التى تعتمد على دستور ترتضيه الأمة، يفصل بين سلطات الدولة ومؤسساتها القانونية الحاكمة، ويحدد إطار الحكم، ويضمن الحقوق والواجبات لكل أفرادها على قدم المساواة، بحيث تكون سلطة التشريع فيه لنواب الشعب، بما يتوافق مع المفهوم الإسلامى الصحيح، حيث لم يعرف الإسلام لا فى تشريعاته ولا حضارته ولا تاريخه ما يعرف فى الثقافات الأخرى بالدولة الدينية الكهنوتية التى تسلطت على الناس، وعانت منها البشرية فى بعض مراحل التاريخ، بل ترك للناس إدارة مجتمعاتهم واختيار الآليات والمؤسسات المحققة لمصالحهم، شريطة أن تكون المبادئ الكلية للشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع، وبما يضمن لأتباع الديانات السماوية الأخرى الاحتمام إلى شرائعهم الدينية فى

قضايا الأحوال الشخصية.

**ثانياً :** اعتماد النظام الديمقراطي، القائم على الانتخاب الحر المباشر، الذى هو الصيغة العصرية لتحقيق مبادئ الشورى الإسلامية، بما يضمنه من تعددية ومن تداول سلمى للسلطة، وتحديد للاختصاصات، ومراقبة للأداء، ومحاسبة للمسؤولين أمام ممثلى الشعب، وتوخى مصالح الناس العامة ومنافعهم المرسله فى جميع التشريعات والقرارات، وإدارة شئون الدولة بالقانون - والقانون وحده - وملاحقة الفساد، وتحقيق الشفافية التامة، وحرية الحصول على المعلومات وتداولها.

**ثالثاً :** الالتزام بمنظومة الحريات الأساسية فى الفكر والرأى، مع الاحترام الكامل لحقوق الإنسان والمرأة والطفل. واعتبار المواطنة وعدم التمييز على أساس من الدين أو النوع أو الجنس أو غير ذلك، مناط التكليف والمسئولية، وتأكيد مبدأ التعددية، واحترام جميع العقائد الدينية السماوية الثلاث.

**رابعاً :** الاحترام التام لأداب الاختلاف وأخلاقيات الحوار، بحيث يتم اجتناب التكفير والتخوين، وتأثير استغلال الدين واستخدامه لبعث الفرقة والتناذب والعداء بين المواطنين، واعتبار الحث على التمييز الدينى والنزعات الطائفية والعنصرية جريمة فى حق الوطن، واعتماد الحوار المتكافئ والاحترام المتبادل، والتعويل عليهما فى التعامل بين فئات الشعب المختلفة، دون أى تفرقة فى الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين.

**خامساً :** تأكيد الالتزام بالمواثيق والقرارات الدولية، والتمسك بالمنجزات الحضارية فى العلاقات الإنسانية، المتوافقة مع التقاليد السمة للثقافة الإسلامية والعربية، والمتسقة مع الخبرة الحضارية الطويلة للشعب المصرى فى عصوره المختلفة، وما قدمه من نماذج فائقة فى التعايش السلمى ونشدان الخير للإنسانية كلها.

**سادساً :** الحرص التام على صيانة كرامة الأمة المصرية، والحفاظ على عزتها الوطنية، وتأكيد الحماية التامة والاحترام الكامل لدور العبادة لأتباع الديانات السماوية الثلاث، وضمان الممارسة الحرة لجميع الشعائر الدينية دون أى معوقات، واحترام جميع مظاهر العبادة بمختلف أشكالها، دون تسفيه لثقافة الشعب أو تشويه لتقاليد الأصيله، وكذلك الحرص التام على صيانة حرية التعبير والإبداع الفنى والأدبى فى إطار منظومة قيمنا الحضارية الثابتة.

فقد اشتملت هذه البنود على مفهوم الدولة الوطنية، وذلك فى البند الأول، ثم على محدداتها، وذلك فى البنود الخمسة التالية، وهى تكاد تقترب فى المعنى من وثيقة المدينة، ولكن بصيغة

عصرية، وباقي بنود الوثيقة استكمال لملاح المرحلة الراهنة والخطوات المنشودة للنهوض بالدولة الجديدة.

### ثانياً : تاريخ ظهور الدولة الوطنية :

إن أول ظهور لمصطلح الدولة الوطنية عملياً وعلى أرض الواقع؛ كان مع تأسيس أول دولة للمسلمين في المدينة، أى أن ظهور هذا المصطلح مرتبط بظهور مصطلح الدولة في الإسلام، حيث يعد أول ظهور لمصطلح الدولة الوطنية في الإسلام (وثيقة المدينة) <sup>(٩)</sup>، تلك التي عاهد فيها النبي ﷺ أهل المدينة بمختلف أطيافهم، على العيش الإنساني المشترك، والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات المشتركة، وبمنظرة فاحصة في مضمون الوثيقة؛ يتبين لنا أنها تؤسس لمجتمع الدولة الوطنية المدنية الحديثة التي تقتضيها طبيعة الزمان والمكان والأحوال في العالم الجديد.

### وثيقة المدينة :

وهي بحق مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية، ومعلم من معالم مجدها الإنساني والسياسي، باعتراف كثير من المؤرخين والمستشرقين وكتاب الغرب <sup>(١٠)</sup>.  
ومما يعزز من قيمة هذه الوثيقة - فيما نحن بصدد - أنها أول دستور مكتوب، يهتم ببيان نظام الحكم في دولة متعددة الألوان والأطياف كما هو الواقع الآن.

### أهم ملاح الدولة الوطنية، وعوامل صمودها:

ونود أن نشير هنا باقتضاب إلى أهم ملاح الدولة الوطنية، والتي هي من عوامل صمودها من خلال هذه الوثيقة، ونشير إلى أن النص الكامل للوثيقة نص طويل، سنقتصر منه على أهم بنوده، تلك التي تحدد ملاح الدولة الوطنية - حسب تصورنا - وهي - أى الوثيقة - على حد تعبير محمد حميد الله، في كتابه "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة" <sup>(١١)</sup>، (دستور الدولة البلدية بالمدينة)، وقد كاد أن يستقصى مصادر ورودها من كتب السنة والسيرة واللغة وغيرها، القديم منها والحديث، وقد رويت بسياقات مختلفة، بعضها طويل، وبعضها مختصر، وبعضها في الصحيحين، وبعضها في السنن والمسانيد والمصنفات والمجامع، وشهرتها تغني عن الكلام في إسنادها.

تبدأ الوثيقة بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم: هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ». ويكفي للدلالة على أن مصطلح الدولة الوطنية ليس مصطلحاً شيطانياً؛ هذه الديباجة البليغة التي تشير إشارة عميقة إلى أن ما ستتضمنه من بنود واتفاقات إنما هو صادر عن مشكاة النبوة، لا عن الرأى والهوى.

وقد اشتملت الوثيقة على كل مبادئ العيش المشترك التي تكفل الأمن المجتمعي والسلامة الكاملة لكافة مواطني الدولة، على اختلاف الديانات والأجناس والأفكار والرؤى، على أساس من المواطنة المجردة فحسب.

### ومن تلك المبادئ :

١- مبدأ التكافل الاجتماعي بين فصائل الشعب الواحد، وهو من أهم مبادئ الدولة الوطنية القوية، حيث تتربط فيه جميع الطوائف والكيانات الصغيرة والكبيرة التي يجمعها الوطن الواحد؛ برباط الاجتماع المشترك:

وهذا المبدأ هو ما تشير إليه هذه الفقرات من الوثيقة: «المهاجرون من قريش على رباعتهم<sup>(١٢)</sup>؛ يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم<sup>(١٣)</sup> بالمعروف والقسط بين المؤمنين». «وبنو عوف على رباعتهم؛ يتعاقلون معاقلمهم الأولى<sup>(١٤)</sup>، وكل طائفة تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين». «وبنو ساعدة على رباعتهم؛ يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين». «وبنو جشم على رباعتهم؛ يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين». «وبنو النبيت على رباعتهم؛ يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين». «وبنو الأوس على رباعتهم؛ يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين»، «وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً<sup>(١٥)</sup> بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل».

٢- مبدأ حرية الاعتقاد، وهو من المبادئ التي تضمن قيام الدولة الوطنية، وتدعم صمودها في وجه النزاعات الدينية، والصراعات الطائفية، التي أضعفت شوكة كثير من الدول في المنطقة العربية، وغيرها من دول العالم؛ فالحفاظ على الحريات الأساسية للإنسان التي على رأسها حرية الاعتقاد؛ من أهم المبادئ التي نادى بها الإسلام، وقامت عليها دولته عبر القرون، كما قال تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ

رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩) .

وهذا المبدأ هو ما أشارت إليه هذه الفقرة من الوثيقة: «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مآلهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم؛ فإنه لا يوتغ<sup>(١٦)</sup> إلا نفسه وأهل بيته».

٣- مبدأ العدالة والمسئولية، ويقوم هذا المبدأ على تحقيق العدالة لجميع أفراد المجتمع،

والانتصار للمظلوم، والانتصاف للمهضوم، من غير تقيد بصفة غير كونه مظلوماً أو مهضوماً، وردع الظالم والمعتدي، من غير تقيد بصفة غير كونه ظالماً أو معتدياً، وأن المسؤولية والجزاء يقعان على صاحب الفعل الاختياري وحده، ولا يسريان إلى جماعته أو طائفته أو من ينتمي إليهم بنوع من الانتماء، أما الفعل الذي قامت عليه موانع الأهلية كالإكراه والخطأ؛ فمن العدل الإسهام في تخفيف العبء عن صاحبه، وهذه كلها معان إسلامية أصيلة، مستودعة في نصوص القرآن والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١)، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٨ - ٤١)، وقوله ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»<sup>(١٧)</sup>.

وجود هذا المبدأ مما يدعم صمود الدولة الوطنية في مواجهة النزعات العرقية، والعصبية القبلية.

وهذا المبدأ هو ما تشير إليه هذه الفقرات من الوثيقة، بمنتهى الوضوح والصرامة: «وإن النصر للمظلوم»، «وإنه لا يأتى امرؤ بحليفه»، «فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته»، «لا يكسب كاسب إلا على نفسه».

٤- مبدأ الاختصاص المالى، فالدولة الوطنية تقوم على احترام الملكيات الفردية، واستقلال الذمم المالية، فيما يختص به كل فرد أو مجموعة وطنية، وليس من حق الدولة أن تصدر هذه الأموال، وتدخلها فى خزانتها، ما دام مصدر كسبها ومورد إنفاقها؛ مشروعاً.

وهذا المبدأ هو ما تشير إليه هذه الفقرة من الوثيقة: «وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم».

٥- مبدأ الدفاع الوطنى المشترك، وهو من أهم مبادئ قيام الدولة الوطنية، ومن عوامل صمودها، ذلك أنه كما يعيش الجميع فى وطن واحد، ويتمتعون فيه بكافة الحقوق العامة المتساوية؛ فإن من واجب الوطن عليهم كما منحهم هذه الحقوق؛ أن يشتركوا جميعاً فى الدفاع عنه بالنفس والمال من غير اختصاص أحد بشيء - على ما شرحناه فى البند السابق - وأن يردوا عنه كل عدوان واقع أو محتمل، وأن يتكاتف الجميع من أجل حماية وطنه، والذود عن ممتلكاته، والتخلف عن هذا الواجب خيانة وطنية منكرة، ونكوص عن القيام بواجب المسؤولية:

وهذا المبدأ هو ما تشير إليه هذه الفقرات من الوثيقة: «وإن بينهم النصر على مَنْ دهم يثرب»، «وإن اليهود يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ»، «وإنه لا تجار قريش ولا مَنْ نصرها».

٦- التحاكم في حالة الاختلاف إلى مرجعية واحدة هي العدالة الإلهية المطلقة، وتحقيق هذا المبدأ يقضى على حالة الشجار والتنازع بين الأفراد والجماعات عند وقوع الخصومات، حيث تختلف الأحكام، وتتضارب الآراء، وهذا يبين مدى حرص الإسلام على القضاء على عوامل الشقاق والنزاع داخل الدولة، عن طريق الاحتكام إلى قانون واضح تتفق عليه سائر الأطياف، وتتراضى عليه جميع الأطراف، وهذا بالطبع في الأمور العامة والمشاركة، أما خصوصيات الأديان؛ فيتم التحاكم فيها إلى ما تقتضيه شريعة كل دين، وقد رفض يهود المدينة التحاكم في بعض الوقائع إلى شريعة المسلمين، وطلبوا أن يتحاكموا إلى شريعتهم، فأنزلهم النبي ﷺ على حكم شريعتهم، فكان موافقا لحكم الإسلام<sup>(١٨)</sup>، وهذا يعنى أن الحق واحد، اتفقت عليه جميع الشرائع والأديان. وهذا المبدأ هو ما تشير إليه هذه الفقرة من الوثيقة: «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو اشتجارٍ يخاف فساده فإن مردّه إلى الله - عز وجل - وإلى محمد رسول الله ﷺ».

٧- حرمة الوطن، على عكس أدبيات بعض الجماعات الإسلامية التي تنظر إلى الأوطان على أنها حفنة من التراب لا قيمة لها، ومن ثم يجوز التنازل عن بعضها، أو التفریط فيها، أو تذويب حدوده، سعياً إلى مفهوم الأمة الواحدة التي لا ترسمها حدود، ولا تحجزها سدود؛ تأتي هذه الوثيقة لتعلن في صراحة لا مواربة فيها، ووضوح لا لبس فيه، أن للأوطان حرمة كحرمة الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهي المقاصد الخمسة التي جاءت الأديان السماوية بضرورة الحفاظ عليها، وأن الحفاظ على الوطن من مقتضيات الحفاظ على هذه المقاصد الخمسة؛ لأنه لا يتحقق الحفاظ عليها إلا إذا كان هناك وطن تعيش فيه، وحرم آمن تأوى إليه، فصارت حرمة الوطن من حرمة الدين نفسه، فلا يجوز الاعتداء عليه، أو الإحداث فيه، من أحد من أبنائه الذين يعيشون فوق أرضه، ويستظلون بسمائه، ويتمتعون بخيراته، وتشمل هذه الحرمة كل الحرمات المتفق على تحريمها بين بنى الإنسان، في جميع الأديان، ما دامت متصلة بالوطن الذي نعيش فيه. وهذا المبدأ هو ما تشير إليه هذه الفقرة من الوثيقة: «يُثْرَبُ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ».

ولعل أحداً يتساءل: إن الحرمة المذكورة في هذه الفقرة خاصة بيثرب (المدينة)، لا تتعداها إلى غيرها من الأوطان، فهي كحرمة مكة، حرمة دينية شرعية؟ والجواب: أن حرمة الأوطان



أيضاً حرمة دينية شرعية، لكنها حرمة عامة، وحرمة مكة والمدينة حرمة خاصة، ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الإسلام لا يحترم الأوطان، لمجرد أنها حفنة من التراب، وإلا لما كانت حروب الإسلام عبر القرون، لاسترداد ما سلب من أوطان المسلمين، بدءاً بفتح مكة وتطهيرها من أيدي المشركين، وانتهاءً بتحرير سيناء من أيدي اليهود الغاصبين.

٨- حماية أهل الذمة والأقليات، وهى من أهم خصائص وسمات الدولة الوطنية وعوامل صمودها؛ فإن الحماية فيها حق مكفول لجميع المواطنين الذين يستظلون بمظلة الوطن الواحد، ويخضعون فيه لسلطان واحد.

وهذا المبدأ تشير إليه هذه الفقرة من الوثيقة: "وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم".

٩- معاقبة الخونة والمفسدين، فمن أهم خصائص الدولة الوطنية أن جميع أبنائها أمناء عليها، مشتركون فى الحفاظ عليها، فأى خيانة أو محاولة للفساد تصدر عن أى أحد - كائناً من كان - يجب التصدى لها بكل قوة وحزم، حتى لو ألجأت الضرورة الدولة إلى حمل السلاح، "وبموجب هذا النص حُكم بالإعدام على مجرمى قريظة - بعد معركة الأحزاب (فى ذى القعدة ٥ هـ / إبريل ٦٢٧ م) - لما تحالفوا مع جيوش الأحزاب الغازية للمدينة، وبغوا وخانوا بقية الفصائل، على الرغم من أنهم أبناء وطن واحد!"<sup>(١٩)</sup>.

وهذا المبدأ تشير إليه هذه الفقرة من الوثيقة: "وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى ظلماً أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم".

١٠- حق الأمن مكفول للجميع، فلا مجال للخوف ما دام المرء يسير على الجادة، ولا قيام لدولة وطنية بدون منح الأمان لكافة مواطنيها، ولا يسقط الحق فى الأمان إلا بموجب إسقاطه. وهذا المبدأ تشير إليه هذه الفقرة من الوثيقة: "إنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول".

وبعد: فلقد كانت وثيقة المدينة أول دستور مدنى لإقامة دولة وطنية، يتساوى فيها الجميع أمام القانون فى الحقوق والواجبات، ويرتبط بعضهم ببعض برباط الإنسانية المشترك، بعقد اجتماعى مسئول، يتساوى الجميع فى إقراره وتنفيذ بنوده، فتختفى الصراعات والعداوات، وتقل حدة الخلاف، وتضيق دائرة التباين، وينعم الجميع بالأمن والاستقرار.

ولعل هذا العقد الاجتماعى الذى تقوم على أساسه الدولة الوطنية؛ هو ما أشار إليه إمام

الحرمين، نقلًا عن بعض العلماء: «لو خلا الزمان عن السلطان فحق على قُطانِ كل بلدة، وسكان كل قرية، أن يقدموا من ذوى الأحلام والنهى وذوى العقول والحجا من يلتزمون امتثال إشاراته وأوامره، وينتهون عن مناهيه ومزاجره؛ فإنهم لو لم يفعلوا ذلك، ترددوا عند إمام المهمات، وتبدلوا عند إضلال الوقعات»<sup>(٢٠)</sup>.

وفى هذا النص إيماء إلى فقه الضرورة، ورد على من يزعمون أنه لا بديل عن فكرة الخلافة، وأنه لا بد من توحيد الدول الإسلامية القطرية تحت راية أمة واحدة، تخضع لسلطان واحد؛ فإن القاعدة الشرعية تقول: «الْمَيْسُورُ لَا يَسْقُطُ بِالْمَعْسُورِ»؛ وهذا يعنى أنه إذا تعسر مفهوم الأمة الواحدة والخليفة الواحد - كما فى زماننا هذا - فإن هذا لا يعنى أن تبقى الأمة - مهما تعددت دولها - من غير ضابط يضبطهم، أو رابط يربطهم، أو نظام يسوسهم، فينتهى الأمر إلى الفوضى والاضطراب، وهو عكس مقصود الشارع من كل وجه!

على أنه يمكن استبدال فكرة التعاون المشترك بين الأمتين العربية والإسلامية بفكرة الخلافة، على النحو الذى بينه الفقيه الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى رحمه الله، وهو ما يقترب كثيرا من مفهوم الدولة الوطنية الذى نتحدث عنه فى الغايات والمقاصد.

ومن ذلك نجد - كما يقول الدكتور شوقى علام مفتى الجمهورية - أن التشريع الإسلامى لم يفرض شكلاً أو مفهوماً خاصاً للدولة، ولم يهتم كثيراً بالأسماء، وإنما نظر إلى ضرورة مراعاة ضوابط ومحددات من شأنها إقامة العدل وتحقيق الأمن والاستقرار والعيش الكريم للإنسان فى وطنه<sup>(٢١)</sup>.

ليست الدولة الوطنية الحديثة إذاً ترفاً فكرياً، بل هى حاجة ملحة، وعامل مساعد فى سبيل تجاوز الكثير من أزمات المنطقة.

**وفى النهاية:** نؤكد ما قاله الدكتور محمد مختار جمعة وزير الأوقاف: "إن جميع العلماء المخلصين الفاقهين يجب أن يعطوا الأولوية القصوى لدعم مشروع الدولة الوطنية، ودعم صمودها فى مواجهة جميع التحديات التى تواجهها، وتهدد وجودها، وأن يدعموها فكرياً، وأن يسخروا جهودهم وأفكارهم وأقلامهم ورسائلهم وأحاديثهم الإعلامية وغير الإعلامية لبيان أن كل ما يقوى ويدعم بناء الدولة الوطنية القوية إنما هو من صميم الدين، وأن أى عمل ينال من كيان الدولة أو يعمل على إضعافها؛ يتناقض غاية التناقض مع كل المبادئ والقيم الدينية والوطنية ويعد خيانة عظمى"<sup>(٢٢)</sup>.

## الهوامش :

- (١) الدولة الوطنية والإسلام، محمد الحمادي، جريدة الاتحاد الإماراتية، الأحد ١٨ من ديسمبر ٢٠١٦ م.  
<http://www.alittihad.ae/columnsdetails.php?category=١&column=٥٩&id=٦٤٨٨٢&y=٢٠١٦>
- (٢) الدولة الوطنية والشرعية الأيدلوجية، سعود عبد الله القحطاني، جريدة الرياض، الخميس ١٧ من ربيع الآخر ١٤٣٩هـ - ٤ من يناير ٢٠١٨ م.  
<http://www.alriyadh.com/١٣٨٢٧>
- (٣) حكاة القرافي في الفروق (٣ / ١٤) ط. عالم الكتب، عن ابن حزم في كتابه (مراتب الإجماع)، وحكى إجماع الأمة عليه.
- (٤) مشروعية الدولة الوطنية، د. محمد مختار جمعة، جريدة اليوم السابع، الإثنين، ١٢ من يونيو ٢٠١٧ م.  
<http://www.youm7.com/story/٢٠١٧/٦/١٢>
- (٥) ينظر : الفصلان الأول والثاني، من الباب الثالث، من الكتاب الأول: (في الدول العامة والملك والخلافة)، من مقدمة ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بتحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط. دار يعرب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.
- (٦) المصدر السابق.
- (٧) ينظر: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل (ص ٢٠٣)، للغزالي، بتحقيق: حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد - بغداد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١ م.
- (٨) الدولة المدنية.. هل تشكل نقيضا للدولة الإسلامية؟ زكي بني رشيد، الأمين العام السابق لجبهة العمل الإسلامي بالأردن، موقع الجزيرة.  
<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/٢٠١٦/١٠/٥>
- (٩) سماها ابن إسحاق وبعض كتاب السير القدماء: (الموادعة)، وسماها بعض المحدثين والمعاصرين: (الوثيقة) أو (الصحيفة)، أو (ميثاق التحالف الإسلامي)، أو (صحيفة المعاهدة بين أهل المدينة)، أو (وثيقة بين المسلمين وغيرهم)، وتسمى أيضا: (دستور المدينة) و(صحيفة المدينة) و(كتاب النبي صلى الله عليه وسلم) و(العهد النبوي)، وكلها أسماء موضوعة لمعنى واحد، "وهو أول دستور مدني متكامل في التاريخ، أرسى قواعد المواطنة، وثبت أركان العدل بين مكونات المجتمع وطوائفه، ونظم العلاقات بينهم؛ لكي يسود التسامح والمحبة، ويدخل الناس في السلم كافة"، وهذه هي صورة الدولة الوطنية الحديثة.
- (١٠) يقول المستشرق الروماني كونستانس جيورجيو: "حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بندا، كلها من رأي رسول الله. خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين، وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهود وعبدة الأوثان. وقد دُون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء. وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، أي عام ٦٢٣م. ولكن في حال مهاجمة المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده". نظرة جديدة في سيرة رسول الله، (ص ١٩٢)، كونستانس جيورجيو، وزير خارجية رومانيا السابق، تعريب د. محمد التونسي، ط. الدار العربية للموسوعات، الأولى ١٩٨٣م. وقد قام الرجل بتحليل بنود هذا

- الدستور - على حد تعبيره - تحليلًا جيدًا، بما يتناسب ونظرة الغرب المنصفة إلى الإسلام.
- (١١) (ص ٥٧)، ط. دار النفائس - بيروت، السادسة - ١٤٠٧هـ.
- (١٢) يقال: القوم على رباعتهم ورباعهم: أي على استقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه. ورباعة الرجل: شأنه وحاله التي هو رابع عليها: أي ثابت مقيم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٨٩) لابن الأثير، بتحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط. المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (١٣) العاني: الأسير.
- (١٤) تفاعل من العقل. والمعائل: الديات، جمع معقلة. يقال: بنو فلان على معاقلم التي كانوا عليها: أي مراتبهم وحالاتهم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٧٩).
- (١٥) هو الذي أثقله الدين والغرم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٢٤).
- (١٦) يوتغ: يهلك. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٤٩).
- (١٧) صحيح البخاري، بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ - ، كِتَابِ الْمَطَالِمِ وَالْغَصْبِ، بَابُ: أَعْنُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، (٣/ ١٢٨) رقم (٢٤٤٤)، من حديث أنس بن مالك ؓ .
- (١٨) هي قصة اليهوديين اللذين زنيا، فأراد النبي ﷺ رجمهما بحكم القرآن، فأبى اليهود إلا حكم التوراة، فكان حكم التوراة الرجم، فرجمهما. والقصة في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.
- (١٩) دستور المدينة.. مفخرة الحضارة الإسلامية، محمد مسعد ياقوت، موقع صيد الفوائد.
- <http://www.saaid.net/mohamed/٢٣٤.htm>
- (٢٠) غياث الأمم في التياث الظلم (ص: ٣٨٧) لإمام الحرمين الجويني، بتحقيق: عبد العظيم الديب، ط. مكتبة إمام الحرمين، الثانية، ١٤٠١هـ .
- (٢١) مفهوم الدولة في الفقه الإسلامي، د. شوقي علام، جريدة الأهرام، الجمعة ٥ من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ - ١٥ من يناير ٢٠١٦م السنة ١٤٠ العدد ٤٧١٥٦.
- (٢٢) واجب العلماء حماية الدولة فكريا ودعم صمودها، د. محمد مختار جمعة، جريدة الوطن، الجمعة ٢٩-١٢-٢٠١٧م.
- <https://www.elwatannews.com/news/details/٢٨٩٤٠١٠>
- <https://www.elwatannews.com/news/details/٢٨٩٤٠١٠>

## الانحراف الفكرى والعقدى وعلاجه فى الإسلام

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الستار الجبالى

الأستاذ المتفرغ بكلية الشريعة والقانون

مصر

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد؛ فيعد التطرف ظاهرة معقدة ومتشابكة، تشترك فى بروزها فى المجتمع عوامل وأسباب عدة؛ حيث تتداخل العوامل الشخصية والنفسية، والسياسية والاقتصادية؛ لتشكل ظاهرة التطرف والإرهاب التى تحقق أهدافها بممارسة العنف والقتل، وتحسم خلافاتها بإلغاء الآخر وإقصائه من الوجود. ولا شك أن الانحراف الفكرى هو الينبوع المفجر لكل المفاصد من الضلالة والإرهاب على مر التاريخ، ومنه تنطلق الأفكار الهدامة والعقائد الباطلة، والتصورات الفاسدة التى تحرك الناس نحو التدمير والتخريب، ولذلك ركزت الآيات القرآنية ثم التربية النبوية على تصحيح التصورات والأفكار حول القضايا الكبرى التى منها الرسالة والأهداف، وتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه، وبينه وبين سائر المخلوقات.

فإذا صلح الفكر والتصور صلح التوجه، وتحرك العمل نحو الهدف المنشود، وإذا فسد الفكر والتصور فسدت العقيدة وأصبح القلب مريضاً، والروح شريرة، والنفس أمارة بالسوء . لذا سيكون بحثى فى هذا المؤتمر المبارك حول: الانحراف الفكرى والعقدى وعلاجه فى الإسلام، سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه إن شاء الله .

## الإرهاب وجدوره

تمثل ظاهرة الإرهاب أهم الإشكاليات التي تواجه العالم في عصرنا الحاضر؛ حيث صارت جزءاً من الحياة اليومية، فلا يكاد يمر يوم دون أن تقع عملية إرهابية بمكان من العالم، وعلى الرغم من المآسى التي عانتها البشرية من جراء الحروب التقليدية إلا أن الجريمة الإرهابية لها وقع مختلف على النفس البشرية، ليس لقدر الدماء التي تراق بسببها، وإنما لنوعية ضحاياها من الأبرياء وأسلوب ارتكابها<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن الإرهاب ظاهرة قديمة تمتد إلى مسافات بعيدة في تاريخ البشرية إلا إنها تتخذ صوراً متعددة طبقاً لتأثير الواقع والبيئة التي تمر بها، وهذا يعطينا دلالة كبيرة على أن الإرهاب ليس مفاجأة القرن الذي نعيشه، وليس قضية مكتشفة حديثاً؛ بل يعد من القضايا الموهلة في القدم، ويمكن لأي فرد في العالم أياً كانت ثقافته، أن يقرأ تاريخاً من الفزع، مارسته مجموعات لا تتحلى بالعدالة واحترام الحقوق، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصة ابني آدم، يقول تعالى: ﴿وَأْتَلُ

عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ

لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿المائدة: ٢٧﴾، وهذه إحدى منظورات الإسلام في

احترام النفس الإنسانية، إذ الإسلام حقيقة ربانية عادلة تقدم الخير للبشرية كلها<sup>(٢)</sup>.  
إننا نعجب أشد العجب إذ نقرأ لبعض أعداء الإسلام تهجماً عليه، واتهاماً له بأنه دين التعصب الماحق للحرية، والإكراه القاضى على الاختيار، والجمود المانع من التطور، إلى غير ذلك من أباطيل طابعها الافتراء والتجاهل والتجني، حيث إنهم خلطوا خطأً قبيحاً بين الإسلام وبعض أتباعه، وزعموا أن ضعف المسلمين نتيجة لدينهم، ومن ثم فليس للدين عندهم حرمة أو تعظيم.

ولا شك أن الإسلام يقتضينا أن نكشف عن بعض مزاياه؛ ليستبين للجاهلين من بعض أتباعه ما في دينهم من سمو وحكمة وسماحة، وصلاحية للتطبيق، ومرونة في مسايرة الزمن؛ حتى يرجع هؤلاء إلى دينهم، ويعتزوا بتشريعه، ويتسلحوا بسلاح بتار يقضون به على كل ما يوجه إلى دينهم من أكاذيب وأباطيل<sup>(٣)</sup>.

### الإرهاب لغته :

معناه الخوف، تقول: رهبه رهباً ورهبةً ورهباً؛ أخافه، وأرهب فلاناً؛ خوفه وفزعه، وجاء في لسان العرب، أرهبه واسترهبه أخافه وفزعه، واسترهبه استدعى رهبته حتى رهبه الناس<sup>(٤)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠) أى تخيفونه.

والرهبة حال عباد الله الصالحين من الأنبياء وغيرهم، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

ومن مرادفات هذه الكلمة: الترويع، والإفزاع، وغير ذلك من الكلمات التى تدل على معنى جامع مشترك بينها.

### الإرهاب اصطلاحاً :

من المعروف أن الإرهاب لم يعد فى عصرنا الحاضر يفهم منه لدى سماعه أو قراءته ذلك المعنى اللغوى الذى سبق ذكره؛ حيث له اصطلاح معروف يطلق على جملة من المصطلحات، مثل: التطرف، والعنف، والأصولية، وغير ذلك من المصطلحات التى شاعت فى الغرب لأسباب تاريخية؛ دينية وسياسية معينة، حتى أصبحت متداولة فيه (٥).

هذا ولا يخفى أن العالم أصبح ينظر إلى الظاهرة الإرهابية، وقيمتها بواقعها المعاصر، بحسب ما تصبو إليه المجموعات الإرهابية عادة من أهداف، وما تعتمد من وسائل، فقد تكون الأهداف سياسية، وقد تكون فكرية، وقد تكون لشفاء حقد ديني، كما تفعل بعض الجماعات المتطرفة ضد المسلمين أو الأقباط، ويذكر بعض الباحثين أن للإرهاب أهدافا اقتصادية تتمثل فى مواجهة المتغيرات الاقتصادية الخطيرة التى أصبحت ملامحها بادية فى العالم من نفوذ أصحاب المال والتجارة والقنوات المفتوحة، وفى تحكمهم بأزمة الأمور (٦).

والوسائل فى تحقيق تلك المفاهيم المضطربة والخاطئة لدى الإرهابى تتمثل فى خطف الطائرات، واغتيال الزعماء، واختطاف الأشخاص، وتفجير المنشآت الحيوية والمباني التجارية والحكومية، وقتل رجال الشرطة، والسطو على المحلات التجارية أو نهبها جهارا نهاراً، وكل ذلك جهلاً منه وظلماً وعدواناً.

ويبدو لدى المتأمل فى الأسباب والأهداف التى يرتبط بها الإرهاب أن هذه الجريمة أصبحت من الخطورة بمكان؛ حيث تعدت الاعتداء على بعض الأفراد إلى التأثير فى العلاقات الدولية بما تحدثه من أضرار بمصالح دولة ما فى دولة أخرى، الأمر الذى يجعلنا نصنفها بأنها جريمة دولية فى بعض صورها، وتخضع فى تلك الجوانب للقانون الدولى، سواء فى تشخيصها أو فى تحديد عقوبتها؛ لذا كان من الأهمية وضع التعريف المناسب لهذه الجريمة لدى رجال القانون الدولى، حيث يشخصون عناصرها تشخيصاً وافياً، ويميزونها عن المقاومات التى تواجه بها الشعوب المظلومة أعداءها من الغاصبين لدفع عدوانهم وإيقافهم عند حدود الإنصاف والعدل، لكن يبدو أن القانون قد

أخفق فى تحقيق هذا الغرض؛ حيث لم يستطع الفقه الدولى أن ينجح فى كشف طبيعة هذه الظاهرة ، حتى أصبح الاتفاق على تعريف موحد للإرهاب أمراً مستحيلاً<sup>(٧)</sup>، لذا فقد أحسنت رابطة العالم الإسلامى صنغاً عندما أصدر مجمعها الفقهى تعريفاً للإرهاب فى دورته السادسة عشرة التى عقدت فى عام شوال ١٤٢٢ هجرىاً ، وهذا نصه: " الإرهاب هو العدوان الذى تمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان، دينه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية، وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى، فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأماك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر، فكل هذا من صور الفساد فى الأرض التى نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين، عنها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ( القصص: ٧٧).

ويؤكد هذا التعريف ما صدر عن مجلس وزراء الداخلية العرب من تعريف للإرهاب سنة ١٩٩٨م، وهذا نصه: ( كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيًا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة، أو الخاصة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر)<sup>(٨)</sup>.

ويبدو لدى المتأمل أن حقيقة الإرهاب تدور على معنى الرعب والترويع الذى يقع فى النفوس من جراء أعمال العنف أو التهديد بها، وهذا الهدف النفسى مقصود من الإرهابيين للإشعار بقوتهم وضرورة الاستجابة لمطالبهم، جهلاً وافتراءً، وذلك بواسطة الضغط على الجهة التى تتوجه إليها المسئولية عن الأمن العام<sup>(٩)</sup>.



## الانحراف الفكري

إن مما ابتليت به الأمة الإسلامية اليوم، قضية العنف والغلو والتطرف التي عصفت زوابعها بأذهان البسطاء من الأمة وجهالها، وافتتن بها أهل الأهواء الذين زاغت قلوبهم عن اتباع الحق، فكانت النتيجة الحتمية أن وقع الاختلاف بين أهل الأهواء، وافترقوا إلى فرق متنازعة متناحرة، همُّها الأُوحد إرغام خصومها على اعتناق آرائها بأى وسيلة كانت، فراح بعضهم يصدر أحكاماً ويفعل إجراماً، يفجرون ويكفرون ويعيثون في الأرض فساداً، ويظهر فيهم العنف والتطرف إفراطاً وتفريطاً، ولعمر الله إنها فتنة عمياء تستوجب وتستدعى التفكير في الكشف عن جذورها في حياة المسلمين المعاصرين ، وهذا يعد من أهم عوامل التخلص من الخلل الذي أتقل كاهل الأمة وأضعف قوتها وفرق كلمتها.

إن الحقيقة التي لا مرء فيها أن لكل شيء في هذا العالم مقداراً قدره الله تعالى بعلمه وحكمته، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (الرعد: ٨). أي: لا إفراط ولا تفريط في خلق الله، كما ورد أن إعرابياً قال للحسن البصرى رحمه الله: " يا أبا سعيد علمنى ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً ولا ساقطاً سقوطاً - أى ديناً متوسطاً لا يتقدم بالغلو ولا متأخراً بالتلو، قال له الحسن : أحسنت يا أعرابي، خير الأمور أوسطها<sup>(١٠)</sup>.

إن الإرهاب والتطرف والعنف لم يأت اعتباراً ولم ينشأ جزافاً؛ بل له أسبابه ودواعيه، ومعرفة السبب غاية في الأهمية، فلا علاج إلا بعد تشخيص، ولا تشخيص إلا ببيان السبب أو الأسباب، فما هذه الأسباب والبواعث التي أدت إلى هذا الفكر الضال؟!!

إن أسباب نشأة هذا الفكر متعددة ومتنوعة ، فقد يكون مرجع هذا الفكر لأسباب فكرية أو نفسية أو سياسية أو اجتماعية، أو يكون الباعث عليه دوافع اقتصادية وتربوية... إلخ، وبالنظرة الشاملة المتوازنة نستطيع أن نجزم بأن الظاهرة التي أمامنا ظاهرة مركبة معقدة، وأسبابها متداخلة<sup>(١١)</sup>، إلا إننا سنكتفى بالتعريج على ظاهرة الانحراف الفكرى تاركين المجال لغيرنا من الأساتذة المشاركين في هذا المؤتمر .

## ماهية الانحراف الفكرى

إنه مما لا شك فيه أن الانحراف الفكرى يعد من أكبر البلايا والمفاسد فى المجتمع؛ إذ هو ينبوع المفجر لكل المفاسد من الضلالة والإرهاب على مر التاريخ، ومنه تنطلق الأفكار الهدامة والعقائد الباطلة التى تعرض على التدمير والتخريب، ولذلك تصافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على تصحيح هذه الأفكار الهدامة التى من شأنها إفساد العلاقة بين الإنسان وربه، وبينه وبين سائر المخلوقات.

**الانحراف فى اللغة:** الانحراف مصدر انحرف بمعنى مال عن الاعتدال ، وأصله من حرف عنه، أي: مال وعدل عنه، وفى المعجم الوسيط<sup>(١٢)</sup> حرف الشىء : أماله ، وحرف الكلام: غيره وحرفه عن معانيه ، وفى القرآن الكريم : ﴿ **مُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ ( المائدة: ١٣).

**والفكر فى اللغة :** يعنى إعمال العقل، وفى المعجم الوجيز : فكر فى الأمر: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم؛ ليصل به إلى مجهول ، والتفكير : إعمال العقل فى مشكلة للتوصل إلى حلها، والفكر جملة النشاط الذهني<sup>(١٣)</sup>.

**والفكر فى الاصطلاح :** لا يخرج عن المعانى السابقة التى تعنى إعمال العقل للوصول إلى معرفة مجهول أو حل مشكلة، وعملية التفكير تختلف من شخص إلى شخص أو من جماعة إلى جماعة. ولا شك أن المعنى المطلوب بيانه فى هذه الورقة بصفة خاصة والمؤتمر الذى نحن بصدد بصفة عامة - هو توضيح كل ما يؤدي إلى ميل العقل عن الحق، ولاسيما فى مجال الإرهاب والغلو والتطرف .

**أنواع الانحراف الفكرى:** إن كل ما يؤدي إلى ميل العقل هو انحراف فكرى، ويشمل الانحراف العقدي بمعناه الواسع الذى يضم: الإلحاد، والارتداد، والشرك، وهذا لا مجال للكلام فيه الآن، كما يشمل الانحراف الخلقى والسلوكى الذى لم يكفر صاحبه، ما دام أنه لم يشرك بالله، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ (النساء: ٤٨) .

وهذا هو الانحراف الفكرى الذى ينتج عنه تكفير المسلمين بغير حق ، واستحلال دمائهم ، وإتلاف أموالهم ، وإشاعة الفوضى والرعب فى ديارهم، هو الانحراف عن المنهج الوسط، والغلو المرتبط بالجماعات المتطرفة التى عاثت فى الأرض فساداً، فذبحت وقتلت من المسلمين الكثير والكثير، ولم تتورع عن التفجيرات التى تؤدى بقتل المئات من المصلين الركع السجود التى كان آخرها ما حدث فى مسجد الروضة ببئر العبد، وهذا النوع هو الذى نريد أن نخرج عليه فى عجلة نظراً لاتساعه وضيق المقام عن الكلام فى كل ما يتعلق به، ومن ثم يقتصر على الأهم منه .

## أسباب الانحراف الفكري

قد اختلفت وجهات نظر الباحثين في أسباب الانحراف الفكري، فمنهم من يرجعها إلى أسباب اقتصادية من الفقر والبطالة، ومنهم من يرجعها إلى أسباب تربوية أو نفسية أو اجتماعية أو نحو ذلك، فهي في مجموعها أسباب كثيرة ومتداخلة، وكلها تسهم في إنتاجه بنسب متفاوتة، لذا لا ينبغي الوقوف عند بعض منها، بل لابد من دراستها دراسة شاملة، وعليه يمكن تقسيم هذه الأسباب إلى قسمين: أسباب داخلية، وأخرى خارجية .

أولاً : الأسباب الداخلية (١٤):

تتمثل الأسباب الداخلية في عدة مجالات:

١- الجهل بقواعد الإسلام وآدابه وسلوكه ؛ إن من علامات الساعة أن يتحدث الرويضة في شأن العامة، والقضايا المصيرية، ومن لا هم له إلا شهواته، أو من حُمِّلَ بأفكار غريبة يتولى تربية الشباب عليها، فيستغل عواطفهم بتحميلهم أفكاراً تؤدي لتحمسهم بلا ضابط أو رادع، ولا رجوع لأهل العلم الصالحين الذين خبروا الأمور ودرسوا معالم الإصلاح جيداً، ولا نجد تعليلاً لذلك إلا الجهل، فالجهل داء عظيم وشر مستطير تنبعث منه كل فتنة عمياء وشر وبلاء، حيث جاء في الحديث الذي يندد بالفتوى بغير علم: "ألا سألوا إذا لم يعلموا ، فإنما دواء العي السؤال " (١٥)، وذلك أن الجاهل ينتهج طرقاً يظنها حسنة، فيسيء من حيث أراد الإحسان ، فيترتب على ذلك مفاسد عظيمة (١٦)، وقد نبه الحديث الصحيح إلى ذلك، قال ﷺ : " لا يقبض الله العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذ لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (١٧).

ويدخل في هذا الباب :

أ - الأخذ بشكل النص وظاهره دون مقاصده وعلله ومآلاته، ومن ثم عدم التفقه في النصوص الشرعية، مع أن رعاية المآلات معتبرة في الشريعة باتفاق الراسخين في العلم، ومما يدل على ذلك أن رسول الله ﷺ لم يقتل رأس المنافقين وعلل ذلك بقوله ﷺ : " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " .

ب- ضعف المعرفة بالتاريخ، وعدم الفقه بسنن النصر والهزيمة، والجهل بسنن الكون والحياة والأمة ، وسنة التدرج أي الوقت المناسب.

ج- اتباع المتشابهات وترك المحكمات، والتباس المفاهيم، والاشتغال بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى، وفي هذا المعنى يقول عمر ﷺ : " سيأتى أناس يأخذونكم بشبهات القرآن فخذوهم

بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

د- الاعتماد على بعض الآيات أو الأحاديث وترك ما سواها، مع أن منهج السلف هو جمع الأدلة كلها ، ثم استخراج الحكم منها ، فقد ورد بسند صحيح أن رسول الله ﷺ : " سمع جماعة من الصحابة تماروا في آية من القرآن الكريم حتى ارتفعت أصواتهم ، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً ، وقد احمر وجهه، يرميهم بالتراب ويقول: " مهلاً يا قوم ، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم به فردوه إلى عالمه" (١٨) (١٩).

٢- الجهل بعقيدة أهل السنة والجماعة؛ وذلك أن عقيدة أهل السنة هي الحارس بإذن الله من كل انحراف؛ لأنها هي الصراط المستقيم والمنهج القويم، وأساس هذه العقيدة تحقيق التوحيد، ومن حقق التوحيد فأسلم حقاً سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومن آمن حقاً آمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، فلا يقرب شيئاً منها إلا بحق.

لقد كانت جزيرة العرب في الجاهلية تموج بوحوش بشرية تقتل وتسرق ، وتظلم بلا رادع من دين أو سلطان، فجاء الله بالإسلام، فجعل منهم إخوة متحابين متآلفين، وإذا بذلك الخوف ينقلب بفضل الله أمناً وسكناً، حتى كانت المرأة تسافر من شرقها إلى غربها لا تخاف إلا الله، قال عدي بن حاتم الطائي: بينما أنا وسكوناً، حتى كانت المرأة تسافر من شرقها إلى غربها لا تخاف إلا الله، قال عدي بن حاتم الطائي: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذا أتاه رجل، فشكا إليه قطع السبيل، فقال يا عدي: هل رأيت الحيرة ؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: " فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله"....." (٢٠).

فإذا درس الشباب عقيدة أهل السنة والجماعة ، دراسة حقيقية لا تحريف فيها ولا تزييف، وفهموا نصوصها؛ كان ذلك بإذن الله عصمة لهم من كل فتنة؛ فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون المسلم بذنوب ما لم يستحلها، فالمسلم إذا شرب الخمر أو زنا أو سرق أو قتل أو أكل الربا، نقص إيمانه نقصاً عظيماً لا شك، ولكنه لا يكفر بذلك، وإذا مات قبل أن يتوب فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء أدخله الجنة بعد أن يمسه العذاب .

ولو نظرنا اليوم إلى كثير من هؤلاء المنحرفين فإذا بهم يخالفون هذا الأصل من أصول أهل السنة ، فيكفرون المسلمين بغير مكفر ، ويفارقون الجماعة بشبهات واهية ، وآراء فاسدة ، لا تنتهز لمعارضة نصوص الكتاب والسنة .

٣- الجهل بمقاصد الشريعة، ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الرمية حيث وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، أي أنهم لا يتفقهون

حتى يصل إلى قلوبهم ، لأن الفهم راجع إلى القلب (٢١).

ويؤكد على هذا المعنى ما روى عن إبراهيم التيمي ، قال : خلا عمر ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه ، كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحد ، وقبلتها واحدة ، فأرسل إلى ابن عباس - رضى الله عنهما- فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحد وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيما أنزل وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن، ولا يدرون فيما نزل ، فيكون لهم فيه رأى ، وإذا كان لهم فيه رأى اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا " (٢٢).

ولا شك أن ما قاله ابن عباس - رضى الله عنهما- هو الحق ، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية والسورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها ووقف عند حدودها ، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجهًا، وليس لديهم من الرسوخ فى العلم ما يهد بهم إلى الصواب ، فلم يكن بد من الأخذ ببادى الرأى ، أو التأويل بالتخرص الذى لا يغنى من الحق شيئًا؛ إذ لا دليل عليه من الشريعة ، فضلوا وأضلوا (٢٣).

٤- التربية الدينية الخاطئة؛ فإن من يتصفح فكر تلك الجماعات المتطرفة فى عجلة يدرك بسهولة أنها قد اتفقت فى أصولها على قضية التكفير لعامة المسلمين؛ حيث استحلال الدماء والأموال مرورًا إلى التفجير والتدمير، ولا شك أن السبب الأساسى لذلك هو التربية الدينية المبنية على أسس خاطئة من الإفراط والتفريط، والبيئة الحاضنة التى لها دور فى نشأة الإنسان سلبيًا وإيجابًا.

وجدير بالذكر أن نتيقن بأن تغيير البيئة الحاضنة للكفر والضلال والفساد والشور إلى البيئة الحاضنة والمربية للخير والهداية والمنهج الوسط يحتاج إلى جهد كبير، ومنهج سليم، ورؤية واضحة، ورجال صادقين مخلصين مضحين، عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ

وَالِ ﴿الرعد: ١١﴾.

٥- البطالة؛ لا شك أن البطالة لدى فئة الشباب خاصة، سواء كانت بطالة حقيقية أم بطالة مقنعة، قد تسهم فى تولد الشعور بالعجز واليأس من ناحية وبالإحباط من ناحية أخرى، إلى جانب شعور هؤلاء الشباب بأنهم ليس لديهم ما يغيرونه أو يحافظون عليه بالاستمرار فى الحياة، وهذا الأمر مترابط مع جهات أو جماعات مستعدة لتقديم أموال كثيرة مقابل أعمال يستشعر معها الشباب واهمين أنهم يقومون بعمل ما، وإن كانت ذات طابع عنيف أو دموي، ولكنها بالنسبة إليهم وجهلاً

منهم أعمال هادفة تستحق الجهد المبذول فيها، فالشباب الذى لا يجد فرصة عمل يكون هدفًا سهلاً لمختلف الاتجاهات المتطرفة دينياً، أو سياسياً، أو عصابات النصب والاحتيال والسطو المسلح<sup>(٢٤)</sup>.

٦- **الغلو فى الفكر**؛ وهو مجاوزة الحد ، وهذا الغلو أو ما قد يصطلح عليه بالتطرف خطير جدا فى أى مجال من المجالات، والإسلام قد حذر منه حتى ولو كان بلباس الدين، عملاً بقول النبى ﷺ : " **إياكم والغلو** " <sup>(٢٥)</sup> وقوله ﷺ : " **هلك المتنطعون** " <sup>(٢٦)</sup> فمن يتصف بهذا الغلو يجاوز الحد فى فهم النصوص ، فيعمل ويعتقد فى العموميات ويترك النصوص التفصيلية الأخرى، وهذا شعار الخوارج الذى يعملون بالنصوص العامة، ويهملون باقى النصوص دون استقصاء للدليل <sup>(٢٧)</sup>.

ومن دلائل هذه الضحالة الفكرية الميل دائماً إلى التضييق والتشدد، والإسراف فى القول بالتحريم ، وعدم الرسوخ فى فقه الدين، وتوسيع دائرة المحرمات، وحسبنا قوله تعالى:

﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ**

**الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴾ (النحل: ١١٦).

ومن أكبر الأدلة على عدم الرسوخ فى العلم وضعف البصيرة، اشتغال عدد من هؤلاء بكثير من المسائل الجزئية والأمور الفرعية عن القضايا الكبرى، فى الوقت الذى تزحف العلمانية المتجردة من الدين وتنتشر الماركسية الإلحادية، وتعرض الأقطار الإسلامية لغارات يراد بها محو شخصيتها التاريخية، وسلخها من ذاتيتها الإسلامية، وفى الوقت الذى يذبح فيه المسلمون فى أنحاء متفرقة من الأرض، ويضطهد الدعاة الصادقون إلى الإسلام فى بقاع شتى، فإذا كان فى الفقه رأيان : أحدهما يقول بالإباحة، والآخر بالتحريم، جنحوا إلى التحريم، فهم دائماً مع التشديد، والدين براء من كل هذا<sup>(٢٨)</sup>.

٧- **الانقسامات الفكرية الحادة بين تيارات مختلفة**؛ ومرجع هذا هو الجهل بالدين، والبعد

عن التمسك بتوجيهات الإسلام، ومن أبرز التيارات المعاصرة :

أ- تيار علمانى يدعو إلى بناء الحياة على أساس دنيوي، وغير مرتبط بالأصول الشرعية أو بالتقاليد والعادات الاجتماعية الأصيلة؛ إذ هى من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه عوائق فى طريق التقدم والانطلاق نحو الحضارة .

ب- تيار دينى متطرف : يعارض المدنية الحديثة ، وكل ما يتصل بالتقدم الحضارى ، فهى من وجهة نظرهم ليست إلا فساداً فى الأخلاق ، وتفككاً فى الأسر، وجموداً فى العلاقات الاجتماعية .

٨- تشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ إن دين الإسلام دين العدالة والكرامة والحكمة والوسطية ، دين يقوم على رعاية المصالح ودرء المفساد، ولا شك أن أفعال المنتسبين إلى الدين تنسب عادة إليه ، ومن ثم إذا غلا المسلم في دينه، فشدد على نفسه وعلى الناس نسب الناس ذلك إلى دينه، فصار فعله ذريعة للقدح في الدين وفتح الأبواب للطعن فيه، وتجراً للناس على أقوال وأفعال لم يكونوا ليجرؤوا عليها لولا وجود الغلو والغلاة .

٩- ضآلة الاهتمام بالتفكير الناقد والحوار البناء من قبل المربين والمؤسسات التربوية؛ فالاهتمام بالعقول يتطلب إعطاء أهمية للحوار الفكرى مع الآخر، وهذا لا يتحقق إلا بتغيير السياسة فى المدارس التى تقوم على التلقين وحشو مواد الدراسة<sup>(٢٩)</sup>.

١٠- اعتماد الشباب بعضهم على بعض دون الرجوع إلى العلماء، وفى هذا المعنى يقول ابن مسعود رضي الله عنه: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن أمنائهم وعلمائهم ، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا " <sup>(٣٠)</sup> وقال ابن قتيبة فى تفسير ذلك : " لا يزال الناس بخير ما كان علماءهم المشايخ ولم يكن علماءهم الأحداث؛ لأن الشيخ قد زالت عنه حدة الشباب ومتعته وعجلته واستصحب التجربة فى أمورهم، فلا تدخل عليه فى علمه الشبه، ولا يستميله الهوى، ولا يستزله الشيطان، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التى أمنت على الشيخ، ويؤكد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه المعانى بقوله : " إن من أشراط الساعة أن يلتبس العلم عند الأصاغر " <sup>(٣١)</sup>.

ويدخل فى هذا الاعتماد على الكتب دون القراءة على العلماء، وفى هذا المعنى يقول الشافعي: "من تفقه فى بطون الكتب ضيع الأحكام، ومن كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه" <sup>(٣٢)</sup>، وقد أدى ذلك إلى ضعف البصيرة عند هؤلاء ، وهذا ما جعلهم لا يسمعون لمن يخالفهم فى رأى، ولا يقبلون الحوار معه، وهذا ما جعل علماء السلف يحذرون من تلقى العلم عن هذا النوع من المتعلمين، ويقولون: لا تأخذوا القرآن من مصحفى ولا العلم من صحفى، ويعنون بالمصحفى الذى حفظ القرآن من المصحف فحسب دون أن يتلقاه بالمشافهة من شيوخه وقرائه المتقنين ، والإسلام جامع غير مفرق، وموحد غير مشتت ، فكل من خالف الإسلام فى جمع الأمة وتوحيدها فى دعوته انحرف " <sup>(٣٣)</sup>.

ومن المؤسف أن هؤلاء قد ابتعدوا عن علماء الشريعة الراسخين فى العلم الذين عرفوا بالنصح للأمة ، بسبب دعايات مغرضة؛ من أئمة التطرف والإرهاب، ولا شك أن سوء الظن بأهل العلم الذين هم مرجع الناس فى معرفة دينهم من علامة الخسران والخذلان، لاسيما إذا كان هذا الظن السيء قد يلطخ به الشباب فى مقتبل عمرهم، الذى هو سن الطلب والتلقى ومرحلة الحماس

الذى إن لم يكبح بكوابح الشريعة كان وبالاً عليه وعلى أمتة .

### ثانياً: الأسباب الخارجية:

وأما الأسباب الخارجية للانحراف الفكرى فتكمن فى عدة أمور، منها:

- ١- غرابة الإسلام فى بعض ديار الإسلام؛ فيتجه بعض الشباب ممن ينتسبون إلى الإسلام إذا لم يكن لديهم الفقه المكين نحو التشدد وتكفير المجتمع .
- ٢- الهجوم العلنى على الإسلام ، وإعلان الحرب ضده من جهات متعددة .
- ٣- الكيان الصهيونى واحتلاله قبلة المسلمين الأولى من أهم أسباب الانحراف الفكرى؛ حيث أدى هذا الاحتلال إلى انفجار الوضع فى فلسطين التى كانت أهلة بسكانها، فنشب الصراع الدموى بين الطرفين، وإنه مما لا ريب فيه أنه لا يوجد وسيلة لتمزيق الأمة أخطر من الانحراف الفكرى ، ولذلك يبذل الاحتلال كل جهد لتحقيق هذا الهدف الخطير .



## آثار الانحراف الفكري

لما كان الانحراف الفكري هو الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والتقاليد والأعراف والنظم الاجتماعية السائدة؛ لذا فقد تعددت آثاره على النحو التالي :

### ١- أثر الانحراف الفكري على الأمن الاجتماعي :

#### أ- إثارة الفتن :

التفكير المنحرف والأعوج هو تفكير يتميز بالشر والمكيدة ، ويقوم على إثارة الأكاذيب والمكر والوقيعه بين الناس، فغالبًا ما يسعى الفكر المنحرف إلى إثارة الجدل والفتن بما يحويه ويطرحة من مسائل خلافية جدلية لم يستقر عليها رأي، ولم يتفق عليها اتجاه، فتتسع دائرة الخلاف وتضيق دائرة الاتفاق بين الأفراد والجماعات، وينعكس كل ذلك على استقرار المجتمع وأمنه<sup>(٣٤)</sup>.

#### ب- التضليل والتغريب بالنشء :

من مخاطر الانحراف الفكري على الأمن الاجتماعي استهداف أصحاب الفكر المنحرف في الدين الشباب، واستغلال حماسهم وطاقتهم في تحقيق مآرب غير شرعية، فمن الملاحظ أن كثيرًا من الذين يقومون ببعض أعمال العنف والإرهاب هم شباب صغار السن، لم تتضح عقولهم ولم تكتمل ملكاتهم الفكرية ، وكل ما يمتلكونه من رصيد هو مجرد عواطف جياشة لخدمة الدين، فلا يوقفون للتعبير عن ذلك أو السير به إلى المسار الصحيح؛ إذ تصبح حماسهم متقدمة كثيرًا على تحصيلهم العلمي والشرعي، فيقع كثير منهم في أخطاء فكرية ومنهجية، وقد يجدون من يغرر بهم، ويستغل قلة علمهم، فيتتربس بهم، ويقامر بحياتهم.

ويبدأ التضليل والتغريب بهم من قبل بعض الجماعات المنحرفة لتحويلهم إلى أدوات تستخدم ضد المجتمع، عبر المراحل التالية :

مرحلة اصطيد الضحية عن طريق شخص مدرب لهذا العمل.

مرحلة التأثير من خلال نقاط الضعف؛ فقر، أو تعليم ضعيف، أو اضطراب نفسي.

مرحلة زراعة الأفكار التخريبية داخلهم من خلال عدة عوامل .

مرحلة التوجيه للتورط في العمليات الانحرافية والإرهابية ، وفي تلك المرحلة يكون الفرد قد تشبع فكريًا واجتماعيًا وتوحد كليًا مع تلك الجماعة التي أصبح يعتمد عليها اعتمادًا كليًا في حياته النفسية والاجتماعية، بحيث يصعب عليه أن يرفض أي طلب يطلب منه .

#### ج- شيوع الجريمة :

إن استخدام العقل في أعمال الشر والضرر للآخرين يعد انحرافًا فكريًا عن طريق الخير

والعدل والحق، وفيه إضرار خطير على أمن الإنسان والدولة، فمثلاً يستخدم بعض الأفراد الخداع والغش والكذب لتحقيق أغراضهم، والحصول على منفعة عن طريق تشويه الحقائق وتحريفها، مثل: جرائم النصب والاحتيال والتزوير واستغلال ثغرات القانون .

#### د- انتهاك الحقوق :

ويتمثل هذا الانتهاك لحقوق الغير بالاعتداء على ممتلكاتهم أو حرياتهم بدون سبب قانوني .

#### ٢- أثر الانحراف الفكري على الأمن الفكري والعقائدي<sup>(٣٥)</sup>:

##### أ- إثارة الشبهات :

تجد أصحاب الفكر المنحرف في فهم الدين الإسلامي الصحيح يقتحمون الأمور الدينية دون رسوخ علم أو بيئة جلية، فيوسعون دائرة المنكرات والمحرمات، ويحكمون على الآخرين أحكاماً خطيرة في أنفسهم وعقائدهم ، ويثيرون شبهات دون أدلة واعتبارات .

##### ب- إخراج النصوص الشرعية عن سياقها :

يختلف العلماء في تفسير النصوص الشرعية تبعاً لنوعية الأصول التي يستند إليها العلماء أصحاب كل اتجاه، فهناك الاتجاه الذي يعتمد على ألفاظ النصوص وحرفيتها، وهناك الاتجاه الذي يتحرى مقاصد الخطاب ومراميه، وقد ظهر الانحراف الفكري الديني عند الأفراد والجماعات من خلال نقص الإمام بأصول وقواعد التفسير ، واعتمادهم على منهج حرفي في فهم وتفسير النصوص، وانتقاء آيات وأحاديث معينة والتمسك المطلق بحرفيتها دون التفات إلى المقاصد العامة للشريعة، أو معرفة بأسباب النزول وأدوات الاستدلال الفقهية، وزعمهم أنهم يتصلون مباشرة بالقرآن دون حاجة للاستئناس بآراء الفقهاء، فضلاً على افتقارهم لشروط الاجتهاد، ومحدودية وعيهم بالتراث والواقع المعاصر بظروفه وملابساته، وعدم إمامهم بالقطعي والظني في الدلالة<sup>(٣٦)</sup>.

##### ج - عدم تقدير المصلحة ودرء المفسدة :

الواقع يشهد بأن الدماء المهجرة والمعارك الطاحنة لم تجلب مصلحة تذكر، بل ترتب عليها عشرات المفاسد، وقد استغل الأعداء هذه الفتنة والدماء التي سالت من أبناء دين واحد؛ لكي يشوهوا صورة هذا الدين ، ويصفوه بالدموية والإرهاب، حتى صار المسلم في الخارج رمزاً للإرهاب والدموية.

##### د- اتباع المتشابهات والإعراض عن المحكمات :

من الشبهات التي يقوم عليها أصحاب الانحراف الفكري الديني شبهة اتباع المتشابهات من النصوص، وترك المحكمات البيّنات ، معرضين عن المحكمات، وهي التي منها القول الفصل والحكم العدل، وهذه الشبهة تعبر عن سلوك لا يصدر من راسخ في العلم، وإنما هو شأن الذين في

قلوبهم زيغ، وقد حذر الله من هذا الصنف من الناس ، فقال عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ( آل عمران: ٧).

#### هـ - الخلط بين الانتحار والاستشهاد :

تقدم بعض الجماعات المتطرفة دينياً أدلة وبراهين مغلوبة على أن ما يقوم به أفرادها من عمليات تفجير وتدمير هي عمليات مشروعة يقصد بها هزيمة العدو وتكبيده خسائر فى الأرواح والممتلكات، ويدافعون بالباطل عن الذين يقومون بهذه العمليات عن طريق تفجير أنفسهم، ويدّعون أن ذلك من الاستشهاد فى سبيل الله، افتراءً وتلبيساً، والحق أن ما تقوم به تلك الجماعات للمرء هو انتحار صريح وإلقاء للنفس بالتهلكة ، دون منفعة محققة للمسلمين أو للمرء نفسه .

#### و - تحريف المفاهيم والمعتقدات :

إن الفهم الخاطئ للشريعة الإسلامية ومقاصدها السامية ، هو انحراف فكرى عن المنهج العقلى السليم ، وتنتضح آثار هذه الفهم الخاطئ فى التباس المفاهيم وقلب المقاصد وتحريف النصوص ، ويتضح ذلك فى الحروب الكلامية بين أفراد المجتمع تجاه بعض القضايا الاجتماعية، مثل: قضايا الولاء والبراء ، والشرك والتوسل ، والجهاد والإرهاب ... إلخ .

#### ز - الإفتاء بغير علم شرعى :

من مخاطر الانحراف الفكرى على الأمن العقائدي، التجرؤ على أحكام الدين بإصدار فتاوى التكفير، والتحليل والتحریم، والخوض جهلاً فى مسائل العهد والأمان والذمة، دون معرفة كافية لمراتب الأحكام أو مراتب الناس، تعسفاً فى فهم النصوص، ومخالفة لما أجمعت عليه الأمة .

#### هـ - تكفير المجتمع :

يؤمن أصحاب الفكر المنحرف بامتلاكهم الحقيقة المطلقة ، وتعذر تعايشهم مع الآخرين ، وتضيق صدورهم بالرأى المخالف إلى الحد الذى قد يدعوهم إلى استبعاد صاحبه وتصفيته ، فمن أخطر آثار الانحراف الفكرى (٣٧) هو السقوط فى هاوية تكفير الآخرين ، واستباحة دمائهم وأموالهم، وهو ما وقع فيه الخوارج فى فجر الإسلام الذين كانوا أشد الناس تمسكاً بالعبادة، حيث وصفهم النبى ﷺ بقوله: " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم " (٣٨).

ومن الآثار الخطيرة للتكفير أنه قد يؤدى فى ظل الانفعال إلى الإلحاد والكراهية العميقة، وإلى سلوك العنف الذى يتمثل فى العدوان الجسمانى على الطرف الثانى، وهى المرحلة النهائية للانحراف الفكرى المتطرف بين الجماعات، وتشمل: الإبادة الجماعية أو الإعدام دون محاكمة قانونية(٣٩).

## الوقاية والعلاج

إن العلاج الناجح للانحراف الفكري - كأى مرض - يكمن فى علاج أسبابه علاجاً شاملاً من خلال ما يأتي:

١- عدم تبرير الجريمة أيًا كان شكلها ومنفذوها، وعليه فالدعوة لتجفيف منابع الإرهاب يجب أن تنطبق على ممارسات الدول العظمى إزاء دول العالم الضعيفة، وذلك لأننا لو أبقينا منهج تبرير الجريمة فسوف نعمق أصل الإرهاب؛ بل ونعطيهِ صبغة شرعية (٤٠).

٢- إصلاح داخل الأسرة، حيث لا يختلف اثنان على أهمية دور الأسرة فى معالجة الانحرافات السلوكية والفكرية فى المجتمع، وخاصة تلك المتعلقة بالأبناء، فهى تشكل لبنة فى أمن المجتمع واستقراره، وأول إسهامات الأسرة فى الوقاية من مشكلة الانحراف الفكري هى أن تكون أفكار الوالدين فى الأساس أفكاراً تربوية وموضوعية نحو الأفراد والمجتمع، وأن يكون الوالدان قدوة مثالية فى التعامل مع أنفسهم ومع الآخرين، مما يساعد على تهيئة بيئة آمنة وهادئة يجد فيها الأولاد التوافق الأسرى، والحوار الهادف، والاحترام المتبادل (٤١).

٣- وضع قانون أو تفعيل القانون الذى ينص على عقوبة جزائية لكل رمز ينتسب إلى الدين يدعو للإرهاب والقتل ظلماً وعدواناً أو جهلاً وافتراءً.

٤- المراقبة الواعية للأبناء؛ حتى لا يتعرضوا إلى طائفة من الأفكار الغربية التى لم تكن متاحة من قبل، فدخل القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت إلى البيوت بشكل تدخلاً سافراً فى خصوصية الأسرة، ومع إيماننا بأهمية هذه العناصر وفائدتها، إلا إنها أثبتت من الوهلة الأولى أنها سلاح ذو حدين، ومن ثم فلا بد من تكريس المزيد من الوقت لمتابعة نشاطات الأبناء، ومساعدتهم على اختيار الصحبة الصالحة والبعد عن رفقاء السوء (٤٢).

٥- التركيز فى تربيئنا الدينية على أن الإسلام دين الرحمة للناس كافة، بل للعالم أجمعين، فإذا كان الإرهاب بمعنى: تخويف الآخرين، قد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فإن لفظ الرحمة ومشتقاتها قد تكرر فى القرآن الكريم مئات المرات، ويكفى أن نرى القرآن يكرر لفظة رحم " ٣٤٠ مرة، إضافة إلى تكرار الرحمن الرحيم فى بداية السور مائة وثلاث عشرة مرة؛ بل جعل الله تعالى الغاية من إنزال هذه الرسالة المحمدية هو نشر الرحمة للعالم أجمع، فقال تعالى: ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ويقول أيضاً سبحانه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦) وجعل الله تعالى من أسماء الرسول ﷺ " رؤوف رحيم" حيث قال تعالى:

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة: ١٢٨) وجاءت السنة النبوية لتوضيح هذه المعاني

السامية من خلال السنة القولية والسنة العملية ، فقد وصف رسول الله ﷺ بأنه نبي الرحمة (٤٣)، ووضع ﷺ قاعدة في غاية الأهمية تقضى بأنه " من لا يرحم لا يرحم " (٤٤)، وأن الله لا يرحم من لا يرحم المخلوقات، إلى غير ذلك من الأحاديث.

٧- إضافة مناهج جديدة حول الوقاية من الجريمة والانحراف توضح كيف يمكن للشباب

تحصين أنفسهم من الجريمة ، ومعرفة السبل الناجحة للابتعاد عن مهاوى الرذيلة والانحراف .

٨ - ضرورة انتقاء الأساتذة الذين يقومون بالتدريس بكل دقة وحذر، بحيث يتصفون بالفطنة

والذكاء ، والقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة للطالب، بالإضافة إلى المقدرة الشخصية التي

تمكنهم من استيعاب المتغيرات الحضارية التي يعيشونها .

٩- حصر السلاح بيد الدولة؛ إذ لا يتصور أن ندعو للقضاء على الإرهاب وهناك من يحمل

السلاح بغير صفة تمكنه من حمله (٤٥) .

١٠- التركيز على أن الإسلام دين الأمن للإنسان، ودين السلام لهذا الكون كله، وأنه أحد

أسماء الله تعالى السلام، وليلة نزول القرآن هي ليلة السلام بنص القرآن الكريم: ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ

مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر: ٥)، وأن تحية المسلمين في الدنيا هي (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)،

وتحيتهم في الجنة أيضًا السلام، قال تعالى: ﴿ نَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (الأحزاب: ٤٤) وقد أمر

الإسلام بالجنوح إلى السلم حتى مع الأعداء المحاربين ما داموا قد جنحوا إليها .

ودلت أحاديث كثيرة على حرمة ترويع المسلم، وكذلك من يعيش على أرض الإسلام بأمان،

حتى ولو على سبيل المزاح، ومنها : ما روى عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : " من أشار

إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلغنه حتى ينتهي، وإن كان أخيه لأبيه وأمه " (٤٦)، ومنها " لا يحل

لمسلم أن يروع مسلماً " (٤٧) ولم يترك الرسول ﷺ أى مجال للتخويف حتى ولو بالنظر؛ حيث

روى عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: " من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق

أخافه الله يوم القيامة " (٤٨).

ومن كل ذلك يتبين أن الإسلام قد سدَّ باب التخويف والإرهاب والإيذاء سدًّا محكمًا، فحرم

كل أنواعه وأشكاله، سواء كان بطريق الجد أو الهزل، ولم يكتف بالتحريم واللعن والبعد عن رحمة

الله والعذاب بالنار لهؤلاء المعتدين، وإنما شرع عقوبات كالقصاص والحدود لأجل حماية دين

الإنسان، ونفسه، وعقله، وعرضه، ونسله، وماله، وأمنه النفسى والاجتماعي، كما شرع عقوبات

تعزيرية تكميلية تخضع لاجتهاد القاضى لتحقيق الأمن والسلام للجميع.  
هذا ونسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة فى رضاه، وأن ينفع بها، وأن يصلح شأن أمتنا فى  
الأمر كلها، وينصرها على أعدائها داخلياً وخارجياً إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلى الله على  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## الخاتمة

### من أهم النتائج :

- ١- يعد التطرف والإرهاب من الظواهر المعقدة والمتشابكة نظراً لتعدد أسبابها .
- ٢- الإرهاب قديم ويمتد مسافات بعيدة في تاريخ البشرية، وليس مفاجأة القرن الحادى والعشرين.
- ٣- إن قضية العنف والصراعات الدموية في حياة المجتمعات ليست أمراً نادر الحدوث؛ بل إن التغيرات والمنعطفات الكبرى كثيراً ما تقتزن في الذهن بأحداث وصراعات دامية .
- ٤- إن الإرهاب والعنف والتطرف لم يأت اعتباراً؛ بل له أسبابه ودواعيه .
- ٥- إن الإسلام يكابد حرباً ضروساً تعددت مصادرها وتتنوع أشكالها .
- ٦- إن البعد عن شريعة الإسلام هو سبب الضلال والعمى والشقاء الذى نعانى منه الآن في كثير من بلاد العالم .
- ٧- إنه من الخطأ الفادح أن يعتقد الإنسان في نفسه ، أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين ، وهو لم يبلغ ذلك .
- ٨- إنه من الخطأ والجهل المركب أن يأخذ الإنسان بشكل النص وظاهره دون مقاصده وعلله ومآلاته ومناطه ، ومن ثم عدم التفقه في النصوص الشرعية.
- ٩- من الخطأ الاعتماد على بعض الآيات أو الأحاديث وترك ما سواها، حيث إن ذلك خلاف للمنهج العلمى الصحيح وما كان عليه منهج السلف الصالح من جمع الأدلة كلها .
- ١٠- الإسراف في إطلاق التحريم في الفتاوى، والتشدد في الأحكام، والتساهل في تجريح الآخرين وتفسيقهم؛ بل تكفيرهم .

## أهم التوصيات

- ١- وجوب الاهتمام ببناء الفرد المسلم على أسس عقديّة إيمانية .
  - ٢- نشر الوعي الديني والثقافة الشرعية بين عامة المسلمين وخاصتهم .
  - ٣- الرجوع إلى كتاب الله، فهو مفتاح السعادة، وفيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا .
  - ٤- بذل الجهد الكبير من العلماء؛ لترشيد مسيرة المسلم وتحصينه من الأفكار الضالة والهدامة .
  - ٥- حتمية وجود القدوة الناصحة المخلصة؛ لترسيخ وتفعيل حب الوطن والدفاع عنه بكل غالٍ ورخيص .
  - ٦- تفعيل دور الآباء والأمهات نحو تنشئة الأبناء على السماحة ونبذ العنف .
  - ٧- تفعيل دور الإعلام في تقديم برامج من خلال استضافة العلماء لبيان الإسلام عقيدة ، وعبادة، ومعاملة .
  - ٨- وضع ميثاق إعلامي يتبنى تعميق فكرة السماحة في النفوس ، والتنفير من التطرف والتعصب والتشدد .
- وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل المتواضع الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في ميزان كل من استفدت منه في إعدادة حتى خرج على هذا النحو ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ( الشعراء:٨٨).



- (١) راجع : مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية ، إعداد رائد / محمد حمزة ، ص ١-٣.
- (٢) انظر: سماحة الإسلام للكتور/ أحمد محمد الحوفى، ص ٩، ١٠، بتصريف يسير.
- (٣) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف للدكتور / صالح بن غانم السدلان ، ص٤.
- (٤) لسان العرب، مادة رهب .
- (٥) راجع : موقف الإسلام من الإرهاب وجهود المملكة العربية السعودية فى معالجته للأستاذ الدكتور / عبد الله ابن المحسن التركي، ص ٣٣.
- (٦) المرجع السابق ص ٣.
- (٧) السابق نفسه [ بتصريف يسير ] .
- (٨) الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الفقرة الثانية من المادة الأولى من الباب الأول.
- (٩) موقف الإسلام من الإرهاب للدكتور / عبد الله بن المحسن، ص ٤٢.
- (١٠) سير أعلام النبلاء.
- (١١) سير أعلام النبلاء.
- (١٢) المعجم الوجيز ص ١٤٥، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.
- (١٣) معجم الوجيز مادة حرف.
- (١٤) راجع: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف للدكتور / صالح بن غانم السدلان، ص٣.
- (١٥) رواه البخارى الحديث رقم ١٠٠ ، ومسلم الحديث رقم ٣٢٦.
- (١٦) المرجع السابق ص ٨.
- (١٧) البخارى رقم ٤٩٠٥، ومسلم ٢٢٨٤.
- (١٨) رواه الإمام الطحاوي، وقال الألبانى فى شرح الطحاوية : حديث صحيح .
- (١٩) راجع أسباب الانحراف الفكرى وعلاجه ص ٧.
- (٢٠) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام .
- (٢١) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف للدكتور / صالح بن غانم السدلان، ص ٧ .
- (٢٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام، باب فضل علم القرآن.
- (٢٣) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف للدكتور / صالح بن غانم السدلان ص ٣.
- (٢٤) راجع: ظاهرة الإرهاب المفهوم والأسباب للأستاذ كمال النيص، ص ١ .
- (٢٥) أخرجه ابن حبان فى صحيحه رقم ٣٩٥٩ ، وابن ماجه رقم ٣٠٢٩.
- (٢٦) رواه مسلم رقم ٢٦٧٠.
- (٢٧) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف للدكتور / صالح بن غانم السدلان، ص ٨.
- (٢٨) السابق نفسه ص ١١.
- (٢٩) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية لمؤلفته : أسماء بنت عبد العزيز الحسن، ص ١-١٠.

- (٣٠) المعجم الكبير للطبراني ٩ / ١١٤، والحلية لأبي نعيم، ٨ / ٤٩ .
- (٣١) المعجم الكبير للطبراني ٩ / ١١٧ .
- (٣٢) شرح إحياء علوم الدين، ص ٢٢١ .
- (٣٣) راجع: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، ص ١٢ .
- (٣٤) المرجع السابق .
- (٣٥) الانحراف الفكري دراسة وتحليل " الإنترنت " موقع سكيينة .
- (٣٦) المرجع السابق .
- (٣٧) راجع: أسباب الانحراف الفكري وعلاجه الشامل ، والانحراف الفكري دراسة وتحليل ( موقع سكيينة ) .
- (٣٨) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٥٨٣٤ .
- (٣٩) راجع : أسباب الانحراف الفكري دراسة وتحليل، ص ١٠ ( موقع سكيينة ) .
- (٤٠) راجع : الإرهاب أنواعه وأسبابه وطرق معالجته / بشير محمد العربي، ص ٦ .
- (٤١) راجع: أسباب الانحراف الفكري وعلاجه الشامل ، الانحراف الفكري دراسة وتحليل، ص ١٠ ( موقع سكيينة ) .
- (٤٢) المرجع السابق .
- (٤٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفصائل، حديث ٢٣٥٥ .
- (٤٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، الحديث رقم (٥٩٩٧) .
- (٤٥) راجع أسباب الانحراف الفكري وعلاجه الشامل ، الانحراف الفكري دراسة وتحليل، ص ١٥ ( موقع سكيينة ) .
- (٤٦) صحيح مسلم، الحديث رقم ٢٦١٦ .
- (٤٧) الترمذي، كتاب الفتن ٦ / ٣٢٩ .
- (٤٨) صحيح مسلم ٤ / ٢٠١٦ .

## حتمية التكاتف المجتمعي للقضاء على الإرهاب

الأستاذ الدكتور/ محمد نبيل غنايم

أستاذ الشريعة الإسلامية

بكلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

مستشار المجلس الأعلى للجامعات

مصر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد؛  
فتلبيةً للدعوة الكريمة من فضيلة أ.د/ معالي وزير الأوقاف في جمهورية مصر العربية،  
والدعوة الطيبة من فضيلة أ.د/ سعادة الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة؛  
للمشاركة في أعمال المؤتمر الدولي الثامن والعشرين الذي ينظمه المجلس، جاء هذا البحث ضمن  
المحور الرابع من محاور هذا المؤتمر وهو " حتمية المواجهة ، " فكان عنوانه:  
" حتمية التكاتف المجتمعي للقضاء على الإرهاب " وقد قسمته إلى مبحثين:  
المبحث الأول: تأصيل حتمية المواجهة .  
المبحث الثاني: مجالات المواجهة وتطبيقاتها .  
أسأل الله للجميع التوفيق والسداد، ولمصرنا العزيزة الأمن والسلام، وللإنسانية كلها التعاون  
والحب والوئام.

## المبحث الأول

### تأصيل حتمية المواجهة

الخير والشر في صراع من بداية البشرية، وإلى يوم القيامة كما قال سبحانه وتعالى :  
**﴿ وَنَبَلُّوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾** (الأنبياء: ٣٥). وقد ذكر القرآن الكريم نبأ ابني آدم  
وما وقع بينهما من صراعٍ انتهى بقتل قابيل لأخيه هابيل، يقول تعالى: **﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ  
ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا  
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَىٰكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ  
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ  
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٤٠﴾  
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يَوَيْلَئِي أَعْجَزْتُ أَنْ  
أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾** (المائدة: ٢٧-٣١) ثم ما  
ترتب على هذه الجريمة المبكرة في تاريخ البشرية من تشريع عقوبة القصاص وحتمية تنفيذه إبقاءً  
للحياة، كما قال تعالى : **﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ  
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾** (المائدة: ٣٢). إلى أن قال تعالى:  
**﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ  
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾** (المائدة: ٤٥)، وقال سبحانه وتعالى: **﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ  
حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** (البقرة: ١٧٩).

ومن هنا وجدنا رسول الله ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - يواجهون إرهاب  
المشركين وظلمهم للمستضعفين من السابقين إلى الإسلام؛ وفي ذلك يقول ابن هشام: وكان بلال بن  
رباح صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرج في بطحاء مكة، إذا حميت الظهيرة  
على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: والله لا تزال هكذا حتى  
تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحدٌ أحد، وكان ورقة بن

نوفل يمر به وهو يعذب ويقول: أحدٌ أحد ، فيقول أحد أحد والله يا بلال، ثم يُقْبَلُ على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك من بنى جمع، فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً - أى مقدساً - حتى مر به أبو بكر الصديق ﷺ فقال لأمية بن خلف: ألا تتق الله فى هذا المسكين!! حتى متى؟ قال: أنت الذى أفسدته فأنتقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعَل؛ عندى غلامٌ أسدٌ أجَلدُ منه وأقوى على دينك، أعطيك به، قال: قد قبلت، فقال: هو لك، فأعطاه أبو بكر ﷺ غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه<sup>(١)</sup>، وأعتق غيره من السابقين إلى الإسلام الذين يتعرضون لإرهاب المشركين.

وكانت بنى مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهرية يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة، فأما أمه فقتلها وهى تأبى إلا الإسلام، وعن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون: هذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم<sup>(٢)</sup>.

ولما عجز السابقون إلى الإسلام عن المواجهة، ولم يتوقف الإرهابيون من المشركين عن إيذائهم "أشار عليهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن فيها ملكا لا يظلمُ عنده أحد، وكانوا ثلاثة وثمانين، وقد أرسلت قريش تقدم الهدايا إلى النجاشي، وتطلب المهاجرين، رفض النجاشي، وزاد المهاجرين عزاً وتكريماً وحمايةً، إلى أن أعلن عمر ﷺ إسلامه، فامتتع به أصحاب رسول الله ﷺ وخرجوا إلى البيت الحرام، كما قال عبد الله ابن مسعود ﷺ: ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه"<sup>(٣)</sup>.

وصدق فيه دعاء رسول الله ﷺ كما قال خباب ﷺ: والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه؛ فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد المسلمين بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. وبإسلام عمر مع إسلام حمزة من قبل عز المسلمون وامتنعوا، وذهب عمر ﷺ إلى أشد الناس عداوةً لرسول الله ﷺ وهو أبو جهل وأخبره بإسلامه، وهذا نوع آخر من حتمية المواجهة .

ومن تأصيل هذه المواجهة بين الكفر والإرهاب من جهة والإسلام، والأمن من جهة أخرى، ما كان فى بيعتى العقبة؛ ففى الأولى بايعه بعض أهل المدينة على الإسلام، ونشروه بين أهلهم فى

المدينة، واصطحبوا معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه يعلمهم الإسلام، حتى فشا فيهم، وفي الموسم القادم في البيعة الثانية بايعوه رضي الله عنه على النصر والحماية ومعاداة من يعادونه حتى الشهادة في سبيله، وفي هذا يروى ابن هشام: " كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج إن محمداً مناً؛ حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وأنه قد أبى الانحياز إليكم وللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموهم إليه، ومانعوه ممن خالفه؛ فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده، فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » فأخذ البراء بن معرور ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما تمنع منه أزرتنا - كناية عن النساء - فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ورتناها كابرًا عن كابر.

فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله: إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم - أي نحن سواء ويد واحدة - أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمتم ".  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً؛ ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ثم بايع القوم بعد ، فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباب - المنازل في منى - هل لكم في محمد والصباة معه - الخروج من دين القوم - قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا - انصرفوا - إلى رحالكم؛ فقال له العباس بن عباد بن نضلة : والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسياقنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم، فرجعنا <sup>(٤)</sup>.

ومن تأصيل حتمية المواجهة المجتمعية وثيقة المدينة التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم دستوراً للتعايش بين أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين واليهود وغيرهم، ومسئولية كل منهم نحو الآخرين، ومسئوليتهم جميعاً نحو المدينة وما تتعرض له من غير أهلها.

وعن هذه الوثيقة قال ابن هشام: كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وأدع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون - يتعاونون - في بذل دية المقتول منهم، وهم يقدون عانيهم - أسيرهم - بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تقدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ... وظل رسول الله ﷺ يذكر كل قبائل المدينة من الأنصار واليهود وغيرهم، ويحمل كل قبيلة مسئوليتها نحو أفرادها ونحو غيرهم في جميع الأمور، المصلحون أو الصالحون منهم والفسادون على حد سواء، إلى أن قال: .. وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وأن من اعتب مؤمناً - قتله بلا جناية - قتلاً عن بينة فإنه قوداً به - قصاص - إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا القيام عليه .. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ - يظلم ويضر - إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف: وظل يعدد باقى قبائل اليهود ويبين أن لكل منهم ما أثبتته لبنى عوف ... وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ" (٥) .

ومن هذه الصحيفة ترى المواجهة المجتمعية من الجميع لكل فاسد، وأن على كل قبيلة أن تتحمل عبء الإصلاح والمواجهة للإفساد والظلم بكل أشكاله، واليهود والمؤمنون وغيرهم في ذلك سواء، وعلى جميع المواطنين حماية المدينة، وحرب من يحاربها، ويحارب أهل هذه الصحيفة، ونفقة الحرب على الجميع، ومقاومة الأعداء من المشركين على الجميع، لا إيواء لأحدهم، ولا لأموالهم، ولا لنصرة أحدهم على أهل المدينة، ومن خرج عن هذه العهود أو قام بظلم لغيره، فإن عليه لعنة الله وغضبه، ولا يهلك ولا يؤذى إلا نفسه وأهله.

فهذه مشاركة مجتمعية بين الجميع على اختلاف قبائلهم وأديانهم للقضاء على الفساد والإرهاب بكل أشكاله، وأنه لا يجوز لأحد أن يتواطأ مع المفسدين، أو يدافع عنهم أو يؤويهم

أو يساعدهم، فعلى أهلنا في سيناء شمالاً وجنوباً مُدناً وباديةً جبلاً وودياناً، أو في أى مكانٍ آخر من مدن الجمهورية أو صحرائها الشرقية أو الغربية، أو حدودها من أى جهة، أو من بحارها وأجوائها أن يكونوا يداً واحدةً مع الشرطة والقوات المسلحة والمخابرات والرقابة الإدارية والإدارات المدنية والمؤسسات الإنتاجية، يبلغون عن كل فسادٍ وإفسادٍ، ويقاومون كل ظلمٍ وإرهابٍ مهما كانت التضحيات، فكل ما يقومون به من إصلاحٍ ومقاومةٍ للفسادٍ سيجدونه في ميزان حسناتهم يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؛ لأن حتمية المشاركة والمواجهة المجتمعية فريضة على الجميع منذ بعثة النبي ﷺ وفي سائر المواقف كما رأينا في مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة .

ومما يؤكد تأصيل المشاركة والمواجهة الاجتماعية وحتميتها؛ دعوة القرآن الكريم إلى النفير العام للجهاد في سبيل الله ودحر الأعداء، وهذا النفير واجبٌ على الجميع كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً، أغنياء وفقراء، قال الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ءَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؕ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا ؕ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ (التوبة: ٣٨، ٣٩) ... إلى أن قال عز وجل: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؕ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٤١) إلى غير ذلك من الآيات، قال الشوكاني: لا خلاف أن هذه الآية وما بعدها نزلت عتاباً لمن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك<sup>(٦)</sup>.

ومن هذا وغيره نجد أن المشاركة المجتمعية حتمية وفريضة؛ حيث إن الإرهاب والإجرام والإفساد انتشر في أماكن عديدة من الوطن الحبيب، وينتقل من مكان إلى آخر، وتنتشر أضراره، وتعدد أخطاره وضحاياه، ويتنوع سلاحه من حين إلى آخر، فلا بد من المواجهة الشاملة في كل مكان، وأن يكون الجميع على أهبة الاستعداد؛ حتى يتحقق النصر المبين، ويتحقق الأمن التام، ويتحقق القضاء على هذا العدو اللدود والإرهاب والفساد، وبغير المواجهة المجتمعية سيصعب القضاء عليه، أو يطول أمد ذلك مع ما فيه من استنزاف الأرواح والأموال .



## المبحث الثاني

### مجالات المواجهة وتطبيقاتها

تحتاج المواجهة إلى عدة عناصر أهمها:

أولاً : التوعية بمخاطر التطرف وبيان خطره وأخطائه، وذلك عن طريق المدارس والجامعات والنوادي، وذلك على أيدي نخبة من كبار علماء الأزهر الشريف وأساتذة الجامعات ورجال الفكر؛ بحيث يقومون بتصحيح المفاهيم المغلوطة، وتنفيذ الافتراءات والأكاذيب، ويكشفون عن عورات أفكار هؤلاء المتطرفين وأخطائهم وآثار فكرهم على الأفراد والجماعات والمجتمعات، حيث نهى الشارع الحكيم عن الغلو والتطرف والإفراط والتفريط، وأقر بالوسطية والاعتدال في جميع الأمور وعلى رأسها الفرائض من عقائد وعبادات ومعاملات، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (النساء: ١٧١)، قال الطبري :

لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفراطوا فيه، وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة الذي هو حده، يقال منه في الدين غلا يغلو غلواً " (٧)، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ

الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

(المائدة: ٧٧). قال ابن كثير: " لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الألوهية " (٨).

وقال رسول الله ﷺ : " إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " (٩).

وقال: "هلك المتطعون" قالها ثلاثاً (١٠)، وفي تفسيرها قال النووي: هلك المتطعون أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحد في أقوالهم وأفعالهم (١١).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا

وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة " (١٢)، قال ابن حجر: والمعنى

لا يتعمق - يتشدد - أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب (١٣).

ثانياً : الحوار المباشر بيننا وبينهم لتصحيح المفاهيم عندهم، لنقيم الحجة عليهم ونبين لهم

مخاطر ما يقولون وما يفعلون، وحرمة ذلك عند الله عز وجل، وبيان حق الوطن والمجتمع وحق

المسلمين وغيرهم في أي مكان من هذا العالم، ومن ذلك ما يلي:

## أ- بيان التكفير وخطورته :

لم أجد أفضل مما قاله الإمام الأكبر فضيلة أ.د/ أحمد الطيب في ذلك حيث قال: إن مذهب أهل السنة والجماعة في حقيقة الإيمان هو التصديق القلبي بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، إلى آخر ما ورد من الأحاديث الصحيحة التي تفسر مفهوم الإيمان بالاعتقاد القلبي الجازم، وقد عرفه النبي ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بقوله: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبلقائه، وتؤمن بالبعث" (١٤).

وأما الأعمال من صلاة وزكاة وصيام وحج، ومن فعل الواجبات وترك المحرمات فإنها بمقتضى التعريف النبوي لا تدخل في حقيقة الإيمان؛ بل هي شرط كمال ولها شأن خطير في زيادته ونقصه... ومقتضى ذلك أن زوال الأعمال لا يزيل الإيمان من أصله؛ بل يبقى المؤمن مؤمناً حتى وإن قصر في الطاعات أو اقترف المعاصي والسيئات، ولا يصح أن يطلق عليه لفظ الكفر بحال من الأحوال، ما دام محتفظاً بالاعتقاد القلبي الذي هو حقيقة الإيمان ومعناه.

ثم يقول فضيلته: إن قضية التكفير لا يملكها أحد ولا هيئة ولا جماعة ولا تنظيم، وإنما هي تسمية شرعية بحثة، ولها من الضوابط وتوافر الشروط وانتفاء الموانع ما يحصرها في أضيق الدوائر والحدود التي تدرأ بالشبهات، ثم هي منوطة بالقضاء وبأولى الأمر، ولا يسارع إليها إلا الجهلة من الناس كما قال الغزالي: إن الخطأ في ترك كفر ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم" (١٥)، كما يذهب الإمام محمد عبده إلى أن البعد عن التكفير أصل من أصول الأحكام في الإسلام، ويقرر أنه " إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد؛ حُمِلَ على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر.. إلى أن قال: إن الأزهر قد وجد ضالته في مذهب أهل السنة والجماعة، واتخذ طوق نجاة للمسلمين كلما عضتهم نوائب التشرذم وآفات التعصب المقفيت لمذهب يراه أصحابه هو الإسلام الذي لا إسلام غيره... إن الأزهر الشريف الذي يرفع راية جمع الكلمة بين المسلمين، والذي لا يفرق بين مذهب ومذهب في مقاومة موجات الإلحاد والتغريب والإفساد الأخلاقي، لا يدخر جهداً في مقاومة الانحراف التكفيرى الطارئ والمرفوض من جماهير الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً (١٦).

تلك كانت كلمة فضيلة الإمام الأكبر بعنوان "خطورة التكفير" التي بين فيها خطورة التكفير، ورفض فكرة تكفير أى مسلم ما دام هناك وجه يحتمل إسلامه؛ لأن حقيقة الإيمان هي التصديق القلبي بأركان الإيمان، أما الأعمال الصالحة فهي فروع تدل على كماله، ولا تدخل في حقيقته، فمن يتركها أو يترك بعضها فهو غير كافر ولا يجوز تكفيره.

وهناك أقوال أخرى عرضها أ.د/ عبد الله النجار وأ.د/ محمد أبو عاصى فى مواجهة هذه القضية والرد عليها، منها :

١- أن التكفير تترتب عليه آثار دنيوية منها : التفريق بين الزوجين ، وعدم بقاء الأولاد تحت سلطة أبيهم، وفقد حق الولاية والنصرة على المجتمع المسلم ومحاكمته أمام القضاء الإسلامى، وعدم إجراء أحكام المسلمين عليه، فلا يُغسَل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين، ولا يورث ولا يرث.

٢- كما تترتب عليه آثار أخروية منها: أنه يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته والخلود الأبدى فى نار جهنم، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٧﴾ ( البقرة: ١٦٦/١٦٧ ) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ( النساء: ٤٨ ).

ولهذا يجب على من يتصدى للحكم بالتكفير أن يتمهل فى حكمه مرات ومرات، ولخطورة آثار التكفير على المجتمع فقد نهى الإسلام عن التعجل به وإقراره إلا بعد التأكد من أسبابه دون أدنى شبهة، فلأن يخطئ الإنسان فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة، ومرد الأمر إلى الله.

٣- وعندما قتل الصحابى الجليل أسامة بن زيد رضي الله عنه الرجل الذى ألقى إليه السلام أمره الله عز وجل وأمرنا جميعاً بالتبين فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴿٩٤﴾ ( النساء: ٩٤ ).

٤- وحذر النبى صلى الله عليه وسلم من التكفير أشد التحذير فقال: " إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما " متفق عليه.

٥- أدرك العلماء خطورة الحكم بالتكفير فتورعوا عن المسارعة إلى القول به إلا بدليل ساطع وبرهان واضح لا دافع له؛ إذ الشهادة بالكفر على المسلم من أعظم الزور والظلم والبهتان.

٦- كان الصحابة رضى الله عنهم يمتنعون عن إطلاق لفظ التكفير أو التفسير على أحد من أهل القبلة، فعن أبى سفيان قال : "قلت لجابر : أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال : لا، قلت : فمشارك ؟ قال : معاذ الله، وفزع " (١٧).

٧- ولما سئل على بن أبي طالب عليه السلام عن الخوارج : أمشركون هم؟ قال : لا، من الشرك فروا، فقيل : أمانفون؟ قال لا؛ لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل له : فما حالهم؟ قال : إخواننا بغوا علينا، فهم بغاة يُقاتلون قتال أهل البغي لردهم عن بغيهم" (١٨) .

٨- وهكذا ينبغى - بل يجب - ألا نسارع بتكفير أحد، وإذا كانت بعض الفرق تكفر مخالفيها - كما حدث في الماضي، وكما هو حاصل الآن - فنحن لا نكفرهم إلا إذا استحلوا دماء الناس وأموالهم بغير حق، كما قال الله تعالى في شأن البغاة وسماهم مؤمنين : ﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ( الحجرات: ٩-١٠) .

٩- قال الشوكاني : " اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغى لمسلم أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار ، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن : من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما" ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير. (١٩)

١٠- نقل عن الإمام مالك أن من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً، ويحتمل الإيمان من وجه واحد؛ حُمِلَ على الإيمان.

١١- قال الإمام الغزالي: والذى ينبغى أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال بين المصلين إلى قبلة، المُصرِّحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أولى من الخطأ في سفك دم مسلم" (٢٠) .

١٢- من الأصول المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة؛ أنه لا يجوز الحكم على المسلم بالكفر مهما تكاثرت مؤيدات الحكم عليه بذلك، مادام يوجد فيه احتمال واحد لبقائه على الإسلام.

أما الفكر التكفيرى فيعكس هذا الأصل؛ ويذهب إلى أنه لا يجوز الحكم على الشخص بالإسلام مهما تكاثرت مؤيدات الحكم بإسلامه، ما دام فيه احتمال واحد يكفره بأى قول أو فعل، ومن هنا يكفرون المجتمع والحكام والعلماء والشعب، ويسعون إلى قتلهم وملاحقتهم فى كل مكان.

والخلاصة : أن التكفير حكم شرعى لا يصدر إلا عن أدلة شرعية قاطعة، ولا يكون الحكم إلا بحكم القاضى أو المفتى؛ لما لهما من العلم بالأحكام الشرعية والإجراءات القضائية (٢١) .

## ب- بيان مفهوم الجهاد :

١- الجماعات المتطرفة حصرت الجهاد جهلاً وظلماً في الخروج على الحاكم وتكفيره وتكفير المجتمع واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم بالسلاح وغيره، مع أن الجهاد الشرعى غير ذلك، فمنه جهاد النفس والهوى، ومنه جهاد المعاصى ومحاربة الغرائز، ومنه الجهاد فى الطاعة والقيام بالعبادة والتزام الفرائض وأداء السنن والوقوف عند حدود الله تعالى واجتناب نواهيه، والصبر الجميل على البأساء والضراء وحين البأس، والرضا بما قسم الله، والتحلّى بمكارم الأخلاق ... إلى غير ذلك من التكاليف الشرعية؛ فإنها جميعاً تحتاج إلى مثابرة ومجاهدة ومتابعة واستمرار، أما حصر الجهاد فى فكر المتطرفين فى الخروج على الحكام وقتالهم واغتصاب الأعراض والأموال واستحلال الدماء والمنكرات، ففكر غير صحيح وأسلوب غير شرعى، وفى بيان ذلك قال الدكتور محمد سالم أبو عاصى<sup>(٢٢)</sup>: الجهاد هو بذل الجهد بأشكاله المختلفة والمتنوعة، لإعلاء كلمة الله ولنشر الدين الصحيح بين الناس.

٢- والجهاد فى الإسلام شجرة جذعها الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، لتوصيل حقيقة الإسلام الصحيح إلى العقول.

٣- أما الجهاد القتالى؛ فإنه متفرع عن الجهاد الدعوى تفرع الأغصان من الشجرة، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَطْعِ الْكٰفِرِيْنَ وَجَهْدْهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيْرًا ﴾ ( الفرقان ٥٢ )، والضمير فى ( به ) يعود إلى القرآن، فهذا أمر صريح للنبي ﷺ بالجهاد الدعوى لا القتالى لأنه كان فى مكة، ولم يشرع القتال حيث لم تكن مكة دولة، وإنما شرع الجهاد للدفاع عن الدولة الجديدة وحمائتها، وللدفاع عن الدعوة وحريتها ، فليس فى الإسلام جهاد قتالى لإكراه الناس على الدخول فى الإسلام، قال تعالى : ﴿ لَا اِكْرَاهَ فِى الدِّيْنِ ﴾ ( البقرة : ٢٥٦ ) .

٤- شرع الجهاد القتالى لدراء الحراية ودفع العدوان، وهو من أحكام السياسة الشرعية، أما الجهاد الدعوى؛ فمستمر ومتسع لأنه تبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة، ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى حدود قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ( البقرة : ٢٨٦ ) .

٥- هناك فرق بين الجهاد والقتال، وبين أقتل وأقاتل، فالجهاد عام والقتال خاص، وأقتل أمر خاص وأقاتل مدافعة ومواجهة ورد العدوان، قال الشافعى : " وليس القتل من القتال بسبيل، فقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله" (٢٣) .

٦- ثبت أن النبي ﷺ لم يبدأ قتالا إلا حين ثبت له يقيناً أن الآخرين يخططون ويتآمرون، كما حدث في خيبر ومؤتة وتبوك.

٧- إن سمت الحروب الإسلامية بما نهجته من أخلاقيات صارت دساتير سبق بها المسلمون الأوائل العالم الحديث، ولا تزال وصايا رسول الله ﷺ لقواد جيوشه تدوى : " اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمتلوا، ولا تقتلوا وليدا... " (٢٤) وكذلك أوصى خلفاؤه من بعده فقال أبو بكر ﷺ لجيش أسامة : " لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمتلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تدبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لأكله، وإذا مررتم بقوم تفرغوا في الصوامع للعبادة؛ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له " (٢٥) .

إن ديناً هذه مبادئه، وجيشاً هذا دستوره، وقيادةً هذا فكرها وأوامرها، لا يمكن أن تبدأ قتالا إلا على المعتدين لترد كيدهم، وتدفع عن عدوانهم وتدبيرهم، وهذا ما كان، فلا يجوز لأحد أن يغيره، أو ينسب إليه ما ليس فيه، أو أن يضيق واسعاً أو يوسع ضيقاً وإلا كان افتراءً وإثمًا مبيهاً والعياذ بالله .

١٠- القتل واستحلاله كما حدث للمصلين يوم الجمعة في مسجد الروضة في بئر العبد بشمال سيناء، لهو من أكبر الكبائر لأنه عصيان لله تعالى، وعدوان على حدود الله عز وجل، وهدم لمقصد كبير من مقاصد الشريعة الكبرى وهو حفظ النفس، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الإسراء : ٣٣) كما أنه استهانة بقول رسول الله ﷺ : " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم " رواه الترمذى. وفي ذلك إهدار للقصاص الذى كتبه الله عز وجل على كل قاتل دون حق، وهذا هو الحاصل حيث يقتلون الأبرياء بعد تكفيرهم الخاطئ ومفهومهم الخاطئ للجهاد، قال تعالى : ﴿ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ( المائدة : ٣٢ ) .

وقد ورد في السنة النبوية حول خطورة ذلك القتل واستحلاله قول رسول الله ﷺ : " اجتنبوا السبع الموبقات، وقيل يا رسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" متفق عليه، وقال : " لن يزال المؤمن فى فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً "

أخرجه البخارى (٢٦) .

فكيف تستبيح هذه الجماعات المتطرفة ذلك القتل للأبرياء وتستحلّه، رغم تحريمه فى جميع النصوص القرآنية والنبوية التى سبق ذكر بعضها، وغيرها كثير .

١١- إن الإفساد والتدمير الذى عم البلاد والعباد وأصاب الأموال والأنفس كان نتيجة التطرف الفكرى من تكفير، وادعاء للجهاد، وقتل المخالفين، وترويع الأمنين، والإفساد فى كل مكان حرّمه الله تعالى ، حيث قال عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۗ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ ﴾ ( البقرة : ٢٠٤-٢٠٦ ) ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ ۗ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ( الأعراف : ٨٥-٨٦ ) ، وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ تُحَارِبُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّن خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۗ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ( المائدة : ٣٣ ) ، وقال سبحانه : ﴿ مِن أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ( المائدة : ٣٢ ) . إلى غير ذلك من الآيات، وفى هذا الإفساد والتدمير ما فيه من الخسائر، فضلا عن الترويع الذى حرّمه الإسلام، وجاءت الأحكام الشرعية بتحريم الأفعال التى تتسبب فى ترويع الأمنين وإخافتهم؛ كالتفخيخ والتفجير والنسف، ومن ذلك : النهى عن الإشارة بالسلاح ، ففى الحديث عن أبى هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلغنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه " .

**ثالثاً : الحوار غير المباشر،** وهو الذى يتم من خلال عقد المحاضرات والندوات والمؤتمرات، وفيها تعرض أفكارهم والردود عليها، وافترض اعتراضاتهم وشبهاتهم للإجابة عنها، ومناقشة الأدلة التى يستندون عليها لبيان ضعفها وبيان وجهة النظر الصحيحة؛ لتجنب الانسياق فى سلك التيارات المتطرفة.

**رابعاً : المواجهة العسكرية،** وهذه المواجهة مطلوبة وضرورية ويجب أن تستمر حتى القضاء على هذا التطرف وتوابعه، ولقد أمر الله تعالى بقتالهم لأنهم بغاة، لأن البغى حرام كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ بَغْيٌ عَسَىٰ يَكُنَّ لَكُمْ فَوَاحِشٌ مَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۗ وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ بَغْيٌ عَسَىٰ يَكُنَّ لَكُمْ فَوَاحِشٌ مَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۗ وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ بَغْيٌ عَسَىٰ يَكُنَّ لَكُمْ فَوَاحِشٌ مَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۗ ﴾ (الأعراف: ٣٣)، وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۗ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَىٰ حَتَّىٰ تَفِئَءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات : ٩) .

لقد شرع الإسلام لكل من تسول له نفسه أن يخرج ويشذ عن تعاليم الإسلام ومبادئه، أو أن يمارس الإرهاب من خلال السعى فى الأرض فساداً، أو من خلال الإفزاز والترويع والقتل والتدمير؛ حدوداً وعقوبات تساعد على اجتثاث الإرهاب من المجتمعات، وتردع كل من يرتكب أى عمل يُخلُ بأمن الناس وأمانهم، ومن أبرز تلك العقوبات حد الحرابة، وقد جاء تبيينه فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٣) .

وقد عُرِفَت الحرابة بوصفين عامين؛ هما محاربة الله ورسوله، والفساد والإفساد فى الأرض، وهذان الوصفان يقتضيان تحديد العمل الإجرامى بالخروج على أحكام الشرع؛ لأن محاربة الله ورسوله ﷺ الواردة فى الآية السابقة ليست على ظاهر النص، إنما يقصد بها العمل على ارتكاب الأعمال الإجرامية المخالفة لأحكام الله، والخروج على منهاج رسول الله ﷺ بالعدوان السافر على الناس وعلى أنفسهم، ودمائهم، وأموالهم.



والحرابة تتفق مع ما اصطلح على تسميته بالإرهاب في العصر الحديث؛ ذلك أن في الإرهاب حملاً للسلاح، وإخافة للناس، وخروجاً على القانون، والإرهاب والعنف يعدان أثراً للتطرف الفكري والغلو، وهذا التقارب في الصفة الظاهرة يقتضى التشابه في كيفية العقاب - بعد توافر الشروط اللازمة للحكم على مرتكب الجريمة - بين الحرابة والإرهاب، وتطبيق مثل هذه العقوبة هو الذى سيستأصل هذا المرض ويقطع دابره، على أن يكون الحكم للقضاء، والتطبيق من قبل السلطات المختصة لا من آحاد الناس ولا من عمومهم<sup>(٢٧)</sup>. كما جاء في كلمات السيد رئيس الجمهورية فى افتتاح بعض المشروعات الجديدة فى الإسماعيلية " لا بد من مواجهة الإرهاب بكل العنف حتى يتم القضاء عليه " .

هذا إضافة إلى القصاص الذى فرضه الله تعالى على كل قاتل مع التمثيل به بمثل ما فعل، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۗ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ خَفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ( البقرة : ١٧٨-١٧٩ ) .

وهناك كفيات أخرى لمواجهة هذا التطرف الفكرى أشار إليها علماء آخرون، وهى لا تخرج عما سبق من التوعية والحوار بطريقتيه، والمواجهة المسلحة، ومنها :

- الدعوة المستمرة إلى وسطية الإسلام فى مناهج التربية والتعليم فى جميع المراحل الدراسية، وخاصة الجامعات، وكذلك المساجد، والنوادي، ومراكز الشباب، والنقابات.
- نشر ثقافة التيسير، ورفع الحرج والتخفيف، ونحوها من مبادئ التشريع الإسلامى.
- بيان مقاصد الشريعة فى حفظ الدين، والنفوس، والعقل، والنسل، والمال.
- التواصل والتعاون بين جميع دول العالم، للقضاء على هذا التطرف والعنف بكل الوسائل المتاحة، وتجفيف منابع هذا التطرف وموارده وجهات دعمه...<sup>(٢٨)</sup> وهى لا تخرج عما بيناه .

## الخاتمة

### أهم النتائج:

- ١- المشاركة المجتمعية فى القضاء على الإرهاب، فريضة دينية وواجب وطنى ومجتمعى.
- ٢- أصل المشاركة المجتمعية ووجوبها؛ فعل الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم بمقاومة الإرهاب بالهجرة إلى الحبشة مرتين، والهجرة إلى المدينة، وجهاد المشركين.
- ٣- فرض الله تعالى الجهاد والنفير العام على أبناء المجتمع إذا فشا فيهم الإرهاب والأعداء.
- ٤- فرض الله تعالى محاربة الفساد والمفسدين فى كل مكان.
- ٥- الجهاد فى سبيل الوطن، والقضاء على الفساد والإرهاب، وطاعة أولى الأمر، ووحدة الأمة خلف قيادتها؛ واجبات شرعية لابد من أدائها وتحقيقها كما قال تعالى : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ

وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ .

## الهوامش :

- (١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٦٦ .
- (٢) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٦٨/٦٧ .
- (٣) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٧٣ .
- (٤) سيرة ابن هشام، ص ٩٩ / ١٠١ بتصرف يسير .
- (٥) المرجع السابق .
- (٦) فتح القدير، ٣٦١/٢ .
- (٧) تفسير الطبري، ٧٠٠/٧ .
- (٨) تفسير ابن كثير، ١٤٤/٣ .
- (٩) سنن ابن ماجه ، حديث ٣٠٢٩ ، وصححه الألباني .
- (١٠) صحيح مسلم ، كتاب العلم - باب هلك المتطعون ، ٤ / ٢٠٥٥ رقم ٢٦٧٠ .
- (١١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ٢٢٠/١٦ .
- (١٢) صحيح البخارى، كتاب الإيمان - باب الدين يسر ، ١٦/١ ، رقم ٣٩ .
- (١٣) فتح البارى، ابن حجر ، ٩٤/١ .
- (١٤) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل ﷺ عن الإيمان ، ص ٥٠ .
- (١٥) الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ١٣٥ .
- (١٦) باختصار وتصرف فى كلمة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب فى مؤتمر الأزهر العالمى بالقاهرة ٢٠١٥ فى مواجهة قضية التكفير بعنوان خطورة التكفير ، ص ٧١ - ٧٨ .
- (١٧) رواه ابن عبد البر فى التمهيد، ٢١/١٧ .
- (١٨) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٣٢٤/١٦ .
- (١٩) السيل الجرار ، الشوكانى ، ٥٧٨/٤ .
- (٢٠) الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ١٣٥ ، وانظر : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، كلاهما للغزالي فى المعنى نفسه.
- (٢١) مفاهيم يجب أن تصحح، أ.د/ عبد الله النجار، أ.د/ محمد أبو عاصى - منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - من ص ٢٣ إلى ص ٢٨ باختصار وتصرف، وانظر أيضا فى مثل ذلك : أبو بكر سعداوى الباحث الجزائري، مدير مركز العربى للكتاب بالشارقة، كلمة بعنوان : " رحمة علماء أهل السنة والجماعة بالمسلمين" فى مؤتمر الأزهر العالمى ٢٠١٥م، ص ١٤٧-١٥٣، وغير ذلك كثير.
- (٢٢) كلمة فى فقه الجهاد ، مؤتمر الأزهر العالمى ٢٠١٥م، ص ٩٥-٩٩ باختصار وتصرف، وانظر فى ذلك أيضا: كتيب مفاهيم يجب أن تصحح، ص ٣٧-٤٢ .

- (٢٣) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ٧٦/١ .
- (٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه-حديث ١٧٣١ من حديث بردة ﷺ .
- (٢٥) تاريخ الطبري ٢٢٦/٣ ، تاريخ دمشق ٥٠/٢ .
- (٢٦) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح ، ص٤٨-٤٩ بتصريف .
- (٢٧) مفاهيم يجب أن تصحح ، مرجع سابق .
- (٢٨) انظر مؤتمر الأزهر العالمي سنة ٢٠١٥م لمواجهة التطرف والإرهاب - بحوث متعددة وخاصة من ١١٥ - ١١٩ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ٢٤٣ ، وغيرها .

## الشائعات سلاح الإرهابيين على شبكات التواصل الاجتماعي

الأستاذ الدكتور/ سامي الشريف

عميد كلية الإعلام بالجامعة الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات  
رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون والقائم بعمل وزير الإعلام الأسبق  
مصر

لقد عرفت البشرية حرب الشائعات منذ فجر التاريخ، وكانت الشائعات وسيلة فاعلة لإثارة الرأي العام والتأثير فيه، بل كانت محركاً رئيسياً من محركات العديد من الأحداث التاريخية، وينظر البعض للأساطير التي كان يتناقلها البشر منذ القدم وظلت سائدة وخالدة ومتداولة حتى اليوم على أنها "شائعات مجمدة" استحالت جزءاً من التراث الشفهي للشعوب التي أصبحت تخلط في استخدامها بين كلا المصطلحين.

وتعد الشائعات تطبيقاً عملياً للدعاية والحرب النفسية، فهي أقوى وأهم الوسائل التي تستخدمها الدول والشعوب في أوقات الحروب والأزمات، ويرتبط انتشار الشائعات ارتباطاً وثيقاً بتطور وسائل الإعلام وتنامي قدرتها على التأثير، وتستخدم وسائل الإعلام الحديثة أساليب وقوالب مبتكرة ومتطورة لنقل الشائعات وإلباسها ثوب الأخبار والحقائق.

وعلى الرغم من كثرة الإنجازات والتطورات التكنولوجية التي حققتها ثورة الاتصال وتكنولوجيا المعلومات مع مطلع القرن الحالى، فإن شبكة الإنترنت تعد واحدة من أبرز تلك الإنجازات وأخطرها وأكثرها تأثيراً، فقد أتاحت تلك الشبكة فرصاً غير مسبوقة للتواصل والتفاعل

بين الأفراد حول الكرة الأرضية دون وسطاء، وحققت مواقع التواصل الاجتماعي تغييراً جذرياً في وظائف الإنترنت وتطبيقاتها حين أتاحت لمستخدميها فرص القيام بوظيفة إعلامي الذي يشارك في صنع الأحداث ونقلها وتبادلها مع الآخرين.

ومن بين العديد من الانتقادات التي وُجّهت لمواقع التواصل الاجتماعي، فإن دورها في نقل وانتشار الشائعات كان على رأس تلك الانتقادات، فلقد أعطت هذه المواقع للأفراد فرصاً غير مسبوقة للتعبير عن آرائهم في كل ما يدور حولهم من أحداث، وتقديم الأخبار والمعلومات والأفكار التي يرون أهمية تبادلها مع الآخرين، وأدركت بعض قوى الشر أهمية توظيف تلك المواقع وتوجيهها لتحقيق أهدافها من خلال تسريب بعض المعلومات المغلوطة والشائعات ليتسابق الأفراد العاديون، عن قصد أو دون قصد، على تناقلها ونشرها والإضافة إليها دون النظر إلى خطورة ذلك على القيم والأخلاقيات وأمن الأوطان.

## مفهوم الشائعات

عندما نتحدث عن الشائعة "لغة" نجد أن المعنى اللغوي للشائعة لا يحوى معنى سلبياً؛ فشاع الخبر، أى: ذاع وانتشر، وفي مختار الصحاح: "شاع الخبر يشيع بمعنى "ذاع"، وأشاع الخبر، أى: أذاعة؛ فالشائعة بذلك تعني الذيوع والانتشار، بصرف النظر عن محتوى تلك المعلومات أو الأخبار التي شاعت أو مضمونها.

ومن حيث التعريف الاصطلاحي للشائعة، فقد وردت عدة تعريفات وصفت الشائعة، وفرقت بينها وبين "الخبر" الذي ينتشر ويذيع بين الناس، ولكنه يتسم بالصدق والموضوعية والدقة، أما الشائعة فلا تقيم وزناً كبيراً لتلك المعايير المهمة التي لا يسمى الخبر خبراً إلا إذا اتسم بها !!  
ولسنا بصدد التعرض لكل تلك التعريفات التي تحدثت عن الشائعة، وحسبنا ما اتفق عليه الباحثون بأنها: "ترويج لخبر مُختلق، لا أساس له من الواقع، أو تعمد المبالغة والتهويل في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي فى رأى العام؛ لتحقيق أهداف محددة يسعى إليها مروج الشائعة".

كما أشار بعض الخبراء إلى أن الشائعة هي: "الأحاديث والأقوال والأخبار والروايات التي يتناقلها الناس دون التثبت من صحتها ودون التحقق من صدقها، وتلعب دوراً خطيراً في التأثير على رأى العام وإحداث البلبلة في المجتمع، ولا سيما في أوقات الحروب والأزمات.  
والشائعات بهذا المعنى ليست مرادفاً للكذب الصريح، بل إن الشائعة التي تعتمد على كذب بواح تكون أضعف أنواع الشائعات وأسهلها كشفاً !!

ومن هنا فإن الشائعة إما أن تكون: سرداً لخبر مختلق لا أساس له من الصحة، أو سرداً لخبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة مع المبالغة والتهويل، أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح، أو تفسيراً لخبر صحيح، والتعليق عليه بأسلوب مغاير للحقيقة.

وتدخل الشائعات في صلب عمل "الدعاية"، وتعتبر أداة من أدواتها من حيث كونها "أقوالاً غير موثوقة تُتداول بين الناس في موضوعات تهمهم، ويكتنفها الغموض، وقد تطلق بغية إحداث تأثير معين ومقصود فى رأى العام ولدى الجمهور بهدف تغيير سلوكه أو توجيهه.

ولقد درج الكثيرون على النظر إلى الشائعات على أنها أمر سلبي ولا أخلاقي، والواقع أن الحقيقة غير ذلك تماماً، ذلك أن بعض الشائعات قد تؤدي - في بعض الأحيان - دوراً إيجابياً في المجتمع، وذلك حين توجه بغرض تهيئة رأى العام لأغراض سليمة، أو لرفع معنويات أبناء الوطن الواحد، أو لخداع العدو في الحروب والمعارك، والشائعات - على اختلاف أنواعها - تسعى

للتأثير على الروح المعنوية للناس، وتحويل العقلية الفردية إلى عقلية جماعية تنقاد وراء محرك قوى وخفى يجعلها في وضع أشبه ما يكون بحالة "التخدير" التي تسبق الغيبوبة الكاملة. ويعتمد انتشار الشائعات على معادلة رياضية قوامها:

قوة انتشار الشائعة = أهمية موضوعها X درجة غموض هذا الموضوع X توقيت ترويج الشائعة. ذلك أنه ليس كل شائعة قابلة لأن يتم تداولها وانتشارها بين الناس، بل إن محك ذلك هو أهمية الموضوع الذي تتحدث عنه بالنسبة إلى أولئك الناس، ودرجة الغموض التي تكتنف هذا الموضوع، إذ إنه إذا توافرت معلومات وحقائق حول موضوع الشائعة فلا يكون هناك مبرر أو مجال لانتشارها، كما يرتبط ذلك أيضاً بالتوقيت الذي تطلق فيه الشائعة.

### تاريخ الشائعات:

عُرفت الشائعات باعتبارها وسيلة لإثارة الرأي العام منذ فجر التاريخ، بل كانت محركاً رئيسياً وفاعلاً للعديد من الأحداث التاريخية المهمة، ويمكننا النظر إلى الأساطير التي كان يتناقلها بنو البشر منذ القدم، واستمرت سائدة ومندولة حتى اليوم على أنها "شائعات مجمدة"، وفي ذلك يقول لابيير لافارثروت Labier Lafarmsworthe: "إن الأسطورة هي شائعة استحال جزءاً من التراث الشعبي لدى الشعوب وكثيراً ما تخلط تلك الشعوب في استخدام اللفظين كأنهما مترادفان". ولقد وجدت في عهد الرومان وظيفة "حراس الشائعات"، وهم أفراد كانت مهمتهم النزول إلى الناس والتعرف إلى ما لديهم من شائعات وأخبار مغلوبة يتم تداولها، ثم يقومون برفعها للإمبراطور الذي يتخذ القرارات المناسبة في ضوء ما توفّر لديه من شائعات سارية بين الناس.

ويحدثنا القرآن الكريم - في كثير من مواضعه - عن الشائعات بوصفها وسائل استخدمها الكفار للنيل من دعوة أنبياء الله ورسله، ومن ذلك شائعة ردها بنو إسرائيل عن سيدنا موسى عليه السلام، ويسجل القرآن ذلك بقول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۗ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩)، وفي قصة سيدنا عيسى عليه السلام ما روجه قومه عن أمه؛ فبرأها الله مما قالوا حين أنطق عيسى وهو في المهد ليقول الحق ويبرئ أمه، وكم من الشائعات التي روج لها رؤوس الكفر ضد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورموه بكل الصفات فقالوا: إنه شاعر ومجنون وساحر، ولكن دعوته القائمة على الحق دحضت كل مغالطاتهم ودعواهم.

### الشائعات والحرب النفسية:

يمكننا تعريف "الحرب النفسية" بأنها تطبيق عملي للدعاية في تحقيق أهداف عسكرية، أو أنها سلسلة من الجهود المكتملة للعمليات الحربية أو السياسية، عن طريق استخدام وسائل الاتصال،



وتصميم وتنفيذ الخطط الإستراتيجية على أسس نفسية مدروسة.

ومن هنا تسعى الحرب النفسية إلى كسب الحروب دون استعمال القوة المسلحة أو العنف، بل من خلال التأثير في الروح المعنوية للخصم، وفي أى صراع تتسابق القوى المتحاربة إلى استخدام كل الأساليب المشروعة وغير المشروعة لتحقيق أهدافها، وتُعد الشائعات واحدة من أهم الأدوات التي تستخدم في الحرب النفسية.

ولا شك أنه في أوقات الحروب والأزمات يكون الناس مؤهلين لتصديق أى شىء وكل شىء، ومن ثم تجد الشائعات آذاناً صاغية وصدوراً مفتوحة، وسرعان ما تأخذ الشائعة طريقها للذبوع والانتشار بسبب حالة الفلق والتوتر التي يعيشها الناس، وفي ظل غياب الأخبار الصحيحة أو الموثوقة، إلى جانب حالة الغموض والإبهام التي تكتنف الكثير من أحداث الحروب.

وتعد تكاليف الحرب النفسية رخيصة وأكثر فاعلية من تحريك الجيوش أو استخدام القوة المسلحة، وهنا يقول مورتي Morte : "إن محطة إذاعية قوية تستطيع أن تفعل في عدة أيام ما لا تستطيع أن تؤديه دبلوماسية كاملة خلال أعوام طويلة من العمل الدؤوب"، وتؤدي الشائعات دوراً خطيراً في إحداث التخريب النفسي للخصوم، ولقد كانت الحرب العالمية الثانية أكبر ميدان لاستخدام كافة وسائل الحرب النفسية والدعاية السوداء وابتكار أساليب جديدة ومتطورة لصنع "الشائعات" وفبركتها ونشرها على أوسع نطاق.

ولقد قيل وكتب الكثير عن فنون الحرب النفسية التي استخدمت على نطاق واسع إبان الحرب العالمية الثانية؛ بل إن مبادئ وتعليمات جولز وزير الدعاية النازي في عهد هتلر كانت ولا تزال واحدة من أهم مراجع الحرب النفسية، بل إن كثيراً ممن أُرخوا للحرب العالمية الثانية قالوا: إن "الدعاية" كانت هي السلاح الذي حسم المعركة لصالح الحلفاء!!

### قوالب الشائعات :

يتفنن مروجو الشائعات في ابتكار القوالب والأساليب التي تضمن "حبكة" ورواجاً أكثر عمقاً وأقوى تأثيراً:

فقد تستغل الشائعة أحد الأمثلة الشعبية التي تعارف الناس عليها فيكون هذا المثل - في الوقت الذي يقال فيه - بمثابة "خميرة" تتولد منها شائعة ضخمة تنمو وتكبر، ولا سيما إذا كان مطلقها أو مروجها من ذوي المكانة والخبرة أو الثقة.

- وقد تكون الشائعة نسجاً لقصة خيالية مسلية، تحمل معنى أو دلالة، يريد مروجها أن يصل بها إلى جمهور محدد ممن يتابعون أحداث القصة.

- وقد تكون الشائعة في صورة نكتة طريفة يتداولها الناس بهدف الإضحاك والتسلية، إلا إنها

تحمل في جنباتها "الهدف الدعائي"، ويُستخدم هذا النوع من الشائعات على نطاق واسع للنيل من سمعة ومكانة القادة والزعماء والمشاهير، ويعد من أكثر القوالب قدرة على التغلغل والتأثير والقوة.

- وقد تستخدم الشائعة رسماً كاريكاتيرياً في صحيفة أو مجلة، ويكون هذا الرسم بمثابة إصاق تهمة ما أو صفة ما بشخص معين.

- كما قد تكون الشائعة في صورة سؤال استنكاري يوجه إلى شخصية من المشاهير، دون أن يكون لديها خلفية كافية للرد عليه، أو علم سابق بموضوع السؤال، ويصبح هذا السؤال نواة لانطلاق الشائعة.

### الشائعات ووسائل الإعلام:

يخطئ البعض حين يربط بين الإعلام والشائعات ربطاً يصل إلى حد الخلط بينهما، باعتبار وسائل الإعلام مصدراً رئيسياً لصنع الشائعات والترويج لها على نطاق واسع، ولا يمكننا اعتماد هذا الربط القسري أو قبول هذا الاتهام الجائر لوسائل الإعلام، ففي الوقت الذي يمكن أن تقوم به بعض وسائل الإعلام في نشر الشائعات والترويج لها، فإن تلك الوسائل يمكن - إذا أحسن توظيفها - أن تكون سبباً في وأد الشائعات في مهدها وتقنيدها والحد من تأثيراتها فقد سبق وأن قلنا: إن الناس - في أوقات الحروب والأزمات - يكونون مؤهلين لتصديق كل شيء يفسر لهم الأحداث، ويكون بديلاً ولو مؤقتاً للحقائق والتفسيرات الصحيحة.

كما أن تأثير الشائعات وقوة انتشارها يزداد في المجتمعات المغلقة والديكتاتورية التي تفرض تعميماً إعلامياً على مواطنيها، أما في المجتمعات الديمقراطية الحرة، التي يتاح للناس فيها معرفة الأنباء والاطلاع على أكثر من مصدر للحقائق والمعلومات الصحيحة دون ضغوط أو رقابة؛ فإن الشائعات تفقد بريقها ومن ثم مصداقيتها، فالقاعدة تقول: إنه "إذا دخلت الحقائق من الباب خرجت الشائعات من الشباك".

ولوسائل الإعلام أساليبها وقوالبها المختلفة في صنع الشائعات وترويجها، وهي أساليب غير مباشرة كثيراً ما تنطلي على جماهير تلك الوسائل، وتحقق أهدافها بسهولة ويسر، ومن ذلك: ما تلجأ إليه بعض وسائل الإعلام - عند عرضها للأخبار - من لى للحقائق أو تقديم جانب من الخبر والتركيز عليه في حين تغفل الجوانب الأخرى. ومنها: الإبراز والتركيز على موضوعات معينة بهدف إحداث تأثير نفسي ودعائي محدد ومن تلك الأساليب: "التلميح والغمز"، وذلك عن طريق توجيه الاتهامات إلى أشخاص أو جهات معينة بشكل غير صريح وغير مباشر، كما تستخدم بعض وسائل الإعلام: أسلوب "الارتباط المزيف" حين تعمد إلى الربط بين موضوعين أو ظاهرتين لا رابط بينهما في الأصل، ولكن عرضهما بطريقة معينة يخلق ربطاً موضوعياً تتولد من خلاله الشائعة.

كما أن "الخبر" الذي تتناقله وسائل الإعلام قد يتعرض للتحريف والتزييف خلال مراحل إعدادة، فالخبر من حيث هو قصة إخبارية شاهدها مراسل أو مندوب، إلى أن يصل إلى الجمهور العادى، سواء من خلال الصحف أو الإذاعة أو التلفزيون، يتعرض للعديد من التحريفات المقصودة أو غير المقصودة؛ لأنه يمر بعدد كبير من حراس البوابة الذين يقومون بعملية ترشيح أو "فلترة" للخبر، ويقدمونه لنا بالشكل الذي يريدونه، وكثيراً ما يصل إلينا الخبر وقد ابتعد عن الواقع الأصلي، وربما أصبح شيئاً مختلفاً تماماً ولا أساس له من الصحة، فنحن - في الواقع - لا نرى الأحداث التي وقعت، بل نرى ما تقدمه لنا وسائل الإعلام على أنه نقل للأحداث!!

وفي ظل المنافسة الشديدة بين وسائل الإعلام المختلفة، وصراعها لملاحقة التغطية الإخبارية للأحداث، وسعيها لتحقيق "السبق الصحفي"؛ فإنها قد تقدم بعض الأخبار أو القصص الإخبارية دون التثبت من صحتها أو الوقوف على مصادرها الحقيقية، فتكون بمثابة شائعات روجت لها تلك الوسائل عن غير قصد، وقد لا تفلح محاولات تصحيحها فيما بعد !!

وهكذا يمكن لوسائل الإعلام التقليدية أن تصبح - دون قصد - أدوات لنقل الأخبار المغلوطة والشائعات، على الرغم من كل ما يكتنف عملية "جمع الأخبار وإعدادها" من دقة ومتابعة من جانب مؤسسات إعلامية عريقة، تملك الكثير من الإمكانيات البشرية والتكنولوجية والفنية العالية، وفي ظل وجود سياسات وضوابط إعلامية محددة تحكم العمل الإخباري، فكيف هو الحال ونحن نتحدث عن وسائل الإعلام البديل التي تستخدم شبكة الإنترنت، ذلك العملاق الذي لا صاحب له ولا ضوابط تحكم مسار عمله!؟

### شبكة الإنترنت والطفرة التكنولوجية:

تعد شبكة الإنترنت واحدة من أسرع وسائل الاتصال نمواً في تاريخ البشرية، ففي الوقت الذي احتاج الراديو إلى نحو (٣٨) عاماً ليبلغ مستمعه خمسين مليوناً، واحتاج التلفزيون إلى (١٣) عاماً ليصل مشاهدوه للعدد نفسه، فإن الإنترنت لم يحتج سوى خمسة أعوام فقط ليصل مستخدموه إلى خمسين مليون مستخدم عبر العالم، وقد جاء ظهور الإنترنت ليعلن دخول العالم مرحلة جديدة من الاتصال ألغيت فيها المسافات، وتلاشت فيها الحدود بين البلدان.

ولقد ظهرت شبكة الإنترنت في نهاية الستينيات من القرن الماضي باعتبارها مطلباً عسكرياً لوزارة الدفاع الأمريكية، التي كانت - منذ بداية الحرب - الباردة تناقش كيفية تأمين البيانات والمعلومات المتعلقة بالجيش الأمريكي فيما لو تعرضت أمريكا لقصف صاروخي من جانب الاتحاد السوفيتي يوقف خطوط الاتصالات داخل البنتاجون، واستمر هذا السؤال دافعاً للعلماء والباحثين الأمريكيين للإجابة عليه، وفي يناير عام ١٩٦٩م ظهر الإنترنت إلى حيز الوجود تحت مسمى

ARPANET نسبة إلى أحد مراكز الأبحاث التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية.

وتواصل تطور شبكة الإنترنت، وشهدت نمواً ملحوظاً في أوائل التسعينيات؛ لتحقيق طفرة تكنولوجية غير مسبوقة في عالم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وفي عام ١٩٨٩م قامت شركة IBM بالإعداد لتطوير جهاز يسهم في زيادة سرعة نقل المعلومات بين الشبكة ومستخدميها، وهو ما يعرف باسم "Router" حيث تم استخدامه لأول مرة عام ١٩٩١م، ومنذ ذلك التاريخ بدأت شبكة الإنترنت في التوسع بانضمام أعداد هائلة من الشبكات الخاصة بشركات ومؤسسات مختلفة ومتنوعة الأنشطة، وأصبحت شبكة الإنترنت تربط الملايين من الحسابات الشخصية بعضها ببعض، ويتم نقل البيانات والمعلومات بسرعة فائقة جداً بفضل تكنولوجيا الاتصالات المستخدمة في العالم، والتي تعتمد على الأقمار الصناعية، وهو ما أدى إلى إطلاق مصطلح "الشبكة العنكبوتية" على شبكة الإنترنت، وذلك بسبب ترابط المعلومات والبيانات داخلها بشكل تتشابه إلى حد كبير مع شبكة خيوط العنكبوت في تشابكها وتداخلها، ومع ذلك تتمتع بقدرة كبيرة على الانتقال والتحرك فيما بينها بسهولة.

وشهد عام ١٩٩١م أهم تطور في تاريخ الإنترنت وذلك بظهور الشبكة العنكبوتية الدولية World Wide Web ، والتي قدمها تيم بارنرز لي Tim Berners Lee ، والتي اعتمدت على تكنولوجيا النص الفائق Hyper Text للربط بين الوثائق والملفات والصور والرسوم والأصوات على الشبكة، وقد أدى ظهور هذه الشبكة الدولية إلى ثورة كبرى في عالم الاتصال الحديث، وغير طرق الحياة في كثير من مناطق العالم.

وأُسفر استخدام شبكة الإنترنت عن ظهور نمط جديد من الإعلام سرعان ما أصبح منافساً شرساً للإعلام التقليدي، ونموذجاً أكثر تأثيراً وأوسع انتشاراً، وهو ما يسمى "بالإعلام الجديد"، أو "الإعلام البديل"، أو "الإعلام الإلكتروني"؛ ليفرض واقعاً جديداً ومختلفاً، حيث لا يُعد هذا الإعلام - أياً كانت تسميته - تطويراً فقط لوسائل الإعلام التقليدية، وإنما وسيلة جديدة تضم بين جنباتها كل ما سبقها من وسائل، مما أفرز قوالب إعلامية جديدة ومبتكرة كسرت العديد من القواعد والضوابط التي طالما حكمت عمل وسائل الإعلام التقليدية.

ويمكن تعريف "الإعلام الجديد" الذي أحدثته شبكة الإنترنت على أنه قوالب إعلامية جديدة نشأت نتيجة الدمج بين الأشكال التقليدية للإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة ، والتي تمثل شبكة الإنترنت أبرز تجلياتها.

## ويمكننا حصر أنماط هذا الإعلام الجديد فيما يلي:

- ١- الصحافة الإلكترونية.
  - ٢- الإذاعة عبر الإنترنت.
  - ٣- التلفزيون عبر الإنترنت.
  - ٤- المدونات.
  - ٥- المواقع التفاعلية (المنتديات، وساحات الحوار، وغرف الدردشة).
  - ٦- المجموعات البريدية.
  - ٧- المواقع الإلكترونية التي تضم عروض الفيديو قصيرة المدة.
- ولقد تميزت هذه الأنماط أو الأشكال الجديدة من الإعلام بالعديد من الخصائص التي زادت من قوة تأثيرها، ومن أهمها:

- ١- الزيادة الهائلة في أعداد المتعرضين لها.
- ٢- التغيير الجذري في مفهوم البعد الجغرافي حيث تلاشت الحدود والمسافات.
- ٣- تحقيق الاتصال التفاعلي في أروع صورة.
- ٤- إعادة تشكيل الأنماط التقليدية للاتصال.
- ٥- كسر حلقة احتكار النخبة السياسية والثقافية لوسائل الإعلام.
- ٦- فتح المجال واسعاً أمام المواطنين العاديين للتعبير عن آرائهم دون قيود.
- ٧- تخطى مفهوم قدرة المواطنين على الحصول على المعلومات والأخبار، وإتاحة الفرصة أمامهم لإنتاج هذه المضامين والمشاركة في صنعها.
- ٨- الاتجاه نحو لامركزية الاتصال.
- ٩- تفتيت الجمهور.

ومن هنا فقد حققت التكنولوجيا الحديثة عبر الإنترنت مفهوم "ديمقراطية الاتصال" في أبهى صورها، فحتى سنوات قليلة كنا نصف العالم - في ظل التطورات التكنولوجية وثورة الاتصالات - بقرية صغيرة يتأثر كل جزء فيها بما يحدث في الأجزاء الأخرى ويؤثر فيها، إلا إنه ومع انتشار استخدامات الإنترنت والوسائط المتعددة فقد أصبح العالم أقرب ما يكون بشاشة إلكترونية صغيرة!! ولقد أدت هذه التطورات المتسارعة بالتدرج إلى إضعاف قدرة "الدولة القومية" على حماية حدودها، وإحكام سيطرتها على شعوبها؛ نتيجة انفتاح تلك الشعوب على أحداث العالم ونظمه وثقافته المختلفة، وأصبح المواطن يشعر بأنه "مواطن كوكبي" Global Citizen أكثر من كونه مواطناً ينتمي لدولة محددة تحديداً جغرافياً وعرقياً واضحاً.

## قوة مواقع التواصل الاجتماعي وانتشارها:

ساعدت نشأة وتطور شبكة الإنترنت على ظهور مجال اجتماعي عام جديد، يمارس فيه الكتاب والمثقفون والمواطنون العاديون حريتهم كاملة في مناقشة القضايا العامة، بل ومعارضة النظم السياسية في الدول التي ينتمون لها والمطالبة بإسقاطها، ولقد أدى المجال العام - الذي أوجده الإنترنت - إلى تعزيز مشاركة واسعة النطاق لكل المواطنين بما يحقق ديمقراطية شعبية إلكترونية، حيث يعيش الناس في ظل عالم تقني ومجتمع افتراضي يسيطر على اهتماماتهم ويستنزف الكثير من أوقاتهم.

وكانت شبكات التواصل الاجتماعي أحد أهم تطبيقات الإنترنت، ولقد تعددت تعريفات شبكات التواصل الاجتماعي، إلا إنه يمكننا أن نتبنى التعريف التالي: "شبكات التواصل الاجتماعي هي مجتمع دولي افتراضي على شبكة الإنترنت، يُمكن الأفراد في جميع أنحاء العالم من التفاعل وتبادل المعلومات بشكل أكثر كفاءة، وذلك من خلال بناء ملفات شخصية "بروفايل" تتضمن معلومات أساسية عن المستخدم، إلى جانب تحديد قائمة المتصلين الآخرين المشتركين مع المستخدم في الاتصال، كما تسمح للمستخدم بمشاهدة الملفات الشخصية للآخرين، وكذلك قوائم الاتصال الموجودة لديهم داخل نظام محدد".

ومن هنا، فإن شبكات التواصل الاجتماعي تعد امتدادًا للعلاقات الاجتماعية الحقيقية بين الأفراد، وقد ظهرت هذه الشبكات مع الجيل الثاني للويب Web 2.0، ويتم من خلالها التواصل بين الأفراد في مجتمع افتراضي، تجمع بينهم اهتمامات مشتركة أو انتماءات متماثلة، ويكون التواصل فيما بينهم من خلال تبادل الرسائل والمعلومات والصور أو الملفات الشخصية.

وجاء أول ظهور لشبكات التواصل الاجتماعي عام 1995م، حيث صمم راندي كونرادز موقع [classmates.com](http://classmates.com)، وكان الهدف منه مساعدة الأصدقاء والزملاء - الذين جمعتهم الدراسة في مراحل عمرية معينة، وفرقتهم ظروف الحياة إلى أماكن مختلفة - لإيجاد سبل جديدة للتواصل، حيث أتاح لهم هذا الموقع فرص التواصل من جديد ولكن إلكترونياً، ومنذ ذلك التاريخ توالى تأسيس العديد من هذه الشبكات بشكل سرطاني، وسرعان ما أصبحت تستقطب أكثر من ثلثي مستخدمي الإنترنت حول العالم.

وعلى كثرة مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت تملأ الساحة، فإن خمسين موقعاً منها يزيد عدد مستخدمي كل منها عن مليون مستخدم، وأشارت العديد من الدراسات إلى أن أبرز هذه المواقع وأكثرها استخداماً عشرة مواقع، هي:

- ١- موقع فيس بوك — Facebook
- ٢- موقع ماي سبيس — My space
- ٣- موقع أوركوت — Orkut
- ٤- موقع وندوز لايف سبيس — Windows Life Space
- ٥- موقع نت لوج — Net Log
- ٦- موقع HI ٥
- ٧- موقع لينكيد إن — Linked in
- ٨- موقع هابو — Habbo
- ٩- موقع ديفيانت أرت — Deviantart
- ١٠- موقع كلاسميتس دوت كوم — Classmates.com

وإذا طالعنا الإحصائيات التي تتحدث عن مدى قوة وتأثير هذه المواقع بالنظر إلى أعداد مستخدميها، سوف ندهش من كم أولئك الذين يعتبرون مواقع التواصل الاجتماعي ليست بديلاً فقط عن وسائل الإعلام التقليدي بل بديلاً عن الجماعات الاجتماعية الحقيقية التي ينتمون إليها، ويعيشون فيها؛ فقد أفادت آخر الإحصائيات الصادرة عن موقع الفيس بوك عام ٢٠١٤م أن الموقع يضم أكثر من مليار مشترك، وأن هؤلاء المستخدمين يقضون أكثر من ٧٠٠ مليار دقيقة شهرياً على الموقع وأن أكثر من ٨٢% من مستخدمي الفيس بوك من خارج الولايات المتحدة الأمريكية، وأن ثمة أكثر من ٢٠٠ شركة اتصالات للهواتف المحمولة في ستين دولة تعمل على نشر وترويج منتجات وتطبيقات الفيس بوك على الهواتف المحمولة.

كما أشارت دراسة أخرى إلى أن موقع تويتر يعد أكثر المواقع استخداماً في المملكة العربية السعودية؛ إذ يصل عدد مستخدمي الإنترنت فيها نحو ٢١ مليوناً بما يعادل ٦٦% من عدد السكان، وأن السعوديين يتصدرون قائمة أكثر شعوب العالم تغريداً على "تويتر"، حيث يغرد عليه نحو ٤١% من إجمالي عدد مستخدمي الإنترنت في المملكة، كما أشار التقرير السنوي الخامس عن Facebook في مصر إلى أن عدد مستخدميها النشطين في مصر يبلغ ٢٢،٤ مليون مستخدم، بما يقارب ربع عدد السكان.

### **التنظيمات الإرهابية واستهداف الشباب إلكترونياً؛**

كانت فئة الشباب والمراهقين هي الأكثر تأثراً بمواقع التواصل الاجتماعي، والأكثر تعاملًا مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة، والتي أصبحت نافذة رئيسية لهم للاطلاع على الأحداث المحلية والدولية والتعاطي معها، والتواصل مع أقرانهم في كافة أنحاء العالم بحرية كاملة دون رقابة أو حدود.

وعلى الرغم من الفوائد الجمة التي يحققها الشباب من تواصلهم مع التكنولوجيا الحديثة، واستخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي، وما تتيحه لهم من انفتاح على ثقافات الشعوب الأخرى، وإكسابهم خبرات جديدة، وبناء علاقات اجتماعية وإنسانية متجددة، وغيرها من الإيجابيات التي لا ينكرها إلا جاحد، فإن ثمة الكثير من السلبيات التي جناها الشباب - ولا يزالون - من جراء تلك التكنولوجيا، أسهب في ذكرها ودراستها العديد من أساتذة علم الاجتماع وعلم النفس، وأشاروا من خلالها لما يمكن أن يترتب على تلك السلبيات من أمراض اجتماعية ونفسية نتيجة الاستخدام العشوائي لمواقع التواصل الاجتماعي، حيث يجعلهم ذلك الاستخدام أكثر عزلة عن مجتمعاتهم، مما يدفعهم للهروب من واقعهم، حيث يتعاملون مع أشخاص افتراضيين وغير حقيقيين.

كما يؤدي الاستخدام المفرط للشباب لمواقع التواصل الاجتماعي إلى حالة متقدمة من الإدمان، والذي يؤدي بدوره إلى تزايد الشعور بالعدوانية والأنانية والكآبة والاضطرابات النفسية، وتشير بعض الدراسات النفسية إلى أن تعامل الشباب مع عالم وشخص افتراضية - من خلال مواقع التواصل الاجتماعي - يجعلهم يحاولون الظهور بمظهر مثالي مغاير لحقيقتهم؛ مما يضعف من حالات الاضطراب والشعور بعدم الرضا لديهم.

ولما كان الشباب هم الفئة الأكثر استخداماً وتعاملاً مع مواقع التواصل الاجتماعي، فقد كانوا هدفاً للجماعات الإرهابية المتطرفة التي حاولت توظيف تلك المواقع في تجنيد قطاعات كبيرة من الشباب، باختلاف أعمارهم ومستوياتهم الاجتماعية والتعليمية وانتماءاتهم الدينية، فقد اهتمت الجماعات الإرهابية والتكفيرية - منذ وقت طويل - بتوظيف الإعلام بكافة وسائله لخدمة أغراضها وتحقيق أهدافها.

ففي عام ٢٠٠٢م دشنت تنظيم القاعدة موقع (نداء) على شبكة الإنترنت لبحث أفكاره وترويج مبادئه، وتوجد عشرات الآلاف من المواقع الإلكترونية التابعة للجماعات الإرهابية في مختلف دول العالم، والتي تزايدت أعدادها مع التطورات التكنولوجية المتسارعة لشبكة الإنترنت، كما نجحت التنظيمات الإرهابية في اختراق مواقع التواصل الاجتماعي لنشر أفكارها في نفوس وعقول الشباب المغربي به.

ويعد تنظيم "داعش" أكثر التنظيمات الإرهابية استغلالاً لشبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص، وحقق هذا التنظيم نجاحات غير مسبوقة في النفاذ لقطاعات واسعة من الشباب في مختلف دول العالم، وتجنيدهم ضمن صفوفه للدفاع عن قيم وأفكار خاطئة ومغلوبة لا يعرفون عنها شيئاً.



وعلى الرغم من عدائنا الشديد لهذا التنظيم وما يدعو إليه من تبرير للقتل والإبادة لأسباب دينية والدين منها براء، إلا أن تجربته في استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتوظيفها لخدمه أهدافه تظل تجربة جديرة بالدراسة والتقييم، فقد نجح هذا التنظيم في تجنيد عناصر شابه مدربة على التعامل مع هذه التكنولوجيا، استطاع من خلالها أن يطور إستراتيجية إعلامية لتوظيف مواقع التواصل الاجتماعي لخدمة أهدافه.

وكانت لهذا التنظيم الإرهابي محاولات تكنولوجية متطورة لابتكار تقنيات جديدة في التعامل مع هذه المواقع من خلال:

- ١- فتح بعض الحسابات المُلغاه على شبكات التواصل الاجتماعي.
  - ٢- إعادة نشر الفيديوهات المحذوفة من قبل الشركات المشرفة على تلك المواقع.
  - ٣- استحداث مواقع بديلة لنشر أخباره و بث أفكاره المتطرفة.
  - ٤- توظيف الألعاب الإلكترونية الرقمية على شبكة الإنترنت وابتكار ألعاب جديدة خاصة به.
- وتشير بعض الإحصائيات إلى أن تنظيم داعش الإرهابي ينشر أو يعيد نشر ما يزيد عن تسعين ألف مادة إعلامية ودعائية عبر وسائل الاتصال الاجتماعي يوميًا!! وفي أواخر عام ٢٠١٤م أطلق التنظيم لعبة رقمية تحمل اسم "صليل الصوارم" لتدريب الشباب والنشء على مقاتلة قوات التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ضد تنظيم داعش.
- ولقد جاء في التقرير الخامس والعشرين لمرصد الفتاوى التكفيرية والآراء المتشددة التابع لدار الإفتاء المصرية، والصادر في يوليو ٢٠١٥م تحت عنوان "دور المنتديات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي في تجنيد الإرهابيين، الخطورة وسبل القضاء عليها": أن ٨٠% من الذين انتسبوا لتنظيم داعش تمّ تجنيدهم عبر وسائل الاتصال الاجتماعي، وأن عدد المواقع الإلكترونية للتنظيمات الإرهابية زادت عن (١٥٠) ألف موقع في عام ٢٠١٥م، بينما لم يزد عددها عام ١٩٩٧م عن اثني عشر موقعًا فقط.

ورصد مركز "صواب" في دولة الإمارات العربية المتحدة عدة طرق يتبعها تنظيم داعش الإرهابي لاستقطاب الشباب وتجنيدهم من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وهذه الطرق هي:

- ١- استحداث غرف محادثة صوتية وكتابية؛ مما يسهل مهمة تجنيد الشباب.
- ٢- استخدام تقنيات التحكم باللقطات من خلال عمليات تقنية متطورة.
- ٣- محاكاة الأفلام الأجنبية المشوقة التي تجذب قطاعات كبيرة من الشباب وصغار السن.
- ٤- إرسال الأفلام ومقاطع الفيديو على الهواتف الذكية؛ لجذب مزيد من المتابعين.

- ٥- إدراج التكبيرات عند نشر لقطات أو فيديوهات عن كل عملية قتل أو تفجير.
- ٦- عمل تأثيرات صوتية أثناء استخدام الشباب للألعاب الإلكترونية لإثارة حماسهم.
- ٧- توفير خيارات للقتل وارتكاب الأعمال الانتحارية، كتصنيع العبوات الناسفة أو الأحزمة المفخخة.

٨- إدراج بعض الأناشيد الحماسية والألعاب الإلكترونية الداعية للقتل والإرهاب. هذا قليل من كثير مما تستخدمه التنظيمات الإرهابية من تقنيات للتعامل مع الإنترنت، وتوظيف مواقع التواصل الاجتماعي لنبث أفكارها المسمومة عبر العالم.

### مواقع التواصل منصات لإطلاق الشائعات:

إن المتابع لما تبثه مواقع التواصل الاجتماعي التابعة للتنظيمات الإرهابية وغيرها، يدرك أن الكثير منها يعتمد ويتعمد نشر وترويج أخبار مغلوطة وشائعات لتبرير مواقفها وسياساتها في ظل حالة الانفلات الإعلامي التي يعيشها عالمنا المعاصر.

وتعد الشائعات والنكت الشعبية والسياسية ضرباً من ضروب الإعلام البديل، حيث تلجأ إليها بعض الشعوب عندما تشعر بحالة الانفصال بينهما وبين وسائل إعلامها الرسمية، أو عندما تتعرض لحالة من التضييق على حرية الرأي والتعبير، فتصبح الشائعات والنكت مخرجاً من هذا المناخ الخانق.

ويمارس مستخدمو مواقع التواصل الاجتماعي أدوراً متمامية للتعبير عن رؤاهم وأفكارهم ووجهات نظرهم فيما تمر به مجتمعاتهم من أحداث، وينصبون أنفسهم إعلاميين وشهوداً على الأحداث، ويضمنون انتشاراً واسعاً لما يبثونه من أخبار أو معلومات من خلال إرسالها إلى أقرانهم من المستخدمين الآخرين، الذين يقومون بإعادة نشرها دون تدقيق أو مراجعة، وليس بالضرورة أن يكون مستخدمو مواقع التواصل الاجتماعي مروجين للشائعات والأخبار المغلوطة عن قصد، ذلك أنه كثيراً ما يفتقدون المعلومة الصحيحة أو الدقيقة، ولكن يدفعهم حب الظهور أو الرغبة في مشاركة الآخرين إلى نشر أو إعادة نشر ما يتوفر لديهم من معلومات.

والدراسون للشائعات يرون أن الشائعة تقوم بالعديد من الأدوار والوظائف لمروجيها، ومن أهمها:

- إحداث تعديل أو تغيير في الآراء والاتجاهات والسلوكيات لكسب مؤيدين أو إتقاء لشورور خصومهم.

- أحيانا تطلق الشائعة لمجرد "حب الظهور" من جانب من ينقلها؛ فبعض الناس يجدون متعة كبيرة أثناء سردهم لأحداث ووقائع ومعلومات لا يعرفها الآخرون، وتزداد متعتهم طالما استحوذوا على إهتمام الآخرين وإنصاتهم.

- أحيانا تقوم الشائعة بدور "التبرير"، فتُطلق بهدف تخفيف التوتر والاضطراب الذي يشعر به البعض؛ فقد يتعرض شخص ما لموقف عصيب لا يستطيع أن يتحملة أو يفشل في أداء مهمة ما، ولا يستطيع أن يبرر فشله، وهنا يلجأ إلى إطلاق شائعة ما لتبرير ذلك الموقف أو ذلك الفشل، وقد تكون البداية "كذبة مختلقة" ومع تكرارها وتداولها يصدقها الشخص نفسه !!

- أحيانا تلعب الشائعة دور "الإسقاط" فتجىء تعبيراً عن دوافع نفسية بحتة، وذلك حين تنعكس الحالة الانفعالية لشخص ما دون وعي على تفسيره لما يدور حوله.

- قد تجىء الشائعة لتحقيق هدف "التوقع" للأحداث المستقبلية؛ ففي الوقت الذي تقدم فيه الرؤى والتحليلات المنطقية والموضوعية فإن بعض الناس ينسجون من أخيانتهم توقعات لتفسير الأحداث المستقبلية، وهنا فإن الشائعة تعتمد على جزء من الوقائع المادية الملموسة، ثم ربطها ببعض من نسج الخيال أو التوقعات التي لا تقوم على دليل منطقي.

- وفي حالات الحروب والأزمات تقوم الشائعات بأداء أدوار مختلفة يمكن تحديدها فيما يلي:

١- بث الفرقة والانقسام، وتحطيم معنويات العدو.

٢- تثبيط عزائم الجيوش المعادية، ونشر حالة من الاسترخاء.

٣- تشويه صورة أو سمعة الأشخاص أو الجهات المعادية.

٤- تدعيم الجبهة الداخلية، وتعزيز الشعور بالقوة، ورفع الروح المعنوية للشعوب.

ومما لا شك فيه أن مستخدمى مواقع التواصل الاجتماعي، ولا سيما من الشباب، تدفعهم كل هذه الدوافع أو بعضها وهم ينشرون الشائعات ويتداولونها، سواء بقصد أو بغير قصد.

وفي ظل ضعف البنية التحتية لبعض وسائل الإعلام العربية الرسمية، مع سعيها الدؤوب لتحقيق سبق والتفوق، فإنها كثيراً ما تعتمد على استقاء أخبارها من مواقع التواصل الاجتماعي دون التحقق من مدى دقتها أو مصداقيتها، فتعمل هذه الوسائل على مزيد من الترويج للأخبار المغلوطة والشائعات التي تتواجد على بعض مواقع التواصل الاجتماعية، مما يشجع صناعاتها على إنتاج المزيد من الشائعات!!

ولا تتوانى بعض وسائل الإعلام العربية - في ظل حرصها على تحقيق سبق على حساب الدقة والموضوعية - عن استقاء بعض معلوماتها من مواقع التواصل الاجتماعي التابعة للجماعات

والتنظيمات الإرهابية، ومن هنا تقع في أخطاء تمنح الإرهابيين ومنظماتهم فرصاً ذهبية لعرض أفكارهم، وكسب المؤيدين والمتعاطفين معهم.

والمتابع للعديد من مواقع التواصل الاجتماعي التي يستخدمها الشباب العربي يلمس خطأً منهجية للنيل من الإسلام وعلمائه الأجلاء، والتشكيك في كل الثوابت الدينية، والنيل من أئمة المذاهب الأربعة، كما أدى ظهور القنوات الدينية المذهبية، وما تبثه من أفكار مشوهة إلى امتلاء مواقع التواصل الاجتماعي التي تنقل عنها بكل ما يوجب الصراعات الفقهية والطائفية، ونشر الشبهات، مما ينعكس على الفهم الصحيح للدين، ويعمق الخلافات بين المسلمين، وإذاعة فكر التكفير والتفسيق.

ولقد وجد الفكر التكفيري ضالته في بعض تلك المواقع التي راحت تزكى روح الفرقة والانقسام بين أبناء الأمة الإسلامية، وتنفث روح العداوة والبغضاء بينهم من خلال نظرة مذهبية ضيقة، وخطاب إعلامي مغرق في التعصب والغلو.

ومنذ ظهورها وبدء استخدامها تعرضت العديد من مواقع التواصل الاجتماعي للحجب والتشويش في العديد من دول العالم؛ نظراً لانتهاكها بنشر الشائعات، وإثارة النعرات القومية والشعبوية، وتوظيفها من جانب القوى المعارضة لأنظمة الحكم في تلك الدول.

ولقد كان للدول العربية والإسلامية نصيب كبير من الإجراءات التي اتخذت لتجسيم دور تلك المواقع والحد من خطورتها، فقد تم حجب موقع Facebook في بعض الدول الإسلامية حجباً كاملاً، كما تعرضت بعض المواقع لهجمات حادة من جانب علماء الدين وخبراء الاجتماع، بوصفها أدوات فاعلة لنشر الفسق والفجور من خلال ما تقدمه من محتوى إباحي وبذىء يتعارض مع عقائد وقيم وأخلاقيات المجتمع، ووصل الأمر إلى حد صدور بعض الفتاوى التي تحرم التعامل مع هذه المواقع تحريماً كاملاً؛ لأنها تدعو وتيسر إقامة علاقات جنسية غير مشروعة بين المستخدمين، واتهمت بعض المواقع، ومن بينها موقع Facebook بإباحة "المثلية" بوصفها حقاً من حقوق الإنسان.

وكشفت السلطات المصرية في عام ٢٠١٤م عن إلقاء القبض على عدد ممن يسمون أنفسهم نشطاء في مجال حقوق الإنسان؛ لقيامهم بإنشاء جمعيات ومجموعات على مواقع التواصل الاجتماعي تبيح الشذوذ الجنسي، وتطالب بإباحة المثلية، وذلك من خلال متابعة أنشطتهم عبر شبكة الانترنت.

وكانت الصين من أكثر دول العالم تشددًا مع هذه المواقع التي اتُهمت بنشر الشائعات والقيم التي تتعارض مع قيمها ونظمها السياسية، فأغلقت العديد من مواقع التواصل الاجتماعي ومنعت مواطنيها من التعامل معها، ولكنها أوجدت البدائل الصينية للشباب من خلال إطلاق مواقع صينية وطنية على شبكة الإنترنت.

وخلال منتدى الإعلام العربي، الذي عُقد في مقر الأمم المتحدة بنيويورك بتنظيم من جامعة الدول العربية في يونيو ٢٠١٥م، أكد المسئول الأممي جيفري فيلتمان أن "المتطرفين" يقومون باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي بصورة فعالة لنشر دعايتهم والترويج لأفكارهم وتجنيد مزيد من الأعضاء، وأنه من خلال خطاب الكراهية يهاجم المتطرفون شرعية ميثاق الأمم المتحدة، وقيم جامعة الدول العربية.

وأشار المتحدثون في المنتدى إلى أنه ما بين شهرى سبتمبر وديسمبر من عام ٢٠١٤م كان هناك أكثر من (٤٦) ألف حساب على موقع تويتر يدعم تنظيم داعش الإرهابي.

وأشار جان بول لابورد رئيس لجنة الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب إلى أن بعض الجهود الشعبية تُبذل لمواجهة الحركات الشعبية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، ومن بينها حملة "أعيدوا فتياتنا" التي تعمل ضد منظمة بوكو حرام الإرهابية في نيجيريا، واقترح لابورد على الدول الأعضاء تشجيع شركات التكنولوجيا الجديدة لتطوير آليات لمواجهة خطاب الكراهية وتعزيز قيم التسامح.

ولا شك أننا - باعتبارنا خبراء في الإعلام - نقدر حرية الرأى والتعبير، ونعدها حقًا ثابتًا لا يمكن الاعتداء عليه، مما يجعلنا نتحفظ على بعض تلك الإجراءات، إلا أننا في ذات الوقت نقدر المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام التقليدية منها والجديدة، ونؤمن بأن "الحرية" مقيده بعدم المساس بثوابت الناس وعقائدهم وقيمهم وأخلاقهم.

ويدفعنا هذا للتأكيد على أن تكنولوجيا الاتصال الحديثة يجب أن تُوظف لخدمة البشر والارتقاء بهم، بدلاً من توظيفها في نشر الشائعات والردائل التي تهدم المجتمعات ولا تبنيتها.

### **سبل مواجهة الشائعات على مواقع التواصل الاجتماعي:**

لا تروج الشائعات ولا تنتشر إلا في ظل غياب الحقائق والمعلومات الصحيحة، أو في ظل الرقابة الصارمة التي تفرضها بعض الأنظمة السياسية على وسائل الإعلام.

وعندما نتحدث عن سبل مكافحة الشائعات نقول: إن توفر الحقائق هو أقوى وأمضى الأسلحة، فكلما توفرت مصادر المعلومات وأتيحت أمام الناس صُعب على الشائعات ومروجيها أن يجدوا سوقاً لهم، وسُهل قتلها وهي في المهد.

ومن هنا، فإن رفع الرقابة عن وسائل الإعلام، وإتاحة المعلومات الصحيحة والدقيقة عن الأحداث يقطع الطريق على مروجي الشائعات، ولعل هذا ما يدفعنا للإشارة إلى كيفية توظيف وسائل الإعلام في تنفيذ الشائعات ومحاربتها، والضوابط التي ينبغي أن تراعى في ذلك ومن أهمها:

١- ضرورة توفر الثقة في وسائل الإعلام.

٢- دحض الشائعات من خلال توفير البدائل من المعلومات الصحيحة والحقائق المقنعة.

٣- التحفظ على قيام بعض وسائل الإعلام بتقديم الشائعات على أنها نوع من الطرفة أو الفكاهة؛ لأن ذلك يسهم في مزيد من الانتشار والترويج لها.

٤- التحفظ على قيام بعض وسائل الإعلام بالإشارة إلى بعض الشائعات المتداولة، والتي تحتوى على أمثلة شعبية دارجة؛ لأن ذلك يسهل من تذكرها وحفظها لدى قطاعات واسعة من الجمهور.

وتظل مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت- شئنا أم أبينا - أحد أهم منجزات التكنولوجيا الحديثة، وأبرزها، وربما أكثرها انتشاراً وتأثيراً من بين وسائل الاتصال التقليدية والجديدة على حد سواء، إلا أن إساءة استخدامها وتوظيفها أصبح يهدد استقرار المجتمعات وأمن الأسر في مختلف المجتمعات المتقدمة والنامية، ومن ثم فإن الأمر بحاجة إلى وضع بعض الضوابط لاستخدامها.

وفي هذا الإطار فإننا نقترح بعض الضوابط التي يمكن أن تراعى لمواجهة ما تنتشره وتقدمه بعض تلك المواقع، وخاصة في المجتمعات العربية والإسلامية، ومن أهمها:

- نشر الوعي بأهمية تلك المواقع بين الشباب وتبصيرهم بخطورة بعضها وخطورة ما تدعو إليه من شائعات وقيم سلبية.

- تعليم الشباب والناشئة كيفية التعامل الآمن مع هذه المواقع، وتحفيزهم لعدم إيمانها.

- وضع القوانين والمواثيق التي تجرم التعامل مع بعض المواقع التي تدعو للزيلة وتبيح العلاقات غير المشروعة، وتحض على الفسق والفجور في مجتمعاتنا المحافظة.

- تشجيع البحث العلمي في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية والإسلامية؛ لدراسة المخاطر التي تترتب على التعامل مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة عامة، ومواقع التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص.

- دعوة الحكومات العربية والإسلامية إلى إيجاد البدائل المقبولة من المواقع الإلكترونية التي توفر سبلاً وبدائل مناسبة للتعامل مع تكنولوجيا الاتصال.

- دعوة الحكومات العربية والإسلامية إلى استيعاب طاقات الشباب وأوقاتهم وتوظيفها؛ لخدمة القضايا التي تعود بالنفع على الأمة وشبابها، وعدم تركهم نهبا للجماعات المتطرفة.
- العمل على إثراء المحتوى العربي للنشر الإلكتروني على شبكة الإنترنت؛ حتى تقدم المجتمعات العربية قيمها وتراثها لمواجهة أخطار طمس الهوية العربية والإسلامية.
- دعم جهود مكافحة الأمية المتفشية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ سواء الأمية الأبجدية، أو الأمية الدينية، أو الأمية في التعامل مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة.
- العمل على إنجاز القوانين وموائق الشرف الخاصة بالعمل الإعلامي، وتفعيل ما هو قائم بالفعل، وتشجيع التواصل بين الدول العربية والإسلامية لإصدار قوانين وموائق شرف للعمل الإعلامي تنبع من شريعتنا وخصوصية مجتمعاتنا.
- إن تلك المقترحات والتوصيات لن تجد سبيلها للتنفيذ على أرض الواقع، إلا في ظل وجود إستراتيجية عربية وإسلامية واضحة المعالم لسبل توظيف تكنولوجيا الاتصال الحديثة لخدمة قضايا الأمة، وهو ما يتطلب إخلاص النوايا وتضافر الجهود<sup>(١)</sup>.

- (١) استفاد هذا البحث بالعديد من المراجع، منها:
- ١- إبراهيم البنداري: الإنترنت المكونات والخدمات، دار الثقافة العامة، الاسكندرية ، ١٩٩٩م.
  - ٢- أحمد بدر: الرأي العام طبيعته وتكوينه وكالة المطبوعات الكويت: ، ١٩٨٢م.
  - ٣- أحمد محمد أبو زيد: سيكولوجية الرأي العام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
  - ٤- أحمد محمد صالح: تكنولوجيا الاتصال الحديثة: دار البيان للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م.
  - ٥- الطاهر عوض باشا: اتجاهات الشباب العربي نحو الجماعات الإرهابية الدينية وتوظيفها لمواقع التواصل الاجتماعي، الفيسبوك نموذجًا، مجلة الإذاعات العربية، العدد(٤)، ٢٠١٤م.
  - ٦- إياد حكمت محمد علي: تعرض الشباب العراقي لمواقع الإنترنت وعلاقته بالقيم السائدة لديهم. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ٢٠١٠م.
  - ٧- بهاء شاهين: الإنترنت والعولمة، عالم الكتب العلمية للنشر والتوزيع، (١٩٩٩م).
  - ٨- حسنى محمد نصر: الإنترنت والإعلام: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م.
  - ٩- حنفى حيدر أمين محمد: استخدامات المراهقين للإنترنت وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي، المؤتمر الثالث عشر "الإعلام والبناء الثقافي والاجتماعي للمواطن العربي" - كلية الإعلام - جامعة القاهرة، مايو ٢٠٠٧م.
  - ١٠- خالد بن صالح الطويان: تجارب مكافحة الارهاب "جهود المملكة العربية السعودية نموذجًا"، بحث مقدم للمؤتمر الإسلامي العالمي للإسلام ومحاربة الإرهاب، رابطة العالم الإسلامي، ٢٠١٥م.
  - ١١- سامى الشريف: الإعلام والإرهاب على خط المواجهة، ورقة عمل مقدمة للحلقة النقاشية "أساليب مواجهة الإرهاب"، رابطة الجامعات الإسلامية ، القاهرة ٢٠١٥/٢/٤م.
  - ١٢- الإنترنت والوسائط المتعددة ثورة في عالم الاتصال. ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر "تطور الوسائط الإعلامية المتعددة وتأثيراتها على توجهات الرأي العام"، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٤ من فبراير ٢٠١٠م.
  - ١٣- شريف درويش: أدبيات استخدام الشباب العربي للتكنولوجيا الجديدة في المجال الاتصالي، رؤية تحليلية، بحث مقدم لندوة "الشباب العربي وثورة الاتصالات" - معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ٢-٣ من ديسمبر ٢٠١٢م.
  - ١٤- شريف درويش الفيس بوك والإعلام البديل وتأثيراتها على الشباب، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر "تطور الوسائط الإعلامية المتعددة وتأثيراتها على توجهات الرأي العام" المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية. القاهرة ٢٤ من فبراير ٢٠١٠م.
  - ١٥- صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، الجزء الثاني. للطباعة والنشر، د.ت.
  - ١٦- عزت السيد أحمد: أفاق التغيير الاجتماعي والقيمي، الثورة العلمية والمعلوماتية والتغيير الاجتماعي.: دار الفكر الفلسفي دمشق، ٢٠٠٥م.



- ١٧- علاء الخواجه: تأثير الإنترنت على الشباب في مصر والعالم العربي: مجلس الوزراء، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار القاهرة ، ٢٠٠٥م.
- ١٨- على محمد رحومة: الإنترنت والمنظومة التكنو اجتماعية: بحث تحليلي في الآلية التقنية للإنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية طرابلس، ٢٠٠٥م.
- ١٩- فادية عمر الجولاني: الأسرة العربية: تحليل اجتماعي لبناء الأسرة وتغير اتجاهات الأجيال، ط ١ المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية ، ٢٠٠٤م.
- ٢٠- محمد طلعت عيسى: الشائعات وكيف نواجهها: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٤م.
- ٢١- محمود حمدى: دور الإعلام البديل في تفعيل المشاركة السياسية لدى الشباب: دراسة تطبيقية على الشبكات الاجتماعية الافتراضية، المؤتمر العلمى الخامس عشر (الإعلام والإصلاح ، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ٢٢- مختار التهامي: الرأى العام والحرب النفسية ط٢. دار المعارف ، ١٩٧٢م.
- ٢٣- مرصد الفتاوى التكفيرية بدار الإفتاء المصرية: التقرير الخامس والعشرون "دور المنتديات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعى في تجنيد الإرهابيين، الخطورة وسبل القضاء عليها، القاهرة، يوليو ٢٠١٥م.
- ٢٤- وليد الكيلاني: الحرب النفسية بين الكلمة والطلقة مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية عمان ، ١٩٧٥م.
- ٢٥- وليد رشاد زكى: المجتمع الافتراضى: دراسة في أزمة منظومة قيم الأسرة المصرية ، المؤتمر العلمى الأول "الأسرة والإعلام وتحديات العصر"، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، فبراير ٢٠٠٩م.

## براءة الأديان من الإرهاب وصانعيه

### الأستاذ الدكتور/ محمد بن أحمد بن صالح الصالح

الأستاذ بالجامعات السعودية ومعاهدها العليا

وعضو المجلس العلمي بجامعة الإمام

المملكة العربية السعودية

الحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات، وأزكى الصلوات والسلام على البشير النذير والسراج المنير، هادى البشرية إلى الرشد، وداعى الخلق إلى الحق، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور، صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود، عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود ... وبعد ،

فمما لا ريب فيه أن الإرهاب يُعد من أخطر الظواهر التى تهدد أمن المجتمع واستقراره على المستويين الداخلى والدولى، وأن ثمة إجماعاً يكاد ينعقد على أنه ظاهرة لا يمكن أن تبررها أى اعتبارات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو غيرها.

إن خطورة ظاهرة الإرهاب لم تعد تقتصر على ارتفاع عدد العمليات الإرهابية التى ترتكب سنوياً، أو تصاعد قوتها التدميرية، ولكنها تتمثل أيضاً فى انتشارها جغرافياً، وتوسعها بشرياً؛ فقد امتدت الظاهرة، بشكل أو بآخر، إلى كل القارات ومعظم الدول، وانخرط فيها مواطنون ينتمون إلى عشرات الدول المتقدمة وغير المتقدمة على السواء؛ فقد أصبحت الجماعات الإرهابية تضم فى عضويتها أفراداً ينتمون إلى جنسيات مختلفة لا تجمعهم بالضرورة أيديولوجية موحدة، أو توجهات سياسية محددة، أو خلفيات اقتصادية واجتماعية متماثلة، وتختلط عندهم الدوافع الدينية والقومية والاقتصادية والاجتماعية، ولا يجمعهم فى هذا السياق سوى قاسم مشترك واحد يتمثل فى

فكرة المقاومة بالعنف لكل ما يرون أنه مغاير لأهدافهم.

إن ارتكاب العمليات الإرهابية لم يعد مقصوراً على الأفراد والجماعات فحسب، بل أصبح سلاحاً تستخدمه الدول في ما بينها بديلاً للحروب التقليدية، وقد يؤدي تغيير النظام الدولي إلى التغيير في مفهوم الإرهاب وأشكاله وأهدافه، مع صعوبة مراقبته ومنع انتشاره أو ردعه، وتزايد حدته وارتفاع عدد ضحاياه، لا سيما مع استخدامه لوسائل التكنولوجيا الحديثة، كالإنترنت والبريد الإلكتروني والفضائيات.

### تعريف الإرهاب :

إن مفهوم الإرهاب يعد من أكثر المفاهيم السياسية المعاصرة إثارة للجدل والخلاف، فمن ناحية التعريف ليس هناك اتفاق على معنى محدد له، مما يؤدي إلى إمكانية إضفاء البعض صفة الإرهاب على أعمال هي أبعد ما تكون عن الإرهاب،<sup>(٧)</sup> وإرجاع البعض ذلك إلى تعاليم دين معين أو ممارسات حضارة بعينها، ولعل الوصول إلى تعريف موحد للإرهاب يحقق فوائد جمة على الصعيد الدولي؛ إذ يجعل الهيئات الدولية تعتمد مرجعية قانونية موحدة، ويؤدي إلى توحيد المعيار النظري لهذه الظاهرة، وهو ما سيضع الأمور في نصابها الصحيح بعيداً عن الاعتبارات السياسية المتعارضة للدول، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى ظهور اتفاقيات دولية عامة تقنن جريمة الإرهاب وفق عناصر موضوعية محددة، كما سيساعد ذلك على احترام مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعدالة، وعدم ازدواج المعايير، واحترام الحقوق المشروعة للشعوب، فضلاً عن توحيد الجهود الدولية لمكافحة الإرهاب.

ورغم هذه الأهمية الكبيرة فقد بدا من الصعوبة بمكان وضع تعريف موحد مُرضٍ للجميع، وذلك بالنظر إلى الطبيعة المتغيرة لظاهرة الإرهاب والتعقيدات المرتبطة بها.

وقد دفع هذا بعض الباحثين إلى الاكتفاء بوصف خصائص الإرهاب والإرهابيين، فمنهم من رأى أنه ليس من الحكمة البحث عن تعريف لهذه الظاهرة، وشكك آخرون في دقة النظريات المقدمة لتعريف الإرهاب، وانتهى الأمر بهم - إجمالاً - إلى القول باستحالة الاتفاق على تعريف للإرهاب، أو حتى على إطار عام للتعريف.

وعندما يطلق الإرهاب يراد به الممارسات الخاطئة التي تستخدم في تقتيل الناس، وترويع الأمنين، والاعتداء على المدنيين، والإجهاز على الجرحى، وقتل الأسرى، واستخدام الممارسات والوسائل غير الأخلاقية في الحروب، مثل هدم العمران، وخلع الأشجار، واستباحة المدن.

توجد هناك عدة تعريفات لمعنى الإرهاب، ولكن لا يوجد اتفاق دولي على تعريف الإرهاب وذلك لوجود خلاف كبير فى تعريفه وتحديد معناه، وإن كان يستطيع المرء أن يميز العمل الإرهابى أو يحدده بمجرد رؤيته، وبالتالي فإن مسألة التعريف قضية غير مجدية كما وصفها الأمم المتحدة، فهى لا تغير كثيراً من النظرة إلى الإرهاب مادامت صورته مستقرة فى أذهان الناس.

وعلى الرغم من ذلك فإن الإعلام الغربى يصور أى عمل إسلامى وعربى من أجل التحرر هو إرهاب، فى حين نرى أن هناك الكثير من حركات التحرر فى أفريقيا وآسيا وأروبا تقاوت من أجل أهداف مختلفة؛ بعضها من أجل التحرر، والبعض الآخر من أجل السلطة، يطلق الإعلام الغربى عليها اسم العنف، كالصراع فى أيرلندا الشمالية بين (الأرثوذكس والبروتستانت) وهو صراع عقائد، وتلك المجازر التى حصلت فى أفريقيا بين (الهوتو والتوتسي) فى بورندى ورواندا وهو صراع عرقى، ومجازر الصرب ضد المسلمين فى (البوسنة والهرسك)، وكذلك بين (المسلمين والهندوس) فى كشمير والهند، فجميع هذه الأفعال أينما وجدت ضد المسلمين والعرب يسميها الإعلام الغربى بالعنف.

ومن ثم فإنه على الرغم من الإجماع على إدانة الإرهاب باعتباره خطراً يهدد أمن البشرية واستقرارها، والإجماع على وجوب مواجهته بكافة السبل للحيلولة دون تفاقم آثاره بالغة الخطورة على المستويين الوطنى والدولى. فإن هذا الإجماع يبقى شكلياً فحسب بالنظر إلى نسبية مفهوم الإرهاب والخلاف حول تحديده بشكل قاطع يرضى عنه الجميع، أو ترضى عنه الأغلبية على الأقل، وهو الخلاف الذى واكب كل المحاولات التى جرت لمناقشة موضوع الإرهاب ووقف عقبة كؤوداً أمام كل الاعتبارات والمعايير القانونية الصحيحة فيما يتعلق بتحديد مصطلح الإرهاب<sup>(١٢)</sup>.

ورغم التعدد الواسع فى التعريفات المقدمة لمفهوم الإرهاب على المستويين الرسمى والفقهى، والتباين الواضح فيما بينها، فإن ثمة مجموعة من العناصر الأساسية التى تتفق عليها أغلب هذه التعريفات، والتى يمكن اتخاذها أساساً للوصول إلى تعريف موحد مقبول عالمياً، وتتمثل هذه العناصر فى الآتى :

١ - أن الإرهاب يتضمن استخداماً مقصوداً للعنف أو التهديد به، والعنف المقصود هنا هو ذلك العنف الذى يفتقر إلى المشروعية الداخلية أو الدولية، وتشمل أعمال العنف التى تقوم بها الجماعات الإرهابية: التفجيرات، والاختيالات، وخطف الطائرات، وأخذ الرهائن.. الخ.

٢ - أن الإرهاب تحركه فى الغالب دوافع سياسية، فالإرهاب ذاته هو ظاهرة سياسية، وهو غالباً ما يصاحب الصراعات السياسية ويمثل امتداداً لها، وهذه الدوافع السياسية هى التى تميز

الأعمال الإرهابية عن الأعمال الإجرامية الفردية أو المنظمة الأخرى.

٣ - أن الإرهاب يهدف إلى خلق حالة من الرعب تتعدى الضحايا وتمتد إلى جميع أفراد الفئة المستهدفة، تؤدي إلى إرغام الطرف المستهدف على القيام أو الامتناع عن القيام بعمل معين.

### أهم المبادئ التي تبرز موقف الإسلام من الإرهاب والتطرف:

١ - ارتباط الشريعة بمصالح العباد في العاجل والآجل، في السلم والحرب، وهي عائدة على البشر في دنياهم وأخراهم.

٢ - التوازن والاعتدال من الصفات الأساسية للإسلام، فقد تعامل الإسلام بتوازن واعتدال مع الكينونة الإنسانية بكل مكوناتها - جسماً وعقلاً وروحاً - دون أن يخل بجانب دون الآخر؛ فإن الإسلام حارب الغلو والتطرف والتنتع كما حارب التحلل والتسيب والتفكك من القيود، سواءً بسواء.

٣ - وحدة الجنس البشري، وأن الاختلاف بين الشعوب والقبائل طريق للتعارف والتعاون، مع التساوي في الحقوق والواجبات.

٤ - الاعتراف بحق الإنسان في الحياة والكرامة والحرية دون نظر إلى لونه أو جنسه أو دينه.

٥ - أصل الديانات السماوية واحد، وعلى المسلم احترام جميع الرسل وعدم التفريق بينهم، وإنكار رسالة أي أحد منهم خروج عن الإسلام.

٦ - علاقة المسلمين بغيرهم قائمة على السلم، وأن الحرب ضرورة تقدر بقدرها - واجه بها الإسلام الواقع - فهي ليست مشروعة لذاتها، بل لها دوافعها وأسبابها المحددة.

٧ - المسلمون في جهادهم دعاة إلى الله تعالى بالمستوى الأول، لا يقصدون الاستعلاء في الأرض والتحكم بمصائر الأمم والشعوب، إنما يقصدون تبليغ دعوة الله تعالى.

٨ - الحرص على هداية الناس، وبذل الجهد في التوضيح والبيان والإقناع، لذلك كان منهج الدعوة يقوم على الرفق واللين والحرص على هداية الناس.

٩ - التأكيد على مبدأ المعاملة بالمثل مع الحث على التسامح والعفو.

١٠ - تقرير مبدأ العدالة في معاملة الآخرين، والحرص على عدم الاعتداء على حقوقهم، وعدم بخرس الناس أشياءهم.

١١ - تقرير مبدأ العدالة والمساواة المطلقة في معاملة الأعداء، حتى أصبحت صور العدالة الممارسة في الدولة الإسلامية أموراً تتمناها البشرية كلها.

١٢ - الدعوة إلى الرحمة في المعاملة، وتأكيد الاهتمام بمصالح الناس، والحرص على خيرهم وسعادتهم.

- ١٣ - التأكيد على وجوب احترام العهود والمواثيق، وتحريم الغدر والخيانة ونقض العهود .
- ١٤ - تنظيم كل ما يتعلق بالحرب من حيث الأسباب والأهداف وكيفية الإعلان، فى إطار منظور إسلامى راشد، يقوم على أسس السلام والعدل.
- ١٥ - معاملة المقاتلين والأسرى والجرحى على أساس الحرص على هداية الناس، وعدم إكراههم على الدين.
- ١٦ - التفرقة بين جهاد الطلب وجهاد الدفع فى التراث الفقهى، وذلك ببيان أسباب القتال فى الإسلام، حيث إن السبب من جهاد الطلب تبليغ رسالة الإسلام دون إكراه الناس عليه ودون قتال، والغاية من جهاد الدفع ما يفرضه واجب الدفاع الشرعى المقرر إذا حدث اعتداء من العدو على الأمة، حفاظاً على أمن الأمة.
- ١٧ - إن قواعد القانون الدولى الإنسانى لا تخرج عن عباءة الإسلام بحال، بل إن الكثير من هذه القواعد تجد مصادرها فى هذا الدين الحنيف.
- ١٨ - تعميق علاقات المسلمين مع غير المسلمين، وطلب الاستفادة منها فى توضيح صورة الإسلام، ويتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٦).
- ١٩ - الحوار السلمى والالتقاء مع غير المسلمين لبيان وجهة نظر الإسلام فى مشكلات الواقع الإنسانى .
- ٢٠ - جميع شرائع الإسلام مرتبطة بشمولها بالعقيدة والإيمان والجزاء الأخرى، وليس مجرد توجيهات وعظية غير ملزمة، أو معالجات جزئية محدودة.

## أولاً : أسباب الإرهاب

الإرهاب ظاهرة مركبة ومعقدة وأسبابها كثيرة ومتداخلة. منها:

١- البعد عن شريعة الله، فهو سبب الضلال والعمى والشقاء فى كثير من بلدان الإسلام، فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (طه:١٢٤). والمعيشة الضنك هي الضيق والشقاء.

٢- الاعتماد على مصادر مغايرة لمصادر الشريعة الإسلامية فى التحاكم إليها؛ كالعقول المجردة الفاسدة، والفلسفات الكلامية العقيمة التى نزع ما فيها من خير.

٣- إهمال الرعاية أو التقصير فى أمورهم وما يصلحهم؛ فعلى من يلى أمر الرعاية تلمس حاجات الناس، وتحقيق الحياة الكريمة لهم، والاستفادة من طاقاتهم، وشغل أوقاتهم، وتسهيل أمورهم المادية والمعيشية، وأمورهم المعنوية والإنسانية، وإشاعة التعليم، وتشجيع المعرفة، وصيانة العقول، والحفاظ على الأفكار، والقيام بكل ما من شأنه أن يحفظ الأجسام والأفهام، والقلوب والعقول، والأخلاق والأرزاق، « كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته »<sup>(١)</sup>.

٤- التحزبات السرية التى نتجت عن قراءات خاصة ومفاهيم خاطئة لا يعرفها أهل العلم؛ وهذه التحزبات والتجمعات يصدق عليها قول الحسن البصرى رحمه الله : "خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه علينا يوماً يخطبنا، فقطعوا عليه كلامه، فتراموا بالبطحاء حتى جعلت ما أبصر أديم السماء، قال: وسمعنا صوتاً من بعض حُجْر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل: هذا صوت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، قال: سمعتها، وهى تقول: " ألا إن نبيكم قد برئ ممن فرق دينه واحتزب " <sup>(٢)</sup>، وتلت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام:١٥٩).

٥- الاستعمار والسيطرة الاستعمارية، وانتهاك حقوق الناس وأخذ أموالهم بالباطل، واحتلال الأراضي وانتهاك الحرمات، والقتل والتدمير والاحتلال، وإجبار الناس على النزوح وترك أراضيهم وأوطانهم.

٦- الجهل بقواعد الإسلام وآدابه وسلوكه؛ فمن علامات الساعة أن يتحدث الروبيضة فى شأن العامة والقضايا المصيرية، أو من حُمِّل بأفكار غريبة ويتولى تربية الشباب، فيستغل عواطفهم بتحميلهم أفكاراً تؤدى لتحمسهم بلا ضابط ولا رادع ولا رجوع لأهل العلم الصالحين الذين خبروا الأمور ودرسوا معالم الإصلاح جيداً، قال صلى الله عليه وسلم: " لا يقبض الله العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا

بغير علم فضلوا وأضلوا". وهؤلاء الرؤوس الجهال فى الفقه العميق وعلم أصول الفقه والمقاصد لهم مقدرة على تضليل هؤلاء الشباب، ألا ترى إلى الخوارج كيف خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الرمية؟ لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم « يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم »<sup>(٣)</sup>، يعنى - والله أعلم - أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم، لأن الفهم راجع إلى القلب.

٧- الغلو فى الفكر؛ وهو مجاوزة الحد، وهو ما يصطلح عليه بـ (التطرف)، وهو خطير جداً فى أى مجال من المجالات، حيث يدفع إلى عدم الاعتراف بالرأى الآخر وبحقه فى الخلاف، إضافة إلى مصادر اجتهاداته فى المسائل، أو القضايا الخلافية والمحتملة، وقد حذر منه النبى ﷺ بقوله: « إياكم والغلو »،<sup>(٤)</sup> ويقول ﷺ: « هلك المنتطعون »<sup>(٥)</sup>.

ومن دلالته: الميل إلى التضييق والتشديد والإسراف فى القول بالتحريم، وتوسيع دائرة المحرمات، مع تحذير القرآن والسنة والسلف من ذلك، وحسبنا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل: ١١٦)، ومن مظاهره: ضعف البصيرة بالدين، والانشغال بالمسائل الفرعية، عن القضايا الكبرى التى تتعلق بكينونة الأمة وهويتها ومصيرها، وهذا شعار الخوارج: العمل بالنصوص العامة وإهمال باقى النصوص وعدم استقصاء الأدلة وأحوالها .

٨- اعتماد الشباب بعضهم على بعضٍ دون الرجوع إلى العلماء؛ يقول ابن مسعود ﷺ: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا "<sup>(٦)</sup>، كما روى أميمة الجمحى عن النبى ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة : أن يلتمس العلم عند الأصاغر»<sup>(٧)</sup>.

٩- الإحباط، وهو أحد أسباب الخروج على النظام وعلى العادات والأعراف، وذلك حين يشعر الشخص بخيبة أمل فى نيل حقه أو الحصول على ما يحقق مصلحته، فهذا يكون التحزبات السرية وردود الأفعال الغاضبة فى صورة الإرهاب واعتناق الأفكار الهدامة<sup>(٨)</sup>.

١٠- الإخفاق الحياتى، وال فشل المعيشى، وقد يكون إخفاقاً فى الحياة العلمية أو المسيرة الاجتماعية، أو النواحى الوظيفية، أو التجارب العاطفية، فيجد فى هذه الطوائف الضالة ما يضيع فيه فشله، ويستعيد به نجاحه المزعوم.



١١- ظهور التناقض في حياة الناس، وما يجدونه من مفارقات عجيبة بين ما يسمعون وما يشاهدون.

١٢- تفكك المجتمع وعدم تحقيق التعاون والتكافل؛ قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله: " يتعين على أغنياء كل بلد الإنفاق على فقرائهم"، لذلك فإن المجتمع المترابط والأسرة المتماسكة تحيط الأشخاص بشعور التماسك والتعاون، ومن شذ منهم استطاعوا رده عن الظلم، لذلك قال رسول الله ﷺ: " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، قال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً رأيت إن كان ظالماً، قال عليه السلام: " تضرب على يديه وتمنعه من الظلم" (٩). فنصرته ظالماً بمنعه عن ظلمه، والأسرة المتماسكة أقدر على ذلك.

١٣- الفراغ (١٠): يقول النبي ﷺ: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ» (١١). فهاتان نعمتان كثيراً ما يُغبن فيهما الإنسان، فإن الفراغ مفسدة للمرء وداء مُهلِك ومُتلف للدين، ونفسك إن لم تشغلها شغلتك، فإن لم تشغل النفس بما ينفع شغلتك هي بما يؤدي إلى الشر، والفراغ النفسي والعقلي أرض خصبة لكل فكر هدام وغلو وتطرف.

١٤- الأسباب الاقتصادية بأخطارها المتراكمة والمتلاحقة؛ لأن الاقتصاد من العوامل الرئيسية في خلق الاستقرار النفسي لدى الإنسان، فكلما كان دخل الفرد مثلاً مضطرباً كان رضاه واستقراره غير ثابت، وقد يتحول هذا الاضطراب إلى كراهية تقوده إلى نقمة على المجتمع، وقد يستثمر هذا الشعور بعض المغرضين والمثبطين، فيزينون له قدرتهم على تحسين وضعه الاقتصادي، دون النظر إلى عواقب ذلك وما يترتب عليه من مفسد وأضرار.

١٥- البطالة، وهي من أقوى العوامل المسهمة في نبتة الإرهاب؛ حيث ضيق العيش وصعوبته، وغلاء المعيشة، وعدم تحسن دخل الفرد بما يؤثر في إنشاء روح التذمر والإحباط لدى أفراد الأمة.

١٦- عدم وجود الأسوة الحسنة والتي تعود على الأمة بالخير، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۗ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال ﷺ: " أنا الرحمة المهداة والنعمة المسداة"، وقد أشار القرآن الكريم إلى دور البيئة في نشأة الإنسان، قال الله عز وجل على لسان إخوة يوسف ورده عليهم:

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ٧٧)، بل إن الله تعالى وصف أهل الضلالة في سورة الفرقان بهذا الوصف، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ (الفرقان: ٣٤)، كما بيّن أنهم سيعلمون من هو شرّ مكانًا، فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ۗ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ ۗ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ (مريم: ٧٥)، ووصف الله - تعالى - في سورة المائدة الملعونين والمغضوب عليهم وعبدة الطواغيت بقوله: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۗ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۗ أُولَٰئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٦٠)، فهذه الآيات الأربع في مناسبات مختلفة تدل بوضوح على الدور المؤثر للبيئة الحاضنة في الضلالة والانحرافات الخطيرة، أو في الالتزام بالمنهج القويم والصراط المستقيم.

١٧- وسائل الإعلام؛ حيث تؤدي وسائل الإعلام دورًا لا يستهان به في تشكيل العقول وتكوين الاتجاهات والأفكار من خلال ما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار، عبر القنوات المختلفة من الإنترنت والوسائل الإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية، وذلك بمواد وبرامج تخالف ما يؤمن به أفراد المجتمع من عقيدة، وتصادم، ما لديهم من قيم ومبادئ، بحيث يُفسد ذلك فكرهم. وقد ساعد (الإنترنت) باعتباره وسيلة إعلامية عالمية في نشر الأفكار المتطرفة والمنحرفة من خلال ما يحتويه من فتاوى فردية مشحونة بالانفعال والكرهية والتحريض على العنف، حتى إنه وصل إلى حد تجنيد الشباب صغار السن والتغريب بهم، دون علم أهلهم، وبطرق متعددة.

## ثانياً : الإسلام والشرائع السماوية

يكرم الإسلام الإنسان بصرف النظر عن دينه وعرقه ولونه، فالمسلم يدرك أن عناصر الطبيعة مسخرة بتسخير الله، وأنها منح ونعم أنعم الله بها عليه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠)، فمجموعة هذه المنن من التكريم، وغيرها، مزيد من التفضيل لهذا الإنسان،

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾

وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ۗ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا

سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم : ٣٢-٣٤).

وحينما يدرك الإنسان قانون التزاوج في الكون، ويدرك أن الاختلاف الظاهر في الطبيعة والحياة اختلاف تنوع لا تضاد، يشعر أن الكون، والحياة مبنيان على التكامل لا على التناقض، ويقبل ببسر وبسهولة كون الإسلام منهجاً شاملاً ومتكاملاً في الحياة وللحياة.

إن من الطبيعي نتيجة لكل هذه الأنواع من الإدراك أن يتقبل أن تبني فلسفة الثقافة الإسلامية كلها على التعارف والتآلف والتعاون، وقد جاء أمر الله بالتوجيه الكريم: ﴿ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۗ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا

عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢)، وجاء بعد هذه الآية

قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴾ ( المائدة : ٨) ولم يكن أحد أعدى للإسلام من أولئك الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم

وأموالهم وقاتلوهم ثم صدوهم عن المسجد الحرام، فكأنه يقول: حتى هؤلاء الذين هم بهذه المنزلة من عداوتهم لكم إذا أظهروا استعداداً للتعاون معكم على أمر يدخل في مجال البر والتقوى فخذوا

بأيديهم، ويشهد لهذا أن النبي ﷺ قال في ذروة خصومة قريش له وصددهم له وللمسلمين عن الوصول إلى المسجد الحرام: " والله لا تعرض على قريش خطة تعظم فيها شعائر الله إلا أجبتهم إليها " .

وإذا أمعنا النظر في هذا المسلك الإسلامي المتميز، ونظرنا إلى الثقافة الغربية وجدنا أن السائد في هذه الثقافة روح الصراع والمغالبة، فلا يخفى على أحد أنه في خلال القرن الماضي قد ساد الصدام بين شطري الثقافة الغربية: الشيوعية المؤسسة على المادية وعلى فكرة الصراع بين طبقة العمال وطبقة الملاك، والرأسمالية المؤسسة على الفردية والمغالبة، وسيادة فكرة الصراع في الثقافة الغربية تفسر سهولة قبول هذه الثقافة للأفكار المبنية على الصراع.

لقد وجدنا لدى المسلمين تلاحماً عضوياً بين الفكر والحواس، ذلك التلاحم الذي فقده الغربيون، ففي خلال القرن الماضي (الرابع عشر الهجري - العشرين الميلادي) وتحت وطأة التأثير الطاغى للثقافة الغربية على حياة المسلمين وظهر دلائل هذا التأثير، يقول محمد أسد: ( لا يوجد في العالم بأجمعه ما يبعث في نفس تلك الراحة التي شعرت بها وأنا بين المسلمين، والتي أصبحت غير موجودة في الغرب، وتهدد الآن بالضياح والاختفاء من الشرق، تلك الراحة وذلك الرضا اللذان يعبران عن التوافق الساحر بين الذات الإنسانية والعالم الذي يحيط بها، بصرف النظر عن ما جرى من تبدل في حياة المسلمين وتصوراتهم وأفكارهم، فإن من البدهى أن لا يغير ذلك من حقيقة أن ثقافة تسودها روح التآلف والتعاون لا بد أن تختلف عن ثقافة تسودها روح المغالبة والصراع، من حيث خلق بيئة ملائمة لوجود سلوك التسامح) .

وقد كانت فكرة الإسلام عن التسامح من الوضوح بحيث لم تخفَ على المنصفين من مفكرى الغرب و على سبيل المثال، يقول De Lacy O,leary: إن التاريخ أوضح - بما فيه الكفاية- أن أسطورة المسلمين الذين انساحوا في العالم ينشرون الإسلام بحد السيف واحدة من أسخف الخرافات التي ظل المؤرخون (الغربيون) يرددونها<sup>(١٢)</sup>.

ويقول A.S.Triton: إن صورة المسلمين المحاربين الذين يتقدمون بالسيف في يد والقرآن في يد صورة بالغة الزيف<sup>(١٣)</sup>.

ويقول لونارد: إنى أجد نفسى مجبراً على الاعتراف بأن محمداً يرفض ولا يقبل العنف في الدين<sup>(١٤)</sup>.

ويقول جوستا فلوبون: كانت الطريق التي يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة، فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد

الشعوب وأعرافها وعاداتها. (١٥)

ويقول M.N.ROY : الخلفية التاريخية للإسلام والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها طبعته بطابع التسامح الذي لا يتفق مع روح التعصب التي اعتدنا تقليدياً أن نربطها بالإسلام، ولكن لا إله إلا الله وحدها تخلق الوحدة والتسامح (١٦).

ويقول الكاتب البريطاني الشهير H.G.Wells : إن أعظم ما اجتذب قلوب غالبية الناس عندما جاء محمد بدين الإسلام، هو فكرة الإله (الله) الذي يعنى بالوعى الذي فطرت عليه قلوبهم الإله الحق، وبقبولهم المخلص للإسلام ومنهاجه انفتح أمامهم - فى عالم كان مملوءاً بعدم اليقين والزيغ والانقسامات المتعصبة- باب واسع للأخوة البشرية العظيمة والمنتامية، ولفردوس لا يحتل فيه القديسون والقساوسة والملوك المكان الأعلى، وإنما تتحقق فيه المساواة بين أتباع الدين، بدون رمزية غامضة، أو طقوس ظلامية، أو ترانيم قسيسين، قدم محمد تلك النظم الأخلاقية إلى قلوب البشرية، الإسلام أوجد مجتمعاً تحرر من القسوة والاضطهاد الاجتماعى إلى درجة لم يبلغها أى مجتمع من قبل (١٧)، ويقول: إن الإسلام انتشر وساد لأنه قدم للإنسان أفضل نظام سياسى واجتماعى يمكن أن يمنحه الزمان، هذا النظام الذى يمثل أوسع وأنقى وأنظف فكرة سياسية أمكن حتى الآن أن تطبق عملياً على الأرض (١٨).

إن العنصر الثالث لقوة الإسلام يكمن فى إصراره على الأخوة الكاملة والمساواة التامة أمام الله بين كل المؤمنين، مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم أو مراكزهم القانونية والاجتماعية (١٩).

ويبلغ القرآن الكريم القمة فى التسامح، وذلك بالتعامل مع أهل الكتاب بالزواج من نسائهم وبالأكل من طعامهم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة : ٥).

ويشير القرآن إلى التسامح والتقارب بين المسلمين وأتباع عيسى عليه السلام، وما هم عليه من صفات التواضع والتصرف السليم، قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ع ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَآكْتُبْنَا

مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٦﴾ (المائدة : ٨٢-٨٥).

وبلغ الإسلام الذرى فى السمو وبلوغ الغاية فى تحقيق العدالة وذلك عندما تنزل القرآن الكريم بتبرئة يهودى ودمغ المنافقين وتكذيبهم، وفضح فريتهم بنفى تهمة السرقة عنهم، وإلقاء التبعة على غيرهم، وبمعاتبة المصطفى ﷺ فى ميله إلى تصديق المنافق الذى سرق طعاماً وسلاحاً، ولما افتضح أمره رمى بذنبه على يهودى فنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٢﴾ (النساء : ١٠٥-١١٢) .

ولم يكتف الإسلام باهتمام القرآن الكريم بقضية التسامح مع غير المسلمين إلى هذا الحد، بل إن المصطفى ﷺ يؤيد ويساند هذا الاهتمام، ويعلن احترامه للآخرين وتقديره لهم، وتسامحه معهم والدفاع عنهم، حتى وإن كانوا على غير دينه، ومن ذلك قوله ﷺ: « ألا من ظلم معاهداً أو تنقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » (٢٠).

وقد كان النبي ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم، ويعود مرضاهم، ويواسيهم فى مصابهم، ويستقبلهم فى مسجده الشريف، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمع فى جماعة تعيش على صعيد واحد، وكان ﷺ يفعل ذلك تعليماً للأمة، وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من

سلام ووثام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقة المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم<sup>(٢١)</sup>. بل بلغ به التسامح ﷺ أن نهض قائماً عند مرور جنازة يهودى، فقالوا: يا رسول الله، إنه يهودى. فقال عليه السلام: « أليست نفساً، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا لها »<sup>(٢٢)</sup>.

وقد فهم صحابة النبي ﷺ هذا المنهج المتسامح مع اليهود والنصارى، فساروا على هذا المنوال، وهذا المنهج الرشيد المتسامح ليس غريباً عن الإسلام، فهو دين الرحمة، ونبية ﷺ رسول الرحمة، وكل من يتبع منهجه تقوده الرحمة إلى صراط الله المستقيم فى كل المجالات وسائر المعاملات<sup>(٢٣)</sup>.

ويمتاز الإسلام بأنه دين متصل بالأديان السابقة، والسر فى ذلك أن المصدر الذى نبعت منه الرسالات السماوية هو منبع رسالة الإسلام ويكفى أن كلمة " الإسلام " فى القرآن تطلق على الدين الذى بشر به كل الأنبياء والمرسلين من نوح إلى نبينا محمد - عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم - وتولوا الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وإفراده وحده بالعبادة والخضوع له دون غيره، كما بشروا بمنهج أخلاقى واحد، ومنظومة ثابتة من القيم لا تختلف بين رسالة ورسالة، أو بين نبي ونبي .

والبرهان على أن الإسلام فى القرآن هو عنوان عام على رسالات كل من مضى من الأنبياء قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۗ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف : ٩)، ونحن نعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا

ما لم يرد ما ينسخه مثل قوله تعالى : ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۖ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۗ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة : ٤٥)، وقد جاء

ما يؤيد هذا : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَن عُفِيَ لَهُ مِّنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٧٨)،

وقد جمع القرآن دين الأنبياء جميعاً فى هذه الآية ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذَىٰ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۚ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۗ كَبُرَ





لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿ (البقرة: ١٤٣)، والأمة الوسط هي التي بلغت الذرى في الصدق و العدالة والشرف، والبعد عن كل مظاهر الغلو والتطرف كما قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ ( القلم : ٢٨) فأوسطهم هو أعدلهم وأصدقهم، ولقد كرر الإسلام هذه الحقيقة في أول نداء إنسانى من نوعية قبل أن تعرف ذلك المنظمات التي تنادى بحقوق الإنسان، يقول تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ( الحجرات: ١٣)، وفي العصور المتعاقبة عمل المسلمون على تدعيم الوحدة الإنسانية، ونشروا التسامح والاعتدال وكف الأذى عن الغير<sup>(٢٥)</sup>.

وقد كان للتسامح أثره البالغ في الحضارة الإسلامية حين تعامل المسلمون به باعتباره واجبا دينيا ومنهجًا مستقيماً تحتمه الشريعة الإسلامية، ففتحت كثير من البلاد بمساعدة أهلها أنفسهم، ودخل آخرون في دين الله أفواجا نتيجة للتسامح والمعاملة الحسنة الطيبة وإقامة العدل التي رأوها من المسلمين<sup>(٢٦)</sup>.

## تسامح الإسلام مع أهل الكتاب :

يحرص الإسلام على أن يسود التسامح والسلام بين المسلمين وبين الشعوب كلها، ويعنى بشكل أشد على السلام بين المسلمين وبين أصحاب الديانات السماوية السابقة عليه، وخاصة اليهودية النصرانية، وذلك لاتحادهما معه فى المصدر، فهما مثله منزلتان من عند الله تعالى، ولا أدل على ذلك من اعتراف الإسلام بالتوراة والإنجيل، بل وجعل التصديق به ركناً من أركان الإيمان الستة التى قام عليها.

ومن سماحة الإسلام مع اليهود والنصارى، ومن تطفه بهم أنه سماهم «أهل كتاب» و«الذين أوتوا الكتاب» وهذه التسمية فيها اعتراف بهم، وتكريم لهم، واعتداد بما عندهم من أصول الحق، وأسس الخير، والمراد بالكتاب: التوراة والإنجيل.

وتقرر الشريعة الإسلامية أن أهل الكتاب - فى أى بلد إسلامى - لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، ويجب على الدولة أن تدفع عنهم العدوان بصفتهم من رعاياها، وتطبق عليهم القواعد الشرعية والأحكام القضائية التى تطبق على هؤلاء، إلا ما تعلق منها بشئون الدين فتحترم عقائدهم، فلا توقع الحدود الإسلامية فى ما ثبت حله لديهم<sup>(٢٧)</sup>.

## تسامح الإسلام مع المشركين :

لم يتوقف الإسلام على التسامح مع غير المسلمين من أهل الكتاب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث أمر بالبر بغير المسلمين من المشركين، الذين لا يحاربون الإسلام ولا يعتدون على المسلمين، كما نص على ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨)، والبر أرقى أنواع الإكرام والاحترام، والقسط أرقى أنواع العدل والإنصاف، وبذلك وضع القرآن الكريم أعظم قواعد التسامح، مقروناً بعرض البر من جانب واحد هو الإسلام، منطلقاً فى ذلك من حرية العقيدة وعدم جواز الإكراه فيها، فعلاقة المسلمين مع غيرهم تنسم فى جوهرها بالسماحة والسلام، طالما لم يحدث منهم اعتداء على العقيدة أو الأوطان.

فالسلم فى الإسلام هو القاعدة، والحرب ضرورة يفرضها الدفع الحضاري، دفع الحق للباطل، ودفع الخير للشر، حتى لا تفسد الأرض، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١)، ويقول سبحانه:

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ (الحج : ٣٩).

وتتجلى سماحة الإسلام في حالة نشوب الحرب مع أعداء الإسلام، فالمبدأ العام هو عدم قتل من لا يقاتل، مثل: النساء والأطفال والشيوخ والرهبان، يقول تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

وصفوة القول أن رسولنا الكريم ﷺ قد جاء بالشرعية السمحة، والملة القويمة، والحنيفية المتسامحة مع كل الملل، جاء بدين الفطرة الذي تهفو إليه الألباب، وتطمئن له القلوب، لأن فيه رشدها من الغي، وهدايتها من الضلال، فهي ميالة إليه بطبيعتها، محبة له بفطرتها. وقد سار على هذا النهج القويم الخلفاء الراشدون المهديون من بعده والصحابة المكرمون رضوان الله عليهم أجمعين - فكانوا نماذج رائعة للتسامح مع غير المسلمين من أهالي البلدان التي فتحوها وحكموها، ولهذا لا تبقى حجة أو ذريعة يحتج بها أهل الغلو والتطرف و الإرهاب

## التوصيات

-التأكيد على أن ربط الإرهاب بدين أو جنس أو ثقافة معينة يسهم بشكل كبير في تنامي هذه الظاهرة الإجرامية.

- التأكيد على أهمية وضرورة الاتفاق على مفهوم موحد عام للإرهاب، ووضع حد تعريفى لجرائمه، وما قد يطرأ عليها من مظاهر جديدة، إما لتطور الوسائل المستخدمة، أو لتطور الفئات والمنشآت المستهدفة، وبما يمكن تمييزها عما يحاذيها من الجرائم المشابهة لها.

-التأكيد على أهمية وضرورة وجود نظام قانونى على الصعيد الدولى لحفظ الأمن والسلام فى المجتمع الدولى، على أن تتماشى قواعده مع مبادئ العدالة الإنسانية والمصالح المشتركة لكافة شعوب العالم، والذى يشكل الإرهاب خطراً حقيقياً متنامياً يهدد تلك المصالح.

-التأكيد على أن مواجهة الإرهاب والقضاء عليه أمر يظل مرهوناً بمدى استشعار الضرورة والواجب الأخلاقى قبل الالتزام بالقانون، فلا يمكن بأى حال أن يكون التصور العام لمواجهته انتقائياً وفق أهواء ومصالح الدول الكبرى.

- وجوب التضامن والتعاون والثبات على موقف الرفض لكافة المحاولات التى تقوم بها بعض أجهزة الإعلام المشبوهة باتجاه ( أسلمة وتعريب) الإرهاب، وتمييع أعمال المقاومة الوطنية المشروعة ضد الاحتلال أو الاستعمار، وبخاصة النضال المشروع للشعب الفلسطينى فى مواجهة إرهاب الدولة الإسرائيلية، وهو ما يجب أن يحظى بكل الدعم حتى يحقق أهدافه المشروعة.

- الاهتمام بنشر الثقافة الإسلامية والعمل على ترسيخ القيم السامية التى دعا إليها الدين الإسلامى، وتوعية المجتمع بكافة شرائحه بمبادئ هذا الدين وتعاليمه الهادفة إلى إشاعة العدل والتسامح والرحمة، والمحافظة على حق الإنسان فى الحياة والحرية، ونبذ كافة مظاهر الانحراف والتطرف والاعتداء والإجرام.

-على العلماء أن يبذلوا جهودهم لترشيد مسيرة المسلم بتحصيله بالفكر الإسلامى الصحيح، وحمايته من الأفكار الضالة الهدامة، وتأصيل معانى الخير فى نفسه ليكون عنصر بناء لا تخريب، وتطوير لا تدمير، واعتدال لا غلو، وأناة لا تسرع.

-العمل على رفع الوعى العام إلى مستوى الإدراك بأن ظاهرة الإرهاب ليست مشكلة الدولة وحدها، وإنما مشكلة كل فرد فى المجتمع، وأن من واجب المجتمع بأسره المشاركة الفاعلة فى مواجهته وخلق روح المسئولية الجماعية حيال ذلك، وقبل ذلك تأتى أهمية وضع السياسات الكفيلة بتخفيف حدة المشكلات الاقتصادية، وخاصة ما يتعلق بالبطالة ومكافحة الفقر وتدنى مستويات

الدخول، وذلك لضمان العيش الكريم للفرد والجماعة.

- دعوة المجتمع الدولي لتبنى إستراتيجيات ثابتة وموحدة لمكافحة الإرهاب، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة تنظيم حق اللجوء السياسى الذى يعد فى وضعه الحالى من أهم العوامل التى تعوق التعاون الدولى فى مجال مكافحة الإرهاب.

- دعوة الأمة المسلمة للعودة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتطبيقهما فى واقع حياتها، وفى كل جانب من جوانبها، لما يترتب على ذلك من خير وفير، ومن رسوخ للأمن والأمان والاستقرار.

وبعد، فهذه عجالة عن هذا الموضوع الخطير الذى يتعلق بالبراءة من الإرهاب وصانعيه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

## الهوامش:

- (١) البخارى، الجمعة (٨٥٣)، مسلم الإمارة (١٨٢٩)، الترمذى الجهاد (١٧٠٥)، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨)، أحمد ١٢١/٢.
- (٢) ذكره الشاطبي فى الاعتصام.
- (٣) رواه البخارى ، ٣ / ١٣٢١ باب علامة النبوة فى الإسلام كتاب المناقب. ومسلم ١ / ٥٦٣.
- (٤) رواه ابن ماجه ، ٣ / ١٠٠٨ برقم ٣٠٢٩ باب قدر روى حصى الرمى، وابن أبى شيبة ٣ / ٢٤٨ رقم ١٣٩٠٩ والطبرانى فى الكبير ٧ / ٢٦٧ برقم ٧٠٩٤ وأحمد فى المسند ١ / ٣٤٧ برقم (٣٢٤٨).
- (٥) صحيح مسلم، ٤ / ٢٠٥٥ برقم ٢٦٧٠.
- (٦) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله موثوقون باب معرفة معنى الحديث بلغة قريش.
- (٧) المعجم الأوسط ، ٨ / ١١٦ برقم (٨١٤٠) وفيه ابن لهيعة، ورواه فى الكبير ، ٢٢ / ٣٦١ من طريق ابن المبارك عن عبد الله بن عقبة بلفظ "إن من أشراط الساعة ثلاثة: أحدها: أن يلمس العلم عند الأصاغر". ورواه اللالكائى فى اعتقاد أهل السنة ١ / ٨٥ رقم (١٠٢).
- (٨) حصاد الإرهاب، د ناصر بن مسفر الزهراني- العبيكان، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، أ.د/ صالح السدلان.
- (٩) البخارى، المظالم والغصب (٢٣١١)، الترمذى الفتن (٢٢٥٥)، أحمد، ٣ / ٩٩.
- (١٠) حصاد الإرهاب د. ناصر بن مسفر الزهرانى - العبيكان.
- (١١) البخارى، الرقاق (٦٠٤٩)، الترمذى، الزهد (٢٣٠٤)، ابن ماجه، الزهد (٤١٧٠)، أحمد ١ / ٢٥٨، الدارمى، الرقائق (٢٧٠٧).
- (١٢) **De Lacy O,Ieary,ArapThought and its Place in History, p٨.**
- (١٣) **A.S.Triton. Islam, P٢١..** والتسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، لفضيلة الشيخ صالح الحصين(مخطوط).
- (١٤) **A.G.Leonard,Islam,P.٧٢** والتسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، لفضيلة الشيخ صالح الحصين(مخطوط).
- (١٥) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، ص ١٣٤.
- (١٦) **M.N.ROY Historical Role of Islam,P.P.٤٠-٤١**
- (١٧) **H.G.Wells,Outline of History, PP.٢١١,P٢٧١** والتسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، لفضيلة الشيخ صالح الحصين، ص ٦(مخطوط).
- (١٨) **H.G.Wells,Outline of History, PP.٢١١** والتسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، لفضيلة الشيخ صالح الحصين (مخطوط).
- (١٩) **H.G.Wells,Outline of History, PP.٢١١**، والتسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، لفضيلة الشيخ صالح الحصين، ص ٦(مخطوط).

- (٢٠) أخرجه أبو داود وهو حديث حسن انظر كشف الخفاء، ٢/٢٨٥.
- (٢١) سماحة الإسلام - د/ أحمد محمد الحوفى - مطبعة نهضة مصر - ط٢ص٦٦ (بتصرف).
- (٢٢) صحيح مسلم، باب القيام للجنائز، ح(٩٦٠، ٩٦١).
- (٢٣) سماحة الإسلام فى الجانب الاجتماعى - د/أحمد عبد المبدى النجمى - من سلسلة فكر المواجهة (رقم ١٣) إصدار رابطة الجامعات الإسلامية - ص٤٣.
- (٢٤) التسامح من خلال قراءة لقانون الحرب فى الإسلام وفى القانون الدولى العام - د/جعفر عبد السلام، ص١٩٣ (بتصرف).
- (٢٥) مظاهر التسامح الإسلامى فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم - د/محمد بدر معبدي- من سلسلة فكر المواجهة (رقم ١٣) التى تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية - ص١٣٥ (بتصرف).
- (٢٦) التسامح الإسلامى بين النظرية والتطبيق - أ/ وليد عبد الماجد كساب - من سلسلة فكر المواجهة (رقم ١٣) رابطة الجامعات الإسلامية - ص١٨٩ (بتصرف).
- (٢٧) مجمل حقوق الإنسان فى الشريعة الإسلامية - من سلسلة الحوار الإسلامى المسيحى - ندوة باريس فى ١٧/١٠/١٣٩٤هـ، طبع دار الكتاب اللبنانى - ص١٤٣ (بتصرف).

## الأسباب الاجتماعية لصناعة الإرهاب

الأستاذة الدكتورة/ نجوى عبد الحميد محمد

أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا . جامعة حلوان

مصر

لقد عرفت البشرية الإرهاب منذ عهد بعيد، حيث كان الفرد أو الجماعة يقوم بارتكاب أعمال عنف ضد جماعة معينة لبت حالة الرعب والفرع لدى أعضاء هذه الجماعة بغية تحقيق أهداف محددة، ولقد تطور هذا النمط من الإرهاب مع تطور المجتمعات واستخدامها للتكنولوجيا المتقدمة، حيث قام الإرهابيون باستغلال هذه التكنولوجيا في عملياتهم الإرهابية التي انتشرت في شتى أنحاء المعمورة واكتسبت طابعاً دولياً، وشهد القرن العشرون العديد من الجرائم الإرهابية بالغة الخطورة التي خلفت وراءها خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات.

ولقد احتل الإرهاب حيزاً كبيراً من اهتمام الفقهاء ورجال القانون الدولي والقانون الجنائي على حد سواء؛ لما ينطوي عليه الإرهاب من مخاطر جسيمة تهدد أمن وسلامة المجتمع وحياة الأفراد الخاصة وممتلكاتهم، ولما تنطوي عليه هذه الجرائم من إيغال في الإجرام وتدني المقدرات وخطف وتهديد الأبرياء.

وتأسيساً على ما سبق فإننا سوف نحاول أن نسلط الضوء في هذه الورقة البحثية على الأسباب الاجتماعية لصناعة الإرهاب.



## أولاً: ماهية الإرهاب

من الصعوبة إيجاد تعريف للإرهاب مقبول من جميع الدول أو رجال القانون، ولا عجب في ذلك، إذا نظرنا إلى اختلاف أسباب ظاهرة الإرهاب وأشكالها ووسائلها وغاياتها. ولقد اختلف الكتاب والباحثون في إيجاد تعريف محدد للإرهاب، لذلك نجد أن بعضاً من هؤلاء أهمل البحث في تعريفه تلافياً لصعوبته مكتفياً ببحث هذه الظاهرة وبيان خصائصها وأشكالها، بينما اجتهد البعض الآخر في وضع تعريف محدد جامع له، فبرزت عدة تعاريف لهم موضحة بعض عناصر هذا المفهوم، والتي من شأنها أن تعطى صورة عن بعض الملامح الأساسية له.

إن مصطلح الإرهاب مشتق من فعل رَهَب، يرهَب، رهَباً أى خاف، وأرهبه أى أخافه، وبطبيعة الحال فإن الرهبة هي الخوف والفرع، ويطلق على الشخص المتعبّد الخائف: الراهب أى: الخائف من عقابه، وترهبه: أى: توعدّه<sup>(١)</sup>.

وقد وردت كلمة الرهبة في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة منها: الخشية، وتقوى الله سبحانه وتعالى كما وردت بمعنى الرعب والخوف مثل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

أما في اللغات الأخرى فإن الإرهاب يأتي بمعنى رعب، وتعنى خوفاً أو قلقاً متناهياً أو تهديداً غير مألوف وغير متوقع، وقد أصبح هذا المصطلح يأخذ معنى جديداً في الثلاثين عاماً الأخيرة ويعنى استخدام العنف وإلقاء الرعب بين الناس<sup>(٢)</sup>.

على أن الإرهاب ليس بالموضوع السهل الذي يمكن الخوض فيه، فقد اختلفت الآراء وتباينت حول ما يُعد وما لا يُعد إرهاباً، وقد دعا ذلك البعض إلى القول بأن وصف ظاهرة الإرهاب أكثر سهولة من وضع تعريف له<sup>(٣)</sup>، فمصطلح الإرهاب ليس له محتوى قانوني محدد ومنفق عليه، ومن الصعوبة التوصل إلى تعريف محدد لهذا المصطلح .

وهناك منظوران لهذا الموضوع، الأول: المنظور المادى الذى يقوم على السلوك المادى المكون للجريمة، أو الأفعال المكونة لها، ووفقاً لهذا المدلول يُعرّف الإرهاب على أنه عمل أو مجموعة من الأفعال المعينة التي تهدف إلى تحقيق هدف معين<sup>(٤)</sup>.

أما المنظور الثانى فهو النظر للأعمال الإرهابية نظرة تقوم على أساس العنف والتهديد به، وأضاف البعض إلى أن هذا العنف يجب ألا يكون مشروعاً، ومن هنا ذهبوا إلى تعريف الإرهاب بأنه صفة تطلق على الأعمال غير المشروعة التي تمس المجتمع وتصيب أفرادها بالفرع والترويع.

## ثانياً: الإرهاب من خلال المنظور الإسلامي

تناول الفقهاء الأعمال التي تتطوى على إشاعة الرعب والخوف وأخذ الأموال والقتل تحت مصطلح الحراية أو قطع الطريق، وهو في رأى البعض: البروز لأخذ مال والقتل أو لإرهاب، مكابرة واعتماداً على القوة مع البعد عن الغوث<sup>(٥)</sup>، وذهب رأى آخر إلى أن جريمة الحراية (الأعمال الإرهابية) هي خروج طائفة مسلحة أيًا كان سلاحها من أجل إحداث الفوضى وسفك الدماء وسلب الأموال، وهتك العرض، وإهلاك الزرع والحيوانات، متحديًا بذلك الدين والأخلاق والقانون، ولا فرق في هذا الشأن بين أن تقع الأعمال الإرهابية ضد المسلمين أو غير المسلمين، سواء كان غير المسلمين مواطني الدولة الإسلامية أو مواطني الدولة الأجنبية التي بينها وبين الدولة الإسلامية علاقات سلمية (دار العهد)، أو كان المعتدى عليهم من مواطني دولة أجنبية معادية للدولة الإسلامية، ما دام لم يشترك هؤلاء في الأعمال العدائية، وذلك كالأطفال والنساء وكبار السن ورجال الدين والمدنيين ممن لم يشتركوا في الأعمال العدائية ضد المسلمين، أو كانوا من أفراد القوات المسلحة للعدو لكنهم تركوا القتال ضد المسالمين باختيارهم بأن ألقوا السلاح طواعيةً أو رغماً عنهم نتيجة الأسر أو الجرح أو المرض وما شابه ذلك، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ولا شك أن الاعتداء على المسالمين والأمينين وترويعهم هو اعتداء منهي عنه شرعاً وهو فساد، والفساد - أيضاً - منهي عنه شرعاً.

هذا ولم يرد مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم، وإنما وردت لفظة "الرهبنة" من خلال مشتقاتها، ولكن ليست ذات دلالة اصطلاحية تترادف مع المصطلح الشائع الآن، وإنما لها دلالة اصطلاحية لما يطلق عليه في الإستراتيجية: (الردع) الذي يعنى تخويف الطرف الآخر عن طريق خلق شعور لديه بأن مخاطر الإقدام على عمل يضر مصلحة الآخر أكبر بكثير مما قد يجنيه جراء الإقدام على تنفيذ خطته، وإذا دققنا في مصطلح الإرهاب نجده ينصرف إلى استخدام التهديد باستخدام القوة غير المشروعة ضد الأبرياء المدنيين لتحقيق أهداف سياسية تتعدى الفعل المباشر لتمثل أطرافاً أخرى، فإن الإسلام يرفض هذا النمط من التعامل سواء كان على مستوى الفرد أو على مستوى الأمة أو الأمم الأخرى، انطلاقاً من مبادئ أساسية مهمة منها: اختصاص العقوبة بالفاعل وعدم جواز تعديلها لغيره، ويعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤)، خير تأكيد على أن السلم مُقَدَّم على الحرب في العلاقة مع الآخر<sup>(٦)</sup>.

وهكذا فإن كافة أعمال العنف التي تتم وقت السلم بشكل غير مشروع وتنتال من الأفراد والجماعات والدول سواء في الأنفس أو الأموال - بصرف النظر عن الدين أو العرق، هي من الأعمال الإرهابية التي يحرمها الإسلام. ومن ثم يدخل في مفهوم أعمال الحراية (الإرهاب): كافة الأعمال التي تقوم بها العصابات المختلفة كالقتل وخطف النساء والأطفال والسطو المسلح على البيوت والبنوك، واغتيال الحكام والساسة، وقصد إحداث الفوضى والاضطراب والإخلال بالأمن.

ولما كانت الحراية في المفهوم الإسلامي تقوم على الإرهاب والتخويف والقتل وسلب الأموال فإنه يدخل ضمن مفهوم الحراية كافة الأعمال المتعلقة بخطف الطائرات وتغيير مسارها بالقوة وحجز الرهائن والأعمال التخريبية والاغتيالات أيًا كان السلاح المستخدم ولو كان العصا أو الحجارة، وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، ومن ثم يصدق على الإرهابيين المرتكبين لهذه الأعمال وصف المحاربين أيًا كان سلاحهم ما دام سلوكهم قد تم بقصد إخافة الناس وإرهابهم وترويعهم، أو بقصد أخذ المال على سبيل المغالبة وإيذاء الناس في أنفسهم وأعراضهم بالقتال أو بإخافة الناس أو إرهابهم، أو إذهاب عقل، أو قتل خفية (غيلة) على وجه يتعذر معه الغوث عادة. وينطبق على الأعمال الإرهابية حد الحراية، سواء أكانت في الصحراء أو العمران (المدن)؛

لأن النص الوارد في تحريم هذه الأعمال - وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة: ٣٣)، جاء عامًا فشمل تحريم الأعمال الإرهابية بصرف النظر عن مكان ارتكابها في المدن أو الصحراء..

### ثالثاً: رؤية سوسولوجية للعنف والإرهاب

سبق أن عرّفنا العنف والإرهاب فقلنا: إن الإرهاب هو أعلى درجات العنف وأخطرها، فهو سلوك غير منضبط يخرج على جميع القيم والمعايير الإنسانية ووسائل الضبط العرفية والوضعية، وهو عنف مسلح، غالباً ما يكون على شكل عنف سياسى ويستخدم وسائل وأساليب وأدوات مرعبة وقاسية، ويهاجم غالباً أهدافاً مدنية بريئة، إنه عنف قصدى كالقتل والاعتقال والتدمير وإبادة الخصم، وخطورة الإرهاب اليوم تتجلى فى أنه يمثل تهديداً شاملاً لكل دول العالم فى الشرق والغرب.

وخلاصة القول: إن هناك علاقة وثيقة ومباشرة بين شيوع العنف والإرهاب والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التى تسببه. فالعنف ظاهرة اجتماعية تمس الفرد أولاً، لأنه المهتدّ بالعنف، وهى فى ذات الوقت تمس الجماعة التى تعانى من تبعاتها حين يفرض عليها قسراً. فالعنف يمارس تأثيره الجسدى والنفسى والاجتماعى على الفرد المهتدّ أولاً ثم على المجتمع. ويعتبر التحليل الاجتماعى للعنف والإرهاب أكثر قبولاً؛ لأنه يفسرهما بكونهما من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التى تشمل جميع المجتمعات، انطلاقاً من التنافس على المصالح التى تؤدى دورها إلى الصراع والتنازع، وإذا لم يحل الصراع بالطرق السلمية والقانونية؛ فإنه يسبب أفعال عنف مادية أو معنوية، وتظهر فى شكل الحروب والأعمال الإرهابية والإجرامية والتسلط الفردى والجمعى والاستبداد والظلم والقمع والاعتداء بجميع أشكاله وغيرها، وبهذا يشكل العنف والإرهاب حجر عثرة فى مسيرة التقدم الاجتماعى والحضارى.

#### الإرهاب سلوك فطرى أم مكتسب؟

إن المشكلة الرئيسة التى ترتبط بالإرهاب هى أنه أعلى أشكال العنف وأخطرها؛ لأن أغلب وسائله وأدواته غير مشروعة وغير أخلاقية وهدفه التخلص من العدو بكل الوسائل والأدوات، كالقتل والإبادة الجسدية والاعتصاب والإهانة والتدمير الذاتى وغيرها، كما أن الإرهاب هو أعلى أشكال العنف السياسى، ولا يمس الفرد فحسب وإنما يمس المجتمع والجماعة التى تعيش فيه. ومعنى ذلك أن الإرهابى يتربى على ثقافة العنف التى يفرضها المجتمع عليه. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم هو: هل الإرهابى يولد بالضرورة إرهابياً؟

إن التحليل السوسولوجى للإرهاب يجيبنا عن هذا السؤال، وهو أن الإرهابى لا يولد بالضرورة إرهابياً، وإنما يصبح كذلك بفعل عوامل بيئية واجتماعية وسياسية ودينية مختلفة؛ لذلك فإنه من الضرورى التعرف على العوامل والأسباب التى تصنع الإرهاب سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو عقائدية وينتج عنها تلك الظاهرة، أو تدفع إليها.

ومن الناحية الاجتماعية يمثل العنف عودة الإنسان إلى حالته البدائية الأولى، إذ إن إحدى الخصائص التي تميز كل حضارة عن غيرها هي الطريقة التي تستطيع بها تنظيم السلوك العدوانى كطاقة غريزية كامنة، وتهذيبه عن طريق توجيهه بصورة عقلانية رشيدة، كذلك تعليم أفرادها كيف ومتى يستطيعون كبح جماح عدوانيتهم؟ ومع ذلك فالعنف لا يحدث إلا عندما لا تستجيب المؤسسات الاجتماعية القائمة بدور التنشئة الاجتماعية، كالأسرة، والمدرسة، ووسائل الإعلام لمصالح الإنسان التي هي حقوق مشروعة له، وعندما لا تعلمه وتمكنه من التعبير عن ذاته وآرائه وعقائده بالطريقة الصحيحة.

- **الأسرة:** إن الأسرة التي تنشئ أولادها تنشئة اجتماعية قائمة على العدوانية والتسلط والقمع، وخاصة تسلط النظام الذكورى تصنع أشخاصاً يميلون إلى التسلط والقمع والتغلب، أو أشخاصاً يميلون إلى الخضوع والعجز والالتكال على الآخرين.

- **المدرسة:** إن المدرسة التي لا تسهم فى أساليب تربية التلاميذ وتعليمهم الحرية والاستقلالية والمعارف العلمية والتقنية العملية، ولا تزرع فيهم روح النقد والتفاهم والحوار والتسامح والإبداع، إنما تربي أشخاصاً ضعيفى الشخصية غير متحررين وغير مستقلين استقلالاً ذاتياً.

- **دور العبادة:** إن الجامع والكنيسة والمعبد والمؤسسات الدينية والثقافية الأخرى إن لم تقم بدورها الحقيقى المنوط بها قد تستخدم للحض على العنف والتحريض على العدوان وكرهية الآخر المختلف اجتماعياً وإثنيّاً أودينياً.

إن كل هذه العوامل مجتمعة تلعب دوراً فى خلق شخصية غير مستقلة استقلالاً ذاتياً ومقموعة وغير متسامحة، ولها ميل إلى العدوانية التي تضغط على الفرد وتعمل على توجيه سلوكه بصورة انفعالية تجعله عاجزاً عن الانصياع إلى القيم والمعايير والضوابط والأحكام الاجتماعية والخلقية والخضوع لها، خصوصاً عندما يكون الفرد غير قادر على ضبط ذاته أو عندما تقشَل المؤسسات الاجتماعية فى إرضاء حياته وإشباعها بشكل صحيح. كما أن تراكم الضغوط الاجتماعية على الفرد قد تؤدى - فى كثير من الأحيان - إلى انحراف الفعل الاجتماعى عن المنظومات القيمية والمعارية والتي تتحكم فى مسيرة المجتمع فتسبب ارتفاع معدلات العنف أو ظهور أنماط جديدة للتفريغ عن التوترات الاجتماعية والنفسية.

## الخصائص الاجتماعية للإرهابيين:

### - الانتماء الطبقي:

خلصت بعض الدراسات إلى أن معظم الإرهابيين هم من الطبقة الوسطى، وأنهم تلقوا تعليمًا حديثًا. وكشفت الدراسة الميدانية التي اشتملت على ١٥٠ مشبوهًا بالإرهاب، أن الدوافع الصانعة للإرهاب معقدة، وأن نظريات علم النفس الاجتماعي عاجزة عن تفسير بعض دوافع الإرهابيين. وفي كتاب فهم شبكة الإرهاب لـ(مارك سيجمان) - وهو عالم نفس سياسى أمريكى عمل فى سفارات أمريكية فى الخارج وقام بعقد حلقات بحث مع المجاهدين الأفغان لمعرفة انتماءاتهم الطبقية - وجد أن نصف هؤلاء ينتمون إلى منطقة الشرق الأوسط، وبعضهم من شمال أفريقيا، إلى جانب غربيون اعتنقوا الإسلام، وقد تبين له أن أكثر من نصف هؤلاء من الطبقة الوسطى وتلثهم من الطبقة الفقيرة - خصوصًا فى شمال أفريقيا - وأكثر من ربعهم من الطبقة الغنية خاصة من دول الخليج، ومعظم الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام هم من الطبقة الفقيرة أيضًا.

### - المستوى التعليمى:

جاءت نتائج أغلب الدراسات عن الإرهابيين أنهم أشخاص يحملون شهادات عليا، وأن من بين الـ ١٥٠ مشبوهًا من الإرهابيين ١٢ شخصًا يحملون شهادات عليا وأكثر من ٨٠ منهم يحمل شهادة جامعية، وأن الغالبية، منهم درسوا فى مدارس حديثة، وقليل منهم درس فى مدارس دينية، كما أن بعض هؤلاء الإرهابيين من خريجي الجامعات الأوروبية والأمريكية. وأوضحت الدراسة أيضًا أن بعض الإرهابيين الذين حصلوا على شهادات جامعية عالية فى الهندسة والطب، تخصصوا فى علوم عربية ودينية وأصبحوا من المتشددىن فى تفسير النصوص الدينية فى الغالب، كما أوضحت الدراسة أيضًا أن ٥٠% من الإرهابيين فى عينة الدراسة تلقوا تربية دينية عندما كانوا صغارًا فى السن، ومعظمهم من شمال أفريقيا، وأن ٩% منهم فقط قد تربوا تربية مسيحية قبل أن يعتنقوا الإسلام.

### - المستوى المهني :

تشير الدراسة إلى أن ٦٠% ممن اشتملتهم الدراسة مهنيون والبقية حرفيون وغير حرفيين وتطرقت الدراسة إلى أن ٧٠% من الإرهابيين متزوجون، والغالبية منهم لهم أولاد، بالرغم من النظرية التى تقول: إن " حياة الخطر التى يعيشونها تحتم عليهم عدم تحمل مسئوليات عائلية وعدم ترك أرامل وأيتام إذا قتلوا"، وأن واحدًا منهم فقط شاذ جنسيًا. وقد استخلص الباحث من دراسته للإرهابيين أن الإرهابيين يقللون من قيمة المرأة بجعلها:

- أولاً: وسيلة لتوثيق علاقات سياسية لا صلة لها بالعلاقات الزوجية.
- ثانياً: أن أغلب الزوجات لم يكن يعرفن أن أزواجهن إرهابيون.
- ثالثاً: أن علاقات هؤلاء الإرهابيين قائمة على أساس "مسئوليات الزوج خارج البيت والتي تعد من شئونه الخاصة".

#### - العوامل السيكولوجية:

يرجع أصحاب المدرسة النفسية الإرهاب - كغيره من أنواع السلوكيات - لأسباب نفسية خالصة، كثيراً ما تكمن في الشخصية أو العقل الباطن أو اللاشعور، فالطلبة الذين يضيّقون بالدراسة، والعمال الذين تعثروا ولم يستطيعوا تحقيق أهدافهم في الحياة من السهل أن ينخرطوا في العمل الإرهابي. فالفاشلون العاجزون واليائسون أكثر استعداداً للعمل الإرهابي ضد الناس والأغنياء والأمينين، كذلك فإن الملل والحياة الروتينية التي يحيها بعض الشباب، وسيادة مشاعر الأنانية، وعدم الاحترام المتبادل، وتفشي عوامل اليأس والإحباط نتيجة عدم وجود فرص عمل، وتأخر سن الزواج، وكذلك الخوف من المستقبل، جميع هذه العوامل تؤدي إلى استعداد أكبر للتطرف والإرهاب، كما تؤدي العزلة التي يعيشها الشباب في بداية دخولهم إلى التدين غير المستتير إلى الانغلاق التام، مما يساعد على الدخول في دائرة التضليل من قبل قادة الإرهاب.

وفي دراسة لعلماء النفس والاجتماع عن حرب فيتنام وأثرها على الشباب، وجد أن العنف لدى هؤلاء الشباب نبع من الإحباط والشعور بالفشل والهزيمة، فتولدت لديهم الرغبة في الخروج على المجتمع وتكوين جماعات إرهابية، ويقول بعض علماء النفس: إن اقتراف أفعال العنف إنما يقوم به أولئك الذين تعرضوا لاضطراب عقلي حاد، فذلك كانت دوافعهم خليطاً مشوشاً من (الفتنات) والشعور بالغبن.

ويرى الأستاذ (ريتشارد كلاترباك) أن الإرهابيين يجتذبون المخبولين، كما أنهم يحولون العقلاء إلى مخبولين اعتماداً على تلقينهم عمليات القتل.

#### - العوامل الاجتماعية للإرهاب :

ترجع المدرسة الاجتماعية كل شيء إلى تأثير المجتمع وأوضاعه وتقاليده، والمرء ما هو إلامية يحرك خيوطها المجتمع كما يقول "دوركايم"، ويعترف أصحاب هذه النظرية بأن الأسباب الاجتماعية سواء المنفردة منها أم المجتمع أسباب متشابكة ومتداخلة لصناعة الإرهاب، وكلها تعمل بأقدار متفاوتة، وتؤثر آثاراً مختلفة، قد يقوى أثرها في شخص، ويضعف في آخر، ولكن لها أثرها الذي لا ينكر، ومنها ما يرجع إلى الأسرة أو جماعة الأصدقاء أو التعليم كما أن من بينها ما يرجع إلى التربية الدينية والحالة الاقتصادية والسياسية، ومن ذلك :

## الأسرة :

كشفت الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث "حسين رشوان" أن هناك علاقة بين الحالة الاجتماعية ومعدلات الإرهاب، فكشفت الدراسة أن أعلى معدل للإرهاب بين العزاب حيث تبلغ نسبتهم ٥٠% من العينة التي قوامها ١٠٠ فرد، وقد اتسم هذا العصر بالقضاء على الأسرة الكبيرة التي تربط بين الأجداد والأحفاد والأعمام بروابط وثيقة، وحل محلها الأسرة الصغيرة، التي تتسم بتفكك الروابط الأسرية كحالات الانفصال والطلاق والاعتراب بالنسبة للأب والأم والابنة والابن. كذلك فإن غياب الدور الرقابي، وغياب دور الأب سواء لانخراطه في معترك الحياة وقسوتها، وعمالته في أكثر من مهنة لكي يحصل على عائد مادي أفضل بالإضافة إلى عمل الأم أو هجرة أحد الوالدين إلى الخارج؛ بالإضافة إلى تأخر سن الزواج، والمشاكل العاطفية كالفراغ العاطفي داخل الأسرة وخارجها، أو على صعيد المجتمع ككل، أدى إلى تدنى مستوى الاحترام والمسئولية داخل الأسرة، وتأثر بهذه العلاقة الآباء والأبناء، فزالت قيمة الأبوة وقيمة البنوة وتجمدت العواطف<sup>(٧)</sup>.

- كما أن التدليل الزائد من الوالدين أو المشاجرات بينهما، أو انفصال الوالدين أو طلاقهما، أو وفاة أحدهما، كل هذا جعل القيم المادية تطغى على القيم الروحية والمعنوية، وفقدت الأسرة لغة التفاهم والتفاعل الحر الواعي، والتواصل الفكري والديني، ومن ثم القدرة على مواجهة المشكلات وتقديم الحلول لها.

- أصبحت انتماءات الأفراد للنادى والمؤسسات الأخرى أقوى من انتماءاتهم إلى الأسرة، وعليه فإذا كنا ننادى بانتمائية الفرد لبلده، فلنبدأ بالانتمائية للأسرة.

- ازدواجية اتخاذ القرار داخل أغلبية الأسر المصرية خصوصاً في نمط المجتمع الحضري، وأخذ القرار بصورة حاسمة دون تحكيم العقل والشرع والمصلحة العامة للجميع وللمجتمع في النهاية؛ كل هذا يفقد الشباب لغة الحوار والتفاهم بالعقل والمنطق والمصلحة العامة.

- كما أن عدم مشاركة كثير من الشباب من الجنسين في اتخاذ القرار داخل الأسرة وخارجها في المسائل الحيوية المرتبطة به مثل التعليم والعمل والزواج... يلعب دوراً مهماً في خلق فرد إرهابي.

وقد تبين من الدراسة الميدانية السابق ذكرها أن هناك علاقة بين الظروف الأسرية والإرهاب، فتبين أن أعلى معدل للإرهاب بين الأسر التي يعمل رب الأسرة فيها طول النهار، حيث تقل الرعاية والاهتمام بالأبناء، وتبلغ نسبتها ٢٦,٦٧% ، ويلى ذلك المشاجرات بين الوالدين ومعدلها ١٨,٣%.



## جماعة الأصدقاء:

تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى أن جماعة الأصدقاء من أهم العوامل التي تؤدي بالفرد إلى الانخراط في جماعات التطرف والإرهاب، كما أن أعلى معدل ممن قام بالتحريض على الانضمام للإرهاب كان من الأصدقاء .

## التعليم :

في السنوات القليلة الماضية كشفت الإحصائيات أن معظم الإرهابيين الذين قبض عليهم في قضايا إرهابية هم من خريجي الجامعات وطلابها، ففضية كلية الفنية العسكرية كان معظمها من طلاب تلك الكلية، والمجموعة التي اغتالت المرحوم أنور السادات كان معظمهم متعلمين، وقضية التكفير والهجرة كان معظم أفرادها من المتعلمين كذلك، وفي السنوات الأخيرة وبنظرة إلى العناصر التي قبض عليها سنة ١٩٩٢م نجد أن معظمهم من خريجي المدارس الثانوية الصناعية، والعمال الحرفيين الذين لم يتعلموا في المدارس والعاطلين، والذين يجمع بينهم صفة الجهل، وإن كان جميعهم يتراوحون بين جهل الأمية، و جهل الفكر والثقافة، و جهل الدين، أو كل ذلك.

والخلاصة أن هناك ارتباطاً أكيداً بين التعليم والإرهاب، حيث أكد البحث ارتفاع نسبة الأميين من الإرهابيين إذ تبلغ نسبتهم ٣٦,٦٧% ، ولا يقتصر هذا الارتباط على الإرهابيين، بل يمتد ليشمل الأم والأب، إذ تشير الدراسة إلى أن أعلى معدل لآباء الإرهابيين هم أميون، إذ تبلغ نسبتهم ٦٨,٣٣% بينما تنخفض النسبة إلى ١,٦٧% لكل من الحاصلين على الثانوية والحاصلين على مؤهلات جامعية، وينطبق الحال نفسه على أمهات الإرهابيين حيث يتسمن بالأمية والجهل.

## التربية الدينية :

لا شك أن من الأسباب الأساسية لظاهرتي التطرف والإرهاب التربية الدينية المفقودة في الأسرة والمدرسة والجامعة، الأمر الذي يؤدي إلى الفراغ الديني، وضعف البصيرة بحقيقة الدين، وعدم التعمق في معرفة أسرارهِ للوصول إلى فهم مقاصده. ويظن المتطرف والإرهابي أنه دخل في زمرة العلماء، وهو يجهل الكثير والكثير، فهو لا يربط الجزئيات بالكليات، ولا يرد المتشابهات إلى المحكمات، ولا يعرف من فنون التعارض والترجيح ما يستطيع به أن يجمع بين المختلفات، أو يبرِّج بين الأدلة والاعتبارات، ويرى الإرهابي المتعصب لمذهب أو دين أن مذهبه هو الصحيح، وكل المذاهب الأخرى باطلة، وأن واجبه أن يفرض مذهبه على كل المذاهب الأخرى بالقوة والسلاح.

وكشفت الدراسة التي قام بها "حسين رشوان" أن ٦٨,٣٣% يؤدون الصلاة، أما الذين لا يؤدون الصلاة فنسبتهم ٣١,٦٧% وقد اعترف ٥٦,٦٧% من المبحوثين أن سلوكهم سلوك إرهابي ينهى عنه الدين، وأن نسبة من يحفظ القرآن كله نسبة ضئيلة جداً ٣,٠٣% .

#### الاقتصاد :

يعانى المجتمع المصرى من مشكلات كمشكلة الإسكان والديون والبطالة والارتفاع الجنونى فى الأسعار وعدم التناسب بينها وبين الأجور، ومشكلات الصحة والمواصلات، وتنتشر الصحف لكثير من جرائم الاعتداء على المال العام، وانحراف المسؤولين، وتهريب الأموال العامة إلى الخارج مما دفع قطاعاً كبيراً من الشباب إلى الاتجاه إلى التدين ثم إلى التطرف والإرهاب، حيث يوجد نوع من التنفيس عن طاقاتهم المكبوتة.

ولوحظ أن الفقر يمثل عنصراً مشتركاً بين الإرهابيين، فأكثرهم يقيمون فى الأحياء الشعبية والعشوائية ممن لم تتوفر لهم فرص عمل ويعانون من البطالة؛ مما يولد لدى بعض منهم الكراهية والحقد الاجتماعى، ويفرز الإجرام المستتر بالدين.

كما أكدت الدراسة وجود علاقة بين المهنة والميل للإرهاب<sup>(٨)</sup> حيث أشارت إلى أن أعلى نسبة من الإرهابيين هم من فئة العاملين فى مجال السيارات: (سائق- سروجي- كهربائي- دوكو)، إذ بلغت نسبتهم ٢٣,٣٣%، يليها عمال البناء (نقاش- محار- فاعل)، وتبلغ نسبتهم ١٦,٦٧% ويليها فئة البائعين (خضري- فكهانى- بقال- خباز) وتبلغ نسبتهم ١٥%، ثم العاطلين وتبلغ نسبتهم ١٥%. ونخلص من الأرقام السابقة إلى أن النسبة الأعلى من الإرهابيين ظروفهم المادية قاسية. ومن ناحية الدخل بينت الدراسة أن الأقل دخلاً أكثر ميلاً إلى الانتماء إلى الجماعات الإرهابية، وتفسير ذلك أنه لا بد من وجود مصدر مالى آخر يرفع من الدخل ويسمح بتلبية احتياجاتهم<sup>(٩)</sup>.

- (١) ابن منظور المصري، "لسان العرب"، بيروت للطباعة والنشر-١٩٩٥م: [ مادة/ ره ب ب ].
- (٢) د. كريم مزعل شلبي، "بحث في مفهوم الإرهاب"، مجلة البيت، العدد ٢، ص ٣١.
- (٣) Arnold, T.E The violence formula, why people lemd sympathy and support Terrorism? Lexington Books , ١٩٨٨ , P٧.
- (٤) بوبان جنكيز، نقلاً عن د. أمجد جلال عز الدين، "الإرهاب والعنف السياسي"، مارس ١٩٨٦م، ص ٢٦.
- (٥) Bell , Bowyer Terrorism , Anover view of international Terrorism contemporary world (ed) marius living ston, west port Connrcticut, ١٩٧٨, P٣٦.
- (٦) هاشم معروف الحسيني، " المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري "، ط ١٩٨٧م، جزء ٢: ص ٨٨، ٨٧.
- (٧) د. محمد يسرى إبراهيم دعيس، " الإرهاب، أسباب استراتيجية المواجهة، رؤية فى أنثروبولوجيا الجريمة".
- (٨) د جمال الدين محمد على، " الشرطة ومواجهة الإرهاب - الإرهاب جريمة العصر " الإسكندرية، وكالة مصر للصحافة والإعلان، ١٩٩٣م.
- (٩) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، "الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع" مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٢م.

## التأصيل الشرعى لدعم جهود الدولة الوطنية فى مواجهة الإرهاب

الأستاذ الدكتور / عبد الله مبروك النجار

العميد الأسبق لكلية الدراسات العليا

أستاذ بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر الشريف

مصر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن اهتدى بهديه واتبع منهاج دينه إلى يوم الدين. وبعد،،

فإنه مما لا شك فيه أن قوة الدولة وثباتها فى مواجهة الإرهاب يمثل أكبر عائق لوجوده كما يمثل أكبر سبب للقضاء عليه، وإذا كانت الجرائم التى يرتكبها الإرهابيون تستهدف فى كل حالاتها ضحايا أبرياء من أبناء تلك الدولة، أو مؤسسة من مؤسساتها، فإن هدف القائمين بتلك الجرائم لا يقف عند حدود الأفراد أو المؤسسات، ولكنه يستهدف الدولة التى تظلم بحمايتها، وتشملهم برعايتها حتى تسقط تماماً، ولا يجد الأفراد بدءاً من الخضوع المطلق والانقياد التام لمن يرتكبون تلك الجرائم، ويكونون هم البديل لدور الدولة، حيث كان الوصول إلى الحكم هو غايتهم القصوى وأملهم الأكبر، ولا يزال ذلك الهدف هو الخيار الأوحى الذى لا يوجد له بديل فى فكر أصحاب تلك

التيارات الإرهابية، أو خيار عنه.

ومن المؤكد أن الاعتداء على الأفراد من قبل القائمين بتك الجرائم الإرهابية، إنما يصب في تلك الغاية الخبيثة، وهي هدم الدولة وكسر هيبتها في نظر أبنائها، وذلك بترسيخ الإحساس لديهم بأن الدولة التي ينتمون إليها والتي يجب عليها أن تحميهم من المخاطر التي تحدث بهم، أو الجرائم التي تقع عليهم ليست قادرة على حمايتهم أو كفالة الأمن لهم، ومن شأن ذلك الشعور أنه يفت في عضد الصلة بين الأفراد ودولتهم، ويدمر الولاء للوطن عندهم، فلا يتحمسون له، ولا يقومون بواجبهم في الدفاع عنه وفقاً لما يفرضه واجب الولاء له، أو حق الانتماء إليه.

ومن خلال تلك المآلات الوخيمة للجرائم الإرهابية، وتأثيرها السىء على الأفراد والمؤسسات والدولة ككل، يبدو جلياً أن الحفاظ على الدولة وتدعيم جهودها، وتأكيد صلة الأفراد بها من خلال تقوية مشاعر الولاء والانتماء إليها يمثل أكبر تحد لمواجهة الإرهاب، وأعظم عامل لمحاصرته والقضاء عليه .

وإذا كان لكل فعل رد فعل يماثله في القوة وبخالفه في الوجهة، فإن رد الفعل القوى المماثل للجرائم الإرهابية النكراء إنما يتم من خلال الدولة بما يعنيه وجودها إقليمياً وأفراداً يقيمون على أرضها، ويبدلون أرواحهم رخيصة في سبيل الدفاع عنها، إذا ما اعتدى عليها أو تهددها خطر، ويكون وجود الدولة هو الدرع الواقى من مخاطر الإرهاب، والسيف الباتر للقضاء عليه، وهذا الدور الملقى على عاتق الدولة في مكافحة الإرهاب والقضاء عليه، يمثل منظومة متكاملة مع غيره من الوسائل الممكنة في محاربتة، وبخاصة ما يتعلق بالعلاقات الدولية، والتعاون الدولي لمكافحة الإرهاب، إلا أنه يبقى هو أهم تلك الوسائل، وأشدّها أثراً في مواجهة الإرهاب، والقضاء عليه، ولهذا يكون من المهم إبراز دور الدولة في القضاء على الإرهاب، ووسائل تفعيل هذا الدور، ومن أهمها دعم الأفراد للدولة وتعاونهم الصادق معها في رده والقضاء عليه، وذلك ما يودّ هذا البحث أن يظهره من خلال مطلبين كالتالى:

## المطلب الأول

### الأساس الفطرى والدينى لوجود الدولة الوطنية

تعتبر الدولة كياناً قائماً له وجوده واحترامه، ويحظى بما يتمتع به الكيان الأدمى من تقدير واحترام وكرامة وحق فى الوجود والحياة الكريمة، وما من شك فى أن الصلة وثيقة بين الأفراد والدولة التى يحملون جنسيتها، لأنها تستمد مكانتها من قوة سواعدهم، وصدق عطائهم، وكلما زاد عطاء الأفراد للدولة التى ينتمون إليها، علت مكانتها وارتفعت رايته، وأصبحت محل تقدير العالم واحترامه، وموضع ثقته واعتباره.

ومن شأن هذا المركز المتميز للدولة أن يعود فضله على الأفراد حيثما حلوا، وأينما ارتحلوا، فإذا انتقلوا مسافرين لأى مكان فى العالم، كانوا محل احترام من أهله وموضع تقدير من حكومته، ومن ثم كانت عزة الأوطان وكرامتها وثيقة الصلة بالأفراد الذين ينتمون إليها، وكانت عزة الأفراد من عزة الأوطان التى يعيشون فيها، وذلك يبدو من خلال أمرين:

#### أولهما: الحب الفطرى للأرض فى قلوب أهلها:

من السمات الفطرية عند البشر أنهم يرتبطون بالأرض التى يعيشون عليها ارتباطاً يمتلئ بالمحبة والعطاء، والاعتزاز والولاء، وإذا ما اضطرت الظروف إنساناً لأن يترك أرضه أو يغادر بلاده، فإنه يشعر بالألم الشديد لتلك المفارقة، ولا تمر عليه لحظة فى البلد الذى يسافر إليه إلا ويعد الدقائق، ويحصى الثوانى التى يعود فيها إلى وطنه، ويرجع بعدها إلى أحضان أهله وذوى قرابته، وإذا ما عاد إلى تراب بلده بعد غيبة، فإنه يقبل أرضها ويحتضن هواءها، ويحمد ربه الذى أنعم عليه بالعودة إليها.

وقد صور القرآن الكريم هذا الشعور الإنسانى تجاه الأرض التى يحيا عليها الإنسان، والبلد الذى يعيش فيه ويحمل هويته، بأن البقاء عليه يساوى الحياة، والخروج منه يعادل الموت بل القتل، وفقاً لتعبير القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ (النساء: ٦٦). فقد سوى هذا القول الكريم بين قتل النفس والإخراج من الديار فى شدة الابتلاء، وقسوة الامتحان، وجعلهما بمثابة خيار بين أمرين أحلاهما أشد مرارة من العلقم، وما من شك فى أن المقارنة بين القتل والإخراج من الديار يفيد أنهما فى درجة متساوية من الشدة والقسوة.

ومما يؤكد هذا المعنى القرآنى، أن الله تعالى حرم على الإنسان أن يقتل نفسه، وإذا فعل ذلك فإنه يكون آثماً أمام ربه، ولولا أن مسئوليته عن قتل نفسه قد انتهت بموته، لكان جزاؤه هو القتل

على قتله لنفسه، لأنه لا يملكها، وهو بهذه الجريمة قد بادر ربه في إنهاء حياته، ولهذا توعد الله من يقتل نفسه بتحريم الجنة عليه، وذلك في الحديث القدسي: " كَانَ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعَ فَأَخَذَ سَكِينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " (١).

فقد دلَّ هذا الحديث القدسي الشريف على أن الإنسان لا يجوز له أن يقتل نفسه، وأنه إذا فعل ذلك يكون متعدياً حدود الله بما يحرم عليه الجنة، وهو بهذا العقاب يعادل وعيد الله لمن يقتل مؤمناً متعمداً، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣).

وإذا كانت هذه الآية الكريمة قد أفادت أن من جزاء القتل العمد في العدوان الخلود في نار جهنم، يكون تحريم الجنة المتوعد به فيمن يقتل نفسه مساوياً له في العقاب.

ومع ذلك فإن التفريط في النفس وبذلها في سبيل الله والدفاع عن الأوطان عندما تتعرض للتعدي والأذى من المحتلين الغاصبين الذين يريدون استباحة حرمة البلاد والعباد، يكون واجباً، ولا يجوز للإنسان أن يرض نفسه إذا ما وجب عليه الدفاع عنه، وقد تعددت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة في الدلالة على أن بذل النفس في سبيل الله والدفاع عن الوطن واجب يثاب فاعله أعظم ثواب وأشرفه وأجله وهو الشهادة، ويأثم تاركه أشد الإثم وأقبحه لأنه قد ارتضى الدنية في دينه وعرضه وكرامته، وكافة حرمة حياته، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٦٦﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿التوبة: ٢٠ - ٢٢﴾. وقال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٥٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٧﴾ \*

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿آل عمران: ١٦٩ - ١٧١﴾.

ويبدو من سنة النبي ﷺ أن الارتباط بالمكان له منزلة خاصة في قلب كل إنسان سوى ما يقدر قيمة المكان الذي يعيش فيه، لأنه يمثل وعاء لعرضه وشرفه وكرامته، وكافة مقومات حياته، حيث

يحتويها الوطن ويضمها، ويعين صاحبها في المحافظة عليها، وقد ظهر هذا الأمر واضحاً جلياً في حياته ﷺ عند الهجرة، وذلك حين اضطره المشركون للخروج من مكة بلده الذي شهد مولده الشريف، وعاش فيه طفولته وصباه وشبابه ورجولته، فلم يكد يصل إلى مشارف مكة وهو في طريقه للمدينة حتى وقف على مكان مرتفع يسمى (حَزْرَةَ) ثم اتجه إليها وقال: "يامكة، الله يعلم أنك من أحب بلاد الله إلى الله، وأنتك لمن أحب البلاد إلى ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت" (٢).

ومن الواضح أن هذا الحديث الشريف يدل على مدى رسوخ حب الوطن في قلب النبي ﷺ وذلك أمر فطري لا يختص به وحده، بل هو أمر إنساني يسرى بحق جميع الناس، وقد بين قول النبي ﷺ وفعله أنه سلوك مطلوب، وأن حب الأوطان أمر إنساني تؤيده السنة الشريفة، ويدعو إليه الإسلام الحنيف.

ومما يدل على عموم هذا الشعور نحو كل أرض يعيش عليها الإنسان، أنه لم يختص في سنة النبي ﷺ بمكة وحدها، بل شمل المدينة أيضاً، ذلك أنه ﷺ عندما وصل إلى المدينة بعد خروجه من مكة مهاجراً دعا ربه قائلاً: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ" (٣).

ومن ثم يبدو أن الانتماء للأرض أمر بارز في سنته ﷺ وربما كان ذلك من باب شكر النعمة، لأن الأرض تعتبر من أجل نعم الله على الإنسان، حيث يستخرج أسباب حياته ومكونات معاشه مما أوجده الله فيها من الزروع والثمار، وما يحيا على أرضها وفي بحارها من الحيوانات والأسماك، وما أودعه في باطنها من المعادن والثروات. وهذه وغيرها تعد نعماً جليلاً تستحق الشكر وتستوجب الحب، والمحافظة عليها تعدّ شكراً لله الذي أنعم بها على أهلها.

يضاف إلى ذلك أن الأرض هي مثنوى العرض ومستقر الكرامة والشرف، وميدان النشاط والحركة والعمل، وساحة المجد والسؤدد، وهي - من قبل ومن بعد - موئل الأديان ومحل بيوت الرحمن، وإذا أصابها الضياع أو الزوال وتمكن منها الأعداء فإن أهلها لن يقدرُوا على حفظ كرامتهم أو أعراضهم، ولن يقووا على طاعة ربهم، حيث لن يجدوا مسجداً أو دار عبادة، ولن يقدرُوا على حماية مصحف أو إنجيل، وستكون كافة المقدسات - دينية وغير دينية - نهباً للضياع، ومحلاً للانتهاك، وسوف تضيع بضياع البلاد مصالح الدين والعباد.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حب الوطن في قلب النبي ﷺ باللفظ الذي يدل عليه، وهو الرضا الذي يمثل أقصى درجات الحب، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ط



فَلَوْلَيْتَكَ قِبَلَهُ تَرَضُّبَهَا ﴿ (البقرة: ١٤٤)، فعبّر عن موئل البيت الحرام، ومكانه الذى يوجد عليه وهو مكة المكرمة التى هاجر منها وقلبه منفطر عليها، بهذا اللفظ الذى يدل على أعلى درجات الحب فى قلبه ﷺ وهو الرضا.

وقد ذكره الله تعالى فى موطن الامتتان على النبى ﷺ وذلك بأنه سوف يستقبل البيت الحرام الذى تهواه نفسه، ويرضى به قلبه لتوجهه إلى الله فى صلاته ودعائه.

وإذا كان الرضا فى هذا القول الكريم مقترناً بالقبلة الشريفة، فإن ما يتبع القبلة من الأماكن التى توجد حولها يأخذ حكمها فى الحب والرضا، وذلك بناء على أن ما قارب الشيء يأخذ حكمه، وأن للتابع حكم المتبوع، وهذا يدل على مكانه حب المكان والأوطان فى الإسلام.

### ثانيهما: أن وجود الدولة الوطنية قديم فى الديانات السماوية:

كما أن وجود الدولة بالمفهوم الوطنى المعاصر قديم قدم الرسالات السماوية، وقد تحدث القرآن الكريم عن قصص الأنبياء السابقين وما اختصت به رسالاتهم السماوية التى بعثوا بها، وذلك من خلال ما جاء فيه عن اختصاص رسالة كل نبى بعث قبل سيدنا محمد ﷺ بقوم يعيشون فى بلد معين، أو فى منطقة محددة، حيث كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة، وورد الحديث فى هذا السياق بالألفاظ والعبارات التى تفيد وجود الدولة بمفهومها الحاضر، وإن كان التعبير عنه قد جاء بألفاظ مخالفة لما تسمى به الدولة فى وقتنا المعاصر، لكن مضمونها واحد، ومعناها لا يختلف، ومن المؤكد أن ما توصل إليه تلك العبارات المتباينة والألفاظ المختلفة، من التعريف بالدولة، متفق فى معناه ومضمونه، وإن اختلف فى مبناه وألفاظه.

لقد تكلم القرآن الكريم عن الديار بصياغات مختلفة، وهى فى مجملها تفيد القرار فى المكان، سواء أكان فى الدنيا أم فى الآخرة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن

فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نِصْبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿ (فاطر: ٣٥).

وهذه الآية الكريمة وإن كانت قد وردت فى الحديث عن الدار الآخرة التى أعدها الله للذين لا

يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً، كما قال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا

يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا ﴿ (القصص: ٨٣)، وكما قال سبحانه: ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ

اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴿ (القصص: ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَالدَّارُ

الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿ (النحل: ٣٠).

فإن في القرآن الكريم آيات أخرى قد وردت متضمنة أن المقصود بها ديار الدنيا، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ جُحِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩)، فإن المراد بالدار هنا هو المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام.

وقول الله تعالى: ﴿ حَسَفْنَا بِهٖ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ (القصص: ٨١)، وقول الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿الممتحنة: ٨، ٩﴾، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (الحج: ٤٠) والآيات في هذا السياق كثيرة، وهي تدل على أن المقصود بالديار فيها إنما هي ديار الدنيا، وأن المراد بها في هذه الآيات الكريمة البلاد والأوطان، وربما كان التعبير عنها بالدار من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، فإن العلاقة بين الدور والوطن الذي يحتويها أو البلد الذي يضمها، علاقة الجزء بالكل، وهي علاقة سائغة في التعبير عن الأوطان بالديار. والبناء اللغوي لكلمة الدار يدل - بوضعه - على هذا المعنى، فهي في اللغة بمعنى المحل الذي يجمع البناء والساحة، والمنزل المسكون، والبلد والقبيلة، ومنه دار الإسلام، أى الأوطان التي يسكنها المسلمون (٤).

ويبدو من حديث القرآن الكريم عن الأوطان أن وجودها يمثل سنة كونية قديمة، وقد أقر التشريع وجودها في آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣). فإن المراد بالشعوب هنا جمع شعب، وهو الجماعة الكبيرة من الناس، تخضع لنظام اجتماعي واحد، وتتكلم بلغة واحدة، ويحكمها قانون يسرى على الجميع (٥).

وقد بيّن القرآن الكريم هذا المعنى بصورة أجلى وأوضح فى الحديث عن قصة نبي الله موسى عليه السلام وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ (القصص: ٢٠ - ٢٢)، ثم يقول الله تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٢٥). ويشير حديث القرآن الكريم فى هذه القصة إلى أن نبي الله موسى عليه السلام حين أصبح مطاردًا من أهل البلدة التى انتصر فيها لمن استغاث به وقتل المستغاث منه خطأ، نصحه مخلص من أهل البلدة بالخروج لأن المملأ المعنيين بحفظ النظام وتنفيذ القانون فى البلاد يبحثون عنه ليأخذوه بالجناية على المقتول، وحينئذ خرج من المدينة خائفاً يترقب من يترصدونه ليقضوا عليه، حتى وصل إلى أرض مدين، وهى بلد ذات نظام وشعب يختلفان عن شعب ونظام الأرض التى خرج منها، قال القرطبي: وكان ملك مدين لغير من طاردوه للقبض عليه، وهو ملك مصر، أو منف، وأن الذى طلب منه الخروج هو مؤمن آل فرعون<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أن اختلاف الأوطان بنظمها وشعبها كان معروفاً من قبل، وأن من يخرج من بلده إلى بلد أخرى، إنما ينتقل من دولة إلى دولة أخرى، وفق الإجراءات النظامية، والضوابط القانونية التى لا تجرى إلا بين دولتين بالمفهوم التشريعى الحديث.

## المطلب الثاني

### أسانيد مشروعية وجود الدولة الوطنية

#### ودعم الأفراد لها في مواجهة الإرهاب

من المعوقات التي تعترض جهود الدولة في مقاومة الإرهاب، أن أصحاب هذا الفكر الإرهابي المتطرف لا يؤمنون بفكرة الدولة الوطنية، ويعتبرونها نداءً لفكرة الأمة التي يعتقدون أن الإسلام لا يقر سواها، ولا يدعو إلا إليها، وأن فكرة الدولة ليس لها حظ من المشروعية في نظرهم القاصر وفهمهم العليل للدين، ولهذا يجدر بيان الصلة بين فكرة الدولة الوطنية وفكرة الأمة، ثم بعد هذا البيان يكون من المهم إبراز أساس دور الأفراد في دعم مفهوم الدولة الوطنية والوقوف معها صفاً واحداً في مقاومة الإرهاب، من منطلق أن الإرهاب الواقع على الدولة إنما يستهدف أبناءها، وأن ما يقع منه على الأفراد إنما يصيب الدولة في كيانها ووجودها، ويكسر هيبتها في نظر أبنائها، فلا يهتَمُّ بها، وتُترك نهباً للضياع، فيفترسها الإرهابيون، أو تُقدَّم هدية لأعداء الدين والوطن، ومن المهم بيان ذلك.

### الفرع الأول

#### أسانيد مشروعية وجود الدولة الوطنية

##### أولاً: فكرة الدولة الوطنية لا تنافي فكرة الأمة:

فكرة الدولة الوطنية لا تتنافى مع فكرة الأمة التي يظن أصحاب الفكر المتطرف أنها هي الشكل الأوحده للدولة في التشريع الإسلامي، وأن ما عداها لا يجوز الاعتداد به، أو حتى مجرد الاعتراف بمشروعيته، حتى أدى ذلك التفكير الفاسد بأصحاب هذا التوجه إلى النيل من أوطانهم والسخرية منها، ووصفها بأنها مجرد حفنة من التراب لا تساوي شيئاً، بل قال بعضهم ما هو أدنى من ذلك وأكثر إساءة منه، وقد استند أصحاب هذا الفكر الرديء إلى فهمهم السقيم لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، حيث فهموا من هذا القول الكريم أن الوحدة الأساسية في النظم السياسية هي الأمة وليست الدولة، وأن النص على الأمة في هذا القول الكريم يفيد بمفهوم المخالفة أن الدولة ليس لها حظ من الاعتراف القرآني، أو المشروعية الدينية.

وقد ترتب على هذا الفهم السقيم أن العودة بشكل الدولة إلى عصر الخلافة الإسلامية هو المطلوب شرعاً، وأن القتال دونه هو الأمر الواجب، مع أن هذا الرأي من شأنه أن يجر المنطقة

العربية إلى صدام لا قبل لأحد به، وسيكون أول ضحاياهم أبناء الدول التي استقلت عن الخلافة الإسلامية، وأصبح لها شخصية دولية مستقلة ترتبط مع غيرها في مواثيق دولية وتجتمع مع أوطان الدنيا كلها في هيئة أممية عالمية، ولن تقبل واحدة من تلك الدول - بعد أن استقلت بنظامها وشعبها وحكومتها وأرضها وسيادتها - أن تعود إلى ما قبل الخلافة، وتهدم كل ما حققته من إنجازات تميزت بها خلال المكانة الدولية تلك.

وما من شك في أن ذلك التفكير لن يخدم إلا القوى الصهيونية التي تريد محو الحدود الوطنية بين دول المنطقة الإسلامية لحاجة في نفس يعقوب، بل إنها قد عبّرت عنها في أكثر من مناسبة، وهي إزالة العقبات الدولية المتمثلة في الحدود بين دول المنطقة الإسلامية لصالح مشروع إسرائيل الكبرى، ومن ثم كان الحديث عن الخلافة أو الأمة أشبه بكلام حق يراد به باطل، ولا يعدو أن يكون نوعاً من مداعبة المشاعر الدينية لاستدراج الأوطان الإسلامية إلى مستنقع سحيق لن تقوى على النجاة منه.

إن النظر الفقهي الصحيح يوصل إلى أن فكرة الدولة الوطنية لا يمكن أن تتنافى مع فكرة الأمة، ولا تتناقض مضمون الخلافة الإسلامية، حيث لا يشترط في علاقة الأفراد بالأمة أو الخلافة أن تكون مباشرة لا تتم إلا بالانتماء المباشر لها من قبل كل فرد طبيعي ليكون منتسباً بجنسيته للأمة أو دولة الخلافة، فذلك ليس شرطاً ولم يقل به أحد من الفقهاء، لأن دولة الخلافة الإسلامية - ذاتها - كانت تأتلف من دول وأقاليم لها مؤسساتها وشعوبها، ومنها الدولة المصرية التي استقلت في عهد محمد علي، ونظائرها في بلاد الشام والجزيرة العربية كثير.

والنظر العقلي الصحيح يقضى بأن إقامة الكيانات الإسلامية التي تكون فكرة الأمة، أو تشبه دولة الخلافة لا يلزم له أن تكون العلاقة بين الأمة وأفرادها علاقة مباشرة، أو من أشخاص طبيعيين، بل يصح أن تكون بين الدول الإسلامية وبعضها، حيث تستطيع تلك الدول أن تكون فيما بينها وحدة إسلامية تؤدي ما كانت تؤديه دولة الخلافة، وتقوم بالدور الذي كانت الأمة تقوم به، وإذا كان من العسير أن توجد الأمة بهيئتها التي مضت، أو الخلافة بصورتها التي انتهت، فإن الأهداف المرجوة من الأمة أو الخلافة يمكن أن تتحقق من خلال الوحدة بين الدول الإسلامية، بل إن عطاء الدول لتلك الأمة سيكون أقوى كثيراً من عطاء الأفراد، وسوف يكون مردود ذلك الاتحاد أكثر فاعلية وأقوى تأثيراً في مجال العلاقات الدولية، والمنافسة العالمية.

والإسلام لم يضع لنظام الحكم شكلاً معيناً ولا نظاماً محدداً، وإنما طلب أن يقام الحاكم ليضبط إيقاع العمل في المجتمع ويحفظ للناس دينهم وديارهم، في أي شكل من أشكال الحكم يستوى

أن يكون ملكياً أو جمهورياً، ديمقراطياً أو دكتاتورياً، اشتراكياً أو رأسمالياً، أو أن يكون الحاكم سلطنة أو مملكة في دولة أو أمة أو إمارة أو خلافة، إذ المهم هو إقامة العدل والمساواة، وحفظ الحقوق وحماية مصالح الدين والدنيا وبما يحقق للناس الخير في معاشهم ومعادهم، ويجب على الناس جميعاً أن يكونوا مع الدولة يداً واحدة في تحقيق ما أمر الله به من العدل والمساواة، ويكون ذلك الواجب من باب التكليف الشرعي، وليس من باب العمل السياسي، ولأنه إذا كان عملاً سياسياً، فإنه لا يخرج عن إطار ما كلف الله به عباده في شرعه الحكيم.

وقد رأينا أن فكرة الوطن والولاء له والمحافظة عليه من المعالم البارزة في كتاب الله تعالى، وفي سنة نبيه ﷺ وفي آثار صحابته وسلوك المسلمين على امتداد تاريخهم وحتى وقتنا هذا، ومن ثم يكون وجودها والقيام بواجبها من الأمور المقررة في الإسلام، ولا يسوغ معه القول بأن وجوده ينافي المشروعية الممنوحة للأمة التي تحدث عنها القرآن الكريم، أو أنه ذكر في حديثه عنها أن المسلمين يجب عليهم أن يقيموها، أو أن ما عداها لا يكون موافقاً للإسلام، ويكون من الصحيح القول بأن وجود الدولة بمفهومها السياسي المعاصر لا ينافي فكرة الأمة بمفهومها التاريخي، ولا ينافي مبادئ التشريع الإسلامي في الحكم والسياسة.

### ثانياً: الإسلام يدعو لتماسك الدولة بالمفهوم الوطني المعاصر:

من يتأمل آيات القرآن الكريم، ويطالع سنة النبي ﷺ يجد أن ثمة هدفاً يطلب الإسلام إقامته، والانتصار له، وهذا الهدف يصب في الدعوة إلى وحدة الصف واتحاد الكلمة، وعدم انتصار كل فرد لمصالحه الخاصة على حساب بلده وأمته، ومن القواعد الفقهية المقررة في هذا الشأن: أنه إذا تعارض الحق الخاص، مع الحق العام يقدم الحق العام، والحق العام هو الذي يتعلق بمجموع الناس من غير اختصاص بأحد، ويسمى هذا الحق: حق الله، حيث أضيف الحق لله عز وجل، والإضافة له - سبحانه - ليس معناها أن الله بحاجة إلى حق، لأنه سبحانه غني عن العالمين، قال سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)، ولكنها تعنى أهمية

هذا الحق، وتشريفه وتعظيمه حتى يحترمه الناس ويقوموا على رعايته والاهتمام به .

ومن دلائل اهتمام الإسلام بالشأن الداخلي للدولة بمفهومها الوطني المعاصر، أنه دعا إلى وحدة الصف ونبذ الفرقة والعناد والمكابرة، ومن باب أولى المتاجرة بهذا الشأن، وذلك يبدو واضحاً في قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِسْكُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)، فقد دعا هذا القول الكريم إلى ترك التنازع، وهو لا يكون إلا

فيما لا يجوز أن يختلف فيه الناس، لما يؤدي إليه ذلك الاختلاف من ضياع بلادهم وذهاب ريحهم وتمكن أعدائهم، وافتقادهم لكل مقومات الحياة الكريمة، وإذا كانت الآية الكريمة تدعو إلى ما يحفظ البلاد والأوطان، يكون في ذلك دعوة إلى إقامة تلك الأوطان، بل ومشروعية وجودها من باب أولى.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، حيث أمر الله بطاعة أولى الأمر، بعد طاعته وطاعة رسوله، ومن المؤكد أن

تلك الطاعة من شأنها توحيد الهدف وتنسيق الجهود، بما يصب في النهاية لصالح الدولة الوطنية.

ويجيب في هذا السياق قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(آل عمران: ١٠٣)، فإن الدعوة إلى الاعتصام والاتفاق على الهدف إنما يصب أول ما يصب في صالح الدولة الوطنية، وفي هذا ما يدل على مشروعيتها، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحت على طاعة التشريع والنظام واحترام رأس الدولة وطاعته، ومن ذلك ما رواه الترمذي عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من أهان السلطان أهانه الله " (٧).

وما روى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن

عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني " (٨).

ومن ذلك ما روى أن سلمة بن زيد الجعفي سأل رسول الله ﷺ فقال: يانبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ فقال ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم" (٩).

وعن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا وأن استعمل عليكم عبد حبشي كأن

على رأسه زبيبة" (١٠).

ومن الواضح أن هذه الأحاديث وغيرها إنما تصب في صالح الدولة الوطنية وتدل على مشروعيتها.

ولئن قال قائل: إنها مختصة بالشكل المعروف للنظام السياسي في الإسلام وهو الأمة، فإن

الرد على ذلك يكون سهلاً، لأنه تخصيص بلا مخصص، ولا يوجد في تلك الأدلة ما يشير إلى هذا التخصيص من قريب أو بعيد.

## الفرع الثاني

### أسانيد دعم الأفراد لجهود الدولة في مواجهة الإرهاب

يتحدد مقدار عطاء الأفراد للدولة بقدر ما يعود عليهم من الارتباط بها، والذي يعود على الأفراد من الارتباط بأوطانهم يمثل مصدر حياة وعزة وكرامة وقدرة على إبقاء الحقوق المقررة عليهم لله عز وجل، ولعباد الله، وبدون المحافظة على الوطن وحمايته من تأمر المعتدين، لن يستطيع أحد أن يؤدي حق الله، أو حقوق الناس، وسوف تضيع حقوق الدين، ومصالح الدنيا، وسيكون وجود الأفراد هو والعدم سواء.

وقد أصبح من الواضح للعيان أن آثار الجريمة الإرهابية لا تفرق بين الوطن ومن يعيشون على أرضه، فما يصيب الوطن من لهيب تلك الجرائم الإرهابية يدفع ثمنه الأفراد، وما يصيب الأفراد في وطن (ما) إنما يجيء على حساب وجود الوطن واستقراره ومستقبله؛ ولهذا كانت حماية أرض الوطن والدفاع عنه، والوقوف صفًا واحدًا أمام المتآمرين عليه، ومن يستهدفونه بجرائمهم الإرهابية ومؤامراتهم الخبيثة أمرًا مصيريًا، وقدرًا محتومًا، وواجبًا شرعيًا يَأْتُم تاركه أشدَّ الأثم، ويثاب فاعله بأعظم الثواب وأجزل الجزاء.

### احترام مؤسسات الدولة وتقدير جهودها في حفظ الأمن:

ومن أهم المجالات التي يجب أن يدعم الأفراد فيها الدولة الوطنية، احترام مؤسساتها التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتوفير الكيانات الوطنية التي تقوم بدور الريادة، فيما يسمى بالقوة الناعمة لتلك الدولة الرائدة، وعلى رأسها الأزهر الشريف وإمامه وعلماؤه في مختلف هيئات مصر ومؤسساتها وبخاصة وزارة الأوقاف ودار الإفتاء وجميع الأئمة والعلماء والخطباء والوعاظ في مختلف مدن مصر ونجوعها وكفورها، والأدباء والمتفقون الذين يشكلون وجدان الأمة ويهذبون تفكيرها ويوجهون عقولها وفق أسس وسطية وموضوعية نزيهة.

بيد أن مؤسسات الدولة الأساسية والمتمثلة في رئيسها ومجلسها النيابي وهيئتها القضائية ومؤسساتها العلمية والدعوية تبقى في القمة من الاحترام الذي يجب على الأفراد حيالها.

ومن الأهم في هذا الصدد الإشارة إلى أن أعظم دعم للدولة الوطنية يتمثل في الحرص على اختيار من يصلح لقيادة تلك الدولة والمحافظة على وحدتها وحراسة ثغورها من الاختراق أو تنفيذ المخططات الإجرامية التي تريد تقسيمها وتمكين الإرهابيين من أوصالها، وأعظم مظهر من مظاهر العطاء في هذا المجال أن يقبل الناس على صناديق الانتخاب بالحماس والجد الذي يلائم سمو المهمة التي يقومون بها، فإن ذلك المظهر الإيجابي يرد عن مصر شرًا مستطيرًا، ويقطع ألسنة



المتربصين بها شرّاً ليهدموا أساس تلك الهيئات الوطنية الرفيعة، ولينسجوا حول الإقبال على الانتخابات قصصاً خيالية يتخذون منها نريعة لإشباع حقدهم الدفين على هذا الوطن الأمين.

وما من شك في أن حفظ الأمن في المجتمع يُعد من أهم أسس استقراره، ومصدر قدرة الأفراد على أداء واجبهم نحو ربهم، ونحو الناس أجمعين، لأن كل عمل يحتاج إلى نية وقصد، والنية لا يمكن أن تكون موجودة في ظل خوف ورعب، والخائف لا يقوى على القيام بأى عمل، لأن كل همه متجه نحو ترقب مصيره الذي يتهدده الضياع، ويمزقه الرعب، وصدق عمر بن الخطاب حين قال: "إن الإنسان ليس أميناً على نفسه إذا أنت أخفته أو أبعته أو حبسته"<sup>(١١)</sup>، وحفظ الأمن لا يمكن أن يتوافر إلا بالقضاء على الإرهاب.

وإذا كان الأفراد مخاطبين من قبل الله عز وجل ومكلفين بأداء ما أوجبه عليهم، يكون توفير الأمن لهم أساساً ومدخلا لأداء هذا الواجب، وما يؤدي إلى الواجب يكون واجباً، فيكون حفظ الأمن واجباً على الجميع بما فيهم الدولة والأفراد الذين يحملون جنسيتها ويشرفون بالانتماء إليها.

### طبيعة المسؤولية الفردية عن دعم جهود الدولة الوطنية:

إذا كانت مسؤولية الأفراد عن دعم جهود دولتهم الوطنية تقوم على أصول راسخة من مبادئ التشريع الإسلامي وأدلة أحكامه المبينة لما يجب أن يقوم به الأفراد نحو بلدهم وما يتعين عليهم أن يقوموا به، فإنه في إطار مسؤولية الأفراد تجاه الدفاع عن بلدهم والوقوف معه في مواقف الشدة - وعلى رأسها بالقطع الإرهاب - يقرر الفقهاء أن ذلك من باب (الواجب الكفائي) الذي يتدرج في اتساع نطاقه من جهة وجوبه على الأفراد حتى يشمل الجميع، حيث يبدأ كفائياً يقوم به من يعين أو يوظف للقيام به، وذلك في الظروف العادية التي لا يكون خطر التعدي على أرض الوطن فيها ملحاً، فإذا ما زاد الخطر وكثر عن أنيابه وبدأ يتلمظ لتدمير البلاد، فإنه يتحول إلى واجب عيني يسأل الأفراد جميعاً عنه مسؤولية شخصية - وليست مسؤولية وظيفية - كما يساءلون عن صلاتهم وصيامهم وزكاتهم، وقد جاء في شرح الجامع الصغير بالهداية للمرغيناني من فقهاء المذهب الحنفي: "والدفاع عن البلاد واجب إلا أن من يقومون بهذا الدفاع في سعة من أمرهم حتى يحتاج إليهم، وأوله إشارة إلى الواجب على سبيل الكفاية أو من يوظف للقيام به، وآخره إلى النفير العام الذي يجب على كل فرد حتى ولو كان ممن لا يجب عليهم الدفاع ابتداءً أو بناء على فرض الكفاية كالنساء والشيوخ وأمثالهم ممن لا يتعين عليهم الدفاع، وذلك لأن المقصود منه لا يحصل إلا بقيام الجميع به، ولهذا يفرض على كل إنسان"<sup>(١٢)</sup>. وذلك ما ذهب إليه جمهور فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم<sup>(١٣)</sup>.

وبالبناء على هذا الأصل الشرعى المقرر، فإن الإرهاب يمثل خطراً حالاً على الوطن، حيث لم يفرق بين إنسان وآخر، ولا بين صحيح ومريض أو رجل وامرأة أو طفل وشاب، بل أصبح خطراً داهماً على الكافة، ويمارس بأسلوب يتسم بالغدر والخسة، بحيث يصعب معرفة ما يستهدفه من المصالح فيواجهه، أو ما يدبر له من المكر والتعدى فينتقى، ولا يشعر أحد بآثاره المرّة إلا بعد أن يقوم بجريمته، وينتهى من فعلته؛ والنار عندما تشتعل لا يصح أن ينتظر الأفراد سيارات الإطفاء حتى تتجهز وتصل، بل عليهم أن يدهموا النيران قبل أن يرتفع لهيبها، ويمتد خطرهما، وإن هم انتظروا حتى يصل المكلفون بالإطفاء أو تأتيم النجدة من مختلف الأثناء، سيكونوا موضع مساءلة من ربهم على أنهم تقاعسوا عن مواجهة الأخطار وإطفاء النيران فور اشتعالها، انتظاراً لمن يؤدي الواجب نيابة عنهم فيها.

والإرهاب نار محرقة تستهدف الأخضر واليابس، وتهلك البشر والحجر، ولا تفرق بين إنسان وآخر، فالكل فى نظر ذلك الإجرام الإرهابى ضحايا، وجميع الناس هدف، وكافة مقومات الدولة الوطنية مرمى لنيرانه، ولا يصح فى مثل هذا المستوى من الخطر أن يركن الأفراد إلى الكسل تاركين مسئولية المواجهة على أفراد الشرطة أو الجيش، أو متذرعين مرددين تلك المقولة: (ليس ذلك من اختصاصى أو مما ليس من شأنى)، وإنما يجب أن تتحد يد الجميع فى المواجهة، وأن يقف الأفراد بجوار الشرطة والجيش فى دفع ذلك الخطر، فذلك عدل وليس فضلاً، وواجب وليس نفعاً، بل يتعين أن يسبق دور الأفراد نشاط الشرطة، لأنهم أكثر انتشاراً وأدوم تواجداً فى الأماكن التى يمارس الإرهابيون فيها جرائمهم، وإذا كان أفراد الشرطة والجيش ليس بمقدورهم فى كل الوقت أن يصلوا إلى تلك الأماكن الضيقة التى يتواجد فيها الإرهابيون أو يتخذون منها أوكاراً لتوجيه الاعتداءات وإعداد المتفجرات، فإن الأفراد يستطيعون أن يقوموا بهذا الدور الاستباقى ويقدرّون على متابعة النشاط الإرهابى لحظة مخاضه، وقبل تنفيذ جرائمه، وملاحقته فى الشوارع والحارات والميادين والطرق والمواصلات وأماكن التجمعات، حيث لا يفرق خطر الجرائم الإرهابية بين عسكرى ومدنى ولا بين شرطى وعادى، ومن ثم يكون اتحاد الكل فى مواجهته من حيث المسئولية فى درجة سواء، ويكون دفع خطر الإرهاب واجباً شرعياً على الجميع.

ولعل ما ورد فى تلك الأوراق يعد مدخلاً لتناول أوسع وتعميق أكبر للأفكار التى انطوت عليها، والتى تعد - بما هى عليه الآن - بداية المبتدى، والمدخل لمن يريد الشرح الوافى والبيان الشافى لمختلف عناصرها ومجمل أفكارها، والله من وراء القصد، وهو سبحانه الموفق والمعين.

## الهوامش :

- (١) أخرجه الشيخان عن جندب بن عبد الله ، الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للشيخ/ محمد المدنى ، المكتبة الأزهرية للتراث، ص ٢٠٢ .
- (٢) نيل الأوطار للشوكانى، طبعة الحلبي، ٣٢/٥ .
- (٣) صحيح البخارى، مكتبة عبد الرحمن محمد، ٧٣/٥ .
- (٤) المعجم الوسيط ، الطبعة الثالثة ، ٣١٣/١ .
- (٥) فى هذا المعنى: المعجم الوسيط ، السابق ، ص ٥٠٢ .
- (٦) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، طبعة الهيئة العامة للكتاب، ٢٦٦/١٣ .
- (٧) النووى ، رياض الصالحين ، رقم ٢٧٦ ، طبعة المكتب الإسلامى .
- (٨) منفق عليه ، المرجع نفسه ، رقم ٦٧٦ .
- (٩) رواه مسلم ، المرجع نفسه ، رقم ٦٧٤ .
- (١٠) رواه البخارى ، المرجع نفسه ، رقم ٦٧٢ ، ص ٢٧٤ .
- (١١) كنز العمال ، علاء الدين على المتقى، طبعة دائرة المعارف النظامية بالهند، ١١٥/٣، وراجع: فقه عمر بن الخطاب موازناً بفقهاء أشهر المجتهدين ، للدكتور/ روىعى الرحيلى ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، دار الغرب الإسلامى، ٤٣١/١ .
- (١٢) الهداية ، شرح بداية المبتدئ للمرغينانى، مكتبة الحلبي، ١٣٥/٢ .
- (١٣) المرجع السابق، وفتح القدير للكمال بن الهمام، ٢٧٧/٤ وما بعدها، والمقدمات الممهديات ، ٢٦٣/١، ومغنى المحتاج ، ٢٠٩/٤ ، وحاشية الشرفاوى على التحرير، ٣٩٢/٢ ، والمغنى لابن قدامه ، ٣٤٥ /٨ ، ونيل الأوطار للشوكانى، ٢٠٨/٧ ، طبعة الحلبي.

## أسباب نشأة فكرة التطرف الديني فى المجتمع وطرق مكافحته

سماحة الشيخ /نضيع الله عشيروف

المفتى العام ورئيس الإدارة الدينية المركزية

لمسلمى القسم الآسيوى من روسيا الاتحادية فى القاهرة

روسيا

الحمد لله رب العالمين الذى جعلنا مسلمين وبالقرآن والسنة مهتدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛  
فاسمحوا لى فى بداية كلمتى أن أحييكم تحية خالصة، وأعرب عن جزيل الشكر وعميق التقدير لمعالى وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أ.د. محمد مختار جمعة، ولجميع من شارك فى تنظيم هذا المؤتمر على حسن الاستقبال وكرم الضيافة، وهو ما عُرِفَ عن دولتكم على مر التاريخ، حفظها الله وأدامها حصناً للإسلام والمسلمين فى العالم أجمع.  
أما الموضوع الذى نويت أن أتحدث عنه أمام حضراتكم، فهو أهمية الحفاظ على أسس الاستقرار والسلام فى العالم، وإنه لشرف لى أن أتحدث فى هذا الموضوع هنا فى القاهرة بلد الأزهر الشريف أحد أهم محاور عملية السلام اليوم.  
فى السنوات الأخيرة كثر الحديث حول الحضارة والتطور والانفتاح، حتى استغلها من لا يريد للإسلام والمسلمين خيراً، ونادوا بها، مستترين بذلك على الغزو الفكرى المخطط له من قبل القوى العالمية الكبرى التى تستهدف هذه الأمة من خلال استهداف أعلى ما عندها، وهى عقيدتها

وقيمها وأخلاقها، فكما قال رسول الله ﷺ: " يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا...".

لقد بعث الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم محمداً ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

إن الإسلام جاء مع كل القيم الإنسانية والتربوية العظيمة؛ عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً، لأجل بناء مجتمع إنساني خالٍ من الشوائب التي تؤدي إلى هدم وزعزعة أركان الاستقرار في المجتمع، وانتشار الظلم والعدوان والنزاعات، وجاء لإخراج المجتمع البشري من ظلمات الجهل والعداوة وسفك الدماء إلى نور الإيمان والأخوة والسلام، وقد بنى ذلك على قاعدة متينة تنبع من تعاليم القرآن الكريم ووصايا نبينا الكريم ﷺ، والذي نعتبره قدوة لنا في كل مجالات حياتنا، وفي حسن المعاملة بين المسلمين وغيرهم، وذلك كما ورد في حديث النبي ﷺ: " كلكم لآدم وآدم من تراب".

ديننا - أيها السادة الكرام - دين اقرأ، وأمتنا أمة اقرأ، هذه هي أول كلمة نزلت على نبينا ﷺ بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ (العلق : ١-٤) ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل إلى أنوار المعرفة، وألف بين قلوبنا يا مقلب القلوب، اللهم آمين!

### من أسباب ظهور الأفكار والحركات المتطرفة؛

إن الأحداث التي وقعت في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين في العالم أدت إلى ربط مظاهر التطرف والإرهاب بشكل وثيق بالإسلام والمسلمين زوراً وافتراءً، وازدادت حدة التهديد على الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث بدأ بعض المغرضين تصنيف العالم ظمناً إلى قسمين : متحضر - غربي، وإرهابي - إسلامي، وقد ركز على وصف المسلمين بالإرهابيين بتأثير الحملات الإعلامية التي أنفقت عليها أموال ضخمة، ووضع لها إمكانيات هائلة؛ لتشويه صورة ديننا الحنيف.

وقد أدت هذه العوامل إلى فقدان الثقة بين الأديان والطوائف الدينية والعرقية، كما أدت أيضاً إلى نمو التوتر في العالم وظهور " الإسلاموفوبيا " في المجتمع الغربي، والتي يتحدث عنها اليوم العلماء والباحثون في كل المناسبات تقريباً.

ولا يخفى على المعنيين بشئون التطرف أن أسباب نشأة فكرة العنف متعددة، ومنها الأسباب السياسية والفكرية والنفسية والاجتماعية، فمثال تلك الأسباب هو انتشار الظلم والفجور والاضطهاد

وغياب العدالة، وقد ظهر العنف فى البداية فى شكل حركات مضادة للقوى المعادية للإسلام التى احتلت أراضيها، حتى أصبح أى رد على الظلم والقهر والاضطهاد القومى يدعى عند الظالمين المحتلين ومن عاونهم تطرفاً.

### أساليب مكافحة فكرة التطرف والإرهاب:

إن فكرة الغلو والتطرف والإرهاب التى نشأت وانتشرت فى العالم بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر وغزو أفغانستان والعراق ولدت قلقاً وخوفاً، ليس فى الغرب فقط بل فى المجتمع الدولى بأسره.

وطلب هذا الواقع توحيد الجهود العلمية والفكرية والسياسية لبحث الأسباب واتخاذ التدابير العاجلة لمكافحة ومنع هذا الخطر الفكرى، لأنه ليس هناك شك فى أن التطرف هو أحد عوامل زعزعة الأمن والاستقرار فى المجتمع، ومن أخطر أشكال التطرف هو التطرف ذو الصبغة الدينية أو القومية، وهو خروج صريح عن منهج وغاية الدين، وكذلك عن علة وجود الشعوب، وهى التعارف والعيش بسلام، حيث إن العلة هى كما حددها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾، وأنهى قضية التمايز بين الناس بأن ختم الآية الكريمة بأن قال جل وعلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

لذا لا شك أن الأمة الإسلامية فى حاجة ماسة إلى توحيد صفوفها، وترسيخ وحدتها، وجمع قدراتها لمكافحة هذه الأفكار الهدامة المتمثلة فى فكرة اللجوء إلى العنف والتطرف والإرهاب، مما يساعد على تحقيق أهداف القوى المعادية للإسلام المبطنة، وخاصة فى ظل ما نشهده اليوم من هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين وعلى أراضيهم؛ لنهب ثرواتهم وتشويه صورة ديننا الحنيف. إن علماء هذه الأمة يقع على عاتقهم المسئولية الكبرى فى الحد من هذه الظاهرة الخطيرة من خلال التعليم والدعوة المنهجية، ونشر عقيدة ديننا، دين التسامح والسلام.

فإن هؤلاء المتطرفين الغلاة يصاحبهم الغرور، ويلازمهم الإعجاب بأنفسهم، والاعتداد بآرائهم، وهم يحاولون فرض هذه الآراء المغلوطة بالقوة مبررين استخدام القسوة والعنف من خلال الدين زوراً وافتراءً، وهذا ما لا يمكن أن يحصل إذا رُفِعَ مستوى وعى الأمة وفهمها لدينها وعلاقتها السمحة مع بقية المجتمع، ومنهجية بناء العلاقة بين الشعوب، والتى تم توضيحها فى الكتب

واجتهادات كبار علماء أمتنا ممن نجد الآن من يتناول عليهم، وهم لا شيء مقارنة بهم من ناحية التقوى والعلم والأخلاق، رحمهم الله تعالى أجمعين.

أيها السادة الأعزاء إن أهل السنة يعلمون الحق، فهم يظهرونه وينصرونه وينشرونه، ويرحمون الخلق ويحبون لهم الخير والنجاة، ونحن بوصفنا خير أمة أخرجت للناس يجب علينا أن نقف عند حدود ديننا ونطيع الله ورسوله، ويجب علينا أن ننشر ونرسخ العلم الشرعي والعدل والوسطية بين طرفي الغلو والجفاء، فإذا عرفنا حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ " لحصلنا بإذن الله تعالى وتوفيقه على النجاة والسعادة والتمكين للبشرية جمعاء .

وعلى أيها السادة، أن نقف في وجه من يريد ضعفة أمن الأمة واستقرارها، وتشويه صورة الدين، ولا يتم ذلك إلا بتنفيذ أوامر الخالق عز وجل، والدعوة من كل المنابر وبكل ما نستطيع من إمكانيات إلى التعارف والتضامن والتعاون بين جميع خلق الله من أبناء آدم، واتقين بالنصر من عند الله عز وجل، فهذا نحقق أمر العزيز الحكيم في كتابه الكريم: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى

الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ( المائدة : ٢ ) .

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يجزى خيرا هذه الجهود الضخمة المبذولة لتنظيم هذا المؤتمر، والذي فيه بذرة الخير إن شاء الله لإنهاء انتشار نار التطرف، وأسأل الله العلي العظيم أن يتقبل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، هو مولانا، وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ، ويعم الخير والسلام على أرضه، إنه هو السميع القريب .

## الآليات التربوية لمواجهة التطرف والإرهاب

فضيلة الشيخ / صلاح مجيوف

مستشار رئيس جمهورية الشيشان

المفتي العام لمسلمي الشيشان

الشيشان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فأستهل كلمتي بالتعبير عن سعادتي وسروري لوجودي بينكم، وأوجه الشكر الجزيل لمعالى الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في جمهورية مصر العربية، والقائمين على هذا المؤتمر على حفاوة الاستقبال وحسن الضيافة، وعلى دعوتهم الكريمة لي، للمشاركة بهذا المؤتمر المبارك، وما يحويه من موضوعات بالغة الأهمية، في وقت نحن بأمس الحاجة إلى مناقشة هذه الموضوعات؛ لتحصين مجتمعاتنا من أفكار التطرف والإرهاب، ووقايتها من الآثار الهدامة، وحماية تراثنا وفكرنا الإسلامي من التحريف والتشويه.

لذا كان عقد مثل هذه المؤتمرات خطوة ضرورية، وألوية ملحة، ودليلاً على وعي القيادات السياسية والعلمية بواقع مجتمعاتهم، وحرصها على وقاية شبابها من الأفكار الدخيلة التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

لقد أصبحت ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية من أبرز القضايا التي تشغل اهتمام الباحثين، وذلك لسببين : الأول سرعة بروزها باعتبارها ظاهرة اجتماعية، والثاني خطورة آثارها على الصعيد الاجتماعي. وعلى الرغم من المحاولات الجادة التي تستهدف تطويق الآثار السلبية



لهذه الظاهرة، فإن التطرف على اختلاف أشكاله ما زال يجد الأرض الخصبة لنموه وامتداده.

أيها الإخوة الفضلاء إن من أهم العوامل التي تسهم في معالجة الإرهاب والتطرف، وتعزيز الاعتدال والتعايش بين أبناء المجتمع؛ هو علاج بذور التشدد، وملامح التعصب، وعلامات التطرف، في المراحل الأولى من علامات الإصابة بالمرض، وعدم التهاون أو التجاهل لبعض مظاهره في المجتمع هنا وهناك.

لذلك رأينا الحبيب محمد ﷺ يقف موقفاً حازماً، وصريحاً، عندما شعر بوجود خلل، أو نوع من عدم التوازن في منهج بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - والذي يعطى مؤشراً خطيراً لبداية التطرف والبعد عن المنهج النبوي، وبادر إلى معالجته بأسلوب يضمن إيقافه عند حده في مرحلته الأولى.

ويتمثل ذلك واضحاً في قصة الشباب الثلاثة الذين سألوا عن عبادة الرسول ﷺ، فكأنهم تقالوها، فقال أحدهم: أنا أصلى الليل ولا أرقد. وقال الثاني: أنا أصوم النهار ولا أفطر. وقال الأخير: وأنا أعتزل النساء.

فلما سمع بذلك النبي ﷺ، ونقل إليه هذا الكلام، لم يكتفِ بنصح الشباب سرّاً، ولم يؤجل معالجة الموضوع، أو يتساهل في شأنه؛ إنما أسرع وجمع صحابته وصعد منبره، وأعلن بشكل واضح وصريح خطأ هذا الأمر كي لا يغتر الآخرون بمنهج أولئك النفر الثلاثة، أو ينتشر في أوساط المجتمع مثل هذا الفكر، وختم حديثه لهم بكلام غاية في الوضوح مع شدة في القول وحزم في المسألة، فقال: "أما أنا فأصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

نعم أيها الأحبة لا تساهل أو تكاسل في حماية المجتمعات من التطرف والإرهاب، وكذلك من التسبب والانحراف.

بل لا بدّ من وقاية المجتمعات وتحصينها؛ كي تقاوم دخول الأمراض الاجتماعية عليها، وتحافظ على وحدتها وتماسكها، ولا يصح تأجيل الأمر حتى يصل المرض إلى بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا ومساجدنا، فيصعب عند ذلك معالجته، ويحار أصحاب العقول في مواجهته، وتضيع الأموال الطائلة في سبيل ذلك.

لقد تهاونت العديد من الأسر والمدارس، والمؤسسات التربوية والجامعات، مع بعض السلوكيات والأفكار التي يرونها ويسمعونها من أبنائهم ومن المنتسبين لتلك المؤسسات، ولم يعالجوا تلك الأمور من

بداية نشأتها، ولم يقفوا في وجه مروجيها وقفة حازمة واعية، تجتث هذا الانحراف من أساسه، وتميته في مهده، حتى لا ينتشر هذا المرض ويتمدد ويتسع نطاقه، فيعدى القريب والبعيد. ولاشك أن علاج التطرف والتشدد، أو الانحراف في بدايته أقوى أثراً، وأخف تكلفةً، وأضمن نتيجةً؛ ولأجل ذلك لا بد لنا من الوقوف على أبرز الأسباب المؤدية إلى انتشار الأفكار الدخيلة بين أبناء المجتمع، سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو التربوية، والعمل على علاجها. وفيما يلي أذكر لحضراتكم بعض الآليات التربوية لمواجهة التطرف والإرهاب:

١- تصحيح المناهج التربوية وتنقيتها: إذ تعدّ المؤثر الأقوى في سلوكيات الطلبة وتكوينهم الفكري، وهي بمثابة ينبوع الماء الذي يشرب منه الناس، فإذا كان الماء صافياً نقيّاً؛ كان الناس في صحة وسلامة، أما إذا كان ملوثاً بالشوائب والجراثيم، كان تأثيره كارثياً عليهم، وكذلك المناهج التربوية لها التأثير نفسه على أبناء المجتمع، ومن الخطورة بمكان أن تكون المناهج التربوية في المدارس والجامعات تغذى ظاهرة التطرف والإرهاب لدى أبنائنا الطلبة، كما لا بد من تضمين المناهج المدرسية مادة تتحدث عن الوسطية والاعتدال في كافة مناحي الحياة، وفي جميع المراحل الدراسية.

٢- تدريب وتنقيف القائمين على العمل التربوي والاجتماعي، واختيارهم بدقة عالية، وخاصة المدرسين في المدارس والجامعات، والأئمة والخطباء في المساجد ودور العبادة، فأى خلل في منهجهم أو سلوكهم سيصل بطريقة سهلة إلى تلاميذهم ومستمعهم، لما لهم من مكانة في القلوب، وتأثير قوى في المجتمع.

٣- معالجة الضغوط الاجتماعية لدى أفراد المجتمع والعمل على وضع الحلول لها، وذلك من خلال ما يتعرض له الفرد في الأسرة أو المجتمع من تمييز عرقي، أو طائفي، أو طبقي، مما يولد حالة من الاحتقان والغضب، الذي قد ينفجر في أية لحظة، مما يهدد المجتمعات ويؤدي بها إلى التمزق والتفريق والتشتت والتقاتل.

٤- الاستجابة للمطالب المشروعة في الحرية والكرامة لمختلف طبقات المجتمع، وهذا يقلل من ظاهرة التطرف، ويضيق من قاعدتها، ولاشك أن الالتفات إلى طبقات المجتمع كافة، والاهتمام بمطالبها المشروعة، سيخفف من ظاهرة التطرف ويبعدها عن العنف.

ويجب أن نؤكد أن التربية الدينية الصحيحة؛ هي من أهم العوامل المؤدية إلى الأمن النفسي، وإلى الاستقامة السلوكية المتوازنة، وإلى نبذ العنف والتطرف، وإلى إقرار قيم الأخوة والمحبة والتعايش.

وفى الختام فإنى أشكركم جميعاً لحسن إصغائكم، سائلاً المولى عز وجل أن يحفظ هذه البلاد وأن يديم عليها نعمة الأمن والاستقرار، وأن يُبارك فى هذا البلد وأن يَعُمَّهُ ربنا بالأمن والسلام ولجميع بلاد المسلمين، وأن يُوفِّقَ القائمين على هذا المؤتمر المبارك، وأن يُكَلِّلَ جهودهم بالنجاح، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## دور المؤسسات الدينية فى مواجهة الإرهاب وآليات المواجهة

الأستاذ الدكتور/ أحمد عطية

وزير الأوقاف والإرشاد

اليمن

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون،  
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛  
فإن الفتن فى كل زمان توجب على العلماء البيان بالبرهان؛ لإيضاح ما التبس بالحق من  
الباطل والبهتان، وحيث كانت فتنة الإرهاب داهية دهياء ومصيبة شنعاء، لأنها أهلكت أنفساً بريئة  
معصومة، ودمرت منشآت محترمة، وشوهت صورة الإسلام عند بعض الناس، لذا كان البحث  
عن وسائل إيقافها أو تخفيفها إلى أدنى حد ممكن أمراً لا مناص منه شرعاً.<sup>(1)</sup>  
ولقد حذر الإسلام أتباعه من الانزلاق فى هذه المزمة الخطيرة، ووضع السياجات الحصينة  
التي تحميهم من الوقوع فيها، فجاءت النصوص الشرعية بالتحذير من الغلو فى الدين، والانحراف  
فى فهم نصوص الشرع الحكيم، وعلى الرغم من ذلك فإن تحريف معنى النص وتأويله على غير  
وجهه معركة قديمة، بدأت منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم عندما ظهر الخوارج الذين  
أرادوا تفسير النصوص الشرعية وفهمها فهماً مغايراً لفهم أصحاب النبي ﷺ، فخرجوا بمقولات  
عجيبة وآراء شاذة غريبة مخالفة لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ؛ فكفروا المسلمين بالذنب  
والمعصية، وخرجوا عن جماعتهم، فقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ على هذا الفهم  
المحرّف الجديد والتأويل المبتدع لكتاب الله تعالى.

إن معركة محاربة الإرهاب - تلك القضية التي أضحت البشرية تعاني منها أشد المعاناة، وذاقت بسببها الويلات - لم تعد تمارس على مستوى الأفراد فحسب، بل على مستوى الدول والجماعات والمنظمات، وكان المسلمون هم الضحية الأولى لهذه الظاهرة، حيث تنتهك حقوقهم، وتسلب أموالهم، وتزهق أرواحهم.

واستشعاراً لهذه الخطورة، وانطلاقاً من دور مصر العروبة المحوري في مواجهة التحديات والأخطار؛ تقوم وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية ممثلة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في هذا التوقيت المهم والحساس من عمر الأمة في إقامة المؤتمر الدولي الثامن والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان: (صناعة الإرهاب ومخاطره وحثمية المواجهة وآلياتها) ومداراً مشاركتي في هذا المؤتمر المهم حول بيان دور المؤسسات الدينية في محاربة الإرهاب وآليات المواجهة .

ولا يسعني إلا أن أعبر عن عميق شكري وعظيم تقديري لوزارة الأوقاف ممثلة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، على اهتمامها بقضايا الأمة وآلامها ، سائلاً الله أن يوفقها، ويسدّد على طريق الخير خطاها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

## دور المؤسسات الدينية في محاربة الإرهاب

لقد شهد دور المؤسسات الدينية المختلفة في العالم الإسلامي موجات من المد والجزر على طول تاريخها، وبخاصة في عصرنا الحديث، هذا العصر الذي ثار الحديث فيه عن أزمة المؤسسة الدينية وعن إشكالات دورها ومهامها، وعن التحديات الجديدة، وبخاصة الدينية، وهو ما يراه الكثيرون سبباً للبطا من تحت أقدامها.

وفضلاً عن هذا الصعود للبدائل التي ملأت فراغات خلفتها أزمة المؤسسة الدينية الإسلامية المعاصرة وراءها، وقيام هذه البدائل بكثير من الأدوار التي كان معهوداً أن تقوم بها المؤسسة الدينية، إلا أن هناك أزمات بنوية متعلقة ببنائها وتقنيها، وخطاب كثير من الممثلين لها، من هذه الأزمات ما يتعلق بالشأن الديني المحض، ومنها ما يتعلق بالشأن الدنيوي الخالص، أو يجمع بينهما<sup>(٢)</sup>.

### أولاً : مفهوم المؤسسات الدينية :

إن ظهور المؤسسة الدينية في شكلها الحديث مرتبط بحضارة المدينة، وبهذا فإن انتشار هذه المؤسسات الدينية واتساع نطاقها داخل المجتمع يكون دائماً بشكل متدرج لا دفعة واحدة، فالظروف الاجتماعية والمعيشية للإنسان المتدين هي التي تخلق له طرقاً لإيجاد أو ابتكار مؤسسات دينية تتأقلم مع الوضع الذي يعيش فيه ، وبعبارة أخرى فإن تطور وتوسع وتزايد المؤسسات الدينية يتزامن مع تطورات التاريخ بحد ذاته<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن هناك ضرورة لقيام المؤسسات الدينية بتجديد بنية الخطاب الديني ومكوناته وما يتعلق بمفاهيمه ومصطلحاته في قضايا جوهرية، وبما يتلاءم ويتواءم مع متغيرات الحياة، وإجراء قراءات ومراجعات لطبيعة وحاجات المجتمع المعاصر، وما يمر به من متغيرات، وما طرأ عليه من اختلاف في عادات الناس وطبائع معيشتهم ومستوى حضارتهم ووعيهم، بحيث يكون تجديد الخطاب الديني نابغاً من حاجات المرحلة التي نعيشها بجميع أبعادها<sup>(٤)</sup>.

إن على المؤسسات الدينية الرسمية عبئاً كبيراً في مواجهة ثقافة الموت والعنف والتطرف، وعليها في الظروف الراهنة أن تعي تماماً حجم تلك المسؤولية، وأن تتشط وتكون سبابة إلى استخدام أوضح الأساليب وأبينها في إنكار وفضح ما تقوم به التنظيمات الإرهابية من تشويه للإسلام، وتدمير للمجتمعات، وتهجير وقتل للأنفس، وعدوان على الأعراض، وعدم الصمت تجاه الأفعال المخزية التي تقوم بها منظمات الإرهاب من قتل وتهجير، وأن تسعى بكل الوسائل المتاحة

في نشر قيم الحوار والتسامح والتعايش مع مختلف الأديان والطوائف، وإحداث مشروع تجديدي ضد التطرف بجميع مستوياته وأشكاله<sup>(٥)</sup>.

ولكن ماذا نعنى بالمؤسسة الدينية؟ وفيما تتمثل أهميتها؟ وما هي الأهداف التي تسعى لتحقيقها؟ نظراً لتعدد وتنوع التعاريف النظرية لمفهوم المؤسسة، سأعتمد في هذه الدراسة على طرح أو عرض تعريف شامل وعام للمؤسسة يجمع بين البنية والوظيفة معاً.

**المؤسسة لغةً:** مأخوذة من قولهم: أسس يؤسس تأسيساً ومؤسسةً، قال ابن فارس: "الهمزة والسين يدل على الأصل، والشيء الوطيد الثابت، فالأس أصل البناء"<sup>(٦)</sup> وفي القاموس المحيط:<sup>(٧)</sup> "والتأسيس بيان حدود الدار، ورفع قواعدها، وبناء أصلها".

وعرف مجمع اللغة العربية المؤسسة بأنها: كل تنظيم يرمي إلى الإنتاج أو المبادلة للحصول على الربح<sup>(٨)</sup>.

**وفي الاصطلاح الفقهي:** جاءت هذه اللفظة اصطلاحاً حادثاً في كلام بعض الفقهاء المعاصرين، ففي الموسوعة الفقهية الكويتية قولهم: ويجوز أن يكون رب العمل جماعةً في حكم شخص واحد (مؤسسة)<sup>(٩)</sup>.

وتعرف المؤسسة في اصطلاح أصحاب الإدارة بأنها: "كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء، وفعالية العمل؛ لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبيرة، وفرق عمل، وإدارات متخصصة؛ علمية ودعوية واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرارات في دائرة اختصاصاتها"<sup>(١٠)</sup>.

وتعرف المؤسسات الدينية بأنها: عبارة عن هيئات اجتماعية تسعى لتحقيق أهداف محددة، بحيث لها محددات واضحة، وكذلك بناء وظيفي واضح ومقصود، وهي متعددة الأشكال والألوان<sup>(١١)</sup>.

في حين نجد من علماء الاجتماع الغربي من يعرفها بأنها : عبارة عن المنظمات الرسمية ذات السمة الدائمة والمستمرة، كوزارة الأوقاف، أو المساجد، أو أماكن العبادة الأخرى التابعة أو الخاصة بالأديان البدائية، والفلسفية، والسماوية<sup>(١٢)</sup>.

**ثانياً: الخصائص التي تتميز بها المؤسسات عموماً ومنها الدينية<sup>(١٣)</sup>:**

١- تحقيق مبدأ التعاون والجماعية، وتحقيق التكامل في العمل، بما يعني الاستفادة المثلى من كل الكوادر المتخصصة والموارد المتاحة.

٢- ضمان استمرارية العمل، واستقراره نسبياً بعيداً عن التذبذب قوة وضعفاً، أو التغيير مضموناً واتجاهاً، بتغيير الأفراد أو تغيير قناعاتهم.

٣- الاضطلاع بمهام أكبر من المهام التي يتبناها العمل الفردي، وتضاعف النتائج التي يحققها.

٤- وضوح العلاقة بين جميع العاملين في العمل المؤسسي؛ إذ إنهم ملتزمون بمنظومة من القيم واللوائح يتمحور حولها أداؤهم، وعلاقاتهم الوظيفية والإنسانية.

### ثالثاً : من أنواع المؤسسات الدينية:

#### أ- المسجد:

تتنوع المؤسسات الدينية وفي القلب منها المسجد، ذلك المكان المقدس الذي يلتقي فيه المسلمون، ومنه ينطلقون منذ عهد الرسالة، فمسجد الرسول ﷺ وهو من أوائل المساجد التي أسست في الإسلام كان صرحاً ومؤسسة دينية رائدة، نزل فيه الوحي، وتلقت الأمة فيه علوم دينها ومنهج حياتها فخرجت من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن التخلف إلى التحضر والصدارة، فكان مسجده ﷺ منبع حياة هذه الأمة ومصدر هدايتها، وسيظل كذلك - إن شاء الله - إلى يوم القيامة، فيه تفقه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وفيه تشرّبوا بمبادئ العدل ونظم الحكم الإسلامي.

في المسجد كان يكتب القرآن الكريم ويحفظ، وفيه يتعلم الصحابة والتابعون ترتيل الآيات، وفيه يتجرد الإنسان لمناجاة ربه وينصب لعبادته ومحاسبة نفسه، وفي المسجد تؤدى الصلوات الخمس والجمع.

إضافة إلى ذلك فإن للمساجد أدواراً بارزة في مكافحة الإرهاب والتطرف من خلال مهامه ووظائفه العديدة، نذكر منها:

١- قيام المساجد بمهمة تفسير النصوص الدينية وتعاليمها وشرحها.

٢- أداء الصلوات الجماعية بوصفها شعيرة توحد بين المسلمين، وتؤدي إلى التماسك والتضامن الاجتماعي بينهم.

٣- الدعوة إلى التمسك بآداب الدين بين أفراد المجتمع باعتبار الدين أداة رئيسية من أدوات الضبط الاجتماعي في المجتمع، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب.

٤- يؤدي المسجد باعتباره مؤسسة دينية دوراً غاية في الأهمية فيما يتعلق بالتماسك والتضامن الاجتماعي، وكذا التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.



٥- كما يلعب المسجد دوراً مهماً في تشكيل الشخصية الإنسانية المؤمنة المتكاملة، من حيث التوجيه والإرشاد في مجال الدين والدنيا معاً، في التشريع والعبادات والمعاملات.

٦- تدريب المسلمين على التعاون والعمل الجماعي الذي هو أساس بناء المجتمع، وتدعيم كيانه، وبيصر المسلمين بأهمية الوحدة الإسلامية لا سيما عند تعرض الدول للإرهاب وتدايعياته.

#### ب - المؤسسات الدينية التعليمية:

وهي دور العلم التي تهتم بدراسة العلوم الدينية والعربية، ويتأكد الكلام على الجامعات الإسلامية منها، فهي مسئولة أكثر من غيرها عن الشباب المسلم والحفاظ على صحته ومستقبله، كما نعني المعاهد الدينية والعلمية، تلك المعاهد ودور العلم التي تنتسب إلى الاهتمام بدراسة الدين الإسلامي وعلومه، أمثال المعاهد الأزهرية التي تتبع الأزهر الشريف، وما يسير على منوالها في الأقطار الإسلامية الأخرى، والمعاهد العلمية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم التي تتبع وزارة التربية والتعليم بالدول العربية والإسلامية، وليس معنى هذا أن المؤسسات التعليمية التي ذكرناها فقط هي صاحبة الدور في الوقاية، وغيرها ليس عليه دور! أو لا يقع عليه عبء، كلا، بل العبء يقع على جميع دور العلم في الأقطار الإسلامية من معاهد ومدارس وجامعات، على اختلاف مناحيها واتجاهاتها، فكل دور العلم منوط بالمسؤولية عن الحفاظ على شبابها ومنتسبها من مخاطر وأضرار التطرف والإرهاب، بل وعلى شباب الأمة بوجه عام، لكننا نخص بالذكر مؤسسات التعليم الإسلامية؛ لأن الدور أكد عليها من غيرها باعتبار أنها تعد من المؤسسات الإسلامية<sup>(١٤)</sup>.

وبناءً عليه فإن الجامعات والمعاهد العليا والمعاهد العلمية والإسلامية مطالبة الآن ببذل أقصى الجهود، وتكاتف الإدارات وأعضاء هيئات التدريس، وإدارات الشباب ورعاية الطلاب، وتسخير جميع الإمكانيات من أجل التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، في إطار عمل جامعي وإسلامي مشترك لدرء أخطار الإرهاب وآثاره المدمرة، وذلك بإيجاد مخطط جامعي تربوي تشريعي يستمد من الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه، ويستفيد من الفرص المتاحة للتعاون الجماعي، ومن تقدم الأبحاث العلمية وتطورها في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف.

#### ج - المؤسسات الدينية الرسمية :

مسمى المؤسسات الدينية لا يقتصر على مجرد المؤسسات التي ذكرناها، وإنما هناك مؤسسات منزلتها في الإسلام لا تقل عن المؤسسات التي ذكرت، وبالتالي فلا بد أن يكون لها دور قد لا يقل عن دور المؤسسات التي ذكرناها، لكننا بدأنا بالمؤسسات التي بدأنا بها، وأفردنا لها مكاناً ومساحة لما لها من شهرة عند المسلمين والتحامهم بها.

ومن هذه المؤسسات على سبيل الإجمال: وزارات الأوقاف والشئون الإسلامية في الأقطار الإسلامية والعربية، ومجامع البحوث الإسلامية، ومجامع الفقه الإسلامي، ومجامع اللغة العربية، والمؤسسات الخيرية الإسلامية وغيرها.

هذه المؤسسات لا يخفى دورها، فلها أن تخرج النشرات والدوريات بين الحين والآخر، ولها أن تذكر الفتاوى في وسائل الإعلام الصالحة لذلك بين الفينة والأخرى، ومن الواجب أن تعقد الندوات والمؤتمرات التي يوضح فيها مخاطر الإرهاب والتطرف، مدعمة هذه النشرات والفتاوى بالأحكام الشرعية على ضوء مقتضيات العصر<sup>(١٥)</sup>.

## آليات المواجهة لظاهرة الإرهاب

يعتبر تحدي الإرهاب من أهم التحديات التي تواجه المؤسسة الدينية على المستويين المحلي والإقليمي، وتكمن خطورة موضوع الإرهاب في الوقت الحاضر في أن أعداء الإسلام يتهمون الدين الحنيف بأنه يدعو إلى الإرهاب والقتل والفوضى؛ وأنه لولا الأساليب الإرهابية التي يتبعها الإسلام لما انتشر الدين الجديد في أرجاء المعمورة (١٦).

أولاً : الثوابت التي تنطلق منها المؤسسات الدينية في مواجهة الإرهاب :

يمكن إبراز موقف المؤسسات الدينية إزاء مواجهة الإرهاب من خلال ثلاثة ثوابت تنطلق من خلالها، وتتجسد فيما يلي :

**الثابت الأول:** موقف القرآن الكريم من الإرهاب، حيث إن جميع آياته تأخذ السلم معياراً في جميع العلاقات بين الشعوب والأمم والدول، (١٧) من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقوله سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

والآيتان تحملان شعارين من الواجب أن يكونا مبدأين من مبادئ عمل المؤسسة الدينية، الأول الدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والثاني: حل النزاعات سلمياً، وعدم اللجوء إلى العنف والتهديد.

ولقد حث القرآن المؤمنين على اتباع نهج السلام، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ (البقرة: ٢٠٨)، ونهى عن الإثم والعدوان، والتعاون عليهما، وأمر بالبر والتقوى، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢).

**الثابت الثاني:** موقف السنة النبوية من الإرهاب؛ حيث نجد في سيرة حبيبنا الأعظم ﷺ دعوة صريحة إلى السلام والأمان المناهض للإرهاب، وبت خصال الرحمة والشفقة، وهذا ما نكتشفه من خلال النصيين التاليين: عن العزيز بن صهيب عن أنس عن النبي ﷺ قال: « ما من مسلمين التقيا بأسيا فهما، إلا كان القاتل والمقتول في النار » (١٨)؛ وقوله أيضاً فيما أخرجه الإمام مسلم في

صحيحه قال: حدثنا هدا بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها » قال: فقال أبو موسى: "والله ما متنا حتى سدناها بعضنا في وجوه بعض" <sup>(١٩)</sup>، إذا كان هذا الحديث ينهى عن الترهيب من الإشارة بالسلاح للمسلم دون قصد لما في أسلوب تكرار الأمر من شدة النكير على المخالف، فكيف بمن أشار بالسلاح عمدا ! وكيف بمن استعمل الأسلحة المدمرة كالقنابل والمتفجرات لقتل المسلمين وإرهابهم.

وهذه الخصال من الدعوة إلى السلام والأمان يجب أن تعمل المؤسسة الدينية على بثها من خلال تعليمها للنشء داخلها، والعمل على غرسها بوصفها قيماً إنسانية أصيلة لا تمت بعداوة لأى مخلوق فوق وجه المعمورة .

**الثابت الثالث:** موقف مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء من الإرهاب؛ حيث وقفت الشريعة الإسلامية من خلال مؤسساتها على الصعيد المحلي والإقليمي موقفاً رافضاً لجميع أشكال العنف والإرهاب التي تهدد المواطنين وسلامتهم <sup>(٢٠)</sup>، وإذا أردنا أن نمثل بمؤسسة دينية نذكر هنا أن مبادئ الشريعة التي يلتزمها الأزهر وغيره من المؤسسات الدينية المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي مناهضة للإرهاب وناقدة له في جميع الأحوال، وترفض الإرهاب ضد الآخرين بغض النظر عن كونهم مسلمين أو غير مسلمين.

**ثانياً : المؤسسات الدينية وأبعاد حماية المجتمع من الإرهاب :**

تأتي ظاهرة تبني الأفراد والجماعات التطرف والعنف - كما تشير العديد من الدراسات والأبحاث العلمية - باعتبارها ظاهرة ومنتج مركب من عوامل متصلة بالبيئة الداخلية وأخرى بالبيئة الخارجية، وبمسببات دينية وأخرى دنيوية، وترتبط بعوامل مختلفة منها: الدينية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية، وهذه العوامل أو المسببات ربما تتفاوت من حيث التأثير، بحيث يكون لبعض أو لأحد منها دور وإسهام أكبر في خلق وصناعة الشخصية المتطرفة، وأن ذلك التفاوت في تلك المسببات يعود إلى اختلاف البيئات والمجتمعات، ما يعني دوماً صعوبة اختزال حال النزوع إلى التطرف والميل إلى العنف نتيجة مسبب واحد <sup>(٢١)</sup>.

على ضوء دور المؤسسات الدينية في محاربة الإرهاب وفق المفهوم الشامل للأمن ، فإنه يعني تهيئة الظروف المناسبة التي تكفل الحياة المستقرة، ومن خلال الأبعاد التالية <sup>(٢٢)</sup>:

١- **البعد السياسي :** والذي يتمثل في الحفاظ على الكيان السياسي للدولة ، وحماية المصالح العليا، واحترام الرموز الوطنية والثوابت التي أجمع عليها غالبية أفراد المجتمع، وعدم اللجوء إلى

طلب الرعاية من جهات أجنبية أو العمل وفق أجندة غير وطنية، مهما كانت المبررات والذرائع ، وممارسة التعبير وفق القوانين والأنظمة التي تكفل ذلك ، وبالوسائل السلمية التي تأخذ بالحسبان أمن الوطن واستقراره .

٢- **البعد الاقتصادي:** والذي يهدف إلى توفير أسباب العيش الكريم، وتلبية الاحتياجات الأساسية ، ورفع مستوى الخدمات ، مع العمل على تحسين ظروف المعيشة ، وخلق فرص عمل لمن هو في سن العمل، مع الأخذ بعين الاعتبار تطوير القدرات والمهارات من خلال برامج التعليم والتأهيل والتدريب، وفتح المجال لممارسة العمل الحر في إطار التشريعات والقوانين القادرة على مواكبة روح العصر ومتطلبات الحياة الراهنة .

٣- **البعد الاجتماعي :** والذي يرمي إلى توفير الأمن للشعوب بالقدر الذي يزيد من تنمية الشعور بالانتماء والولاء، والعمل على زيادة قدرة مؤسسات التوجيه الوطني لبث الروح المعنوية، وزيادة الإحساس الوطني بإنجازات الوطن، واحترام تراثه الذي يمثل هويته وانتماءه الحضاري، واستغلال المناسبات الوطنية التي تسهم في تعميق الانتماء ، والعمل على تشجيع إنشاء مؤسسات المجتمع المدني لتمارس دورها في اكتشاف المواهب ، وتوجيه الطاقات ، وتعزيز فكرة العمل الطوعي؛ لتكون هذه المؤسسات قادرة على النهوض بواجبها، وداعمة ومساندة للجهد الرسمي في شتى المجالات، ومنها محاربة الإرهاب.

٤- **البعد المعنوي أو الاعتقادي :** وذلك من خلال احترام المعتقد الديني بصفته العنصر الأساسي في وحدة الأمة التي تدين بالإسلام وتتوحد مشاعرها باتجاهه ، مع مراعاة حرية الأقليات في اعتقادها ، كما أن هذا البعد يتطلب احترام الفكر والإبداع ، والحفاظ على العادات الحميدة والتقاليد الموروثة، بالإضافة إلى القيم التي استقرت في الوجدان الجمعي ودرج الناس على الإيمان بها .

ومما يلاحظ أن الأبعاد المشار إليها تعالج وفق أربعة مستويات هي: أمن الفرد ، وأمن الوطن ، وأمن الإقليم ، والأمن الدولي، حيث يسعى الفرد باعتباره اللبنة الأولى إلى انتهاج السلوك الذي يؤمنه من الأخطار التي تهدد حياته أو أسرته أو ممتلكاته من خلال ما يملك من الوعي ، واتباع الإجراءات القانونية لدرء هذه الأخطار، واللجوء إلى القانون لتوفير الأمن، مع الحرص على حياة الآخرين وعدم التعدي والتجاوز، كما أن من مقومات الحماية الفردية توفير مستلزمات السلامة العامة .

### ثالثاً: آفاق العلاج وآليات المواجهة للإرهاب :

من خلال ما سبق من محاولة استقراء واقع المؤسسات الدينية ودورها في محاربة الإرهاب؛ يمكننا في هذا الجزء من البحث أن نقدم جملة من الآفاق والآليات لمواجهة ظاهرة الإرهاب، والتي عسى أن تكون توصيات يمكننا الاستفادة منها في الخروج من أزمة المؤسسات الدينية في واقعنا اليوم، وفي ظل التحديات الجسام التي يفرضها علينا الإرهاب والإرهابيون، من ذلك ما يلي<sup>(٣٣)</sup>:

- استعادة الأدوار والوظائف الأصلية التي كانت تقوم بها المؤسسات الدينية من فترة ليست بعيدة عن زمن الانحطاط وتبديل المفاهيم والقيم.  
- العمل على التوحيد العقائدي داخل الدين الواحد، وفرض فكر الانسجام والتناسق بين أمم الوحي.

- خوض المؤسسات الدينية المعركة السياسية والإعلامية والإبداعية الفكرية وفق رؤية واضحة مكتملة لدور الدولة في هذا المجال، وبما يؤدي إلى تفعيل دور المؤسسات الدينية في مواجهة التطرف والإرهاب.

- فتح مسارات الحوار بين الثقافات والشعوب وصولاً لصيغة تكاملية في مواجهة التطرف والإرهاب، إذ لم يعد بمقدورنا أن نصل إلى بر الأمان والخلص من الإرهاب بمعزل عن حولنا في عالم القرية الواحدة .

### آليات مقترحة لمواجهة الإرهاب :

إن الدور المنوط بالمؤسسات الدينية لمواجهة الإرهاب ينطلق في المقام الأول من خلال مواجهة فكر الإرهاب، فالأفكار لا تواجه إلا بفكر آخر قادر على تغيير وتصحيح تلك المفاهيم المغلوطة التي تعتبر السبب في ظهور الإرهاب وتفشيهِ ، ويمكن اقتراح الآليات التالية :

#### ١- البحوث والدراسات :

إعداد البحوث والدراسات التي تشخص ظاهرة الإرهاب، وتوضح المرتكزات الفكرية الخاطئة التي قام عليها، مع اقتراح الحلول والمعالجات ، وعكس هذه البحوث والدراسات ضمن نشاطات المواجهة الفكرية .

#### ٢- المؤسسات التعليمية :

يجب تطوير ودعم أنشطة المؤسسات التعليمية، والمتمثلة في الكليات والمعاهد الشرعية المختلفة، من حيث توفير الكادر والمنهج التعليمي والمكتبات المتخصصة، وتوفير المستلزمات الضرورية للعمل؛ لتأهيل العاملين في حقل الدعوة من الخطباء والمرشدين والمرشحات ، مع تعميم

تجارب الحوارات الفكرية الناجحة، ولذلك فمن الضرورة إنشاء مراكز متخصصة للحوار الفكري لترسيخ مبدأ الوسطية والاعتدال .

### ٣- التدريب والتأهيل :

إن المتغيرات الراهنة والحاجة الماسة إلى مرشدين ووعاظ ودعاة وإعلاميين وكتاب ومدرسين على قدر عال من المهارة في مواجهة الأفكار المنحرفة والمتطرفة، وإيصال الرسالة الهادفة للمستهدفين؛ بحاجة إلى تنفيذ برامج تدريبية ومكثفة لصقل مهاراتهم ورفع قدراتهم.

### ٤- الدروس والخطب والمحاضرات :

يجب إقامة الدروس والندوات والمحاضرات وفقاً لخطط مرسومة ضمن برامج وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في جميع بلدان العالم الإسلامي، وكذلك استضافة عدد من الدعاة المشهورين من العالمين العربي والإسلامي، والذين يحظون بحضور واسع في المجتمع، لإلقاء محاضرات عامة في المدارس والجامعات للتحذير من مخاطر الإرهاب على الفرد والمجتمع.

### ٥- الإعلام الدعوي :

ضرورة تطوير وسائل الدعوة والإرشاد من خلال تنشيط الإعلام الدعوي وإدخال الوسائل الحديثة ، ومنها: إنشاء وتشغيل المواقع الإلكترونية، وكذا إنشاء وحدات خاصة بالإنتاج الإعلامي التي تقند مزاعم الإرهاب والإرهابيين.

### ٦- الكتب والمكتبات :

يجب ضرورة الاهتمام بنشر الكتاب الإسلامي، وإنشاء المكتبات المتخصصة في هدم منظومات الإرهاب الفكرية، وتحقيق وطباعة عدد من كتب التراث العلمية ذات العلاقة بذلك .

## الخاتمة

بعد هذه الإطالة السريعة لدور المؤسسات الدينية في مواجهة ظاهرة الإرهاب والإسهام في خدمة المجتمع وتنويره وتحقيق الأمن الاجتماعي للجميع، والذي بدوره سيحقق الأمن والأمان والاستقرار والتطور والتقدم والنهضة التي هي غاية ديننا الإسلامي الحنيف.

يخلص البحث إلى أن آفة التطرف والإرهاب أصبحت ظاهرة عالمية تهدد الأمن والاستقرار الدوليين، وأن مواجهة الإرهاب ومكافحته لم تعد حكرًا على الدولة وأجهزتها الأمنية وحدها، بل يجب أن تتضافر الجهود لمواجهة هذه الجائحة التي أهلكت الحرث والنسل، وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج والتوصيات التالية:

### أ- النتائج :

- 1- ظاهرة الإرهاب آفة كبيرة وخطيرة، يجب أن تتضافر جميع الجهود للكشف عنها ودراستها بغية الوصول إلى حلول ناجعة لها.
- 2- الإسلام دين العدل والتسامح والتعايش بين بني البشر، والتعاون على البر والتقوى، ولا ينهى عن الإحسان إلى الناس مهما اختلفت أديانهم وألوانهم وأوطانهم، ويصون كرامة الإنسان وحرية في الاعتقاد، والعيش الحر الكريم.
- 3- غياب الدور الحقيقي والفاعل لبعض المؤسسات الدينية في مواجهة ظاهرتي التطرف والإرهاب؛ مما جعلها خارج السياق وكأنها تعيش في مجتمع آخر.
- 4- تقوم المؤسسات الدينية بمهام ووظائف أربعة : (الإمامة في أداء العبادات ووحدها، التعليم الديني في كل مستوياته، الفتوى بأشكالها، الإرشاد العام).

### ب- التوصيات :

- 1- معالجة مظاهر الغلو والتطرف والإرهاب وأسبابها بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر العلم الصحيح والوعي السليم بين الأمة من خلال العلماء المتخصصين، باستخدام الوسائل الإعلامية المختلفة، وبالتعامل مع الإرهابيين على أساس من معرفة دوافعهم ودراسة نفسياتهم، فآفتهم في رؤوسهم وأفكارهم، فيقابل الفكر بالفكر لتصحيح أفكارهم المنحرفة، ولا يقاوم عنف بعنف مضاد إلا بمقدار ما تمليه الضرورة وتسمح به الشريعة.
- 2- نشر الوعي الإسلامي، وتأصيل منهج الوسطية بالتعامل مع المؤسسات الدعوية والعلمية.
- 3- تحرير المصطلحات الشرعية وضبطها بضوابط واضحة كمصطلح الجهاد، ودار الحرب، وولي الأمر، والبيعة والعهود: عقدها ونقضها، وغيرها من المصطلحات ذات العلاقة بإدارة الدول.



- ٤- عقد المؤتمرات الثقافية والعلمية، والتي تهدف لنشر مبادئ السلام والتصدي لمخاطر الإرهاب، وإعداد البحوث والدراسات في مجالات دورية توزع في مكاتب الجامعات والمدارس .
- ٥- نحن بحاجة إلى نهوض فكري ، وإلى مراجعات جذرية لأفكارنا وبرامجنا وسياساتنا الدعوية ، وتفكيرنا بالعالم من حولنا، في عملية من النقد والمراجعة؛ من أجل استعادة الروح الدعوية، لمؤسساتنا الدينية؛ لتقوم برسالتها في صون الدين وفق أصوله وأعرافه الصحيحة والمعتبرة.
- ٦- وضع منهج عملي لاستنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين وغيرهم من النخب؛ للإسهام في مواجهة الإرهاب والتخفيف من آثاره والحد من انتشاره؛ وفق رؤية موحدة وبرامج عملية وإستراتيجية تتبناها مؤسسات الدولة الدينية والجهات ذات العلاقة.
- ٧- التوسع في إنشاء مراكز الحوار المتخصصة في مواجهة ظاهرة الإرهاب، وتقديم الدعم اللازم لذلك.

## الهوامش:

- (١) د.صالح بن زابن المرزوقي ، الحلول العملية لمواجهة الإرهاب ، بحث مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمي (مكافحة الإرهاب) ، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - في الفترة ٢٢- ٢٥ من فبراير ٢٠١٥م، ص ٣.
- (٢) محمد حلمي عبد الوهاب ، الأبعاد الخمسة للتدين ... الدّين من منظور سوسولوجي ، مقالة منشورة في موقع الإسلام أون لاين ٢٠ من أبريل ٢٠١٧م . متاح في : <https://islamonline.net/21090>.
- (٣) لغرس سهيلة ، المؤسسة الدينية : المفهوم والأشكال ، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية ، العدد الثاني، جوان ٢٠١٢م ، ص ٢١٦.
- (٤) حسن بن سالم، المؤسسة الدينية ومسئوليتها تجاه التطرف والعنف، مقالة منشورة بصحيفة الحياة الثلاثاء ١٢ من أغسطس ٢٠١٤م. متاح في : <http://www.alhayat.com/Opinion/Hassen-Bin-Salam/4080746>
- (٥) حسن بن سالم ، المؤسسة الدينية ومسئوليتها تجاه التطرف والعنف ، مقالة منشورة بصحيفة الحياة .
- (٦) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٤٥.
- (٧) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٤٧٧.
- (٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، ص ١٦.
- (٩) وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية، ١/ ٢٨٩.
- (١٠) صلاح الدين جوهر، إدارة المؤسسات الاجتماعية، أسسها ومفاهيمها، الناشر: مكتبة جامعة عين شمس ١٩٧٦م، ص ٦٠.
- (١١) لغرس سهيلة ، ص ٢١٧.
- (١٢) Hault F.T. (١٩٨٨). The sociology of religion. New york. P٩٧
- (١٣) عبد الله المسلم ، بين العمل المؤسسي والعمل الفردي، مقال في مجلة البيان، العدد ١١٧، ص ٣٨.
- (١٤) شعبان رمضان محمود مقلد ، دور المؤسسات الدينية في الوقاية من المخدرات، مقالة منشورة في موقع الألوكة على شبكة الإنترنت ٩-٥-٢٠١١م، متاح في : <http://www.alukah.net/sharia/0/317444> .
- (١٥) شعبان رمضان محمود مقلد ، دور المؤسسات الدينية في الوقاية من المخدرات .
- (١٦) أبو زهرة محمد، الافتراءات ضد الإسلام، القاهرة، مطبعة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٩م، ص ١١٢.
- (١٧) إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع والعنف والإرهاب، دار وائل، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٥٦.
- (١٨) ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله ، الناشر: دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، ١١٠ / ٥ ، رقم الحديث ( ٣٩٦٤).

- (١٩) صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة والآداب/ باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع ٢٠١٩/٤ برقم (٢٦١٥).
- (٢٠) ابن حجر العسقلاني ، بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، تحقيق : عسر إبراهيم ، ، دار العلوم الحديثية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٩٩.
- (٢١) حسن بن سالم ، المؤسسة الدينية ومسئوليتها تجاه التطرف والعنف ، مقالة منشورة بصحيفة الحياة .
- (٢٢) عبد المعطي زكي ، الأمن القومي: قراءة في المفهوم والأبعاد، المعهد المصري للدراسات مقالة منشورة بتاريخ ٩ من فبراير ٢٠١٦م، ص ٢-٤، متاح في: <http://eipss-eg.org/wp-content/uploads> ، وينظر: الأمن الاجتماعي ، بحث منشور على شبكة الإنترنت ، متاح في :  
<http://www.startimes.com/f.aspx?t=٣٤٧١٥٠٤٩>
- (٢٣) ناجم مولاي ، المؤسسة الدينية ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية (من واقع التحديات...إلى أفق العلاج) ، مقالة منشورة في المجلة الثقافية الجزائرية ، بتاريخ ١٥/١٠/٢٠١١م ، متاح في :  
<http://thakafamag.com/?p=٢١٠٦>

## مخاطر الإرهاب وآليات المواجهة تحليل إيكولوجى نفسى

**الأستاذ الدكتور/ أحمد مصطفى حسن العتيق**

أستاذ علم النفس البيئى ورئيس قسم العلوم الإنسانية

عميد معهد الدراسات والبحوث البيئية سابقاً

جامعة عين شمس

مصر

يفكر معظم الناس فى الإرهاب من خلال سياق محدد، حيث يعدونه ماثلاً فحسب فى الحرب غير المبررة وجرائم القتل والتدمير، إلا أن الإرهاب يتمثل فى أشكال أبعد من ذلك، فإذا ما سَلَّمَ الشخص بفكرة أن أى عمل يهدد سلامة الأشخاص والمجتمعات البدنية والنفسية مقروناً بعنف واضح يعد أحد أشكال الإرهاب، فإن وجود صنوف وأشكال مختلفة من الإرهاب يستلزم إجراء تمييز دقيق بينه وبين العنف فى مواجهة العدوان ودفعه، وتحرير الأرض من مغتصبيها، الأمر الذى يقتضى الموضوعية والشمولية .

إن الحاجة إلى الموضوعية تتطلب تحديداً دقيقاً ونزيهاً، كما لا يمكن تحقيق مطلب التصنيف الشمولى بدون توضيح الأشكال المختلفة للإرهاب، الذى قد يلحق بالأفراد والمجتمعات؛ ولهذا سيعتبر الإرهاب فى البحث الراهن متمثلاً فى أى عمل يمكن تجنبه، والذى يمثل انتهاكاً لحقوق الإنسان بمعناها الشامل، أو الذى يمنع الوفاء بالاحتياجات الأساسية للإنسان، ويحول دون

وصول الحقوق المشروعة له، باعتبار أنه يمثل عدواناً على حق الإنسان في الحياة .  
إن الصنفين الأساسيين للإرهاب يتمثلان في الإرهاب المباشر والإرهاب غير المباشر، هكذا  
يقتضى حال التصنيف الموضوعي والشامل في الوقت ذاته .

فيشير مصطلح الإرهاب Terrorism المباشر، إلى أعمال العنف المتعمدة التي تسفر عن  
اعتداء مباشر على سلامة الفرد البدنية والنفسية، وتدمير المنشآت والممتلكات الخاصة والعامة،  
ويتضمن ذلك: الإبادة الجماعية، وجرائم الحرب، والمذابح المدنية، والقتل باستخدام الوسائل  
المختلفة كالسيارات المفخخة والمتفجرات والأسلحة العادية ... إلخ، بالإضافة إلى جميع أنواع  
الأعمال القسرية أو الوحشية، التي تشتمل على المعاناة البدنية أو النفسية : كاحتلال أراضي الغير  
وهدم منازلهم وطردهم، والاختطاف، والتعذيب، والاعتصام، والاضطهاد، وتتفق تلك السلوكيات  
مع جميع أنواع الأعمال غير القانونية التي تتعارض أساساً مع كل الحقوق الإنسانية.

أما الإرهاب غير المباشر فيتمثل في الأعمال أو المواقف المؤذية، والمميّزة في بعض  
الأحيان، التي لا تستلزم بالضرورة العلاقة المباشرة بين الضحايا والمؤسسات أو الشخص أو الناس  
المتسببين في ذلك الأمر، وإن كان ذلك يرجع إلى التدخل البشري.

لقد ذهب البعض إلى اعتبار الامتناع عن مساعدة أشخاص في خطر أو منع وصول المساعدة  
إليهم نوعاً من الإرهاب غير المباشر، فإن رفض أو تجاهل ضحايا الحوادث أو ضحايا الإرهاب  
المباشر أو المنع المتعمد لوصول المساعدة إليهم ، يضع هؤلاء الأشخاص أو المؤسسات في دائرة  
شركاء الإرهاب، كما أن إمكانية منع الإبادة الجماعية أو على الأقل إيقافها ثم لا يحدث هذا من  
جانب أولئك الذين لديهم القدرة يمثل أيضاً شكلاً من أشكال الإرهاب غير المباشر، وعدم إغاثة  
الجوعى أو المرضى أو عدم توفير بيئة صحية لهم مع وجود إمكانيات لذلك ، كلها تمثل أشكالاً  
للإرهاب غير المباشر.

كما تنتمي للإرهاب غير المباشر جميع أشكال تدمير البيئة، التي تتمثل في أعمال التدمير  
أو الإزعاج أو التخريب في البيئة الطبيعية أو البيئة المشيدة، أو استخدام مواد كيميائية محظور  
تداولها في دول المنشأ قد تتسبب في الإصابة بالسرطان أو التشوهات الجينية أو الإجهاض،  
وكقاعدة عامة يندرج أى تغيير في البيئة الاجتماعية والاقتصادية الذي يتسبب في إحدى حالات  
التدهور الشديد في الظروف المعيشية والصحية ضمن هذا الصنف من صنوف الإرهاب غير  
المباشر.

ثم السؤال الأكثر إلحاحًا هل من تبرير للإرهاب؟ أعود للتأكيد على التمييز بين الإرهاب وغيره من أشكال الكفاح ضد العدوان والاستيلاء على الأراضي بالقوة، ومن ثم لا يكون التبرير منطقيًا؛ ذلك أن التبرير يقوم على العقل، ولهذا فمن الضروري مناقشة العقل، حيث إنه من غير الطبيعي تمنى الموت أو الألم أو الإعاقة أو فقدان الحرية أو فقدان السعادة، أين السبب المنطقي وراء ذلك؟ ومن ثم فالرغبة في مثل تلك الأشياء " رغبات غير عقلانية " بل إن أهداف تلك الرغبات غير العقلانية تدخل في إطار " الآثام الشخصية"، وتتمثل الأسباب الدافعة لمثل تلك الأفعال في " الاعتقادات الخاطئة " التي تجعل من الإقدام على تلك الرغبات غير العقلانية أمرًا طبيعيًا .

لقد ساد الاعتقاد أن الإيمان بمعتقدات ومذاهب دينية يدفع معتققيها إلى ارتكاب تلك الأنشطة الإرهابية كارثية النتائج، وأن هناك أفرادًا يتبنون عملية الإقناع ومسح الأدمغة والعقول زورًا وافتراءً، ودفع الإرهابيين إلى القيام بتلك الأنشطة الإرهابية ظلمًا وعدوانًا، ومع أننا لا نؤيد وجهة النظر التي تزعم أن الانتحاريين أو الإرهابيين بصفة عامة ينتمون بالضرورة إلى الإسلام تلك الفكرة الخاطئة التي يروج لها الغرب، ذلك أن وقائع التاريخ لا تؤيدها.

فإن بناء معبد اليهود على أنقاض المسجد الأقصى بعد هدمه على رؤوس الفلسطينيين وقائع تم ذكرها في قصة سمسون في العهد القديم، أما في العصور الحديثة، فإن إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل على الفلسطينيين أصحاب الحق في الأرض والحياة لا ينكره أى إنسان عاقل حر، ولذلك فالحاجة ماسة إلى تقديم تفسيرات وقراءات أكثر عمقًا للظاهرة .

### أولاً : مفهوم الإرهاب وجذوره

تشتق كلمة " إرهاب " من الفعل " أرهب "، ويقال أرهب فلاناً بمعنى خوَّفه وفرَّعه ، ولفظ ، " رَهَبَ " من نفس المادة يرهبُ رهبةً ورهباً بمعنى خاف، أما الفعل المزيد بالتاء وهو " تَرَهَّبَ " فيعنى انقطع للعبادة فى صومعته ، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية ، وكذلك يستعمل الفعل " ترهب " بمعنى تواعد.

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح " الإرهاب " بهذه الصيغة فقط، وإنما استعملها صيغاً مختلفة الاشتقاق من المادة اللغوية نفسها، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفرع ، والبعض الآخر يدل على الرهبنة والتعبد، حيث وردت مشتقات المادة " راهب " ست مرات فى مواضع مختلفة من القرآن الكريم لتدل على معنى الخوف والفرع ، وهى :

- ﴿ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ ﴾ ( الأعراف : ١٥٤ ) .

- ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْتَهِبُونَ ﴾ ( البقرة : ٤٠ ) .

- ﴿ تَرْتَهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ ( الأنفال : ٦٠ ) .

- ﴿ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ ( الأعراف : ١١٦ ) .

- ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ﴾ ( الحشر : ١٣ ) .

- ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا<sup>ط</sup> وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ ( الأنبياء : ٩٠ ) .

بينما وردت مشتقات نفس المادة " رهب " أربع مرات فى مواضع مختلفة لتدل على الانقطاع للتعبد والرهبنة على النحو التالى :

- ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ

بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ<sup>ط</sup> وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ( التوبة : ٣٤ ) .

- ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا<sup>ط</sup> وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي<sup>ع</sup> ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ<sup>ع</sup> وَرُهْبَانًا

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ (المائدة : ٨٢).

- ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (التوبة ٣١).

- ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ۖ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۗ فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ (الحديد : ٢٧).

وعلى الرغم من مضي فترة ليست بالقصيرة على تداول واستخدام مصطلح الإرهاب إلا أن المفكرين والباحثين السياسيين والقانونيين، وأيضاً الحكومات، لم يتفقوا على تعريف جامع مانع للإرهاب يحظى بقبول وموافقة الجميع، وعلى الرغم من أن أول عملية وصفت بالإرهابية في العصور الحديثة كانت محاولة اغتيال نابليون سنة ١٨٠٠م، إلا أن مصطلح الإرهاب Terrorism ظهر قبل هذه العملية بعامين سنة ١٧٩٨م في ملحق الأكاديمية الفرنسية، على حين أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر أصبح المصطلح يتعلق بعنف صادر عن أفراد أو جماعات خارج القانون .  
وعرف الإرهاب دولياً - لأول مرة - سنة ١٩٣٦م حينما أعلنت عصبة الأمم " أن الإرهاب عمل إجرامي يهدف بطبيعته إلى إثارة الرعب والخوف الموجه لأشخاص معينين، أو مجموعة من الأشخاص، أو للعموم " .

وفى ٢٣ من سبتمبر ١٩٧٢م كلفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بناءً على طلب الأمين العام لجننتها السادسة بدراسة أساليب منع الإرهاب الدولي، الذى قالت عنه: " إنه يتجاهل حياة الناس ويعرض حريتهم الأساسية للخطر" (١).

وعرفت جامعة الدول العربية الإرهاب من خلال الاتفاقية العربية الصادرة عام ١٩٩٨م فى مادتها الأولى (٢) " بأنه كل فعل من أفعال العنف أو التهديد كانت بواعثه أو أغراضه تقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أى منهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر " على حين استنتجت المادة (٢- أ) من الاتفاقية أعمال المقاومة المسلحة فى سبيل التحرر وتقرير المصير من اعتبارها أعمالاً إرهابية، فنصت على أنه " لا تعد جريمة حالات الكفاح المسلح بمختلف



الوسائل ، بما فى ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبى والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير ، وفقاً لمبادئ القانون الدولى، ولا يعتبر من هذه الحالات كل عمل يمس بالوحدة الترابية لأى من الدول العربية " (٣).

وخلص القول فإن الإرهاب يمثل شكلاً من أشكال العنف المنظم، يهدف لتحقيق أهداف سياسية غير مشروعة، مما يجعله يختلف عن حركات التحرر المشروعة .

وتتوزع الظواهر الإرهابية مكانياً بحسب انتشار مناطق التوتر والصراعات فى العالم ، فكلما ظهرت بؤرة من بؤر التوتر المحلية أو الإقليمية أو الدولية ظهرت على إثرها ظاهرة إرهابية راح ضحيتها الأبرياء ، وهذا الاقتران الزمانى والمكانى فى كثير من الأحيان يشكل الإجابة الشافية عن مصدر الإرهاب وخصائصه، فليس من شك فى أن احتلال أراضى الغير وغياب العدل وشيوع القمع والظلم والاستيلاء على الحقوق بدون وجه حق كلها بيئات حاضنة لظهور الإرهاب .

وفى جانب آخر يتجه الإرهاب للتطرف والأفكار المغلوطة وتكفير المجتمعات ، ولذلك فإن دراسة حالة التوزيع المكانى للحوادث الإرهابية يكشف عن عناصر ومكونات الظواهر الإرهابية ودور المجتمع، سواء المتضرر منها أم المستفيد، ولكن فى النهاية فإن مسئولية الإرهاب تقع على عاتق فاعليها .

## ثانياً : أسباب ودوافع الإرهاب

يعد الإرهاب شكلاً من أشكال العنف المنظم، ويتخذ عدة أشكال نذكر منها : الاغتيالات، وحرب العصابات ، وتدمير المنشآت العامة، واحتجاز الرهائن، وخطف الطائرات، والرسائل المفخخة، والواقع إن تفسير هذه الظاهرة يرجع لخلفيات عديدة، فاختلاف المعايير والمرجعيات يؤثر على نحو واضح فى تقييم الظاهرة والحكم عليها. ولا يمكن الفصل بين هذه الظاهرة وبين الأطروحات التى تتردد فى الساحة الدولية والإقليمية مثل : صراع الحضارات ونهاية التاريخ، والفرقة الناجية والمؤمنين والكافرين، وجميعها مؤشرات لتعدد المعايير وازدواجية النظرة للظاهرة .

### ١ - على مستوى التأصيل النظرى :

إن رؤيتنا فى البحث الراهن تتحدد من خلال خمسة توجهات أساسية : الأيديولوجيا ، والمصالح القومية، والحرمان النسبى، وأسلمة الراديكالية ، وأخيراً الدوافع النفسية والأخير سنتناوله تفصيلاً فى موضع لاحق.

- فالأيديولوجيا هى إحدى أدوات الفرز والتصنيف التى تعتمد عليها الدول فى تصنيفها لخصومها أو أصدقائها ، وهى أحياناً أداة لإضفاء الشرعية على أعمالها ، وكذلك فإن الأيديولوجيا فى المجتمع الدولى تمثل الحقيقة الكبرى التى تتبع منها وتدور فى خلفيتها كافة الصراعات الدولية<sup>(٤)</sup>.

- على حين تتوجه رؤية بعض المفكرين والباحثين إلى فكرة " المصالح القومية " ومن وجهة نظرهم أن سياسات الدول الخارجية تتركز فى سعى الدولة من أجل حماية وتنمية مصالحها القومية، وفى هذا الصدد يشير هانس مورجانتو إلى أن المصلحة القومية قرينة للقوة، على افتراض أن الدافع الغريزى الذى يحرك الإنسان دوماً هو الصراع على القوة من أجل البقاء وإثبات الذات.

- كذلك فإن عدم الرضا الناتج عن الحرمان يمثل أحد المحركات الأساسية للمشاركة فى العنف الجماعى، حيث إن عدم الرضا والحرمان يساعدان على الإحباط والإحساس بالغبرة، وينتج الإحساس بالحرمان من عدم التوازن بين ما يتوقعه الإنسان وما يحصل عليه، وهو الأمر الذى يرجع إلى الظروف المجتمعية التى تزيد من قوة التوقعات للفرد ، دون العمل على تحقيق تلك التوقعات، مما يزيد من الإحساس بعدم الرضا ، ويعرف " روبرت جور " الحرمان النسبى بأنه تباين ملموس بين توقعات الناس للقيم وقدرتهم على تحقيق القيم، وتوقعات القيم عبارة عن ظروف الحياة التى يعتقد الناس أن لهم الحق فيها، والقدرات المتعلقة بالقيم هى الأوضاع التى يظنون أنهم قادرون على بلوغها والاحتفاظ بها لو توفرت لهم الوسائل الاجتماعية.

- أما الرؤية الرابعة ، فهي تنحصر - من وجهة نظرنا - فى أسلمة الراديكالية وليست الإسلام الراديكالى، حيث يعتقد البعض أن الإسلام الراديكالى هو فى صورته النشطة والمسلحة يقدم نفسه وبالتحديد على أنه عملية ضمن العمليات الموجهة بصفة أساسية تجاه أو ضد حركة التحديث، وعلى الرغم من ضحالة هذه الفكرة، فالعملية لها بعدها السياسى، وذلك أن الكثير من صور الراديكالية المعاصرة سواء للدفاع الوطنى أو نتيجة للحرمان الاجتماعى والنفسى تتخذ من الإسلام ستاراً لحركاتها العنيفة، وهو ما أسميناه مؤخراً " بأسلمة الراديكالية "، وعلى الرغم من الأبعاد التاريخية لعمليات التحديث والغزو الثقافى والتي أنتهجها الغرب فى الدول العربية والإسلامية، إلا أن دوافع الحرمان المجتمعى أقوى من دوافع الاغتراب التى فرضتها آلية التحديث، ومن ثم يستخدم الإسلام كغطاء لكثير من العمليات الإرهابية .

- إن أبسط الكتابات التى تناولت ظاهرة الإرهاب وأنشطته أكدت أن الجميع عرضة لممارسة تلك الأنشطة، وذلك بغض النظر عن اتجاهات دينية محددة، أو أجناس بعينها، أو رجال أو نساء، وكذلك لا يعتبر نظام سياسى بالتحديد مسئولاً عن انتشار الإرهاب؛ فقد ينتشر فى النظم الديمقراطية أو الاستبدادية على حد سواء. إن الإرهاب ظاهرة غير محددة الشكل أو الملامح، ولذلك حتى يتم مواجهتها ينبغى إبداع منهجيات جديدة لدراسة هذه الظاهرة ومحاولة تفسيرها من خلال طرح كل الافتراضات والتساؤلات.

### ثالثًا : قراءة نفسية بيئية للإرهاب

انطلاقاً مما انتهينا إليه ، فإن الفرضية الأساسية التي نطرحها في هذا الجزء تقوم على أساس " أنه لا يمكن اعتبار العوامل المادية كالفقر أو الجهل أو نقص التعليم، هي وحدها، المسؤولة عن الإرهاب " ولا يمكن التعويل عليها لتفسير الانخراط في أنشطة إرهابية، ذلك أن كثيراً من الذين انخرطوا ونفذوا أنشطة إرهابية لا ينتمون إلى خلفيات معدمة أو مستويات تعليمية دنيا، بل أن منهم من يتمتعون بمستوى جيد من التعليم، إنها لا تمثل ثورة طبقة من البوليتاريا، فلا توجد أدلة تجريبية على ذلك.

كذلك فإن محاولة وضع تفسير نفسى لأسباب التفجيرات الانتحارية، تحدها كثير من الصعوبات، ذلك أن مثل هذه الظاهرة تتناقض مع منطق الطبيعة البشرية التي تحاول دوماً الحفاظ على نفسها ومقاومة الفناء، لكن الحالة الوحيدة التي يمكن الاستثناء فيها هي انفصال الفرد عن الواقع، الأمر الذى يعزز افتراض أن هؤلاء الانتحاريين قد يكونون مصابين بنوع من أنواع الاضطراب النفسى أو العقلى .

ورغم ذلك فإن بعض الوقائع تشير إلى غير ذلك، فكثير من أولئك الذين نفذوا عمليات إرهابية لا يمكن اعتبارهم - بالتشخيص المبدئى - مرضى نفسيين أو مغيبين عن الواقع بفعل المخدرات، ولكن الافتراض الأقرب إلى الواقع هو أنهم خضعوا لإعداد سيكولوجى أصل داخلهم مجموعة من الأفكار التعصبية والثأرية، حيث إن كثيراً من مختطفى الطائرات اتبعوا رباطة جأش وحنكة فى إدارة التفاوض بدرجة تنأى بهم عن أى شكوك محتملة فى درجة وعيهم، أو صحة عقولهم، أو إصابتهم بأى خلل أو اضطراب نفسى، ولا شك فى تعرض هؤلاء الإرهابيين لعمليات نفسية دقيقة ومعقدة لتحويلهم من مواطنين أسوياء إلى إرهابيين يمارسون أعمال العنف، ولكن ليس كل المواطنين، بل هى فئة ذات مواصفات سيكولوجية واجتماعية خاصة، وتلك هى الفرضية التى نفتتح بها نسبياً، والتى تقوم على فكرة انتقاء فئة معينة ذات خصائص اجتماعية ونفسية وديموجرافية وإخضاعها لما أطلق عليه عملية " غسيل الأدمغة "، بهدف زرع أفكار جديدة أو معتقدات غريبة بدلاً من السائدة لديهم، ويتم ذلك من خلال شبكة معقدة، وهذه الشبكة تجدد نفسها باستمرار وانتظام، وكل هذا يعتمد على أيديولوجية بعينها، أى اعتقاد ليس بالضرورة أن يكون دينياً.

نخلص من هذا العرض إلى أننا لا يمكن أن نعزى موضوع الإرهاب إلى عامل واحد فقط، ولكننا نميل إلى أن ثمة عوامل نفسية واجتماعية وأيديولوجية ، بالإضافة إلى عملية الإعداد ذاتها، كلها مجتمعة تؤدى إلى السلوك الإرهابى.

ودون استباق للنتائج فإن البعد النفسى الأكثر قبولاً هو أن الشخص المستهدف للعمل الإرهابى يميل إلى الشخصية السيكوباتية Psychopathic المغترب عن المجتمع والمضاد لقيمه وتقاليدته والرافض لاحتوائه، والسيكوباتى لا يصل إلى النموذج الناضج من حيث تكيفه مع المجتمع، وإنما يسعى لأساليب تكيفية غير مشروعة ومستهجنة، هذا إلى جانب الأعباء الثقيلة التى يحملها للبيئة، ويجعل منها سبباً لمشكلاته، ويحلو للبعض أن يطلق عليه لفظ مضاد للمجتمع Anti Social أو " السوشيوباتية" Sociopathy للإشارة إلى هذه العلاقة الاجتماعية المنحرفة أو غير السوية أو المرضية بين الفرد والمجتمع، والتى تضم : التكيف الاجتماعى، الخلق، المشاعر، وجميعها غير متأصلة لدى السيكوباتى؛ فالسيكوباتى: أنانى، منعدم المشاعر تجاه الغير، لا يحترم مصالح الآخرين، يميل إلى الحياة الانفعالية السطحية، شديد الاندفاع. والسيكوباتى؛ لا يدرك طبيعة الأعمال التى يرتكبها دائماً، ولكن أيضاً لا نستطيع القول إنه يدركها تماماً، وهو فى الحالتين يسلك سلوكاً اندفاعياً لا يبدو أنه يملك له كفاً أو زماماً، إنه إنسان سيء التكيف مع البيئة التى يعيش فيها، وفى كثير من الأحيان يظهر سوء التكيف منذ الصغر، ولذلك فالفهم الدقيق للسيكوباتى لا يتم إلا فى ضوء الدراسة الدقيقة للتكوين الشخصى ( العوامل الشخصية) والظروف البيئية، مع توضيح لآليات التفاعل بينهما.

#### رابعاً : مخاطر الإرهاب وانعكاساته على البيئة والمجتمع - تحليل أيكولوجي

يميل البعض إلى تقديم تفسير للإرهاب يرتبط بتدني " نوعية الحياة " لدى هذه الفئة مما يجعلها تخرج على المجتمع وتحاربه، ذلك الذي أطلق عليه " الحرمان النسبي"، حيث إن عدم الرضا والحرمان يساعدان على الإحباط والإحساس بالغربة، وينتج الإحساس بالحرمان من عدم التوازن بين ما يتوقعه الإنسان وما يحصل عليه، والأفراد دائماً ما يقيمون تجاربهم الشخصية على أساس مقارنة أحوالهم بغيرهم ممن حولهم من أفراد. ومن ثم يحكمون على معاناتهم من الحرمان بشكل نسبي.

وقد تم بحث مفهوم الحرمان النسبي أيضاً للتفرقة بين التجربة الشخصية والتجربة التي يعيشها الأفراد مع المجموعة الاجتماعية، وإن كانت هذه الدراسات لا زالت في طور التجربة والاختبار، حيث إنه من الصعوبة بمكان الكشف عن حقائق تقييم تجربة الفرد للمجموعة التي ينتمي إليها، وتشير تلك الدراسات إلى أنه حينما يربط الفرد بشكل مكثف بين هويته وهوية الجماعة إلى درجة أن تذوب الفواصل بينهما بشكل يقترب من الانصهار الكامل في هوية واحدة؛ فإن إحساس المجموعة بالحرمان أو الظلم يصبح هو نفسه إحساس الفرد بها، ومن هنا يعتقد البعض في أهمية تتبع ورصد الظروف والمراحل النفسية التي يمر بها الفرد لمعرفة مدى تأثره بتجربته الشخصية، أو تجربة المجموعة التي ينتمي إليها، وأن ذلك أهم من مجرد الاعتماد على مفاهيم موضوعية أو ظروف مادية يتعرض لها الفرد كجزء من المجتمع الذي يعيش فيه<sup>(5)</sup>.

وإذا كان استمرار حصول الفرد على إشباع حاجاته المختلفة يؤدي إلى شعوره العميق بالانتماء، فإن القدرة على إشباع الاحتياجات تتعرض أحياناً للفشل ، مما يؤدي إلى الإحباط لدى البعض، والذي بدوره يتفرع إلى نتيجة من اثنتين :

١- ظهور مشاعر وسلوك الانسحاب ، حيث لا يملك الشخص الإمكانية، فتتكك علاقته بالمجتمع: ويصبح سلبياً منعزلاً، رافضاً لأي قدر من المسؤولية، متحلاً من أي التزام، وربما يلجأ استمراراً لهذه الحالة إلى الإدمان أو غيره في شكل من أشكال الهروب .

٢- أن لا يؤدي الإحباط إلى الانسحاب بل إلى العنف ، فيُحَمِّل الفرد المجتمع مسؤولية ما وصل إليه ، وتنمو لديه مشاعر الاغتراب ورفض المجتمع .

ويتطلب البديل الأخير " مشروعية "، أو اعتماد عقيدة أو أيديولوجية، ويختلف " الاعتماد " عن " الاعتناق " في أن " الاعتماد " عملية دخيلة مصطنعة لا تعبر عن جذور حقيقية لمبادئ هذه العقيدة في نفس الفرد ، ولا تمثل إيماناً منزهاً بكل مسلمات هذه العقيدة، فهو اعتماد وظيفي لأداء مهمة بعينها ، وهو ما دعانا سلفاً إلى القول " بأسلمة الراديكالية "، ويظهر هذا واضحاً في بعض المظاهر

المهمة لدى عدد كبير من الإرهابيين الذين يتسمون بضحالة معلوماتهم الدينية، ومناقضة سلوكهم اليومي للشرائع السائدة .

وهكذا تتجمع الخيوط فى شخصية سيكوباتية ، فى نوعية حياة متدنية، يفترن فيها شعور بالإحباط بمشاعر تقدير الذات والمفهوم الإيجابى لدى الشخص عن نفسه ، فتنمو لديه مشاعر العنف ضد الآخر المُحِبُّ من وجهة نظره ، فيقف منه موقف الرفض والإنكار، فيتطور هذا الموقف إلى حد العنف والإرهاب، مع وجود مظلة أيديولوجية تبرر له ذلك الفعل. هكذا تبدو منظومة الإرهاب من وجهة نظرنا .

### خامساً : آليات مواجهة الإرهاب

- ١- التنمية المستدامة : شهد العالم عديداً من حالات الفشل فى التنمية، خاصة فيما يتعلق بمردودها الإنسانى، على الرغم من وفرة رأس المال والموارد الطبيعية والسكان المتعلمين لأن معظم أشكال التنمية لا تميل إلى الاستدامة ، تلك التى تقوم على الفلسفة التالية :
  - أ - أن تُحقق التنمية دون تلويث البيئة أو استنزاف الموارد .
  - ب - أن تُحقق التنمية تحسناً واضحاً فى نوعية حياة الناس، وخاصة الفئات الأقل حظاً فى المجتمع، مع التركيز على رعاية المرأة والشباب وتمكينهم وحماية الأطفال .
  - ج - تحقيق العدالة البيئية بين شرائح المجتمع، بحيث يستفيد من مخرجات التنمية فئات المجتمع، المختلفة ، وألا تتأثر فئة بعينها بنتائج التنمية .
  - د - تحقيق العدالة البيئية بين الأجيال، بمعنى الاحتفاظ بموارد للأجيال القادمة وعدم استنزافها .
  - هـ - المشاركة الشعبية فى تخطيط وتنفيذ التنمية المستدامة باعتبارها خطوة تأسيسية للديمقراطية.

وإذا كنا نضع هذه الأفكار، فإنها لا تكفى وحدها، بل تحتاج لإطار عمل لفهم التفاعل الدينامى بين القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ذلك أن التنمية لا يمكن أن تحدث فى إطار من العوائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وربما يكون من الأسئلة المهمة فى هذا الصدد هل يمكن أن تتم التنمية المستدامة فى ظل وجود فئات مجتمعية متربصة وتهدد المجتمع. لا شك أنه ينبغى الاعتراف بأن نقطة البدء تحتم على المجتمعات الراغبة فى التنمية المستدامة أن تتعامل مع مشكلة العنف، وتواجهها على جميع المستويات ؛ بما يتيح مناخاً أكثر إيجابية " للتنمية المستدامة " .

- ٢ - تربية التسامح : إذا تعرض المجتمع لهجمة إرهابية، فإنه يمكن تمييز ثلاث شرائح: الأولى من الأطفال والشباب الأكثر تأثراً بالحادث، وهم الذين تعرضوا للإيذاء بالفعل، بينما الشريحة الثانية تمثل الزملاء والأقارب، ثم شريحة ثالثة أقل تأثراً على نحو واضح وهم الذين سمعوا بالحادث وتابعوه عبر وسائل الإعلام. والفئتان الأولى والثانية ليس ضرورياً أن ينشدوا العلاج بهدف التسامح أو التصالح ، فهم أحياناً ينشدون العلاج من أجل الصحة النفسية لهم، والتخفف من الكرب الانفعالى الذى يشعرون به، ومن ثم يمكن أن ندمج الأساليب التربوية والنفسية ( الوقائية والعلاجية) عبر برامج التربية المختلفة ، وأن يدرك الأطفال والشباب أن مثل هذه العناصر الخارجة على المجتمع موجودة فى كل المجتمعات.



إن الانفعالات الأكثر شيوعاً المرتبطة بعدم التسامح هي : الخوف والقلق والغضب، فأساليب إدارة القلق، مثل التسكين المنظم بمختلف أشكاله، أو أساليب علاج القلق الاجتماعي، أو أساليب إدارة الغضب تصلح كأسس، حيث تدمج فيها عناصر التسامح. وهناك عدد هائل من المتغيرات التي تجعل الأفراد يتسامحون أو لا يتسامحون، فالأفراد الذين يعانون من اضطراب الشخصية أو المعادة للمجتمع أو الانسحابية، من غير المحتمل أن يستجيبوا لآليات التسامح؛ ومن ثم يحتاجون إلى تعامل علاجي أولاً، كذلك يعد النوع من المتغيرات المهمة، فمن الأكثر احتمالاً أن تبدو الإناث أكثر تسامحاً، كما أن الدين متغير آخر من المتغيرات المرتبطة بالتسامح، فالمتدينون حقاً، من غير ادعاء التدين أو المتطرفين، من المحتمل أن يكونوا أكثر تسامحاً.

وأخيراً فإن الذين تعرضوا للإيذاء على نحو مباشر في أنفسهم، وفي أسرهم، وفي أصدقائهم، أقل تسامحاً من أولئك الذين لا ينتمون لهذه الشريحة.

**٣ - تجفيف منابع الإرهاب :** ويجب اتخاذ مواقف حاسمة لذلك، حيث إن هناك بعض الدول التي تقدم خدمات وتسهيلات متعددة للإرهاب مثل : التمويل والأسلحة والتدريب والمعسكرات المقامة على أرضها وجوازات سفر ومعلومات وغير ذلك، في حين تزعم بعضها محاربة الإرهاب، لذا فإن الأمر يقتضى توقيع اتفاقية ملزمة بين الدول لتجريم الدول التي تساعد المنظمات الإرهابية، ومقاطعة الدول التي تفعل ذلك على نحو حاسم لا يقبل الاستثناء.

**٤ - تحقيق العدالة الدولية :** إن انتشار بؤر التوتر حول العالم، غالباً ما يكون سببها استمرار النزعة الاستعمارية واحتلال الأراضي، لذلك فإن بقاء الاحتلال واستمرار العدوان وعدم إعادة الحقوق المشروعة لأصحابها يستدعى بالضرورة استمرار مقاومة هذه الأوضاع الظالمة والفاصلة ومحاربتها طالما أخفقت الوسائل السياسية في تحقيق ذلك .

**٥ - معالجة المشكلات السياسية وتنمية الفكر الديمقراطي:** إن فهم ظاهرة الإرهاب ينبغي أن يتم من خلال فهم السياق السياسى والاجتماعى والنفسى والاقتصادى.. إلخ وكلها عوامل مجتمعية يمكن أن تفرز ظاهرة الإرهاب، فالمجتمعات التي يكون فيها حد من المساواة، والعدالة، وحرية الرأى والتعبير، والمشاركة فى تقاسم الإنتاج والثروة، وفى تقاسم السلطة ، وتعيش ظروفًا اقتصادية مستقرة ، يكون احتمال ظهور الإرهاب فيها قليلاً.

**٦ - الخطاب الدينى المعتدل :** يتم ذلك عن طريق إتاحة الفرصة أمام دعاة الاعتدال الذين يفهمون الدين فهماً صحيحاً، شمولياً ودقيقاً وعميقاً، وذلك من خلال الندوات واللقاءات الجماهيرية والمؤسسات الدينية ( المسجد والكنيسة ) ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ووضع

مقررات التربية الدينية على نحو يشيع التسامح وقبول الآخر وتفهم العقائد الأخرى، مع التركيز على الثوابت المتفق عليها والبعد عن نقاط الخلاف المثيرة للجدل، والتي تؤصل الفرقة والاختلاف. إن كل هذه الفعاليات من شأنها أن تؤدي إلى نمو الفكر الديني الصحيح المبني على الوسطية والاعتدال، وهذا يخفف من فرص نشأة التيار المتطرف الذي يتبنى العنف في خطابه، وإذا كانت الحرية مكفولة في مختلف الأديان فإن لها ضوابطها ، فهي لا تسمح لمن يريد أن يلبس على الناس دينهم أن يتصدر للناس ويعتلى المنابر ووسائل الإعلام ، مع ضرورة مواجهة الفكرة بالفكرة والرأى بالرأى .

- (١) محمود محمد حسين ، " مفهوم الإرهاب وكيفية معالجته فى الشريعة الإسلامية " ، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمى السنوى الثالث: المواجهة الشرعية لظاهرة الإرهاب على الصعيد الوطنى والدولى، مصر، جامعة المنصورة ، كلية الحقوق، ٢٠١٠م، ص ٥ ، ٦ .
- (٢) مصباح عامر، معجم مفاهيم العلوم السياسية والعلوم الدولية، الجزائر، شاوش، ٢٠٠٥م، ص ١٧ .
- (٣) Terrorism , An International Journal , vol. ١٠ No ٣. ١٩٨٧ P.١٦٧ .
- (٤) عدنان السيد حسين ، نظرية العلاقات الدولية ، بيروت ، ٢٠٠٣م، دار أمراج للنشر والتوزيع .
- (٥) نفس المصدر، ص ٢٦ .

## الآليات التربوية للأسرة والمدرسة وأثرهما في مواجهة الإرهاب

الأستاذ الدكتور/ سيف رجب قزامل

أستاذ الفقه المقارن المتفرغ

بكلية الشريعة والقانون بطنطا

مصر

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد، فأشكر لوزارة الأوقاف مؤتمرها (صناعة الإرهاب ومخاطره وحتمية المواجهة وآلياتها)، وتتضح أهمية المؤتمر بهذا العنوان في هذه الفترة التي جرت فيها على الساحة الدولية أحداث جسام تدعو إلى التساؤل: هل نسي الإنسان رسالته في الحياة؟ هل ظن الإنسان أنه خلق عبثاً؟ هل نسي الإنسان أن المولى سبحانه وتعالى خلقه وكرمه؛ سوّى آدم عليه السلام بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، حتى يستطيع أن يعمر الأرض وفق منهج الله سبحانه وتعالى، وأنزل المنهج الذي يسير عليه؟ هل نسي الإنسان أن آدم عليه السلام نزل عليه المنهج الأول، وكان مما فيه تحريم الاعتداء على الآخرين بالقتل، أي أن حرمة الأدمى معصومة منذ خلق الإنسان لأنه صنعة الله، وقد جعله الله خليفة في الأرض وسخر له الكائنات وغير ذلك من نواحي التكريم.

وقد قصَّ القرآن الكريم عن ولدي آدم، يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ<sup>ط</sup> قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِيَدَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ<sup>ط</sup> إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ

الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٣٢﴾

(المائدة : ٢٧-٣٠)، وعقب هذه الآيات مباشرة ما كان فى تشريع آدم عليه السلام من دفن الميت فى التراب، وفى المنهج الخاتم الذى نزل على رسولنا ﷺ فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ (عبس : ٢١)، وهذا من تكريم الله للإنسان أيضاً، فقد هدى الله ابن آدم القاتل لهذا الحكم (دفن أخيه المقتول) من الغراب، إذ بعد أن قتل قابيل هابيل تحركت فطرتة، ماذا يصنع بجثة أخيه، هل يتركها تأكلها السباع، أم ماذا ! يقول تعالى ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يُنَوِّتُنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (المائدة : ٣١).

ثم يعقب المولى ببيان حرمة النفس وحرمة الاعتداء عليها وأنه تشريع دائم منصوص عليه فى الشرائع السماوية، يقول تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي

الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة : ٣٢)؛ ومن ثم فلم تختلف الشرائع السماوية فى احترام الأدمية وحرمة التعدى عليها، بل اتفقت الأديان كلها على حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وذلك لينعم الإنسان بإنسانيته، ويباشر مهمته التى خلق من أجلها، وهى عمارة الأرض وفق منهج الله الذى نزل على رسله، وفيه إباحة الاستمتاع بزينة الأرض وزخارفها طالما لا يوجد نهى فى الشرع، يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف: ٣٢) وذلك واضح منذ خلق آدم عليه السلام، حتى قبل نزول المنهج عليه، فقد أباح الله له ولأمتنا حواء أن يأكلا من ثمار الجنة كما يشاءان، والنهى إنما اقتصر على شجرة واحدة، يقول تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿ (البقرة : ٣٥).

ألم تتفق المناهج السماوية والأديان كلها على تكريم الإنسان، يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ

خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء:٧٠). فأنى لهؤلاء الذين ضلوا وأضلوا بقتل الأنفس البريئة، مسلمة أو

غير مسلمة، بفتاوى ضالة تنسب إلى الإسلام زوراً وبهتاناً؟!!

ولم تقتصر الشرائع أو الأديان على حفظ النفس بل حمت الأموال، لأن الإنسان يسعى ويكدح في هذه الدنيا ويكتسب من الأموال ما يكتسب، وله أن يستمتع بها كيف يشاء وفق منهج الله سبحانه وتعالى، ومن ثم لا يصح لأحد أن يعتدى على مال غيره، وإلا كان ظالماً يستحق العقوبة الرادعة له، والزاجرة لغيره، حتى يأمن الناس على أموالهم، ويستمر كفاحهم وسعيهم في الأرض لتعميرها، والتمتع بخيراتها بعد استخراج كنوزها، وإذا لم يكن في التشريع عقوبة على الاعتداء على الأموال لآل الأمر إلى شريعة الغابة، فأخذ القوى مال الضعيف، وأحجم الناس عن العمل، واكتفوا من سعيهم بما به يكون معاشهم، ولضاق العيش على بعض الناس.

أليس إعجازاً تشريعياً أن ينص في القرآن الكريم والسنة الشريفة على العقوبة الزاجرة الرادعة لمن يرتكب جريمة الاعتداء على المال أو النفس، أو الإفساد في الأرض، يقول تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ

تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ (المائدة:٣٣).

بل لا يمانع الإسلام في أن تتعاون الدول والملل المتعددة لمقاومة الظلم أيًا كانت صورته، ألم يقل رسولنا ﷺ عن حلف الفضول: " لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أَدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لِأَجَبْتُ " ، هذا الحلف تعاهد أصحابه على نصره الضعيف أيًا كان من استضعفه وظلمه، سواء كان من أهل مكة، أم من غيرها، وسواء أكان من قبيلتهم أو لا، وقصة هذا الحلف أنه كان لرجل من اليمن تجارة في مكة، فباعها للعاص بن وائل، أبي عمرو بن العاص، وكان من أسياذ مكة، لكن العاص بن وائل أخذ البضاعة ولم يعطه الثمن، وبدأ يماطل الرجل اليمني فلم يستطع الرجل أن يصبر كثيرًا، فذهب إلى العاص بن وائل وقال له: هل تريد أن تعطيني أموالى؟ فقال العاص: لا وافعل ما شئت، فاستغاث بأكثر من واحد فلم يغيثه أحد، فوقف

على جبل أبي قبيس، ونادى أهل مكة بنصرته مستغيثاً وهو فى شهر ذى القعدة، فما كان من أهل الفطرة والمروءة والنصرة إلا أن اجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان، وتعاقدوا وتحالفوا على نصرته المظلوم، وشهد رسولنا الكريم ﷺ معهم هذا الحلف.

وإذا كان الشرع قد حمى الإنسان فى نفسه وماله، فقد حماه أيضاً فى عرضه، حتى لا تتناوله الألسنة بالسيئ من القول، فيضعفه ذلك عن أداء مهمته فى الحياة، ومن ثم كانت عقوبة القذف أو السب، أو غير ذلك مما يتعرض له الشخص.

هذا وغيره حتى يحيا الإنسان مع غيره فى أرض الله فى تعايش سلمى، فى أمن وأمان وسماحة دون نظر إلى ما يعتقد الآخرون، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ

كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩)، ويقول تعالى:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا

بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

#### مفهوم الإرهاب:

اختلفت التعريفات فى مفهوم الإرهاب لأن أشكاله وأهدافه ومظاهره متنوعة، فقد عرفه البعض بأنه: العمل الإجرامى المصحوب بالرعب أو العنف أو الفرع بقصد تحقيق هدف أو غرض معين، وعرفته هيئة كبار العلماء بأنه: استهداف الموارد العامة، والإفساد، وخطف الطائرات<sup>(١)</sup>، ونسف المباني.

وإنهاء الحياة بطريقة داعش هو الإرهاب بعينه؛ لأنه ضد السلم والأمان المطلوب لعمارة الأرض، والله تعالى حينما أشار إلى الفعل رهب إنما كان لإخافة العدو، والحفاظ على مقدرات الدولة الإسلامية وعدم الطمع فيها، يقول تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ

رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ

يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٦٠)،

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ ﴾ (البقرة: ٤٠)، أى:

وإياى فخافون، أى: اجعلوا خوفكم منى لا من غيرى<sup>(٢)</sup>، أما ما تفعله داعش وغيرها فهو إفساد فى الأرض وإرهاب.

### مفهوم التربية:

ويراد بالتربية كما عرفها البعض أنها عملية متكاملة، متزنة، قادرة على إكساب المهارات والقيم والاتجاهات والأنماط السلوكية، وقادرة على التعامل مع البيئة المادية والاجتماعية في إطار العصر وثقافة المجتمع<sup>(٣)</sup>.

وعرف البعض التربية الإسلامية بأنها مجموعة مفاهيم تربط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي يأتي بها الإسلام، والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العلمية، التي يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكًا يتفق مع عقيدة الإسلام في كل زمان ومكان<sup>(٤)</sup>.



## أولاً: دور الأسرة التربوي في مواجهة الإرهاب

إن دور الأسرة كبير في تربية النشء الصغير، الذي يعد جيلاً للمستقبل، إذ تعده ليكون خليفة لله في الأرض، ومعلوم أن الرجل إذا تزوج فإنه يتمنى أن يولد له ولد كي يكون امتداداً له، ولكي يعمر الأرض، وتستمر خلافته فيها، وليس أدل على ذلك من دعاء زكريا عليه السلام ربه أن يهبه ولداً، فقد أخبر الله تعالى عن حال زكريا عليه السلام وقد كان كافلاً مريم عليها السلام، يقول تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ط قَالَ يَمْرِئُ مُنِّي لَكَ هَذَا ط قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ط إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ط هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ط قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ط إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ط فَنَادَتْهُ الْمَلْتِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ط مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ط ﴾ (آل عمران: ٣٧-٣٩).

فزكريا عليه السلام دعا ربه أن يهبه الولد بعد ما رآه من آية الله تعالى وقدرته، أن رأى طعاماً عند مريم عليها السلام، لم يأت هو بالطعام، فباشر مهمته ومسئوليته وهو سؤال مريم عليها السلام من أين هذا الطعام، وبعد الجواب تذكر حاله، وقد وهن العظم منه، غير أن قدرة الله لا تحدها حدود، فطمع في فضل الله، ورضوانه أن يهبه الولد بعد ما كبر في السن لكي يكون خليفة لله يعمر الأرض وفق منهج الله، ويكون له نسل بفضل الله .

فها هو نداء الفطرة عند كل واحد فينا، أنه يأمل في أن يكون له نسل من بعده ، وأن يكون حسناً في أخلاقه وفي صفاته، حتى يكون محموداً بين الناس وبه يرجى الذكر الحسن، كما كان في دعاء إبراهيم عليه السلام يقول تعالى من دعاء إبراهيم: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ط ﴾ (الشعراء: ٨٤، ٨٣) .

ولننظر مرة أخرى إلى دعاء أم مريم عليها السلام، حينما نذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس، ألا يدل ذلك على أنها عازمة على أن مولودها ستكون تربيته على أحسن وجه، سيكون على هدى المرسلين، وفق منهج الله سبحانه وتعالى، إذ يكون خادماً في بيت المقدس، فيكون عارفاً لأحكام الله سبحانه وتعالى، صورة صالحة لمن يقتدى به، إذ المنهج واحد من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى المنهج الخاتم وهو القرآن الكريم، يقول تعالى في شأن عظمة منهجه وتنويره للكون،

وتنويره لقلوب عباده: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعُوا فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ٢٦٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ ٢٦٧ ﴾ (النور: ٣٦، ٣٧) .

ومن ثم كانت التربية الأسرية هي الدعامة الأولى في التربية، إذ هي الوسيط الأول الذي تقع عليه عين الصغير، ويلتقط بسمعه ما يتكلم به الآخرون من إخوة ووالد ووالدة، أو خالات، أو أخوال، أو أعمام، أو آخرين محيطين بالأسرة، ولسنا بصدد الحديث عن حكمة الشارع في أن يتخير الزوج المرأة الصالحة، وكذا على الزوجة ووالديها تخير الزوج الصالح، إذ مما هو معلوم أن ذلك دور مهم في مواجهة الإرهاب من قبل الأسرة ذات الأسس السليمة، يقول تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ۙ ﴾ (النور: ٣٢)، فشيخ مدين عرض على موسى عليه السلام أن يزوجه إحدى ابنتيه، لما علم من أمانته وقوته، فضلاً عن مروءته وشهامته، إذ سقى الأغنام لهما بعد أن سألهما عن حالهما، بعد أن رأى امرأتين في منطقة بدوية تخرجان لسقى الأغنام، وتنتظران حتى يفرغ الرعاة من السقى ثم تسقيا أغنامهما، يقول تعالى عن حال موسى مع شيخ مدين: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القصص: ٢٧) .

وفي السنة الشريفة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" <sup>(٥)</sup>، وفي الحديث الشريف أيضاً: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" <sup>(٦)</sup>. وكما أشرت لينا في حاجة إلى بيان ذلك وأهميته في مواجهة الإرهاب إذ هو معلوم، وإنما مجال البحث بعد إنشاء الأسرة .

ولأهمية المسؤولية التي أولاها الشرع لرب الأسرة يقول تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا

أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ (التحریم: ٦)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»<sup>(٧)</sup>.

### معالم التربية الأسرية:

نشير هنا إلى أهم معالم التربية الأسرية التي بمراعاتها تكون الوسيلة الفعالة لمواجهة الإرهاب، وهى كما يلي:

#### ١ - الرحمة بالصغير:

يجب إعطاء الصغير الحنان اللازم فى سنواته الأولى قبل سبع سنوات بصفة خاصة، إذ تأخذ بيده إلى التكامل النفسى والعاطفى، ومن ثم تقوده إلى تقوية الجانب الخلقى، ويؤكد ذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء: ٢٤) .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان النبي ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما، وعليهما قميصان أحمران يعثران فيهما، فنزل النبي ﷺ فقطع كلامه، فحملهما ثم عاد إلى المنبر ثم قال: "صدق الله: رأيت هذين يعثران فى قميصيهما فلم أصبر حتى قطعت كلامى فحملتهما". وروى النسائى والحاكم: بينما رسول الله ﷺ يصلى بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال : إن ابني قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته. وفى الصحيحين عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: "إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَّجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ". وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم".

فى هذه الأحاديث وغيرها، ما يدل على جانب الرحمة بالصغير، ومراعاة سنه حتى ينشأ التنشئة السوية، ومن ثم يصير عضواً فاعلاً فى المجتمع بعد أن يكبر، ويعظم دور الأب إذا كبر الصغير، يقول ﷺ : "علموا الصبى الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين"<sup>(٨)</sup>.

## ٢- القدوة الصالحة أمام الصغار:

ينبغي على المربي عموماً، والأبوين على وجه الخصوص أن يكونا قدوة صالحة أمام الصغار، فهما المدرسة الأولى للصغار، والأساس المتين للتربية، إذا صحت صح ما بعده، ومن ثم يجب على الوالدين ألا يغفلا ذلك، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الصف: ٢، ٣)، ويقول تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (البقرة: ٤٤).

وحق قول رسولنا ﷺ فيما رواه أبو هريرة ؓ: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول: فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" (٩)، وعن عبد الله بن عامر ؓ أنه قال: "دعنتى أُمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعدٌ فى بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: "وما أردت أن تعطيه؟، قالت: أعطيه تمرًا!!، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة" (١٠).

فهذا يدل على أنه يجب على الأب والأم أن يكونا قدوة طيبة لأولادهما، إذ ينبغي أن تكون التربية وفق المنهج الخاتم الذى أساسه الصدق والإخلاص، وكل الفضائل التى تتطوى تحت قوله ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

قال عتبة بن أبى سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده: "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بنى إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفاه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام فى السمع مصلّة للفهم، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وجنبهم محادثة النساء، وتهدهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكل على عذري، فإنى قد اتكلت على كفايتك، وزد فى تأديبهم أزدك فى برى إن شاء الله تعالى".

ومن ثم فعلى الأب والأم، أو المربي عموماً، أن يكون قدوة طيبة صالحة لمن يقوم برعايته، أو تربيته، وأن يكون قدوتنا فى ذلك نبينا ﷺ، فقد كان خلقه القرآن، كما أخبرت بذلك السيدة عائشة رضى الله عنها، وقد رأينا رسولنا ﷺ يتعامل مع الصغار ويمازحهم، ويرحمهم ويحملهم فى حجره، بل وبال بعض الصغار فى حجره، فبين لنا كيف نظهر الثوب حين يقع ذلك، فكان ﷺ لنا القدوة

والأسوة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)، ومن ثم فإن التزام الآباء والأمهات بهدى القرآن الكريم  
والسنة الشريفة مدعاة إلى التزام الأبناء، ومدعاة إلى تقليد آبائهم وأمهاتهم في سلوكهم.

وكان من دعاء عباد الرحمن ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، ولا  
يتحقق ذلك إلا إذا كان الوالدان على هدى من القرآن الكريم والسنة الشريفة، أما إذا كان النصح من  
الوالدين للأبناء، وهما يخالفان ما يأمران به الأولاد من أفعال، فلا شك أن ذلك يؤثر في نفسية  
الأولاد، إذ ربما يقلل من مكانة الوالدين في نفوس الأبناء، كما يسهم في إضعاف عزائمهم، وربما  
يسهل للأبناء مخالفة الأوامر الشرعية، وإضعاف القيم الدينية لديهم<sup>(١١)</sup>.

### ٣- النصح والتعليم:

دور الأب في تربية ولده جاء في عدد من الآيات الكريمة في سورة لقمان، يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

(لقمان: ١٣)، وعن لقمان عليه السلام مع ابنه وتوجيهه له، يقول تعالى: ﴿يَبْنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ

مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

﴿١١﴾ يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٢﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٣﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٦ - ١٩)، فهذه الآيات الكريمة التي قصها المولى سبحانه وتعالى عما حدث من

لقمان مع ولده، مبيناً له: ما يتعلق بجانب التوحيد بالله، ونبذ الشرك، ثم بيان أن أعمال العبد  
معروضة على الله صغيرة وكبيرة، فسبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ثم  
يبين كذلك لابنه قوام الإسلام من إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر  
على المصيبة، إذ ذلك من الإيمان بالقضاء والقدر، إذ بينت الله لحكمة، ومن ثم ينبغي أن يكون  
المسلم راضياً بقضاء الله وقدره، لا تخور قواه، بل تبقى عزيمته قوية، ثم ينتقل لقمان بعد ذلك إلى

بيان أهمية التواضع و التأسى بهدى المرسلين عموماً، بالألا يتكبر على الناس ولا يغتر بقوته أو جاهه، أو ما عنده من الأموال، أو غير ذلك مما يختال به الناس على بعضهم البعض، وآية ذلك أن يصعر خده للناس، إعراضاً عنهم وتكبراً عليهم، أو أن يختال فى مشيته، أو فى كلامه، ومن ثم عليه أن يكون متواضعاً، فلا تكون مشيته فيها الخيلاء، أو أن يكون صوته صوتاً جهوراً يؤذى الآخرين، فهذه صفة لا تليق بالمسلم.

ويتسع دور الوالدين لتعليم الأبناء أوامر الشرع كلها، حسب عمر الصغير، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعْدِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ (النور: ٥٨)، ثم تأتى الآية الثانية لتبين أن المرحلة العمرية اختلفت، ومن ثم اختلف الحكم، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعْدِنُوا كَمَا اسْتَعْدَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ (النور: ٥٩).

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يشمل كل نواحي الحياة من التزام الآداب الاجتماعية والخلقية: كاحترام الكبير، وحق الرحم، والجار، والمجلس، وآداب الطعام والشراب... إلخ، ومن ذلك أيضاً تعليم الصغير الرياضة، وبعض الألعاب المفيدة التى تشغل وقت فراغه، وقد حث عمر بن الخطاب ؓ على تعليم الأولاد الرماية والسباحة وركوب الخيل، لأن من يقوم بهذه الأعمال إنما يقوى بدنه، ويسمو عقله وذهنه، ويبعد بينه وبين الفراغ الممل، الذى يقضى على الطاقة والحيوية<sup>(١٢)</sup>.

ويراعى كما عرفنا سن الصغير، يؤكد ذلك قوله ﷺ: "علموا الصبى الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين"، فهذا يدل على مراعاة سن الصغير فى تعليمه أحكام الشريعة، إذ من اعتاد الصلاة وهو صبى مميز، يسهل عليه بعد بلوغه أن يؤدى ما فرضه الله عليه من الصلوات، وغير ذلك من التكاليف الشرعية، مع مراعاة العامل النفسى للأولاد، وطرق التربية الحديثة فى التعامل معهم، وإشاعة روح الألفة والمودة بين الأولاد، والحوار الهادئ بين أفراد الأسرة فيما بينهم.

ولقد أشار بعض أساتذة التربية إلى دور الأسرة فى التربية<sup>(١٣)</sup>، ومن ذلك ما يلى:

- الحرص على إشاعة جو من السكون النفسى، والطمأنينة الروحية بين أفراد الأسرة ؛ حتى تتم تربيتهم فى جو مفعم بالحب والمودة والسعادة، بعيداً عن القلق والتوتر.
- حسن تربية الأبناء، والحرص على صيانة فطرتهم من الانحراف، وعقيدتهم من الفساد، وسلوكهم من الانحلال، وذلك من خلال التمسك بآداب الإسلام.
- الاستمرار فى تربيتهم فى جميع مراحل العمر، حتى يكونوا بمأمن من شُرور الزمان، ورفقاء السوء الذين يزينون لهم سبل الغواية .
- إتاحة الفرصة للحوار الإيجابى مع الأبناء، حتى يصبح الوالدان أقرب الناس لأبنائهما، فيقتدوا بهما .
- إكساب الأبناء الخبرات الأساسية، والمهارات الأولية التى تسهم فى تحقيق تكيفهم وتفاعلهم مع متغيرات الحياة والأحياء.

ولتحقيق هذه الأهداف التربوية، على الوالد مراعاة المرحلة العمرية للصغير وما تقتضيه من تهذيب، أو تعليم، أو مصاحبة، مع مراعاة روح المحبة والمودة، إذ رأينا فيما يقصه القرآن الكريم فى شأن لقمان مع ابنه، يبدأ وصاياه فيقول : "يا بني" ويكررها، مما يقرب المسافة بينه وبين ولده، فضلاً عما يدل عليه اللفظ من المحبة والعاطفة الجياشة التى زرعها الله فى قلوب الآباء.

#### ٤- العدالة بين الأولاد:

من الأمور المهمة للنشأة السوية للأولاد أن يكون التعامل من الوالدين للأولاد فيه المساواة والعدالة، بحيث لا يشعر أحد الأولاد أن أباه يؤثر أخاه عليه فى مال، أو عاطفة، أو حديث، أو غير ذلك من أمور التفضيل.

قص علينا المولى سبحانه وتعالى ما حدث من إخوة يوسف ظناً منهم أن أباهم يحب يوسف أكثر منهم، ونسوا أن يوسف صغير ويحتاج إلى العناية والرعاية والعطف أكثر منهم، مراعاة لسنة، وأن هذا من خصائص التربية ولوازمها، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ

لِّلسَّالِئِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَحَنَّ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ

مُبينٍ ﴿يوسف: ٧، ٨﴾ .

ومن ثم فعلى الأب مراعاة المساواة بين الأبناء، فلا يفضل الذكور على الإناث كما كان فى الجاهلية، إذ كرم الإسلام المرأة، وسوى بينها وبين الرجال فى التكليف الشرعية وغيرها، عدا

ما يخصها من أمور، وكذا لا يصح أن يؤثر بعض الأولاد بعطية دون إخوته، إلا لسبب شرعى (كما يراه بعض الفقهاء)، روى أنس أن رجلاً كان عند النبي ﷺ " فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذة، وجاءته بنت له فأجلسها بين يديه - الابن فى حجره، والبنت بين يديه - فقال رسول الله ﷺ: "ألا سويت بينهما".

وروى البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير: أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحتت ابني هذا غلاماً كان لى، فقال رسول الله ﷺ " أكل ولدك نحتته مثل هذا " ؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ : **فارجه**، وفى رواية قال : " **فارده**".

يظهر من هذا أن المساواة والعدالة بين الأولاد مطلب مهم لتحقيق النشأة السوية للأبناء والبنات؛ ولكى يكونوا لبنة قوية فى جسد الأمة، بعد أن تربوا فى أسرة ساوت بين أفرادها بالمعنى الواسع للمساواة، سواء فى العطف والحنان أم فى العطايا والهبات، أم غير ذلك من أمور المعاش والود والمحبة، ومن ثم يبعد عن أبناء تلك الأسرة التى نعمت بالرعاية والحنان أن تكون لقمة سائغة فى يد الإرهابيين، بل يشكلون غصة فى حلوهم، إذ يقاومونهم بالفكر، والحجة بالحجة، بل والأخذ بأيدي الشاردين إلى سواء السبيل، والإخلاص لوطنهم، وعدم الانسياق للمخربين والمفسدين، وإلا رفعوا الأمر للجهات المختصة؛ للعمل على وأد الفتنة والإضرار بمصالح الجماعة؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٠) .

#### ٥- الرقابة على الأولاد:

يعظم دور الأسرة كلما شب الصغير، إذ تتسع دائرة معارفه، سواء فى الحضانة، أم فى المرحلة الابتدائية، أم ما بعدها، ولا شك أن تأثير الخطاء كبير، وخاصة من كانوا فى سن متقاربة، إذ من السهولة بمكان أن يتأثر الصغير بمن يجاوره فى الحضانة، أو أقرانه فى المدرسة بدعوى أن هذا من المألوف، أو إثبات الذات ونحو ذلك. يقول ﷺ: " **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِذَا نَزَلَ يُحْدِثُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِذَا نَزَلَ يُحْرِقُ ثِيَابَكَ وَإِنَّمَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِذَا نَزَلَ يُحْرِقُ ثِيَابَكَ وَإِنَّمَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**"<sup>(١٤)</sup>، وقال أيضاً: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".



فعلى الوالدين أن يأخذا بأيدي أبنائهما إلى طريق الصلاح برعايتهم فى كل نواحي حياتهم، وخاصة مع من يرافقون ويخالطون من أصدقاء وزملاء، وهذا لا يخلو من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يقول تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢)، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠)،

ويقول الشاعر:

عن المرء لا تسئل، وسل عن قرينه  
فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومن ثم فالرفقة الطيبة الواعية تؤثر فى رفقاتها، والرفقة البليدة تؤثر أيضاً فىمن يخالطها. وتعهد الوالدين لأولادهما بالرعاية، يجعل الأمر سهلاً إذا نزع الشيطان بهم فحادوا عن الاستقامة، إذ يسهل للوالدين أن يعودا بهم إلى صراط الله المستقيم، وهذا بلا شك سيقبهم بفضل الله تعالى الخزى والخسران والندامة فى يوم القيامة من ويلات الصداقة، والرفقة التى كانت فى الدنيا مخالفة لنهج الله، إذ يتبرأ الصديق من صديقه، يقول تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)، ومن ثم يعظم دور الوالدين ومراعاة أولادهما فى كل أحوالهم، إذ ربما تأثروا ببعض رفقاء السوء، فالأخذ على أيديهم وهم فى أول طريق الخسران يسهل أن يعودوا إلى طريق الاستقامة، أما إذا استمروا فى طريق الغواية، فالأمر يصعب كثيراً، وهنا يأتى دور الأب فى الحزم والمعالجة والإسراع وعدم التوانى، ولا يفهم من ذلك أن يغيب هذا الدور للمربى فى المراحل الأخرى أو الحالات الأخرى، إنما يعنى أن يجمع المربى بين الحزم واللين، ولذا يقول القائل :

فقساً لتزجرُوا ومن يكُ حازماً  
فليقسُ أحياناً وحيناً يرحمُ

وبذا يظهر أن للأبوين دوراً مهماً فى تربية الأبناء، إذ يأخذان بأيديهم إلى طريق الهداية، فإذا انحرف الابن عاد به الأب إلى الطريق السوي.

٦- رعاية اليتامى:

قد يبتلى المولى سبحانه وتعالى الأسرة بوفاة الأب ويترك أولاداً صغاراً، أى قبل البلوغ، وقد تكون أهمهم ما زالت حية، وقد تكون قد توفيت قبل الأب .

هؤلاء اليتامى اهتم الشرع بهم أيما اهتمام، وأولاهم العناية الفائقة، وذلك فتح لباب خير لمن يرعى اليتيم، يصل بعمله هذا (رعاية اليتيم) إلى الجنة بفضل الله تعالى، وسدّ لباب فساد إذ ربما لو ترك اليتيم بدون رعاية وعناية لاستحوذ عليه الشيطان، فضلاً عن النفس الأمارة بالسوء، وزرع في نفسه الحقد والحسد، بعد أن يرى الآباء يرعون أولادهم ويحرصون عليهم، وهو لم يسأل عنه أحد. من هنا كان الإعجاز التشريعي في النص على رعاية اليتيم وحسن كفالتة، فضلاً عن تثمير ماله، وغير ذلك مما هو في حاجة إليه يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (الضحى: ٩)،

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ (الماعون: ١ ، ٢)، ويقول الرسول ﷺ: "من قبض يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر له" (١٥)، ويقول ﷺ: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرق بينهما قليلاً" (١٦).

ويخبر المولى سبحانه وتعالى عن الضابط العام لرعاية اليتيم، يقول تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ

الْمُصْلِحِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، كما يخبر المولى سبحانه

وتعالى عن خطورة التعدي على مال اليتيم، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ

ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠)، كما ينبه المولى

سبحانه وتعالى الآباء أنهم إن ماتوا وتركوا أبناء أو بناتاً صغاراً وكانوا على تقوى من الله وخوف،

فإن الله سيرعى أولادهم؛ إذ يجند لهم من يقوم بخدمتهم، يقول تعالى: ﴿ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ

تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء: ٩).

ومن ثم فرعاية الآباء لأبنائهم وبناتهم ينبغى أن تطبق أيضاً على اليتامى، إذ من يرعى يتيماً عليه

أن يحسن رعايته، كما يرعى ولده، ويحسن إليه كما يحسن لولده، وينبغي أن يتسارع أهل الناحية

لرعاية اليتيم وقضاء مصلحته، حينئذ يشعر بالحنو وبالعطف، وأنه إن فقد أباه فقد عوضه الله بآباء

يرعونهم ويقدمون له خدمات كأبنائهم، فهذه الكفالة الطيبة من القرابة المحيطة باليتيم أو من الجيران، إنما

تعد رصيذاً طيباً لمن يقوم بها، كما أنها تعد خدمة طيبة للمجتمع، لكي ينشأ هذا اليتيم نشأة سوية بعيدة

عن روح الانتقام والحقد على المجتمع، حتى لا يصبح صيداً سهلاً للجماعات الإرهابية.

## ثانياً: دور المدرسة التربوي في مواجهة الإرهاب

غنى عن البيان أن نذكر أهمية العلم وفضله، غير أننا بصدد دور المدارس التربوي في مواجهة الإرهاب ينبغي أن نشير إلى لمحة من فضل تحصيل العلم، والذي بنوره تتمحي ظلمات الجهل المؤدى إلى ارتكاب الجرائم والآثام، ومما هو معلوم أن أول نزول القرآن الكريم، وهو المنهج الخاتم للرسالات السماوية السابقة قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ

الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ (العلق: ١-٥)، ففي هذه الآيات الكريمة بيان لأهمية القراءة، وهي الوسيلة الأساسية في تحصيل العلم، وفيها إشارة إلى الوسيلة الثانية وهي القلم أيضاً! إذ به يتم تحصيل العلم أيضاً، وقد حث الشرع على فضل تحصيل العلم، يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا

نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ (التوبة: ١٢٢) . وفي الحديث الشريف: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ النَّبِيِّاءِ، إِنَّ النَّبِيِّاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ".

وفي الحديث الشريف ما يؤكد أنه يستوى أن يكون العلم دينياً أو دنيوياً، طالما كان نافعا، يقول ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" ، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ

شَجَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ (١٧)

وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ ۚ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعَالِمَتُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ (٢٨) ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝ (فاطر: ٢٧-٢٩)، فبالنظر إلى الكون وما فيه من جبال رواسٍ، مختلف ألوانها، واختلاف الناس في ألوانهم وألسنتهم، وفي نزول الماء من

السماء على الأرض الهامدة، فإذا هي تثبت بما فيها من بذور كامنة، بإذن ربها، إلى غير ذلك من أوجه النظر، نجد ما يدل على أن إلهًا خالقًا مدبرًا حكيمًا يُسَيِّرُ هذا الكون بدقة واقتدار، ومن ثم كان الناس في حاجة إلى العلم الدينى والدينى لتعمير الأرض، وفق سنن الله الكونية فى التعمير، واستخراج كنوز الأرض وما فى البحار من خيرات، وما فى هواء الأرض من منافع، وغير ذلك مما يكتشفه الإنسان بإذن ربه، ولا يتحقق ذلك إلا بالسعى الجاد لتحصيل العلم، ومن ثم كانت الوسيلة إلى ذلك واجبة، وكما يقول الفقهاء : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن ذلك إنشاء المدارس حتى يحصل أبنائنا العلم الدينى والدينى بالاصطلاح الحديث.

ويعينى فى هذا المقام أن أشير إلى الدور التربوى للمدرسة فى مواجهة الإرهاب، حيث يتنوع دور المدرسة فى مواجهة الإرهاب الذى يصنع ويراد به القضاء على الدولة.

**غير أن ما نطالب به فى المدارس، لإبراز دورها التربوى فى مواجهة الإرهاب مايلي:**

#### ١- إبراز روح المواطنة فى المناهج الدراسية :

مصر والحمد لله لها تاريخ عبر القرون يعلمه القاصى والدانى، ومن ثم فإبراز المواطنة فى المناهج الدراسية مهم جدًّا وفقاً لظروف كل فترة عمرية، أو مرحلة تعليمية، وحبذا لو كان ذلك فى برامج هادفة كمسرحيات، أو ندوات، أو محاضرات فى خلال العام الدراسى، وكذا فى الإجازة الدراسية، وحبذا لو وزعت مواد الدستور فى كل الفرق الدراسية إعلامًا وإشعارًا بأن الدستور الذى تسيّر الدولة على نهجه، لا يفرق فيه بين مسلم وغير مسلم، أو بين مواطن وآخر، وأن جميع المواطنين سواء فى الحقوق والواجبات .

#### ٢- زيادة الاهتمام بمادة التربية الدينية:

بات واضحًا أن الجماعات التكفيرية جندت شبابًا على مستوى ضحل من الثقافة الدينية، ومن ثم يعظم دور المدرسة عمومًا بالاهتمام بمادة التربية الدينية، وذلك بزيادة عدد الساعات المناسبة حتى يصبح الطالب على وعى بحقيقة دينه الذى يدعو إلى التفكير فى كل ما تقع عليه العين، حتى يعلم الإنسان أن هناك خالقًا مدبرًا لهذا الكون منَّ على الإنسان وجعله خليفة له فى أرضه، وسخر له الكائنات وأنزل له المنهج الذى يسير عليه، إذ فى مادة التربية الدينية الجرعة الطيبة التى بالحصول عليها تعطى الدارس زادًا قويًّا ضد الأفكار التى تروج لها الجماعات الإرهابية، إذ هم يميلون للتشدد والتنطع، ويفسرون الآيات والأحاديث على حسب هواهم ويرفضون ما لا يتفق مع هواهم. وبالوصول أيضًا على المواد الإسلامية فى السنوات المتعددة يكون الخريج قد فهم الإسلام فهمًا جيدًا، وفهم مرونة الشريعة ووسطيتها ورفع الحرج فى الشريعة الإسلامية.

ومن ثم نأمل أن توحد هذه المادة في كل المدارس الحكومية وغيرها، وتدرس في الجامعات، وأن تعد مادة ذات درجات معتمدة ضمن المجموع الكلي للطلاب والخريج.

### ٣- المناخ التعليمي:

يعظم دور المدرسة بأن يكون المناخ التعليمي قائماً بدوره على أتم وجهه، فحينما يدخل الطالب المدرسة فإنه يكون قد انتقل من رعاية الأسرة إلى رعاية تربية أخرى وهي الرعاية المدرسية، ومن ثم فينبغي أن يشعر الطالب ببيئته الثانی الذي ينهل فيه العلم الديني والدنيوي، وأن يعلم أنه يعد من قبل علماء ومربين ينمون فكره ووعيه، ويؤهلونه للترقى في العلم، ويشعر بأنه في كل يوم يزداد علمًا من خلال الدروس المقررة، وكذا يشعر بأنه يستفيد خبرات في كل يوم من خلال معاملة المدرسين له، حيث يجد روح المواطنة وحسن التعامل من الأساتذة للطلاب، لا توجد غلظة أو جفوة في التعامل، حيث يشعر أن المدرسين يأخذون بيده إلى فهم الدروس بوسائل عدة، كما يشعر الطالب في الجو المدرسي بالحزم في موقف يحتاج فيه الأمر إلى الحزم، وإلى الرحمة والعطف في مواقف تحتاج إلى ذلك، وكذلك التدريب على المهارات الاجتماعية، حيث وجد أن الأشخاص ذوى الميول نحو العنف لديهم مشكلات كثيرة في التواصل والتفاعل الاجتماعي، ومن ثم في كثير من الأحيان تقع منهم أحداث عنف مع من يتعاملون معهم، في مثل هذه الحالات تقوم المدرسة بعلاج مثل هذه الظواهر، وبذا نضمن ألا يكون مثل هذا الخريج آلة للإرهاب<sup>(١٧)</sup>.

ويحتاج أيضًا المناخ المدرسي إلى إقامة الدورات التدريبية وورش العمل والندوات والمحاضرات لتوعية الطلاب بمخاطر العنف، وحرمة الوطن، واحترام الرأي والرأى الآخر، واحترام الكبير، والعطف على الصغير، واحترام ما نص عليه القانون من العدالة والمساواة، ولا يقتصر ذلك على أيام الدراسة بل يتسع النشاط الثقافي ليشمل الإجازات في نصف العام وفي آخر العام، كما ينبغي السعى الجاد نحو إعادة دور المدرسة لما كانت عليه سابقاً من اليوم الدراسي الكامل، والالتزام بساعات العمل من قبل المدرس والطالب سعياً للقضاء على الدروس الخصوصية، ومما هو معلوم أيضاً أن المعسكرات الكشفية والثقافية والرحلات التي تنظمها المدارس، من الأهمية بمكان؛ لشحذ همم الطلاب والطالبات بالمرونة في التصرفات وعدم التشدد من خلال التعامل مع المدرسين والموظفين والعمال، ومن خلال التنقل بين مناطق متعددة ومعرفة أماكن جديدة، ومن ثم ينبغي أن يسود في داخل المدرسة العلاقة الطيبة بين الطلاب وزملائهم، وبين الطلاب والمعلمين، وبين الطلاب والإدارة المدرسية، حتى يتحصل الطالب على المعلومات في جو هادئ ينعم فيه بالأمان النفسى والقيم السلوكية، وتسود فيه قيم العدالة والحرية والإخاء، والتشجيع على التفكير

المبدع، مما يؤدي إلى تنمية قيم المواطنة<sup>(١٨)</sup>.

كما نأمل معالجة الأسباب التي تحول دون قيام المدرسة بدورها التربوي ومنها<sup>(١٩)</sup>.

- قلة كفاءة بعض المعلمين .
- غياب الحوار الديمقراطي داخل المدرسة .
- ضعف الإدارة المدرسية ومحاولتها إرضاء الآخرين .
- إحساس التلميذ بعدم استفادته من المناهج الدراسية .
- عدم ممارسة التلاميذ للأنشطة المدرسية .

## الخاتمة

اتضح من خلال البحث أن الآليات التي ينبغي اتخاذها لمواجهة صناعة الإرهاب من الأهمية بمكان، وهي تتعدد بتعدد صور الإرهاب، ومن ثم كانت الآليات المهمة التي ينبغي الاهتمام بها هي الأسرة والمدرسة؛ إذ بقوتها وأصالتها في التربية السليمة في داخل الأسرة، وفي الأخذ بالمنهج التربوي في المؤسسات التعليمية بشتى صورها، نصنع دروعاً بشرية قوية صلبة تقاوم الفكر الشارد، والذي يجب على كل من يقيم بأرض مصر أن يسهم بنزع هذا الفكر واستئصاله حتى يعود الأمن والأمان لأرضنا الحبيبة التي أخبر عنها القرآن الكريم في ثنايا سورة يوسف عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ

ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩) .

## الهوامش :

- (١) الإرهاب بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، دراسة مقارنة بالأنظمة السعودية، محمد عبد الرحمن الصالحين، نشر مجلة الجامعة الإسلامية (رابطة الجامعات الإسلامية) عدد ٤٥ ص ٦١.
- (٢) التفسير الميسر: أ. د / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر السابق.
- (٣) أ.د. محمد الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م - ص ٣٥، أشار إليه عبد الله ابن عقيل الفضل التربية الإسلامية ط٣، نشر مكتبة رشد، ص ٢٤ .
- (٤) بديرة صالح عبد الرحمن، نحو تأهيل إسلامى لمفهوم التربية وأهدافها، عالم الكتب، ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م، ص ٤٩٧، أشار إليه المرجع السابق .
- (٥) رواه البخارى ومسلم، متفق عليه .
- (٦) رواه الترمذى .
- (٧) رواه البخارى، ومسلم .
- (٨) رواه أبو داود والترمذى .
- (٩) البخاري: الصحيح الجامع، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٤/٤٩٢ .
- (١٠) رواه أبو داود .
- (١١) أ.د/محمد الخطيب، مرجع سابق، ط٣، نشر دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الرياض ص ٨٢، ٢٤٠، ٢٤١.
- (١٢) أ.د /محمد الخطيب، مرجع سابق، ط٣، ص ٢٤٠ .
- (١٣) أ.د/ عبد الله بن عقيل، التربية الإسلامية، ط٣، مكتبة الرشد، ص ١٢٩، ١٣٠ .
- (١٤) رواه البخارى ومسلم .
- (١٥) رواه الترمذى .
- (١٦) رواه الترمذى .
- (١٨) العنف فى المجتمع المصري، دراسة تحليلية لبعض مظاهره، مجلة الشرق الأوسط، (مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس)، عبدالله، منى محمود، ع ٣٢ - ٢٠١٣م، ص ٨١٣ وما بعدها .
- (١٨) د /أحمد حسنى محمد عاشور، مظاهر العنف المدرسي، مجلة كلية التربية - جامعة بنها، ٢٠١٤م ، ص ١٧١ ، أشار إليه د/ إبراهيم أحمد عاشور، تصور مقترح لمواجهة الازدواجية فى التعليم قبل الجامعى، دكتوراة فى كلية التربية جامعة طنطا، ص ٢٩٥ .
- (١٩) د/ الشرقاوى، عادل عبدالله ، دور المدرسة الثانوية فى مواجهة العنف الطلابى - دراسة لمحافظة بور سعيد ، مجلة كلية التربية الإسماعيلية ، عدد ٩ ، ٢٠٠٧م ، ص ١٦٧، ١٦٨ .



## دور القانون المصرى فى مواجهة تحديات الإرهاب

المستشار الدكتور/ على عمارة

رئيس بمحكمة الجنايات وأمن الدولة العليا

مصر

الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال، كَبَتَّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمتنا، وجمعت فرقتنا، ومن كل ما سألتناك أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا فى قديم أو حديث، سرراً أو علانية، خاصة أو عامة، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد؛

فالإرهاب كأس شربنا منه كما شرب العالم منه وما زال؛ طالما لم يهب المجتمع الدولى للوقوف فى وجهه ومحاربة رواده وقواده فى الشرق خصوصاً، والتى أضحت بعض بلاده، موطناً ومرتعاً لكثير من التنظيمات الإرهابية.

### تعريف الإرهاب:

فى الواقع لا يوجد تعريف جامع مانع للإرهاب؛ فقد اختلفت الدول فى تفسيره وتعريفه، وكل دولة عرفته وفسرته وفق مصالحها وأيديولوجياتها، والرأى الراجح<sup>(١)</sup>: أنه مجموعة من الأعمال التخريبية الإجرامية التى تبتُّ الرعب فى نفوس البشر؛ لما يصاحبها من إراقة دماء وتخريب طال كل شىء حتى ما خلفته الحضارة الإنسانية من آثار<sup>(٢)</sup>.

## أهداف الإرهاب :

قد يكون لهذا الإرهاب أهداف سياسية<sup>(٣)</sup> أو دينية غير مشروعة، يريد الإرهابيون تحقيقها وفرضها بالقوة، وقد ارتكبوا العديد من هذه الأفعال الإجرامية فى منطقتنا العربية، فخرّبوا وقتلوا وأمعنوا فى القتل، وتقوم جمهورية مصر العربية ممثلة فى قواتها المسلحة والشرطة بحرب كبرى رائدة وشاملة فى سيناء، والصحراء الغربية، وربوع أرضها، لاقتلاع الإرهاب من جذوره، والتي تسمى بعملية سيناء ٢٠١٨م.

ويتمثل الهدف الرئيسى للإرهاب فى ترويع السكان، أو إجبار إحدى الحكومات أو إحدى المنظمات الدولية لأداء عمل أو الامتناع عنه، ويختلف هذا الهدف عن أنواع الجرائم الأخرى التي يمثل هدفها الرئيس الحصول على المال، ورغم الاختلاف بين أهداف الإرهاب وأهداف سائر أشكال الإجرام فإن المنظمات الإرهابية تحتاج إلى المال لممارسة أنشطتها<sup>(٤)</sup>، فالمال هو وسيلتها وليس هدفها.

## تمويل الإرهاب:

ويكون تمويل الإرهاب بوجه عام من أحد مصدرين:

**المصدر الأول:** يشكل الدعم المالى المقدم من الدول التي تجمع المال وتمد به الإرهاب المصدر الأول لتمويل الإرهاب.

**المصدر الثانى:** هو الدخل المشروع أو غير المشروع الناتج من أنشطة المنظمات الإجرامية ذاتها، ومن أهم مصادر الدخل غير المشروع أخذ الرهائن، والخطف، والتهريب، والتجارة فى المخدرات، ومن أهم مصادر الدخل المشروع التبرعات والهبات.

وتهدف الجماعات الإرهابية إلى طمس مصادر دخولها لقطع الارتباط بينها وبين تمويل الإرهاب، وهو ما يتحقق من خلال غسيل الأموال فى عمليات مختلفة، ولهذا كان تتبع الأموال عند حركتها داخل النظام المالى يعد تحديًا كبيرًا لمعرفة الطريقة التي يعمل بها الإرهابيون والمنظمات الإرهابية.

## دور القوات المسلحة والشرطة فى القضاء على الإرهاب:

قامت مصر وقواتها المسلحة والشرطة بشن حرب شاملة على الإرهاب عقب أحداث ثورة ٣٠ من يوليو ٢٠١٣م؛ للتأثر لأبنائها وأبناء الشعب المصرى من التنظيم الإرهابى المجرم الذى أسس منهج الاغتيالات والتصفية الجسدية، والذى نبع منه مسميات أخرى ارتكبت العديد من جرائم القتل للأبرياء، سواء فى المساجد أو الكنائس دون تمييز، ولأبناء الشرطة والقوات المسلحة المناضلين.

وما زالت الدولة المصرية بقيادة رئيسها ورجالها من القوات المسلحة والشرطة تقاوم وتحاول أن تضع الحلول للقضاء على الإرهاب والإرهابيين، ومن الحلول القانونية إصدار الدولة القانون رقم ٩٤ لسنة ٢٠١٥م بشأن مكافحة الإرهاب، والذي اشتمل على أربعة وخمسين مادة عالجت القواعد الموضوعية والإجرائية والعقوبات، وتضمنت مواد الإصدار التعريف بالإرهاب والإرهابيين.

### أهم الملامح الرئيسية التي وردت في القانون ٩٤ لسنة ٢٠١٥م بشأن مكافحة الإرهاب<sup>(٥)</sup>؛

- ١- النص على سريان أحكام هذا القانون على كل من ارتكب جريمة من جرائم الإرهاب خارج مصر، إذا كان من شأن ذلك الإضرار بمصلحة مصر أو ممتلكاتها فى الداخل أو فى الخارج.
- ٢- العقاب على الشروع فى جميع الجرائم التى وردت به .
- ٣- عدم انقضاء الجرائم الإرهابية بالتقادم.
- ٤- النص على حق مأمور الضبط القضائى فى التحفظ على من يرى ضرورة التحفظ عليه، عند قيام خطر جريمة الإرهاب.
- ٥- إعطاء النيابة العامة الحق فى القرار باستمرار التحفظ الذى يقوم به مأمور الضبط القضائى لمدة سبعة أيام.
- ٦- سريان أحكام المواد ٢٠٨ مكرراً (أ)، و٢٠٨ مكرراً (ب)، و٢٠٨ (ج) من قانون الإجراءات الجنائية فى الأحوال التى تظهر فى الاستدلال أو التحقيق دلائل كافية على الاتهام بارتكاب أى جريمة إرهابية.
- ٧- إعطاء النيابة العامة أو سلطة التحقيق المختصة فى الجرائم المنصوص عليها فى المواد (١٢، ١٥، ١٩، ٢٢) من هذا القانون الحق فى أن تصدر أمراً مؤقتاً بغلق المقبرات والأماكن والمسكن ومحال الإيواء، على أن يصدر هذا القرار من رئيس نيابة على الأقل.
- ٨- تخصيص دائرة أو أكثر من دوائر محاكم الجنايات – يكون رئيس كل منها بدرجة رئيس بمحاكم الاستئناف – بنظر الجنايات من الجرائم الإرهابية والجرائم المرتبطة بهذه الجنايات.
- ٩- النص على حق رئيس الجمهورية باتخاذ التدابير اللازمة للمحافظة على الأمن والنظام العام متى قام خطر من أخطار الجرائم الإرهابية.

١٠- النص على التزام الدولة بإبرام وثيقة تأمين إجبارى شامل مع شركات التأمين؛ لتغطية جميع الأخطار الناجمة عن الجرائم الإرهابية، التي تصيب أى فرد للقوات المسلحة أو قوات الشرطة المكلفة بمكافحة الإرهاب، حال تصديها لتلك الجرائم.

١١- إعطاء النيابة العامة أو سلطة التحقيق المختصة الحق فى وقف المواقع المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من المادة (٢٩) من هذا القانون.

## أحكام القانون المصري لمكافحة الإرهاب

- المادة الأولى: تناولت هذه المادة بعض التعريفات بالألفاظ والعبارات الواردة بقانون مكافحة الإرهاب، فنصت على أنه " فى تطبيق أحكام هذا القانون يقصد بالألفاظ والعبارات التالية المعانى المبينة قرين كل منها:

(أ) الجماعة الإرهابية: كل جماعة أو جمعية أو هيئة أو جهة أو عصابة، مؤلفة من ثلاثة أشخاص على الأقل، أو غيرها من التجمعات أو الكيانات التى تثبت لها هذه الصفة، أيًا كان شكلها القانونى أو الواقعى، سواء كانت داخل البلاد أو خارجها، وأيًا كانت جنسيتها أو جنسية من ينتسب إليها، تهدف إلى ارتكاب واحدة أو أكثر من جرائم الإرهاب، أو كان الإرهاب من الوسائل التى تستخدمها لتحقيق أو تنفيذ أغراضها الإجرامية.

(ب) الإرهابى: كل شخص طبيعى، يرتكب، أو يشرع فى ارتكاب، أو يحرض، أو يهدد، أو يخطط فى الداخل أو الخارج، لجريمة إرهابية بأية وسيلة كانت ولو بشكل منفرد، أو يسهم فى هذه الجريمة فى إطار مشروع إجرامى مشترك، أو تولى قيادة، أو زعامة، أو إدارة، أو إنشاء، أو تأسيس، أو اشتراك فى عضوية أى من الكيانات الإرهابية المنصوص عليها فى المادة رقم (١) من قرار رئيس الجمهورية الصادر بالقانون رقم ٨ لسنة ٢٠١٥م فى شأن تنظيم قوائم الكيانات الإرهابية والإرهابيين، أو يقوم بتمويلها، أو يسهم فى نشاطها مع علمه بذلك.

(ج) الجريمة الإرهابية: كل جريمة منصوص عليها فى هذا القانون، وكذا كل جنائية أو جنحة ترتكب باستخدام إحدى وسائل الإرهاب، أو بقصد تحقيق، أو تنفيذ غرض إرهابى، أو بقصد الدعوة إلى ارتكاب أى جريمة مما تقدم أو التهديد بها، وذلك دون إخلال بأحكام قانون العقوبات.

(د) الأسلحة التقليدية: الأسلحة والذخائر والمفرقات والمواد الجيلاتينية.

(هـ) الأسلحة غير التقليدية: الأسلحة والمواد النووية والبيولوجية والإشعاعية والجرثومية، أو أى مواد أخرى طبيعية أو اصطناعية، صلبة أو سائلة، أو غازية أو بخارية، أيًا كان مصدرها أو طريقة إنتاجها، لها القدرة والصلاحية على إزهاق الأرواح أو إحداث إصابات بدنية أو نفسية خطيرة بها، أو إلحاق الأذى بالبيئة أو المبانى والمنشآت.

(و) الأموال: جميع الأصول أو الممتلكات أيًا كان نوعها، سواء كانت مادية أو معنوية، منقولة أو ثابتة، بما فى ذلك المستندات والعملات الوطنية أو الأجنبية، والأوراق المالية أو التجارية، والصكوك والمحركات المثبتة لكل ما تقدم، وأيًا كان شكلها الرقمى أو الإلكتروني، وجميع الحقوق المتعلقة بأى منها.

- وقد تناولت المادة الثانية التعريف بالعمل الإرهابي، فنصت على أنه:

يقصد بالعمل الإرهابي كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع فى الداخل أو الخارج، بغرض الإخلال بالنظام العام، أو تعريض سلامة المجتمع أو مصالحه أو أمنه للخطر، أو إزاء الأفراد، أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو حقوقهم العامة أو الخاصة أو أمنهم للخطر، أو غيرها من الحريات والحقوق التى كفلها الدستور والقانون، أو الإضرار بالوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعى أو الأمن القومى، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالموارد الطبيعية، أو بالآثار أو بالأموال أو بالمبنى أو بالأماكن العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو منع أو عرقلة السلطات العامة أو الجهات أو الهيئات القضائية أو مصالح الحكومة أو الوحدات المحلية أو دور العبادة أو المستشفيات أو مؤسسات ومعاهد العلم، أو البعثات الدبلوماسية والقنصلية، أو المنظمات والهيئات الإقليمية والدولية فى مصر، من القيام بعملها أو ممارستها لكل أو بعض أوجه نشاطها، أو مقاومتها، أو تعطيل تطبيق أى من أحكام الدستور أو القوانين أو اللوائح، وكذلك كل سلوك يرتكب بقصد تحقيق أحد الأغراض المبينة بالفقرة السابقة، أو الإعداد لها، أو التحريض عليها، إذا كان من شأنها الإضرار بالاتصالات أو بالنظم المعلوماتية أو النظم المالية أو البنكية، أو بالاقتصاد الوطنى، أو بمخزون الطاقة أو بالمخزون الأمنى من السلع والمواد الغذائية والمياه، أو بسلامتها أو بالخدمات الطبية فى الكوارث والأزمات.

- وتناولت المادة الثالثة من القانون تمويل الإرهاب فقررت: يُقصد بتمويل الإرهاب جمع أو تلقى أو حيازة أو إمداد أو نقل أو توفير أموال أو أسلحة أو ذخائر أو مفرقات أو مهمات أو آلات أو بيانات أو معلومات أو مواد أو غيرها، بشكل مباشر أو غير مباشر، وبأية وسيلة كانت بما فيها الشكل الرقوى أو الإلكتروني، وذلك بقصد استخدامها كلها أو بعضها فى ارتكاب أية جريمة إرهابية أو العلم بأنها ستستخدم فى ذلك، أو بتوفير ملاذ آمن لإرهابى أو أكثر، أو لمن يقوم بتمويله بأى من الطرق المتقدم ذكرها.

### **سريان القانون على من ارتكب الجريمة بالخارج:**

فقد نصت المادة الرابعة من قانون الإرهاب على أنه " مع عدم الإخلال بأحكام المواد ( ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ) من قانون العقوبات تسرى أحكام هذا القانون على كل من ارتكب جريمة من جرائم الإرهاب خارج مصر، وذلك فى الأحوال الآتية:

(١) إذا ارتكبت الجريمة على متن وسيلة من وسائل النقل الجوى، أو البرى، أو البحرى، أو النهري، المسجلة لدى مصر، أو التى تحمل علمها.

(٢) إذا كان من شأن الجريمة أو الهدف منها:

أ- إلحاق الضرر بأى من مواطنى مصر أو المقيمين فيها، أو بأمنها، أو بأى من مصالحها أو ممتلكاتها فى الداخل أو فى الخارج، أو بمقار ومكاتب بعثاتها الدبلوماسية أو القنصلية، أو مؤسساتها أو فروع مؤسساتها فى الخارج.

ب - إلحاق الضرر بأى من المنظمات أو الهيئات الدولية أو الإقليمية.

ج - حمل الدولة، أو أى من سلطاتها، أو مؤسساتها، على القيام بعمل أو الامتناع عنه.

(٣) إذا كان المجنى عليه مصرياً متواجداً فى الخارج.

(٤) إذا كان مرتكب الجريمة أجنبياً أو عديم الجنسية، وتواجد فى مصر.

### **الشروع والتحريض والتسهيل:**

— عاقبت المادة الخامسة من القانون على الشروع فى ارتكاب أية جريمة إرهابية بذات العقوبة المقررة للجريمة التامة.

— ونصت المادة السادسة على أنه يعاقب على التحريض على ارتكاب أية جريمة إرهابية بذات العقوبة المقررة للجريمة التامة، وذلك سواء كان هذا التحريض موجهاً لشخص محدد أو جماعة معينة، أو كان تحريضاً عاماً علنياً أو غير علنى، وأياً كانت الوسيلة المستخدمة فيه، ولو لم يترتب على هذا التحريض أثر.

— ونصت المادة السابعة من القانون على أنه: يعاقب باعتباره شريكاً كل من سهل لإرهابي أو لجماعة إرهابية بأى وسيلة مباشرة أو غير مباشرة ارتكاب أية جريمة إرهابية، أو الإعداد لارتكابها، أو وقّر — مع علمه بذلك — لمرتكبها سكناً، أو مأوى، أو مكاناً للاختفاء أو لاستخدامه فى الاجتماعات، أو غير ذلك من التسهيلات.

### **إباحة استعمال القوة ضد الإرهاب:**

نصت المادة الثامنة من القانون على أنه: لا يسأل جنائياً القائمون على تنفيذ أحكام هذا القانون إذا استعملوا القوة لأداء واجباتهم، أو لحماية أنفسهم من خطر محقق يوشك أن يقع على النفس أو الأموال، وذلك كله متى كان استخدامهم لهذا الحق ضرورياً وبالقدر الكافى لدفع الخطر.

### **الجرائم والعقوبات:**

— نصت المواد من ١٢-٢٧ من قانون مكافحة الإرهاب على العقوبات التى يجوز للقاضى

الحكم بها فى جرائم الإرهاب على النحو التالى:

— نصت المادة (١٢) من القانون على أنه: يعاقب بالإعدام أو السجن المؤبد كل من أنشأ

أو أسس أو نظم أو أدار جماعة إرهابية، أو تولى زعامة أو قيادة فيها، ويعاقب بالسجن المشدد كل

من انضم إلى جماعة إرهابية أو شارك فيها بأية صورة مع علمه بأغراضها، وتكون العقوبة السجن المشدد الذى لا تقل مدته عن عشر سنوات إذا تلقى الجانى تدريبات عسكرية أو أمنية أو تقنية لدى الجماعة الإرهابية لتحقيق أغراضها، أو كان الجانى من أفراد القوات المسلحة أو الشرطة، ويعاقب بالسجن المؤبد كل من أكره شخصاً على الانضمام إلى الجماعة الإرهابية أو منعه من الانفصال عنها، وتكون العقوبة الإعدام إذا ترتب على الإكراه أو المنع وفاته.

### عقوبة التمويل:

قررت المادة (١٣) من القانون بأنه: يعاقب بالسجن المؤبد كل من ارتكب جريمة من جرائم تمويل الإرهاب إذا كان التمويل لإرهابى، وتكون العقوبة الإعدام إذا كان التمويل لجماعة إرهابية أو لعمل إرهابى، وفى الأحوال التى ترتكب فيها الجريمة بواسطة جماعة إرهابية يعاقب المسئول عن الإدارة الفعلية لهذه الجماعة بالعقوبة المقررة فى الفقرة السابقة من هذه المادة، كما تعاقب الجماعة الإرهابية بغرامة لا تقل عن مائة ألف جنيه ولا تجاوز ثلاثة ملايين جنيه، وتكون مسئولة بالتضامن عن الوفاء بما يُحکم به من عقوبات مالية أو تعويضات.

### عقوبة السعى أو التخابر:

ونصت المادة (١٤) على أنه : يعاقب بالسجن المؤبد كل من سعى أو تخابر لدى دولة أجنبية، أو أية جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة أو عصابة أو غيرها يكون مقرها داخل مصر أو خارجها، أو لدى أحد ممن يعملون لمصلحة هذه الدولة الأجنبية أو أى من الجهات المذكورة، وذلك بهدف ارتكاب جريمة إرهابية داخل مصر أو ضد أى من مواطنيها أو مصالحها أو ممتلكاتها أو مقار ومكاتب بعثاتها الدبلوماسية أو القنصلية، أو مؤسساتها أو فروع مؤسساتها فى الخارج، أو ضد أى من العاملين فى أى من الجهات السابقة، أو ضد أى من المتمتعين بحماية دولية، وتكون العقوبة الإعدام إذا وقعت الجريمة الإرهابية موضوع السعى أو التخابر أو شرع فى ارتكابها.

وقررت المادة (١٥) بأنه: يعاقب بالسجن المؤبد أو بالسجن المشدد الذى لا تقل مدته عن عشر سنين كل من قام بأى طريقة مباشرة أو غير مباشرة، وبقصد ارتكاب جريمة إرهابية فى الداخل أو الخارج، بإعداد أو تدريب أفراد على صنع أو استعمال الأسلحة التقليدية أو غير التقليدية، أو وسائل الاتصالات السلكية أو اللاسلكية أو الإلكترونية، أو أية وسيلة تقنية أخرى، أو قام بتعليم فنون حربية أو أساليب قتالية أو تقنية أو مهارات أو حيل، أو غيرها من الوسائل أيّاً كان شكلها؛ لاستخدامها فى ارتكاب جريمة إرهابية، أو حرص على شىء مما ذكر.



**حماية المقار الرئاسية والإدارية ودور المحاكم:**

نصت المادة (١٦) من القانون على أنه: يعاقب بالسجن المؤبد أو السجن المشدد الذى لا تقل مدته على عشر سنين كل من استولى أو هاجم أو دخل بالقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع أحد المقار الرئاسية، أو مقار المجالس النيابية، أو مجلس الوزراء، أو الوزارات، أو المحافظات، أو القوات المسلحة، أو المحاكم، أو النيابة، أو مديريات الأمن، أو أقسام ومراكز الشرطة، أو السجون، أو الهيئات، أو الأجهزة الأمنية أو الرقابية، أو الأماكن الأثرية، أو المرافق العامة، أو دور العبادة أو التعليم، أو المستشفيات، أو أى من المباني أو المنشآت العامة؛ بقصد ارتكاب جريمة إرهابية. وتكون العقوبة السجن المؤبد إذا وقع الفعل باستعمال السلاح أو من أكثر من شخص، أو قام الجانى بتدمير أو إتلاف المقر، أو قاوم بالقوة السلطات العامة أثناء تأدية وظيفتها فى حراسة المقر أو لاستعادته، فإذا ترتب على ارتكاب أى من الأفعال السابقة وفاة شخص تكون العقوبة بالإعدام.

**دخول مقار البعثات الدبلوماسية أو المنظمات بالقوة :**

نصت المادة (١٧) على أنه: يعاقب بالسجن المؤبد أو السجن المشدد الذى لا تقل مدته عن عشر سنين كل من دخل عنوة أو بالمقاومة مقر إحدى البعثات الدبلوماسية أو القنصلية، أو الهيئات أو المنظمات الدولية أو الإقليمية، أو المكاتب الرسمية، أو السكن الخاص لأعضائها فى مصر أو فى الخارج؛ وذلك بغرض ارتكاب جريمة إرهابية، كما يعاقب بذات العقوبة كل من لجأ إلى القوة للهجوم على أى من المقار المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من هذه المادة، أو وسائل الانتقال لشخص يتمتع بحماية دولية، إذا كان من شأن هذا الهجوم أن يعرض سلامته أو حريته للخطر، أو لمجرد التهديد بارتكاب هذا الفعل، وتكون العقوبة السجن المؤبد إذا وقع الفعل باستعمال السلاح أو من أكثر من شخص، فإذا ترتب على الفعل وفاة شخص تكون العقوبة بالإعدام.

**محاولة قلب نظام الحكم:**

نصت المادة (١٨) من القانون على أنه: يعاقب بالسجن المؤبد أو بالسجن المشدد الذى لا تقل مدته عن عشر سنين كل من حاول بالقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع أو بغير ذلك من وسائل العمل الإرهابى قلب نظام الحكم، أو تغيير دستور الدولة، أو نظامها الجمهورى، أو شكل الحكومة.

## إخفاء أدوات الجريمة :

تعاقب المادة (٢٠) بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين كل من:

- ١- أخفى أو تعامل فى أشياء استعملت، أو أعدت للاستعمال، فى ارتكاب جريمة إرهابية، أو الأموال التى تحصلت عنها.
- ٢- أئلف عمداً أو اختلس أو أخفى مستنداً أو محرراً خطياً أو إلكترونياً من شأنه تسهيل كشف جريمة إرهابية، أو إقامة الدليل على مرتكبها، أو عقابه.
- ٣- مكن مرتكب أية جريمة إرهابية من الهرب قبل أو بعد القبض عليه.

## الاتحاق بالقوات المسلحة لأية دولة أجنبية أو الجماعات المسلحة أو

### الجمعيات ذات الأغراض الإرهابية:

نصت المادة (٢١) من القانون على أنه: يعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين كل مصرى تعاون أو التحق - بغير إذن كتابى من السلطة المختصة- بالقوات المسلحة لدولة أجنبية، أو بأى من الجماعات المسلحة أو الجمعيات أو الهيئات أو المنظمات التى يقع مقرها خارج مصر، وتتخذ من الإرهاب أو التدريب العسكرى أو تعليم الفنون الحربية أو الأساليب القتالية أو التقنية أو الحيل أو المهارات وسائل لتحقيق أغراضها فى ارتكاب جرائم إرهابية أو الإعداد لها، ولو كانت أعمال هذه الجهات غير موجهة إلى مصر.

فإذا تلقى الجانى أى نوع من أنواع التدريب أو التعليم المشار إليه بالفقرة السابقة من هذه المادة؛ تكون العقوبة هى السجن المؤبد.

### احتجاز الرهائن لغرض إرهابى :

قررت المادة (٢٢) بأنه: يعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين كل من قبض على شخص أو احتجزه أو حبسه أو قيد حريته بأى قيد؛ إذا كان الغرض من ذلك إجبار إحدى السلطات أو الجهات بالدولة على القيام بعمل أو الامتناع عنه، أو الحصول على مزية أو منفعة من أى نوع، وتكون العقوبة السجن المؤبد إذا لجأ الجانى لارتكاب أى من الأعمال الإرهابية، أو اتخذ صفة كاذبة أو تزيباً بدون وجه حق بزى رسمى، أو حمل بطاقة أو علامة مميزة لعمل أو وظيفة من غير حق، أو أجرى عملاً من مقتضيات هذه الوظائف، أو أبرز أمراً مزوراً مدعياً صدوره عن إحدى سلطات الدولة، أو إذا نشأ عن الفعل جرح، أو إذا قاوم السلطات العامة أثناء وظيفتها فى تحرير المجنى عليه، وتكون العقوبة الإعدام إذا نجم عن الفعل وفاة شخص.

### صناعة الأسلحة لغرض إرهابي:

قررت المادة (٢٣) بأنه: مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد يعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين كل من صنع أو صمم سلاحاً من الأسلحة التقليدية أو حازها أو أحرزها أو قدمها أو سهل الحصول عليها، وذلك لاستعمالها أو إعدادها للاستعمال في ارتكاب جريمة إرهابية، وتكون العقوبة السجن المؤبد إذا كان محل الجريمة سلاحاً من الأسلحة غير التقليدية، فإذا نتج عن استخدام السلاح التقليدي أو غير التقليدي أو المواد المذكورة وفاة شخص فتكون العقوبة الإعدام .

### حماية وسائل النقل من الإرهاب:

قررت المادة (٢٥) من القانون بأنه: يعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين كل من استولى بالقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع على وسيلة من وسائل النقل الجوي أو البري أو البحري أو النهري ، أو المنصات الثابتة التي يتم تثبيتها بشكل دائم في قاع البحر بغرض اكتشاف أو استغلال الموارد، أو لأية أغراض اقتصادية أخرى؛ وذلك تحقيقاً لغرض إرهابي.

وتكون العقوبة السجن المؤبد إذا كانت وسيلة النقل أو المنصة الثابتة تابعة للقوات المسلحة أو الشرطة، أو ارتكب الجاني عملاً من أعمال العنف ضد شخص يتواجد في أي منها، أو دمر الوسيلة أو المنصات الثابتة، أو تسبب في إلحاق أضرار بها يترتب عليها تعطيلها عن العمل بشكل دائم أو مؤقت.

ويعاقب بذات العقوبة المنصوص عليها في الفقرة الثانية من هذه المادة كل من وضع في الوسيلة أو المنصة الثابتة أجهزة أو مواد من شأنها إحداث التدمير، أو الإضرار بالنفس أو المال، أو دمر أو ضرب منشآت أو مرافق خدمة وسائل النقل، أو قاوم بالقوة أو العنف السلطات العامة أثناء تأدية وظيفتها في استعادة الوسيلة أو المنصة الثابتة من سيطرته، وتكون العقوبة الإعدام إذا نشأ عن الفعل وفاة شخص.

### حماية خطوط البترول من الإرهاب:

عاقبت المادة (٢٥) بالسجن المشدد الذي لا تقل مدته عن عشر سنين كل من أتلف عمدًا أو ضرب أو دمر أو عطل أو قطع أو كسر شبكة أو خطأً من خطوط البترول أو الغاز الطبيعي أو المباني أو المنشآت اللازمة لأي منها، أو استولى بالقوة على أي من تلك المنشآت، فإذا استخدم الجاني القوة أو العنف في ارتكاب أي من الأفعال المبينة بالفقرة الأولى من هذه المادة، أو تعمد منع المختصين من إصلاح شيء مما ذكر، أو ترتب على الجريمة توقُّف، أو انقطاع إمداد، أو تعطيل

المنتجات البترولية أو الغاز الطبيعي ولو بصفة مؤقتة، تكون العقوبة السجن المؤبد، فإذا ترتب على ارتكاب هذه الجرائم المشار إليها وفاة شخص تكون العقوبة الإعدام.

### **حماية المجرى المائى وشبكات المياه :**

ونصت المادة (٢٦) على أنه: كل من ارتكب فعلاً من الأفعال المشار إليها فى الفقرة الأولى من المادة (٢٥) من هذا القانون على شبكة أو خط من خطوط المياه أو المنشآت اللازمة لأى منها، أو استولى بالقوة على تلك المنشآت؛ يعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين .

فإذا ارتكبت الجريمة باستخدام أى من الظروف المشددة المنصوص عليها بالفقرة الثانية من المادة (٢٥) من هذا القانون، أو إذا أضرّ الجانى بسلامة المجرى المائى، أو لوثّه بمواد سامة أو ضارة تكون العقوبة السجن المؤبد، فإذا ترتب على ارتكاب الجرائم المشار إليها وفاة شخص تكون العقوبة الإعدام.

### **حالة قيام الإرهابى بمقاومة السلطات:**

نصت المادة (٢٧) من القانون على أنه: مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد منصوص عليها فى هذا القانون أو فى أى قانون آخر يعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين كل من تعدى على أحد القائمين على تنفيذ أو تطبيق أحكام هذا القانون، أو قاومه بالقوة أو العنف أو بالتهديد باستعمالها، وكان ذلك أثناء أو بسبب تنفيذ أو تطبيق أحكام هذا القانون.

وتكون العقوبة السجن المشدد إذا نشأ عن التعدى أو المقاومة عاهة مستديمة يستحيل برؤها، أو كان الجانى يحمل سلاحاً، أو قام بخطف أو احتجاز أى من القائمين على تنفيذ أو تطبيق أحكام هذا القانون، فإذا ترتب على الفعل وفاة شخص تكون العقوبة الإعدام، وتسرى أحكام هذه المادة إذا وقع التعدى على زوج أحد القائمين على تنفيذ أحكام هذا القانون أو على أصوله أو فروعه.

### **الترويج للجريمة الإرهابية :**

تعاقب المادة (٢٨) من القانون بالسجن مدة لا تقل على خمس سنين كل من روج أو أعد للترويج بطريق مباشر أو غير مباشر لارتكاب أى جريمة إرهابية، سواء بالقول أو بالكتابة أو بأية وسيلة أخرى، ويعد من قبيل الترويج غير المباشر الترويج للأفكار والمعتقدات الداعية لاستخدام العنف، وذلك بأى من الوسائل المنصوص عليها فى الفقرة السابقة من هذه المادة، وتكون العقوبة السجن مدة لا تقل عن سبع سنين إذا كان الترويج داخل دور العبادة، أو بين أفراد القوات المسلحة أو قوات الشرطة، أو فى الأماكن الخاصة بهذه القوات.

وتعاقب المادة (٢٩) بالسجن المشدد مدة لا تقل عن خمس سنين كل من أنشأ أو استخدم موقعاً على شبكات الاتصال أو شبكة المعلومات الدولية أو غيرها من وسائل الاتصال الحديثة بغرض الترويج للأفكار أو المعتقدات الداعية إلى ارتكاب أعمال إرهابية، أو لبث ما يهدف إلى

تضليل السلطات الأمنية أو التأثير على سير العدالة فى شأن أى جريمة إرهابية، أو لتبادل الرسائل وإصدار التكاليفات بين الجماعات الإرهابية أو المنتمين إليها، أو المعلومات المتعلقة بأعمال أو تحركات الإرهابيين أو الجماعات الإرهابية فى الداخل والخارج.

ويعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن عشر سنين كل من دخل بغير حق أو بطريقة غير مشروعة موقعًا إلكترونيًا تابعًا لأى جهة حكومية بقصد الحصول على البيانات أو المعلومات الموجودة عليه أو الاطلاع عليها أو تغييرها أو محوها أو إتلافها أو تزوير محتواها الموجود به، وذلك كله بغرض ارتكاب جريمة من الجرائم المشار إليها بالفقرة الأولى من هذه المادة أو الإعداد لها. ويجوز بقرار من النيابة العامة وقف المواقع المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من هذه المادة، أو حجبها، أو حجب ما تتضمنه من أوجه الاستخدام المنصوص عليها فى المادة، والتحفظ على الأجهزة والمعدات المستخدمة فى الجريمة ومصادرة المضبوطات .

#### **مجرد الاتفاق الجنائى للإرهاب:**

نصت المادة (٣٠) على أن يعاقب بالسجن المؤبد أو المشدد الذى لا تقل مدته عن سبع سنين كل من اشترك فى اتفاق جنائى بين اثنين أو أكثر من الجناة، ويكون الغرض منه الاتفاق على ارتكاب جريمة إرهابية، وتكون العقوبة السجن المؤبد إذا كان الجانى من المحرضين على هذا الاتفاق، أو كان له شأن فى إدارة حركته.

#### **جمع المعلومات عن أحد من القائمين على تنفيذ قانون الإرهاب :**

وقررت المادة (٣١) على أنه: يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة، ولا تجاوز خمس سنين كل من جمع دون سند من القانون معلومات عن أحد القائمين على تنفيذ أو تطبيق أحكامه، وذلك بغرض استخدامها فى تهديده أو فى الإعداد لإلحاق الأذى به أو بمصالحه أو مصالح جهة عمله، أو التعدى عليه أو على أى من أصوله أو فروعه بأية صورة من صور الإيذاء.

#### **حظر التعامل فى الأزياء الرسمية والعسكرية :**

قررت المادة (٣٢) بأنه: مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد منصوص عليها فى قانون العقوبات أو أى قانون آخر، يعاقب بالسجن المشدد الذى لا تقل مدته عن خمس سنين كل من استورد أو صنع أو أنتج أو حاز أو باع أو تداول أو تزييًا بزي رسمى للقوات المسلحة أو الشرطة، أو حمل بطاقات أو علامات أو إشارات عسكرية، أو علامات مميزة لعمل أو وظيفة من غير حق، أو انتحل صفة الضبطية القضائية أو الإدارية، وذلك بغرض جمع المعلومات لارتكاب جريمة إرهابية.

### **جريمة عدم الإبلاغ عن الجرائم الإرهابية:**

وتعاقب المادة (٣٣) بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وبغرامة لا تقل عن مائة ألف جنيه ولا تجاوز ثلاثمائة ألف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من علم بوقوع جريمة إرهابية أو بالإعداد أو التحضير لها، أو توافرت لديه معلومات أو بيانات تتصل بأحد مرتكبيها، وكان بإمكانه الإبلاغ ولم يبلغ السلطات المختصة.

### **مجرد التذكير الإجرامى:**

وقررت المادة (٢٤) بأنه يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة كل من قام بأى عمل من أعمال الإعداد أو التحضير لارتكاب جريمة إرهابية، حتى ولو لم يتعد عمله هذا الإعداد أو التحضير.

### **نشر أو إذاعة بيان كاذب :**

وتعاقب المادة (٣٥) بغرامة لا تقل عن مائتى ألف جنيه كل من تعمد بأية وسيلة كانت نشر أو إذاعة أو عرض أو ترويح أخبار أو بيانات غير حقيقية عن أعمال إرهابية وقعت داخل البلاد، أو عن العمليات المرتبطة بمكافحتها، بما يخالف البيانات الرسمية الصادرة عن وزارة الدفاع، وذلك كله دون إخلال بالعقوبات التأديبية المقررة.

### **الإعفاء من العقاب :**

نصت المادة (٣٨) من القانون على أنه يعفى من العقوبات المقررة للجرائم المشار إليها فى هذا القانون كل من بادر من الجناة بإبلاغ السلطات المختصة قبل البدء فى تنفيذ الجريمة، ويجوز للمحكمة الإعفاء من العقوبة إذا حصل البلاغ بعد تنفيذ الجريمة وقبل البدء فى التحقيق، وذلك إذا مكن الجانى السلطات من القبض على من ارتكب معه الجريمة، أو على مرتكبى جريمة أخرى مماثلة لها فى النوع والخطورة .

### **المصادرة وحل الكيان الإرهابى :**

وتقرر المادة (٣٩) بأنه مع عدم الإخلال بحقوق الغير حسن النية تقضى المحكمة فى كل حكم يصدر بالإدانة فى جريمة إرهابية، فضلاً عن العقوبة المقررة للجريمة، بمصادرة الأموال والأمتعة والأسلحة والأدوات والمستندات وغيرها مما استخدم فى ارتكاب الجريمة أو تحصل عنها، وبحل الجماعة الإرهابية وإغلاق مقارها وأمكنتها فى الداخل والخارج، فضلاً عن إغلاق أى مكان تمّ فيه تصنيع أو تصميم الأسلحة بمختلف أنواعها المستخدمة فى ارتكاب أية جريمة إرهابية، وغيرها فيما يكون قد استعمل أو أعد للاستعمال من قبل الإرهابى أو الجماعة الإرهابية .

كما تقضى المحكمة بمصادرة كل مال متى ثبت أنه كان مخصصاً للصرف منه على الأعمال الإرهابية. وهكذا حاصر المشرع بهذا القانون الإرهاب فى جميع صورته وأشكاله، وكافة أعماله وتصرفاته وجرائمه؛ حماية لهذا الوطن وممتلكاته.

## الهوامش:

- (١) المستشار لطفى سالماني رئيس نادي قضاة أسيوط: قانون مكافحة الإرهاب، ص ١.
- (٢) ومنه ما قامت به عصابة تنظيم داعش بتدمير آثار الموصل والعراق وحضارة تدمر بسوريا.
- (٣) مثل ما قامت به جماعة الإخوان وأنصار بيت المقدس من محاولات للضغط لإعادة الرئيس المعزول للحكم.
- (٤) د . فتحى سرور: الوسيط فى الإجراءات الجنائية، الطبعة الخامسة ٢٠١٣م، ص ١٣٧٧.
- (٥) الجريدة الرسمية: العدد ٣٣ مكرر، بتاريخ ١٥/٨/٢٠١٥ م .

## دور المجتمع فى مواجهة الإرهاب

د / مجدى محمد عاشور

المستشار الأكاديمى لفضيلة مفتى الديار المصرية

ورئيس أمانة الفتوى بدار الإفتاء المصرية

مصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومنْ والاه، وبعد، فإن أهل التطرف يعطون لأنفسهم الحق فى استخدام أى وسيلة لفرض الذات ما داموا قادرين على استخدامها وتبريرها من خلال أجهزتهم التبريرية النشطة، والتي تستغل عدم وقوف كثير من الناس على حقائق التاريخ المعاصر لتلك الجماعات الذى لم يجف مداده بعد.

وتنطلق هذه التيارات والجماعات من نظرتها إلى الواقع برؤية تشاؤمية سوداوية، حيث ترفض التنوع والتعددية، وتحارب الانفتاح والتقدم، بل ترى نفسها هى القابضة وحدها على الحق والحقيقة، ومن ثمَّ فهي تختزن إمكانية هائلة لممارسة النبذ والإقصاء والعنف تجاه المختلف والمغاير، سواء كان فردًا أو جماعة أو دولة، ويدعمها فى ذلك ما تحمله من رؤية أحادية ضيقة عبر متواليات نفسية وعقدية للمجتمع والحياة.

وهذا مما تسبب فى تشويه صورة العقيدة النقية، وتسطيح الهوية المستقرة، وإضعاف روح الانتماء إلى الأوطان، والتقليل من جهود أبناء الأمة المخلصين، فضلاً عن إغواء طائفة من أبناء الأمة وشبابها وإيقاعهم فى فخ الغلو والتكفير والتفجير، وحمل السلاح على إخوانهم من أبناء الوطن والدين تحت دعاوى وتوهمات غير حقيقية.

هذا الأمر يمثل دائماً النقطة المشكلة فى حل المعضلات، ومعالجة التحديات التى تواجه الأمة المصرية فى المحافظة على هويتها، والانطلاق إلى المستقبل بأفاق رحبة وبنسق مفتوح، مما يحتم



على الأمة التكاتف والتعاون وتنسيق الجهود وتحقيق تكاملها من أجل التصدي لظاهرة الإرهاب؛ لأننا قد أصبحنا فريسة مباشرة للإرهاب، والعنف والتطرف، هذا من جهة، مع محاولات البعض المستمرة لإلصاق التهمة بالمسلمين ووصمهم بأنهم إرهابيون، وتصعيد ظاهرة "الإسلامو فوبيا" من جهة أخرى.

ولذلك، فإنَّ هذه الورقة البحثية تهدف -منهجياً- إلى تسليط الضوء على تجلية الأدلة الشرعيَّة التي تُحتمُّ على المجتمع التكاتف ضد هذه الظاهرة، والكشف عن مفاصلها الخطيرة ولو إجمالاً، مع الاهتمام بذكر بعض المرتكزات التي يمكن الانطلاق منها في ذلك.

## أولاً: مفهوم الإرهاب

يمثل الوقوف على معرفة المفاهيم بصورتها الصحيحة محوراً أصيلاً في المناحي الفكرية بما يساعد على معالجة المشكلات؛ لأن الاختلاف حولها يزيد تعقيداً، وحيث إنه قد بات الاتفاق على تعريف جامع مانع للإرهاب يشكل تحدياً أكثر من التصدي لآثاره المدمرة، فإنه يحتاج إلى معالجة ضابطة وفق المعايير القيمية والموضوعية.

### ١- التعريف اللغوي:

كلمة "الإرهاب" مأخوذة من "رهب": التي تدور معانيها حول الإخافة والإفزاع والتوعد بسوء<sup>(١)</sup>، وتشتق من الفعل المزيد (أرهب): حيث يقال أرهب فلاناً: أى خوَّفه وفزَّعه، وهذا المعنى يدل عليه أيضاً الفعل المضعف (رَهَب).

والرهبة: الخوف والفرع، فى حين يدل الفعل المزيد بالتاء "تَرَهَّبَ" على الانقطاع والخلو عن الناس، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهينة والرهانية... إلخ، وإذا تعدى صار بمعنى توعد حيث يقال: تَرَهَّبَ فلاناً: أى توعدّه، وأرهبه ورهَّبه واسترهبه: أخافه وفزَّعه<sup>(٢)</sup>. وبذلك فإن مدلول كلمة الإرهاب من حيث اللغة، تعنى: الإخافة والإرعاب.

### ٢- التعريف الاصطلاحي:

تدور جملة التعريفات الاصطلاحية لكلمة "الإرهاب" حول معانى الخوف والرعب وأسبابهما. جاء فى المعجم الوسيط: ["الإرهابيون] وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية"<sup>(٣)</sup>.

وقال العلامة المراغي: "الإرهاب والترهيب: الإيقاع فى الرهبة، وهى الخوف المقترن بالاضطراب"<sup>(٤)</sup>.

وقد عرفه مجمع الفقه الإسلامى الدولى المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى المنعقد فى دورته الرابعة عشرة فى قراره رقم ١٢٨ [١٤/٢] بأنه: "هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله، بغير حق، بشتى صنوفه وصور الإفساد فى الأرض".

أما عن مفهوم الغرب لهذا المصطلح فإنه لم يتبلور مصطلح (الإرهاب) واقعياً إلا حينما أعلن روبسبير (Robespierre) بداية عهد الإرهاب أو الرهبة (Reign of Terror) فى فرنسا بتاريخ ١٠ من مارس ١٧٩٣م - ٢٧ من يوليو ١٧٩٤م .

ومن اسم هذه الفترة إطلاق كلمة (terror) التي يعنون بها: "رعب، ذعر، هول، كل ما يوقع الرعب في النفوس، إرهاب، عهد إرهاب"، والاسم منها (terrorism) يعني: "إرهاب، ذعر ناشئ عن الإرهاب"، و (terrorist) تعني: "الإرهابي"، والفعل (terrorize) يعني: "يُرهب، يُروّع، يُكرهه (على أمر) بالإرهاب"<sup>(٥)</sup>. كما عرفتته وزارة العدل الأمريكية سنة ١٩٨٤م بأنه سلوك جنائي عنيف يقصد به التأثير على سلوك حكومة ما عن طريق الاغتيال أو الخطف<sup>(٦)</sup>.

ويعرفه لاروس الفرنسي بأنه: الاستخدام المنظم لوسائل العنف وصولاً إلى هدف سياسي، أو مجموعة أعمال العنف التي ترتكبها مجموعة ثورية<sup>(٧)</sup>.

ويظهر من ذلك أن المعاجم العربية تناولت تعريف الإرهاب دون ضبط أو توصيف للأعمال التي ينشأ عنها الخوف والفرع، في حين اهتم مجمع الفقه الإسلامي الدولي بتوصيف هذه الأعمال معتبراً كلاً منها جريمة، قد تكون بسيطة أو مركبة، ومن ثمّ تحتاج إلى تصوير نوعية الجرم حتى يتسنى الحكم بعقوبة مناسبة له ولآثاره بصرف النظر عن بواعث فاعليه، في حين أننا نلاحظ أن المقترحات والممارسات الغربية المتداولة لتعريف "الإرهاب" اقتصرت على مراعاة الأهداف والصبغة السياسية للقائمين بهذه الأعمال التخريبية، ومن ثمّ حصل الخلط بين جرائم الإرهاب وبين المقاومة المشروعة، وتوظيف هذا المصطلح في خدمة مصالح الأطراف الأقوى.

كما أنه لا يصح الاستدلال على أن الإسلام الحنيف يحضّ على العنف والإرهاب لمجرد وجود مفردات "الرغبة" في الأدلة الشرعية؛ لأنها قد وردت في سياقات تخاطب المسلمين وتوجههم إلى ضرورة إعداد القوة الملائمة لعمليات الردع الفعلية والنفسية تجاه من تسول له نفسه قتال المسلمين والهجوم عليهم وعلى بلادهم، باعتبار ذلك عملاً وقائياً وخطوة للسلام، وهو مبدأ سياسي معتبر تراعيه كل الدول في سياساتها الدفاعية؛ حيث تحافظ على التوازن الإستراتيجي والعسكري لها أمام الدول الأخرى، مما يجنب في النهاية فرضية الدخول في حرب غير مرادة أصلاً.

### ٣- حكم الإرهاب:

يتسع الشرع الشريف عبر مقاصده، وأحكامه الحنيفية، ومذاهبه الفقهية المختلفة، لوصف أي جريمة وإعطاء العقوبة الملائمة لها قدرًا وهيئةً، لذا يمكن إدراج الأعمال الإجرامية والأفعال التخريبية الناتجة عن الإرهاب ضمن العقوبات والتعزيرات الشرعية التي تغطي مجال هذه الأمور، مثل أحكام الحرابة، وأحكام البغي، وأحكام الإفساد في الأرض .

وقد أدرج مجمع الفقه الإسلامي الدولي الجرائم الناجمة عن العمليات الإرهابية ضمن الحرابية في قراره رقم ١٥٤ [١٧/٣] بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب، حيث قرر في البندين (١، ٤) ما يلي:

— تحريم جميع أعمال الإرهاب وأشكاله وممارساته، واعتبارها أعمالاً إجرامية تدخل ضمن جريمة الحرابية، أينما وقعت وأياً كان مرتكبوها.

ويعد إرهابياً كل من شارك في الأعمال الإرهابية مباشرة أو تسيباً أو تمويلاً أو دعمًا، سواء كان فرداً أم جماعة أم دولة، وقد يكون الإرهاب من دولة أو دول على دول أخرى.

— تأكيد ما جاء في القرار المشار إليه أعلاه من أن الجهاد للدفاع عن العقيدة الإسلامية وحماية الأوطان أو تحريرها من الاحتلال الأجنبي ليس من الإرهاب في شيء، ما دام الجهاد ملتزماً فيه بأحكام الشريعة الإسلامية.

كما أن الأعمال الإرهابية تتوزع نوعية جُرمها وعقوبتها وفق العقوبات والحدود الشرعية المختلفة من الإرجاف<sup>(٨)</sup>، والحرابة<sup>(٩)</sup>، والبغي<sup>(١٠)</sup>، والتترس<sup>(١١)</sup>، والتبئيت<sup>(١٢)</sup>، والإغارة<sup>(١٣)</sup>، ودفع الصائل<sup>(١٤)</sup>، بما يلائم كل نوع منها حسب طبيعته وآثاره، وسواء كان مرتكبه فرداً أم جماعة أم دولة.

ويمكن في ضوء ذلك صياغة قانونية متطورة للجرائم الإرهابية، مع دمج الجرائم المنظمة كتجارة السلاح وتصنيعه دون ترخيص، وتجارة الجنس والإباحية والأعضاء البشرية، وترويج المخدرات، وأعمال العنف الناشئة عن التشكيلات العصابية، سواء كان المستهدف بها تخويف الأمنيين والتعرض للمدنيين، أو شل النظام العام للدول .

ونؤكد في هذا السياق على أن نسبة الأعمال التخريبية التي يقوم بها الإرهابيون إلى مصطلح الجهاد ما هو إلا تدليس وتلبيس حتى ينطلى هذا الفساد والإرجاف على ضعاف العقول.

كما ينبغي أن يلاحظ أنه ما لم يُضبط مفهوم الإرهاب في ضوء المبادئ العقلية والمنطقية والشرعية، مع تحية الحسابات السياسية ومصالح الطرف الأقوى عنه، فإن المحاولات الحثيثة المبذولة في التصدي لظاهرته، ومكافحة آثاره، ستكون إجمالاً بمثابة حرب على عدو افتراضى مجهول السمات، بل إن في ذلك دعماً لوجوده وانتشاراً لحواضنه، مما يستوجب التعاون والتكاتف بين الجميع للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة التي مُنبت بها الأمة.

## ثانياً: تكاتف المجتمع للقضاء على الإرهاب

### ١- مشروعية التكاتف:

ظهر من خلال النقاط السابقة أن الأعمال الإرهابية صور لعدة جرائم لها عقوبات محددة وملائمة منصوص عليها في الشرع الشريف منطوقاً ومفهوماً؛ كالإرهاب والحرابة والبغى والتترس والتبنييت والإغارة ودفع الصائل، كما أن مرتكبه قد يكون فرداً أو جماعة، وقد يكون من دولة أو دول على دول أخرى .

وجملة هذه المعاصي والمنكرات القطعية شرعاً وقانوناً وعرفاً توجب شرعاً وواقعاً على المجتمع بكافة أفراد وطوائفه ومؤسساته الوقوف ضدها بمختلف صورها ومجالاتها وأفرادها، وتحتمّ التكاتف والاتحاد للقضاء على هذه الظاهرة الخبيثة حسب الوسائل المتاحة والاختصاصات المتنوعة، حيث يقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١) .

وقال ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»<sup>(١٥)</sup>، وقال ﷺ: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه، فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا»<sup>(١٦)</sup>.

قال الإمام ابن العربي المالكي: "الأدلة القاطعة قد قامت على أن أحداً لا يعاقب بذنب أحدٍ لا على العموم ولا على الخصوص، ولكن من ذنوب العامة والخاصة: التواطؤ بالباطل، وترك التناهي عن المنكر، وهو الذي أنكر على قوم لوطٍ وعلى بنى إسرائيل في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ (المائدة: ٧٩) وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض العالمين، وخلافة المرسلين، ومصالحة الخلق أجمعين، وأكد فروض الدين، فإذا ترك عُوجَل الناس بالعقوبة"<sup>(١٧)</sup>.

وبذلك أمر الشرع الشريف بالأخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وبغيه، بل حذر رسول الله ﷺ من السلبية والتغاضي عن الظلم، جاعلاً ذلك مستوجباً لوعيد الله تعالى وعقابه الأليم؛ وذلك لخطورة سلبية المجتمع تجاه مثل هذه القضايا والجرائم المنظّمة، حيث تساعد هذه السلبية على تهيئة المناخ وتوسيع الحواضن لهذه الجرائم وانتشارها واستفحالها دون مقاومة.

ولا يخفى أن الأعمال الإرهابية والأفكار المتطرفة والمتشددة تستوجب تكاتف المجتمع وتعاون أطرافه فيما بينهم على مكافحتها ودحرها والقضاء عليها؛ لأنها المنكرات القطعية شرعاً، من إشاعة التكفير، وسوء الظن بالأمة عامة وخاصة، وقتل الغافلين، وإتلاف الأموال والمنشآت والممتلكات العامة والخاصة، وإتلاف المال وإضاعته مما جاء الشرع بتحريمه، وتزداد الحرمة وتتضاعف إذا كان هذا المال المتلف ليس مملوكاً للمتلف بل هو مملوك لغيره، كما هو الحال هنا، فتتعلق الحرمة بمخالفة نهى الشرع من جهة وبحقوق المخلوقين من جهة أخرى.

كما أن هذه الأعمال التخريبية تجر على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مفسد، خطيرة، منها:

— أنها تستعمل كتكأة وذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد الإسلامية، والتسلط عليها، واستغلال خيراتها، وانتهاب مواردها، بحجة ملاحقة الإرهاب أو المحافظة على المصالح الاقتصادية أو تحرير الشعوب، فمن أعان هؤلاء على تحقيق مقصدهم وبلوغ مأربهم بأفعاله الخرقاء فقد فتح على المسلمين وبلاد الإسلام ثغراً، وأعان على انتقاص المسلمين والتسلط على بلادهم، وهذا من أعظم الإجرام.

— أن هذه الأفاعيل الخسيسة تؤكد لغير المسلمين الشائعات والانتهاكات الباطلة التي يلصقها أعداء المسلمين بدين الإسلام، من أنه دين همجي دموي غايته قهر الشعوب، والفساد في الأرض، وهذا كله من الصد عن الله وعن دين الله .

— ما يترتب على ذلك من تعريض المسلمين الموجودين في بعض البلدان الأجنبية للاضطهاد والتكيل من قبل المتعصبين، فيتعرضون للإيذاء الشديد في أنفسهم وذويهم وأموالهم وأعراضهم، وقد يضطر بعضهم إلى الإسراع بدينه، أو التخلي عن بعض الشعائر<sup>(١٨)</sup>.

— أصبحت هذه الأعمال الخبيثة أشد خطورة مما سبق؛ حيث نلاحظ في الآونة الأخيرة استهدافاً واضحاً لكافة أطراف المجتمع ومختلف مؤسسات الدولة، وممارسة أساليب عنصرية ضد الفتيات والنساء، بل إن هناك محاولات متكررة لوأد التراث الإنساني، ونشويه التاريخ والآثار؛

فضلاً عن استهداف دور العبادة وتهديد المصلين فيها، ولم يسلم منها مسيحي أو مسلم.  
- تعتمد أهل التطرف والتشدد ممارسة أمور من شأنها التمييز بين أبناء الوطن الواحد على أسس دينية وطائفية، تحت دعاوى وشعارات حماسية تعتقد أنها تناصر الدين على الكفر، على الرغم من أن هذه الدعوات وتلك الممارسات في الواقع لا تصب إلا في اتجاه تفرقة حقيقية للمجتمعات والأوطان يصعب التئامها مرة أخرى.

- تديج التيارات المتشددة والمتطرفة بيانات متكررة وتأويلات مشوهة من أجل زعزعة سلطان الحكام ومؤسسات الدولة، وتكفير نظام الحكم في بلاد المسلمين، ويتوسع الأمر ليشمل كل من والى الحكومات والأحزاب، أو شارك في المظاهر المدنية التي اتخذتها الدولة المعاصرة شعاراً لها، كتحية العلم، والوقوف للسلام الوطني، والوقوف دقيقة حداداً، وهكذا يوصم فاعل ذلك بالشرك والكفر والبدعة جهلاً وافتراءً.

ويضاف إلى ذلك أن هذه التيارات تعمل على ترسيخ القطيعة بين الأمة ومرجعياتها الدينية والعلمية من خلال مهاجمة المؤسسات الدينية ومناهجها، رمياً إياها بالشرك، زعمًا بأن هذه المؤسسات هي حامية الكفر والحاملة له، على الرغم من كونها هي الحاضنة الشرعية لفكر الوسطية في المجتمع العالمي من التطرف والانحراف.

كما أنه لا تقف هذه التيارات تشكك المسلمين وتضلّهم في عقيدتهم، وفي ثوابتهم الدينية الراسخة التي توارثوها جيلاً بعد جيل؛ حتى تموت روح العاطفة في نفوسهم، قصداً إلى رفع قيمة مبادئهم المغلوطة فوق مبادئ سواد الأمة الأعظم، وذلك عن طريق بث عدم الثقة في علمائهم أولاً، وفيما ورثوه عن آبائهم، فنجدهم يخالفون ما تعارف عليه عمل المسلمين.

هذه الأوامر الشرعية القطعية والآثار السلبية للإرهاب تؤكد حتمية تكاتف المجتمع -بل تعاون البشرية جميعاً- شرعاً وواقعاً؛ لأن الإرهاب -سواء كان بحمل السلاح أو بتدعيمه بالفكر أو الفتوى- ليس ضد دولة معينة أو مؤسسة خاصة أو شخص بعينه؛ إنما هو ضد المجتمع كله، بل لا نبالغ عندما نقول: إنه ضد العالم أجمع، فهو أداة خبيثة للتدمير، وإشاعة الفوضى، وبث الرعب؛ بما يجعل هذه الظاهرة محور تهديد مستمر للسلم والاستقرار المحلي والإقليمي والعالمي.

## ٢- وسائل المواجهة وأدوارها :

لا شك أن الإرهاب ينتشر في صور عدة، ومن ثمّ تنتوع طرق مقاومته، وبصرف النظر عن أى ذرائع أو شُبُه يسوقها هؤلاء تبريراً لأفعالهم ودعمًا لوجودهم، فإن الإرهاب جريمة لا مبرر لها، لكنه له دوافع ومناهج وأهداف، ولذا فلا بد للمجتمع من التكاتف وتوحيد الجهود ودعم مؤسسات الدولة في مكافحة هذه الظاهرة؛ وذلك لما يمتلكه المجتمع من أدوات فاعلة ومتعددة، ونطاق العمل في سبيل ذلك لا حدود له، ومن ذلك:

— الالتفاف حول الوطن، ودعم مؤسسات الدولة في القيام بواجبها تجاه هذه الظاهرة، والتي يتصدر أولوياتها التصدي بالقوة من قبل الجهات والمؤسسات الأمنية؛ خاصة إذا اقترنت بتكفير العامة وأصبح لأصحابها منعة وشوكة، حتى تنكسر شوكتهم ويفيئوا إلى الحق ويرجعوا إلى السواد الأعظم للأمة؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: ٩) ، يقول الإمام الشافعي: "أمر الله بقتال الفئة الباغية، وأمر بذلك رسول الله ﷺ، وليس القتال من القتل بسبيل؛ قد يجوز أن يحل قتال المسلم ولا يحل قتله، كما يحل جرحه وضربه ولا يحل قتله" (١٩).

— عدم توفير الحواضن الآمنة للإرهاب والتطرف بمختلف الوسائل الممكنة؛ ابتداء من إيوائهم، ومروراً بالسلبية عن الإبلاغ عن التحركات والأنشطة المشبوهة، والتستر عليهم، وانتهاءً بالمساعدة في هروبهم من العدالة، ويُعد ذلك كله من أكبر صور المشاركة في جريمة الإرهاب والإرجاجاف، وفاعل ذلك مستحق للعنة من الله تعالى؛ وفيه يقول النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحَدِّثًا» (٢٠)، واللعن إنما يكون على الكبيرة، والمُحَدِّثُ: هو الذى جنى جناية، وهو أيضاً صاحب الفتنة، وإيواؤه: حمايته وإخفاؤه، والحيلولة بينه وبين ما يحق استيفاءؤه؛ ولا يخفى أن القتل والتخريب الذى يمارسه الإرهابيون هو من أشد صور الفتنة ظلماً وفساداً وبغياً، ولذلك كان من آواهم مشاركاً لهم فى أفعالهم الإجرامية وإفسادهم فى الأرض، مستوجباً للعنة الله تعالى (٢١).

— الالتفاف حول المؤسسات الدينية المتمثلة فى الأزهر الشريف؛ وهو المظلة الكبرى، ووزارة الأوقاف، ودار الإفتاء، وجميعها يبذل جهداً مشكوراً تجاه الأمة: من تعليم العلوم لطلاب العلم على كافة المستويات والأدوار التعليمية، ومن التوجيه الإرشادى لعموم الأمة بالأمر الشرعية عبر الوسائل المختلفة، وبحث قضايا الأمة من خلال تكوين المراكز البحثية والهيئات والمجامع



العلمية المتخصصة، وعقد المؤتمرات العالمية، وكذا التصدى لبيان الجواب الشافى لبعض الشبهات التى توردها هنا أو هناك، وإصدار الفتاوى التى توضح للناس ما يشغلهم من أمور الدنيا والآخرة. — تعزيز أدوار المؤسسات الفاعلة؛ كل فى اختصاصه، مثل: دور العلماء والفقهاء والدعاة والمؤسسات والهيئات العلمية العامة والمتخصصة فى نشر الوعي لمكافحة التطرف ومعالجة أسبابه، ووأد ما يصدر من ممارسات تسيء إلى الإسلام فى وسائل الإعلام المختلفة؛ تأكيداً للتعايش القائم على الوسطية، ومنعاً لثقافة العداة والكراهية.

— ترسيخ مواجهة هذه الأفكار والأعمال بالمحافظة على الفكر الصحيح فى المجتمع، وحمايته من التطرف والانحراف، وحماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية؛ وذلك من خلال تقديم المجتمع للعلماء المشهود لهم بالعلم والكفاءة لنشر المنهج الإسلامى الصحيح فى المساجد والزوايا ومختلف المحافل، من خلال الحملات التوعوية والبرامج الإرشادية والدروس واللقاءات الدينية، وذلك من أجل إعاقة أى عمليات تجنيد جديدة .

— ضرورة اتخاذ الأساليب والطرق المختلفة لاحتواء الشباب ووقايتهم من مخاطر الإرهاب والتطرف، من خلال الالتزام بتقديم نموذج نقى صحيح للتدين، والسعى الجاد فى أن يكون هذا ثقافة عامة سائدة، وترسيخ واستنهاض مشاعر الترابط بين جميع فئات المجتمع وشرائحه، وتوعية المجتمع بأضرار وعواقب التعصب والتشدد، وأخذ العبرة من المجتمعات التى تعانى من هذه الآفات الفكرية التى تفتك بنسيجها الوطنى، وتوجيه طاقات الشباب واستثمارها لصالح الوطن، والحرص على مشاركتهم لرصد رؤاهم تجاه الوطن .

— تبنى سياسة الاحتواء الفكرى لمن وقع من الأبناء فى براثن الإرهاب والتطرف، ذلك لأن الاحتواء سيحدث تقارباً بينهم وبين محاورهم من المجتمع خاصة العلماء من جميع التخصصات ذات الصلة، مما يفتح آفاقاً للحوار والسماع، فإن استمعوا وفتحوا آذانهم وقلوبهم كان هذا أدعى إلى إقناعهم، مع مراعاة أن يتم تنفيذ ذلك على نحو متوافق مع القوانين والتشريعات المختصة بالموضوع.

وفى هذا الإطار يمكن أن يستثمر المجتمع ومؤسساته الأصوات ذات النفوذ والاحترام لإطلاق حملات إعلامية اجتماعية واسعة النطاق، تستهدف نشر الوعي، وترسيخ الثوابت الدينية والوطنية، وكشف المستور عن الأعمال والمواقف والمفاهيم المسيئة لهذه الثوابت الراقية.

— تعزيز ثقافة العمل التطوعى من خلال إنشاء كيانات داعمة للعمل التطوعى لأفراد المجتمع خاصة الشباب، من أجل نبذ قيم العنف والتطرف، ونشر قيم السلام والتعايش، ومحاربة الإرهاب بشتى أنواعه.

— اتخاذ مختلف الأسباب التي تبني العلاقات وتربط الأواصر المتبادلة لأفراد المجتمع، وتقلل الخلافات أو تفضيها دون تباطؤ، مع الالتفاف حول المصالح الوطنية والأهداف المشتركة، وتعميق الشعور بالهوية والانتماء إلى الوطن.

— إشاعة ثقافة التعددية والاختلاف وقبول الآخر لمواجهة آثار الانغلاق الفكري، والتسطيح العلمي والثقافي، التي بثها أهل الإرهاب والتطرف من خلال إثارة مسائل الخلاف على أن رأيهم فيها هو الممثل للحق والصواب وما عداه لا يعدو البدع والضلال، بل يجعلون ذلك مناطاً للولاء والبراء، على الرغم من كونها مسائل خلافية قديمة لم تكن حديثة، وقد فرغ كل مذهب مما قاله بأدلته وسطر ذلك في كتبه المعتمدة، ومن هذه المسائل: الجهر بالبسملة في قراءة الفاتحة في الصلاة الجهرية، والأذان الثاني في يوم الجمعة، وصلاة العيد في الساحات، والتكبير في العيدين.

وفي هذا اتباع لسنن سلف هذه الأمة الذين ما كان اختلافهم ليخرجهم عن التزام الأدب في تناول تلك المسائل الخلافية، فعلى الجانب العملي: وُجِدَتْ كثير من المناظرات المليئة بأدب الخلاف حكمتها لنا كتب التاريخ والتراجم، هذا إلى جانب القواعد التي أسسها الفقهاء في التعامل مع الخلاف من الأدب مع المخالف، ومراعاة الخلاف، وجواز تقليد المذهب الآخر، والانتقال من مذهب إلى مذهب .

وبذلك رسّخوا لقاعدة: "لا إنكار في المختلف فيه"، بمعنى ألا يعاتب الشخص آخر أو ينهاه عن العمل برأيه لأنه مخالف لما يراه، أو ينسب قوله إلى المنكر مستخدماً طرق الإنكار الثلاث المنصوص عليها في الحديث - اليد أو اللسان أو القلب - سبيلاً للتغيير، أو مجرد الاعتراض على عملٍ موافق لرأى مجتهد معتبر في تلك المسائل الخلافية.

— عدم الانصياع للشائعات، أو الانسياق وراء ممارسات الانسلاخ عن دعم الدولة تحت أي دعاوى لامعة، والتخلي عن سمات التمييز على حسب النوع، بل ينبغي تفعيل دور المرأة في ترسيخ ثقافة السلام من خلال تربية الأبناء تربية حسنة، وملاحظة سلوكياتهم، والعمل على تقويمهم أولاً بأول.

— الاهتمام بتحسين جودة التعليم والثقافة، وتصحيح مفهوم الدين والسلوك المجتمعي، من أجل رفع مستوى الوعي للفرد والمجتمع وتحسينه فكرياً وثقافياً، حتى لا يقع فريسة للإرهاب أو حيل المتطرفين، ولو كان ذلك على سبيل التعاطف وفرض حسن الظن فيهم.

— ضرورة تشييد جدار الثقة بين المواطن والجهات الأمنية، وتهيئة إعلام توعوي قادر على تدعيم روح المسؤولية، وترسيخ روح التعايش وسمات المواطنة بين أبناء الأمة، واستثمار الأدوات

المناسبة والناجزة لتصحيح الصورة المشوهة فى كثير من العقول؛ خاصة الأداة الإعلامية، سواء من خلال بث المواقع الإلكترونية أو التصريحات الصحفية والحوارات والمقالات، بالإضافة إلى لقاءات العلماء مع الشخصيات المهمة المؤثرة، مزامنة مع دعم التكوين العلمى وتأهيل العاملين فى الحقل الفكرى والثقافى والتربوي.

– التريث والتحقق وعدم الانسياق وراء ما تنتشره التيارات الإرهابية والمتطرفة فى كافة الوسائل التكنولوجية الحديثة، لأنهم يجتهدون فى تهيئة المجتمع للفوضوية حتى لو فى العالم الافتراضى من خلال التحريض والتهييج وبث الشائعات، حتى يستميلوا قلوب وعقول الرأى العام خاصة الشباب من الجنسين، وجرهم لطريق التطرف والتشدد والعنف.

– ولا يخفى للمتابع فى الآونة الأخيرة لسبل مواجهة ظاهرة الإرهاب والتطرف أنه يجد أن هناك خطوات إيجابية من قبل الدول ومختلف المجتمعات الإنسانية خاصة مصر المحروسة، والتي تعمل وفق خطط إستراتيجية متكاملة، تشمل مختلف الجوانب الفكرية والثقافية والقانونية والأمنية والدبلوماسية عكفت على صياغتها ورش عمل نشطة مكونة من الجهات والمؤسسات والمراكز ذات الصلة بالموضوع.

**وفى هذا الإطار أؤكد على عدة ملامح رئيسية حتى ينسجم التلاحم والتكاتف المجتمعى مع الأدوار التى تقوم بها الجهات المختلفة، والتي من أهمها:**

١- تعزيز سمات الهوية المصرية ونشر ثقافة التسامح والحرية المسئولة فى المجتمع.  
٢- ضرورة التنسيق والتكامل فى الأدوار بين المؤسسات المختلفة وطبقات المجتمع وأفراده، مع توفير الدعم المطلوب والتطوير المستمر لكافة المؤسسات من حيث المناهج والرؤى والخدمات حتى تصبح مؤسسات قادرة ومستقرة؛ بغية بيان هشاشة المنطلقات الاجتماعية وضعف المرتكزات الاقتصادية وكذب المبررات الفكرية لهذه التيارات

٣- حثُّ المؤسسات الدينية كافة، ووزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالى والبحث العلمى، ووزارة الثقافة، ووزارة الشباب، إلى مواصلة بذل العناية لموضوع الإرهاب والتطرف، من خلال تطوير أسلوب الخطاب ووسائله وفق مقتضيات العصر ومعالجة قضاياها فى المناهج التعليمية، وعقد الندوات المتخصصة والمحاضرات المكثفة، واللقاءات العلمية والتدريبية؛ لنشر منهج الوسطية والاعتدال، وإبراز صورة الأديان المشرقة التى تحرض على قيم التسامح، والمحبة، واليسر، والتعاون على الخير.

٤- دعوة جميع وسائل الإعلام إلى تحرى الدقة فى اختيار المفتين والشرعيين الذين يعالجون الموضوعات الشرعية، مع توسيع المساحة الدينية المعروضة من أجل تواصل أفضل مع الجمهور للتعليم والتوعية، مزامنة مع إلزام القائمين على الإفتاء من علماء وهيئات ولجان إلى أخذ قرارات وتوصيات هيئة كبار العلماء ومجمع البحوث الإسلامية وفتاوى دار الإفتاء المصرية بعين الاعتبار؛ سعياً إلى ضبط الفتوى وتوحيدها.

٥- حث المواطنين على الوعى الصحيح وترسيخ المرجعية الدينية والثقافية والوطنية لمؤسسات الدولة، وتنمية الشعور لديهم بمسئولية المواطن الحق فى التعاون مع كافة أجهزة الدولة المعنية فى مواجهة المشتركة للتطرف.

٦- سنُّ تشريعات عقابية رادعة لمن ينتمى لهذه التيارات بعد التصنيف فكرياً أو منهجياً بأى صورة كانت، أو حصل منه تقديم أى صورة من صور الدعم مادياً أو معنوياً.

٧- دراسة وتحليل الإرهاب والتطرف، الفكرى العام وأسبابه دون الاقتصار على نوعيته ومظاهره وقنواته؛ من أجل وضع خطة طموحة للتصدى لهذه الظاهرة قائمة على تحليل بيئى معمق للأوضاع المولدة للإرهاب والتطرف، مع ملاحظة مدى قابلية ذلك للتطبيق على أرض الواقع بحسب الأبعاد المختلفة، مع تشكيل ورش عمل مكونة من الجهات المختصة لإعداد قوائم بالتيارات والجماعات التى تنتشر التطرف وتدعمه، مع مراعاة تحديثها دورياً.

٨- التأسيس لدعائم قيمية لممارسات وأنشطة مؤسسات الخير والبر والإغاثة؛ حتى يتم تجنبها من الانزلاق فى متاهات الخلافات المذهبية والسياسية، مع وضع ميثاق يجمع بين العاملين فى الحقل المجتمعى سواء أكانوا أفراداً أم منتمين لجمعيات مدنية، حتى ترسم من خلاله حدود وضوابط العمل الخيرى والفكرى والدعوى، ولمساعدة هؤلاء على مزاولة أنشطتهم وخدماتهم سواء الدعوية والخيرية بانسجام وتوافق وتنسيق.

٩- المسارعة إلى إذابة الستار وكشف القناع عن إساءة استعمال الأديان والأمور الشرعية بغرض التلبيس والتدليس والخداع، وذلك من خلال القوائم التى تحدث دورياً والراصدة للتيارات التى تبث التطرف والعنف، والكاشفة عن مصادرها ومقاصدها، مزامنة مع شرح حقائق الأديان الصحيحة التى تؤكد على الكرامة الإنسانية والحرية الفكرية، وتحرض الإنسان على التعمير والتحضر.

١٠- متابعة ورصد وتحليل ومواجهة هذه الأفكار والآراء المتشددة التي تُحدث بلبلة في المجتمع وفق المنهج العلمي الصحيح؛ بقصد تنقية وتصحيح وتصويب الساحة الدينية مما أصابها من ظواهر التكفير والتطرف وتطويع الآراء الدينية لخدمة أهداف خبيثة؛ خاصة المسائل التي تتعلق بالهوية المصرية، وهي حوالى ٢٥٠ مسألة، ومن أبرزها، لمز مؤسسات الدولة: الدينية والوطنية، وقضايا التعايش مع شركاء الوطن، وتحية العلم، والوقوف حداداً للشهداء، والصلاة فى مساجد آل البيت والأولياء الصالحين العامرة، والاحتفال بالأعياد الوطنية والمناسبات الدينية، ويوم الميلاد، ويوم اليتيم، وقضايا المرأة.

١١- ينبغى إطلاق البرامج الحوارية بين الشباب والمجتمع لتعميق التفاهم وترسيخ التعايش واحترام الكرامة الإنسانية؛ فضلاً عن تأهيل وتدريب هؤلاء الشباب من خلال برامج مدروسة ومطورة، مع استخدام مصطلحات توصيفية قوية مساوية لأعمالهم الإجرامية، والاهتمام بتنوع وكثرة المؤلفات الناقدة لأفكار الإرهاب والمتبعة للأساليب العلمية بصورة كافية.

**وأرجح أن نجاح هذه الجهود فى هذا الملف الشائك ينبغى أن تنطلق فى المواجهة معه من خلال التفريق بين ثلاثة مستويات؛ التشدد والتطرف والإرهاب:**

— فالتشدد والتطرف يكون التصدى لهم بالتأهيل النفسى والمجتمعى والمراجعات الفكرية، فضلاً عن تبنى سياسة الاحتواء الفكرى لمن وقعوا فى براثن التطرف، ذلك لأن الاحتواء سيحدث تقارباً بينهم وبين محاورهم من العلماء، مما يفتح آفاقاً للحوار والسماع، فإن استمعوا وفتحوا آذانهم وقلوبهم كان هذا أدعى إلى إقناعهم.

— أما من اتهم فى قضايا العنف وارتكب الجرائم الإرهابية فالأمر هنا يكون بيد القضاء لا بيد غيره، فضلاً عن وجوب التصدى بالقوة وبحسم من قبل الجهات والمؤسسات الأمنية لأى تهديدات تمس الأمن القومى بصوره المختلفة.

— وهناك قضية أخرى وهى ضرورة عدم الاقتصار على التطرف الناتج عن التشدد والتعصب الدينى فقط؛ بل نوسع إطار المعالجة ليشمل كل تطرف فكرى بوجه عام، وكافة الأسباب المؤدية إلى هذا التطرف.

والخلاصة أن هناك ضرورة شرعية وواقعية تقتضى تكاتف المجتمع أفراداً ومؤسساتٍ ودولاً، مع تصعيد أدواته الإيجابية وتنشيط جهوده ضد الإرهاب والتطرف وفق القيم الأخلاقية والتربوية، بما يشكل عاملاً أصيلاً فى القضاء على ظاهرة الإرهاب، وبما يحول أيضاً دون تأثر أفراده بالأفكار المتطرفة والأنماط السلوكية المنحرفة ويدفع أخطار ذلك عن نفسه.

## الخاتمة

بعد استعراض ما سبق من نقاط من شأنها التأكيد على حتمية التكاتف المجتمعي للقضاء على الإرهاب شرعاً وواقعاً، فهذه خلاصة ما توصلت إليه وما لمستته من نتائج:

— أهل التطرف يتخذون من الإرهاب والعنف وسيلة لفرض الذات، ورفض التنوع والتعددية، ومحاربة الانفتاح والتقدم .

— كلمة الإرهاب مشتقة من الفعل المزيد "أرهب" الذى يعنى الإخافة والإرعاب، وتعنى فى الاصطلاح: العدوان أو التخويف أو التهديد - مادياً أو معنوياً - الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، فى دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق، بشتى صنوف وصور الإفساد فى الأرض.

— اقتصرت المقترحات والممارسات الغربية المتداولة لتعريف "الإرهاب" على مراعاة الأهداف والصبغة السياسية للقائمين بهذه الأعمال التخريبية، ومن ثمّ حصل الخلط بين جرائم الإرهاب وبين المقاومة المشروعة، وتوظيف هذا المصطلح فى خدمة مصالح الطرف الأقوى.

— يمكن فى ضوء العقوبات والحدود الشرعيّة المختلفة من الإرجاف، والحراية، والبغي، والتترس، والتبنييت والإغارة، ودفع الصائل صياغة قانونية متطورة للجرائم الإرهابية مع دمج الجرائم المنظمة كتجارة السلاح وتصنيعه دون ترخيص، وتجارة الجنس والإباحية والأعضاء البشرية، وترويج المخدرات، وأعمال العنف الناشئة عن التشكيلات العصابية سواء كان المستهدف بها تخويف الأمنيين والتعرض للمدنيين أو شل النظام العام للدول .

— تكاتف المجتمع ضد الإرهاب حتمٌ بالشرع وضرورة بالواقع؛ لكونه أداة خطيرة وخبیثة لانتشار الخراب والتدمير للعمران والحضارة، وإشاعة الفوضى والاضطراب فى البلاد وبين العباد، وبث الرعب والخوف فى نفوس الأمنيين، وتهديد مستمر للسلم والاستقرار المحلى والإقليمى والعالمى.

— نطاق العمل فى سبيل مواجهة الإرهاب والتطرف لا حدود له، وينبغى أولاً الالتفاف حول الوطن ودعم مؤسسات الدولة فى القيام بواجبها تجاه هذه الظاهرة، مع تصعيد أدوات المجتمع الإيجابية وتنشيط جهوده ضد الإرهاب والتطرف وفق القيم الأخلاقية والتربوية، بما يشكل عاملاً أصيلاً فى القضاء على ظاهرة الإرهاب، وبما يحول أيضاً دون تأثر أفرادها بالأفكار المتطرفة والأنماط السلوكية المنحرفة ويدفع أخطار ذلك عن نفسه.

- (١) تراجع مادة: (ر.هـ . ب) في: لسان العرب لابن منظور، ٨ / ٣٣٧، والصاحح للجوهري، ١ / ١٤٠.
- (٢) ينظر: القاموس المحيط، باب الباء فصل الرءاء، ص: ١١٨، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ٤٠١، مادة (ر.هـ . ب) .
- (٣) ينظر: المعجم الوسيط، باب الرءاء، ص ٢٨٢ .
- (٤) ينظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥م، ١٠ / ٢٢.
- (٥) ينظر: المورد- قاموس إنكليزي عربي، البعلبكي (منير) دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣١، ١٩٩٧م، Oxford Universal Dictionary, Compiled by Joyce M. Hawkins, Oxford University Press, ٧٣٦ p, ١٩٨١, Oxford.
- (٦) ينظر: الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.أمل اليازجي ود.محمد عزيز شكري، دار الفكر المعاصر- بيروت، ص ١٢٩.
- (٧) ينظر: قاموس لاروس، حرف T.
- (٨) الإرجاف في اللغة هو الاضطراب الشديد، ويطلق على الإكثار من بث الفتن والإشاعات وذكر الأخبار السيئة، ويعنى في استعمال الفقهاء: ترويح الكذب وإشاعة الباطل بما يوقع الفزع والخوف في المجتمع. وتدخّل تحت هذا المعنى "الشائعة": فهي عند علماء الاجتماع: "تدوير" لخبرٍ مختلق لا أساس له من الواقع، باعتماد المبالغة أو التهوين في سرد خبر فيه جانبٌ ضئيلٌ من الحقيقة؛ وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو النوعي، تحقيقاً لأهداف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو عسكرية، على نطاق دولةٍ واحدةٍ أو عدة دول، أو النطاق العالمي أجمعه". ينظر: تفسير القرطبي، ط. دار الكتب ١٤ / ٢٤٥، الرأي العام والحرب النفسية" لمختار التهامي، ط. دار المعارف، القاهرة (ص: ١١).
- (٩) الحراية من الحرب بمعنى السلب ونقيض السلم، وتسمى قطع الطريق، ومعناها عند أكثر الفقهاء: البروز لأخذ مال، أو لقتل، أو لإرعاب على سبيل المجاهرة مكابرة، اعتماداً على القوة، مع البعد عن الغوث والنصرة، وزاد المالكية محاولة الاعتداء على العرض مغالبة. ينظر: بدائع الصنائع للكاساني، ٧ / ٩٠، والمدونة لابن قاسم، ٦ / ٣٠٣، والإقناع لحل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني، ٢ / ٢٣٨، والمعنى لابن قدامة.
- (١٠) البغي لغة: هو الظلم والعدول عن الحق، واصطلاحاً: هو الخروج عن طاعة الإمام بتأويل غير قطعي الفساد. ينظر: نهاية المحتاج للرملي، ٧ / ٤٠٢.
- (١١) التترس: هو الاحتماء والتستر بالترس-آلة في الحرب-، والترس كذلك، خشبة أو حديدة توضع خلف الباب لإحكام إغلاقه، وفي الاصطلاح: هو الاحتماء بالمدنيين من غير المحاربين كالشيوخ والنساء والأطفال أثناء المواجهة. ينظر: المصباح المنير مادة (ت . ر . س).
- (١٢) التبييت: مصدر بيئت الأمر؛ إذا دبّره ليلاً كناية عن المؤامرة والخفاء، ويطلق على المداهمة ليلاً وعلى حين غفلة. ينظر: حاشية القليوبي على شرح المحلي مع حاشية عميرة، ٤ / ٢١٨ .
- (١٣) الإغارة: تطلق على الهجوم فجأة، وعلى غفلة. ينظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (غ . و . ر)، ٢ / ٤٥٦.

- (١٤) الصيال: مصدر صال يصول، بمعنى الاستطالة، والاستعلاء على الغير بغير حق. ينظر: مغنى المحتاج، ٤/ ١٩٤.
- (١٥) سنن الترمذى: أبواب الفتن، باب ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم: ٢١٦٨.
- (١٦) سنن أبى داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم: ٤٣٣٩.
- (١٧) ينظر: القبس فى شرح موطأ مالك بن أنس، ط. دار الغرب الإسلامى، ص ١١٧٤.
- (١٨) ينظر: فتوى دار الإفتاء المصرية رقم ٦٦٧ لسنة ٢٠٠٩م، وفتوى رقم ٣٢٣ لسنة ٢٠١٣م.
- (١٩) ينظر: السنن الكبرى للبيهقى، ط. دار الكتب العلمية ٨/ ٣٢٦.
- (٢٠) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الأضاحى، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، رقم: ١٩٧٨.
- (٢١) ينظر: فتوى دار الإفتاء المصرية رقم ٤٣١ لسنة ٢٠١٧م.



## المخاطر الاقتصادية للإرهاب

الأستاذ الدكتور/ عثمان أحمد عثمان

رئيس قسم الاقتصاد والمالية

ووكيل المعهد العالى للدراسات الإسلامية

مصر

الاستقرار والأمن الاجتماعى والسياسى من أهم مقومات التنمية الاقتصادية، فبدون الأمن لا تكون هناك تنمية وبدون ذلك تنهار الدول، فالإرهاب يؤثر على التنمية الاقتصادية وعلى الاستثمار والتمويل للمشروعات بالسلب، والاقتصاد يشمل السياحة والتمويل والاستثمار والسياسة النقدية. ويؤثر الإرهاب فى زيادة البطالة، ويؤدى إلى اختلال اقتصادى واجتماعى تتجاوز خطورته النطاق المحلى إلى النطاق الإقليمى والدولى، فالعلاقة بين الإرهاب والآثار الاقتصادية له تبرز أهمية مكافحة الإرهاب والحد من آثاره على اقتصاد الدولة حتى يتحقق الاستقرار السياسى والأمنى والاقتصادى، فظاهرة الإرهاب تحتاج إلى تدخل دولى وتعاون من أجل مكافحتها وتجميد مصادر التمويل، وقد أشار الرئيس/ عبد الفتاح السيسى فى الندوة التثقيفية السابعة عشر للقوات المسلحة فى ٢٠١٥/٥/٧م إلى أن التنمية تحتاج إلى الأمان، والإرهاب يعرقل جهود التنمية وله آثار اقتصادية سلبية.

ويهدف هذا البحث لإبراز خطورة الإرهاب، وبيان ضرورة مكافحته، وتأثيره على التنمية الاقتصادية وآثاره السلبية باعتباره معوقاً من معوقات التنمية الاقتصادية، وضرورة التعاون المجتمعى والدولى لمكافحة الإرهاب حتى لا يؤثر على التنمية الاقتصادية فى مصرنا الحبيبة.

## الإرهاب

لا يوجد حتى اليوم تعريف جامع مانع لمصطلح الإرهاب على الرغم من الحاجة الماسة لتعريفه، وإن كانت بعض القوانين حاولت تعريفه إلا أنه على المستوى العالمي والدولي لا يوجد تعريف جامع مانع معترف به دولياً.

وإن كان يوجد بعض المتخصصين حاولوا تحديد معنى الإرهاب وكذلك بعض المنظمات، فإنه يمكن أن نقول: إن الإرهاب هو استخدام غير مشروع للعنف، ويهدف للترويع وتحقيق أهداف سياسية. والإرهاب يعتمد على عقيدة أو أيديولوجية حتى يمكنه الاستمرار وغسل عقول أعضائه. والإرهاب في اللغة مشتق من مادة (ر ه ب)، ومعناه الخوف والفرع، وأرهبه، ورهبه، واسترهبه: أخافه وفرزه (١).

والتطرف بمعنى الأخذ بطرف الشيء ويقصد به الغلو والمبالغة، والإرهاب يرتدى عباءة الدين، ولا بد من تعليم الشباب التفكير النقدي، حتى لا يتم تعريضهم لمحاولات التغرير بهم للانجذاب للفكر المتطرف الذي يتحول إلى سلوك إرهابي والإسلام بريء منه؛ لأنه دين التسامح، ولا بد من التعاون بين الدول لمكافحة الإرهاب ومن ثمّ القضاء عليه.

### ضحايا الإرهاب في العالم:

سجل مؤشر الإرهاب العالمي (GTI) مقتل ما يقرب من ١٨ ألف شخص خلال عام ٢٠١٣م فيما يمثل زيادة نسبتها ٦١% عن العام السابق، وجاء في المؤشر الذي يصدر من معهد الاقتصاد والسلام (IEP) أن ضحايا الهجمات الإرهابية ارتفعت من ١١١٣٣ عام ٢٠١٢م إلى ١٧٩٥٨ عام ٢٠١٣م أي ما يقرب من ١٨ ألف قتيل لضحايا للإرهاب. وزادت حوادث الإرهاب بنسبة ٤٤%.

ويذكر أن أول مؤشر عالمي للإرهاب صدر في مارس ٢٠١٢م، واستند المؤشر إلى بيانات الإرهاب العالمي التي جمعها من قبل الاتحاد الوطني لدراسة الإرهاب والرود إلى الإرهاب (START) ومقره جامعة ميريلاند الأمريكية، وقد أكدت وزارة الخارجية الأمريكية ذلك في تقريرها السنوي.

وهذا الإرهاب البغيض لم ينشأ إلا عن أفكار سياسية أنانية وتفكير راديكالي من خلال احتقاره للناس كافة ما عدا أعضاء هذا الفكر البغيض، فالإرهاب مثل النازية والفاشية.

والإرهاب هو أحد أخطر مشكلات القرن الحالي، فهو يقوم بتدمير الاقتصاد والدخل القومي، فالإرهاب عدو التنمية فلا يجتمع الإرهاب مع تنمية اقتصادية مطلقاً؛ لأن هدف الإرهاب هو إيقاف عملية التنمية الاقتصادية لتحقيق مكاسب سياسية، وإظهار الدولة في مظهر الضعف والشل؛ ولذلك تكثر العمليات الإرهابية عند وجود نجاحات اقتصادية مثل ما حدث قبل عقد المؤتمر الاقتصادي بشرم الشيخ في ١٣ من مارس ٢٠١٥م.

## التنمية الاقتصادية

السياسة الاقتصادية المالية للدول تقوم على تحقيق الرفاهية للشعوب، وذلك عن طريق الاستثمار والتنمية الاقتصادية، ويكون ذلك من خلال التمويل للمشروعات التنموية، والتمويل هو الذى يوفر الأموال اللازمة لإقامة المشروعات، ولتحقيق التنمية الاقتصادية والرفاهية للشعوب يجب العمل على مكافحة الإرهاب.

والإرهاب عدو التنمية الاقتصادية، والتمويل هو عصب الاقتصاد والتنمية الاقتصادية، فلا استثمار ولا فائدة إلا بالتمويل، وكلما زاد حجم التمويل زاد الاستثمار، ومن ثمَّ زاد الإنتاج وزادت المشاريع؛ فالتمويل ينشئ مشاريع جديدة ويغضى العجز المالى ويزيد الإنتاج ويحقق التنمية الاقتصادية للبلاد؛ لأنه يوفر فرص عمل، ويقلل البطالة، ويحقق الرفاهية لأفراد المجتمع، ويتطلب ذلك استقراراً سياسياً وأمنياً، فالتمويل هو الشريان الرئيس للمشروعات والمؤسسات، وله عدة أنواع؛ منها التمويل المباشر وغير المباشر، وكذلك التمويل المحلى والدولى.

**التمويل لغة :** جاء فى (القاموس المحيط) : تموّلت واستمّلت : كثر مالك، وملته بالضم: أعطيته المال (٢).

أى أن التمولّ: هو كسب المال، والتمويل: هو إنفاقه (عادة)، فأموله تمويلاً؛ أى أزرده بالمال. التمويل اصطلاحاً: جاء فى (القاموس الاقتصادى): "عندما تريد منشأة زيادة طاقتها الإنتاجية أو إنتاج مادة جديدة؛ أى إعادة تنظيم أجهزتها، فإنها تضع برنامجاً يعتمد على شيئين: ١- ناحية مادية: أى هى كل الوسائل المادية الضرورية لإنجاح المشروع ( الآلات - اليد العاملة - الأبنية....).

٢- ناحية مالية : تتضمن كلفة الأموال ومصدرها وكيفية استعمالها، وهى التى تسمى بالتمويل (٣). فالتمويل فى الاصطلاح الاقتصادى أعم من اللغة، فهو يشمل كلفة الأموال (سعر الفائدة مثلاً)، ومصدرها، وتعبئة الموارد المالية، والأهم كيفية استعمال هذه الأموال وطريقة إنفاقها وتيسير هذا الإنفاق، وباختصار، فإن التمويل يعنى التغطية المالية لأى مشروع أو عملية اقتصادية، والتمويل هو علم وفن إدارة الأموال، والفن يتعلق بكيفية الحصول على الأموال التى تحتاجها الشركة أو الدولة، ويتعلق العلم بكيفية استثمار هذه الأموال الاستثمار الأمثل (٤).

ومن ثم يمكن القول: إن التمويل هو مجموعة من القرارات التمويلية والاستثمارية، فالتمويل ببساطة شديدة معناه: من أين نأتى بالأموال؟ وكيف نستثمرها ونراقبها؟

وإن كان التمويل بمفهومه العام يعنى إنفاق المال، وإذا كان الاستثمار بمفهومه البسيط يعنى استخدام المال فى عمليات اقتصادية بغية الحصول على مردود أو نتيجة، فإن كل استثمار يعتبر تمويلاً، ولكن التمويل لا يعتبر فى كل الحالات استثماراً، كما فى القروض الحسنة. أما المعنى النقدى للتمويل: فيقصد به المصادر التى يحصل منها على الموارد النقدية أو مصادر الموارد النقدية، التى يتم بموجبها توفير الموارد المطبقة للتنمية<sup>(٥)</sup>.

السياسة الاقتصادية تقوم على تحقيق النمو الاقتصادي، ولذلك يعرف البعض التنمية الاقتصادية بأنها تعنى: زيادة فى الدخل القومى ودخل الفرد<sup>(٦)</sup>، ولكن هذا المفهوم لا يعبر عن التنمية الاقتصادية الحقيقية؛ لأن التنمية الاقتصادية سياسة اقتصادية طويلة الأجل لتحقيق النمو الاقتصادى والتركيز على إنتاجية العمل والسيطرة على موارد الثروات الاقتصادية<sup>(٧)</sup>، والتنمية الاقتصادية تعتمد على الاستقرار السياسى الداخلى والخارجى، ومدى تنسيق السياسة الاقتصادية للدولة، ومعدل الازدهار بالنشاطات والقطاعات الإنتاجية الأساسية، ولا شك فإن التنمية الاقتصادية تتأثر بالإرهاب.

فالتنمية الاقتصادية لا تعنى الفوائض المالية التى تؤدى إلى زيادة الدخل القومى وبالتالي دخل الفرد، إنما تعنى السياسة المالية الرشيدة واختيار المقاييس فى أوجه الإنفاق العام ومجال إنشاء المشروعات الإنمائية<sup>(٨)</sup>، ومن هنا تظهر أهمية السياسة المالية والسياسة الاقتصادية فى التنمية الاقتصادية؛ حيث إن التنمية الاقتصادية تعنى التغيير فى البنيان المالى والاقتصادى ودرجة التقدم التى وصلت إليها الدولة بالاستخدام الأمثل للموارد الإنتاجية المتاحة، وحسن استغلالها؛ لإحداث تغيير فى مجال التنمية، ولتحقيق معدل نمو مرتفع للنتاج القومى الإجمالى<sup>(٩)</sup>.

وتختلف التنمية الاقتصادية *Developpment economicque* عن مفهوم النمو الاقتصادى *Croissance economique*. وإن كان قد شاع استخدام اصطلاحى النمو الاقتصادى والتنمية الاقتصادية باعتبارهما مترادفين لكن الأصل أنهما مختلفان<sup>(١٠)</sup>.

فالتنمية هى زيادة الإنتاج الحقيقى للفرد بما فى ذلك إنتاج القطاع غير السوقى وزيادة الناتجة فى الدخل الحقيقى للفرد<sup>(١١)</sup>.

أما النمو الاقتصادى فيختلف عن التنمية؛ لأن النمو أو التقدم الاقتصادى ينحصر أساساً فى الزيادة الكمية فى الدخل القومى أو الفردى للأنشطة الاقتصادية الرئيسية فى الدول المتقدمة<sup>(١٢)</sup>.

فالنمو يحدث كلما زاد دخل الفرد أو الدولة، أما التنمية تتطلب زيادة حقيقية فى الإنتاج، فيمكن أن يحدث نمو اقتصادى نتيجة تحويلات نقدية بين العاملين بالخارج، فإذا أنفقت هذه الأموال فى الاستهلاك دون زيادة فى الإنتاج فلا تحدث التنمية.

والتنمية الاقتصادية<sup>(١٣)</sup> مفهوم أشمل يتضمن الزيادة فى الدخل والتغيرات الهيكلية فى البناء الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى لعملية التقدم الاقتصادى للدول النامية.

**ومن ثم فإن التطور الاقتصادى طويل الأجل المصاحب للتنمية، له مظهران:**

**الأول:** هيكلى، يتعلق بهيكل البناء الاقتصادى، كالمؤسسات والتصنيع.

**والثانى:** كیفى، يتعلق بمفاهيم عقلية وقيم ومبادئ وأفكار.

ولذلك يعتبر النمو الاقتصادى ظاهرة كمية Phenomene quantitative بينما التنمية

الاقتصادية ظاهرة كيفية Phenomene comment

ويتم قياس النمو الاقتصادى فى الوقت الحالى بمؤشر الناتج القومى الإجمالى P.N.B، ولذلك نجد أن دولاً كثيرة يكون معدل النمو الاقتصادى فيها كبير، ولكن مستوى حياة الناس صعب جداً، ولذلك فالنمو يكون دون تنمية اقتصادية حقيقية، ومن هنا نجد ضرورة الربط بين النمو الاقتصادى والتنمية الاقتصادية، لذلك يُعرف البعض المالية العامة بحسب مضمونها بأنها: جزء من الاقتصاد السياسى<sup>(١٤)</sup>، فالمالية العامة بقدر ما تكون علماً فإنها تعتبر علم المال العام<sup>(١٥)</sup>.

ويرى البعض أن هناك ارتباطاً بين المالية العامة والسياسة المالية والسياسة النقدية وسياسة الحكومة الاقتصادية<sup>(١٦)</sup>، ويرى البعض أن السياسة المالية ترتبط بالاقتصاد الكلى، وتتزع من المالية العامة، وتهتم بالضرائب والإنفاق والدين والإنتاج والتوظيف والمال والأسعار<sup>(١٧)</sup>.

فالتنمية الاقتصادية تقوم على الموازنة بين الأهداف الاقتصادية والأهداف غير الاقتصادية (العائد، والأخلاق، والتكافل الاجتماعى)، والإنسان هو محور التنمية الاقتصادية؛ لأنه هو المكلف بذلك<sup>(١٨)</sup>، ومن ثمَّ كانت التنمية الاجتماعية الأثر المترتب على التنمية الاقتصادية، ويتطلب ذلك استقراراً، ولا شك أن الإرهاب معوق للتنمية الاقتصادية.

## المخاطر الاقتصادية للإرهاب في مصر

الإرهاب أخطر مشكلات القرن الحالى، وله آثار سلبية فى سبيل تقدم الأمم، والإرهاب ظاهرة عالمية، أهدافها السياسية الدمار والخراب وتدمير الاقتصاد، والإرهاب له آثار داهمة على التنمية الاقتصادية من خلال تأثيره على السياحة وزيادة البطالة، فالإرهاب له تأثيرات على ميزان المدفوعات وعلى التمويل والاستثمار، ونرى أن من أهم أسباب التخلف الاقتصادى فى الدول النامية يعود للاضطرابات السياسية والاجتماعية وانتشار الإرهاب.

وقد عانت مصر من الإرهاب، وأثر ذلك على دخل السياحة الذى تعتمد عليه مدن كاملة، مثل الأقصر، وشرم الشيخ، والغردقة، واستهدف الإرهاب خراب الاقتصاد الوطنى من خلال التأثير على دخل السياحة البالغ أكثر من سبعة مليارات من الدولارات سنوياً.

### من آثار الإرهاب :

الإرهاب عدو للتنمية، ويتمثل خطر الإرهاب فى ضرب الاقتصاد الوطنى؛ فهو يحاول زرع الفوضى وعدم الاستقرار من خلال ضرب السياحة وإيقاف عجلة التنمية، فهو يؤثر على الآتى:

١- البطالة، والتضخم، والتمويل، والاستثمار، والأسواق المالية، وإفلاس الشركات، وقطاع التأمين، وقطاع السياحة، وميزان المدفوعات، وسعر الصرف.

٢- يحول موارد الدولة لمحاربة الإرهاب، حتى يتحقق الأمن والاستقرار؛ فيؤثر على مشروعات التنمية الاقتصادية، والبنية التحتية، والخدمات المقدمة للمواطنين لعدم توافر المبالغ اللازمة فى الميزانية لصرف مبالغ كبيرة على مكافحة الإرهاب البغيض، وتوفير الحماية اللازمة للمؤسسات والمواطنين، فنظرية الاقتصاد الحديثة لا تغفل عنصر الاستقرار السياسى والاقتصادى وأثره<sup>(١٩)</sup>.

٣- الإرهاب يؤثر على إقامة المشروعات، فتحجم الشركات الكبرى عن الاستثمار فى الدول التى بها إرهاب خوفاً على أموالها.

وفى تقرير أعده معهد "الاقتصاد والسلام" بعنوان "مؤشر السلام العالمى ٢٠١٦م" جاء فيه:

١- قدر حجم الأثر الاقتصادى للإرهاب بمبلغ ٨٩,٦ مليار دولار، وتبين أن العراق هو الأكثر تأثراً بنسبة ١٧% من ناتجه المحلى الإجمالى.

٢- إن الإنفاق العالمى المرتبط بالعنف والحروب حوالى ١٣,٦ تريليون دولار، وهو ما يعادل ١٣,٣% من الناتج المحلى الإجمالى العالمى.

٣- ووجد التقرير أن الإنفاق العسكرى بلغ فى العام ٢٠١٥م نحو ٦,١٦ تريليون دولار، ما يعادل ٤٥% من التأثير الإجمالى للعنف على الاقتصاد العالمى " ١٣,٦ تريليون دولار"، فيما بلغ

الإنفاق على الأمن الداخلي، بما في ذلك الشرطة، والقضاء، ونظام السجون، ٣,٥ تريليون دولار، وهو ما يقارب ٢٦% من كلفة العنف الإجمالية، أما عمليات القتل فشكّلت حوالي ١,٧٩ تريليون دولار من كلفة العنف الإجمالية.

٤- واحتلت سوريا، وفق التقرير، المرتبة الأولى عالمياً في الخسائر من حيث الإنفاق على العنف بنسبة ٥٤,١% من حجم الناتج المحلي الإجمالي، يليها العراق ٥٣,٥% من حجم الناتج المحلي، ومن ثم أفغانستان ٤٥,٣% من حجم الناتج، وفنزويلا ٤٢,٨% من حجم الناتج، وجنوب السودان ٣٥,٢% من حجم الناتج.

٥- وشرح التقرير، أن التكلفة الاقتصادية للعنف على المدى الطويل يمكن أن تكون خانقة للبنية التحتية والاستقرار العالمي، وتؤثر على الاستثمارات، مشيراً إلى أن تكاليف العنف تعادل عشرة أضعاف قيمة المساعدات الإنمائية الرسمية العالمية، وأكثر من القيمة الإجمالية لصادرات الغذاء العالمية في العام ٢٠١٤م، وأكثر من إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر العالمي في العام ٢٠١٤م. ٦- وقال التقرير: إن نفقات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة بلغت في عام ٢٠١٥م وحده ٨,٢٧٠ مليار دولار، وإن الخسائر الاقتصادية الناتجة عن الصراعات المسلحة بلغت ٧٤٢ مليار دولار.

٧- وعلى الرغم من انخفاض التأثير الاقتصادي العالمي للعنف بنسبة ٢% في مؤشر عام ٢٠١٥م مقارنةً بتقرير عام ٢٠١٤م، فقد بلغت كلفة العنف المسلح في عام ٢٠١٥م نحو ١٤,٣ تريليون دولار، وهو ما يعادل ١٣,٣% من الناتج العالمي الإجمالي، أو ما يساوي ١٨٧٦ دولاراً لكل شخص، كما أنه يساوي أحد عشر ضعفاً للمبالغ المنفقة في الاستثمار الأجنبي المباشر. فالإرهاب يوفر بيئة طاردة للاستثمارات كما أنه يفرغ الخطط والسياسات الاقتصادية والتنموية من مضمونها، وتكون له آثاره السلبية على التنمية الاقتصادية المتمثلة في تأثيره على الآتي:

#### ١- أثر الإرهاب على الاستثمار والتمويل:

فالإرهاب يؤدي لتراجع المناخ الاستثماري وعدم جذب الاستثمار والتمويل اللازم للتنمية الاقتصادية، ويفقد الاقتصاد الوطني رؤوس الأموال المحلية الأجنبية؛ فرأس المال يفر من أي مكان لا يوفر الأمن والأمان، وينتج عن ذلك خسائر بشرية واجتماعية ونفسية نتيجة الحوادث الإرهابية الإجرامية، ويؤدي الإرهاب إلى تدهور معدلات النمو الاقتصادي، وانخفاض معدلات الاستثمار، وزيادة الإنفاق على الأمن على حساب قطاعات تنموية أخرى، وضعف الاستثمارات الأجنبية.

## ٢- أثر الإرهاب على البطالة:

يؤدى الإرهاب إلى زيادة معدل البطالة نظراً لضعف الاستثمارات وضعف التنمية الاقتصادية مما يؤدى إلى انخفاض الإنفاق نتيجة قلة الطلب وتباطؤ الاقتصاد الذى يؤدى للركود؛ نظراً لأن توقف التنمية وهروب رؤوس الأموال يؤدى لتسريح العمالة، وعدم وجود فرص عمل جديدة، وهذا ما يهدف إليه الإرهاب، وهو إحباط المجتمع وتعطيل حركة التنمية الاقتصادية بزيادة البطالة.

## ٣- أثر الإرهاب على التضخم:

الإرهاب يؤثر سلباً فى زيادة التضخم نتيجة قلة الطلب؛ فزيادة الإنفاق يؤدى إلى ارتفاع الأسعار ويحفز الاستثمار، وقلة الإنفاق يؤدى إلى آثار سلبية على الاقتصاد والمجتمع؛ لأن الطلب يتضاءل فى حالة الإرهاب، ويظهر الركود فى الأسواق وكساد المنتجات نتيجة تراجع الاستثمار، وينتج عن ذلك زيادة معدل التضخم وعجز الميزانية.

## ٤- أثر الإرهاب على الميزانية العامة وميزان المدفوعات وسعر الصرف:

يؤثر الإرهاب على التضخم الذى بدوره يؤثر فى الميزانية العامة نتيجة قلة فرص النمو الاقتصادى وتمويل العجز فى الميزانية؛ مما يؤدى إلى خلل فى ميزان المدفوعات، ويؤدى ذلك إلى التأثير على سعر الصرف، كما أن الميزانية تتأثر نتيجة محاولة توفير الأموال اللازمة لمكافحة الإرهاب.

## ٥- أثر الإرهاب على الأسواق المالية وإفلاس الشركات وشركات التأمين:

تتمتع الأسواق المالية بأهمية اقتصادية نظراً لدورها فى تحريك رؤوس الأموال والتحكم فى السندات والأسهم، ويؤدى الإرهاب إلى قلق المستثمرين من الآثار السلبية مما يؤدى إلى تأثر معظم الأسواق المالية العالمية، ومن ثم تأثر أسهم شركات التأمين وإفلاس الشركات، فقد تنهار شركات مثل ما حدث فى فترة الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م؛ فقد أفلست ستون ألف شركة، وتم تسريح ما لا يقل عن ١٤٠ ألف أمريكى، وذلك كان يمثل تهديداً خطيراً لمؤسسات الرعاية الصحية وشركات التأمين، وأدى إفلاس تلك الشركات إلى تراجع أسعار الأوراق المالية فى البورصات العالمية وزيادة البطالة؛ لذلك تلجأ البنوك المركزية الآن إلى زيادة الاحتياط من الذهب للحفاظ على استقرار الأسواق المالية من خلال اتباع سياسة نقدية مرنة (٢٠).

## ٦- أثر الإرهاب على السياحة:

السياحة من أهم القطاعات التى تتأثر بالإرهاب؛ نظراً لأن عائدات السياحة تسهم بنسبة كبيرة فى ميزان المدفوعات، وهو قطاع حساس؛ لأن السياح يحاولون قضاء إجازتهم فى دول آمنة، ويؤدى ذلك إلى إجماعهم عن زيارة الدول التى ينتشر فيها الإرهاب؛ مما يؤدى إلى تسريح عمالة كبيرة



تعمل في قطاع السياحة نتيجة انخفاض أعداد السائحين، ويؤدي ذلك إلى زيادة البطالة<sup>(٢١)</sup>، فضلاً عن عدم وجود فرص عمل جديدة في قطاع السياحة، ولعل مصر من أكثر الدول التي تأثرت فيها السياحة في فترات ماضية، وأثرت على الدخل القومي والتنمية الاقتصادية حيث تمثل السياحة ٦,٥% من الناتج المحلي الإجمالي، وبإضافة الصناعات والخدمات المرتبطة بصناعة السياحة تصل إلى ١٢% من الناتج الإجمالي، وقد وصلت الاستثمارات السياحية إلى ٢٠٠ مليار جنيه وفق بيانات البنك المركزي، وبالمقارنة نجد أن معدلات السياحة في عام ٢٠١٠ م وصلت إلى ١٤,٧ مليون سائح وبإيرادات وصلت إلى ١١,٦ مليار دولار طبقاً لوحدة الحسابات الفرعية لوزارة السياحة مقابل ١٠ مليون سائح في ٢٠١٤ م بدخل قدره ٩,٥ مليار دولار.

مما يثبت انخفاض عدد السائحين وإيرادات السياحة نتيجة الأعمال الإرهابية، ويتأثر بهذا القطاع ١,٨ مليون عامل مباشر و ٢,٨ مليون عامل غير مباشر في قطاع السياحة. فالآثار الاقتصادية للإرهاب تتفاوت حسب قدرة المؤسسات الاقتصادية والسياسية لاحتواء الإرهاب وتقليل آثاره السلبية، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات الدولية لدراسة الإرهاب وأسبابه وكيفية مواجهته والتصدي له لتعزيز الاقتصاد القومي.

ويتضح لنا من خلال هذه التأثيرات الاقتصادية للإرهاب أن الإرهاب أهم معوق للتنمية الاقتصادية في مصر، وقد تأثر الاقتصاد المصري بالإرهاب ومن قبله الفوضى في السنوات الأخيرة، فتأثر دخل السياحة، وزادت البطالة، وزاد التضخم، وارتفع سعر صرف الدولار أمام الجنيه المصري مع ضعف الاحتياطي النقدي في البنك المركزي آنذاك.

وتأثرت مصر بالإرهاب إلا أنه باستقرار الوضع السياسي بانتخاب الرئيس عبد الفتاح السيسي انحسر التأثير الاقتصادي؛ نظراً لعودة الاستقرار السياسي والأمني وتلاحم الشعب والجيش والشرطة ضد الإرهاب.

كما أنه لإقامة مؤتمر دعم وتنمية الاقتصاد المصري Egypt Economic Development Conference (EEDC) أثره في طمأنة الاستثمار الأجنبي وعودة الثقة في الاقتصاد المصري ورفع التصنيف الائتماني للاقتصاد المصري، وتدشين الرئيس عبد الفتاح السيسي المشروعات العملاقة مثل مشروع قناة السويس، وغيره الكثير، كما تم تنشيط السياحة، ورفعت أغلب الدول تحذيراتها على زيارة مصر نتيجة لجهود الرئيس وزياراته لدول العالم لإقناعهم بأن مصر آمنة.

إن المشروعات العملاقة الزراعية التي تتمثل في زراعة مليون فدان، والصناعية، والإنتاجية؛ هي أفضل طريقة لمحاربة الإرهاب من خلال تنمية اقتصادية حقيقية تقوم على زيادة الإنتاج.

## النتائج

### من أهم النتائج:

- ١- الإرهاب هو أخطر مشكلات القرن الحالي، ويقوم بتدمير الاقتصاد والدخل القومي وعدو التنمية الاقتصادية.
- ٢- التنمية الاقتصادية تقوم على الاستثمار والتمويل لزيادة الإنتاج الحقيقي من خلال المشروعات المختلفة، مع ربط السياسة المالية والسياسة النقدية بسياسة الحكومة الاقتصادية.
- ٣- الإرهاب يوقف عجلة التنمية، وله تأثيرات سيئة تؤدي إلى: زيادة البطالة، وهروب الاستثمار، وتراجع التمويل، وزيادة التضخم، والخلل في ميزان المدفوعات والميزانية العامة للدولة، وتأثيره على الأسواق المالية.
- ٤- الإرهاب أكثر ما يؤثر في قطاع السياحة والذي بدوره يؤثر في الدخل القومي للبلاد.
- ٥- أثرت جهود الرئيس عبد الفتاح السيسي في الحد من آثار الإرهاب، ونجح في تقليل آثاره الاقتصادية من خلال نشاطه المكثف لنهضة مصر.
- ٦- كان لإقامة مؤتمر دعم وتنمية الاقتصاد المصري أثره في رفع التصنيف الائتماني لمصر والاستقرار الاقتصادي والنقدي.
- ٧- ركزت العمليات الإرهابية في السنوات الأخيرة على الأهداف الاقتصادية باعتبارها أهدافاً ناعمة (Soft Targets) يمكن أن يكون لها تأثير قوى على الحكومات.
- ٨- عدم وجود ارتباط قوى بين الفقر والإرهاب، وأن الفقر بحد ذاته لا يحول أى شخص إلى إرهابي، ولكنه يسهل تحقيق الأهداف الإرهابية واجتذاب الكوادر للتنظيمات الإرهابية .
- ٩- يختلف تأثير العمليات الإرهابية على قطاعات الاقتصاد المختلفة؛ فبينما تتميز بعض القطاعات بحساسيتها العالية للعمليات الإرهابية كالسياحة، فهناك قطاعات أخرى أقل حساسية كالزراعة.
- ١٠- إن تأثير العمليات الإرهابية على الاقتصاد المحدود أكبر من تأثيرها على الاقتصاد المتنوع .
- ١١- إن التأثير السلبي للعمليات الإرهابية المحلية على الاقتصاد المصري هو تأثير مؤقت قصير الأجل.
- ١٢- تستهدف العمليات الإرهابية إرباك الدولة واستنزاف مواردها.

## التوصيات

أهم التوصيات هي :

- ١- ضرورة التصدي لمكافحة الإرهاب من خلال عقد مؤتمرات وندوات دولية وجهود مجتمعية؛ حتى يمكن القضاء عليه، لتحقيق التنمية والرفاهية للشعب المصري.
- ٢- الاهتمام بالمشروعات العملاقة؛ وخاصة المشاريع الزراعية والصناعية لزيادة الإنتاج الحقيقي، وتحقيق التنمية الاقتصادية من خلال خطط اقتصادية ومالية قصيرة وطويلة الأجل.
- ٣- تدعيم مصر في جهودها الرامية للنهوض بالاقتصاد القومي.

- (١) ابن منظور، لسان العرب، ٤٣٦/١ مادة (رهب) .
- (٢) الفيروز آبادي : "القاموس المحيط"، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٤٤هـ، الجزء الرابع، ص ٢٥؛ مادة مول.
- (٣) د. محمد بشير عليّة: القاموس الاقتصادي، الطبعة الأولى، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٢٧.
- (٤) د. عادل مبروك: أساسيات التمويل محاضرات كلية التجارة، مطبعة جامعة القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢.
- (٥) د. رفعت المحجوب: الاقتصاد السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٧٦.
- (٦) Musgrave (R.A): Fiscal systems, New Haven and London, ١٩٦٩, P.٢١٧.
- (٧) د. يسرى محمد أبو العلا: علم الاقتصاد دار النهضة العربية، ص ٦٨٠، ٦٨٤، ٦٨٢.
- (٨) Nicolas Brejon de laregnee "Budget et modeles de crossance" These – paris (٣٠/١/١٩٧٣. P.١١٧.
- (٩) د. يسرى محمد أبو العلا: علم الاقتصاد، مرجع سابق، ص ٦٨٢.
- (١٠) د. السيد أحمد عبد الخالق: مدخل إلى دراسة التنمية الاقتصادية، ١٩٩٧م، ص ١٣٤.
- (١١) ولت ويطمان روستو: حوار حول التنمية الاقتصادية، ترجمة من الفرنسية، تقديم د/ فيليب بطرس - الهيئة العامة المصرية للكتاب - القاهرة - ١٩٨٩م، ص ١٦.
- (١٢) د. عبد الباسط وفا: التنمية الاقتصادية، دار النهضة العربية ٢٠٠٩م، ص ١٤.
- (١٣) مشار إليه في د. السيد عطية عبد الواحد: دور السياسة المالية الإسلامية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص ٢٧.
- (١٤) Taylor (Philip. E): The economics of Public finance, New York, themacmilillan, ١٩٦١, P.٣. company –
- (١٥) Burkhead (J) Government Budgeting, Op. Cit, PP. ٦٠ – ٦١.
- (١٦) مشار إليه في د. السيد عطية، مرجع سابق ص ٣١.
- (١٧) Keiser (Norman F): Macroeconomics. Fiscal policy and economic growth, John wile and sons, inc New York, London, ١٩٦٧, PP. ٣ – ٤.
- (١٨) د. يسرى محمد أبو العلا: علم الاقتصاد، دار النهضة العربية، ص ٦٨٤.
- (١٩) Hillier. B ١٩٩١ Mcreoconomic Debate. Black well Oxford. UK.wile
- (٢٠) المصدر: آفاق الاقتصاد العالمي، صندوق النقد الدولي، أبريل ٢٠٠٣م.
- (٢١) UTE E. M. Stork (٢٠٠٢) the Tourism industry in the third Millenium is A Resilient industry. Shown at the impart of the terror attack of. ٩/١١/٢٠٠١ PHP thesis SAE University.

## كيف نواجه التطرف والغلو

**سماحت/ السيد على بن السيد عبد الرحمن آل هاشم**

مستشار الشئون القضائية والدينية

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

الإمارات

يواجه العالم اليوم مخاطر التطرف والتسلط والغلو مما يوجب على جماهير الأمة عامة، وعلمائها ومفكريها خاصة، مواجهة هذه المخاطر بما يناسبها من الفكر والوعى. وتبدأ تلك المواجهة الجادة بالاهتمام بالنشء، تربية وتعليمًا، إذ لا يشك منصف فى أن التعليم الجاد والتربية القائمة على القيم والأعراف السليمة هى الواقى من التردى فى مزلق العنف والتطرف والغلو المفضى إلى ارتكاب أعمال إجرامية غير محسوبة. وإن المجتمعات فى عصرنا الحاضر تتعرض لموجات من الأفكار الراضة لتعاليم الدين والقيم التى جاء بها أنبياء الله ورسله، وقام على هديها العلماء المصلحون، وأصحاب النظر السليم.

وإن مجابهة التطرف والغلو منوطة بمعالجة الوضع التربوى، وما دام الطلاب فى مختلف مراحل التعليم لا يزودون بقسط مناسب من علوم ومعارف وواجبات ديننا الإسلامى الحنيف وما نهى عنه، فإن اجتياح ساحتهم بالأفكار والأيديولوجيات المارقة أمر متوقع، بل هو حاصل ومشاهد فيما نراه من التصرفات والسلوك المشين.

وكى نواجه مخاطر الإرهاب والتطرف والغلو لابد أن نسير فى خطين متوازيين:  
أولاً: تزويد الناشئة بالفكر الدينى الصحيح فى أقسام ومساقات العلوم، كالاقتصاد والسياسة  
والتكنولوجيا والأحياء والفيزياء والتكافل الاجتماعى، باعتبار أن هذه هى الأمور التى تركز عليها  
أيديولوجيات العصر الحاضر، مع الإشارة إلى أن الإسلام قد سبق إلى كل هذه المعارف، وشهد  
بذلك المنصفون من علماء الغرب والشرق المشهود لهم بالتفوق العلمى والأدبى.

إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ۗ  
مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ( الأنعام: ٣٨ )، ورسول الله ﷺ يقول:  
" تركت فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتى " (متفق عليه) .

ثانياً : تمكين العقيدة الإسلامية الصحيحة فى نفوس الطلاب، وجعلها ضابطة لسلوكهم  
وتصرفاتهم، والتأكيد على وجوب الطاعة لله ولرسوله، ثم ولاة الأمور وفق الضوابط الشرعية،  
وتعزيز الانتماء للوطن والحرص على أمنه واستقراره والدفاع عنه، وتعريف الطلاب والناشئة بما  
لهم وبما عليهم من الحقوق والواجبات، وتأكيد الوعى الأسرى لديهم لبناء أسرة آمنة سليمة.  
وتدريب الطلاب على مهارات الحوار وإبداء الرأى والمشاركة فى النقاش الجاد، وتعزيز  
القيم والعادات الاجتماعية الإيجابية فى كل مجتمع وبحسب أعرافه السليمة.

وتتمية الاعتزاز بالدين الإسلامى واللغة العربية، وتعويدهم على الالتزام بقواعد الأمن  
والسلامة العامة، والمحافظة على الممتلكات الخاصة والعامة، وتمتية عادات الاستهلاك الرشيد فى  
كافة المجالات، وتكوين اتجاهات إيجابية نحو الإنتاج الوطنى، وغرس روح المبادرة للأعمال  
التطوعية والخيرية، وإكساب الطلاب والناشئة مهارات التعامل الواعى مع البيئة، والاستخدام المقنن  
الرشيد للمصادر استناداً للقاعدة الذهبية: "لا تسرف ولو كنت من البحر تغرف".

واستلهاهم القيم الإيجابية والعادات الحسنة التى يجب أن يتمثلها كل مواطن فى وطنه، بالتكافل  
والترابط الاجتماعى، بما يرسخ فى الأذهان الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء، وصلة  
الأرحام؛ إذ لا يتوافر الخلق النبيل إلا بتزكية النفوس، فعن الإمام على بن أبى طالب ؑ أنه ذكر  
فِتْنًا تكون فى آخر الزمان، فقال له سيدنا عمر بن الخطاب ؓ متى ذلك يا أبا الحسن؟ فقال: ( إذا  
تفقه لغير الدين، وتعلم العلم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ) .

وهكذا عندما يعمل المرء بما يعلم تنشأ لديه بصيرة يميز بها الحق من الباطل، والخير من  
الشر، وذلك هو النور الذى يقذفه الله فى قلوب الصالحين، هذا النور يومض فى الصدور نتيجة فقه  
حسن وعمل حسن.

ولابن عطاء الله السكندري كلمة مشهورة قال فيها : ( إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية) .

ومن هنا فإن مجابهة التطرف والغلو وما يتبعه وينشأ عنه من إرهاب الأمنين لا يكون فاعلاً إلا بالعلم النافع ، والخلق الرفيع، والقيم العالية، مع إرساء قواعد الحوار والتسامح والتعاون على البر والتقوى. والله يقول الحق وهو الهادى إلى سواء السبيل.

## مفهوم الإرهاب وصوره

سماحة الشيخ / محمد رشيد إبراهيم

رئيس المجلس الأعلى للإفتاء

المالديف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ فهذا بحث مختصر في المحور الأول " تحديد مفهوم الإرهاب " من "صناعة الإرهاب وحتمية المواجهة وآلياتها " في المؤتمر الدولي الثامن والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية .

### مفهوم الإرهاب:

للإرهاب مفاهيم وتعريف كثيرة من جهات عديدة دون اتفاق على تعريف واحد، من هذه التعريف ما جاء في بيان مكة المكرمة لمجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي "بأنه العدوان الذي تمارسه أفراد وجماعات أو دول بغياً على الإنسان ( دينه، ودمه، وعمله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد الذي يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق، أو الاملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها"<sup>(١)</sup>. ومنها ما جاء في تعريف مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، وهو تعريف الإرهاب: "بأنه العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق بشتى صنوفه، وشتى صور الإفساد في الأرض"<sup>(٢)</sup>.



ومن دراسة التعريفات الكثيرة المدونة من أقلام شخصيات وجهات عديدة يتضح أن المفهوم المعاصر لمصطلح الإرهاب مغاير لمفهومه في لغة العرب والقرآن الكريم؛ حيث إنه في الاصطلاح المعاصر يعنى العدوان المصحوب بالعنف الذى يقتل الأنفس ويدمر الممتلكات. أما في لغة العرب والقرآن الكريم فإن مفهومه يعنى التخويف الذى يمنع المعتدي من الاعتداء، وهذا يدل على أن مفهومه فى الإسلام وقائى، ومفهومه فى الاصطلاح المعاصر عدوانى.

### مظاهر الإرهاب وأشكاله وصوره وأساليبه:

تتعدد الوسائل والأشكال والأساليب التى تلجأ إليها المجموعات الإرهابية لتحقيق أهدافها وغاياتها، كما تتطور تلك الأساليب وتختلف باختلاف المكان والزمان، وباختلاف الإمكانيات والقيادات، وتتفاوت بنقاوت وتباين الأهداف والتنظيمات من حيث الحجم والتنظيم والتخطيط والثقة التى تتوفر جميعها أو بعض منها، ومن أهم هذه الأشكال والأساليب ما يلى:

**الشكل الأول:** إرهاب المجموعات الوطنية التى تطالب بحق تقرير المصير، وتستخدم الإرهاب باعتباره جزءاً من إستراتيجيتها فى الوصول إلى تحقيق هدفها، ويجمع بين أفراد المجموعة الاعتماد بوجود الكفاح المسلح فى مواجهة قوى الاحتلال الغاصبة.

**الشكل الثانى:** إرهاب المجموعات العقائدية، ولهذه المجموعات هدف معلن، هو تغيير الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مستنرة بالعقيدة زوراً وافتراءً، وبعض هذه المجموعات لا تعتق مبدأً أو هدفاً محدداً وإن كانت تهدف إلى إلغاء نظام الحكم بالدولة، ومن هذه المجموعات مجموعة بادرمينهوف فى ألمانيا، ومجموعة الألوية الحمراء فى إيطاليا، ومجموعة الجيش الأحمر اليابانى.

وقد توصل المؤتمر الذى عقد عن الإرهاب فى واشنطن فى شهر مارس ١٩٧٦م إلى

تصنيف الإرهاب إلى أربعة أشكال:

أولاً: إرهاب أيديولوجي، ويشمل: الإرهاب اليساري والشيوعي، وإرهاب أقصى اليمين .  
ثانياً: إرهاب وطني، ويشمل: العمليات الإرهابية التى تستهدف إخراج المحتل أو تدمير مصالحه أو اغتيال رموزه أو الموالين له.

ثالثاً: الإرهاب العرقى أو الدينى أو اللغوى، مثل: العمليات الإرهابية التى كان يقوم بها،

أفراد طائفة التاميل ضد الحكومة فى سريلانكا .

رابعاً: الإرهاب المرضى، مثل: العمليات التى يقوم بها المصابون باختلال نفسى .

## تمويل الإرهاب؛

إن تمويل الإرهاب يأتي من طرق متعددة، منها: غسل الأموال بأساليب مختلفة، وتجارة المخدرات، واستغلال المصابين بعاهات جسمية أو عقلية، وإرهاب موظفي المؤسسات المالية، ثم الاستيلاء بالقوة على الأموال الكثيرة المودعة في تلك المؤسسات، وهناك أساليب مختلفة وطرق متعددة للجماعات الإرهابية للحصول على الأموال بطرق غير مشروعة لتنفيذ أغراضها الدينية .

## الهوامش :

- (١) قرارات مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة رقم الصفحة ٣٥٥، ٣٥٦.
- (٢) قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ١٤/٢/١٢٨ بشأن حقوق الإنسان والعنف الدولي.

## مفهوم الإرهاب أسبابه وأشكاله وطرق علاجه

سماحة الشيخ / يوسف إدعيس الشيخ

وزير الأوقاف والشئون الدينية

فلسطين

تتصاعد وتيرة الإرهاب في العالم وتزداد تعقيداً، مما جعل هذا المصطلح مدار أبحاث ودراسات لتجلية مفهومه ومعرفته، ولما لهذا الموضوع من أهمية على مستوى العالم، ومدى خطورته على السلم الأهلي والاستقرار المجتمعي، أخذت المراكز العلمية والبحثية بدراسته والعمل على إصدار نشرات أو الخروج بتوصيات للجهات المختصة، من أجل العمل على توضيحه للناس وإظهار مدى خطورته على النفس والدين والأوطان .

إن مفهوم الإرهاب مخالف للسنن الكونية التي تدعو للاستقرار والأمن الروحي والاطمئنان، وهي الأمور التي دعا إليها الإسلام، وهو ما نلمسه في قوله عليه الصلاة والسلام: " من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " (1).

ولقد اتخذ الإرهابيون أشكالاً مختلفة في زعزعة الأمن النفسي والدولي من خلال وسائل متعددة، وأهمها: الإعلام الذي أصبح مرافقاً لكل فرد من أفراد المجتمع؛ حيث يتصدره أناس مشبعة أفكارهم بالحقد والعداء للآخر، مستغلين بعض الفتاوى التي صُرِّفت عن مقاصدها الأصلية، وطُوعت من أجل خدمة جهة معينة، وكذلك أناس يجيدون الخداع بالأساليب الإقناعية التي تخدع السذج من الشباب، ويقتطعون بعض الآيات التي تحتمل أكثر من مدلول، ليخدموا بها فكرهم وأهدافهم، ويتبعون هذه الأفكار من غير تمحيص أو نظر في ما قد تؤدي إليه تلك الفتاوى الخاطئة

أو الأفكار الدخيلة على الدين من قبل مروحين لها، مما يدفع بعض الشباب المخدوع لاتباعهم وتنفيذ مآربهم من قتل، أو تفجير، أو تخريب، أو رعب، أو غيرها من الأشكال الإرهابية.

دراسنى هذه أسعى من خلالها إلى الخوض فى مدلولات هذا المصطلح وتجليه مفهومه، مع أن الكثير من الباحثين عرفوه، كل منهم حسب توجهه وفكره أو واقعه الذى يعيش فيه، ولا أزعم أننى قد أقدم تعريفاً آخر إلا أننى ومن خلال الأشكال الإرهابية على مستوى العالم قد أعرف الإرهاب وأجلى مفهومه بطريقة أخرى لم يتبعها الآخرون، وذلك بربط المصطلح بالفساد الذى ورد فى القرآن الكريم، وكذلك ربطه بالنهى عن ترويع الأمنين كما ورد فى سنة النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد اخترت لتوضيح مفهوم الإرهاب عدة تعريفات، رأيت فيها ما يبده هذا المصطلح، وجمعت العديد منها، ولكننى خرجت بمفهوم مغاير ورسمت تعريفاً واضحاً . كما بينت فى هذا البحث أسباب نشأة الإرهاب، وأشكاله، وطرق علاجه.

## أولاً : الإرهاب لغتاً واصطلاحاً

### الإرهاب لغتاً:

رهب كعلم، رهبة ورهباً، بالضم وبالفتح وبالتحريك، ورهباناً، بالضم، ويحرك: خاف. وأرهبه واسترهبه: أخافه (٢).

والراهب: واحد رهبان في الديانة المسيحية، وهو اسم فاعل من رهب: إذا خاف، أي: الخوف من الله سبحانه وتعالى.

وعليه؛ فالإرهاب في اللغة هو الإفزاع والإخافة، يقال: أرهبه، ورهبه، أي: أخافه (٣). والمنتبغ للمعنى اللغوي لكلمة "رهب" يرى أنها تعنى الخوف، وكلمة (أرهب) تعنى: التخويف والإفزاع والترويع .

وفي تاج العروس: رَهَبَ بالكسر، يَرُهَبُ رَهْبَةً ورُهْبًا، بالضم، ورَهَبًا، بالتحريك، أي خافَ، ورَهَبَ الشيءَ رَهْبًا ورَهْبًا ورَهْبَةً: خَافَهُ، والاسم: الرُهْبُ، والرُهْبِيُّ، والرَهْبِيُّ، والرَهْبِيُّ، والرَهْبِيُّ؛ ورجلٌ رَهْبٌ. يقال: رَهْبٌ خَيْرٌ من رَحْمَةٍ، أي لأن ترهبَ خيرٌ من أن تُرحمَ. وترهبَ غيره إذا توعده.

ويقل وجود صيغة (الإرهاب) في المصادر الأصلية في اللغة العربية، وقد ذكر الزبيدي: الإرهاب بالكسر: الإزعاج والإخافة (٤)، ولا يوجد في المعاجم العربية كلمات الإرهاب والإرهابي؛ لأن تلك الكلمات حديثة الاستعمال.

وورد في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية أن كلمة الإرهاب بوصفها مصطلحاً حديثاً في اللغة العربية أساسه (رهب) بمعنى خاف، والإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف لتحقيق أهدافهم السياسية (٥).

### الإرهاب اصطلاحاً :

وبما أن الإرهاب كلمة لا توجد في المعاجم العربية، فإن العلماء خاضوا في تعريفها، وتباينت وجهات نظرهم في توضيح المقصود بهذا المصطلح، فالبعض يرى أن تعريف الإرهاب يكون في الأسلوب أو الطريقة التي يرى فيها الإرهابي سبيلاً لتحقيق طموحه السياسي، لجماعة ترى أنها مهمشة أو معزولة نتيجة لتأزم نفسى عند أفرادها، ولا سبيل لها للوصول إلى ما تبتغيه إلا عن طريق تخويف الناس وإشاعة الرعب والخوف وتضليل أفكارهم (٦).

وسأذكر هنا بعض التعريفات الاصطلاحية للإرهاب، التي رأيت أنها تكون شافية في إيضاح المفهوم، ثم خرجت بتعريف خاص بالباحث .

ومن هذه التعريفات: " استخدام العنف غير القانوني، أو التهديد به أو بأشكاله المختلفة؛ كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف وغيره بغية تحقيق هدف سياسى معين، وبشكل

عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشئئة الجهة الإرهابية " (٧) .

ومنها أيضاً: أنه " منهج أو نظام، تحاول من خلاله مجموعة منظمة، أو طرف معين، جذب الانتباه إلى أهدافها، أو تجبر الطرف الآخر على تقديم تنازلات وفاء بأهدافها، بواسطة الاستخدام المنظم والمقصود للعنف " (٨) .

تعريف جامعة الدول العربية: " كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيًا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر" (٩) .

تعريف المجمع الفقهي الإسلامى بجدة فى المملكة العربية السعودية الذى أصدره فى ١٥/١٠/١٤٢١ هـ الموافق ١٠/١/٢٠٠١ م - أى قبل أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م بعشرة أشهر - حيث جاء فيه: (هو العدوان الذى يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان فى دينه، أو دمه أو عرضه، أو عقله، أو ماله، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، فكل هذا من صور الفساد فى الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

والإرهاب بغى بغير حق (١٠)، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣) .

ويؤكد المجمع الفقهي الإسلامى فى اجتماعه - الذى عقده فى ٢٦ من شوال ١٤٢٢ هـ الموافق ١٠ من يناير ٢٠٠٢م فى رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة فى دورته السادسة عشرة - أن: التطرف والعنف والإرهاب ليس من الإسلام فى شيء، وأنها أعمال خطيرة لها آثار فاحشة، وفيها اعتداء على الإنسان وظلم له، ومن تأمل مصدرى الشريعة الإسلامية، كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ، فلن يجد فيهما شيئاً من معانى التطرف والعنف والإرهاب، الذى يعنى الاعتداء على الآخرين دون وجه حق (١١) .

وعند صاحب كتاب أمراء الإرهاب : " محاولة فرد أو مجموعة من الأفراد أو الجماعات، فرض رأى أو فكر أو مذهب أو دين أو موقف معين من قضية من القضايا، بالقوة والأساليب العنيفة على أناس أو شعوب أو دول، بدلاً من اللجوء إلى الحوار والوسائل المشروعة الحضارية، وهذه الجماعات أو الأفراد تحاول فرض هذه الأفكار بالقوة؛ لأنها تعتبر نفسها على صواب والأغلبية مهما كانت نسبتها على ضلال، وتعطى نفسها وضع الوصاية عليها تحت أى مبرر " (١٢) .

## ثانياً : مفهوم الإرهاب فى الإسلام

المنتبج آيات القرآن الكريم والباحت عن كلمة أو مشتقات الإرهاب بجد أنه لم يُستعمل مصطلح (الإرهاب) بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من المادة اللغوية نفسها، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفرع: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٤). ﴿فَارْهَبُونَ﴾ (البقرة: ٤٠). ﴿تُرْهَبُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠). ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ (الأعراف: ١١٦). ﴿رَهْبَةً﴾ (الحشر: ١٣). ﴿وَرَهَبًا﴾ (الأنبياء: ٩٠). ووردت مادة (رهب) فى مواضع مختلفة فى القرآن الكريم لتدل على الرهبة والتعبد: ﴿وَالرُّهْبَانِ﴾ (التوبة: ٣٤)، ﴿وَرُهْبَانًا﴾ فى (المائدة: ٨٢)، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ (التوبة: ٣١)، ﴿وَرُهْبَانِيَّةً﴾ (الحديد: ٢٧).

وعند الشوكانى، فى شرحه لمعنى (الإرهاب) فى الآيات القرآنية السابقة، من ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ (البقرة : ٤٠) قال: "فاخشون أن أنزل عليكم ما أنزلته بمن قبلكم من العذاب والعقاب، بما أخلفوا ما عاهدوا الله عليه، وعصوا أوامره، وأكثروا فى الأرض الفساد" (١٣).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ (النحل: ٥١) ما نصه: " لما بين سبحانه أن مخلوقاته السماوية والأرضية منقادة له خاضعة لجلاله، أتبع ذلك بالنهى عن الشرك بقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فنهى سبحانه عن اتخاذ إلهين اثنين، ثم نقل الكلام سبحانه من الغيبة إلى المتكلم عن طريق الالتفات لزيادة الترهيب، فقال: "إيَّايَ فارهبون" أى : إن كنتم راهبين شيئاً شيئاً فإيَّايَ فارهبون، لا غيرى، وأنا الذى يجب أن أخص بالرهبة منه، والرغبة إليه .

وورد فى تفسير ابن كثير: "وإيَّايَ فارهبون" أى: فاحشون، ترهيباً، والرهبة من أجل الرجوع إلى الحق، والاتعاظ بما عسى أن ينزل بهم من العقاب" (١٤).

وبمثل ما تقدم، فسّر قوله تعالى فى سورة النحل: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ (النحل: ٥١)، أى : ارهبوا أن تشركوا بى شيئاً وأخلصوا لى الطاعة. (١٥) وكذلك فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (الانبياء: ٩٠). قال: رغبا فيما عندنا، ورهبة مما عندنا، خائفين، والخشوع هو الخوف المستمر، خاشعين أى متواضعين (١٦).



وفسر ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَنْ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ( الأنفال : ٦٠ ) فسرهما بقوله: ترهبون، أى: تُخَوِّفُونَ به عدو الله وعدوكم، وهم المنافقون (١٧).

وقال القرطبي فيها: يعنى تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب (١٨).  
وورد فى تفسير المراعى: الإرهاب والترهيب: الإيقاع فى الرهبة، وهى الخوف المقترن بالاضطراب (١٩).

وتتضح دلالة الألفاظ عند الرجوع للآية التى قبلها وما فيها من الخوف من خيانة المعاهدين لنقضهم العهود والمواثيق ، قال تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ( الأنفال : ٥٢ ) . والآية التى بعدها والتى تفيد المسالمة والمهادنة وعدم الاعتداء، والتى يتضح فيها المقصد من لفظ ترهبون لمنع العدوان وحماية الناس من خلال السلم، قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ ( الأنفال : ٦١ ) ، فما يحصل للعدوان الخوف والرهبة الزاجرة إلا متى علم بشدة قوة المسلمين ، وفى تحصيل القوة سدًّا لأبواب المفساد والحروب، وحفظ للأمن، وجلب مصالح ومنافع العباد، فيهنأ الجميع باتقاء الفتن، ويسعد الجميع بانفتاح أبواب التعاون، وتنمو روابط المودة، ويزدهر العمران فى الأرض وتحقيق السلام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ لَمْ يِقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة : ٨).

وقال تعالى مندداً ومنكراً على أتباع الأخبار والرهبان فى اتباعهم فى التحليل والتحريم، مما يعنى اتخاذهم أرباباً من دون الله؛ لأن التشريع خاص برب العالمين، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ( التوبة : ٣١ ) . وقد قال الله تعالى عن أكلهم أموال الناس بالباطل، كالرشوة وغيرها، ومنعهم الناس من الدخول فى دين الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ( التوبة : ٣٤ ) .

والإسلام دين العدل والاعتدال والوسطية، وما معانى الكلمات إلا تدور حول خشية والخوف من الله دون سواه، فالذى يخاف ويخشى الله يلزمه الخضوع والرهبة .

ونلاحظ أن كلمة الإرهاب التى بهذه المعانى فى القرآن الكريم تختلف عن معنى كلمة (الرعب)؛ لأن كلمة (رهب) ومشتقاتها تدل على الخوف الممزوج بالمحبة والخشية والخضوع، كما أن بعضاً منها يدل على التبتل والانقطاع للعبادة، والتخلى عن أشغال الدنيا وملذاتها.  
أما فى السنة النبوية فلم أجد فى الحديث الشريف إلا لفظ (رهبة) فى الحديث الذى يرويه

البراء بن عازب رضي الله عنه: "وأجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك" <sup>(٢٠)</sup>. أى: رغبة فى رفدك وثوابك، (ورهبة) أى خوفاً من غضبك وعقابك <sup>(٢١)</sup>.

وإننى أرى ومن خلال متابعة تعريفات الإرهاب عند الباحثين أن مفهوم الإرهاب يقوم على الشخص، وما يحيط به من ظروف، وما يكون إرهابياً إلا لضعف فى نفسيته، أو ظروف تحيط به، أو صفات سلوكية يرغب من خلالها الوصول لسد نقص عنده.

كما أن مفهوم الإرهاب عند الغرب بعيد كل البعد عن مفاهيم اللغة العربية والقرآن الكريم، ومفاهيمهم وتعريفاتهم كثيرة ومتباينة، فلم يتفقوا على تعريف واحد، ومن هذه التعريفات أن الإرهابى: " هو الشخص الذى يستعمل العنف والتخويف، أو الإرعاب، من قتل وتفجير، لأهداف شخصية".

وبما أن الإرهاب يعتمد فى الأساس على العنف الذى هو: " كل سلوك فعلى أو قولى يتضمن استخداماً للقوة أو تهديداً باستخدامها، لإلحاق الأذى والضرر بالذات والآخرين، وإتلاف الممتلكات، لتحقيق أهداف معينة" <sup>(٢٢)</sup>؛ فيرى الباحث أن الإرهاب هو الفساد والخراب والتهديد والعنف من قبل أفراد أو جماعات، لإحداث صدمة، أو فزع، أو ذهول، أو رُعب، بهدف التدمير والتخريب، ظاناً فى عمله المصلحة الدينية أو الدنيوية .

### ثالثًا : مفهوم الإرهاب فى القانون الدولى

الإرهاب فعل يصدر من معتد على بريء يحدث له الخوف والرعب والفرع، سواء عن طريق تنفيذ أعمال العنف كالقتل والتخريب أو التهديد، ولأى سبب كان، هو فعل موصوف معرف ومحدد، لذا فكل فعل ينطبق عليه هذا الوصف والتعريف فهو إرهاب، بصرف النظر عن القائم به، فردًا كان أو دولة أو جماعة.

ومصطلح "الإرهاب" ليس له أساس قانونى محدد، فقد يدل على العمليات الإرهابية المعاصرة، وقد يوصف ببث الرعب فى النفوس سواء كانت دولاً أو أفراداً، مما دفع الأمم المتحدة فى عام ١٩٧٢م إلى إضافة لفظ دولى إلى كلمة إرهاب، وذلك من أجل البحث عن الدوافع والأسباب وراء العمليات الإرهابية.

ويشمل هذا الكلام كل أنواع الرعب والتخويف وبثه، والأصل أن هذه الأعمال فى غالبها أعمال يعاقب عليها القانون الوضعى فى مختلف الدول حال ارتكابها فوق إقليم الدولة أو ملحقاته، ولتزايد هذه الأعمال التخريبية سعى العديد من أهل القانون لوضع قواعد وقوانين تهدف إلى تجريم تلك الأعمال دولياً، وتوقيع عقوبة رادعة على مرتكبيها، مما دفعهم لتوقيع اتفاقية تجريم الإرهاب والعقاب عليه فى ظل عصابة الأمم، والتوقيع عليها فى جنيف فى ١٦ من تشرين أول عام ١٩٣٧م<sup>(٢٣)</sup>.

ولقد ازداد اهتمام هيئة الأمم المتحدة بظاهرة الإرهاب بسبب سعة انتشارها وخاصة فى السنوات الأخيرة، مما دفع الجمعية العامة للهيئة لإدراج بند الإرهاب على جدول أعمالها .

وعندما وضعت لجنة الإرهاب الدولى التابعة للأمم المتحدة مشروع اتفاقية موحدة بشأن الإجراءات القانونية لمواجهة الإرهاب الدولى عام ١٩٨٠م، قالت: "إن الإرهاب الدولى يعد عملاً من أعمال العنف الخطيرة أو التهديد به، يصدر من فرد سواء كان يعمل بمفرده أم بالاشتراك مع أفراد آخرين، ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو الأمكنة، أو وسائل النقل والمواصلات، أو ضد أفراد الجمهور العام، بقصد تهديد هؤلاء الأشخاص أو التسبب فى جرحهم أو موتهم، أو تعطيل فعاليات هذه المنظمات الدولية، أو التسبب فى إلحاق الخسارة أو الضرر أو الأذى بهذه الأمكنة أو الممتلكات، أو بالعبث بوسائل النقل والمواصلات، بهدف تقويض علاقات الصداقة بين الدول أو بين مواطنى الدول المختلفة، أو ابتزاز أو تنازلات من الدول، كما أن التآمر على ارتكاب الجرائم، أو محاولة ارتكابها، أو الاشتراك فى ارتكابها، أو التحريض العام على ارتكابها، يشكل جريمة الإرهاب الدولى"<sup>(٢٤)</sup>.

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير بظاهرة الإرهاب فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، إلا أنه لا يوجد تعريف قانونى محدد للإرهاب، ولحسن الحظ فإن لجنة القانون الدولى التابعة للأمم المتحدة،

التي تقوم بتقنين الجرائم المخلة بأمن وسلام الإنسانية، قد قدمت في المادة التاسعة عشرة من المشروع، التعريف التالي للإرهاب: "الإرهاب هو كل نشاط إجرامي موجه إلى دولة معينة، ويستهدف إنشاء حالة من الرعب في عقول الدولة، أو أى سلطة من سلطاتها، أو جماعات معينة منها"<sup>(٢٥)</sup>.

وقد عرف عبد العزيز سرحان الإرهاب الدولي بأنه: "كل اعتداء على الأرواح والممتلكات العامة أو الخاصة بالمخالفة لأحكام القانون الدولي بمصادره المختلفة، بما في ذلك المبادئ العامة للقانون بالمعنى الذى تحدده المادة (٣٨) من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية"<sup>(٢٦)</sup>.

إن ظاهرة الإرهاب ليست نشاطاً بشرياً طارئاً أو ظاهرة مفاجئة، وإنما هى قديمة قدم الإنسان على وجه الأرض، فلم يخل زمن من الأزمان من تصرفات الإنسان الشاذة وسلوكه الإجرامى سواء كان فرداً أم جماعة، وظهر من يتمرّد على السلطة ويبغى على السلطان، ويقم على المجتمع الذى يعيش فيه، بخروجه على نظمه وقوانينه لأسباب وأهداف متعددة، تبرر لهم ما يقولون وما يفعلون، فأول حادثة إرهاب كانت على وجه الأرض بين ابنى آدم قابيل وهابيل، وأول عنف بشرى ظهر على وجه الأرض ما حصل بين ابنى آدم؛ إذ قتل قابيل أخاه هابيل بسبب الغيرة والحسد؛ قال الله تعالى: ﴿ وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة المائدة: ٣١) .

وامتد هذا الإرهاب على مدار الأزمنة والعصور بمسميات مختلفة من بغى وظلم وحرابة، وبصور مختلفة من قتل وخطف وتدمير وتفجير، ومن أول العمليات الإرهابية فى التاريخ خطف أبناء يعقوب عليه السلام لأخيهم يوسف عليه السلام والتي بينها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَدِّينَ ﴾ (سورة يوسف: ٧)، حيث يتضح أن هذه العملية هى أول عملية إرهابية فى تاريخ البشرية؛ لكونها خطت ونفذت حسب الخطة المرسومة لها من قبل المخططين.

وبعض المراجع تشير إلى أن أول الحركات الإرهابية كانت من قبل اليهود وذلك فى الثلث الأول من القرن السابق على ميلاد السيد المسيح عليه السلام، ولم يخلُ العصر الإسلامى من المؤامرات والعمليات الإرهابية شأنه فى ذلك شأن باقى العصور، حيث كانت العمليات الإرهابية والمؤامرات تخطط يوماً بعد يوم ضد رسول الله ﷺ وأصحابه من قبل العرب المشركين واليهود، فتارة بالسم، وأخرى بالسحر، وكذلك القتل والتعذيب، وغير ذلك من الأعمال الإرهابية التى أبدع اليهود بشكل خاص فى تدبيرها ضد الأمة الإسلامية ونبيها.

إلى أن وصل إلى عصرنا الحالى وظهر ظهوراً واضحاً فى بدايات ونهايات القرن العشرين، وحصد أرواح وممتلكات الناس، ووصل إلى القتل على الهوية، وامتد إلى دور العبادة .

### رابعاً : أسباب الإرهاب

ظاهرة الإرهاب قد تكون مركبة معقدة وأسبابها كثيرة ومتداخلة، قد يظهر بعضها، ويخفى الآخر، وقد يكون بعضها دولي والآخر محلي، ومن المتابعين مَنْ يعزو أسباب الإرهاب للظروف المحيطة بالإرهابي سواء كانت نفسية أو عاطفية أو اقتصادية أو سياسية أو دينية، وهذه أو غيرها متعلقة بتكوين شخصية الإجرام لدى الشخص .

ولكنى أرى أن أكثر هذه الأسباب خطراً في من يكون قد فرط في حق الله يوماً ويحاول أن يسد ذلك الفراغ بالتشدد الديني من غير فهم للنصوص، أو نتيجة لتفسيرات وأفهام خاطئة، أو نتيجة لرغبة الانتقام التي ينميها بعض الجهلة بالفهم الخاطئ للأحكام الشرعية، وإعادة النصوص وليها وتطويعها لتناسب أهواء ورغبات من يقود هذه الفئات ، لتنفيذ مآرب شخصية أو دوافع انتقامية .

وعلى الرغم من خطأ هذه التصورات فقد ظهرت منظمات ذات توجه ديني، وبمسميات مختلفة، محاولة استغلال من عندهم استعداد لتقبل أفكارهم نتيجة للأسباب المحيطة بهم، وتوجههم لتنفيذ أعمال إرهابية سواء ضد الدولة أو الأفراد ، وسأحاول أن أجمل بعض الأسباب الرئيسة لظهور الإرهاب :

#### ١- الأسباب التربوية والتعليمية:

الفطرة الإنسانية لدى الشخص مرتع خصب للتلقي، وخاصة إذا بدأ الطالب في مراحل الأساسية التعليمية في البيت فقط يسمع ويأخذ التعليمات، ثم في المدرسة يملى المعلم عليه ويجب أن يستمع لما يقول من غير نقاش أو إعمال للعقل فيما يتلقى من معلمه، فيكون ذلك أدعى إذا كبر وانخرط في المجتمع وثلقفته إحدى الجماعات أن يكون متلقياً من المسئول أو الأمير كما يسميه البعض، قال رسول الله ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه " (٢٧) ، فأى انحراف يكون من خلال التنشئة، ويكون الشرارة الأولى لتحقيق الأهداف الإرهابية .

ويقع عبء هذا الأمر ومسئوليته على الأهل والمؤسسات التعليمية التي تتولى تربية الأفراد وتنقيفهم في جوانب التكوين التربوي العام، أو التعليم الديني (٢٨)، فالأصل في هذه المؤسسات أن تنمي حرمة الدين والأموال والأنفس والأعراض والعقول، وتنمي مداركهم في السماحة والتخاطب والعمل على جمع الكلمة، بدلاً من الحقد والكراهية والتخويف والتطرف والغلو في الأفكار التي تدفعهم للإرهاب وتبنى أفكار متشددة، قال تعالى : ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ( آل عمران : ١٥٩ ) .

## ٢ - الفهم الخاطئ للدين:

الإسلام دين الرحمة والخلق الطيب وعدم الاعتداء على الآخر، ففهم النصوص من الضرورات المهمة لاستقرار المجتمع، وكذلك عدم الانسياق خلف التأويلات التي تنتج من أفكار أو مذاهب طائفية أو مصالح ذاتية .

لقد خلق الله الإنسان وكرمه، وحفظه من الاعتداء عليه بعقوبات زاجرة على من ينتهك ضرورة من الضرورات الأساسية التي وضعها للنفس التي خلقها، واعتبر الاعتداء على الإنسان جريمة كبرى إلا بالحق، فالنفس معصومة إلا بإحدى ثلاث كما ورد في حديث رسول الله ﷺ قال: " وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يَحِلُّ دَمُ رَجُلٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : التَّارِكِ الْإِسْلَامِ الْمَفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ، وَالثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ " (٢٩) وإزهاق الروح أو الاعتداء على ممتلكات الإنسان من المحرمات، قال رسول الله ﷺ : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " ، وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ ( المائدة : ٣٢)، وفي مجال تحريم الانتحار، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ( النساء : ٢٩).

فالإرهاب الذي هو في حقيقته اعتداء موجه ضد الأبرياء من النساء والأطفال والرجال، أو التهديد بهذا الاعتداء، أو أية وسيلة أخرى من وسائل الإزعاج، وإغلاق راحة الآخرين، وسلبهم أمنهم وطمأنينتهم، مرفوض ولا يجوز في نظر الإسلام، لما ورد أن رسول الله ﷺ قال: " لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرُوعَ مُسْلِمًا " (٣٠) .

لقد كرم الله الأمة العربية بالإسلام الداعي إلى المحبة والتسامح، وجاعل المودة والرحمة بين خلقه، كما جعل دستورها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون غلظة أو إكراه، قال سبحانه وتعالى مخاطبًا رسول الهدى ﷺ : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ، ﴿ وَجَدِلْتُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، وقال النبي ﷺ: " الراحمون يرحمهم الله"، هذه هي أخلاق المسلمين الذين خاطبهم الله في القرآن الكريم بقوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿ (البقرة : ١١٠)، وأوصى الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ القائد أسامة بن زيد عند مغادرة مكة المكرمة لفتح بلاد الشام قائلاً: " لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تغلوا ولا تمتلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تغرقوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تدبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكل، ولا تقتلوا راهباً في صومعته"<sup>(٣١)</sup>.

### ٣- الأسباب الاقتصادية :

سد حاجات الإنسان الاقتصادية من الأساسيات الحياتية والنفسية ومن المتطلبات الأسرية، فالاستقرار الاقتصادي لدى الشخص يفوت عليه الانحراف في مسارب التطرف والإرهاب، فالتدنى في مستوى المعيشة والسكن والتعليم والصحة يؤدي إلى المعاناة والعوز الذي قد يشعر الإنسان الجاهل غير السوي بحب الانتقام ممن حوله أو من الدولة التي يجب أن توفر له ولأهله سبل العيش السليم<sup>(٣٢)</sup>.

إن بعض السياسات الرأسمالية التعيسة وانتشار الفقر في المجتمعات تكون بيئة خصبة للأفكار المتطرفة التي تنقم على أصحاب الأموال، الذين يسلكون سلوكاً استفزازياً مما يؤدي إلى التفاوت الطبقي؛ الذي يوجب إلى فقدان الشعور بالأمل أو الأمن، والذي يوجب الحقد والضغينة لدى الشخص المتطرف؛ ويجرفه نحو التخريب والرعب والتطرف الإرهابي<sup>(٣٣)</sup>.

### ٤- الأسباب السياسية :

عدم الثقة، وعدم الفهم السياسي يؤدي إلى الصدام وخلق حالة من عدم الاستقرار بين الشعب والقيادة السياسية، يدفع الكثير من الأشخاص أصحاب الأجنداث الشخصية أو الاعتبارات الدولية إلى استغلال هذه الفجوة لتجنيد بعض الشباب واستغلالهم، وذلك من خلال دغدغة المشاعر التي تنتشد الاستقرار، واحتضانهم وتوجيههم ضد الدولة مادياً ومعنوياً؛ لكسب تنازلات سياسية أو اقتصادية من القيادة السياسية، ومحاولة إخضاعها لدول أخرى من خلال أعمال تخريبية وإرهابية تستهدف المناطق الحيوية أو السياحية أو مؤسسات الدولة<sup>(٣٤)</sup>.

### ٥- الأسباب النفسية والشخصية :

أرى أن هذا السبب من أهم الأسباب الدافعة للإرهاب، وقد يكون في نظري أولها، والذي يُعد دافعاً أساسياً للميول نحو الإجرام وارتكاب العمليات الإرهابية .

فالميل نحو الإجرام ضد الغير يكون نتيجة لعوامل نفسية كامنة في داخل المتطرف تدفعه لذلك، فالحسد أو الحقد أو الكراهية دوافع أساسية للإجرام ، كما أن التجرد من الإنسانية وعدم التخلق بالأخلاق الحميدة من شفقة ورحمة، تجعله يتلذذ في إرهاب وتخويف الناس .

إن الشخص يكتسب الصفات النفسية من البيئة المحيطة به، سواء في محيط الأسرة أو في

محيط المجتمع ؛ فإخفاقه فى علاقته مع الآخرين من الأسباب الشخصية الدافعة نحو الإجرام، وقد يكون فشله فى التعليم سبباً للحقد على زملائه الآخرين، وفشله فى الحصول على وظيفة قد يكون سبباً لكرهه للمحيطين به، وصحبته السيئة أو عدم قدرته على اكتساب أصدقاء قد يكون سبباً للإجرام عنده .

وقد تكون هذ الظروف دافعاً للشخص لإثبات وجوده من خلال مواقع أخرى، فيلجأ جهلاً وعدواناً إلى التطرف؛ لأنه فى نظره المحدودة الخاطئة وسيلة سهلة لإثبات الذات، حتى لو أدى به ذلك إلى ارتكاب جرائم إرهابية. (٣٥) .

#### ٦- وسائل الإعلام :

إن وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وقنوات فضائية وشبكات الاتصالات العالمية (الإنترنت) أعطت الجماعات الإرهابية فرصاً واسعة لنشر أفكارهم والدعاية لهم، وتجنيب مؤيديهم أفكارهم، وتسويغ أعمالهم الإجرامية بالترويج والتحليل والتبرير لأعمالهم، وذلك من خلال تحليلات شاذة بالوسائل الإعلامية أمام الرأى العام العالمى، دون أن يتكلفوا شيئاً فى سبيل الإنفاق على تلك الدعاية، بل والحصول على أوسع دعاية دولية ممكنة لعملياتهم الإرهابية (٣٦).

#### ٧- عدم وجود تعريف محدد للإرهاب :

إن "عدم الاتفاق الدولى على تعريف محدد للإرهاب يحدد مظاهره وصوره وأسبابه، أفسح المجال لبعض الحكومات لاحتضان ما ترى أنه ليس من الإرهاب فى مفهومها، سواء أكان ذلك الاحتضان بشكل مباشر أم غير مباشر، بينما قد تشن دول أخرى حرباً على ما تسميه إرهاباً فى مفهومها وهو ليس كذلك عند الآخرين، وهذا الوضع المتناقض مكن بعض المنظمات التى تمارس الإرهاب من الحركة والتنقل والانطلاق تحت غطاء شرعية وجودها فى دولة من دول العالم" (٣٧).

#### ٨- حركات المقاومة للأنظمة :

وجود ما يسمى بحركات المقاومة للفكر السائد فى بعض الدول أو للنظام الحاكم فيها، ومساعدة بعض دول العالم لتلك الحركات، سواء أكانت مساعدة مادية أم معنوية، وذلك بحجج مثل عدم توافر الحرية أو الديمقراطية لها فى بلادها (٣٨) .

هذه الأسباب وغيرها الكثير مدعاة لتفشى ظاهرة الإرهاب، وما اخترت هذه إلا لأنى أرى أنها من الأسباب المباشرة لهذه الفئات .



### خامساً : أهداف وأشكال الإرهاب

تعد أهداف التنظيم الإرهابي وغاياته من أعظم الأمور التي تلعب دوراً في جعل الإرهابيين يتمتعون بقدر عال من المهارة في ممارسة العنف وذلك من أجل جذب الانتباه، حيث إنهم يسعون لتحقيق الأهداف بوسائل نوعية من أجل الحصول على الأموال لتمويل نشاطهم، وتجنيد أفراد لتنفيذ عملياتهم من قتل، أو تفجير ، أو حتى اختلاس .

وقد يكون من أهداف الجماعات الإرهابية إضعاف السلطة وابتزاز الحكام من خلال مواجهة المواطنين، وبث الرعب والخوف بين صفوفهم من خلال عمليات التفجير أو القتل الجماعي؛ لجعل الناس تفقد الثقة بالحكومة، وتبين عدم قدرتها على توفير الأمن للمواطنين، مما يجلب لهم التعاطف ووضع مراكز قوة لهم .

#### أشكال الإرهاب:

من أهم أشكال الإرهاب، والذي يتمثل في الجرائم الإرهابية، مايلي:

##### ١- الإرهاب المادي<sup>(٣٩)</sup> :

- عمليات التفجير: وتعد الأسلوب الأكثر شيوعاً واستخداماً وانتشاراً في معظم الجرائم الإرهابية في العالم، وذلك لعدة أسباب، من أهمها: أنه الأسلوب الذي يمنح الفرصة الكافية للإرهابي لإكمال العملية الإرهابية، وإمكانية الانسحاب من مسرح الجريمة دون القبض عليه أو اكتشافه، فضلاً عن أن هذا الأسلوب يحدث في حال وقوعه قدرة عالية في جذب انتباه الجماهير ووسائل الإعلام، أي أنه حقق الغاية المرجوة، وهي الرعب والإثارة، والتأثير السلبي في موقف السلطة السياسي، وحجم الأفراد المشاركين في تنظيم الجرائم الإرهابية.

- الاختطاف: يعد أحد أشكال الجرائم الإرهابية، ويوجه حيال الشخصيات السياسية، ويعد من الأشكال التي تعتمد عليها الجماعات الإرهابية لابتزاز الناس بغية الحصول على الأموال منهم، أو من عوائلهم، باعتبارها فدية مقابل حياتهم.

- احتجاز الرهائن: يعد أحد أشكال الإرهاب الذي يستخدم من قبل الجماعات الإرهابية للحصول على مكاسب سياسية تتعلق بمطالب التنظيمات التي يتبعونها، والضغط على الحكومات السياسية الحاكمة لتحقيق مطالبها، وقد يسعى الإرهابيون إلى الحصول على مكاسب اقتصادية لغرض الحصول على الأموال اللازمة لاستمرار التنظيم، كما تعد المصادرة والابتزاز من الأشكال الشائعة التي تستخدم من أجل الحصول على مكاسب عن طريق السطو المسلح، ومصادرة الأموال، أو ابتزاز الأشخاص أو الشركات، وقيام التنظيمات بالابتزاز يعدّ من وجهة نظرها ضرورة قصوى تدعوها الحاجة؛ لكي تتمكن من تحقيق أهدافها.

- تخريب المنشآت : تهدف الجماعات الإرهابية إلى تخريب المنشآت المهمة وتدميرها، ويعد هذا شكلاً من أشكال الجرائم الإرهابية، ويتم ذلك عن طريق تخريب وتدمير تلك المنشآت أو مراكز المعلومات المهمة عن طريق سرقة تلك المعلومات أو تدميرها أو تخريبها، إضافة إلى الاغتيالات التي توجه حيال الشخصيات المهمة والسياسية في النظام السياسي الحاكم، والتي يعمل الإرهابيون على التخطيط لاغتيالهم من أجل تحقيق شيء من الأهداف التي حددها التنظيم.

- الاحتلال: يعد الاحتلال شكلاً من أشكال الإرهاب المادي؛ لأنه يروع الأمنين، ويستولي على مقدراتهم، وكذلك على أرضهم، ويقتل أبناءهم، ويعتقل ويسجن صغيرهم وكبيرهم، ويدمر بيوتهم، وهذا ما تقوم به دولة الاحتلال في فلسطين، ويسمى أيضاً إرهاب دولة .  
هذه الأشكال وغيرها الكثير، وما أوردته هنا ليس إلا جزءاً أرى أنه الأكثر شيوعاً ليدل على غيرها من الأشكال .

## ٢- الإرهاب الفكري:

وهو الذي يبطش بالوعي وبالفكر؛ حيث إن هذا النوع من الإرهاب هو استخفاف بالعقول، والإرهاب الفكري موجود بين الناس بنسب متفاوتة، وهو ظاهرة تنتشر في المجتمعات، ويتجسد في ممارسة الضغط أو العنف أو الاضطهاد ضد أصحاب الرأي المخالف أفراداً كانوا أو جماعات، وذلك بدعم من تنظيمات سياسية أو تنظيمات دينية تروج له، ويهدفون من خلاله تغيير واقع الحياة ومنع الرأي الآخر من الظهور والنقش بين الناس؛ ليكون رأيهم هو السائد دون أي معارضة، والمخالف يقع تحت الإرهاب والتخويف، والهلاك لمن تسول له نفسه معارضة هذا الفكر أو مخالفة هذا التوجه.

## ٣- الإرهاب العقائدي :

إن ما حصل في العالم الإسلامي من مشاكل ومحن وإرهاب عقائدي تعتبر تعديتات متنوعة، وتقولاً على الله وعلى رسوله ﷺ ممن ليس أهلاً بأن يفسر ويقول، الأمر الذي أدى إلى ظهور آراء تحرض على الناس لإرغامهم على اعتقاد بعينه، وقد أدى إلى شيوع هذا النوع من الإرهاب اغترار الناس بهم واعتقادهم أنهم يأمرون بأمر الله وينهون بنهيه.

إن المسلم والمؤمن وطلاب العلم عليهم أن يتقيدوا بما كان يتقيد به أهل العلم سابقاً، فما كان الواحد منهم يتجرأ أن يقول في دين الله وشرعه إلا بعد أن يكون أهلاً لذلك، ولذا كان الناس في كثير من الأحوال في مأمن من المخاطر ومنجاة من الفساد والخراب والإرهاب، وما كان الناس يخشون أن يعتدى عليهم في طرقاتهم، إن الإيمان بالله جل وعلا يحجز الإنسان عن إيذاء الآخرين،

وإذا فكر في أمر الإيذاء تذكر العَرَضَ على الله جل وعلا، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦).

إن المصائب التي جاءت في كثير من البلاد الإسلامية من تضليل بدون حق، وتكفير بدون  
دليل، ونشر للفساد والخراب، والدمار وسفك الدماء، كل ذلك إنما جاء نتيجة طيش، وضعف إيمان،  
أو قلة بصيرة، ولو اهتدى الناس ورجعوا إلى ربهم جل وعلا، وحققوا إيمانهم؛ لوجدوا أن الله  
يهديهم بإيمانهم سواء السبيل<sup>(٤٠)</sup>.

## سادساً : طرائق علاج الإرهاب

لتجفيف منابع الإرهاب يجب العمل على إزالة أسباب وجود الإرهاب من خلال توفير الغذاء وأسباب الأمن النفسى ، وتعميق الثقة بالنفس لأفراد المجتمع، وإزالة الفوارق الاجتماعية بين الناس، وكسر الحاجز بين الحاكم والرعية، وتفعيل دور الشورى أو دور النواب، وتطبيق القانون على الجميع، والعمل على إزالة ظواهر الفساد الإدارى والمالى، وأن تعمل الحكومات على تنمية روح التعاون بين الناس ، مما ينقى المجتمع من هذه الفئات التى تسعى للتخريب والتدمير، وكذلك يؤدى إلى تقويض انتشار الأفكار الإرهابية .

كما يجب العمل على نشر الفكر المستنير، والدعوة للحكمة وتحكيم العقل قبل تحكيم العاطفة، ووضع قوانين تجرم من يستغل ظروف الناس لنشر الفكر التخريبي والإقصائى بين الناس، والذي يؤدى إلى انتشار الجريمة التى تهدد السلم الأهلى .

إن الإعلام من أهم الأسباب التى تروج للعنف والتخريب من خلال استئجار ألسنة داعية ومروجة ومبررة لما تقوم به الجماعات الإرهابية وخاصة فى هذه الأيام، وهو من الوسائل التى تدعو لبث الحقد والكراهية من خلال برامج ومقالات، سواء كان على الفضائيات أم وسائل التواصل الاجتماعى والإنترنت؛ لذا يجب تجفيف منابع الإرهاب الإعلامية التى تدعو للتخوين والفتنة والإساءة للمواطنين المستأمنين، ومنعها من ممارسة عملها منعاً قاطعاً.

ضرورة العمل على تجديد الفقه وتنقية الفتاوى من كل نص لفقيه يخالف فيه آراء الجماعة، وينفرد برأى يدعو فيه للقتل أو النهب أو إثارة الفتنة بين المواطنين، والعمل على إعادة النظر فى فتاوى الجهاد التى كانت فى العصور الماضية، ودراستها دراسة مستفيضة، ومدى توافقها مع النصوص من القرآن أو السنة الصحيحة، مع ضرورة وضع قوانين وقواعد أصولية تؤكد على قداسة المصادر الأساسية، ووضع ضوابط للحد من الترويج لأفكار القتل والتخريب، وكذلك التكفير على غير أسس توضع من خلال القرآن والسنة .

بث الروح التعاونية ونبذ فكرة إقصاء الآخر من خلال دروس توعوية، ومحاضرات تربوية، ووضع خطة موضوعية محددة لفترة زمنية للحد من انتشار الأفكار المتطرفة ، ومحاربتها بوسائل سلمية، وتطبيق التوصيات العلاجية السابقة، وتنقية المجتمع من كل المنظمات الإرهابية، حتى يصبح لدى المواطن دافع قوى للمساعدة فى محاربة كل الأفكار الدخيلة، فالأسلوب الوقائى للحد من الجرائم خير وسيلة من إيقاع العقوبة، لأن العقوبة لا تكون إلا لمن ارتكب الجرم، فنحن بهذا البحث نسعى لأن نقى الفرد بوسائل وأساليب من إيقاع العقوبة عليه.

وبهذا تتقطع الحجج التي تعتمد عليها الجماعات الإرهابية ولا يكون لهم تأثير، فالنصوص الفقهية التي يروجون لها، ويكفرون الناس من خلالها، ويستحلون دماء الناس بها، والتي تعد الداعم الأساسي لبعض الجماعات الإرهابية يجب أن توضع لدراستها، ومعرفة أسبابها ودوافعها، ولم قيلت، وهل هي موافقة للنصوص الصحيحة أم لا ، فبذلك نكون قد بينا الصورة الصحيحة للإسلام، وتصحيح الصورة التي اكتست لونا مقيتاً، بالإضافة إلى توضيح ما حاول أن يروج له صانعو الإرهاب من خلال اجتزاء بعض النصوص الدينية والفقهية ، ولصق الإرهاب بالإسلام زوراً وبهتاناً.

## الخاتمة

الإسلام دين سلام وعدل ومساواة ومحبة وأخوة، ويحارب الإرهاب بثتى صورته وأشكاله، ومهما كانت أسبابه ودوافعه، فقد كرم الله الأمة العربية بالإسلام الذى أنقذها من الضلالة إلى الهدى، ومن التنازع والتباغض إلى المحبة والتسامح، وجعل دستورها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، دون غلظة أو إكراه، وقد حرم الإسلام كل ما يمت للإرهاب بصلته، وجعل جريمة الاعتداء على النفس البريئة تالية لجريمة الإشراف بالله، وحث على احترام أهل الديانات الأخرى واعتبار من يؤذيتهم كأنما يؤذى الرسول ﷺ.

إن الإرهاب ضد النظام الدولى وضد أمن وسلام الناس فى المجتمعات المختلفة، كما أن مكافحة الإرهاب تحتاج إلى دراسة طبيعة الإرهابيين والأسباب التى دعيتهم إلى هذه التصرفات وردعهم، ولا بد من وضع قوانين للقضاء عليه، وتدابير تحد من انتشار أفكارهم من خلال مواد إعلامية مسموعة ومقروءة ومرئية، توجه للرأى العام، والدروس والمواعظ والمحاضرات الموجهة للأجيال الناشئة؛ لتوعيتهم من السقوط فى براثن الإرهاب.

وهكذا ينبغى تقديم الدين فى صورته الصحيحة السمة بعيداً عن روح التعصب، والعمل على دراسة وتنقية الفتاوى التى يعتمد عليها الإرهابيون، والرد عليها من صحيح السنة.

## التوصيات

- ١- أن يتم الاتفاق بين كافة دول العالم على عقد مؤتمر دولي تحت رعاية وإشراف الأمم المتحدة لوضع تعريف واضح وشامل للإرهاب.
- ٢- أن يقوم العلماء من المسلمين وغير المسلمين بشرح القيم الإنسانية التي نادى بها جميع الرسل والأنبياء، وأكدها القرآن الكريم .
- ٣- العمل على ترسيخ مفاهيم الإسلام الصحيحة عن الدين والحياة.
- ٤- تطوير الأساليب الوعظية، من خلال علماء دين لهم حضور جماهيري، ولهم قدرة على مواجهة أفكار الإرهاب الخاطئة من خلال إعلام توعوي فاعل .
- ٥- أن تتخذ إجراءات رادعة ضد أي دولة تدعم الإرهاب أو تستضيف مؤسساته.

- (١) المنذرى، زكى الدين عبد العظيم ، الترغيب والترهيب، دار ابن كثير ، دمشق، ط ١ ، ١٩٩٣م، ٤٥/٢.
- (٢) الفيروز آبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م، ط ٥ ، ص ١١٨ .
- (٣) ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، بيروت ، دار بيروت للطباعة، ١٩٥٥ م، ٤٣٦/١.
- (٤) الزبيدي ، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة التجارة، بيروت.
- (٥) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (القاهرة : مجمع اللغة العربية)، ص ٣٩٠ .
- (٦) محمد مؤنس محبى الدين، الإرهاب فى القانون الجنائي، دراسة قانونية مقارنة على المستويين الوطنى والدولى ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ م، ص ٣٩ .
- (٧) عبد الوهاب الكيالى وآخرون، موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥ م، ج ١.
- (٨) حسين شريف، الإرهاب الدولى وانعكاساته على الشرق الأوسط خلال أربعين قرناً، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ م، ٢٧/١ .
- (٩) عيد، محمد فتحى، واقع الإرهاب فى الوطن العربى، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٩٩٩، ط ١، ص ٣١.
- (١٠) السلومى، محمد عبد الله، القطاع الخيرى ودعاوى الإرهاب - كتاب البيان، ص ١١٤.
- (١١) اللث، أحمد يوسف، الإرهاب فى العالمين العربى والغربى، ط عمان، دائرة المطبوعات والنشر ١٩٩٨م، ص ١٣-٢٥.
- (١٢) عبد الستار الطويلة، أمراء الإرهاب، كتاب اليوم، العدد ٣٤٢ القاهرة : دار أخبار اليوم ، ١٩٩٣م، ص ٢٥ .
- (١٣) الشوكانى، فتح القدير، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩١م، ٨١/١.
- (١٤) ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م، ٧٩-٨٠ /١.
- (١٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٥٥ /٢.
- (١٦) السابق ، ١٨٨/٣ .
- (١٧) السابق ، ٣٠٨ /٢ .
- (١٨) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، ٣٨ / ٨ .
- (١٩) المراغى، أحمد مصطفى، تفسير المراغى، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٩٨٥م، ٢٢/ ١٠ .
- (٢٠) البخارى فى صحيحه، كتاب الدعوات، باب: إذا بات طاهراً، حديث رقم : ٦٣١١ .
- (٢١) العسقلاني، ابن حجر ، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار الصحابة، دمشق، ١١١/١١ .
- (٢٢) إبراهيم، حسنين توفيق ، العنف السياسى فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٥ .
- (٢٣) الطيار، صالح بن بكر، الإرهاب والمواثيق الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب، مركز الدراسات العربية الأوروبية، باريس، ص ٧ .



- (٢٤) عبد السلام، على جعفر ، جريمة القرصنة وجرائم الإرهاب الدولي ، بحث مقدم إلى اتحاد المحامين العرب السادس عشر، المنعقد في الكويت، ١٩٨٧م، ٢/ ٥٦٧.
- (٢٥) المرجع نفسه ، ص ٥٧٠ .
- (٢٦) سرحان، عبد العزيز محمد سرحان، حول تعريف الإرهاب الدولي وتحديد مضمونه ، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد التاسع والعشرون ، ١٩٧٣ م، ص ١٧٣ .
- (٢٧) البخارى القنر (٦٢٢٦)، مرجع سابق .
- (٢٨) المطرودى، عبد الرحمن ، نظرة فى مفهوم الإرهاب والموقف منه فى الإسلام ، وزارة الأوقاف السعودية، بدون تاريخ ، ص ٢٥-٢٦.
- (٢٩) محمد بن حبان البستى، صحيح ابن حبان ، المحقق : شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ط: ٢ ، ١٤١٤هـ ، رقم ٥٩٧٦ .
- (٣٠) الطبرانى، سليمان بن أحمد ، المعجم الأوسط، المحقق : طارق بن عوض الله - محسن الحسينى، دار الحرمين - القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، ٢/ ١٨٧ .
- (٣١) تاريخ دمشق لابن عساکر ٥٠/٢ ، السننى الكبرى لليبهقى ١٤٥/٩ .
- (٣٢) موسى، مصطفى محمد، التكدس السكانى العشوائى والإرهاب، ط ١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ٢٠١٠ م .
- (٣٣) الهوارى، محمد ، الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج ، ص ٢١ . المطرودى، عبد الرحمن ، نظرة فى مفهوم الإرهاب والموقف منه فى الإسلام ، مرجع سابق، ص ٢٦ .
- (٣٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .
- (٣٥) الهوارى، محمد ، الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، ص ٢٢ . العموش، أحمد فلاح، أسباب ظاهرة الإرهاب، ص ٩٢ .
- (٣٦) العموش، أحمد فلاح، أسباب ظاهرة الإرهاب، بحث مقدم إلى أعمال ندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - ١٩٩٢م ، ص ١٠٠ . المطرودى، نظرة فى مفهوم الإرهاب، ص ٢٩ .
- (٣٧) عوض، محمد محبى الدين، واقع الإرهاب واتجاهاته، بحث مقدم إلى ندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٩٩٩م، ص ٣٨ . المطرودى ، عبد الرحمن، نظرة فى مفهوم الإرهاب والموقف منه فى الإسلام، مرجع سابق ، ص ٢٧ .
- (٣٨) المطرودى، مفهوم الإرهاب والموقف منه فى الإسلام، مرجع سابق ، ص ٣٠ .
- (٣٩) السابق نفسه ، العموش، أحمد فلاح، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، ص ٩٥ .
- (٤٠) موقع السكينة ، الإنترنت تاريخ ٨/١٢/٢٠١٧م .

## الإرهاب مفهومه وأشكاله وتمويله

معالي الدكتور/ سردار محمد يوسف

وزير الشؤون الدينية والوثام الدينى

باكستان

هناك أكثر من مائة تعريف مختلف للإرهاب، بيد أن المجتمع الدولي لم ينجح فى وضع تعريف مقبول على المستوى الدولي للإرهاب، ومع ذلك فقد حدّد مجمع الفقه الإسلامى التابع لرابطة العالم الإسلامى فى دورته عام ٢٠٠٢م تعريف الإرهاب فى العبارة التالية:

الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردى أو جماعى؛ ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق والأماكن العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر.

وقد عرف الفيلسوف الأمريكى مايكل والزر الإرهاب بأنه: القتل العمدي للأبرياء؛ بغرض ترويع جماعة من السكان، أو فرض قيود على قاداتهم السياسيين.

وفى نوفمبر ٢٠٠٤م وصف تقرير الأمين العام للأمم المتحدة الإرهاب بأنه: قصد القتل أو الإيذاء العمدي الواقع على المدنيين أو غير المقاتلين؛ بغرض ترويع الناس، أو جبر حكومة من الحكومات أو منظمة دولية على فعل شىء أو التوقف عنه.

## أشكال الإرهاب :

- **الإرهاب الرسمي أو إرهاب الدولة :** والمقصود به الأفعال الإرهابية التي تقوم بها دولة ضد دولة أو حكومة ضد حكومة، ويشير إلى الدول التي يقوم الحكم فيها على الخوف والقمع الذي يبلغ مبلغ الإرهاب أو قريباً منه، كما يشير إلى الإرهاب الهيكلي الذي يعرف عمومًا بالأفعال الإرهابية التي تنفذها الحكومات لتحقيق أغراض سياسية بوصفها جزءاً من سياستها الخارجية، وذلك باستخدام القوة أو التهديد بها دون إعلان الحرب لترويع المواطنين وتحقيق غرض سياسي.

- **الإرهاب السياسي:** والمقصود به السلوك الإجرامي العنيف الذي يراد به نشر الخوف في المجتمع، أو في داخل قطاع من قطاعاته؛ لأغراض سياسية.

- **إرهاب الخوارج:** والمقصود بهم المجموعات الإرهابية التي تنمرد على حكوماتها.

- **الإرهاب الديني:** وهو الإرهاب الذي يقوم على ادعاء الدوافع والأغراض الدينية، فتغلب عليه السمة الدينية، أو يتغيب تحقيق أهداف دينية متطرفة؛ وتقوم به جماعات إرهابية لها دوافع دينية متطرفة.

ومما يؤسف له أن العالم الإسلامي قد وقع ضحية لهذا المصطلح؛ فقد وُصم المسلمون ظلمًا بالتطرف الديني، واتهموا زورًا بالإرهاب باسم الدين، وإن كان هناك جماعات متطرفة في كل الأديان؛ فإذا كانت القاعدة تنظيمًا ينتسب لقادته للدين الإسلامي، فهناك جماعة "كو كلوكس كلان" (Ku Klux Klan) في المسيحية، وهناك في اليهودية جماعة "الإرهاب ضد الإرهاب" (Terror against Terror)، وفي الهندوسية تنظيم "جاجاران منش" (Jagaran Manch)، ولكن لا يمكن وصف أتباع أي دين بالمتطرفين؛ لأن المتطرفين يوجدون بين كافة الجماعات الدينية، وفي كل المجتمعات.

- **الإرهاب الجنائي:** وهو الذي يستخدمه الإرهابيون في تنفيذ الجرائم، وذلك لتحقيق مكاسب بطريق الجريمة.

- **الإرهاب الإلكتروني:** يستخدم الإرهابيون في هذا النوع تقنية المعلومات لمهاجمة المدنيين وجذب الانتباه لمقصودهم، ومعنى هذا أنهم يستخدمون تقنية المعلومات - من أنظمة الحواسيب والاتصالات الهاتفية - وسيلة لشن هجوم تقليدي، كما يشير الإرهاب الإلكتروني إلى الهجوم على تقنية المعلومات نفسها بطريقة تمنع عمل الخدمات الشبكية بشكل جذري، ومن ذلك قيام المتطرفين بتعطيل أنظمة الطوارئ الإلكترونية، أو اختراق الشبكات المضيفة لمعلومات مالية مهمة، وهناك اختلاف كبير حول مدى الخطر الذي يشكله الإرهابيون في العالم الافتراضي.

## أسباب الإرهاب:

ترجع أسباب التطرف والإرهاب في بعض المجتمعات المسلمة إلى الأسباب التالية:

- اتباع الفتوى الفردية المغلوطة التي تؤدي إلى الالتباس وتقوض أمن المجتمع.
- معارضة الدين والتهكم عليه بهدف صريح هو إبعاده عن شئون الحياة، مع إغضاء الطرف عن التوجهات الإلحادية المعارضة للدين بما يوفر الفرصة للتغريب ببعض الشباب قاصر الوعي والعلم، واستغلال عاطفتهم الدينية للقيام بأعمال إرهابية ظلماً وعدواناً.
- وضع العراقيين في طريق نشر صحيح الدين القائم على القرآن والسنة في بعض المجتمعات.

- غياب العدالة الاجتماعية في بعض المجتمعات والافتقار للخدمات الأساسية، كالتعليم والرعاية الصحية وفرص العمل، فالالاقتصاد السيء، وعدم وجود فرص عمل، والبطالة، تسبب كثيراً من المعاناة، وتدفع الناس إلى كثير من الأنشطة غير القانونية.
- تطبيق بعض القوانين الوضعية الجائرة في المجتمعات ذات الأغلبية الدينية.
- الرغبة في السيطرة تدفع كثيراً من المغامرين إلى إحداث الفوضى في المجتمع، وتقويض الأمن الاجتماعي، لتحقيق أغراضهم الخبيثة.

## تمويل الإرهاب:

يوفر تمويل الإرهاب الأموال اللازمة للأنشطة الإرهابية، ومنها أموال تجمع من مصادر مشروعة، من قبيل التبرعات الشخصية وأرباح المشروعات التجارية والمنظمات الخيرية، ومنها ما يجمع من مصادر إجرامية كتجارة المخدرات وتهريب الأسلحة وغيرها من البضائع الممنوعة، وأعمال الفساد والخطف والغصب.

ويستخدم الإرهابيون أساليب تشبه طرق غسل الأموال لتجنب لفت انتباه السلطات، ولحماية هوية رعاتهم وهوية المنفعين من هذه الأموال، كما يستخدمون الأنظمة المصرفية الرسمية لنقل أموالهم، وكذلك أنظمة التحويل القيمي غير الرسمية، والحوالات، والطريقة القديمة في نقل الأصول، ونقل الأموال النقدية والذهب وغيرها من المقومات من خلال طرق التهريب، ومن مصادر تمويل الإرهاب ما يلي:

- التبرعات: تشكل التبرعات قسماً كبيراً من تمويل النشاطات الإرهابية.
- الأنشطة المشروعة: وتتقنع هذه المشروعات بلباس الصدقات الخيرية، وهي تمول الإرهاب الدولي، ويكشف البحث الدقيق أن كثيراً ممن يجمعون هذه الصدقات يمنحونها لمنظمات إرهابية،

ومن العسير للغاية على الشخص الراغب في معاونة الجهود الخيرية الإنسانية معرفة أي هذه المؤسسات يشكل واجهة للإرهاب.

- **سوء استخدام الحوالة:** الحوالة نظام غير رسمي من نظم المعاملات يقوم في الجملة على تبادل الثقة، حيث يقوم "زيد" الذي يعيش في دولة معينة بإعطاء المال لعامل الحوالة "وسيط" في نفس الدولة التي يعيش فيها، ومن ثم يتعاقد عامل الحوالة مع عامل آخر للحوالة "وسيط آخر" في الدولة المحول إليها؛ حيث يقوم الأخير بإعطاء مبلغ من المال لـ "عمرو" الذي يعيش في هذه الدولة المحول إليها، ويستعمل أطراف الحوالة شفرات سرية لضمان وصول المال للشخص المقصود، ولا يرسل وسطاء الحوالة مالا عينياً، بل يسجلون المبالغ المدفوعة، ثم يقومون بتسوية الديون فيما بينهم في وقت لاحق من خلال تبادل البضائع القيمة، أو من خلال الحوالات البنكية، وهنا يتقاضى وسطاء الحوالة بعض الرسوم على خدمات الحوالة.

وقد استخدمت الجماعات الإرهابية مصادر دول عديدة وصناعاتها كزراعة الأفيون في أفغانستان، ومناجم الفحم في الصومال، واستخراج النفط في العراق - هذا إن أردنا تسمية قليل من كثير - لبيعها في السوق السوداء لشراء الأسلحة ودفع المال للمقاتلين.

كما أن من مظاهر تمويل الإرهاب: قدرة المنظمات الإرهابية على توجيه رؤوس الأموال من مكان لآخر دون استخدام الأنظمة المصرفية المؤسسية.

### **عواقب الإرهاب:**

الإرهاب صورة من صور العدوان على الحياة والممتلكات والدين؛ يبذر الخوف في قلوب الأبرياء، ويؤدي إلى وسم الدين نفسه باستباحة سفك الدماء وتدمير الممتلكات، وكأنه يرفض الحوار، ولا يقبل حل المشكلات والنزاعات بالطرق السلمية، كما يؤدي إلى ظهور المسلمين زوراً وبهتاناً بصورة المتعطشين لسفك الدماء، وكأنهم يشكلون خطراً على سلام العالم وأمنه، ويهددون القيم الثقافية وحقوق الإنسان؛ وهو ما يؤدي إلى نتائج سلبية على المصالح الأساسية للأمة المسلمة، ودورها الحيوي في نشر السلام والأمن، وتبليغ رسالة الإسلام، وحماية حقوق الإنسان، كما يقوض الإرهاب علاقات المسلمين السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والاجتماعية بغيرهم، ويفرض عزلة على الجاليات المسلمة في العديد من دول العالم.

## وسائل الحماية من الإرهاب:

- المبادرة لاقتلاع جذور هذه الجرائم من خلال تطبيق القوانين العادلة المستمدة من الشرائع السماوية في الحياة العامة.
- إبراز العقاب الوخيمة للأضرار الناتجة عن جرائم العنف والتدمير، وما تؤدي إليه من خنق الدولة والأمة والمجتمع والأفراد.
- توفير التعليم الهادف والوعي الصحيح عن طريق أهل المعرفة والخبرة، مع العمل على إيجاد برامج عملية في هذا الصدد.
- تعريف بعض المصطلحات الدينية مثل: الجهاد، ودار الحرب، وولى الأمر، وحقوقه وواجباته، والمراد بالعقود والعهود.

## المواجهة القانونية للإرهاب

الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد رفعت

أستاذ القانون الدولي العام

رئيس جامعة بنى سويف السابق

سفير مصر الأسبق لدى منظمة اليونسكو بباريس

مصر

في ٣٠ من يونيو ٢٠١٣ ثار الشعب المصري على جماعة الإخوان الإرهابية ومن يمثلها في سلطة الحكم، وأعلن الفريق أول عبد الفتاح السيسي - وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة وقتئذٍ - خارطة المستقبل التي تضمنت تعيين رئيس المحكمة الدستورية رئيساً مؤقتاً للبلاد، وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية جديدة.

وفي ٥ من يوليو ثم ٨ من يوليو أصدر الرئيس المؤقت إعلانين دستوريين، وتمَّ بمقتضى الإعلان الأخير تعطيل دستور ٢٠١٢، وتشكيل لجنتين لتعديل دستور ٢٠١٢، إحداهما سميت بلجنة العشرة ضمت ستة من القضاة وأربعة من أساتذة الجامعات، واللجنة الأخرى هي لجنة الخمسين التي تشكلت من جميع فئات وأطياف المجتمع المصري؛ وقد أسفرت جهود اللجنتين عن مشروع دستور جديد لجمهورية مصر العربية تمت الموافقة عليه بالإجماع في استفتاء شعبي يومي ١٤ و ١٥ من يناير ٢٠١٤م.

وقد نصت المادة ٢٣٧ من الدستور الجديد على أن "تلتزم الدولة بمواجهة الإرهاب بكافة صورته وأشكاله، وتعقب مصادر تمويله، وفي برنامج زمني محدد، باعتباره تهديداً للوطن والمواطنين، مع ضمان الحقوق والحريات العامة....".

ونتناول فيما يلي قرار الحكومة المصرية بإعلان جماعة الإخوان تنظيمًا إرهابيًا، والجوانب القانونية للمنظمات الإرهابية، والأطر القانونية لمواجهة ظاهرة الإرهاب، ومواجهة الإرهاب على المستوى الدولي، كل في بحث مستقل.



## المبحث الأول

### إعلان جماعة الإخوان تنظيمًا إرهابيًا

منذ ثورة ٣٠ من يونيو وعقب تشكيل الحكومة المصرية أخذت هذه الحكومة على عاتقها إعلاء سيادة القانون؛ ومن ثمَّ كان لابد من التعامل مع جماعة الإخوان بروح القانون. وبدأت الحكومة منذ اللحظة الأولى في متابعة انتهاكات تنظيم الإخوان، وكان رهان الحكومة أن الجهات المعنية بالدولة سوف تنجح في اتخاذ ما يلزم من إجراءات قانونية لردع التنظيم عن ممارسة هذه الانتهاكات، ومنع حدوث أعمال شغب أو عنف في الشارع المصري. إلا أن ما حدث فاق كل التوقعات فقد نفذ التنظيم كل أنواع العنف الذي بدأ يزداد تدريجيًا إلى أن وقعت حادثة تفجير مبنى مديرية أمن الدقهلية الذي راح ضحيته العديد من أبناء مصر الشرفاء ورجال الشرطة؛ مما دفع مجلس الوزراء، باعتباره أحد سلطات الدولة الثلاث (السلطة التنفيذية)، وكجهة سيادية بإصدار قرار في ٢٥ من ديسمبر ٢٠١٤م بالإعلان عن تنظيم جماعة الإخوان المسلمين كمنظمة إرهابية. وقد جاء نصُّ البيان كالتالي:

"رُوِّعَتْ مصر كلها من أقصاها إلى أذناها فجر الثلاثاء الموافق ٢٤/١٢/٢٠١٣م بالجريمة البشعة التي ارتكبتها جماعة الإخوان المسلمين بتفجيرها مبنى مديرية أمن الدقهلية، وسقوط ستة عشر شهيدًا وأكثر من مائة وثلاثين جريحًا أكثرهم من أبناء الشرطة المصرية الباسلة، والباقيين من مواطني المنصورة المسالمين، وذلك في إطار تصعيد خطير لعنف الجماعة ضد مصر والمصريين، وذلك في إعلان واضح من جماعة الإخوان أنها ما زالت كما كانت لا تعرف إلا العنف أداة لتحقيق أهدافها منذ اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي وقتل القاضي الخازندار في أربعينيات القرن الماضي، وحتى أحداث الاتحادية في عام ٢٠١٢، وجرائم التعذيب في رابعة العدوية، مرورًا بعمليات تصفية أعضاء الجماعة الخارجين عليها، ومحاولة اغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، في الخمسينيات من القرن الماضي، واغتيال الشيخ الذهبي، والرئيس الراحل أنور السادات في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي".

وأضاف البيان الرسمي "كل ذلك بالإضافة إلى جرائم حرق الكنائس التي امتدت على طول عمر هذه الجماعة وإذا كانت الجماعة قد تجاوزت كل الحدود المتصورة في جريمة المنصورة فجر أمس، فذلك لأنها تحاول يائسة إعادة عجلة الزمن إلى الوراء وإيقاف مسيرة الشعب المصري في سعيه لبناء دولة الحرية، والديمقراطية، والعدل الاجتماعي، والكرامة الإنسانية، بدءًا من الاستفتاء على الدستور الذي يؤسس لهذه الدولة الجديدة، ويعلن نهائيًا ضرورة استكمالها طبقًا للمواعيد المحددة".

"وفي هذا الشأن يؤكد مجلس الوزراء أنه لا عودة إلى الماضي تحت أي ظرف، وأنه لا يمكن لمصر الدولة ولا لمصر الشعب أن ترضخ لإرهاب جماعة الإخوان المسلمين؛ حتى وإن فاقت جرائمها كل الحدود الأخلاقية والدينية والإنسانية.

"لكل ذلك قرّر مجلس الوزراء إعلان جماعة الإخوان جماعة إرهابية وتنظيمها تنظيمًا إرهابيًا في مفهوم نص المادة ٨٦ من قانون العقوبات"، بكل ما يترتب على ذلك من آثار، أهمها:

١- توقيع العقوبات المقررة قانوناً لجريمة الإرهاب على كل من يشترك في نشاط الجماعة أو التنظيم، أو يروج لها بالقول أو الكتابة أو بأية طريقة أخرى، من يمول أنشطتها.

٢- توقيع العقوبات المقررة قانوناً على من ينضم إلى الجماعة أو التنظيم واستمر عضواً في الجماعة أو التنظيم بعد صدور هذا البيان.

٣- إخطار الدول العربية المنضمة لاتفاقية مكافحة الإرهاب لعام ١٩٩٨م بهذا القرار.

٤- تكليف القوات المسلحة وقوات الشرطة بحماية المنشآت العامة على أن تتولى الشرطة حماية الجامعات وضممان سلامة أبنائنا الطلاب من إرهاب تلك الجماعة.

إن شعبنا العظيم يدرك اليوم طبيعة هذه الجماعة وحقيقتها مخططاتها، كما يدرك جيداً أنه لا خيار له إلا تحقيق خارطة الطريق رغم الصعاب، وذلك على الرغم من تضحيات أبنائه من رجال الشرطة والبواسل وجنود جيشه العظيم الذين يحظون بكل الدعم من شعبنا وحكومته. "عاشت مصر حرة .. عاش شعبها العظيم .. وستبقى مصر وسيسقط الإرهاب".

ونتناول فيما يلي الوضع القانوني لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، والآثار المترتبة على إعلان الجماعة تنظيمًا إرهابيًا.

### **أولاً : الوضع القانوني لجماعة الإخوان المسلمين:**

إن جماعة الإخوان المسلمين نفسها ليس لها وضع قانوني منذ خمسة وستين عامًا، وأعضاؤها لم يلتزموا بالقانون وقت حكمهم.

وأمام إصرار هذه الجماعة على ممارسة العنف والإرهاب، بالتخطيط مع "التنظيم الدولي للإخوان، والتنسيق مع أجهزة استخبارات خارجية، حسب الاتهامات الموجهة من السلطة المصرية للإخوان، لم تجد الحكومة أمامها من طريق سوى إعلان هذه الجماعة إرهابية، استنادًا إلى قانون العقوبات المصري، الذي يُحدّد في المادة ٨٦ عقوبة شديدة لمن يرتكب فعلاً إرهابيًا تبدأ بالسجن خمس سنوات وتنتهي بالإعدام شنقاً مروراً بالسجن المؤبد.

وقد عرّفت هذه المادة الإرهاب بأنه: " كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف للإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بالاتصالات أو المواصلات أو بالأموال أو بالمباني أو بالأماكن العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالها، أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح".

### ثانياً : الآثار المترتبة على إعلان الجماعة تنظيمًا إرهابيًا :

إن مواجهة إرهاب "الجماعة" وغيرها من مصادر الإرهاب والعنف التي يجرمها القانون تتطلب إستراتيجية متكاملة لتعزيز قدرة الدولة القانونية والمؤسسية على التصدي للأنشطة الإرهابية، وتشمل خطوات من أجل:

- 1- توقيع العقوبات المقررة قانوناً لجرائم الإرهاب على كل من يشترك في نشاط "الجماعة" أو "التنظيم" أو يروج لها بالقول أو الكتابة أو بأية طريقة أخرى.
- 2- العمل على تجفيف منابع الإرهاب الإخواني بتطهير المنظومة التعليمية في الجامعات ومؤسسات التعليم قبل الجامعي، وكذا مؤسسات الدولة المختلفة، والنقابات المهنية والعمالية، والمؤسسات الإعلامية والصحافة القومية.
- 3- تجريم تمويل الإرهاب ورصد ممالي الجماعة الإرهابية، ومنع الجماعات الإرهابية من الحصول على أي شكل من أشكال الدعم المالي من مصادر محلية أو خارجية.
- 4- القيام بدون تأخير بتجميد أي أموال لأشخاص يشاركون في أعمال الإرهاب.
- 5- تبادل المعلومات مع الحكومات الأخرى عن أي جماعة تمارس أعمالاً إرهابية أو تخطط لها، والتأكد من عدم توفير الملاذ الآمن، أو الدعم أو المساندة للإرهابيين من تلك الدول.
- 6- تجريم مساعدة الإرهابيين مساعدة فعلية أو سلبية في القوانين المحلية وتقديم مخالفيها للعدالة.
- 7- السعي للحصول على إدانة عالمية لجرائم الجماعة الإرهابية في مصر، والعمل على توفير المعلومات وتوثيق الجرائم التي ارتكبتها - ولا تزال - ضد الوطن والمواطنين، والتعاون على تحقيق ذلك الهدف مع الأمم المتحدة، والاستفادة من جهودها في وضع وتعميم معاهدات مناهضة الإرهاب.

٨- معالجة الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تشجع على الإرهاب، والعمل على منع الأعمال الإرهابية التي تستعين الجماعة في تنفيذها بأفراد وجماعات يعانون من مشكلات اقتصادية واجتماعية.

ولا شك أن ما تقوم به الدولة الآن من مواجهة شاملة للإرهاب هو تفعيل حقيقى لنص المادة ٢٣٧ من الدستور بأن "تلتزم الدولة بمواجهة الإرهاب، بكافة صورته وأشكاله، وتعقب مصادر تمويله، وفق برنامج زمني محدد، باعتباره تهديداً للوطن والمواطنين مع ضمان الحقوق والحريات العامة. وينظم القانون أحكام وإجراءات مكافحة الإرهاب والتعويض العادل عن الأضرار الناجمة عنه وبسببه".

### ثالثاً: إعلان جماعة "الإخوان" جماعة إرهابية بموجب حكم قضائي؛

في ٢٤ من فبراير ٢٠١٤م أودعت محكمة القاهرة للأمر المستعجلة بعبدين حيثيات حكمها الصادر بإلزام الحكومة بإصدار قرار رسمي باعتبار الإخوان جماعة إرهابية، مع التحفظ على كافة مقراتها وممتلكاتها وأموالها<sup>(١)</sup>.

وقد أسس المدعي دعواه على توافر شرط الاستعجال، وهو ممارسة جماعة الإخوان جرائم في حق الشعب المصري، وقطع الطرق داخل المدن وخارجها وإعاقة السير فيها، وذلك باستخدام وسائل العنف والترهيب والقتل، وهو ما يخالف نص المادة ٥٩ من دستور ٢٠١٤م في أنه من حق الإنسان العيش في حياة آمنة، وأن الاعتداء على جسد الإنسان جريمة يعاقب عليها القانون. ولهذه الأسباب حكمت المحكمة باعتبار جماعة الإخوان المسلمين المحظورة جماعة إرهابية، كما قضت المحكمة بناءً على طلب مقدم الدعوى، بإلزام الحكومة بإصدار قرار رسمي باعتبار جماعة الإخوان المسلمين جماعة إرهابية.

وفي سياق آخر أعلنت السلطات السعودية في ٧ من مارس ٢٠١٤م اعتبار جماعة الإخوان وعدة تنظيمات أخرى تنظيمات إرهابية. وأصدرت وزارة الداخلية السعودية البيان التالي:

استناداً إلى الأمر الملكي الكريم رقم أ/٤٤ بتاريخ ٣/١٤٣٥هـ القاضي في الفقرة (رابعاً)، بتشكيل لجنة من وزارة الداخلية، ووزارة الخارجية، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، وغيرها... تكون مهمتها إعداد قائمة - تُحدَّث دورياً - بالتيارات والجماعات المشار إليها في الفقرة (٢) من البند (أولاً) من الأمر الكريم، ورفعها لاعتمادها. فتود أن تُوضِّح وزارة الداخلية بأن اللجنة المشار إليها اجتمعت وتدارست ذلك ورفعت للمقام الكريم بأن يشمل ذلك كل مواطن سعودي أو مقيم عند القيام بأي أمر من الأمور الآتية:

١- الدعوة للفكر الإلحادي بأية صورة كانت، أو التشكيك في ثوابت الدين الإسلامي التي قامت عليها هذه البلاد.

٢- كل من يخلع البيعة التي في عنقه لولاية الأمر في هذه البلاد أو يبايع أي حزب أو تنظيم أو تيار أو جماعة أو فرد في الداخل أو الخارج.

٣- لمشاركة أو الدعوة أو التحريض على القتال في أماكن الصراعات بالدول الأخرى، أو الإفتاء بذلك.

٤- كل من يقوم بتأييد التنظيمات أو الجماعات أو التيارات أو لإظهار الانتماء لها.

٥- التبرع أو الدعم نقدياً أو عينياً.

٦- الاتصال أو التواصل مع أي من الجماعات المعادية للمملكة.

٧- الولاء لدولة أجنبية، أو الارتباط بها.

٨- السعي لزعزعة النسيج الاجتماعي.

٩- حضور مؤتمرات أو ندوات لهذه الجماعات.

١٠- التعرض للإساءة للدول الأخرى وقادتها.

١١- التحريض، أو استعداد دول أو هيئات أو منظمات دولية ضد المملكة.

وأرفعت وزارة الداخلية ببيانها القائمة الأولى للأحزاب والجماعات التي يشملها هذا البيان،

وهي:

(تنظيم القاعدة - تنظيم القاعدة في جزيرة العرب - تنظيم القاعدة في اليمن - تنظيم القاعدة

في العراق - جماعة داعش - جبهة النصر - حزب الله في داخل المملكة - جماعة الإخوان

المسلمين - جماعة الحوثي).

علماً بأن ذلك يشمل كل تنظيم مشابه لهذه التنظيمات، فكرياً أو قولاً أو فعلاً، وكافة الجماعات

والتيارات الواردة بقوائم مجلس الأمن والهيئات الدولية وعرفت الإرهاب وممارسة العنف.

وقد تضمن البيان أن الوزارة سوف تقوم بتحديث القائمة بشكل دوري وفق ما ورد في الأمر

الملكي الكريم، وتُهيب بالجميع التقيد التام بذلك، مؤكدة في الوقت نفسه بأنه لن يكون هناك أي

تساهل، أو تهاون مع أي شخص ممّا أشير إليه<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الثاني

### الجوانب القانونية للمنظمات الإرهابية

يُعتبر من أعمال الإرهاب مجرد إنشاء أو تأسيس أو تنظيم أو إدارة الجماعات الإرهابية، وقد لوحظ أن أعضاء هذه الجماعات قد تنتمي إلى دول مختلفة تعمل من خلال هياكل تنظيمية وخلايا للجماعة الإرهابية، وقد تقع الجماعة الإرهابية، داخل إقليم الدولة أو تنتشر في أكثر من دولة، وفي هذه الحالة الأخيرة تعتبر من الجرائم المنظمة العابرة للدول، ونظراً لخطورة هذا النوع من الجماعات فإن مجرد تأسيسها أو تنظيمها أو إدارتها أو الانضمام إليها؛ يُعتبر جريمة في حد ذاته<sup>(٣)</sup>. ويجدر التنويه إلى ضرورة توافر النية الإرهابية لدى مرتكبي هذه الأفعال لمساءلتهم عنها؛ إلا أنه يكفي مجرد توقع الأعمال الإرهابية التي تصدر عن أعضاء المنظمة تنفيذاً لأغراضها مع قبولهم لها، وهو ما يُعبّر عنه بالقصد الاحتمالي<sup>(٤)</sup>. وأساس ذلك أن أعضاء التنظيمات الإرهابية المشار إليها في المادتين: ٨٦ مكرراً و٨٦ مكرراً (أ) فضلاً عن جريمتهم القائمة بذاتها يُعتبرون شركاء في الجرائم التي يتم تنفيذها لتحقيق الأغراض غير المشروعة التي أسست هذه التنظيمات من أجلها، ويترتب على ذلك عدة نتائج من أهمها<sup>(٥)</sup>:

#### أولاً : عدم جواز الدفع بالجريمة السياسية:

لا يجوز الدفع بأن الإرهاب جريمة سياسية مهما كانت دوافعه السياسية للإفلات من العقوبة أو لتخفيفها، وقد أثّرت مشكلة الجرائم السياسية بمناسبة تسليم المجرمين.

فقد اعتبرت الجرائم السياسية منذ زمن طويل من الجرائم المستثناة من التسليم، ومما يثير الانتباه أن الأصول التاريخية للتسليم ترجع إلى الرغبة في متابعة مرتكبي الجرائم الماسة بالذات الملكية، أي الجرائم السياسية، وكانت بلجيكا بالقانون الصادر في أول أكتوبر سنة ١٨٣٠م سباقة في استثناء الجرائم السياسية من التسليم.

وهناك معياران للجريمة السياسية، الأول: شخصي يعتمد على البواعث السياسية، والثاني: موضوعي وينصرف إلى الدولة والحكومة والسلطات العامة ومؤسسات الدولة، وبعد مناقشات طويلة أصدر معهد القانون الدولي قراراً بشأن التسليم اقترح فيه استبعاد عدد من الجرائم من طائفة الجرائم السياسية، وفي سنة ١٩٨٣م أكد المعهد صراحة أن أعمال الإرهاب يجب اعتبارها جرائم سياسية<sup>(٦)</sup>.

وقد شجعت الجمعية العامة للأمم المتحدة الدول في الإعلان الصادر سنة ١٩٩٦م المكمل للإعلان الصادر سنة ١٩٩٤م بشأن التدابير الهادفة إلى التخلص من الإرهاب الدولي ( الملحق

بقرارها رقم ٥١/٢١٠) على عدم اعتبار الجرائم المرتبطة بالإرهاب جرائم سياسية. وقد اهتمت اتفاقية ١٩٩٧م بشأن قمع الإرهاب بالنص على عدم جواز قبول أي تبرير سياسي من الإرهابيين استناداً إلى أي اعتبار سواء كان سياسياً أو فلسفياً أو أيديولوجياً، أو متعلقاً بالجنس، أو الأصل، أو العقيدة أو لسبب مشابه، ومهما كانت جسامة العقوبة أو التدبير المقرر عن الجريمة. وبالإضافة إلى ذلك فقد نصت كلٌّ من المادة ١١ من اتفاقية الإرهاب بالمتفجرات (١٩٩٧م) والمادة ١٤ من اتفاقية تمويل الإرهاب (١٩٩٩م) على أنه لأهداف التسليم أو المساعدة القانونية المتبادلة بين الدول الأطراف لا يجوز رفض طلب التسليم أو طلب المساعدة القانونية المتبادلة المبني على الجرائم المشار إليها في المادة ٢ من كلتا الاتفاقيتين والمقيدة جرائم إرهابية على مجرد اعتبار هذا الطلب متعلقاً بجريمة سياسية أو جريمة مرتبطة بجريمة سياسية أو بجريمة مستوحاة من بواعث سياسية<sup>(٧)</sup>.

وقد أكدت كثير من الاتفاقيات الإقليمية رفض الدفع بالجريمة السياسية أو أي تبرير له طبيعة أيديولوجية أو سياسية فيما يتعلق بالجرائم الإرهابية، مثال ذلك الاتفاقية العربية بشأن الإرهاب (١٩٩٨) (المادة ٢ ب)، واتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية بشأن الإرهاب (١٩٩٩م) المادة ٢/٣، وقد نصت هذه الاتفاقية على عدم جواز تبرير الإرهاب ببواعث سياسية، أو فلسفية، أو أيديولوجية، أو متعلقة بالجنس، أو الأصل، أو العقيدة، أو بواعث أخرى، ومن الاتفاقيات التي نصت على عدم جواز قبول الدفع بأن الإرهاب جريمة سياسية الاتفاقية الآسيوية التي عقدتها جمعية جنوب آسيا للتعاون الإقليمي لسنة ١٩٨٧م (المادتان الأولى والثانية)، والاتفاقية الأوروبية بشأن قمع الإرهاب (١٩٧٧) (المادتان الأولى والثانية)<sup>(٨)</sup>.

### ثانياً: التدابير المالية الخاصة بجرائم الإرهاب :

طالب قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧١ الدول تجميد الأرصدة المالية وغيرها للأشخاص الذين يرتكبون أو يشرعون في ارتكاب أو يشتركون في الأعمال الإرهابية أو تسهيلها، ويشبه هذا الالتزام الذي فرضه مجلس الأمن الذي فرضته اتفاقية تمويل الإرهاب لسنة ١٩٩٩م التي نصت على اتخاذ التدابير لتجميد الأرصدة المستخدمة أو المخصصة لغرض استخدامها في ارتكاب جرائم إرهابية، وقد فرضت هذه الاتفاقية التزاماً عاماً على الدول الأعضاء بمطالبة المؤسسات المالية ووسطائها الماليين باتخاذ التدابير الضرورية للتعرف على عملائها واتخاذ الاحتياطات الخاص نحو المعاملات غير العادية المشتبه فيها والإبلاغ عن هذه الأخيرة، كما فرضت الاتفاقية على الدول الأعضاء بالالتزام بالتعاون نحو منع الجرائم المشار إليها في هذه الاتفاقية باتخاذ كل التدابير العملية لمنع ومواجهة التحضير لارتكاب جرائم إرهابية داخل أو خارج

أقاليمها، وذلك بالنص عليها في تشريعاتها الوطنية<sup>(٩)</sup>.

وقد تضمّن مشروع القانون النموذجي لمواجهة الإرهاب الذي أعده مكتب الأمم المتحدة للجريمة والمخدرات النص على التدابير الآتية<sup>(١٠)</sup>:

#### ١- المصادرة :

هي عقوبة عينية نهائية وليست مؤقتة يُنقل بمقتضاها المال المصادر إلى ملكية الدولة، وترد على الأرصدة المستخدمة أو المخصصة لغرض ارتكاب هذه الجريمة، والأرصدة والأموال التي كانت ثمرة لهذه الجريمة، فإذا لم تتحقق هذه المصادرة يمكن مصادرة ما يوازي قيمة هذه الأشياء، وتصبح الأرصدة المصادرة ملكاً للدولة، ويجوز تخصيصها لغرض تعويض المجني عليهم في جرائم الإرهاب (المادتان ١٥ و ١٦) .

#### ٢- تجريد الأرصدة:

يجوز للسلطة المختصة أن تأمر بتجميد الأرصدة والأموال الخاصة بالأشخاص والمنظمات التي ارتكبت أو شرعت في ارتكاب جرائم الإرهاب المرتبطة بالتمويل (المادة ١٧)، وقد عرفت الاتفاقية الأوروبية الصادرة في ١٦ من مايو سنة ٢٠٠٥ م فكرة تجريد الأرصدة بأنه عمل يهدف إلى منع أية حركة أو نقل أو تعديل أو استعمال أو تلاعب في الأرصدة من شأنه أن يؤدي إلى تغيير في حجمها أو كميتها أو تمركزها، أو ملكيتها، أو حيازتها، أو طبيعتها، أو تخصيصها، أو أي تعديل يسمح باستخدامها بما في ذلك إدارة محفظتها (المادة ٢/١).

#### ٣- الضبط:

يجوز للسلطة المختصة أن تضبط شيئاً مملوكاً يرتبط بالجريمة محل التحقيق، وخاصة الأرصدة المستخدمة أو المخصصة لغرض ارتكاب جرائم الإرهاب - المرتبطة بالتمويل وكذلك ما نتج عنها، وأي دليل يمكن أن يسمح بالتعرف عليها (المادة ١٩)، وتجميد الأرصدة وضبطها من التدابير المؤقتة، إذ يجوز للسلطة المختصة أن تتخذ أي تدابير مؤقتة، تحت نفقة الدولة - بما في ذلك تجريد الأرصدة والمعاملات المالية المتعلقة بالأموال أو أي شيء مهمما كانت طبيعته أو مصادره (المادة ١٨).

#### ثالثاً : نطاق الالتزام الدولي باتخاذ التدابير المالية الخاصة بالإرهاب:

يلتزم كل تشريع وطني باتخاذ ما يراه ضرورياً بشأن التدابير سالفه الذكر، مع ملاحظة أن التجميد والضبط تدبيران احتياطيان من أجل المصادرة، ويلاحظ أن اتفاقية مجلس أوروبا لسنة ٢٠٠٥ م فرضت على الدولة الأعضاء اتخاذ تدابير بالتعاون مع سائر الدول بغرض تجريد الأرصدة أو ضبطها (المادة ٢١) مما مقتضاه طبقاً لهذه الاتفاقية أن الدولة ملزمة بأن تتخذ



تدابير احتياطية بتجميد الأرصدة أو ضبطها بناء على طلب دولة أخرى أقامت الدعوى الجنائية أو دعوى للمصادرة (المادة ٢١)(١١).

وقد فرض القرار رقم ١٣٧٣ (٢٠٠١م) الصادر من مجلس الأمن على كل الدول بأن تجمد الأرصدة وغيرها من المصادر المالية أو الاقتصادية المملوكة للإرهابيين أنفسهم وللأشخاص الطبيعيين أو الأشخاص المعنوية التي لها علاقة بها من خلال التعليمات، أو التوكيلات، أو الرقابة، سواء بطريق مباشر أو على نحو غير مباشر(١٢).

#### رابعاً: تمويل الإرهاب باعتباره جريمة قائمة بذاتها :

يُعتبر تمويل الإرهاب جريمة لها ذاتية خاصة، وليس مجرد اشتراك في جريمة الإرهاب. وعلى ذلك فإن جريمة التمويل تقع ولو لم يرتكب بالفعل أي عمل إرهابي، وقد كان الأمر على عكس ذلك قبل اتفاقية ١٩٩٩ الخاصة بتمويل الإرهاب، إذ كان التمويل ينظر إليه بوصفه مجرد اشتراك بالمساعدة على ارتكاب الإرهاب، وقد جاءت الاتفاقية الخاصة بتمويل الإرهاب لعام ١٩٩٩م فغيّرت هذا النهج في التجريم، وأكد ذلك قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ لسنة ٢٠٠١م؛ حيث اعتبر تمويل الإرهاب جريمة قائمة بذاتها مستقلة عن العمل الإرهابي الذي يعتبر التمويل بالنسبة إليه مجرد عمل من أعمال الاشتراك بالمساعدة. وطالب مجلس الأمن الدول بأن تنص في تشريعاتها على المنع والتجريم والعقاب بالنسبة إلى تمويل الإرهاب، ومحاكمة مرتكبي جرائمه، ولهذا طالب مجلس الأمن الدول بأن تصبح أطرافاً في اتفاقية سنة ١٩٩٩م التي تعتبر أساساً قانونياً لمكافحة مؤكدة للإرهاب(١٣).

وقد عنيت الاتفاقية الدولية لتمويل الإرهاب لعام ١٩٩٩م بالتوسع في تعريف المقصود بتمويل الإرهاب فلم تُقيده بتقديم الأموال لارتكاب أعمال إرهابية، بل وسعت مدلوله إلى مجرد جمع الأموال من أجل تحقيق هذا الغرض، كما ساوت بين المصادر المشروعة وغير المشروعة لهذه الأموال؛ ولذلك يتعين التنبية إلى الفارق بين تمويل الإرهاب وغسل الأموال، فعادة ما يشتمل غسل الأموال على تمويل إيرادات مهمة من معاملات غير مشروعة إلى التجارة أو إلى المعاملات المشروعة، وهو ما لا يشترط في جريمة تمويل الإرهاب، إذ يمكن أن يشتمل تمويل الإرهاب على جميع مبالغ مستمدة من أنشطة مشروعة أو من جرائم بسيطة وتحويلها إلى شخص آخر أو إلى منظمة إرهابية لإرسالها في نهاية المطاف لدعم أنشطة الإرهاب ولو على دفعات صغيرة(١٤).

ويستوي أن يكون التمويل من أشخاص طبيعيين أو أشخاص معنويين، وقد ثبت أن الشبكات الإرهابية تستثمر أموالها عبر جمعيات أو شركات؛ ولهذا نصت اتفاقية ١٩٩٩ على التزام الدول الأعضاء باتخاذ التدابير الضرورية لانعقاد المسؤولية (الجنائية والمدنية أو الإدارية) للأشخاص

المعنوية عن جرائم تمويل الإرهاب المرتكبة بواسطة المسئول عن إدارتها أو رقابتها (المادة ٧)<sup>(١٥)</sup>. وكل ما يشترط في تجريم التمويل هو توافر نية تخصيص الأموال لمشروع إرهابي، فهذا التخصيص هو جوهر التجريم وأساسه ومحوره، سواء كان التجريم منصباً على تقديم الأموال أو على مجرد جمعها. ولهذا فإن تجريم تمويل الإرهاب يعتبر في الحقيقة من الوسائل المنيعة للإرهاب، وقد اقتصر قانون العقوبات المصري على تجريم إمداد التنظيمات الإرهابية المحددة في المادتين ٨٦ مكرراً، ٨٦ مكرراً (أ) بمعونات مادية أو مادية مع علمه بالغرض الذي تدعو إليه. (المادة ٨٦ مكرراً ١/)<sup>(١٦)</sup>.

وفي فرنسا أضاف القانون الفرنسي الصادر في ١٥ من نوفمبر سنة ٢٠٠١م إلى قانون العقوبات المادة ٢/٢/٤٢١ بشأن تمويل الإرهاب، وتنص على أن تقع (واقعة تمويل مشروع إرهابي بتقديم أو جمع أو إدارة نقود، أو أصول، أو أموال أيًا كانت أو بتقديم استشارات لبلوغ هذه الغاية بنية استخدام هذه النقود أو الأصول أو الأموال، أو مع العلم بأنها ستستخدم كلياً أو جزئياً في ارتكاب أي من الأعمال الإرهابية المنصوص عليها في هذا الفصل، ولو لم يرتكب هذا العمل من الناحية الفعلية).

ويمكن القول بأن جريمة تمويل الإرهاب بوجه عام - بغض النظر عن مسلك التشريع الوطني - لها ركنان أحدهما مادي والآخر معنوي؛ أما الركن المادي للإرهاب فيتحقق بأحد فعلين، الأول: هو تقديم المال، والثاني: هو جمع المال أو إدارته، ويستوي أن يكون هذا المال في صورة نقود أو أصول، أو في أي شكل آخر، ويستوي أن يكون المال مادياً أو معنوياً أو منقولاً أو عقاراً<sup>(١٧)</sup>، وفيما يتعلق بالركن المعنوي فيتحقق من خلال اتجاه النية لاستخدام هذا المال في تمويل العمليات الإرهابية.

### المبحث الثالث

#### الأطر القانونية لمواجهة ظاهرة الإرهاب

كان الإرهاب ولا يزال أحد أهم التحديات الكبرى التي تواجه البشرية، سواء من حيث آثاره المدمرة التي تجلب الخراب والشر، أو من حيث قدرة الإرهابيين على اختراق كل الموانع والتحصينات الأمنية بعد أن تسلّحوا بوسائل التكنولوجيا الحديثة واستغلوا أبشع استغلال، وقد تحوّل الإرهاب على مرّ العصور من كونه حالة يقتصر أثرها على استهداف مصالح اقتصادية أو اجتماعية، إلى أن أصبح ظاهرة واضحة تستهدف الوصول إلى أهداف سياسية، وتولّد ما يُعرف بالإرهاب السياسي الذي يسعى من خلاله الإرهابيون إلى محاولة قلب المعايير السياسية الراسخة في أية دولة، وخلق جو من الفوضى بغرض الوصول إلى مآرب سياسية، وبات الإرهاب بهذا الوصف شبحاً لا يهدد فقط الأفراد، وإنما قد يعصف أيضاً بأداء الحكومات ويقصص جهودها في التنمية والاستقرار.

ونتناول فيما يلي أهم ملامح الجريمة الإرهابية، ثم نتعرض للنماذج الوطنية لمكافحة الإرهاب في دول العالم المختلفة، والسياسة الجنائية المصرية لمكافحة الإرهاب.

#### أولاً : ملامح الجريمة الإرهابية:

تقع الجريمة بمجرد إنشاء جماعة إرهابية أو تأسيسها أو تنظيمها أو إدارتها، وقد لوحظ أن أعضاء هذه الجماعات قد ينتمون إلى دول مختلفة، تعمل من خلال هياكل تنظيمية وخلايا للجماعة الإرهابية، وقد تقع الجماعة الإرهابية داخل إقليم الدولة أو تنتشر في أكثر من دولة، وفي هذه الحالة الأخيرة تعتبر من الجرائم المنظمة العابرة للأوطان، ونظراً إلى خطر هذا النوع من الجماعات؛ فإن مجرد تأسيسها، أو تنظيمها، أو إدارتها، قد يعتبر جريمة إرهابية في حد ذاته، وأيضاً مجرد الانضمام إليها<sup>(١٨)</sup>.

وقد نصّت الفقرة الأولى من المادة الثانية من القرار الإطاري لمجلس الاتحاد الأوروبي الصادر سنة ٢٠٠٢م؛ بأنه يقصد بالجماعة الإرهابية الجمعية التي يكون هيكلها التنظيمي مكوناً من أكثر من شخصين، والتي تعمل بطريقة محددة بقصد ارتكاب جرائم إرهابية، ونصّت الفقرة الثانية من هذه المادة على أن كل دولة تتخذ التدابير الضرورية لمعاقبة الأعمال العمدية الآتية:

(أ) إدارة جماعة إرهابية.

(ب) الاشتراك في أنشطة جماعة إرهابية، بما في ذلك تقديم المعلومات أو الوسائل المادية،

أو بأي شكل من تمويل هذه الأنشطة، مع العلم بأن هذا الاشتراك يُسهم في الأنشطة الإجرامية

وقد نصَّ قانون العقوبات الفرنسي في المادة ٢/١/٤٢١ على جريمة الاشتراك في جماعة تهدف إلى التحضير لعمل مادي، أو نحو ارتكاب عمل أو أكثر من الأعمال الإرهابية، وبمقتضى هذا النص فإن التجريم يمتد إلى مجرد الأعمال التحضيرية للقيام بالإرهاب، والتي تتمثل في الاشتراك في الجماعة الإرهابية التي تقوم بالإعداد للجريمة.

ووفقاً لقانون الإرهاب البريطاني الصادر سنة ٢٠٠٠ فإن المنظمة تلحق بالعمل الإرهابي إذا ارتكبت أو اشتركت في عمل إرهابي، أو قامت بالتحضير للإرهاب، أو قامت بتعزيز الإرهاب أو تشجيعه، أو قامت بغير ذلك مما يتعلق بالإرهاب (المادة ٣)، وقد اعتُبر من قبيل تعزيز الإرهاب أو تشجيعه أن تتضمن أنشطة المنظمة تحبيذ ارتكاب أعمال الإرهاب أو التحضير لها، أو إذا كانت تؤدي أنشطتها بطريقة تفيد أن المنظمة قد شاركت في بيانات تفيد هذا التحبيذ<sup>(٢٠)</sup>.

وقد عرف قانون محاربة الإرهاب الباكستاني "ATA" الصادر سنة ١٩٩٧ المنظمة المتصلة بالإرهاب (الفصل الحادي عشر) بأنها المنظمة التي ترتكب أو تشترك في عمل إرهابي، أو تحضر للإرهاب أو تعززه أو تشجعه، أو تدعم أو تساعد منظمة تتعلق بالإرهاب، أو تشرف وتساعد على تحريض الكراهية والازدراء للدين والعنصرية أو الإثنية التي تؤدي إلى الفوضى، أو تعجز عن أن تطرد من عضويتها أولئك الذين يرتكبون أعمالاً إرهابية وتقدمهم على أنهم أبطال، أو تكون متصلة بالإرهاب على نحو آخر<sup>(٢١)</sup>.

## ثانياً: النماذج الوطنية لمكافحة الإرهاب:

سعت بعض الدول من خلال تشريعاتها الداخلية وقوانينها إلى وضع ظاهرة الإرهاب على مصاف اهتماماتها الوطنية، ومن أهم التجارب الوطنية في هذا الشأن ما يلي:

### ١ - الولايات المتحدة الأمريكية:

بعد أحداث ١١ سبتمبر أعلن الرئيس بوش في ١٤ من سبتمبر ٢٠٠١م حالة الطوارئ بسبب بعض الهجمات الإرهابية، "Declaration of National Emergency by Reason of Certain Terrorist Attacks" وبعد أربعة أيام تالية أصدر الكونجرس قراراً يُخوّل للرئيس الأمريكي الحق في مباشرة عمليات عسكرية ضد الأمم والأشخاص والمنظمات الذين سمحوا أو نفذوا أو أيدوا الهجمات الإرهابية التي وقعت في ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م، أو وفروا لها الإقامة وذلك لمنع كل عمل مستقبلي للإرهاب الدولي ضد الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة هذه الأمم أو المنظمات أو الأشخاص.

وبناءً على هذه السلطات استخدم الرئيس الأمريكي القوات المسلحة ضد تنظيم القاعدة ونظام طالبان في أفغانستان الذي قدم المساعدة لهذا التنظيم، واعتبر الرئيس الأمريكي أن قرار الكونجرس المذكور بمثابة موافقة على معاملة الإرهابيين بوصفهم أعداء خارجين على القانون "Unlawful Enemy Combatants" طبقاً للقانون العسكري، ولقد مارس الرئيس الأمريكي سلطاته بناءً على ما يمنحه الدستور الأمريكي للسلطات الفيدرالية من سلطات خاصة في المسائل الخارجية وفي الدفاع الوطني وفي حالة الحرب. وعلى هذا الأساس اتخذ الرئيس بوش قراراً بالالتجاء إلى اللجان العسكرية لنظر قضايا المتهمين بالإرهاب. وفي ١٣ من نوفمبر ٢٠٠١م وقّع الرئيس أمراً عسكرياً يسمح لوزير الدفاع بأن يُودع المتهمين بالإرهاب في السجن وأن يعمل على محاكمتهم أمام هذه اللجان<sup>(٢٢)</sup>.

ويُعدُّ قانون باتريوت "Patriot Act" الصادر في ٢٠٠١م، أساساً مهماً لمواجهة الإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث تضمن قيوداً جسيمة على الحريات المدنية إذ وسع من السلطات الاستثنائية في المراقبة الإلكترونية أو التفتيش الواقع على المنظمات الأجنبية أو عملائها. كما احتوى هذا القانون على عدة سلطات خاصة في مجالات المراقبة وغسيل الأموال ومركز الأجانب واعتقالهم والتوسع في التجريم والعقاب والحبس الاحتياطي.

وقد قام الكونجرس قبل انتهاء مفعول هذا القانون بتجديد العمل بمعظم مواده والتي سميت بنصوص الغروب "Sunset Provisions" وأحدث عليها بعض التعديلات مُبقيًا على النصوص الخاصة بتسجيل المكالمات التليفونية.

وفي ٣٠ من ديسمبر ٢٠٠٥م صدر قانون معاملة المسجونين وفرض قيوداً على سلطة المحاكم في إعادة النظر في مسائل تتعلق بالمسجونين في جوانتانامو وقيّد السلطة التنفيذية في اتخاذ تدابير قاسية أو غير إنسانية أو تنطوي على معاملة مهينة داخل السجن.

## ٢- المملكة المتحدة :

أدت أحداث يوم الأحد الدامي "Bloody Sunday" عام ١٩٧٢م إلى إعادة العمل بقانون الطوارئ في الفترة من ١٩٧٣ - ١٩٩٨م تضمن محاكمة الأشخاص المتهمين بغير محلفين ومنح الشرطة سلطات خاصة والاعتقال دون محاكمة، وفي عام ١٩٧٤م صدر قانون لمكافحة الإرهاب محتويًا نصوصاً مؤقتة استمر تطبيقه حتى عام ٢٠٠٠م، وذلك عقب الهجوم بالقنابل الذي مارسه الجيش الأيرلندي في برمنجهام مما أدى إلى سقوط الكثير من الضحايا، ومنذ ذلك الوقت بدأت المملكة المتحدة في التفكير في سياسة أخرى لمواجهة الإرهاب منذ الاتفاق على وقف إطلاق النار

مع الجيش الأيرلندي سنة ١٩٩٤م.

وفي عام ٢٠٠٠م صدر قانون مكافحة الإرهاب متضمناً نصوصاً تواجه الإرهاب الأيرلندي وغيره من أشكال الإرهاب الأخرى، وتخلي هذا القانون عن طابع التأقيت الذي كان يتميز به القانون السابق، وقد تضمن أيضاً توسعاً لمعنى الإرهاب وتوسيع سلطات الشرطة في مواجهته، وقد تمّ تعديل هذا القانون في ٢٠٠١م، واحتوى التعديل على قدر كبير من التدابير القضائية لمراجعة الاحتجاز "Detention" وتعزيز سلطات الأمن في مواجهة الأعمال الإرهابية وضبط الأموال المستخدمة في تمويل الإرهاب.

وفي عام ٢٠٠٥م صدر قانون بتعديل قانون مكافحة الإرهاب فوضع نظاماً جديداً للاعتقال بغير محاكمة الذي كان منصوصاً عليه في ٢٠٠١م، والذي كان يتمُّ بناءً على مجرد أوامر تنفيذية، واشترط القانون الجديد وجوب تأييد المحكمة لهذه الأوامر التي صدرت باعتقال الكثيرين انتظاراً لإبعادهم خارج المملكة المتحدة.

وفي عام ٢٠٠٦ إثر الانفجارات التي حدثت في لندن عام ٢٠٠٥ صدر تعديل لقانون مكافحة الإرهاب تضمن تجريم أفعال جديدة أُعتبرت تشجيعاً للإرهاب، مثل نشر التصريحات التي يمكن أن تفهم من الجمهور على أنها تشجيع مباشر أو غير مباشر، أو تحريض على ارتكاب الإرهاب، أو تحبيد لأعمال الإرهاب<sup>(٢٣)</sup>.

### ٣- فرنسا :

صدر قانون مكافحة الإرهاب الفرنسي في ٢٣ من يناير ٢٠٠٦م، متمثلاً في إجراء تعديلات على القانون رقم (٧٣) الصادر في ٢١ من يناير عام ١٩٩٥م بشأن التوجيه ووضع البرامج في مجال الأمن، وعلى قانون الإجراءات الجنائية، وقانون البريد والاتصالات، وقانون الأمن الداخلي، وقانون العقوبات، وبمقتضى هذا القانون طرأ نوعان من التعديلات المباشرة على قانون العقوبات الفرنسي، على النحو التالي:

**الأول:** يتضمن إنشاء جرائم عدم القدرة على تبرير وجود موارد تتعلّق بسير الحياة، أو عدم القدرة على تجريم مصدر المال، وتسهيل تبرير الموارد المشبوهة لدى الأشخاص.

**والثاني:** بشأن الجماعات الإرهابية، وذلك بتشديد العقاب على مديريها، والتوسع في تجريم هذه الجماعات والجرائم التي تُحضر لها.

وقد وسّع قانون الإجراءات الجنائية من مضمون المادة ٧٠٦ - ٢٤ إجراءات؛ حيث سمح لرجال الضبط القضائي بعدم إظهار شخصياتهم إلا من خلال أرقامهم المسجلة إدارياً، مع معاقبة

من يظهر شخصيته بطريقة غير مشروعة، كما أكد على مركزية محاكم تطبيق العقوبات بباريس بشأن المحكوم عليهم في جرائم إرهابية، وإنشاء محاكم جنایات متخصصة للأحداث الإرهابية، والتدخل الاستثنائي لقاضي الحريات لإطالة القبض الذي يمارسه مأمور الضبط "Gard a Vue"، في حالة توافر خطر جوي يندرج بوقوع عمل إرهابي<sup>(٢٤)</sup>.

#### ٤ - إيطاليا :

على إثر أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة أصدرت إيطاليا مرسوماً تنفيذياً في ١٨ من أكتوبر سنة ٢٠٠١م، أعقبه صدور قانون في ١٥ من سبتمبر سنة ٢٠٠١م بشأن التدابير العاجلة ضد الإرهاب الدولي، وفي سنة ٢٠٠٥م صدر القانون رقم (١٥٥) في ٣١ من يولية سنة ٢٠٠٥م لمواجهة الأخطار العاجلة للإرهاب، كما صدر المرسوم التنفيذي رقم (١٤٤) في ٢٧ من يونية سنة ٢٠٠٥م في هذا الشأن<sup>(٢٥)</sup>.

وقد شهدت هذه الأدوات التشريعية توسيع سلطات الاستدلال والتحقيق عن الإرهاب من خلال قواعد خاصة تتعلق بتسجيل المكالمات التليفونية وكشف بطاقات تحقيق الشخصية المزورة، وتفعيل العمل بالتدابير التحفظية التي استخدمت لمواجهة جرائم المافيا؛ إلا أن قانون سنة ٢٠٠٥م اعتمد قبل كل شيء على تعديل المادة (٢٧٠) مكرراً من قانون العقوبات الإيطالي، وقد تضمن هذا التعديل معاقبة من يثبت أنه قام بمساعدة أو إنشاء أو تنظيم أو إدارة أو تمويل جماعات إرهابية تعتزم ارتكاب أنشطة العنف لأغراض إرهابية، ومعاقبة الأفراد الذين يشاركون في هذه الجماعات. كما تضمن هذا التعديل تجريماً لظاهرة الإرهاب الدولي؛ حيث تعمل جماعات في إيطاليا لتشجيع العنف ضد دولة أجنبية أو منظمة دولية؛ فنص القانون على أنه يُعتبر من الأعمال الإرهابية استقطاب وتدريب الأفراد للقيام بأعمال عنف إذا ما كانت تلك الأعمال قد تسببت في إلحاق أضرار جسيمة بدولة ما أو منظمة دولية، أو يكون الهدف من هذه الأعمال إرهاب السكان أو تقييد سلطات الدولة أو المنظمة الدولية في القيام أو عدم القيام بعمل أو نشاط معين، أو زعزعة استقرار أو تدمير البنية الأساسية سواء كانت سياسية، أو دستورية، أو اقتصادية، أو اجتماعية لدولة ما أو منظمة دولية، ويتضمن ذلك الدول الأجنبية والمنظمات أو المؤسسات الدولية<sup>(٢٦)</sup>.

وطلّرت على التشريع الإيطالي تعديلات إجرائية استهدفت تقوية سلطات جمع المعلومات والاستدلالات بشأن الإرهاب، بما في ذلك السماح بتسجيل المكالمات التليفونية بترخيص من المدعي العام لدى محكمة الاستئناف في المنطقة التي وضع فيها الشخص تحت المراقبة، أو إذا ما اقتضت السرعة ذلك لتلبية احتياجات الاستدلال. وتمثل النوع الثاني من التعديل الحد من نطاق الرقابة

القضائية من خلال تخويل الشرطة سلطة احتجاز المشتبه فيه لمدة لا تزيد عن ٢٤ ساعة دون منحه حق الاستعانة بمحام، وذلك حتى يمكن التحقق من شخصيته "المادة (٣٤٩) إجراءات إيطالي"، ويشترط فقط إخطار النيابة العامة بذلك دون اشتراط موافقة القاضي، وللنيابة العامة أن تأمر بالإفراج الحال عن المشتبه فيه المحبوس إذا تأكدت من عدم توافر متطلبات تقييد الحرية، وقد سمح القانون في سبيل التحقق من شخصية المشتبه فيه أخذ عينة من الشعر أو اللعاب بالقوة بشرط احترام كرامته الشخصية<sup>(٢٧)</sup>.

كما تضمن التشريع الإيطالي لمواجهة الإرهاب النص على مجموعة من التدابير الإدارية للحيلولة دون الهجمات الإرهابية ضد الأمن العام، وقد تضمن ذلك إعادة تنظيم استخدام الجمهور للتلفون والإنترنت، وحركة البيع لبعض أنواع المتفجرات وأدوات التفجير، وذلك للمحافظة على سلامة المعلومات المستمدة من الاتصالات، وتدابير إدارية لمنع الإرهاب في المطارات؛ بالإضافة إلى تدابير أخرى للتعامل مع الهجرة غير الشرعية واستبعاد الأجانب لأسباب تتعلق بتهديد النظام العام أو أمن الدولة، أو إذا توافرت أسباب تُفيد أن تواجد الأجنبي على إقليم الدولة قد يسهل النشاط الإرهابي<sup>(٢٨)</sup>.

#### ٥ - إسبانيا:

في نوفمبر ١٩٨٧م تمّ التوقيع على ميثاق مدريد من قبل أغلبية الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان الوطني، وتلاه ميثاق آخر سنة ١٩٨٨م، يُطلق عليه اسم ميثاق "أخوريا أنيا" "Ajuria Anea" لنشر السلام وتطبيع الأوضاع في بلاد الباسك، وكان للميثاقين أثر كبير في اتخاذ التدابير الحكومية لمكافحة الإرهاب وتنفيذها حتى منتصف التسعينيات على الأقل، وفي أكتوبر سنة ١٩٨٨م، تم التوصل إلى اتفاقية مماثلة من قبل القوى السياسية والاجتماعية بهدف توفير الظروف المواتية للمواطنين وتعبئتهم ضد منظمة "الإيتا" ومؤيديها؛ إلا أن قادة حزب "الباسك" القدامى سعوا في مطلع التسعينيات للتحالف مع تشكيلات فوقية أخرى خاضعة لمنظمة "الإيتا" بشكل واضح، وفي ديسمبر سنة ٢٠٠٠م وقّع أكبر حزبين في حكومة "الباسك" المستقلة اتفاقاً للدفاع عن الحريات المدنية وضد الإرهاب كأول اتفاق ضد الإرهاب منذ التحول الديمقراطي في إسبانيا، وبقيت منظمة "الإيتا" الإرهابية تعمل وحدها لصالح الأقلية بخلاف مواطني "الباسك" والذين يملكون مؤسساتهم المستقلة وينتخبون ممثلهم السياسيين<sup>(٢٩)</sup>.

وفي عام ٢٠٠٢م أقر البرلمان الإسباني قانوناً جديداً للأحزاب يسمح للحكومة أن تطالب بإجراءات قضائية لحظر انتشار الجماعات السياسية التي لا ترغب في إدانة الإرهاب أو التي ما



زالت تحتفظ بعلاقات مع منظمة إرهابية، وكرد فعل على التعبئة الجماهيرية ضد منظمة "إيتا" في إقليم الباسك وقع قادة "إيتا" خطة لتكملة الأعمال الإرهابية مثل السيارات الملوغمة والاعتقالات التي راح ضحيتها عدد كبير من المواطنين، ولذلك تمّ النص على إدانة كل أشكال الإرهاب الإجرامية التي تستهدف ترويع السكان وحرمان من يقومون بها من توليهم الوظائف العامة لمدة عشرين عامًا على الأقل.

كما وسع المشرع الإسباني من سلطة الشرطة في التصنت على المراسلات والاتصالات بدون إذن قضائي في حالات الاستعجال ولمدة محددة، كما سمح القانون الإسباني بتفتيش المساكن بدون إذن مسبق وإطالة مدة الاحتجاز المسموح به من الشرطة من (٧٠) ساعة إلى خمسة أيام بموافقة القاضي<sup>(٣٠)</sup>.

#### ٦- القانون المصري :

أضفى قانون العقوبات المصري في المادة ٨٦ مكرراً (أ) صفة المنظمة الإرهابية على المنظمات المشار إليها في الفقرة الأولى من المادة ٨٦ مكرراً إذا كان الإرهاب من الوسائل التي تستخدم في تحقيق أو تنفيذ أغراضه، وهذا التعريف يجمع بين ركنين أحدهما مادي هو العنف بالمعنى الواسع والذي يقع به العمل الإرهابي على إحدى المصالح المحمية الواردة في هذه المادة والمقترن بالنية الإرهابية، وهي الركن الثاني.

وقد عاقب القانون المصري على أفعال التنظيمات الإرهابية في صور مختلفة تتمثل فيما يلي:

- إنشاء أو تأسيس أو تنظيم أو إدارة التنظيمات الإرهابية على النحو الذي نصّت عليه المادة ٨٦ مكرراً عقوبات.

- تولي زعامة أو قيادة ما في التنظيمات الإرهابية سألقة الذكر أو مدها بمعونات مادية أو مالية مع العلم بالغرض الذي تدعو له (المادة ٨٦ مكرراً/ (أ) عقوبات).

- الانضمام إلى أحد التنظيمات الإرهابية المشار إليها في المادة ٨٦/١ عقوبات.

- إجبار الأشخاص على الانضمام إلى التنظيمات الإرهابية سألقة الذكر (المادة ٨٦ مكرراً (ب) عقوبات).

- السعي لدى دولة أجنبية أو منظمة إرهابية يكون مقرها خارج البلاد أو لدى أحد ممن يعملون لمصلحة أي منها، وكذلك كل من تخابر معها أو معه، للقيام بأي عمل من أعمال الإرهاب (المادة ٨٦ مكرراً (ج) عقوبات).

- التعاون أو الالتحاق بأية منظمة إرهابية يكون مقرها خارج البلاد، وتتخذ من الإرهاب أو التدريب العسكري وسائل لتحقيق أغراضها، حتى ولو كانت أعمالها غير موجهة إلى مصر (المادة ٨٦ مكرراً (د) عقوبات). هذا فضلاً عن التعاون أو الالتحاق بغير إذن كتابي من الجهة الحكومية المختصة بالقوات المسلحة لدى دولة أجنبية (المادة ٨٦ مكرراً (د)).

وتجدر الإشارة إلى أنه يكفي للمساءلة مجرد توقع الأعمال الإرهابية التي تصدر عن أعضاء المنظمة تنفيذاً لأغراضها مع قبوله لها، وهو ما يعبر عنه بالقصد الاحتمالي. كما يكفي أيضاً لمساءلة هؤلاء الأعضاء عما يصدر من المنظمة الإرهابية من أعمال إرهابية أن تكون هذه الأعمال نتيجة محتملة لما ارتكبه من أفعال، وذلك تطبيقاً للمادة ٤٣ من قانون العقوبات المصري التي نصت على أنه من اشترك في جريمة فعلية عقوبتها ولو كانت غير التي تعد ارتكابها متى كانت الجريمة التي وقعت بالفعل نتيجة محتملة للتحريض أو الاتفاق أو المساعدة التي حصلت. وبناءً على ذلك فإن أعضاء التنظيمات الإرهابية المشار إليها في المادتين ٨٦ مكرراً و٨٦ مكرراً (أ) فضلاً عن جريمتهم القائمة بذاتها يعتبرون شركاء في الجرائم التي يتم تنفيذها لتحقيق الأغراض غير المشروعة التي أسست هذه التنظيمات من أجلها<sup>(٣١)</sup>.

### ثالثاً: السياسة الجنائية المصرية لمكافحة الإرهاب:

عرفت مصر الحوادث الإرهابية منذ ما قبل ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢م وبعدها، والتي تنوعت بين محاولات اغتيال، واغتيال لزعماء ورؤساء ووزراء ومسؤولين، وبين تفجيرات في أماكن سياحية وأماكن مدينة عشوائية في قلب العاصمة.

ولم يُعرف قانون العقوبات المصري جرائم الإرهاب إلا منذ القانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢م الذي أجرى تعديلات على قانون العقوبات، وقبل ذلك كانت أعمال الإرهاب تخضع للقواعد العامة في قانون العقوبات.

وقد حدّد المشرع المصري خطته بالقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢م في تجريم الإرهاب وفقاً

### للمحاور الآتية:

- ١- تجريم أعمال الإرهاب داخل قانون العقوبات.
- ٢- وضع تعريف عام للإرهاب في المادة ٨٦ من قانون العقوبات.
- ٣- الاعتماد على الوسائل الإرهابية لإضفاء طابع الجريمة الإرهابية في بعض الأحوال، ويتجلى ذلك في الجريمة المنصوص عليها في الفقرة الأولى من المادة ٨٦ مكرراً (أ) والفقرة الثانية من المادة ٨٦ مكرراً (أ)، والفقرة الثالثة من المادة ٨٦ مكرراً (أ)، والمادة ٨٦ مكرراً (د) والمادة ٨٨ من قانون العقوبات، وقد استهدف المشرع اعتبار هذه الوسائل ظرفاً مشدداً إلا أن هذا الظرف

تعدى أثره في تشديد العقوبة إلى تغيير طابع الجريمة لكي تعتبر في مصاف الجرائم الإرهابية، وهو مسلك معيب في السياسة التشريعية.

٤- تجريم مجرد إنشاء أو تأسيس أو تنظيم أو إدارة الجماعات الإرهابية ولو لم تقم الجماعة الإرهابية بأي نشاط (المادة ٨٦ مكرراً (أ)).

٥- تجريم العمل الإرهابي لإجبار شخص على الانضمام إلى جماعة إرهابية أو منعه من الانفصال عنها (المادة ٨٦ مكرراً (ب)).

٦- تجريم مجرد تعاون مصري أو التحاقه بأية جماعة إرهابية يكون مقرها خارج البلاد، وتتخذ من الإرهاب أو التدريب العسكري وسائل لتحقيق أغراضها، حتى ولو كانت أعمالها غير موجهة إلى مصر (المادة ٨٦ مكرراً (د)).

٧- التجريم لمجرد التعريض للخطر؛ إذ لم يوجب القانون في الجريمة الإرهابية وقوع ضرر معين مكتفياً بأن يكون من شأن الفعل الإرهابي الذي يقصده الجاني إيذاء الأشخاص، أو إلقاء الرعب بينهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالمصالح التي حددها في المادة ٨٦ عقوبات.

٨- حدّد الحقوق والمصالح المحمية بتجريم أعمال الإرهاب في المادة ٨٦ عقوبات فيما يلي: الحق في الحياة، والحق في السلامة البدنية، والحق في الحرية، والحق في الأمن، والحق في البيئة، والاتصالات، والأموال، والمباني، والأماكن العامة أو الخاصة، والسلطات العامة، ودور العبادة، ومعاهد العلم، والدستور أو القوانين أو اللوائح في مواجهة تعطيل تطبيقها.

٩- تميّزت جرائم الإرهاب بشدة العقوبات.

وقد استندت مكافحة الإرهاب في مصر على أساسين قانونيين يتفقان مع الدستور، على النحو

التالي:

**الأول:** هو القانون العام متمثلاً في قانون العقوبات وقانون الإجراءات الجنائية وقانون غسل الأموال؛ فقد صدر القانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢م مُضيفاً بعض المواد لقانون العقوبات تحت القسم الأول من الباب الثاني من هذا القانون (الجنایات والجنح المضرة بالحكومة من جهة الداخل)، وقد تضمّنت هذه المواد تعريف الإرهاب (المادة ٨٦) وتحديد جرائمه وعقوباتها (المواد ٨٦ مكرراً، و٨٦ مكرراً (أ) و٨٦ مكرراً (ب) و٨٦ مكرراً (ج) و٨٦ مكرراً (د) و٨٨ و٨٨ مكرراً من قانون العقوبات).

وبمقتضى القانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢م عدل القانون رقم ١٠٥ لسنة ١٩٨٠م بإنشاء محاكم أمن الدولة. ونصت المادة السابعة مكرراً من هذا القانون في فقرته الثالثة على أن يكون لمأمور الضبط القضائي إذا توافرت لديه دلائل كافية على اتهام شخص بارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها في القسم الأول من الباب الثاني من الكتاب الثاني من قانون العقوبات (والذي يحتوي على المواد التي تعاقب على الإرهاب) أن يتخذ الإجراءات التحفظية المناسبة، وأن يطلب من النيابة العامة خلال أربع وعشرين ساعة على الأكثر أن تأذن له في القبض على المتهم.

وصدر القانون رقم ٨٠ لسنة ٢٠٠٢م بشأن مكافحة غسل الأموال، وذلك باعتبار أن غسل الأموال يعد مصدراً أساسياً لتمويل الجماعات الإرهابية، وبمقتضى هذا القانون أنشئت بالبنك المركزي وحدة مستقلة ذات طابع خاص لمكافحة غسل الأموال، ومن اختصاص هذه الوحدة القيام بأعمال التحري والفحص وإبلاغ النيابة العامة بما يسفر عنه ذلك، ولها أن تطلب من النيابة العامة اتخاذ التدابير التحفظية التي تكفل تجميد الأموال المشتبه في طبيعتها ومصدرها مما يُعد جريمة معاقباً عليها في هذا القانون، ومنع الأفراد أو الكيانات التي تملك أو تحول إليها هذه الأموال من التصرف فيها (المادة ٥).

وبالإضافة إلى ذلك حظر القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٣م الخاص بإصدار قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية - إنشاء الجمعيات السرية التي تمارس نشاط تكوين التشكيلات العسكرية أو تهديد الوحدة الوطنية، كما اشترط هذا القانون لتلقي الجمعيات تبرعات من الخارج من الأشخاص الطبيعيين أو الأشخاص الاعتباريين موافقة الجهة الإدارية.

وبجانب ما تقدم فقد صدقت مصر على معظم اتفاقيات الأمم المتحدة المعنية بمكافحة الإرهاب، وآخرها اتفاقية قمع تمويل الإرهاب، واتفاقية قمع الهجمات الإرهابية بالقنابل، واتفاقية قمع الإرهاب النووي، كما صدقت مصر على الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لسنة ١٩٩٨م واتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية لمنع الإرهاب.

**الثاني:** هو قانون الطوارئ الصادر بالقرار بقانون رقم ١٦٢ لسنة ١٩٥٨م بشأن حالة الطوارئ، ويسري هذا القانون بمقتضى إعلان حالة الطوارئ طبقاً للمادة ١٤٨ من الدستور، وقد أصدر مجلس الشعب القرار رقم ١٣١ لسنة ٢٠٠٦م بمد حالة الطوارئ المعلنة بقرار رئيس الجمهورية المؤقت رقم ٥٦٠ لسنة ١٩٨١م لمدة سنتين اعتباراً من أول يونية سنة ٢٠٠٦م حتى ٣١ مايو سنة ٢٠٠٨م، أو لمدة تنتهي بصدور قانون مكافحة الإرهاب أيهما أقرب.

#### رابعاً: الإطار الدستوري لمواجهة الإرهاب في مصر:

جاء الدستور المصري الصادر في ٢٠١٤م؛ فاستحدثت المادة ٢٣٧ من الدستور التي نصت على أن "تلتزم الدولة بمواجهة الإرهاب، بكافة صورته وأشكاله، وتعقب مصادر تمويله، وفق برنامج زمني محدد، باعتباره تهديداً للوطن والمواطنين، مع ضمان الحقوق والحريات العامة. ويُنظم القانون أحكام وإجراءات مكافحة الإرهاب والتعويض العادل عن الأضرار الناجمة عنه وبسببه".

#### وبمقتضى هذا النص يتمثل الإطار الدستوري لمواجهة الإرهاب في المبادئ الآتية:

١- التزام الدولة بالعمل على حماية الأمن والنظام العام في مواجهة أخطار الإرهاب، ويشير هذا المبدأ إلى المصالح المحمية من وراء مواجهة الإرهاب وهي الأمن والنظام العام، سواء كان الأمن عاماً يتصل بكيان الدولة أو أمناً للأشخاص والممتلكات، ويتعين على المشرع ترجمة هذا الالتزام بقواعد قانونية؛ لأنه غير صالح للتطبيق مباشرة، ويتسع هذا الالتزام بمنع وقوع الإرهاب ليشمل تدابير الضبط الإداري وغيرها من الوسائل بقصد الحيلولة دون وقوع الجريمة أو كشف وقوعها، وذلك فضلاً عن قمع الإرهاب بعد وقوعه.

ويقتضى ذلك وضع إستراتيجية لمواجهة الإرهاب تتسع لما يعتبر من جرائمه، وتحديد وسائل منعه وكشفه مبكراً، ووضع الإجراءات الجنائية الكفيلة بالضبط والتحقيق بمراعاة الضرورة والاستعجال، وبيان آليات التعاون الدولي لمواجهة الإرهاب.

٢- أن ينظم القانون الخاص بمواجهة الإرهاب أحكاماً خاصة بإجراءات الاستدلال والتحقيق؛ بمعنى أن الدستور قد أجاز الخروج عن القواعد العامة من خلال هذا التنظيم دون أن يجيز إهدار جوهر الضمانات التي أفرزها الدستور، ولم ينص الدستور على الخروج عن القواعد العامة بالنسبة إلى الإجراءات التي تمارسها سلطة الضبط الإداري لمنع وقوع الجريمة أو كشفها، دون إخلال بالنص على إجراءات أخرى أكثر منها فعالية مدعمة بالوسائل الفنية والتكنولوجية.

ولا يعني هذا المبدأ مواجهة الإرهاب وفقاً لقانون استثنائي؛ بل تكون المواجهة في إطار القانون العام بأحكامه العامة والخاصة.

٣- الخروج عن القواعد العامة في إجراءات الاستدلال والتحقيق تحكمه الضرورة، وبناءً على هذا المعيار لا يحول الإجراء المنصوص عليه في كل من المادة ٤١/١ والمادة ٤٤ والمادة ٤٥/٢ من الدستور دون تلك المواجهة.

٤- رقابة القضاء على ما يتخذ من إجراءات عند مواجهة الإرهاب، وذلك من خلال التحقق من مشروعيتها وفقاً للأحكام التي ينص عليها القانون، وبعد التأكد من توافر شروط الضرورة والاستعجال.

### مشروع قانون بشأن الكيانات الإرهابية:

انتهت لجنة الأمن القومي، المنبثقة عن اللجنة العليا للإصلاح التشريعي، من إعداد مشروع قانون الكيانات الإرهابية، ويتضمن المشروع ١١ مادة فقط، تنص على اعتبار المنظمات والجمعيات والعصابات التي تخل بالنظام العام وتدعو للعنف أو تعرض سلامة المجتمع للخطر "كيانات إرهابية".

وقد ألزم مشروع القانون أجهزة الدولة بإبلاغ السلطات بأي معلومات عن الأشخاص المدرجين بقائمة الإرهابيين، وقد خصص المشروع إحدى دوائر استئناف القاهرة لنظر طلبات الإدراج على قائمة الإرهاب التي يقدمها النائب العام لمدة ٣ سنوات، كما تضمن المشروع نصاً يفيد أن نشر القوائم يتبعه حل الكيان، ووقف أنشطته، وحظر اجتماعاته، وتجميد ممتلكاته، وحرمانه من مباشرة الحقوق السياسية مؤقتاً.

### وقد جاءت نصوص هذا المشروع على النحو التالي:

#### المادة «١»:

يُعتبر كياناً إرهابياً كل جمعية أو منظمة أو جماعة أو عصابة تمارس أو يكون الغرض منها بأية وسيلة الإخلال بالنظام العام، أو تعريض سلامة المجتمع أو مصالحه أو أمنه للخطر، أو إيذاء الأفراد، أو إلقاء الرعب بينهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو حقوقهم أو أمنهم للخطر، أو الإضرار بالوحدة الوطنية، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالموارد الطبيعية أو بالآثار أو بالأموال أو بالمباني أو بالأماكن العامة أو الخاصة، أو احتلالها والاستيلاء عليها، أو منع أو عرقلة السلطات العامة أو الجهات أو الهيئات القضائية أو مصالح الحكومة أو الوحدات المحلية أو دور العبادة أو المستشفيات أو مؤسسات ومعاهد العلم، أو البعثات الدبلوماسية والقنصلية أو المنظمات والهيئات الإقليمية والدولية في مصر من القيام بعملها، أو ممارستها لكل أو بعض أوجه نشاطها، أو مقاومتها، أو الإضرار بالوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعي، أو تعطيل تطبيق أي من أحكام الدستور أو القوانين أو اللوائح، متى استخدمت القوة أو العنف أو التهديد أو الترويع، بهدف تحقيق أو تنفيذ أغراضها.

**المادة «٢»:**

تُعَدُّ النيابة العامة قائمة تسمى «قائمة الكيانات الإرهابية» تدرج عليها الكيانات المنصوص عليها بالمادة «١» من هذا القانون التي تصدر في شأنها أحكام جنائية تقضى بثبوت هذا الوصف الجنائي في حقها، أو تلك التي تُقرَّر الدائرة المختصة بمحكمة استئناف القاهرة المنصوص عليها بالمادة رقم «٣» من هذا القانون إدراجها بالقائمة.

**المادة «٣»:**

تختص إحدى دوائر محكمة استئناف القاهرة، تحددها الجمعية العمومية للمحكمة، سنويًا بنظر طلبات الإدراج على قائمة الكيانات الإرهابية التي يقدمها النائب العام، متى كشف التحقيق عن دلائل جديرة بتوافر الوصف الجنائي المحدد بالمادة رقم «١» من هذا القانون في حق أي من تلك الكيانات المطلوب إدراجها.

**المادة «٤»:**

يكون الإدراج على قائمة الكيانات الإرهابية لمدة لا تجاوز ثلاث سنوات، فإذا ما انقضت تلك المدة دون صدور حكم نهائي بشأن ثبوت الوصف الجنائي المنصوص عليه بالمادة رقم «١» من هذا القانون ضد الكيان المدرج، تعيّن على النيابة العامة إعادة العرض على الدائرة المنصوص عليها بالمادة رقم «٣» من هذا القانون للنظر في استمرار الإدراج لمدة أخرى، وإلا عُـد الكيان مشطوبًا من القائمة بقوة القانون من تاريخ انقضاء تلك المدة.

**المادة «٥»:**

تعد النيابة العامة قائمة أخرى تسمى «قائمة الإرهابيين» تدرج عليها أسماء كل من تولى قيادة أو زعامة أو إدارة أو إنشاء أو تأسيس أو اشتراك في عضوية أي من الكيانات الإرهابية المنصوص عليها بالمادة رقم «١» من هذا القانون، أو أمدها بمعلومات، أو دعمها بأي صورة إذا ما صدر في شأنه حكم جنائي يقضى بثبوت هذا الوصف، أو قررت الدائرة المنصوص عليها، بالمادة رقم «٣» من هذا القانون إدراجه عليها، وتسري على هذه القائمة ذات الأحكام المقررة بشأن قائمة الكيانات الإرهابية.

**المادة «٦»:**

يُنشر قرار الإدراج في أي من القائمتين المنصوص عليهما بهذا القانون، وقرار مدّ مدة الإدراج أو شطبه في «الوقائع المصرية».

#### المادة «٧»:

لذوي الشأن التظلم من قرار الإدراج في أي من القائمتين المنصوص عليهما بهذا القانون أمام الدائرة المنصوص عليها بالمادة رقم «٣» من هذا القانون خلال ستين يوماً من تاريخ نشر القرار، وعلى تلك الدائرة نظره خلال سبعة أيام من تاريخ تقديمه.

#### المادة «٨»:

تلتزم جميع جهات وأجهزة الدولة بإبلاغ السلطات المعنية عن تواجد أو معاملات الأشخاص المدرجين بقائمة الإرهابيين باعتبارهم مطلوبين للعدالة، وتلتزم جهات الدولة المختصة باتخاذ التدابير اللازمة للقبض عليهم داخلياً وخارجياً، وضبطهم وإحضارهم للمثول أمام جهات العدالة المعنية.

#### المادة «٩»:

تترتب بقوة القانون الآثار التالية على نشر قرار الإدراج في «الوقائع المصرية»:

- ١- حل الكيان الإرهابي، ووقف أنشطته.
- ٢- غلق الأمكنة المخصصة له، وحظر اجتماعات ومشاركة الأفراد في أي منها بأي وجه من الوجوه.
- ٣- حظر تمويل أو جمع الأموال أو الأشياء لذلك الكيان، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.
- ٤- تجميد الممتلكات والأصول المملوكة له، أو لأعضائه، أو التي يسهم بها الأفراد في تمويل أنشطة تلك الكيانات أو مساعدته.
- ٥- حظر الانضمام له، أو الدعوة إلى ذلك والترويج له، أو رفع شعاراته.
- ٦- فقدان شرط حسن السمعة والسيرة.
- ٧- الحرمان المؤقت من مباشرة الحقوق السياسية، وتكون تلك الآثار طوال مدة الإدراج. وتلتزم سائر جهات وهيئات وأجهزة الدولة، كل في حدود اختصاصه، بإعمال وإنفاذ الآثار المشار إليها.

#### المادة «١٠»:

توافي الدول المنضمة للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بأسماء الكيانات والأشخاص المدرجة على أي من القائمتين المنصوص عليهما بهذا القانون، مع ما يلزم من معلومات في هذا الشأن.

#### المادة «١١»:

يُنشر هذا القرار بقانون في الجريدة الرسمية، ويُعمل به من اليوم التالي لتاريخ نشره. وقد أكدت المذكرة الإيضاحية لمشروع قانون الكيانات الإرهابية، أنه في ضوء أعمال العنف



والأحداث الإرهابية، أصبحت الدولة ملزمة بمواجهة الإرهاب الآثم وإعادة الأمن والاستقرار للبلد، من خلال تنظيم آلية تتمثل في إعداد قوائم لما يُعتبر كياناً إرهابياً مع ما يترتب على ذلك من آثار، وتفعيل أحكام الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، وتجفيف منابع التمويل للأشخاص أو الكيانات الإرهابية، وجاءت بنودها كالاتي:

١- تمضي البلاد بخطى ثابتة نحو استكمال خارطة المستقبل، التي ترسم للبلاد مساراً ديمقراطياً حقاً، يقوم على مفاهيم التضامن المجتمعي والتحاور السلمي المتحضر.

٢- وإذ شهدت البلاد موجة من جرائم العنف والإرهاب التي تمارسها جماعات ومنظمات يصدق عليها بحق أنها إرهابية، تهدف إلى تدمير كيان المجتمع وتعصف بأمنه واستقراره، وتعوق مسيرته نحو التقدم والازدهار، وهي لا شك موجة دخيلة على المجتمع المصري وعلى هذا الشعب العريق الذى بنى الحضارة منذ فجر التاريخ، وعاش منذ أقدم العصور في أمن وترابط وسلام، يتسق مع طبيعته، وما يتسم به من مودة ورحمة وسماحة وتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية التي تأبى العنف، وتدين العدوان.

٣- وهذه الطبيعة السمحة التي لازمت الشعب تتجافى مع أعمال العنف والإرهاب التي تسللت إلى المجتمع عن طريق كيانات سيطرت عليها نزعات العنف والتطرف، فحاولت الإخلال بالأمن وإشاعة الفوضى، مستيحية دماء وممتلكات المواطنين الأبرياء، في محاولات منها لتدمير نظام ديمقراطي اختاره الشعب وارتضاه منهجاً لحياته، وطريقاً لبناء مستقبله، فالديمقراطية لا تعيش إلا في ظلال الأمن والسلام الاجتماعي، وتأبى التطرف والتعصب وفرض الرأي بالعنف وترويع الأمنين.

٤- كان لزاماً على الدولة أن تسارع بمواجهة هذا الخطر الداهم، الذى أصبح يهدد مستقبل الوطن، في نطاق الدستور والالتزام بالقانون، وأن تعمل على إنقاذ البلاد من الإرهاب الآثم، حتى تعيد لها الأمن والاستقرار، وتهيئ لها السبيل لمواصلة جهود الإصلاح والتنمية والبناء.

٥- وإذا كان قانون العقوبات تكفل بتنظيم يواجه الأعمال والكيانات الإرهابية، فإنه استكمالاً لهذا التنظيم فقد رُوي أنه من الملائم تنظيم آلية تتحصل في إعداد قوائم لما يُعتبر كياناً إرهابياً أو شخصاً إرهابياً، مع ما يترتب على ذلك من آثار أخصها تفعيل أحكام الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب وتجفيف منابع التمويل للأشخاص أو الكيانات الإرهابية، وتحقيقاً لهذا الغرض فقد أعد المشروع.

أ- وقد استند المشروع في تحديد مفهوم الكيان الإرهابي، وإيضاح المقصود به، لما ورد في هذا الصدد بقانون العقوبات، فأورد أن كل جمعية أو منظمة أو جماعة أو عصابة، يكون الغرض

منها الدعوة بأي وسيلة إلى تعطيل أحكام الدستور أو القوانين، أو منع إحدى مؤسسات الدولة أو إحدى السلطات العامة من ممارسة أعمالها، أو الاعتداء على الحرية الشخصية للمواطن أو غيرها من الحريات والحقوق العامة التي كفلها الدستور والقانون، أو الإضرار بالوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعي، متى استخدمت الإرهاب المنصوص عليه بالمادة رقم (٨٦) من قانون العقوبات في تحقيق أو تنفيذ أغراضها، فإنها تكون كياناً إرهابياً.

ب- وأوجب المشروع على النيابة العامة إنشاء قائمتين؛ الأولى سماها «قائمة الكيانات الإرهابية» لإدراج هذه الكيانات عليها، والثانية «قائمة الإرهابيين»، لإدراج كل من تولى قيادة أو زعامة أو إدارة أو اشتراك في عضوية أي من الكيانات الإرهابية، إذا ما صدر في شأنه حكم جنائي، يقضى بثبوت هذا الوصف، أو قررت الدائرة المنصوص عليها بالمادة (٣) من القانون إدراجه عليها.

ج- وقد خصص المشروع إحدى دوائر محكمة استئناف القاهرة، تحددتها الجمعية العمومية للمحكمة سنوياً، لنظر طلبات الإدراج على قائمة الكيانات الإرهابية التي يقدمها النائب العام متى كشف التحقيق عن دلائل جديّة بتوافر الوصف الجنائي المحدد بالمادة رقم (١) من القانون في حق أي من تلك الكيانات المطلوب إدراجها.

د- أوجب المشروع أن يكون الإدراج على قائمة الكيانات الإرهابية، لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات، فإذا ما انقضت تلك المدة، دون صدور حكم نهائي بشأن ثبوت الوصف الجنائي المنصوص عليه في المادة رقم (١) من القانون ضد الكيان المدرج، تعين على النيابة العامة إعادة العرض على الدائرة المنصوص عليها بالمادة (٣) من القانون للنظر في استمرار الإدراج لمدة أخرى، وإلا عد هذا الكيان مشطوباً من القائمة بقوة القانون من تاريخ انقضاء تلك المدة.

هـ- وقضى المشروع بنشر القرار الصادر بالإدراج سواء للكيانات أو الأشخاص أو قرار مد مدة الإدراج أو شطبه، بالوقائع المصرية، تحقيقاً للعلم به.

و- وأجاز المشروع لذوى الشأن التظلم من قرار الإدراج، فى أي من القائمتين المنصوص عليهما بالقانون، أمام الدائرة المنصوص عليها بالمادة رقم (٣) من القانون خلال ستين يوماً من تاريخ نشر القرار، وأوجب على تلك الدائرة نظره خلال سبعة أيام من تاريخ تقديمه.

ز- وأوجب المشرع على جميع جهات وأجهزة الدولة إبلاغ السلطات المعنية عن وجود أو معاملات الأشخاص المدرجين بقائمة الإرهابيين باعتبارهم مطلوبين للعدالة، كما ألزم جهات الدولة

المختصة باتخاذ التدابير اللازمة للقبض عليهم داخلياً وخارجياً وضبطهم وإحضارهم للمثول أمام جهات العدالة المعنية.

ح- وقد رتب المشروع عدداً من الآثار على نشر قرار الإدراج في الوقائع المصرية تمثلت في حل الكيان الإرهابي ووقف أنشطته، وغلق الأمكنة المخصصة له، وحظر اجتماعاته ومشاركة الأفراد في أي منه بأي وجه من الوجوه، وحظر تمويل أو جمع الأموال أو الأشياء لذلك الكيان سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وتجميد الممتلكات والأصول المملوكة له، أو لأعضائه، أو التي يسهم بها الأفراد في تمويل أنشطة تلك الكيانات أو مساعدته، وحظر الانضمام له أو الدعوة إلى ذلك أو الترويج له أو رفع شعاراته، فضلاً عن فقدان شرط حسن السمعة والسيارة، والحرمان المؤقت من مباشرة الحقوق السياسية.

وأكد المشروع أن تكون تلك الآثار طوال مدة الإدراج فحسب، وألزم سائر جهات وهيئات وأجهزة الدولة -كل في حدود اختصاصه- بإعمال وإنفاذ الآثار المشار إليها.

ط- وقضى المشروع بأن توافي الدول المنضمة للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بأسماء الكيانات والأشخاص المدرجة على أي من القائمتين المنصوص عليهما بالقانون، مع ما يلزم من معلومات في هذا الشأن لإعمال شئونها لتفعيل أحكام تلك الاتفاقية وتجفيف منابع التمويل للأشخاص أو الكيانات الإرهابية.

## المبحث الرابع

### مكافحة الإرهاب على المستوى الدولي

سهل من مهمة القانون الدولي في مواجهة الإرهاب أن الأفراد أصبح لهم حقوق ومسئوليات في هذا القانون بحكم مخاطبتهم بهذا القانون، وهو ما سهل مكافحة الإرهاب من خلال تقرير مسؤولية الإرهابيين على المستوى الدولي<sup>(٣٢)</sup>.

ونتناول فيما يلي مظاهر هذه المواجهة على مستوى الأمم المتحدة في كل من الجمعية العامة ومجلس الأمن، ودور لجنة مكافحة الإرهاب في الأمم المتحدة، والتعاون الدولي في مجال مكافحة الإرهاب.

#### أولاً : قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة:

إذا كانت هذه القرارات خالية من أية قوة قانونية إلزامية وفقاً لميثاق الأمم المتحدة؛ إلا أنه قد يكون لها أثر قانوني بوصفها تفسيراً للميثاق، ولا يتوقف هذا الأثر القانوني على كونها إعلانات "Declaration" بل يتوقف على الاعتياد على صدورها.

#### ١- القرار الصادر في عام ١٩٧٠م:

في مجال تفسير الالتزام بعدم استخدام القوة صدر إعلان من الجمعية العامة سنة ١٩٧٠م سُميَّ بالإعلان حول العلاقات الصديقة Declaration on Friendly Relations، وقد أشار هذا الإعلان إلى واجب كل دولة في الامتناع عن التنظيم أو التحريض أو المساعدة أو الاشتراك في أعمال إرهابية، دون تعريف المقصود بهذه الأعمال.

#### ٢- القرار الصادر عام ١٩٧٢م:

في عام ١٩٧٢م وضع كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة في جدول أعمال الجمعية العامة في الدورة رقم ٢٧ موضوع تدابير منع الإرهاب؛ إلا أن الجمعية العامة في قرارها رقم ٣٠٣٤ اقتصرت على التعبير عن قلقها العميق تجاه تزايد أعمال العنف التي تعرض للخطر الحياة الإنسانية، أو تزهد الأرواح الإنسانية، أو تعرض للخطر الحريات الأساسية، وقد أنشأ هذا القرار الأخير لجنة خاصة من ٣٥ دولة لوضع توصيات حول التخلص من الإرهاب.

#### ٣- قرارات بإدانة الإرهاب:

منذ سنة ١٩٧٩م صدرت العديد من القرارات التي تُدين الإرهاب دون تعريفه، وقد بدأت إدانة الإرهاب بالقرار ١٤٥ في الدورة ٣٤ (١٩٧٩م) الذي أدان جميع أعمال الإرهاب الدولي التي تعرض للخطر أو تزهد الأرواح أو تعرض للخطر الحريات الأساسية.

وفي عام ١٩٨٥م صدر القراران ٤٠/٦١، ٤٢/١٥٩ بإدانة جميع أعمال وأساليب وممارسات الإرهاب أيًا كانت وأيًّا كان مرتكبوها، وبوصفها أعمالاً إجرامية، وقد تميز هذا القرار بأنه لأول مرة نظر إلى الإرهاب بعيداً عن كونه مجرد إرهاب دولي، باعتباره عملاً إجرامياً. واعتباراً من القرار ٤٤/٢٩ أدانت الجمعية العامة الإرهاب بوصفه عملاً إجرامياً، وغير مبرر (Criminal and Unjustifiable). وقد أدت هذه اللغة الجديدة إلى أن تعتمد أجهزة الأمم المتحدة الأشكال الجديدة للإرهاب التي تقع تحت تأثير التكنولوجيات الجديدة أو بواسطة الجريمة المنظمة. وقد كان اعتبار الإرهاب عملاً إجرامياً منذ قراري الجمعية العامة سنة ١٩٨٥م سالف الذكر نقطة تحول مهمة، وصفها البعض بأنها دليل على نشوء عرف عالمي باعتبار الإرهاب جريمة دولية، وقد لوحظ أن قرارات الجمعية العامة لا تتضمن فرض أي التزام دولي بتجريم الإرهاب في التشريع الوطني، واقتصرت بعض القرارات على تشجيع الدول على محاكمة الإرهابيين أو تسليمهم أو التعاون مع الدول أو تبادل المعلومات معهم، أو عقد اتفاقات حول المحاكمة والتسليم في الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقيات المتعلقة بأنواع معينة من الجرائم، ومن المؤكد أن كثيراً من هذه الاتفاقيات تم إقرارها تحت رعاية الجمعية العامة.

وإذا كانت الجمعية العامة قد أقرت بموجب القرار رقم ٤٢/١٥٩ لعام ١٩٨٧م، بأن تعريفاً عاماً متفقاً عليه للإرهاب سوف يجعل محاربة الإرهاب أكثر فاعلية؛ فإن بعض قراراتها أوضحت عدداً من خصائص الإرهاب. وتمثلت الخطوة الأولى في هذا المضمار في القرار رقم ٤٨/١٢٢ لسنة ١٩٩٣م الذي وإن كان قد خلا من تعريف الإرهاب؛ إلا أنه أشار إلى أن الهدف من أعماله هو تدمير حقوق الإنسان والحريات الأساسية والديمقراطية، وتهديد السلامة الإقليمية للدول وأمنها، وهز استقرار الحكومات الشرعية، والمساس بتعددية المجتمع المدني وإحداث آثار سلبية بالانتمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة.

وفي عام ١٩٩٤م قدّمت الجمعية العامة تعريفاً للإرهاب أكثر شمولاً عمماً سبق أن طرحته، وجاء في الإعلان الذي أصدرته عن تدابير التخلص من الإرهاب الدولي (وألحق بقرارها رقم ٤٩/٦٠)، فقد أشار الإعلان المذكور إلى أن الإرهاب يتمثل في أعمال إجرامية تهدف أو من شأنها أن تخلق حالة من الرعب لدى الجمهور العام أو لدى جماعة من الناس أو أشخاص محددين لأسباب سياسية.

#### ٤- قرار إستراتيجية مواجهة الإرهاب:

وفي عام ٢٠٠٦م قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بوضع إستراتيجية لمواجهة الإرهاب بمقتضى القرار رقم ٢٨٨ (الدورة الستون) الذي اتخذته في ٨ من سبتمبر سنة ٢٠٠٦م وملحق هذا القرار الذي يتضمن خطة العمل. ويُعدُّ هذا القرار علامة فارقة سجَّلت لأول مرة موافقة جميع الدول على وضع إستراتيجية لمكافحة الإرهاب، تُمثِّل الإطار العالمي الأول لهذه المكافحة، ودعت هذه الاستراتيجية الدول الأعضاء للعمل مع نظام الأمم المتحدة لتطبيق خطة العمل التي تتضمنها، وقد أدمجت هذه الإستراتيجية معايير حكم القانون عند تنفيذ وثائق الأمم المتحدة المتعلقة بالإرهاب.

#### ثانياً: قرارات مجلس الأمن:

##### ١- قرارات مجلس الأمن بإدانة الإرهاب:

لا تنشئ هذه القرارات بطبيعتها قانوناً دولياً ولكنها تفرض التزامات على الدول الأعضاء تطبيقاً لميثاق الأمم المتحدة بمناسبة أحداث معينة؛ فالمجلس هو جهاز سياسي للأمم المتحدة يرتب آثاراً قانونية تحددها قراراته.

وقد كان مجلس الأمن رافضاً في بداية الأمر اعتبار الأعمال الإرهابية تهديداً للسلام والأمن الدوليين بسبب سياسات الحرب الباردة؛ إلا أن مجلس الأمن استخدم لأول مرة تعبير (الإرهاب) في قراره رقم ٥٧٩ (١٩٨٥م)<sup>(٣٣)</sup>، واتخذ المجلس قراره رقم ٦٣٨ (١٩٨٩م) بالإجماع الذي أدان فيه احتجاز الرهائن والخطف بوجه عام، ودعا الدول إلى أن يكونوا أطرافاً في المعاهدات ذات الصلة، وإلى منع ومحاكمة ومعاقبة مرتكبي جميع أعمال أخذ الرهائن والخطف بوصفها مظاهر للإرهاب. وفي سنة ١٩٨٩م أدان مجلس الأمن اغتيال رئيس جمهورية لبنان رينيه معوض في لبنان ووصفه بأنه عمل إرهابي لأنه يهدف إلى تخويف السياسيين الآخرين، وفي سنة ٢٠٠٥م أدان مجلس الأمن اغتيال رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان بوصفه عملاً إرهابياً يعرض للخطر إقامة الانتخابات البرلمانية في شفافية وحرية وظروف ديمقراطية، ويهز استقرار لبنان وديمقراطيتها.

وبعد غزو العراق للكويت سنة ١٩٩١م صدر قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (١٩٩١م) الذي طالب العراق بإخطار المجلس أنها لن ترتكب أو تدعم أي عمل للإرهاب الدولي وتضمن إدانة جميع أعمال الإرهاب وأساليبه وممارساته، ثم عاد المجلس في القرار ١٥٤٦ (٢٠٠٤م) فأدان جميع أعمال الإرهاب في العراق، ثم سمح في القرار ١٦٣٧ (٢٠٠٥م) صراحة للدول باستخدام القوة ضد الإرهاب المرتبط بالعراق وبناء على طلب العراق استمرار تواجد القوات المتعددة الجنسيات.

## ٢- قرارات مجلس الأمن بفرض عقوبات على الدول بسبب الإرهاب:

في عام ١٩٩٢م أصدر مجلس الأمن القرار ٧٣١ الذي أدان تحطيم طائرة مدنية فوق لوكيربي في أسكتلندا، وأبدى أسفه لعدم تعاون ليبيا في إقامة المسؤولية عن هذه الأعمال الإرهابية، وطالب ليبيا بالمساعدة على التخلص من الإرهاب الدولي، وعاد المجلس في القرار ١/٤٨ بفرض عقوبات جوية وعسكرية ودبلوماسية على ليبيا وطالبها بأن تتوقف عن جميع أشكال العمل الإرهابي وعن مساعدة الجماعات الإرهابية. وأصدر المجلس القرار ٨٨٣ مشيراً إلى عزم المجلس على أن يقدم للعدالة المسؤولين عن أعمال الإرهاب الدولي، وقد تمت تسوية المشكلة ودفع تعويضات بعد قبول ليبيا للمسئولية والتزامها بالتعاون وتسليم المشتبه فيهما للمحاكمة إلى محكمة تتعقد في لاهاي وتفضي وفقاً للقانون الأسكتلندي، وهو ما سجله قرار مجلس الأمن في القرار رقم ١١٩٢ (١٩٩٨م) وبمقتضى القرار ١٥٠٦ ألغى المجلس العقوبات التي وقعها على ليبيا.

وبمقتضى القرار رقم ١٠٤٤ (١٩٩٦م) أدان مجلس الأمن المحاولة الإرهابية لاغتيال الرئيس المصري في إثيوبيا، وفرض بالقرار ١٠٧٠ عقوبات على السودان تم رفعها بالقرار ١٣٧٢ (٢٠٠١م). وأصدر المجلس أربعة قرارات حول الإرهاب في كوسوفو في عامي ١٩٩٨م و١٩٩٩م هي القرارات أرقام: ١١٩٩ (١٩٩٨م) و١٢٠٣ (١٩٩٨م) و١١٦٠ (١٩٩٨م) و١٢٤٤ (١٩٩٩م). وأصدر المجلس القرار رقم ١١٨٩ بشأن الإرهاب الذي وقع في كينيا وتنزانيا، وأصدر المجلس القرار رقم ١١٩٣ لسنة (١٩٩٨م) مطالباً نظام طالبان في أفغانستان بالكف عن تدريب الإرهابيين وبالتعاون في تقديمهم للعدالة.

وإثر الحادث الإرهابي الذي وقع على الولايات المتحدة في ١١ من سبتمبر سنة ٢٠٠١م أصدر مجلس الأمن القرار رقم ١٣٦٨ الذي أدان بأقوى العبارات الاعتداء الإرهابي المرعب الذي وقع على مركز التجارة العالمي وعلى البيت الأبيض والكونجرس والبنجابيون، وبعد ذلك أصدر المجلس قراره الشهير رقم ١٣٧٣ بناء على الفصل السابع من الميثاق بشأن محاربة الإرهاب، وفي الفترة من ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٥ وقعت حوادث إرهابية في بالي وكينيا (٢٠٠٢م) وبوجوتا إسطنبول (٢٠٠٣م) ومدريد سنة (٢٠٠٤م)، ولندن سنة (٢٠٠٥م)، وموسكو (٢٠٠٢م)، وأصدر المجلس قرارات بشأنها.

وعلى الرغم من حوادث الإرهاب في الشرق الأوسط؛ فإن مجلس الأمن أصدر عددًا محدودًا من القرارات التي أدانته بسبب الحساسية السياسية التي يثيرها حق تقرير المصير الفلسطيني في نظر الدول الكبرى، ومع ذلك، فإنه منذ سنة ٢٠٠٢م أصدر المجلس عدة قرارات أشارت إلى

الإرهاب، ولُوحظ أن عبارات الإدانة عن الإرهاب تتصرف بالتساوي إلى العنف الإسرائيلي والفلسطيني ضد المدنيين، وقد أكد مجلس الأمن على وجوب احترام القانون الدولي الإنساني وحماية المدنيين.

وفي عام ٢٠٠٤م صدر قرار مجلس الأمن رقم ١٥٦٦ متضمناً تعريفاً عاماً للإرهاب يتضمن أن أفعالاً معينة لا يمكن تبريرها بأنها أعمال إجرامية، تتضمن ما يقع ضد المدنيين بقصد إحداث الموت أو الأذى البدني الجسيم أو أخذ الرهائن، بقصد خلق حالة من الرعب لدى الرأي العام أو في مجموعة من الأشخاص أو أشخاص معينين، أو تخويف سكان، أو إجبار حكومة أو منظومة دولية على القيام بأى عمل أو الامتناع عنه، مما يعتبر جرائم في إطار الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية المتعلقة بالإرهاب وكما هي معرفة فيها.

وقد أنشأ مجلس الأمن طبقاً لقراره رقم ١٣٧٣ لجنة لمواجهة الإرهاب (Counter-Terrorism Committee) في نطاق الأمم المتحدة لكي تتابع التدابير التي وضعتها الدول لمكافحة الإرهاب بحكم التزامها بذلك تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

ولما كان مجلس الأمن يعمل فقط في مواجهة الأخطار التي تهدد السلم والأمن الدوليين، فإن هذه اللجنة بالضرورة تهتم بأعمال الإرهاب التي تهدد السلم والأمن الدوليين، وقد طلبت هذه اللجنة من مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة في فيينا وضع إرشادات للدول عند تشريع وسائل مواجهة الإرهاب وعند تطبيقها.

### ٣- خصائص أعمال الإرهاب (وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ١٥٦٦ لعام ٢٠٠٤م):

دعا مجلس الأمن في قراره رقم ١٥٦٦ لعام ٢٠٠٤م جميع الدول للتعاون الكامل في مكافحة الإرهاب، وأوجب عليها في سبيل ذلك أن تلتزم بأن تمنع وتعاقب على ارتكاب الأفعال التي تتوافر فيها الخصائص الثلاثة الآتية:

أ - أن ترتكب الأفعال - بما في ذلك ما يقع ضد المدنيين - أو غير المقاتلين بقصد إحداث موت أو جرح بدني بليغ، أو احتجاز الرهائن.

ب - بغض النظر عن ارتكاب تلك الأفعال لأسباب سياسية، أو فلسفية، أو أيديولوجية، أو بسبب الجنس، أو العنصر، أو العقيدة، أو لسبب ذي طبيعة متماثلة - إذا كانت هذه الأفعال قد ارتكبت بحكم طبيعتها أو بحسب سياقها بقصد إحداث حالة من الرعب لدى السكان، أو بقصد إجبار حكومة أو منظمة دولية لأداء عمل أيًا كان أو الامتناع عن أدائه.



ج - أن تكون هذه الأفعال مكونة لجرائم في النطاق الذي حددته الاتفاقيات والبروتوكولات المتعلقة بالإرهاب.

### ثالثاً: لجنة مكافحة الإرهاب بالأمر المتحدة:

تتولّى لجنة مكافحة الإرهاب على مستوى الأمم المتحدة الرقابة على تطبيق الوثائق الدولية المناهضة للإرهاب والتي كانت مصدرًا للالتزامات الدولية بمنع الإرهاب، وعبر رئيس هذه اللجنة عن أن التقارير المقدمة إليها كشفت عن أن كثيراً من الدول صدقت على هذه الاتفاقيات دون أن تضع تدابير وطنية لتطبيقها مما يجعلها عديمة القيمة من الناحية العملية، وقد لوحظ أنه على خلاف بعض الاتفاقيات في مجال حقوق الإنسان، والبيئة، والحد من التسليح، أو مجال مكافحة الجريمة؛ فإن الاتفاقيات المناهضة للإرهاب لم تتضمن آلية للرقابة على تطبيق الدولة لها.

ومع ذلك فإنه على المستوى العالمي تختص لجنة مكافحة الإرهاب بمراقبة تطبيق الدول للالتزامات المفروضة عليها بمقتضى قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ لسنة ٢٠٠١م، ويلاحظ أنه كما أصدر مجلس الأمن لأول مرة قراراً ذا طبيعة تشريعية؛ فقد أنشأ لأول مرة آلية للرقابة من خلال جهاز تابع له أطلق عليه اسم لجنة مكافحة الإرهاب، وفتح إنشاء هذه اللجنة بطبيعتها ونطاق مهمتها وأسلوب عملها طريقاً جديداً للتعاون بين الدول.

وتختلف هذه اللجنة عن الأجهزة التابعة التي أنشأها مجلس الأمن في قرارات مختلفة لمتابعة تطبيق قراراته التي تفرض جزاءات ضد بعض الدول أو بعض الجماعات التي تهدد السلم والأمن الدوليين، فلم تكن لجنة مواجهة الإرهاب التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة مختصة بمتابعة أي جزاءات، ولم تكن قاضياً يفصل في مواقف الدول، بل على العكس من ذلك، فإن اختصاصها يقوم على الحوار والتعاون بغير أن تكون لها سلطة الإلزام، ولا تملك سوى إخطار مجلس الأمن ببعض الحالات.

وكذلك تختلف مهمة لجنة مكافحة الإرهاب المُشكَّلة طبقاً للقرار ١٣٧٣ عن مهمتها طبقاً للقرار ١٣٧٧ لسنة ٢٠٠١م في مجال المساعدة الفنية المضافة بمقتضى هذا القرار الأخير. وجاء مجلس الأمن بقراره رقم ١٤٥٦ لسنة ٢٠٠٣م فطلب من هذه اللجنة إخطاره بصفة دورية بالتقدم الذي أحرزته الدول فيما يتعلق بالالتزامات بإرسال تقارير اللجنة، وبكل مشكلة يمكن أن تصادفها اللجنة فيما يتعلق بطلب معلومات معينة من الدول.

وعلى المستوى الأوروبي فإن مجلس الاتحاد الأوروبي أنشأ منذ سنة ١٩٩٧م آلية لتقويم تطبيق الخطة الوطنية للتعهدات الدولية في مجال مكافحة الإجرام المنظم، وفي ٢٨ نوفمبر سنة ٢٠٠٢م قرر مجلس الاتحاد الأوروبي بناء على اقتراح إسبانيا إنشاء آلية لتقويم تطبيق أعمال

الخطة الوطنية للتعهدات الدولية في مجال مكافحة الإرهاب، وجاء هذا القرار تطبيقاً للقسم السادس من معاهدة الاتحاد الأوروبي بشأن التعاون الشرطي والقضائي في المسائل الجنائية. وقد تجاوزت مصر مع لجنة مكافحة الإرهاب، فتلقت اللجنة عدة تقارير مقدمة من الممثل الدائم لمصر لدى الأمم المتحدة عن الخطوات التي اتخذتها مصر تنفيذاً لهذا القرار تضمن عرضاً للإجراءات التشريعية والتنفيذية والإدارية المطبقة في مصر بشأن مكافحة وقمع تمويل الإرهاب وكذلك الإجراءات والترتيبات الأخرى الجاري اتخاذها لإحكام السيطرة على عمليات تهريب وغسل الأموال ومكافحة الإرهاب بصفة عامة، فضلاً عن الإجراءات المتخذة لتعزيز التعاون الدولي في المجالات التي يغطيها قرار مجلس الأمن ذو الصلة، سواء قبل أو بعد الأحداث الإرهابية التي وقعت في الولايات المتحدة في ١١ من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، وصدور قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣.

وقد تضمن التقرير الرابع الذي قدمته حكومة مصر - استجابة لطلب لجنة مكافحة الإرهاب- رداً على الاستفسارات التي وجهتها اللجنة بشأن التدابير الرامية لمكافحة الإرهاب وتضمن هذا التقرير أيضاً عرضاً لإستراتيجية مكافحة الإرهاب التي وضعتها مصر، وقد جاء في التقرير المقدم في ٢٠ من ديسمبر عام ٢٠٠١م، أن الإستراتيجية المصرية في مواجهة جرائم الإرهاب والتطرف تقوم على مبدأ الحسم القانوني والأمني، والإجهاض المبكر والفوري لمكافحة تحركات عناصر التطرف والإرهاب، وذلك في إطار إستراتيجية الدولة الشاملة لمكافحة هذه الظاهرة بكافة أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والإعلامية.

#### **رابعاً: التعاون الدولي في مجال مكافحة الإرهاب:**

لما كانت ولاية السلطة القضائية في الدولة هي أحد مظاهر السيادة التي لا يجوز تخطيها من جانب الدول الأخرى، فإن فاعلية العقاب على جرائم الإرهاب تتطلب تعاوناً دولياً بين مختلف الدول. فقد أثبت التطبيق العملي أن بعض الإرهابيين يتلقون تمويلاً أو تدريباً في الخارج، أو ينفذون أعمالاً إرهابية تم التخطيط لها أو الأمر بها في الخارج وأن بعض الإرهابيين ينتمون إلى جنسيات أجنبية، أو يفرون خارج الحدود عقب ارتكاب جرائمهم. وكل ذلك يتطلب من السلطة القضائية وأعوان العدالة الجنائية داخل الدولة أن تتعاون مع غيرها من السلطات في الدول المختلفة من أجل تفعيل العدالة الجنائية في هذا النوع الخطير من الجرائم، وقد جاء في تقرير اللجنة الثالثة بشأن منع الجريمة والعدالة الجنائية المؤرخ في ١٥ من نوفمبر سنة ٢٠٠٧م، أن اللجنة تطلب إلى مكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة أن يعزز المساعدة التقنية التي يقدمها إلى الدول الأعضاء، بناء على طلبها، من أجل تعزيز التعاون الدولي على منع الإرهاب ومكافحته<sup>(٣٤)</sup>.

ويهدف التعاون الدولي إلى تحقيق أهداف معينة تتمثل فيما يلي:

أ- البحث عن الإرهابي المشتبه فيه والقبض عليه بناءً على طلب الدولة التي تعترم محاكمته، إذا كان موجوداً في إقليم دولة أخرى.

ب - تسليم المتهم بالإرهاب المقبوض عليه بناءً على طلب الدولة التي تربطها علاقة مباشرة بالجريمة.

ويمكن التمييز بين نوعين من التعاون الدولي من حيث طبيعة أجهزة الدولة المتعاونة فيما بينها؛ الأول: هو التعاون القضائي، والثاني: هو التعاون الشرطي.

ويتحقق التعاون القضائي بين جهازين ينتميان للسلطة القضائية في كلتا الدولتين، ويتمثل هذا التعاون إما في تسليم الإرهابيين، أو في المساعدة القضائية بشأن جمع أدلة حول الجريمة ونسبتها إلى المتهم.

أما التعاون الشرطي فإنه يهدف إلى منع وقوع الإرهاب وليس المعاقبة عليه؛ لأنها تدخل في أعمال السلطة القضائية، وجمع الدولة للمعلومات عن المتهم بالإرهاب الذي يقع بين أيديها، إذا كانت هذه المعلومات في حوزة دولة أخرى، وقد تتعلق هذه المعلومات بشخصيته وسوابقه ومدى انتمائه لجماعة إرهابية معروفة، وجمع الدولة لأدلة الجريمة الإرهابية التي وقعت في إقليمها والتي تعتبر ضرورية للتحقيق، إذا كانت هذه الأدلة في حوزة دولة أخرى.

#### ١- تسليم الإرهابيين لأغراض العدالة الجنائية:

يسمح تسليم الإرهابيين أو المتهمين بالإرهاب للدولة طالبة بضمن حضورهم من أجل تمكينها من محاكمتهم أو تنفيذ الأحكام الصادرة ضدهم، وعلى هذا النحو، فإن التسليم يسمح بمحاكمة المتهم أمام قاضيه الطبيعي. وينعقد التسليم بين سلطتين قضائيتين في دولتين، ويتطلب اتخاذ إجراءات تتمثل في طلب واضح بالتسليم محدد به اسم الشخص المطلوب تسليمه والجريمة المبررة للتسليم، وينتهي بالتسليم الرسمي لهذا الشخص للدولة طالبة<sup>(٣٥)</sup>.

وقد نظم القانون الدولي الحق في التسليم والالتزام به من خلال المعاهدات، ووفقاً لما ورد في الاتفاقيات الدولية الخاصة بالتسليم، فهناك شروط تتعلق بالجريمة وأخرى تتعلق بالمتهم. وبالنسبة إلى النوع الأول من الشروط، يهمن التأكيد منها على ما يلي:

أ- بيان الجرائم التي يستند إليها طلب التسليم، وتستجيب الدولة المطلوب منها التسليم لهذا الطلب وفقاً لسلطتها التقديرية في ضوء الظروف وطبيعة الجريمة والمتهم.

ب- ازدواج التجريم في الدولتين (طالبة التسليم والمطلوب منها) وهو ما يتطلب أن تكون الجريمة المطلوب التسليم من أجلها معاقبًا عليها في تشريع كل من هاتين الدولتين، وهو ما يتفق مع مبدأ أن الدولة لا تشارك في معاقبة أفعال مالم تكن في نظرها أفعالاً جنائية<sup>(٣٦)</sup>.

وقد أدى التزام الدول بتجريم أفعال الإرهاب إلى الحد من القيمة الفعلية لهذا الشرط عند طلب تسليم الإرهابيين، وخاصة عند تجريم بعض الأعمال التحضيرية للإرهاب؛ ورغبة في التخفيف من قيود هذا الشرط، لم يعد يشترط تماثل أركان الجريمة ووصفها القانوني في تشريع الدولتين اكتفاءً بتجريم الفعل الجنائي<sup>(٣٧)</sup>.

وقد تأكد ذلك في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لعام ٢٠٠٣م إذ نصت المادة ٤٣/٢ من الاتفاقية على أنه في مسائل التعاون الدولي، كلما اشترط توافر ازدواجية التجريم وجب اعتبار ذلك الشرط مستوفى بصرف النظر عما إذا كانت قوانين الدولة الطرف متفقة الطلب تدرج الجريمة المعنية ضمن فئة الجرائم نفسها التي تدرجها فيها الدولة الطرف طالبة، أو تستخدم في تسميتها المصطلح نفسه الذي تستخدمه الدولة الطرف طالبة، إذا كان السلوك الذي تقوم عليه الجريمة التي تلتزم بشأنه المساعدة، يعتبر فعلاً سلوكاً إجرامياً في قوانين كلتا الدولتين الطرفين.

ج- عدم جواز التسليم في الجرائم السياسية، وهذا الشرط يفقد قيمته في جرائم الإرهاب؛ لأنها لا تعتبر من الجرائم السياسية كما بينا من قبل. وهناك أيضاً دفع بعدم جواز التسليم في الجرائم العسكرية أو الجرائم ذات الطبيعة المالية.

د- وفيما يتعلق بالمتهم، فالأصل أن كل دولة تستطيع أن تسلّم أي شخص يوجد على أرضها، ومع ذلك فهناك قاعدة عامة مسلم بها هي أن الدولة لا يمكنها أن تسلّم رعاياها. هذا وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بشأن التسليم، (رقم ٥٢/٨٨ لسنة ١٩٩٧م ألحقت به نموذجاً لمعاهدة بشأن التسليم، وقد جاءت معاهدة روما بشأن إنشاء المحكمة الدولية الجنائية عام ١٩٩٨م فوضعت نظاماً للتعاون الدولي والمساعدة القضائية يتيح تسليم المجرمين.

## ٢- الأمر الأوروبي بالقبض كبديل عن إجراءات تسليم المجرمين:

في ٥ من سبتمبر سنة ٢٠٠١م أقرّ البرلمان الأوروبي قراراً في إطار مكافحة الإرهاب دعا فيه مجلس الاتحاد إلى إصدار قرار إطاري لإلغاء الإجراءات الشكلية للتسليم وإقرار مبدأ الاعتراف المتبادل بالأحكام الجنائية، وبالقرارات السابقة على مرحلة الحكم فيما يتعلق بجرائم الإرهاب، وفي ١٣ من يونيو سنة ٢٠٠٢م أصدر مجلس وزراء العدل والداخلية بالاتحاد الأوروبي قراراً إطاريّاً بنظام الأمر الأوروبي بالقبض، وبمقتضى هذا النظام يُصدر الأمر القضائي إحدى الدول الأعضاء

بقصد القبض والتسليم بواسطة دولة أخرى من أجل رفع الدعوى الجنائية، أو تنفيذ العقوبة، أو التدبير الاحترازي المقيد للحرية، ووفقاً لهذا النظام لم يعد شرطاً عند تسليم المجرمين ازدواج التجريم في كل من الدولة طالبة التسليم والدولة المطلوب منها، وتقرر مبدأ الاتهام المتبادل بالأحكام القضائية مما سمح بإقامة علاقة مباشرة بين السلطات القضائية في الدولة الأوروبية<sup>(٣٨)</sup>.

### ٣- المساعدة القضائية:

تتخذ المساعدة القضائية في المواد الجنائية شكلين دون تقييدها بإجراءات محددة؛ هما: الإنابة القضائية، ونقل المستندات أو الأشخاص للدولة طالبة لمساعدة الجهات المختصة بجمع الأدلة<sup>(٣٩)</sup>، وقد عقدت اتفاقيات خاصة بالمساعدة القضائية في المسائل الجنائية منها الاتفاقية الأوروبية للمساعدة القضائية سنة ١٩٥٩م وأضيفت لها اتفاقية أوروبية حول نقل الإجراءات الجنائية في سنة ١٩٧٢م. ومن حيث المبدأ يتوقف تنفيذ طلب المساعدة القضائية على تشريع الدولة المطلوب منها المساعدة وممارستها في هذا الشأن.

وقد عقدت مصر عدة اتفاقيات للتعاون القضائي مع عدد من الدول المختلفة، منها الاتفاقية مع الجزائر سنة ١٩٦٤م، ومع تونس سنة ١٩٧٧م، ومع فرنسا سنة ١٩٨٣م، ومع الأردن سنة ١٩٩٢م، ومع بولندا سنة ١٩٩٣م، ومع ليبيا سنة ١٩٩٣م، ومع قبرص سنة ١٩٩٤م، ومع الصين سنة ١٩٩٥م، ومع ألبانيا سنة ١٩٩٥م، ومع المغرب سنة ١٩٩٨م، ومع المجر سنة ١٩٩٨م، ومع الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩٨م وسنة ٢٠٠٠م، ومع سوريا سنة ١٩٩٨م، ومع الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠١م، ومع الاتحاد السويسري سنة ٢٠٠٢م، ومع سلطنة عمان ٢٠٠٢م، ومع رومانيا سنة ٢٠٠٣م، ومع أوكرانيا سنة ٢٠٠٤م ومع أرمينيا سنة ٢٠٠٧م.

وفي مجال مكافحة الإرهاب طالب قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ الدول بتعميق تبادل المعلومات والإسراع في ذلك، وخاصة فيما يتعلق بأعمال وتحركات الإرهابيين، ووثائق السفر المقلدة أو المزورة، والتجارة في الأسلحة، والمتفجرات أو المواد الحساسة، واستخدام الاتصالات التكنولوجية، والتهديد الذي يتمثل في حيازة الجماعات الإرهابية أسلحة الدمار الشامل، ودعا الدول للتعاون في المسائل الإدارية والقضائية.

وطالب مجلس الأمن بأن تقدم كل من الدول أكبر قدر من المساعدة فيما يتعلق بالتحقيقات الجنائية أو الإجراءات الجنائية المتعلقة بتمويل الإرهاب أو دعم الأعمال الإرهابية، بما في ذلك المساعدة في الحصول على الأدلة التي تحوزها والتي تكون ضرورية لاتخاذ الإجراءات. وهو نص إلزامي للدول الأعضاء، سواء منها ما صدق على جميع الاتفاقيات المناهضة للإرهاب أو لم يصدق على بعضها.

ولا شك في أن سرعة انتقال الأشخاص واستخدام التكنولوجيا عاملان مهمان لتوليد الحاجة إلى التعاون بين الشرطة والأجهزة المكلفة بتطبيق القانون، والسلطات القضائية لمساعدة الدول صاحبة الاختصاص في هذا الشأن؛ ولتحقيق هذا الهدف تعمل الدول في كثير من الأحوال على عقد الاتفاقيات الثنائية أو متعددة الأطراف في مجال المساعدة القانونية في المسائل الجنائية، وبمقتضى هذه الوثائق يمكن مساعدة السلطات المختصة في الحصول على الأدلة الموجودة في الخارج من خلال الإجراءات التي ينص عليها القانون الوطني، سواء بسماع الشهود أو تعقب الأفراد، أو ضمان تقديم المستندات وغيرها من الأدلة.

وعلى هذا النحو فإن المساعدة القضائية في مجال جرائم الإرهاب أصبحت التزاماً دولياً يجد مصدره في الاتفاقيات المناهضة للإرهاب؛ إلا أن نطاق هذا الالتزام تحدده قواعد قانونية خارجية بالنسبة لهذه الاتفاقيات، وهذه القواعد القانونية إما أن توجد في اتفاقيات ثنائية أو متعددة الأطراف في مجال المساعدة القضائية، وفي هذه الحالة يتم تنفيذ إجراء المساعدة وفقاً للشروط والإجراءات المنصوص عليها في هذه الاتفاقيات؛ فإذا لم توجد هذه الاتفاقيات فإن الدولة المطلوب منها تقديم المساعدة تتقيد بالقواعد التي ينص عليها قانونها الداخلي، ومع ذلك فإنه وفقاً للاتفاقيات المناهضة للإرهاب تلتزم الدول بتقديم الحد الأقصى من المساعدة.

وقد تضمنت الاتفاقية العربية المناهضة للإرهاب ١٣ مادة بشأن المساعدة القضائية (المواد من ٩ إلى ٢١)، كما تضمنت الاتفاقية الأفريقية المناهضة للإرهاب خمس مواد في هذا الشأن (المواد من ١٤ إلى ١٩)، وتضمنت اتفاقية منظمة المؤتمر الإسلامي المناهضة للإرهاب ١٨ مادة في شأن المساعدة القضائية (المواد من ٩ إلى ٢١، ثم المواد من ٢٩ إلى ٣٣). وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٠م القرار رقم ٤٥/١١٧ حول التعاون الدولي في المسائل الجنائية أُلحِقَ به نموذج حول معاهدة بشأن المساعدة المتبادلة في المسائل الجنائية؛ ثم أدخلت الجمعية العامة سنة ١٩٩٨م في قرارها رقم ٤٥/١١٧ تعديلات على هذا النموذج.

#### ٤- التعاون الشرطي الدولي:

تُمثِّل المعلومات بلا شك مجالاً مهماً في مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة خاصة بعد زيادة ارتكابها عبر الحدود الوطنية، ولهذا كان التعاون الشرطي الدولي بين الأجهزة الوطنية المسؤولة عن المحافظة على النظام والحماية أمراً لا غنى عنه لقمع الإجرام الدولي، وذلك جنباً إلى جنب مع التعاون القضائي، ويهدف هذا التعاون إلى تسهيل عمل القضاء الجنائي، وفي هذا الشأن يتعين التمييز بين مهام الضبط الإداري ومهام الضبط القضائي، فالأول مهمته هي منع الجريمة، أما الثاني

فعلى العكس من ذلك فإنه لا يتدخل إلا عقب وقوع الجريمة التي لم يمنعها الضبط الإداري، وذلك من أجل ضبط مرتكبيها للتحقيق معهم وتقديمهم للمحاكمة<sup>(٤٠)</sup>.

وقد أنشئت اللجنة الدولية للشرطة الجنائية كمنظمة غير حكومية سنة ١٩٢٣م؛ لتسهيل التعاون بين وكالات أو إدارات تنفيذ القوانين الوطنية، وقد وفّرت هذه المنظمة خدمات الاتصالات الشرطة وقاعدة بيانات لتسهيل هذه الخدمات، وفي سنة ١٩٥٦م اتفقت الجمعية العامة للمنظمة على وضع نظام أساسي جديد لها بمقتضاه تغيير اسمها إلى المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الإنتربول). وقد زادت مبادرات هذه المنظمة بصورة مهمة خلال التسعينيات نتيجة للتطور السريع في الاتصالات ونظم المعلومات وتخزين البيانات وتحليلها فلا شك أن نجاح هذه المنظمة يتوقف إلى حد كبير على الاستخدام الفعال لما تملكه من قاعدة للبيانات الجنائية، كما أن فاعلية تبادل المعلومات الحساسة لا يتوقف فقط على نظام الكمبيوتر المعقد الذي يملكه الإنتربول بل يتوقف كذلك على شبكة الاتصالات الوطنية، وكان من أهم أعمال الإنتربول هو تداول الملاحظات الدولية التي تمد المعلومات المتعلقة بالصور والبصمات، وقد تنوعت هذه الملاحظات وأخذت ألواناً مختلفة وفقاً للهدف من كل منها، فهناك الملحوظة المطلوبة (wanted notice) وتمثل طلباً للقبض على الشخص بغرض تسليمه، وتعرف باللون الأحمر، وتوجد مذكرة البحث (inquiry notice) بغرض جمع المعلومات عن أفراد، وتعرف باللون الأزرق، وتوجد مذكرة التحذير لكي تقدم معلومات حول مجرمين معروفين يرتكبون جرائم دولياً، وتعرف باللون الأخضر، وتوجد مذكرة لجمع معلومات لتعقب شخص معين، وتعرف باللون الأصفر، وتوجد مذكرة للتعرف على شخص معين تبين أوصافه، وتعرف باللون الأسود<sup>(٤١)</sup>.

وقد عنيت اتفاقية أمستردام التي أصبحت نافذة المفعول في مايو سنة ١٩٩٩م بوضع أساس قانوني للشرطة يتجاوز الحدود الوطنية في الاتحاد الأوروبي، وفيما يتعلّق بالاتفاقيات المناهضة للإرهاب؛ فقد تضمنت العديد من الاتفاقيات الدولية نصوصاً تتعلق بالتعاون الشرطي الدولي؛ ولكنها اقتصرت على مجال المنع دون مجال القمع (بعد وقوع الجريمة)، كما حرص عدد من الاتفاقيات الإقليمية على وضع نصوص تتعلق بالتعاون الشرطي منها الاتفاقية العربية والاتفاقية الإفريقية واتفاقية منظمة المؤتمر الإسلامي، كما خصّصت اتفاقية الدول المستقلة جانباً كبيراً للتعاون الشرطي<sup>(٤٢)</sup>.

- (١) الدعوى رقم ٣٣٤٣ لسنة ٢٠١٣م والصادرة من محكمة القاهرة للأمر المستعجلة بتاريخ ٢٤ من فبراير ٢٠١٤م، وقد صار الحكم نهائياً نظراً لعدم الطعن عليه بالاستئناف خلال المدة المقررة قانوناً والتي انتهت في ١٢ من مارس ٢٠١٤م.
- (٢) صدر المرسوم الملكي السعودي رقم ١٦٨٢٠ بالموافقة على هذه المقترحات واعتمادها، على أن يتم تنفيذها اعتباراً من يوم الأحد ٩ من مارس ٢٠١٤م.
- (٣) انظر : د. طارق سرور، " الجماعة الإجرامية المنظمة"، الطبعة الثانية - ٢٠٠١م، ص ٢٠٦ وما بعدها.
- (٤) د. أحمد فتحي سرور، " الوسيط في قانون العقوبات" - القسم العام، طبعة ١٩٨٥م، ص ٤٣٨ - ٤٤٣.
- (٥) د. أحمد فتحي سرور، " المواجهة القانونية للإرهاب"، دار النهضة العربية - القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٢٠ - ٣٢١.
- (٦) المرجع السابق، ص ٣٣١ - ٣٣٢.
- (٧) المرجع السابق، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.
- (٨) المرجع السابق، ص ٣٣٤.
- (٩) المرجع السابق، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.
- (١٠) المرجع السابق، ص ٣٣٥ - ٣٣٧.
- (١١) المرجع السابق، ص ٣٣٧.
- (١٢) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.
- (١٣) د. أحمد فتحي سرور، " المواجهة القانونية للإرهاب"، مرجع سابق، ص ٣١٤.
- (١٤) المرجع السابق، ص ٣١٤ - ٣١٥.
- (١٥) المرجع السابق، ص ٣١٦ - ٣١٧.
- (١٦) المرجع السابق، ص ٣١٧.
- (١٧) المرجع السابق، ص ٣١٨.
- (١٨) د. طارق سرور، مرجع سابق، ص ٢٠٦ وما بعدها.
- (١٩) د. أحمد فتحي سرور، " المواجهة القانونية للإرهاب"، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٦.
- (٢٠) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.
- (٢١) المرجع السابق، ص ٢٨٥.
- (٢٢) المرجع السابق، ص ١٤١ - ١٤٢.
- (٢٣) من الانتقادات التي وجهت لقانون مكافحة الإرهاب البريطاني، انظر : Clive Walker, "Clamping Doum on Terrorism in the United Kingdom", Journal of International Criminal Justice, vol. ٤, No. ٥, November ٢٠٠٦, P. ١١٣٧ seq.
- (٢٤) د. أحمد فتحي سرور، "المواجهة القانونية للإرهاب"، الطبعة الثانية، مرجع سابق، ص ١٥٦.



- (٢٥) المرجع السابق، ص ١٥٧.
- (٢٦) المرجع السابق، ص ١٥٨.
- (٢٧) المرجع السابق، ص ١٥٩.
- (٢٨) المرجع السابق، ص ١٥٩ - ١٦٠.
- (٢٩) المرجع السابق، ص ١٦١ - ١٦٢.
- (٣٠) في ملامح السياسة الجنائية لمكافحة الإرهاب في إسبانيا، انظر: المرجع السابق، ص ١٦٢ - ١٦٤.
- (٣١) د. أحمد فتحي سرور، "المواجهة القانونية للإرهاب"، الطبعة الثانية، مرجع سابق، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (٣٢) انظر: Malcolm D. Evans, "International Law", Oxford, ٢٠٠٦, PP. ٣٠٨- ٩٠.
- (٣٣) جاء هذا القرار كرد فعل لأعمال إرهابية تضمّنت خطف طائرة الخطوط الجوية الكويتية في ديسمبر ١٩٨٤م، وطائرة خطوط الشرق الأوسط، وطائرة شركة TWA في يونيو ١٩٨٥م، وحجز السفينة أكيلي لاورو في أكتوبر ١٩٨٥م، والقبض على ٢٥ جنديًا فنلنديًا من قوة الأمم المتحدة في جنوب لبنان في يونيو ١٩٨٥م.
- (٣٤) انظر: وثيقة الأمم المتحدة: A/ ٦٢/ ٤٤٠.
- (٣٥) انظر: د. أحمد فتحي سرور، "المواجهة القانونية للإرهاب"، الطبعة الثانية، مرجع سابق، ص ٤١٠.
- (٣٦) انظر: حكم محكمة العدل الدولية في ١٤ أبريل عام ١٩٩٢م: Icj, Reports, ١٩٩٢, P. ٢٤.
- (٣٧) انظر: د. أحمد فتحي سرور، مرجع سابق، ص ٤١٢.
- (٣٨) انظر: Robert Zimmermann, "La Cooperation Judiciaire Internationale en Matière Pénale, ٢ éme edition, Bruylant SA, Bruxelles, pp. ٦٤٩- ٦٥٥.
- (٣٩) د. أحمد فتحي سرور، مرجع سابق، ص ٤١٥.
- (٤٠) المرجع السابق، ص ٤٢٠.
- (٤١) المرجع السابق، ص ٤٢٠.
- (٤٢) المرجع السابق، ص ٤٢١.